

إيمان طه

الفتوح الألفية شرح البخاري الأصلية

٢-١

الفتاوى

الفتوحات الأصلية شرح المباحث الأصلية

للعارف بالله الصوفي الجليل أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني
تفعا الله به وعلومه آمين



المجلد الأول



(الطبعة الأولى)



صحة

فضيلة الأستاذ محمد محسن
المدرس بالأزهر الشريف



ملزم للطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفى

بتأليف المشرف السيد رقم ١٨

المزاييل : مختصر - صندوق مؤسسة الفتوى رقم ٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يقول العبد الفقير إلى مولاه النبي به عما سواه أحمد بن محمد

ابن عجيبة الحسني لطف الله به وحياه

ان أولى ما عقد عليه الجنان . ونطقت به ألسنة الفصاحة والبيان . وخطت به أقلام البيان . حمد الفتح العليم الكريم
المنان (الحمد لله) الذين ملأ قلوب أوليائه بحجته . واختص أرواحهم بشهود عظمته . وهيا أسرارهم لخل أعباء معرفته .
فقلوبهم في روضات جنات معرفته يحبرون . وأرواحهم في رياض ملكوته يتزهبون . وأسرارهم في بحار جبروته يسبحون
فاستخرجت أفكارهم يواقيت العلوم . ونطقت ألسنتهم بحواهر الحكم وتأنج القنوم . فسبحان من اصطفاكم لحضرته .
واختصهم بحجته . فهم بين سالك ومجذوب . ومحج ومحبوب . أقام في حجة ذاته . وأقام بشهود آثار صفاته . الصلاة
والسلام على سيدنا ومولانا (محمد) منبع العلوم والأنوار . ومعدن المعارف والأسرار ورضي الله تعالى عن أصحابه الأبرار .
وأهل بيته الأطهار

(أما بعد) كل شيء وقيله ومعاه فعل التصوف من أجل العلوم قدراً وأعظمها عملاً وغزراً . وأسناها شمساً
وبدرأ وكيف لا وهو لباب الشريعة . ومنهاج الطريقة . ومنه تشرق أنوار الحقيقة . وكان أعظم ما صنف فيه الحكم
العطاية . التي هي مواهب لدية . وأسرار ربانية . نطقت بها أفكار قدوسية . وأسرار جبروتية . ولقد سمعت

الفتوحات الالهية في شرح المباحث الاصلية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الحمد لله) بجميع المحامد . الاصلية القديمة والفرعية . فهو المحمود وهو الحامد . لاختصاصه بنهاية الاحدية . النبي
الكريم . المجد القديم . الازلي بلا بداية ولا أولية . الفرد الصمد الواحد الباقي بلا نهاية ولا آخرية (تحمده) تعالى وتشكره
على ما خوله وأولاه من آيابه الابدية (ونستعينه) سبحانه ونستصره على سلوك طريق حضرته القدسية (ونشهد)
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الشريك والنييرة . المقدس عن الحلول والاعتقاد وثبوت الثبوت . (ونشهد)
أن سيدنا ومولانا (محمداً) رسوله ومصطفاه . المختص بالزكاة الاصلية . من غير معاناة تحلية ولا تحلية . صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وأصحابه وعترته وأحبابه . المنزهين عن الأخلاق الدنية . الموصوفين بحاسن الأخلاق السنية .

(أما بعد) كل شيء وقيله فأعظم الرسائل إلى الله سلوك طريق الادب والترية . وأقرب ما وصل المبد إلى مولاه صحة
العارفين ذوى الهمم العلية والترية النورية . والتأديب بين يدي المشايخ أهل الزهاد والتعافية على اختلاف مقاماتهم وأحوالهم
من عباد وزهاد وفقراء وصوفية . والبحث عن سبيلهم وأحوالهم والتأديب بأدبهم المرصية . والتحقق بأخطأهم وشيئهم

شيخ شيخنا مولاي العربي رضى الله عنه يقول سمعت الفقيه البنانى يقول كادت حكم ابن عطاء الله أن تكون وحياً ولو كانت الصلاة تجوز بغير القرآن لجازت بكلام الحكم أو كما قال . ولقد طلب ، منى شيخنا العارف الواصل المحقق الكامل سيدى محمد البوزيدى الحسى أن أضع عليها شرحاً متوسطاً بين المعنى والمعنى ويحقق المبنى معتمداً في ذلك على حول الله وقوته . وما يفتح الله به من خزائن عليه وحكمته . أو ما كان مناسباً لتلك الحكمة من كلام التوهم (فأجبت طلبته) وأسعفت رغبته . رجاء أن يقع به الامتاع وبعم به الاتفاع ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وسميته ، إيقاظ المهمل في شرح الحكم جله الله خالصاً لوجهه العظيم بمجاه نينا المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم . ولنقدم ، بين يدى الكتاب مقدمتين إحداهما في حد التصوف وموضوعه ووضعها واسمه واستمداده وحكم الشارع فيه وتصور مسأله وفضيلته ونسبته وثمرته (والمقدمة الثانية) في ترجمة الشيخ وذكر عايشه (أما حده) فقال الجنيد هو أن يملك الحق عنك ويحييك به وقال أيضاً أن تكون مع الله بلا علاقة وقيل الدخول في كل خلق سنى والخروج من كل خلق دنى وقيل هو أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم مع قوم كرام وقيل أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء . وقيل استرسال النفس مع الله على ما يريد وقيل التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر والافتقار . والتحقق بالبدل والابتار وترك التدبير والاختيار وقيل الأخذ بالحقائق . والابتناء على أيدى الخلائق . وقيل ذكر مع اجتماع . ووجد مع استماع . وعمل مع اتباع وقيل الاناخة على باب الحبيب وإن طرد . وقيل صفوة القرب بعد كدرة البعد . وقيل الجلوس مع الله بلام وقيل هو العصمة عن رؤية الكون (والصوفى) الصادق علامته أن يقتدر بعد الفنى ويذل بعد العز ويغنى بعد الشهرة (وعلامة) الصوفى الكاذب أن يستغنى بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتر بعد الخفاء قاله أبو حمزة البغدادى

(وقال الحسن) بن منصور الصوفى واحد في الذات لا يقبله أحد ولا يقبل أحداً وقيل الصوفى كالأرض يطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه الا كل ملبس ويطؤه البر والفاجر وقالوا من أقبح كل قبيح صوفى شحيح وقال الشبلى الصوفى منقطع عن الخلق متصل بالحق لقوله تعالى واصطنعتك لنفسى ثم قال أيضاً الصوفية أطفال في حجر الحق وقيل الصوفى لا تله الأرض ولا تظله السماء يعنى لا يحصره الكون وقال الشيخ زروق رضى الله عنه قد حدد التصوف ورسم وفر بوجوه تبلغ نحو الألفين ترجع كلها لصدق التوجه إلى الله تعالى وإنما هى وجوه فيه والله أعلم ثم قال والاختلاف في الحقيقة الواحدة ان كثر دل على بعد ادراك حملتها ثم هو إن رجع لأصل واحد يتضمن

الزكية . وأجل من بحث عن ستمهم الدراسة وما أثرهم السنية . الفقيه الصوفى ابن البنا السرقطى في مباحثه الأصلية . فقه دره لقد حرر فيه المعنى . وبين فيه المبنى . فبلغ فيه غاية القصد والمبنى بلفظ مختصر بديع . ونظم سلس رائق رفيع بين فيه أصول الطريق . وأظهر فيه معالم التحقيق (فأردت) بعون الله أن أضع عليه شرحاً متوسطاً ليس بالطويل الممل . ولا بالقصير المخل . بين المعنى ويحقق المبنى حملتي عليه أمر شيخنا العارف الواصل المحقق الكامل سيدى محمد بن أحمد البوزيدى الحسى (فأجبت رغبته) وأسعفت طلبته عسى أن يتفجع به الخاص والعام فيكون معراجاً وسلاً لارتقاء درجة المعرفة على التمام . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب وحسى الله ونعم الوكيل والاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (وسميته) الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية نستل الله تعالى أن يفتح على من كتبه أو طالع له أو حصله أو سمعه أو اعتقده أو انتظ بما فيه فتوحاً مينا ظاهراً وباطناً بمته وكرمه وبجاه سيد الخلق سيدنا ومولانا (محمد) نبيه وحبيه آمين (وهذا) أوان الشروع في للقصود مستمداً من بحر الكرم والجود صاحب المقام المحمود . والمحرض المورود والواء

جملة ما قيل فيها كانت العبارة عنه بحسب ما فهم منه وجملة الأقوال واقعة على تفاصيله واعتبار كل واحد على حسب مثاله علماً وعملاً وذوقاً وغير ذلك والإختلاف في التصوف من ذلك فمن أجل ذلك ألحق الحافظ أبو نعيم رحمه الله يتألب أهل حليته عند تعلية كل شخص قولاً من أقوالهم يناسب حاله قائلًا وقيل إن التصوف كذا فاقضى أن كل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف وأن تصوف كل أحد صدق توجه فافهم اهـ (وقال أيضاً قاعدة صدق التوجه مشروط بكونه من حيث يرضاه الحق تعالى وبما يرضاه ولا يصح مشروط بدون شرطه ولا يرضى لعباده الكفر فلم تحقيق الإيمان وأن تشكروا يرضه لكم فلم العمل بالاسلام فلا تصوف إلا بفقته إذ لا نعرف أحكام الله تعالى الظاهرة إلا منه ولا فقهه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق توجه ولاهما إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما بدون الآخر فلم الجمع لتلازمهما في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد إذ لا وجود لها إلا فيها كالأكمال لها أى للأشباح إلا بها ومنه قول مالك رحمه الله من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق . ومن تفقه ولم يتصوف فقد تنسق . ومن جمع بينهما فقد تحقق (قلت) تزندق الأول لأنه قائل بالجبر الموجب لنفي الحكمة والأحكام وتنسق الثاني لخلو علمه عن صدق التوجه الحاجز عن معصية الله وعن الاخلاص المشروط في الأعمال وتحقيق الثالث لقيامه بالحقيقة في عين تمسكه بالحق فاعرف ذلك إذ لا وجود لها إلا فيها كالأكمال له إلا به فافهم اهـ

(وأما موضوعه) فهو الذات العلية لأنه يبحث عنها باعتبار معرفتها إما بالبرهان أو بالشهود والعيان فالأول للطالين ؛ والثاني للواصلين (وقيل) موضوعه النفوس والقلوب والأرواح لأنه يبحث عن تصفيتها وتهذيبها وهو قريب من الأول لأن من عرف نفسه عرف ربه (وأما) واضع هذا العلم فهو النبي صلى الله عليه وسلم عليه الله بالوحي والالهام فنزل جبريل عليه السلام أولاً بالشرعة فلما تقررت نزل ثانياً بالحقيقة فغفر بها بعضاً دون بعض أول من تكلم فيه وأظهره سيدنا علي كرم الله وجهه وأخذه عنه الحسن البصري وأمه اسمها خيرة مولاة لام سلة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأبوه مولى زيد بن ثابت توفي الحسن سنة عشر ومائة وأخذه عن الحسن حبيب العجمي وأخذه عن حبيب أبو سليمان داوود الطائي توفي سنة ستين ومائة وأخذه عن داوود أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رضى الله عنه وأخذه عن معروف الكرخي أبو الحسن سري بن مفلس السقطي توفي سنة إحدى وخمسين ومائة وأخذه عن السري إمام هذه الطريقة ومظهر أعلام الحقيقة أبو القاسم محمد بن الجنيد الحزاز أصله من نهاوند ومشوه العراق تفقه على

المعقود سيدنا ومولانا (محمد) المرسل إلى كل موجود منبع العلوم والأنوار ، ومفتاح خزائن المواهب والأسرار . فان وجودك الدنيا وضرتها . ومن علومك علم اللوح والقلم ، فافتح على العارفين من اللواهب والأسرار ، إلا رشحات من رشحات النبي المختار ، إذ منه انشقت الأسرار ، وانفلق الأنوار ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الأبرار «وبعد هذا» فصاحب الكتاب هو الشيخ الفقيه الصالح الولي الناصح أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي المعروف بابن البنا السرقسطي بضم القاف نسبة إلى سرقطة بلدة بتخوم الجزيرة كان أصل نسبه منها ثم تقرر بنفاس وبها توفي قال الشيخ زروق رحمه الله لم أقف على تاريخ وفاته غير أن الطرب الغالب أنه قريب العهد قال ولم يكن مشهوراً بالعلم مع ماله فيه من القدم الراسخ الذي دل عليه كتابه فعد من عجائب مدينة فاس إذا كل من عاينها وألف كابن أبي زرعة صاحب التاريخ كذا ذكر لي بعض عدول بلدنا عن صاحب له عدل اهـ قلت وكم من عارف كبير يتحنن أستاذ الخسول حتى لنى الله تعالى بل كلما عظم قدر العارف عند الله خفى أمره على الناس لأن الكنوز لا تكون إلا مدفونة فان ظهرت نيت وتفتت أمرها وذبح سرها وابن البنا هذا

أبو ثور ومحب الشافعي فكان يفتي على مذهب أبي ثور ثم محب خاله السري وأبا الحارث المحاسبي وغيرهما وكلامه وحققه مدون في الكتب توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين ومائتين وقبره يفد مشهور بزار ثم انتشر التصوف في أصحابه وهم جرا ولا ينقطع حتى ينقطع الدين (ومن رواية أخرى) أخذه عن سيدنا علي رضي الله عنه أول الانقلاب سيدنا الحسن ولده ثم عنه أبو محمد جابر ثم القطب سعيد الغزواني ثم القطب فتح السعدي ثم القطب سعد ثم القطب سعيد ثم القطب سيدي أحمد المرواني ثم إبراهيم البصري ثم زين الدين القزويني ثم القطب شمس الدين ثم القطب تاج الدين ثم القطب نور الدين أبو الحسن ثم القطب غفر الدين ثم القطب تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما ثم القطب سيدي عبد الرحمن المدني ثم القطب الكبير مولاي عبد السلام بن مشيش ثم القطب الشهير أبو الحسن الشاذلي ثم خليفته أبو العباس المرسي ثم العارف الكبير سيدي أحمد بن عطاء الله ثم العارف الكبير سيدي داود الباخلي ثم العارف سيدي محمد بحر الصفاء ثم العارف ولده سيدي علي ابن وفا ثم الولي الشهير سيدي يحيى القادري ثم الولي الشهير سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي ثم الولي الكبير سيدي أحمد زروق ثم سيدي إبراهيم أخاه ثم سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار ثم العارف الكبير سيدي بن عبد الرحمن المجذوب ثم الولي الشهير سيدي يوسف القاسمي ثم العارف سيدي عبد الرحمن القاسمي ثم العارف سيدي محمد بن عبد الله ثم العارف سيدي قاسم الخصاصي ثم العارف سيدي أحمد بن عبد الله ثم العارف سيدي العربي بن عبد الله ثم العارف الكبير سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الحسني ثم العارف الشهير شيخ المشايخ سيدي ومولاي العربي الدرقاوي الحسني ثم العارف الكامل المحقق الواصل شيخنا سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني ثم عبد ربه وأقل عبيده أحمد بن محمد بن نجية الحسني ثم عنه خلق كثير والمئة لله العلي الكبير

(وأما اسمه) فهو علم التصوف واختلف في اشتقاقه على أقوال كثيرة ومرجعها إلى خمس (أولها) أنه من الصوفة لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لاتدبير له (الثاني) من صوفة القفا لأنها فالصوفي هين لين كهي (الثالث) أنه من الصفة إذ جعلته اتصاف بالمحمد وترك الأوصاف المذمومة (الرابع) أنه من الصفاء وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستي رحمه الله في الصوفي

تخالف الناس في الصوفي واحتلفوا جهلا وظنوا أنه مشتق من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم إلا قتي صافي فصوفي حتى سمي الصوفي

غير صاحب الحساب فانه ابن البنا الصوفي توفي بمراكش سنة إحدى وعشرين من القرن الثامن كما ذكره صاحب الجذوة ثم ابتدأ صاحب الكتاب بسم الله تبركا وامتنالا فقال :

بسم الإله في الأمور أبدا إذ هو غاية لها ومبدأ

قلت مازالت أكاير الكتاب والمصنفين يتدنون في أول كتبهم بسم الله اقتداء بالكتاب العزيز فان الصحابة على افتتاح المصحف بسم الله الرحمن الرحيم على اختلاف بينهم في كونها آية أو غير آية فذهب بعض الصحابة إلى أنها آية وبه أخذ الشافعي رضي الله عنه ومن تبعه حتى أتى يطلان صلاة من تركها وذهب آخرون إلى أنها غير آية وبه أخذ مالك ومن تبعه واحتج الشافعي بأن الصحابة من شدة تعظيمهم وتحريم لا يبدلون في المصحف إلا ما هم منوا احتج مالك بقول كثير من الصحابة من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم قال فكان يفتح الصلاة بالحمد لله رب العالمين ولم يقل بسم الله الرحمن الرحيم والخلاف المذكور في كتب الفقه وكان الامام المازري يقرؤها سرا خروجا من الخلاف وفي الحديث كل

(الخامس) أنه منقول من صفة المسجد النبوي الذي كان منزلا لأهل الصفة لأن الصوفي تابع لهم فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وهو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه قاله الشيخ زروق رحمه الله .

(وأما استمداده) فهو مستمد من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين وقد أدخلوا فيه أشياء من علم الفقه لمس الحاجة إليه في علم التصوف حررها النزالي في الإحياء في أربعة كتب كتاب العبادات وكتاب العادات وكتاب المهلكات وكتاب المنجيات وهو فيه كمال لا شرط إلا ما لا بد منه في باب العبادات والله تعالى أعلم .

(وأما) حكم الشارع فيه فقال النزالي إنه فرض عين إذا يخلو أحد من عيب أو مرض إلا الأنبياء عليهم السلام وقال الشاذلي من لم يتغلغل في علينا هذا مات مصرا على الكبر وهو لا يشعر وحيث كان فرض عين يجب السفر إلى من يأخذه عنه إذا عرف بالترية واشتهر الدواء على يده وإن خالف والديه حسبما نص عليه غير واحد كالبلال والسوسي وغيرهما قال الشيخ السنوسي النفس إذا غلبت كالعدو إذا لجأ يجب مجاهدتها والإسماعلة عليها وإن خالف الوالدين كما في العدو إذا برز قاله في شرح الجزيري وما أحسن قول القائل .

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| أخطر في محبتكم بروحي | وأركب بحركم أما وأما |
| وأسلك كل فج في هواكم | وأشرب كأسكم لو كان سما |
| ولا أصني إلى من قد نهاني | ولي أذن عن العذال صبا |
| أخطر بالخواطر في هواكم | وأترك في رضاكم أبا وأما |

وأما تصور مسائله فهي معرفة اصطلاحاته والكلمات التي تداول بين القوم كالإخلاص . والصدق . والتوكل والزهد والورع . والرضى . والتسليم . والمحبة . والفناء . والبقاء . وكالذات . والصفات . والقدرة . والحكمة . والروحانية والبشرية وكمعرفة حقيقة الحال والوارد والمقام وغير ذلك وقد ذكر القشيري في أول رسالته جملة شافية وقد كنت جملت كتابا فيه مائة حقيقة من حقائق التصوف سميت معراج التشوف إلى حقائق التصوف فليطالع من أراد أن يستعين به على فهم كلام القوم ثم قلت بل التحقيق في مسائل هذا العلم أنها القضايا التي يبحث عنها السالك في حال سيره ليعمل بمقتضاها

أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع وفي رواية فهو أبتز وفي رواية فهو أجزم وحاصلها أنه متطوع البركة محرق من كل خير غير كامل حسا أو معنى وفي رواية ذكر الله فيعلم البسمة وغيرها وما جرى العمل وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن يحيا سعيدا ويموت شهيدا فيقل عند ابتداء كل شيء بسم الله وقوله في الأمور يتعلق بقوله أبدا بمعنى أشرع وأل عوض من المضاف أي أشرع في أمر ذي كلها مستعينا بالله إذا قلنا الإسم عن المسمى أو مقسم أو أشرع في الأمور التي أحاولها متبركا بسم الله ولا شك أن من استعان بالله كان معانا في جميع أموره ومن لم يسم به كان مخفولا في كل أموره وقد در القائل .

إذا لم يملك الله فيما تريده فليس لمخروق إليه سبيل
وان هو لم ير شرك في كل مسلك ضللت ولو أن السالك دليل

ومن تبرك باسم الله كانت البركة مصحوبة معه فلا يلحقه نقص ولا خلل وقوله إذا هو غاية لها ومبدأ تحليل لاقتحاه باسم الله أي انما أبتدىء في أموري بالله لأنه لا يظهرها أولا مبطنا ثانيا فظهرها منه وانتهى بها إليهم مبدؤا غايتها إليه .

ككون الاخلاص شرطاً في العمل وكون الزهد ركناً في الطريق وكون الخلوة والصمت مطلوبين وأمثال هذه القضايا فهي مسائل هذا الفن ينبغي تصورها قبل الشروع في الخوض فيه علماً وعملًا والله تعالى أعلم (وأما فضيلته) فقد تقدم أن موضوعه الذات العالية وهي أفضل على الإطلاق فالعلم الذي يتعلق بها أفضل على الإطلاق إذ هو دال بأوله على خشية الله تعالى وبوسطه على معاملته وبآخره على معرفته والانقطاع إليه ولذلك قال الجنييد لو نعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه وقال الشيخ الصقلي رضي الله عنه في كتابه المسمى بأنوار القلوب في العلم للموهوب (قال) وكل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا ينزف (وقال) آخر إذا رأيت من فتح له في التصديق بهذه الطريقة فبشره وإذا رأيت من فتح له في الفهم فيه فاعتبطه وإذا رأيت من فتح له في النطق فيه فعضطه وإذا رأيت منتقداً عليه ففر منه فراك من الأسود واجره وما من علم إلا وقد يقع الاستغناء عنه في وقت ما إلا علم التصرف فلا يستغنى عنه أحد في وقت من الأوقات

(وأما نسبه) من العلوم فهو كلي لها وشرط فيها إذ لا علم ولا عمل إلا بصدق التوجه إلى الله تعالى فالإخلاص شرط في الجميع هذا باعتبار الصحة الشرعية والجزاء والثواب وأما باعتبار الوجود الخارجي فالعلوم توجد في الخارج بدون التصرف لكنها ناقصة أو ساقطة ولذلك قال السيوطي نسبة التصوف من العلوم كعلم البيان مع النحو يعني هو كمال فيها ومحسن لها وقال الشيخ زروق رضي الله عنه نسبة التصوف من الدين نسبة الروح من الجسد لأنه مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل أن تعبد الله كأنك تراه الحديث إذ لا معنى له سوى ذلك إذ مداره على مراقبة بعد مشاهدة أو مشاهدة بعد مراقبة وإلا لم يبق له وجود ولم يظهر له موجود فافهم أه ولعله أراد بالمراقبة بعد المشاهدة الرجوع للبقاء بشهود الأثر بالله (وأما فائدته) فتهدب القلوب ومعرفة علام الغيوب أو قول ثمرته سخاوة النفوس وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق واعلم أن هذا العلم الذي ذكرنا ليس هو الملققة باللسان وإنما هو أدواق ووجدان ولا يؤخذ من الأوراق وإنما يؤخذ من أهل الأدواق وليس ينال بالقليل والقال وإنما يؤخذ من خدمة الرجال وصحبة أهل الكمال والله ما أطلع من أطلع إلا بصحبة من أطلع وباقية التوفيق (وأما ترجمة الشيخ)

وإنما قسم الغاية مع تأخرها في الفعل للوزن ولما اختلفت روايات الحديث المتقدم فبعضها لا يبدأ فيه بسم الله وفي بعضها لا يبدأ فيه بالحمد لله وفي بعضها زيادة ولا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جمع الشيخ بينها فبدأ بالرواية الثانية فقال

الحمد لله ولي الحمد هدى إلى الحق ونهج الرشيد

الحمد في اللغة هو الوصف بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل سواء تعلق بالفضائل وهي الأوصاف اللازمة أو بالقواضل وهي الأوصاف المتدبوا الفضائل السنية ولا بد أن يكون الباعث عليه أمراً اختيارياً وإلا كان مدحاً فالحمد يكون على الأوصاف الاختيارية أو في معناها كالعلم والكرم والشجاعة سواء كان بالاختيار أو غير المدح يكون على الأوصاف اللازمة كحسن الخلد ورشاقة القد سواء كان باللازمة أو غيرها والحاصل أن السبب على الحمد لا يكون إلا اختيارياً والسبب الحامل على المدح لا يكون إلا لازماً (وأما) الحمد في العرف فهو فضل يشر بتعظيم المنعم كان باللسان أو بالآركان أو بالجنان فورد الحمد في اللغة خاص وهو اللسان لأن الثناء لا يكون إلا باللسان ومتعلقه علم وهو التعمق وغيره ما ورد الحمد في العرف عام وهو اللسان وغيره ومتعلقه علم هو صدور التعمق من المحمود (وأما) الشكر في اللغة فهو فعل ينيء

فهو الشيخ الإمام تاج الدين و تزيان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد ابن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذائى نسبة المالكي مذهباً الأسكندري دارا القرافي مزاراً الصوفي حقيقة الشاذلي طريقة عجوبة زمانه ونجبة عصره وأوانه المتوفى في جمادى الآخرة سنة تسع بتقديم التاء وسبجائه قال الشيخ زروق (وقال) في الديباج المذهب كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث وفقه ونحو وأصول وغير ذلك كان رحمه الله متكماً على طريق أهل التصوف واعطاء انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه فلت وقد شهدته شيخه أبو العباس المرسي بالتقديم قال في لطائف المنن قال لي الشيخ إلزم فراقه لأن لزم أن تكون مفتياً في المذهبين يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن (وقال) فيه أيضاً والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله (وقال) فيه أيضاً والله ليكون لك شأن عظيم والله ليكون لك شأن عظيم قال فكان بحمد الله مالا أنكره (وله) من التأليف خمسة التتوير في إسقاط التدبير ولطائف المنن في مناقب شيخه أبي العباس وشيخه أبي الحسن وتاج العروس وهو مؤلف منها ومفتاح الفلاح في الذكر وكيفية السلوك وله أيضاً القول المجرد في الإسم المفرد والحكم الذي أردنا أن نتكلم عليه ومضمنه من علوم القوم أربعة .

(الأول) علم التذكير والوعظ وقد حاز منه أوفر نصيب وهو لمقام العوام وتستفاد مراده من كتب ابن الجوزي وبعض تأليف المحاسبي وصدور كتب الاحياء والقوت وتحبير القشيري وما جرى مجراها والله أعلم .
(الثاني) تصفية الاعمال وتصحيح الاحوال بتطهير الباطن بالأخلاق المحمودة وتطهير من الاوصاف المذمومة وهذا حظ المتوجهين من الصادقين والمبتدئين من السالكين وقد حازها جملة سالحة ومادتها من كتب الغزالي والسهروردي ونحوهما (الثالث) تحقيق الاحوال والمقامات واحكام الادواق والمنازلات وهو نصيب المستشرقين من المريدين والمبتدئين من العارفين وهذا النوع من أكثر ما وقع فيه ومادته من مثل كتب الخاتمي في المعاملات واليونى في المنازلات إلى غير ذلك

(الرابع) المعارف والعلوم الإلهامية وفيه منها ما لا يخفى لكن كتبته كنت بشرحها لاسيما التتوير ولطائف المنن اللذان هما كالشرح لجملة هذا الكتاب وبالجملة فهو جامع لما في كتب الصوفية المطولة والمختصرة مع زيادة البيان واختصار الالفاظ والمسلك الذى سلك فيه مسلك توحيدى لا يسع أحد إنكاره ولا الطعن فيه ولا يدع للبعثى به صفة حميدة الا كساه إياه ولا صفة ذميمة إلا أزالها عنه باذن الله كما قال الشيخ ابن عباد في وصف التتوير وهما إخوان من أب واحد وأمه واحدة

بتعظيم المنعم فهو مرادف للحمد العرفي لفة وأما الشكر في العرف فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من السمخ والبصر وغيرهما إلا ما خلق لأجله فهو أحسن من الجميع والكلام على الحمد والشكر يطول فلتقتصر على ما ذكرنا إذ ليس للفقير حاجة إلا في معرفة الشكر وأحسن ما قيل فيه قول إمام الطائفة أن لا يصعب الله بعبده وإذ لم يصعب بعبده فقد صرفها في طاعته وقوله ولئلا يلهي تولى وقاعله فهو الذى تولى حمد نفسه بنفسه إذ هو الذى بذاته عن أن يحتاج إلى من يحمد بل هو الحامد والمحمود إذ لا فاعل سواه وقيل وله مستحقه وقوله هدى إلى الحق أى هدى خلقه إلى معرفة الحق من الباطل قال تعالى (فذللكم الله ربكم الحق فإذا بهد الحق إلى الضلال) فكما تولى حمد نفسه بنفسه تولى هداية عباده إلى معرفة الحق (أو) يقول كما حمد نفسه بنفسه عرف نفسه بنفسه ولذلك حذف مفعول هدى ليبدل على العموم فيصدق بالشريعة والحقيقة أى هدى خلقه إلى الحق على صفة بالشريعة أو هدى مظاهره وأنوره إلى الحق على صفة بالحقيقة وهذا كقول الششتري

أتم دلتهم عليكم منكم ولكم ديمومة عبرت عن غرض الأول (٢ - بإعطاء أول)

قاله سيدى أحمد زروق فى بعض شروحه (ولما) كان علم التصوف إنما هو نتائج الأعمال الصحيحة وثمرات الأحوال الصافية من عمل بما علم الله علم ما لم يعلم بدأ بالكلام على العمل فقال (من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل) الاعتماد على الشيء هو الاستناد عليه والركون إليه والعمل حركة الجسم أو القلب فإن تحرك بما وافق الشريعة سعى طاعة وإن تحرك بما يخالف الشريعة سعى معصية والأعمال عند أهل الفن على ثلاثة أقسام عمل الشريعة وعمل الطريقة وعمل الحقيقة (أو قول) عمل الإسلام وعمل الإيمان وعمل الأحسان (أو قول) عمل العبادة وعمل العبودية وعمل المودة أى الحرية (أو قول) عمل أهل البداية وعمل أهل الوسط وعمل أهل النهاية (فالشريعة) أن تعبد الطريقة أن تقصده والحقيقة أن تشهد (أو تقول) الشريعة لإصلاح الظواهر والطريقة لأصلاح الضمائر والحقيقة لإصلاح السرائر، وإصلاح الجوارح بثلاثة أمور بالتوبة والتقوى والاستقامة، وإصلاح القلوب بثلاثة أمور بالإخلاص والصدق والطمأنينة، وإصلاح السرائر بثلاثة أمور بالمراقبة والمشاركة والمعرفة (أو قول) إصلاح الظواهر باجتناب النواهي وأمثال الأوامر، وإصلاح الضمائر بالتخلي من الرذائل والتحلية بأنواع الفضائل، وإصلاح السرائر وهى هنا الأرواح بهذا وانكسارها حتى تهذب وترتاض بالأدب والتواضع وحسن الخلق، واعلم أن الكلام هنا إنما هو فى الأعمال التى توجب تصفية الجوارح أو القلوب أو الأرواح وهى ما تقدم تعيينها لكل قسم وأما العلوم والمعارف فإتمام ثمرات التصفية والتطهير فإذا ظهرت الأسرار ملئت بالعلوم والمعارف والأنوار ولا يصح الانتقال إلى مقام حتى يتحقق ما قبله فن أشرقت بدايته أشرقت نهايته فلا يتقل إلى عمل الطريقة حتى يحقق عمل الشريعة وترتاض جوارحه معها بأن يحقق التوبة بشروطها ويحقق التقوى بآركانها ويحقق الاستقامة بأقسامها وهى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى أفعاله وأحواله فإذا ترك الظاهر وتور بالشريعة انتقل من عمل الشريعة الظاهرة إلى عمل الطريقة الباطنة وهى التصفية من أوصاف البشرية على ما يأتى فإذا ظهر من أوصاف البشرية تحلى بأوصاف الروحانية وهى الأدب مع الله فى تجلياته التى هى مظاهره حينئذ تراح الجوارح من التيب وما بقى إلا حسن الأدب

(قال) بعض المحققين من بلغ إلى حقيقة الإسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل ومن بلغ إلى حقيقة الإيمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل بسوى الله ومن بلغ إلى حقيقة الأحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله اه : ولا يعتمد المريد فى سلوك هذه المقامات على نفسه ولا على عمله ولا على حركه وقوته وإنما يعتمد على فضل ربه وتوفيقه

(و) التهج والمنهاج هو الطريق الموصول إلى الحق والرشد هو مصادقة الحق والصواب لأن الرشد بالضم والرشد بالفتح هو الصواب والصواب هو مصادقة عين الحق وكأنه قال هدى خلقه إلى معرفته وإلى الطريق الموصلة إليه فقوم هدام إلى معرفته من غير سلوك طريق وهم المجاذيب سواء رجعوا للسلوك أم لا وهم الذين أشار إليهم بقوله هدى إلى الحق أى هدام إلى معرفة الحق وقوم هدام إلى طريق معرفته ثم عرفهم به وهم أهل السلوك أولائهم الجذب ثانياً وهم المشار إليهم بقوله ونهج الرشد أى هدام إلى طريق الصواب ثم فتح فى وجوههم الباب فلبثوا منية الآلاب واقفه أعلم بالحق والصواب ثم أشار إلى الرواية الثالثة فى الحديث وهى الأمر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى الابتداء فقال

ثم صلاة الله والسلام على النبي ما أنعم الله

قلت الصلاة من الله على حبيبه هى محبة وعطفه عليه وتقريبه واجتنائه إليه والسلام هو طيب تحية وإكرام، وتام إحسان وإنعام، والناس فى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام قسم يصلون على صورته البشرية

وهديته وتسديده قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقال تعالى (ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) (وقال) صلى الله عليه وسلم إن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولأنا إلا أن يتغمدني الله برحمته فالاغتراف على النفوس من علامة الشقاء والبؤس . والاعتماد على الأعمال من عدم التحقق بالإزوال ؛ والاعتماد على الكرامة والأحوال ، من عدم نجاة الرجال ، والاعتماد على الله من تحقق المعرفة بالله ، وعلامة الاعتماد على الله أنه لا ينقص رجاءه إذا وقع في العصيان ، ولا يزيد رجاءه إذا صدر منه إحسان (أو تقول) لا يعظم خوفه إذا صدرت منه غفلة كما لا يزيد رجاءه إذا وقعت منه بقطعة قد استوى خوفه ورجاءه على الدوام لأن خوفه ناشئ عن شهيد الجلال ورجاءه ناشئ عن شهيد الجلال وجلال الحق وجهاله لا يتغيران بزيادة ولا نقصان فكذلك ما ينشأ عنهما بخلاف المعتد على الأعمال إذا قل عمله قل رجاءه وإذا كثر عمله كثرت رجاءه لشركه مع ربه وتحققه بجهله ولو فني عن نفسه وبقي ربه لاستراح من تعبته وتحقق بمعرفة ربه ولا بد من شيخ كامل يخرجك من تعب نفسك إلى راحتك بشهود ربك فالشيخ الكامل هو الذي يريحك من التعب لا الذي يبدلك على التعب من ذلك على العمل فقد أتعبك ومن ذلك على الدنيا فقد غشك ومن ذلك على الله فقد نصحك كما قال الشيخ بن ميثاق رضي الله عنه والدلالة على الله هي الدلالة على نسيان النفس فإذا نسيت نفسك ذكرت ربك قال تعالى (واذكرك ربك إذا نسيت) أي ماسواه وسبب التعب هو ذكر النفس والاعتناء بشؤونها وحفظها وأما من غلب عنها فلا يلتقي إلا الراحة (وأما) قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي في تعب فهو غاص بأهل الحجاب (أو تقول) غاص بأحياء النفوس وأما من مات فقد قال الله تعالى فيه (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) أي فروح لوصال وريحان لجمال وجنة لكل وقال تعالى (لا يسئم فيها نصب) أي تعب ولكن لا تترك الراحة إلا بعد التعب ولا يحصل الظفر إلا بالطلب حفت الجنة بالمكاره

| | |
|--------------------------|---------------------------|
| أياها العاشق معنى حسنا | مهرنا غال لمن يخطبنا |
| جسد معنى وروح في العنا | وجفون لا تذوق الوسا |
| وفؤاد ليس فيه غيرنا | وإذا ما شئت أد الثنا |
| فان ان شئت فناء سرمدنا | فالغنا يدني إلى ذاك الفنا |
| واخلع الثقلين ان جئت إلى | ذلك الحي فقيه قدسنا |

وهم أهل الدليل والبرهان فهم يشخصونها في قلوبهم في حال الصلاة عليه فإذا أكثروا من الصلاة عليه بالحضور ثبتت الصورة الكريمة في قلوبهم فيرونها في المنام كثيرا وربما تتشكل روحه الكريمة على صورة جسده الطيب فيرونها بقطعة (و) قسم يصلون على روحه التورانية وهم أهل الشهود من الساترين فهم يصلون على نوره القماض من الجبروت فيشاهدونه في غالب أوقاتهم على غير حضورهم وشهودهم (و) قسم يصلون على نوره الأصلي الذي هو نور الأنوار وهم أهل الرسوخ والتسكين من أهل الشهود والعيان وهؤلاء لا يقيب عنهم النبي صلى الله عليه وسلم طرفة عين ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرمي رضي الله عنه لو غاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما أعددت نفسي من المسلمين إشارة إلى رسوخه وتمكنه في الحضرة ورجوعه إلى البقاء بشهود الواسطة وهؤلاء أفكارهم تجول في الملكوت وأرواحهم متصلة بالجبروت فقد اجتمع فيهم ما افرق في غيرهم كما قال عليه السلام كل الصيد في جوف الفرا والفرا هو حمار الوحش وهو أسمى الصيد فن ظفر به فكأنما ظفر بالصيد كله وكما قال الشاعر :

وعن الكوتين كن متخطماً وأزل ما بيننا من بيننا
وإذا قيل من تهوى قفل أنامن أهوى ومن أهوى أنا

وقال في حل الرموز ثم اعلم أنك لاتصل إلى منازل القربات ، حتى تقطع ست عقبات ، العقبة الأولى ظلم الجوارح عن مخالقات الشريعة ، العقبة الثانية ظلم النفس عن المآلقات العادية ، العقبة الثالثة ظلم القلب عن الرعونات البشرية ، العقبة الرابعة ظلم النفس عن الكدورات الطبيعية ، العقبة الخامسة ظلم الروح عن البخورات الحسية ، العقبة السادسة ظلم العقل عن الخيالات الرومية ، فشرّف من العقبة الأولى على بتابع الحكم القليلة وتطلع من العقبة الثانية على أسرار العلوم الدنية وتلوح لك في العقبة الثالثة أعلام المناجات للمكوّنة ويلمع لك في العقبة الرابعة أنوار المنازلات القرية وتطلع لك في العقبة الخامسة أنوار المشاهدات الحية وتبسط من العقبة السادسة على رياض الحضرة القدسية فهناك تغيب بما تشاهده من اللطائف الانسية عن الكثائف الحسية فاذا أراذك لخصوصيته الاصطفائية سقاك بكأس بحبه شربة تزداد بتلك الشربة ظمًا وبالذوق شوقًا وبالقرب طلبًا وبالسكّر قللاً اه المراد منه

(تسم) اشكل على بعض الفضلاء قوله تعالى (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) مع قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله الحديث والجواب أن الكتاب والسنة ورداً بين شريعة وحقيقة

(أو تقول) بين تشريع وتحقيق فقد بشرعان في موضع وبمحققان في آخر في ذلك الشيء بعينه وقد يحققان في موضع وبشرعان فيه في آخر وقد يشرع القرآن في موضع وتحققه السنة وقد تشرع السنة في موضع ويحققه القرآن فالرسول عليه السلام حين لما أنزل الله قال تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) فقوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هذا تشريع لأهل الحكمة وهم أهل الشريعة وقوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل أحدكم الجنة بعمله هذا تحقيق لأهل القدرة وهم أهل الحقيقة بآان قوله تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله تحقيق وقوله صلى الله عليه وسلم إذا هم أحدكم بحسنة كتبت له حسنة تشريع (والحاصل) أن القرآن تقيده السنة والسنة يقيدها القرآن فالواجب على الانسان أن تكون له عنيان إحداها تنظر إلى الحقيقة والأخرى تنظر إلى الشريعة فاذا وجد القرآن قد شرع في موضع فلا بد أن يكون قد حقق في موضع آخر أو تحققه السنة وإذا وجد السنة قد شرعت في موضع فلا بد أن تكون قد حققت

وليس على الله بمستكر أن يجمع العالم في واحد

(و) قوله ما انجلا الظلام ما ظرفية أى مدة انجلاء الظلام حساً ومعنى وانجلاؤه إما بظهور النور الحسى على الظلمة الحسية وهذا مستمر إلى يوم القيامة وإما بظهور نور الهدايا على ظلمة الغواية أو بنور اليقظة على ظلمة النفلة أو نور شمس العرفان على ظلمة الأكوان أو نور الترقى في الموابغ والأسرار على ما قبله من المقامات والأنوار وهذا الأخير لا ينقطع أبداً وكلام الناظم محتمل والله تعالى أعلم ثم شرع في المقصود فقال

(يا سائلا عن سنن الفقير سالت ما عز عن التحير)

قلت السنن بالضم جمع سنة وهى الطريقة والسنن بالفتح مفرد بمعنى الطريق ويصحان هنا والفقير فى الاصطلاح هو المتوجه إلى الحق على بساط الصدق وقال سهل رضى الله عنه الفقير الذى لا يملك ولا يملك ولا يرى غير الوقت الذى هو فيه وقال السهروردى الفقر أساس التصوف وبه قوامه وقال غيره الفقر صفة مهجورة تفر من الطعام وتفر منه النفس ،

في موضع آخر أو حققها القرآن ولا تعارض حيث بين الآية والحديث ولا اشكال وهنا جواب آخر وهو ان الله تعالى لما دعا الناس إلى التوحيد والطاعة على انهم لا يدخلون فيه من غير طمع فوعدهم بالجزاء على العمل فلما رست أقدامهم في الاسلام أخرجهم عليه السلام من ذلك الحرف ورقام إلى اخلاص العبودية والتحقق بمقام الاخلاص فقال لهم ان يدخل أحدكم الجنة بعمله والله تعالى أعلم وهنا أجوبة لأهل الظاهر لا تجدى شيئاً ولما كان الانتقال من عمل الظاهر إلى عمل الباطن لابد أن يظهر أثره على الجوارح قال تعالى (إن الملك إذا دخلوا أقصدوا الآيات وظهور الأثر هو التجريد أشار إليه بقوله (إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية) قلت التجريد في اللغة هو التكشيط والازالة فقول جردت الثوب أزلته عني وتجرد فلان أزال ثوبه وجردت الجلود أزلت شعرد وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام تجرد الظاهر فقط أو الباطن فقط أو هماما فتجريد الظاهر هو ترك الأسباب الدنيوية وخرق العوائد الجسائية والتجريد الباطني هو ترك العلائق النفسانية والعوائق الرومية وتجريدهما معاً هو ترك العلائق الباطنية والعوائد الجسائية (أو تقول) تجريد الظاهر هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله وتجريدهما هو أفراد القلب والقلب لله والتجريد الكامل في الظاهر هو ترك الأسباب وتعمية البدن من معتاد الثياب وفي الباطن هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتخليته بكل وصف كريمة وهو أى التجريد الكامل الذي أشار إليه شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجذوب بقوله

أقارئين علم التوحيد هنا الجور الى قبي
هذامقام أهل التجريد الواقفين مع ربى

(وأما) من جرد ظاهره دون باطنه فهو كذاب كن كسى النحاس بالفضة باطنه قبيح وظاهره ملبس ومن جرد باطنه دون ظاهره إن تأتى ذلك فهو حسن كن كسى الفضة بالنحاس وهو قليل إذ الغالب أن من تنشب ظاهره تنشب باطنه ومن اشتغل ظاهره بالحس اشتغل باطنه به والقوة لا تكون في الجهتين ومن جمع بين تجريد الظاهر والباطن فهو الصديق الكامل وهو الذهب المشحر الصافي الذي يصلح لخزانة الملوك قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه آداب الفقير المتجرد أربعة الحرمة للكبير والرحمة للصغير والانصاف من نفسك وعدم الانتصار لما (وآداب) الفقير للمتسبب أربعة (موالاة) الأبرار ومجانبة الفجار وإيقاع الصلاة في الجماعة ومواساة الفقراء والمساكين بما يفتح عليه وينبغي له أيضاً أن وهو من الأسباب التي تجلس العبد بين يدي الله على بساط الصفا واختلف هل الفقير أبلغ من الصوفي لأن الفقير من لم تبق فيه بقية بخلاف الصوفي أو الصوفي أبلغ لأن الصوفي من صفت أحواله ولم يبق فيه كدر أصلاً بخلاف الفقير والتحقق أن الفقير هو المتوجه إلى الله بأنوار التوجه والصوفي له أنوار المواجهة فالصوفي أبلغ من الفقير لأن الصوفي واصل والفقير راحل ، الصوفي صفت له النزول والفقير بين الطلوع والنزول الصوفي لا يرى في الدارين غير الله ولا يشهد مع الحق سواه قد سخر له كل شيء ولم يسخر هو لشيء يأخذ التعيب من كل شيء ولم يأخذ منه التعيب شيئاً إلى غير ذلك مما اشتمل عليه من الاوصاف الكاملة بخلاف الفقير فهو في طريق المجاهدة فنهاية الفقير بداية الصوفي والله تعالى أعلم وقيل مثلث واحد وهو ظاهر المصنف في مواضع من هذا الكتاب وسنن الفقير هي طرقه التي يسلكها وآدابه التي يتأدب بها وفي نسخة فتح السنين يكون المعنى يأسئلاً عن طريق الفقير التي يسلكها حتى يصل إلى ربه ونسخة الغنم أحسن ويكون أشار بالسنن إلى شروط الفقير وآدابه لأنها من طرقه التي يسلكها ويمر عليها إما شروطه ثمانية (قصد) صحيح (و) صدق

يتأدب بآداب التجريد إذ هو كال في حقه ومن آداب المتسبب إقامته فيما أقامه الحق تعالى فيه من فضل الأسباب حتى يكون الحق تعالى هو الذي ينقلهنا على لسان شيخنا كان أو بإشارة واضحة كتعذرهما من كل وجه فيخذل ينقل التجريد فإرادته التجريد مع إقامته تعالى له في الأسباب من الشهوة الخفية لأن النفس قد قصد بذلك الراحة ولم يكن لها من اليقين ما تحمل به مشاق الفاقة فإذا نزلت بها الفاقة تزلزلت واضطربت ورجعت إلى الأسباب فيكون أقبح لها من الإقامة فيها فهذا وجه كونها شهوة وإنما كانت خفية لأنها في الظاهر أظهرت الانقطاع والتبتل وهو مقام شريف وحال منيف لكونها في الباطن أخذت حظها من قصد الراحة أو الكرامة أو الولاية أو غير ذلك من الحروف ولم تقصد تحقيق العبودية وترية اليقين وقلنا أيضاً الأدب مع الحق حيث أودت الخروج بنفسها ولم تصبر حتى يؤذن لها علامة إقامتها فإدامها له مع حصول النتائج وعدم العوائق الفاطحة له عن الدين وحصول الكفاية بحيث إذا تركها حصل له الشوق إلى الخلق والاهتمام بالرزق فإذا انغمرت هذه الشروط انتقل إلى التجريد (قال) في التنوير والذي يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك حتى يكون الحق تعالى هو الذي يتولى إخراجك كما تولى إدخالك وليس الشأن أن تترك السبب بل الشأن أن يتترك السبب

(قال) بعضهم تركت السبب كذا وكذا مرة فعدت إليه فتركني السبب فلم أعد إليه قال ودخلت على الشيخ أبي العباس المرسى وفي نفسى العزم على التجريد قائلاً في نفسى أن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة التي أنا عليها بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ووجود المخالطة للناس فقال لي من غير أن أسأله محبتي لإنسان مشغول بالعلوم الظاهرة ومتصدد فيها فذاك من هذا الطريق شيئاً فجاء إلى فقال لي يا سيدي أخرج عما أنا فيه وأخرج لصحبتك فقلت له ليس الشأن ذا ولكن امكث فيما أنت فيه وما قسم الله لك على أيدنا فهو لك وأصل ثم قال الشيخ ونظر إلى وهكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبي ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله تعالى ولكمهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم القوم لا يشق بهم جليهم اهـ . (قال) رضى الله عنه إنما منعه من التجريد لشدة نفسه إليه والنفس إذا شرهت للشيء كان خفيفاً عليها والخفيف عليها لا خير فيه وما خفف عليها إلا لخط لها فيه ثم قال فلا يتجرد المريد في حال القوة حتى تفوت إن أراد أن يستفيد من جردها في حال القوة أنه الضعف فيعقبه الخصمان ويشوشونه ويفتنونه وربما إذا لم يدركه المولى بلطفه سمح في الخلط فيرجع إلى ما خرج منه حتى يبيد عنه ما بهل صريح (و) آداب مرضية (و) أحوال زكية (و) حفظ الحرمة (و) حسن الخدمة (و) رفع الحمرة (و) نفوذ العزيمة (و) آذابه) خمسة خلع المنار (و) الذل والانكسار (و) البذل والابتار (و) محبة العارفين الأبرار (و) بذل المجهود في العبادة والأذكار (أما) القصد الصحيح فهو أن يكون مراده بالدخول في محبة الشيخ تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية دون كرامات ولا تحصل مقامات ولا إدراك درجات ولا طلب حظوظ نفسانية (وأما) الصدق فالمراد به هنا التصديق بسر الخصوصية عند من يصحبه وهو أساس الطريق فمن لا صدق له لا سير له ولو بقي في حوز الشيخ ألف عام فالصدق هو معرفة السر بكل واحد يعرف من سر الشيخ على قدر صدقة فيه وهو أيضاً الثمن الذي ينفق به الفقير على روحه وقلبه وسره فمن لا صدق له في الشيخ لا ينفق من سره شيئاً وإلى الله أشار الشيخ الشرق رضى الله عنه بقوله من لا صدق ما عند باش ينفق من لا حق ما جاب إماراً باباً

(وأما) الآداب فهي مفتاح الباب فمن لا أدب له لا دخول له ومن أساء الآداب مع الإحباب طرد إلى الباب

التجريد ويقول ليسوا على شيء. كلنا دخلنا البلد ومارأينا شيئاً والذي ينقل عليه التجريد أولاً هو الذي ينبغي له أن يتجرد لأنه ما نقل عليها الا حيث تحققت أن عنقها تحت السيف مهما حرك يده قطع أوداجها انتهى المقصود منه وأما المتجرد إذا أراد الرجوع إلى الأسباب من غير إذن صريح فهو انعطاط من الهمة العلية إلى الهمة الدنية أو سقوط من الولاية الكبرى إلى الولاية الصغرى قال شيخ شيوينا سيدى على رضى الله عنه قال لى شيخى سيدى العربى يا ولدى لو رأيت شيئاً أعلى من التجريد وأقرب وأنفع لاخبرتك به ولكن هو عند أهل هذه الطريقة بمنزلة الأكسير الذى قيراط منه يغلب ما بين الخافقين ذهباً كذلك التجريد فى هذه الطريق اه .

(وسمعت) شيخ شيوينا رضى الله عنه يقول معرفة المتجرد أفضل وفكرته أنصح لأن الصفا من الصفات والكدر من الكدر صفاء الباطن من صفاء الظاهر وكدر الباطن من كدر الظاهر وكلما زاد فى الحس نقص فى المعنى (وفى بعض) الأخبار إذا أخذ العالم شيئاً من الدنيا نقصت درجته عند الله وإن كان كرمياً على الله وأما من أذن الله له فى السب فهو كالتجرد إذا صار حيث سد عليه عبودية والحاصل أن التجريد من غير إذن سب والسب مع الإذن تجريد وباقه التوفيق .
 « تنبيه ، هذا الكلام كله مع السائرين وأما الواصلون المتمكنون فلا كلام عليهم إذ هم رضى الله عنهم مأخوذون عن أنفسهم يقبضون من الله ويدفنون بآفة قد تولى الحق تعالى أمورهم وحفظ أسرارهم وحرس قلوبهم بمجنود الأنوار فلا تؤثر فيها ظلم الأغيار وعليه يحمل حال الصحابة فى الأسباب رضى الله عنهم ونفعا ببركاتهم آمين .
 « واعلم ، أن المنسب والمتجرد عاملان لله إذ كل واحد منهما حصل له صدق التوجه إلى الله تعالى حتى قال بعضهم مثل المتجرد والمنسب كعبد لله قال لأحدهما اعمل وكل وقال للآخر الزم أنت حضرتى وأنا أقوم لك بقسمنى ولكن صدق التوجه فى المتجرد أقوى لقلة عوائقه وقطع علاقته كما هو معلوم (ولما) كانت همة الفقير المتجرد لا تخطئ فى الغالب لقوله عليه السلام إن لله رجلاً لو أقسموا على الله لأبرم فى قسمهم قال شيخنا رحمه الله رجال إذا اهتموا بالشيء كان باذن الله وقال أيضاً عليه السلام اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله خشى الشيخ أن يتوهم أحدان الهمة تخرق سور القدر وتضل مالم يجر به القضاء والقدر فرفع ذلك بقوله (سوايق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار) قلت السوايق جمع سابقة وهى المقدمة والهمم جمع همة والهمة قوة انبعاش القلب فى طلب الشيء والاهتمام به فان كان ذلك الأمر رفيعاً كرفة الله وطالب رضاه سميت همة عالية وإن كل أمرأ حسيماً كطلب الدنيا وحظوظها سميت همة دنية وسوايق الهمم من اضافة الموصوف إلى الصفة أى الهمم السوايق لا تخرق أسوار الأقدار أى إذا هم العارف أو المرید بشيء وقوت همة

ثم إلى سياسة الدواب (وقد) كان بعض الأولياء يأمر من يريد الدخول معه بصحبة أهل الخزن حتى يتأدب وسيأتى الكلام على الآداب فى محله إن شاء الله فمن لم يتأدب مع الشيوخ والإخوان لا تزيد صحبتهم إلا الحرمان (وأما) الأحوال الزكية فهى أن تكون موافقة للشرعية بحيث لا يؤذى أحداً من الناس فالفقير الذى ليست له أحوال لا يبلغ مقامات الرجز أو السير إلى حضرة القدوس إلا بمخالفة النفوس ولولا ميادين النفوس أى عمارتها ما تحقق سير السائرين فالمراد بالأحوال هنا ما يخرق عوائد النفس وتغريب ظاهرها بتعاطى ما يسقط جهاها وعزها من الأمور المباحة وهذه هى الأحوال المرضية العافية وأما الأحوال التى تتخالف للشرعية وهى الأحوال الظلمانية فلا يتورع صاحبها بل لا تزيد إلا ظلمة فكما لا يصح دفن الزرع فى الأرض الرديئة كذلك لا يجوز الخوض بحالة غير مرضية فالأحوال العافية هى التى لا ضرر فيها لأحد ولا تتخالف أمر الشرعية وأما قصة الحامى فى حال غالبته عليه لا يقاس عليها وأما حفظ العروة فتصدق بعمدة الشيخ حاضراً أو غائباً جياً أو ميتاً فلا يجلس فى موضع يذكر فيه سوء أو ينقص منه وتصدق بعمدة الإخوان فيتمهل أذلك. وبعبارة

بذلك فإن الله تعالى يكون ذلك بقدرته في ساعة واحدة حتى يكون أمره بأمر الله وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضى الله عنه يقول المريد الصادق إذا كان غائياً في الإسم مهما أهتم بالشئ كان وإن كان غائياً في الذات تكون الشئ الذى يحتاجه قبل أن يهتم به أو كلام هذا معناه وهو صحيح وفى بعض الأخبار يقول الله تعالى عبيدى أنا الله الذى أقول للشئ كن فيكون فأطعنى أجملك تقول للشئ كن فيكون وفى الحديث الصحيح أيضاً فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً وبداً ومؤيداً إن سألنى أعطيت له الحديث ومع ذلك لا يتفصل بذلك ولا يتكون إلا ما أحاط به قدر الله وقضاؤه فهمة العارف تتوجه للشئ فإن وجدت القضاء سبق به كان ذلك ياذن الله وإن وجدت سوءة القدر مضروباً عليه لا تخزله بل تأدب معه وترجع لوصفها وهى العبودية فلا تأسف ولا تحزن بل ربما فرح لرجوعها لحملها وتحقيقها بوصفها وقد كان شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه يقول نحن إذا قلنا شيئاً فخرج فرحنا مرة واحدة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وذلك لتحقيقه بمعرفة الله .

(قيل) لبعضهم بماذا عرفت ربك قال بنقض العزائم وقد يحصل هذا التأثير للهمة القوية وإن كان صاحبها ناقصاً كما يقع للعين والساحر عن خبثهما أو لخاصية جعلها الله فيهما إذا نظرا لشيء بقصد افضل ذلك ياذن الله وهذا كله أيضاً لا يغرق أسوار الأقدار بل لا يكون إلا ما أراد الواحد القهار قال تعالى : (وما هم بضارين به من أحد إلا بأذن الله وقال تعالى (إنا ناكل شئ خلقناه بقدر) وقال تعالى تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضا وقدر حتى العجز والكيس أى النشاط للفعل وأشعر قوله سوابق أن الهمة الضعيفة لا يفعل لها شئ وهو كذلك فى الخير والشر وفى استعارته الخرق والأسوار ما يشعر بالقوة فى الجانين لكن الحاصر قاهر فلا عبرة بقوة العبد القاصر وإذا كانت الهمة لا تغرق أسوار الأقدار فما بالك بالتدبير والاختيار الذى أشار إليه بقوله :

(أرح نفسك من التدبير فاقم به غيرك عنك لا تقم به أنت لنفسك) قلت التدبير فى اللغة هو النظر فى الأمور وأواخرها وفى الاصطلاح هو كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه تقدير شؤون يكون عليها فى المستقبل بما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض فإن كان مع تفويض هو أخرى فنية خير أو طبعى فشهوة أو دنيوى فأمنية اه فاقضى كلامه أن التدبير على ثلاثة أقسام قسم مذموم وقسم مطلوب وقسم مباح فأما القسم المذموم فهو الذى يصحبه الجرم والتصميم سواء كان دنيئاً أو دنيوياً لما فيه من قلة الأدب وما يتعجله لنفسه من التعب إذ ما قام به الحى التقيوم عنك لا يقوم به أنت عن نفسك

على جفام ويعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم فمن كسره الإخوان لا يجبره والشيخ ومن كسره الشيخ قد يجبره الإخوان ويصدق بحرمه جميع المسلمين وخصوصاً العلماء والصالحين فلهوهم سبوم وقد قالوا أركان التصوف مجموعة فى أربعة أشياء وهى كف الأذى وحمل الجفا وشهود الصفا ورى الدنيا بالقفا (وأما) حسن الخدمة فتصدق أيضاً بخدمة الشيخ وخدمة الإخوان (وفى الحديث) سيد القرم خادمهم وتصدق بخدمة الحق وهى المقصود الأعظم (وأما) رفع الهمة فهو أن يكون قصده طلب الدنيا والآخرة بل يكون قصده معرفة مولاه كما تقدم فى القصد الصحيح وربما ينشئ عنه (وأما) نفوذ الزمة فمعناه أن تكون عزيمته دوام السير إلى تحقيق الوصول إلى معرفة مولاه لا تصد التبرك والحرمة وإذا عزم على شئ أنه فذل (وأما) خلع العذار فهو خلع الأوصاف المذمومة وإبدالها بالأوصاف المحمودة وقيل هو خلع لباس المز والالستشهار وإبداله بلباس الذل والانكسار وقيل هو خلع الرجل من نعل الكونين فيرجع إلى رفع الهمة والعذار فى اللغة هو ما يزين بوجه الفرس فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم الفخر آزين بالعبد من العذار الجيد على خد الفرس ذكره التجيبي (وأما) الذل والانكسار

وغالب ما تدبره لنفسك لاتساعده رياح الاقدار ، وتعبه المهرم والأكدار ولذلك قال أحمد بن مسروق من ترك التدبير فهو في راحة وقال سهل بن عبد الله ذروا التدبير والاختيار فانها يكدران على الناس عيشهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الروح والراحة في الرضى واليقين وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه لا تختار من أمرك شيئاً واختار أن لا تختار وفر من ذلك المختار ومن فرارك ومن كل شيء إلى الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار اه وقال أيضاً إن كان ولا بد من التدبير فدير أن لا تدبر وقبل من لم يدبر دبر له وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه من أوصاف الولي الكامل أن لا يكون محتاجاً إلا إلى الحال الذى يقيمه مولاه في الوقت يعنى ماله مراد إلا ما يبرز من عنصر القدرة اه فكلام هؤلاء السادات محمول على ما إذا كان بالنفس مع الجزم وأما ما كان مع التفويض فليس بمذموم مالم يطل (وأما) القسم المطلوب فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات وما نذبت إليه من الطاعات مع توفيق المشيئة والنظر إلى القدرة وهذا يسمى النية الصالحة وقد قال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله وقال أيضاً حاكياً عن الله سبحانه إذا هم عدى بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة الحديث وهذا مفهوم قول الشيخ فاقام به غيرك إذ مفهومه إن ما لم يقم به عنك وهو الطاعة لا يضرك تدبيره ولذلك قال إبراهيم الخواصر رضى الله عنه العلم كله في كلمتين (لاتكلف ما كفت) ولا تضع ما استكفيت قوله لاتكلف ما كفت هو القسم الأول المذموم وقوله ولا تضع ما استكفيت هو القسم الثانى المطلوب وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه وكل غفارات الشرع وترتيباته ليس لك منه شيء إنما هو مختار الله لك واسمع وأطلع وهذا على الفقه الربانى والعلم الإلهامى وهو أرض لتزول علم الحقيقة المتأخوذة عن الله تعالى لمن استوى اه وقوله لمن استوى أى كل عقله وتمت معرفته واستوت حقيقته مع شريعته لكن لا ينبغي الاسترسال معه فيفضله عن الله وأما القسم المباح فهو التدبير في أمر دنيوى أو طبعى مع التفويض للمشئة والنظر لما يبرز من القدرة غير معول على شيء من ذلك وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم التدبير نصف العيش بشرط أن لا يردده المرة بعد المرة فالقدر المباح منه هو مروءه على القلب كالريح يدخل من طاقه ويخرج من أخرى وهذا هو التدبير باقه وهو شأن العارفين المحققين وعلامة كونه باقه أنه إذا برز من القدرة عكس ما دبر لم يتقبض ولم يضطرب بل يكون كما قال الشاعر :
سلم لسلى وسر حيث سارت واتبع رياح القضاء ود حيث دارت

فهو الخضوع لله ولا يتحقق إلا بالخضوع لعباد الله فلا يتحقق ذل الفقير حتى يظهر بين أبناء جنسه والحاصل أنه لا بد من الذل قلباً وقالباً كما قال ابن الفارض

تذل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذ ارضى المحبوب صح لك الوصل

وقال آخر :

وما رمت الدخول عليه حتى حلت حلة العبد الذليل
وأغضبت الجفون على قذاها وصفت النفس عن قال وقيل

(وأما) البذل والايثار فمرجه إلى سخاوة النفس وهو شرط في الفقير فقد قالوا من أقبح القبيح ، صوفي شحيح وعلامة خروج الدنيا من القلب بذلها عند الوجد والصبور عنها عند الفقد والزهو عند المحققين إذا وجدوا آثروا وإذا فقدوا شكروا (وأما) صحة العارفين فهى من الأمور المؤكدة وذكرها مع الشروط أليق قاله على دين خليله وفى الحكم لاصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله وليست طريق السلوك بطريق النزلة بل هى طريق الصبح والاجتماع والاستماع (٣ - ايقاظ أول)

وقال في التنوير (فائدة) اعلم أن الأشياء إنما تنم وتحد بما تؤدي إليه فالتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطلك عن القيام بخدمة الله وصدك عن معاملة الله والتدبير المحمود هو الذي يؤديك إلى القرب من الله ويوصلك إلى مرضاة الله أنظر بقية كلامه فهذا تحرر ما ظهر لي في شأن التدبير وقد ألف الشيخ رضي الله عنه فيه كتاباً سماه التنوير في إسقاط التدبير أحسن فيه وأجاد ومرجه إلى ما ذكرنا والله تعالى أعلم (ولما) كله اطلع عليه الولي الكامل سيدي ياقوت العرشي فلما طالع قال له جميع ما قلت بمجموع في بيتين وهما هاتان .

ما ثم إلا ما أراد فترك همومك وانظر
واترك شواغلك التي شغلت بها تسترح

ولما كان الانهماك في التدبير والاختيار يدل على انطلاس البصيرة وتركها أو فعلها باقيد على فتح البصيرة ذكر علامة أخرى أظهر وأشهر منها على فتح البصيرة أو طمسها فقال (اجتهادك فيها ضمن لك وتقصيرك فيها طلب منك دليل على انطلاس البصيرة منك) قلت الاجتهاد في الشيء استغراق الجهد والطاقة في طلبه والتقصير هو التفریط والتضييع والبصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القالب فالبصيرة لا ترى إلا المعاني والبصر لا يرى إلا المحسوسات (أو تقول) البصيرة لا ترى إلا اللطيف والبصر لا يرى إلا الكشيف (أو تقول) البصيرة لا ترى إلا القديم والبصر لا يرى إلا الحادث (أو تقول) البصيرة لا ترى إلا المسكون والبصر لا يرى إلا الكون فإذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله في الظاهر بخدمة وفي الباطن بمحبته فكما عظمت المحبة في الباطن والخدمة في الظاهر قوى نور البصيرة حتى يستولى على البصر فيغيب نور البصر في نور البصيرة فلا يرى إلا ما تراه البصيرة من المعاني اللطيفة والأنوار القديمة وهذا معنى قول شيخ شيوخنا المجنوب :

غيت نظري في نظر وأقيت عن كل فاني
حققت ما وجدت غير وأمسيت في الحال هاني

وإذا أراد الله خذلان عبده أشغله في الظاهر بخدمة الأكران وفي الباطن بمحبته فلا يزال كذلك حتى ينطمس نور بصيرته فيستولى نور بصره على نور بصيرته فلا يرى إلا الحس ولا يختم إلا الحس فيجتهد في طلب ما هو مضمون من الرزق المعلوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم ولو كان يدل الاجتهاد استغراقاً وبدل التقصير تركاً

والاتباع فالجمع رحمة والفرقة عذاب (وفي الحديث يد الله مع الجماعة أي الدالين على الله أو ما يقرب إلى الله .
(وأما) بذل المجهود في تعبير الأوقات والطاعات والأذكار فهذا هو المقصود من الطريق والام عند أهل التحقيق فكل ساعة تأتي على الفقير لا يذكر الله فيها كانت عليه حسرة في الدنيا والآخرة فأوقات الفقير دائرة بين ذكر أو مذاكرة أو فكرة أو نظرة أو قول الفقير ليس له فكرة ولا هدة إلا في الحضرة أو ما يوصل للحضرة وما سوى هذا بطلالة وشرة وباقية التوفيق .

(وقوله) سألت ماعز أي سألت جماعة أي غلب وأمتع تحريره أي فتحه واستخراج المقصود منه وإنما امتنع تحريره لمادخله من التخطيط الذي أحق به أهل التوسم في هذه الأزمنة مع خفاء مراده ومداركه لأن هذا العلم ليس هو قلقة اللسان وإنما هو أدواق ووجدان فمن سأل تحريره بعبارة اللسان قد سأل عن شيء عجز الإتيان بمنوع اليان وسيأتي الكلام عليه عند قوله إياك أن تطمع أن تحرره من فقر أو شر أو أرجوزة ثم بين وجهه عزه فقال :

إن الذي سألت عنه مات وصار بعد اعتل رفات

لكن بدل الطمس عى وهو الكفر والعبادته لأن الدنيا كنهر طالوت ولا ينجو منها إلا من شرب أو اعترف غرقه يده لا من شرب على قدر عطشه فافهم قاله الشيخ زروق رضى الله عنه وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه البصيرة كالبحر أدنى شيء يقع فيه يمنع النظر وإن لم ينته إلى العمى فالخطرة من الشيء تشوش النظر وتكدر الفكر والارادة له تذهب بالخير رأسا والعمل به يذهب عن صاحبه سهما من الاسلام فيما هو فيموت بآتي بجنه فاذا استمر على الشر قتلت منه الاسلام فاذا انتهى إلى الوقيعة في الامة وموالاته الظلة جيا في الجاه والمزلة وجبا للدنيا على الآخرة فقد قتلت منه الاسلام كله ولا يفرئك ما توسم به ظاهرا فانه لا روح له إذ الاسلام حب الله وحب الصالحين من عباده انتهى ولما كان الاجتهاد في المضمون كله مذموم كان بالفعل كما تقدم أو بالقول وهو الاستعجال في تحصيله قبل اباته بالدعاء أو بغيره أشار إلى ذلك بقوله (لا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا لياسك فهو ضمن لك الإجابة فيما يختار لك لا فيما تختار لنفسك وفي الوقت الذي يريد لافي الوقت الذي تريد) قلت الإلحاح في الشيء وهو تكرره من وجه واحد والدعاء طلب مصحوب بأدب في بساط العبودية لجناب الربوبية والموجب للشيء ما كان أصلا في وجوده والياس قطع المطامع (اعلم) أن من أسماه تعالى القيوم وهو مبالغة في القيام فقد قام تعالى بأمر خلقه من عرشه إلى فرشه وعين لكل مظهر وقاعدودا وأجلا معلوما ولكل واحد شكلا معلوما أورزقا مقسوما فاذا جاء أجلمهم لا يسأخرون ساعة ولا يستقدمون فاذا تعلق قلبك بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة فارجع إلى وعد الله واقنع بعم الله ولا تحرص في الحرص تب ومثلة (قال) شيخ شيخنا مولاى العربى رضى الله عنه الناس تقضى حوائجهم بالحرص فيها والجري عليها ونحن نقضى حوائجنا بالزهد فيها والاشتغال بالله عنها هـ .

وإن كان ولا بد من الدعاء فليكن دعاؤك عبودية لا طلبا للحفظ فان تركت الحفظ صبت عليك الحفظ وإن غلب عليك وأراد الطلب وطلبت شيئا ثم تأخر عنك وقت العطاء فيه فلا تتم الله في وعده حيث قال (ادعوني استجب لكم) ولا تياس من نواله ورفضه فإن الله قد ضمن لك الإجابة فيما يريد من خير الدنيا وخير الآخرة وقد يمنك لطفك لكون ذلك المطلب لا يليق بك كما قال الشيخ أبو الحسن اللهم أنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث تعلم بما نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما نعلم وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى (وربك يخفى ما يشاء) يخفى ما كان لهم الخبير) ما موصول أى ويختار الأمر الذى لهم فيه خيريتهم وقد يكون أجابك وعين لذلك وتماهر أصلحك وأنتفع فيعطيك

فطمست أعلامه تحقيقاً فلم تجد بعد لها طريقاً

يعنى أن الطريق الذى سأل عنه السائل مات بموت أهله واندرس خبره وصار كأنه شخص مات ورمم وعظاما رفاتا (و) في الحديث أن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فأتوا بقولهم فأنشأوا وأضلوا ولا فرق بين العلم الظاهر والباطن في كونه يذهب بذهاب أهله .

(وقوله) فطمست أعلامه أى ما يدل عليه ويوصل إلى تحصيله فاعلام الشيء ما دل على وجوده منه سمي الكون عالما لدلالته على صانعه فكان علم الصوف قد طمست طرقه الموصلة إلى تحقيقه فلم تبق له طريق توصل إليه وهذا معنى قوله فلم تجد بعدى أى بعد طمس أعلامه أى تلك الأعلام والآثار التى توصل إليه طريقاً لتسلكها حتى تبلغك إلى تحقيق ما سألت عنه ومضمن كلامه أن الصوفية المحققين السالكين على منهاج المتقدمين قد قفوا جدا حتى كأن علومهم ماتت وبليت وصارت رميا وطرقهم قد طمست وأذواتهم قد اندرست ولم يبق على منهاجهم إلا القليل ومثل ما قاله الناظم قاله من قبله في كل

ذلك في الوقت الذي يريد لافي الوقت الذي تريد وقد يؤخر لك ذلك لئلا تترك الكرامة والبقاء وهو خير لك وأبقى (وفي الحديث) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع إلا وهو بين إحدى ثلاث إما أن تعجل له طلبته وإما أن يدخر له ثوابها وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها الحديث

(وقال) الشيخ عبد العزيز المهدي رضي الله عنه من لم يكن في دعائه تاركاً لاختياره راضياً باختيار الحق تعالى له فهو مستدرج بمن قيل له اقضوا حاجته فاني أكره أن أسمع صوته فان كان مع اختيار الحق تعالى لاعم اختياره لنفسه كان مجاباً وإن لم يعط والأعمال مجواتها اه ثم حقق لك ما تقدم من انجاز الوعد ونفوذ الموعد **واكن** على الوجه الذي يريد وفي الوقت الذي يريد وأمرك في ذلك بالصدق والتصديق ونهاك عن التشكك والترديد ليكلل بذلك فتح بصيرتك وتبين أنوار سريرتك فقال (لا يشككك في الوعد عدم وقوع الموعد وإن تعين زمنه لئلا يكون ذلك قدماً في بصيرتك واتخاذاً لنور سريرتك) التشكك في الشيء هو التردد في الوقوع وعدمه والوعد الأخبار بوقوع الشيء في محله والموعد المخبر به والقدح في الشيء التنقيص له والنقض من مرتبه والبصيرة القوة للميعة لادراك المعاني والسريرة القوة المستعدة لتمسك العلم والمعرفة واعلم أن النفس والعقل والروح والسر شيء واحد لكن تختلف النساي باختلاف المدارك فإما كان من مدارك الشهوات فدركه النفس وما كان من مدارك الأحكام الشرعية فدركه من العقل وما كان من مدارك التحليات والواردات فدركه الروح وما كان من مدارك التحقيقات والتمكينات فدركه السر والمحل واحد واتخاذ الشيء خفاوة بعد ظهوره قلت إذا وعدك الحق تعالى بشيء على لسان الوحي أو الإلهام من نبي أو ولي أو نجل قوى فلا تشك أيها المريد في ذلك الوعد إن كنت صديقاً فإني لم يتعين زمنه فالأمر واسع وقد يطول الزمان وقد يقصر فلا تشك في وقوعه وإن طال زمنه وقد كان بين دعاء سيدنا موسى وهارون على فرعون بقوله (ربنا اطمس على أموالهم) الآية أربعون سنة على ما قيل وإن تعين زمنه ولم يقع ذلك عند حلوله فلا تشك في صدق ذلك الوعد فقد يكون ذلك مترتباً على أسباب وشروط غيبية أخضاها الله تعالى عن ذلك النبي أو الولي لظهور قهرته عزته وحكمته وتأمّل قضية سيدنا موسى عليه السلام حيث أخبر قومه بالعباد لما أخبر به وفرغ عنهم وكان ذلك متوقفاً على عدم إسلامهم فلما أسلموا تأخر عنهم العذاب وكذلك قضية سيدنا نوح عليه السلام حيث قال إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق فوقف مع ظاهر العموم فقال له تعالى (إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) ونحن إنما وعدناك بنجاة الصالح من أهلك وإن فهمت العموم فقلنا

عصر يقول أهل قد ذهب التصرف وذهب أهل لما يرون ما انكب عليه الجاهلون وما استجلبته المدعون (قال) الجنيّد رضي الله عنه علنا هذا الذي تسكّم فيه قد طوى بساطه منذ عشرين سنة وإنما تكلم في حواشيه وكان أيضاً يقول قد كنت أجالس قوماً سنين يتحاورون في علوم لأفهمها ولا أدري ما هي وما بليت بالانكار قط كنت أفتليها وأحبا من غير أن أعرفها وكان أيضاً يقول كنا تجار مع إخواننا قديماً في علوم كثيرة مانرّفها في وقتنا هذا ولا سألني عنها أحد وهذا باب كأنه أغلق وورد اه

وقال في قوت القلوب قال بعض علمائنا أنا أعرف للمتقين سبعين علماً كانوا يتحاورونها ويتعارفونها في هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد قال وأعرف في زماننا هذا علوماً كثيرة من الأباطيل والنور والدعوى قد ظهرت وسميت علوماً ثم قال وكان أهمنا سهل يقول بعد سنة ثلاثاً لا يجل أن يتكلم ببلنا هذا يعني لقلة أهل له لأنه محدث قوم يستمعون الحلف ويتزينون بالكلام تكون مواجيدهم لياهم ومعبودهم بطونهم وخطيتهم كلهم وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري رضي الله عنه في صدر رسالته اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم ولم يبق في زماننا من هذه الطائفة

متسع ولهذا السر الخفي كان الرسل عليهم السلام وأكابر الصديقين لا يتفون مع ظاهر الوعد فلا يزول اضطرابهم ولا يكون مع غير الله قرأهم بل ينظرون لسعة عليه تعالى ونفوذ قهره ومنه قول سيدنا إبراهيم الخليل (ولا أخلف ما تركون به إلا أن يشاء ربى شيئا وسع ربى كل شيء) عليا (وقول سيدنا شعيب عليه السلام) (وما يكون لنا أن نؤدبها) أى في ملة الكفر إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما وقضية نينا صلى الله عليه وسلم يوم بدر حيث دعا حتى سقط رداؤه وقال اللهم عبدك ووعدك اللهم أن تهلك هذه الصابة لم تعبد بعد اليوم فقال له الصديق حسبك يا رسول الله فان الله منجز لك ما وعدك فظفر المصطفى أوسع وعمقه مع ظاهر الوعد ووقف الصديق مع الظاهر فكل على صواب والى صلى الله عليه وسلم أوسع نظراً وأكمل علماً .

(وأما قضية الحديبية) فلم يتبين فيها زمن الوعد لقوله تعالى (فعل ما لم تعلموا) وقد قال عليه السلام لعمر حين قال له ألم تخبرنا أنا ندخل مكة فقال له أظنك هذا العام فقال لا فقال إنك داخلها ومطوف بها فشد يدك يا أخى على صديق ما وعدك الله به وحسن ظنك به وبأوليائه ولا سيما شيخك فاباك أن تضمر التكذيب أو الشك فيكون ذلك قدحا في بصيرتك وقد يكون سببا في طمسها ويكون أيضا إخمادا أى إخفاء واطفاء لنور سريرتك فترجع من حيث جئت وتهمد كل ما بنيت فانظر أحسن التأويلات واتمسك أحسن الخارج وقد تقدم قول شيخ شيخنا سيدى على رضى الله عنه نحن إذا قلنا شيئا فخرج فرحنا مرة وإذا لم يخرج فرحنا عشر مرات وما ذاك إلا لوسع نظره وتمكنه في معرفة ربه وأيضا قد يطلع أوليائه على نزول القضاء ولا يطلعهم على نزول اللطف فينزل ذلك القضاء مصحوبا باللطف فينزل خفيها سهلا حتى يظن أنه لم ينزل وقد شهدنا هذا وما قبله من أنفسنا ومن أسياننا رضى الله عنهم فلم ينقص صدقنا ولم يخذل نور سريرتنا فقه الحمد ربنا .

(تنبيه) كارت شيخنا الفقيه العلامة سيدى التاودى بن سودة يستشكل هذه الحكمة ويقول كيف يتصور تعيين الزمان أن كان بالوحى فقد انقطع وإن كان بالالهام فلا يزم من الشك فيه القبح في البصيرة إذ لا يجب الإيمان به قلنا كلامنا مع المريدين الصديقين السائرين أو الواصلين وهم مطالبون بالتصديق للاشياخ في كل ما نطقوا به إذ هم ورثة الانبياء فهم على قدمهم فلا نبياء وحى الاحكام وللأولياء وحى الالهام لأن القلوب إذا صفت من الكدراك والاعيار وملئت بالانوار والاسرار لا يتجلى فيها إلا الحق فاذا نطقوا بشيء من وعد أو وعيد يجب على المريد تصديقه فاذا دخله تشكيك أو تردد فيها وعده الله على لسان نبيه أو شيخه قدح ذلك في نور بصيرته واخذ سريره فاذا لم يعين إلا اثرهم وفي معناه قيل :

لا والذى حجت قريش بيته مستقيلين الركنى من بطحاتها
ما ابصرت عيني خيام قبيلة إلا بكيت احبتي بفناتها
أما الخيام فانها كخيامهم وارى نساء الحى غير نساتها

قال ابن العربى الحاتمي رضى الله عنه قال هذا في زمانه حيث ادرك من تزييا بزي القوم وخالفهم في باطنه وأما اليوم فلا خيام ولا نساء ثم قال الأستاذ رحمه الله حصلت الفترة في الطريقة لابل قد اندرست الطريقة بالحقيقة معضت الشيوخ الذين كان لهم إهداء وظل الشباب الذين لاهم بسمتهم وسيرتهم اقتداً بالورع وطوى بساطه وقوى الطمع واشتد رباطه وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة ، فسد الله المبالاة أو تخرية رفضوا التمييز بين الحلال والحرام ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام واستخفوا بإداء العبادة واستهانوا بالصوم والصلاة وركضوا في مياذن الغفلات وركنوا إلى اتباع الشهوات

زمنه انتظر وقوعه وان طال وإن عين زمنه ولم يقع تأول فيه ما تقدم في حق الرسل من توفقه على أسباب وشروط خفية وهذا فرقا بين الصديق والصادق لأن الصديق لا يتردد ولا يتعجب والصادق يتردد ثم يحزم وإن رأى خرقاً عادة تعجب واستغرب والله تعالى أعلم

(ولما) كانت التعريفات القهرية ظاهرها جلال وباطنها جمال لما يعقبها من أو صاف الكمال وربما يشك المرید فيها وعد الحق عيباً من الخيرات وما رتب عليها من الفتوحات نبه الشيخ على ذلك فقال (إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل غمك فانه ما فتحها عليك إلا وهو يريد أن تعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والاعمال أنت مهديا اليه وأين ما تهديه اليه ما هو مورده عليك) فتح هنا بمعنى هيا ويسر والغالب استعماله في الخير فأشعر الاتيان به هنا أن جهة التعرف من الامور الجميلة والوجهة هي الجهة والمراد هنا الباب والمدخل والتعرف طلب المعرفة تقول تعرف لي فلان إذا طلب مني معرفته والمعرفة تمكن حقيقة العلم بالمعروف من القلب حتى لا يمكن الانفكاك عنه بحال والمبالاة التهم بفوات الشيء (قلت) إذا تجلى لك الحق تعالى باسمه الجليل أو باسمه القهار وفتح لك منها باباً ووجهة لتعرفه منها فاعلم أن الله تعالى قد أعنى بك وأراد أن يجتنبك لقره ويصطفيك لحضرة فالنظم الأدب معه بالرضى والتسليم وقائه بالفرح والسرور والتبالي بما يغوثك بها معها من الاعمال البدنية فانها هي وسيلة للاعمال القلبية فانه ما فتح هذا الباب إلا وهو يريد أن يرفع بينك وبينه الحجاب ألم تعلم أن التعريفات الجلالية هو الذي أوردتها عليك لتكون عليه وارداً والاعمال البدنية أنت مهديا اليه لتكون اليه بها واصلا وفوق كيرين ما تهديه أنت من الاعمال المدخلة والاحوال المعلولة وبين ما يورده عليك الحق تعالى من تحف المعارف الربانية والعلوم الدنية فطب نفساً أي المرید بما ينزل عليك من هذه التعريفات الجلالية والتوازن القهرية ومثل ذلك كالامراض والوجع والشدائد والاهوال وكل ما يتقل على النفس ويؤلها كالغمر والذل وأذية الخلق وغير ذلك مما تكرهه النفوس فكل ما ينزل بك من هذه الامور فهي نعم كبيرة ومراهب غزيرة تدل على قوة صدقك إذ بقدر ما يعظم الصدق يعظم التعرف أشدكم بلاء الانبياء فالأمثل فالأمثل (والصدق متبوع) وإذا أراد الله أن يطوى مسافة البعد بينه وبين عبده سلط عليه البلاء حتى إذا غلخص وتشعر صلح للحضرة كما تصفى الفضة والذهب بالنار لتصلح لخزاة الملك وما زالت الشيوخ العارفون بفرح هذه النوازل ويستعدون لها في كسب المواهب وكان شيخ شيوخنا سيدي على العمري رضي الله عنه يسميها ليلة القدر ويقول ليلة الحيرة هي ليلة

وقته المبالاة إلى آخر كلامه وكذلك قال أبو مدين في رائيته رضي الله عنه

واعلم بأن طريق القوم دارسة وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

وكذلك قال شيخ شيوخنا سيدي على الجمل رضي الله عنه من تونس إلى واد نون لا تجد من يتكلم في هذا العلم إلا رجلاً أو رجلين كناية عن قلة وجود المحققين ولا يدل هذا على أقطاعهم في كل زمان رجال يرحم الله بهم عباده فالعدد المعلوم لا ينقطع حتى ينقطع الدين قال في لطائف المنن سئل بعض العارفين عن أولياء العدد أينقصون في زمن فقال لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أيرزت الأرض نباتها وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا ينقص أمدادهم ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم فإذا كان أهل الزمان معرضين عن الله عز وجل مؤثرين لما سوى الله لاتجمع أي لاتجمع فيهم الموهبة ولا تليهم إلى الله التذكرة لم يكونوا أملاً لظهور أولياء الله فيهم ولذلك قالوا أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المحرمون ثم قال وقد قال صلى الله عليه وسلم إذا رأيت شحاً مطاعاً

القدر التي هي خير من ألف شهر لأجل ما يجتنبه العبد منها من أعمال القلوب التي النرة منها أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح وقد قلت في ذلك بيتين وهما .

إذا طرقت بابي من الدهر فاقه فحت لها باب المسرة والبشر
وقلت لها أهلاً وسهلاً ومرحباً فوقك عندي أحظى من لية القدر

واعلم أن هذه التعريفات الجلالية هي اختبار من الحق ومعيار للناس وبها تعرف النعمة والذهب من النحاس فكثير من المدعين يظهرون على ألسنتهم المعرفة واليقين فإذا وردت عليهم عواصف رياح الأقدار ألقتهم في مهاوى القنط والآنكار من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول العجب كل العجب بمن يطلب معرفة الله ويحرص عليها فإذا تعرف له الحق تعالى هرب منه وأكره وقال شيخنا البزدي رضي الله عنه هذه التعريفات الجلالية على ثلاثة أقسام قسم عقوبة وطرده وقسم تأديب وتبليغ وقسم زيادة وترقى (أما) الذي هو عقوبة وطرده هو الذي يسمى الأدب فيعاقبه الحق تعالى ويجهل فيها فيسخط ويقط وينكر فيزداد من الله طرداً وبعداً (وأما) القسم الذي هو تأديب فهو الذي يسمى الأدب فيؤدبه الحق تعالى فيعرفه فيها وينبئ لسوء أديبه وينهض من غفلته فهي في حقه نعمة في مظهر النعمة (وأما) الذي هي في حقه زيادة وترقى فهو الذي تنزل به هذه التعريفات من غير سبب فيعرف فيها ويتأدب معها ويترقى بها إلى مقام الرسوخ والتكليف بالله المعنى :

(قلت) وإذا قال بعضهم بقدر الامتحان يكون الامتحان وقال أيضاً اختبار الباقي يقطع الباقي

(فائدة) إذا أردت أن يسهل عليك الجلال فقابل به ضده وهو الجمال فإنه ينقلب جمالا في ساعته وكيفية ذلك أنه إذا تجلى باسمه القاض في الظاهر فقابل به أنت باليسط في الباطن فإنه ينقلب بسطا وإذا تجلى لك باسمه القوي فقابل به أنت بالضعف أو تجلى باسمه العزيز فقابل به بالذل في الباطن وهكذا يقابل الشيء بضده قايما بالقدرة والحكمة وكان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول ما هي إلا حقيقة واحدة أن شربتها عسلا وجشيتها عسلا وإن شربتها لبنا وإن شربتها حنظلًا وجشيتها حنظلًا فاشرب يا أخي المالح ولا تشرب القبيح أو معنى كلامه رضي الله عنه هو كما تقدم كما تقابله يقابلك والله تعالى أعلم .

(ولما) تكلم على الأعمال وثمراتها وهو الأدب ومرجه إلى السكون تحت مجاري الأقدار من غير تدبير ولا اختيار ولا تعجيل لما تأخر ولا تأخر لما تعجل بل يكون محط نظره إلى ما يبرز من عنصر القدرة فيلتفاه بالمعرفة تكلم على توبعها

وهو متبعا ودينا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه فليكن بخيصة نفسك فسمعوا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا الخصال آثره الله لهم مع أنه لا بد أن يكون منهم في الوقت آتية ظاهرون قائمون بالحجة الساكنون بالحجة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من نوافهم إلى قيام الساعة وقد قال على كرم الله وجهه في غخطيته لكحيل بن زياد اللهم لا تغل الأرض من قام لك بمجنتك أولئك الأقرون عددا الأعظمون عند الله قدراً فلوهم معلقة بالحل الأعلى أولئك خلفاء الله في عبادته وبلاده آه واشوقاه إلى رؤيتهم اه (وروى) الإمام الرباني محمد بن علي الترمذي يرضه إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره (وروى) أيضا يرضه إلى أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي أولها وآخرها وفي وسطها الكدر اه قلت وقد ظهرت هذه الطائفة أمتي الصوفية المحققين في زماننا هذا وانتشرت معي والحمد لله انتشارا كثيرا منذ قدم شيخ شيخنا مع شيخه إلى بني زروال قاض بحر ماسم اقتر في البلاد فلا تجد مدينة ولا قرية إلا وفيها عارفون

وتهذيباً تهذيباً عاماً فقال (تنوع أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال) تنوع الشيء تكثيره والأعمال هنا عبارة عن حركة الجسم والواردات والأحوال عبارة عن حركة القلب فالخاطر والوارد والحال كلها واحد وهو القلب لكن مادام القلب يحظر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية سمي ما يحظر فيه خاطراً وإن انقعت عنه الخواطر الظلمانية سمي ما يحظر فيه وارداً أو حالاً فإضافة أحدهما إلى الآخر إضافة يائية وكلاهما يتحولان فإن دام ذلك سمي مقاماً (قلت) قد تنوعت أجناس الأعمال الظاهرة بتنوع الأحوال الباطنة (أو تقول) أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب فإن ورد على القلب قبض ظهر على الجوارح أثره من السكون وإن ورد عليه بسط ظهر على الجوارح أثره من الخفة والحركة وإن ورد على القلب زهد وورع ظهر على الجوارح أثره وهو ترك واحجام أى تأخر وإن ورد على القلب رغبة وحرص ظهر على الجوارح أثره وهو كد وإن ورد على القلب عجب وشوق ظهر على الجوارح أثره وهو شطع ورقص وإن ورد على القلب معرفة وشهود ظهر على الجوارح أثره وهو راحة وركود إلى غير ذلك من الأحوال وما ينشأ عنها من الأعمال وقد تختلف هذه الأحوال على قلب واحد فيتلون الظاهر في أعماله وقد يغلّب على قلب واحد حال واحد فيظهر عليه أثره واحد فقد يغلب على الشخص التبعيض فيكون مقبوضاً في الغالب وقد يغلب عليه البسط كذلك إلى غير ذلك من الأحوال والله تعالى أعلم

(وفي الحديث) أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب (قلت) ولاجل هذا المعنى اختلفت أحوال الصوفية فهم عباد ومنهم زهاد ومنهم الورعون والمريدون والعارفون قال الشيخ زروق رضي الله عنه في قواعد

(قاعدة) النسك الأخذ بكل مسلك من الفضائل من غير مراعاة لغير ذلك فإن رام التحقيق في ذلك أي النسك فهو العابد وإن مال للأخذ بالأحوال فهو الورع وإن آثر جانب الترك طالباً للسلام فهو الزاهد وإن أرسل نفسه في مراد الحق فهو العارف وإن أخذ بالتخلق والتعلق فهو المريد أه المراد منه (وقال) في قاعدة أخرى لا يلزم من اختلاف المسالك اختلاف المقاصد بل يكون متحداً مع اختلاف مسالك كالعبادة والزهادة والمعرفة مسائل لقرب الحق على سبيل الكرامة وكها متداخلة فلا بد للعارف من عبادة والأفلاحة بمعرفة إذ لم يعبد معرفه ومسالك لقرب الحق على سبيل الكرامة وكها متداخلة فلا بد للعارف من عبادة والأفلاحة بمعرفة إذ لم يعبد معرفه ولا بد له من زهادة وإلا فلا حقيقة عنده إذ لم يعرض عما سواه ولا بد للعابد منهما إذ لا عبادة إلا بمعرفة أي في الجملة والأفراغ للعبادة إلا بزهد الزاهد كذلك إذ لا زهد إلا بمعرفة أي في الجملة ولا زهد إلا بعبادة والاعاد بطلالة نعم من

وأولياء محققون إلا قليلاً عن بعد منهم قد جدد الطريق بعد دروسها واشترقت على يدهما شموس الحقيقة بعد خرودها وكثر اللهب بذكر الله واشتلب كل العباد إلى الله فجزأهما عن المسلمين خيراً فقد صدق الله بهذه الطائفة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير أمتي أولها وآخرها (وفي حديث) آخر مشأمتي مثل حديقة قد قام عليها صاحبها فاجتلب رأكها وهيا مسالكها وحلق سقمها فاطعمته عاماً فراجاً عاماً فراجاً قتل آخرها طعمها يكون أجودها قتيلاً أنا وأطولها شراً عا والذي بعثني بالحق إجماع ابن مريم من أمتي خلفاً من حواربه قلت قال شيخ شيوخنا المجنوب على ما كنا نقوم الساعة وذكر سيدي على في كتابه أن رجلاً سأل شيخه سيدي العربي بن عبد الله فقال له يا سيدي طريقكم هذه لا نعرفها في طريق هي فقال له يا ولدي طريقنا هذه هي التي كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الزهد في الدنيا والانقطاع إلى الله وعليها نقوم الساعة اه فحقق أنها هي التي يمد عيسى بن مريم منها خلفاً من حواربه والله أعلم ثم بين الشيخ ما بقي من طريق القوم بعد اندراسها قال

الارسومار بما لم تعف : وذلك ما تبعه ونقف

غلب عليه العمل فمأبد أو الترك فزاهد أو النظر لتصرف الحق فصارف والكل صوفية وانه أعلم اه ولما كان الاخلاص شرطاً في كل عمل ذكره بآثره فقال (الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها) الأعمال هنا عبارة عن الحركة الجسدية أو القلبية والصور جمع صورة وهو ما يتشخص في الذهن من الكيفيات والروح السر المودع في الحيوانات وهو هنا عبارة عما يقع به الكمال المعبر في الأعمال والاخلاص أفراد القلب لعبادة الرب وسره له وهو الصدق المعبر عنه بالتبرى من الحول والقوة إذ لا يتم إلا به وإن صبح دونه إذ الاخلاص نبي الرياء والشرك الحقي وسره نبي العجب وملاحظة النفس والرياء فادحة في صحة العمل والعجب قاذح في كاله فقط (قلت) الأعمال كلها أشياح وأجساد وأرواحها وجود الاخلاص فيها فكلا لا قيام للأشياح إلا بالأرواح وإلا كانت ميتة ساقطة كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الاخلاص فيها وإلا كانت صوراً قائمة وأشباحاً خاوية لا عبرة بها قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقال تعالى (فاعبد الله مخلصاً له الدين) وقال صلى الله عليه وسلم حاكياً عن الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء من أشرك معي غيري تركته وشريكه وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الحقي وهو الرياء (وفي رواية) اتقوا هذا الشرك الحقي فانه يدب ديب الغفل قيل وما الشرك الحقي قال الرياء اهد بالمعنى لطول العهد به (وفي) حديث مسلسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الاخلاص فقال حتى أسأل جبريل فلما سأله قال حتى أسأل رب العزة فلما سأله قال له هو سر من اسراري أودعه قلب من أحببت من عباد لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده قال بعضهم هو مقام الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه والاخلاص على ثلاث درجات درجة العوام والخواص وخواص الخواص ، فاخلاص العوام هو اخراج الخلق من معاملة الحق مع طلب الحظوظ الدنيوية والآخروية كحفظ البدن والمال وسعة الرزق والقصور والحدود ، وإخلاص الخواص طلب الحظوظ الآخروية دون الدنيوية وإخلاص خواص الخواص اخراج الحظوظ بالكلية فعبادتهم تحقّق العبودية والقيام بوظائف الربوبية أو عجة وشوقاً إلى رؤيته كما قال ابن الفارض :

ليس سوى من الجنان نعيما غير أني أحبها لأرا كما
كأهم يعبدون من خوف نار ويرون النجاة خطاً جزيلاً
أو بأن يسكنوا الجنان فيضحوا في رياض ويشربوا السلسيلاً

وقال آخر :

وهيك أن تظفر بالوطنان ما السر والمعنى سوى القبطان
قلت الرسوم والحدود هي أمارات وعلامات تدل على حقائق الأشياء ومعانيها وعفا المكان أندرس وتعطل وعفا الشيء ذهب وقد يطلق على الزيادة والكثرة كقوله تعالى (حتى عفرا) ومعنى تقف تتبع وهب هنا بمعنى اجعل وقد فهمي للتعبير والوطنان محل السكنى والقبطان بعض القاف جمع قاطن بمعنى ساكن والمعنى أن علم التصرف ومعانيه وأذواقه قد ذهب بنهب أهله وأندرس وخفي وما بقي الرسوم وعلامات في كتبهم تدل على سيرهم وأخلاقهم فرمما لم تقف ولم تذهب وهذه الرسوم التي لم تقف هي ما كانوا عليه من المجاهدة والمكينة والمجاهدة وما أصفوا به من محاسن الاخلاق ومكارم الشيم وما شاهدوه من الكرامات والخوارق وما نطقوا به من جواهر الحكم وما استخرجته أفكارهم من بواقيت العلوم وغازن الفهم فهذه الامور قد دونت في الكتب فلما ماتوا بقيت في أيدي الناس فهي التي يتبعها الناس ويسلكون على طريقها وليس السر في مشاهدة سيرهم ومحاسنهم ولا في سماع كلامهم وعلومهم وإنما السر ما كان في بواطنهم وما

ليس لي في الجنان والتار رأى أنا لا أبتنى بجي بديلا

قال الشيخ أبو طالب رضى الله عنه الإخلاص عند المخلصين اخراج الخلق من معاملة الحق وأول الخلق النفس والإخلاص عند المحيين أن لا يعملوا عملا لاجل النفس ولا دخل عليها مطالعة العوض أو الميل إلى حظ النفس والإخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر إليهم في الأفعال وعدم السكون والاستراحة إليهم في الأحوال وقال بعض المشايخ صحح عملك بالإخلاص وصحح إخلاصك بالنبرى من الخول والقوة كلامه وقال بعض العارفين لا يتحقق الإخلاص حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ولذلك قال آخر كلما سقطت من عين الخلق عظمت في عين الحق وكلما عظمت في عين الخلق سقطت من عين الحق يعنى مع ملاحظتهم ومراقبتهم وسمعت شيخنا يقول ما دام العبد يراقب الناس ويهاجم لا يتحقق إخلاصه أبداً وقال أيضاً لا يجتمع مراقبة الحق مع مراقبة الخلق أبداً محال أن تشهده وتشهد معه سواء أهاه والحاصل لا يمكن الخروج من النفس والتخلص من دقائق الرياء من غير شيخ أبداً والله تعالى أعلم .

(ولما كان الخول من مضامين الإخلاص بل لا يتحقق في الغالب إلا بهاذ لا حظ فيه للنفس ذكره بعده قال (أدفن وجودك في أرض الخول فاني ت علم يدفن لا يتم تاجه) الدفن هو التغطية والستر والخول سقوط المنزل عند الناس وتاج الشجرة ثمرتها استير هنا للحكم والمواهب والعلوم التي يجتنيها العبد من المعرفة بالله وذلك عند موت نفسه وحياة روحه (قلت) استر نفسك أيها المريد وادفنها في أرض الخول حتى تستأنس به وتستطيع ويكون عندها أحلى من العسل وبصير الظهور عندها أمر من الحنظل فاذا دفنتها في أرض الخول وامتدت عروقها فيه لحيدت تجنى ثمرتها ويتم لك تاجها وهو سر الإخلاص والتحقق بمقام خواص الخواص وأما إذا لم تدفنها في أرض الخول وتركها على ظهر الشجرة فيجول مانت شجرتها أو أسقطت ثمرتها فاذا جنى العارفون ما غرسوه من جنات معارفهم من العلوم وما دقوه من كنوز الحكم وتخازن الفهم بقيت أنت فقيراً سائلاً أو سارقاً صائلاً .

(قال) سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه أين تبت الحبة قالوا في الأرض قال كذلك الحكمة لا تبت إلا في القلب كالأرض اهـ .

وقال بعض العارفين كلما دقت نفسك أرضاً أرضاً ساء قلبك ساء ساء (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أشعت أغبرذى طمرين تنبوا عنه أين الناس لو أقسم على الله لأبره في قسمه) وكان عليه الصلاة والسلام جالسا مع الأقرع بن حابس كبير بنى تميم فر عليه رجل من قراء المسلمين فقال عليه السلام للأقرع بن حابس ما تقول في هذا فقال هذا يارسول الله من قراء اشتملت عليه قلوبهم وأسرامهم فلا يؤخذ إلا منهم في حال حياتهم فلو كان التصوف يؤخذ من الكتب لاختص به أرباب الأموال والنبلاء أهل الظاهر ولكن التصوف إنما هو أدواق لا يؤخذ إلا من أهل الأدواق وهايك أى صير نفسك وقدرها أنها ظفرت بالأوطان وهي محاسنهم ومآثرهم التي كانوا عليها وسكنوا فيها ثم رحلوا عنها وتركوها ماله واللعنى إلا في صحبتهم والاخذ عنهم واقتباس النور الذي كان في باطنهم وقد ذهب ذلك بذهابهم إلا من أسعده الله ببقاء من أخذ ذلك منهم في حياتهم وهذا قد ظفر بالأوطان والسكان ولا تغفر الأرض من هذا النوع كما تقدم بخلاف من طمع أن يأخذ ذلك من كتبهم فانه ظفر بالأوطان وفاته صحة السكان وما زالت العامة تقول السر في الساكن أى دون المسكن وقال الشاعر

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الأياد شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

المسلمين حقيق ان خطب أن لا يزوج وان استأذن أن لا يؤذن له وإن قال أن لا يسمع له ثم مرهما رجل من المترفين فقال له عليه السلام وما تقول في هذا فقال هذا حقيق ان خطب أن يزوج وان استأذن أن يؤذن له وان قال أن يسمع له فقال **عليه السلام** هذا يعني الفقير خير من ملء الأرض من هذا وفي مدح الخول أحاديث كثيرة وفصائل مشهورة ولو لم يكن فيه إلا الراحة وفراغ القلب لكان كافيا وأشد بعضهم وهو الحضري

عش غامل الذكر بين الناس وأرض به فذاك أسلم للدنيا وللدن
من عاشر الناس لم تسلم ديارته ولم يزل بين تحريك وتسكين

وقال بعض الحكماء الخول نعمة والنفس تأباه والظهور تقعه والنفس تهواه وقال آخر طريقتنا هذه لا تصلح إلا بقوم كنست بأرواحهم المزابل

(قلت) ويجب على من ابتلى بالجاه والرياسة أن يستعمل من الخراب ما يسقط به جاهه وان كان مكروها دون الحرام المتفق عليه بقصد الدواء كالسؤال أو الديار والأكف في السوق وحيث يراه الناس وكأرقاد فيه وكالسبق بالقربة وحمل الزبل على الرأس بوقاية وكلشي بالحفا واطهار الحرص والبخل والشح وكابس الرقعة وتعليق السبعة الكبيرة وكل ما يثقل على النفس من المباح أو المكروه دون الحرام قال الشيخ زروق رضى الله عنه وكما لا يصلح دفن الزرع في أرض رديئة لا يجوز الخول بماله غير مرضية بقياس ذلك بالنفصة لا يصح لأن فوت الحياة الحسية مانع من كل خير واجبا ومنذوبا وتقويتها مع امكان ابقائها محرم اجماعا لقوله تعالى ولا تعلقوا بأيديكم الى التهلكة بخلاف الخول لا يفوت به شيء من ذلك انما يفوت به الكمال وهو نقي الجاه والمنزلة وأصله الاباحة اهـ (وأجاب) بعضهم بأنه إذا جاز لفوت الحياة الفانية فأولى أن يجوز لفوت الحياة الدائمة وهي المعرفة فأمله (وقصة) لص الحمام تشهد له والله تعالى أعلم (ولقد) سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول الفقير الصديق يقتل نفسه بأدنى شيء من المباح والفقير الكذاب يقع في المحرم ولا يقتلها وكان كثير أما ينهى عن الأحوال الظلمانية ويقول عندنا من المباح ما يقتلنا عن المحرم والمكروه (وأما السؤال) فأنما هو مكروه أو حرام لقصد فوت الأشباح مع الكفاية وأما لقصد فوت الأرواح فليس بجرام وقد ذكر القسطلاني في شرح البخاري عن ابن العربي الفقير انه واجب على الفقير في بدايته فأنظره وقد ذكره في المباحث الأصلية مستوفى فأنظره وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله عند قوله لا تمدن يدك الى الأخذ من الخلاق الخ (فان قلت) هذا الخراب

وقال آخر :

فما المنازل لولا أن تحمل بها وما الديار وما الاطلاع والحجم
لولاك ما شاقني ربيع ولا طلل ولا سعت في الى نحو الحى قدم

وقال آخر : وإنما يتأنس بالأوطان ، من لأعشق عنده من السكان أو لم يظفر بصحبة القطان ، فلا يتأنس بكتب القوم ويقنع بذلك إلا من بذق شيئا من أذواقهم ولا نهض للالتحاق بهم والله تعالى أعلم ثم ذكر استصعاب ما سئل عنه من سنن الفقير لفرابتها في زمنه فقال

وهذه مسئلة معصاة لم يجد الحبر لها خلاصة
لأنها مسئلة غريبة حقيقة الجواب عنها رية
وقل ما تلقى لها مساعدا ! لمشكر أو ناقد أو جاحدا

قلت الاعتياص من الصبيان واعتناص الشيء إذا عصى ولم يتقده والعبر بكسر الهاء وفتحها هو العالم التحزير وخلاصة

الذي ذكرت فيه شهرة أيضا إذ الخول هو الخفاء عن أعين الناس وهذا فيه ظهور كبير (قلت) الخول هو اسقاط المنزل عند الناس وكتبان سر الولاية وكل ما يسقط المنزل عندهم وينتج تهمة الولاية فهو خول وإن كان في الحس ظهوراً ولذلك كان شيخنا رضي الله عنه يقول طريقتهما الخول في الظهور والظهور في الخول (وقال) التجبي في الالة مانسه ومن يقل من الصوفية ان المرقعة شهرة فجاه ان سلمان الفارسي سافر في زيادة أبي الدرداء من العراق إلى الشام رجلاً وعليه كساء غليظ غير مضوم فقيل له أشهرت نفسك فقال الخير خير الآخرة وإنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد فإذا أعتقت ليلست حلة لا تبلى حواشيها اه

ومن ذلك قصة الغزالي رضي الله عنه من حمله جلد الثور على ظهره حين ملاقة شيخه الخراز وكفسه السوق واستماله القربة ليسق الناس كذا سمعتها من الشيخ مراراً ولم أقف عليها عند أحد ممن عرف به وأنظر ما جرى له مع ابن العربي عند قوله رب عمر اتسعت أماده وقلت أمداده وكذلك قصة الششتري رضي الله عنه مع شيخه ابن سبعين لأن الششتري كان وزيراً وعالماً وأبوه كان أميراً فلما أراد الدخول في طريق القوم قال له شيخه لاتال منها شيئاً حتى يتبع متاعك وتلبس قشابة وتأخذ بنديرا وتدخل السوق ففعل جميع ذلك فقال له ما نقول في السوق فقال قل بدأت بذكر الحبيب فدخل السوق بضرب بنديره ويقول بدأت بذكر الحبيب فيقول ثلاثاً أيام وخرقت له الحجب فجعل يغني في الأسواق يعلم الاذواق ومن كلامه رضي الله عنه

شيوخ من أرض مكناش في وسط الاسواق يغني اش على من الناس واش على الناس مني ثم قال :

اش احد من حد افهموا ذي الإشارة وانظروا كبر سني والعصا والفراره
هكذا عشت بفاس وكدهان هوني آش على من الناس وآش على الناس مني
وما أحسن كلامه إذا يختر في الأسواق وترى أهل الحوانت تلفت لو بالاعتاق
بالفرارة في عنقو بميككر وبغراف شيخ بني على ساس كانشاء الله ببني
اش على من الناس واش على الناس مني

وكذا قصة الرجل الذي كان مع أبو يزيد البسطامي بق معه ثلاثين سنة فكان لا ينة طمع عن مجلسه ولا يفارقه فقال له يوماً يا أستاذي أنا منذ ثلاثين سنة أصوم النهار وأقوم الليل وقد تركت الشهوات ولست أجد في قلبي شيئاً من هذا الذي تذكر البتة وأنا

الشيء تخليه ومحرمه والريبة والرب هو الشك يعني ان هذه المسئلة وهي طريق الصوفية الذوقية مسئلة معاصرة أي عويصة التحرير يصعب تخليصها على العالم التحرير لأنه ان عبر عنها بعبارة اللسان فانه المنوق والوجدان وان أشار إليها بالتلويح لا يفهما أهل التصريح فصعب أمرها على كل حال الا على من أسعده الله بصحبة الرجال أهل الهمة والثرية والحال فيعبرون عنها بالمقال ثم يهضون إليها بالذوق والحال وأما من لم يصحب الرجال فلا يطعم أن ينالها بالمقال لأنها مسئلة غريبة وأهلها غرباء فلا يأوى الغريب الا إلى الغريب ولا يفهم حال الغريب الا مثله وإذا كانت مسئلة غريبة فتحقق الجواب عنها ريبية أي فيه شك وريبة لمن عبر عنها من غير ذوق ولا وجدان وأيضاً حقيقتها بعيدة عن مدارك العقول القياسية والنقول العلمية وقه در ابن الفارض حيث يقول :

ولا تلك بمن طيشته طروسه بحيث استقلت عقله واستقرت
ثم وراء الثقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

أو من بكل ما تقول وأصدقته فقال له أبو يزيد رضى الله عنه لو صليت ثلاثمائة سنة . أنت على ما أراك عليه لا تجد منة ذرة قال فم يا أستاذ قال لأنك محجوب بنفسك قال أظهدا دواء حتى يتكشف هذا الحجاب قال نعم ولكنك لا تقبل ولا تعمل قال بل أقبل وأعمل ما تقول قال له أبو يزيد اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك بخلاة واملاها جوزا وأجمع حولك صياناً وقل بأعلى صوتك يا صبيان من يصفني صفة أعطه جوزة وادخل سوقك الذى تعظم فيه وأنت على هذه الحالة حتى ينظر اليك كل من عرفك فقال يا أبا يزيد سبحان الله أيقال لمثل هذا وتحسب أنى أفضله فقال له قولك سبحان الله شرك فقال له وكيف فقال أبو يزيد لأنك عظمت نفسك فسبحتها قال يا أبا يزيد لست أقدر على هذا ولا أفضله ولكن دلني على غير هذا حتى أفضله فقال له أبو يزيد أبداً هذا قبل كل شيء حتى تسقط جاهك وتذل نفسك ثم بعد ذلك أعرفك بما يصح لك قال لا أطيق هذا قال انك قد قلت انك تقبل وتعمل وأنا أعلم أن لا مطمع لعبد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسه ويحرق عرائد العامة فمح نغرق له العوائد وتظهر له القوائد اه

وكذلك قصة أنى عمران البردعي مع شيخه أنى عبد الله التاودي بفاس من حلق رأسه ولبسه جلالية وأخذ خبزة يتأدى عليها من يخلصها ففعل جميع ذلك وكذلك قصة شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجنوب من أكله التين عند أشجار الناس وغناؤه بالأسواق وخرا به بالقصر مشهور حتى طوف بها مراراً وكذلك قصة سيدى على العمرانى فخرا به بفاس مشهور كنار على علم سكن السفليات حتى مات رضى الله عنه وكذلك قصة شيخ شيخنا مولاي العري من لبسه الفرارة وسقيه بالقربة وغير ذلك بما هو معلوم فهذه الحكايات تدل على أن الخول ليس هو ما يفهمه العوام من لزوم البيوت والفرار إلى الجبال فذلك هو عين الظهور عند المحققين وإنما الخول هو كما قال الشيخ زروق رضى الله عنه تحقق النفس بوصفها الأدنى وشعورها به أبداً ووصفها الأدنى هو الذل وكل ما ينقل عليها فرجة التحقيق بوصف التواضع وفائدته تحصيل العمل وكال الحقيقة اه

(فان قلت) في فعل هذه الاحوال التعرض لكلام الناس وإيقاعهم في الغيبة (قلت) هذا مبنى على القصد والنية وكل من فعل شيئاً من ذلك فاعما قصده قتل نفسه وتحقيق اخلاصه ودواء قلبه وهم مساعون لمن قال فيهم عاذرون له قال سيدى على في كتابه نحن نعذر من عذرنا ونعذر من لم يعذرنا وقال الشيخ زروق في قواعده (قاعدة) حكم الفقه عام في العموم لأن مقصوده اقامة رسم الدين ورفع مناره وأظهار كلياته وحكم التصوف خاص في الخصوص لأنه معاملة بين العبد

تلقته منى وعنى أخذته ونفى كانت من عطاي ممدق

وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من العلم كربة المكون لا يعلمه إلا العلماء بالله فإذا نطقوا به لا ينكره إلا أهل الفرة بالله قال بعضهم هي أسرار الله يبدئها إلى أمناه أوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة وهي من الاسرار التي لم يطلع عليها إلا الخواص فإذا سمعها العوام أنكروها ومن جهل شيئاً عاداه ومن يكن ذاق مريض يجد مرارة الماء الزلال ويرحم الله البوصيرى حيث يقول :

قد تكرر العين ضوء الشمس من رمد وينكر النعم طعم الماء من سقم
وقال مشايخ الطريقة المنكر علينا كالتين ينكر شهوة الجماع والمزكوم ينكر رائحة المسك الأدنى والمحموم ينكر
حلوة السكر وفي مثلهم قال الشاعر :

وكم غائب ليلى ولم ير وجهها فقال له الحرمان حبك ما فانا

وربه من غير زائد على ذلك فمن صح انكار الفقيه على الصوفي ولم يصح انكار الصوفي على الفقيه ولزم الرجوع من التصوف الى الفقه في الاحكام لافي الحقائق اه (نتيجه) هذه الادوية التي ذكرنا انما هي في حالة المرض وأما من تحقق شفاؤه وكل فناؤه فهو عبد الله سواء أظهره أو أخفاه وفي هذا قال أبو العباس المرسى رضي الله عنه من أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء وعبد الله سواء عليه أظهره أم أخفاه اه

ولما كان التخلص من دقائق الرياء ومخادع النفوس لا يكون في الغالب الا بالفكرة ولا تتم الفكرة الا بالعزلة ذكرها فقال (مانع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة) التفع ايصال الفائدة والقلب القوة المستعدة لقبول العلم والعزلة انفراد القلب بالله وقد يراد بها الخطوة التي هي انفراد القلب عن الناس وهو المراد هنا اذ لا ينفرد القلب في الغالب الا اذا انفراد القلب وميدان بالفتح والكسر في الميم مجال الخيل استعير هنا للأفكار اذ ترددها في مواقعها كتردد الخيل في مجالها والفكرة سير القلب الى حضرة الرب وهي على قسمين فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان على ما يأتي (قلت) لا شيء أنفع للقلب من عزلة مصحوبة بفكرة لأن العزلة كالحمية والفكرة كاللدواء فلا ينفع الدواء من غير حمية ولا فائدة في الحمية من غير دواء فلا خير في عزلة لا فكرة فيها ولا نهوض لفكرة لا عزلة معها اذ المقصود من العزلة هو تفرغ القلب والمقصود من التفرغ هو جولان القلب واشتغال الفكرة والمقصود من اشتغال الفكرة تحصيل العلم وتمكنه من القلب وتمكن العلم بالله من القلب هو دواؤه وغاية صحته وهو الذي سباه الله القلب السليم قال الله تعالى في شأن القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) أي صحيح وقد قالوا إن القلب كالمعدة اذا قويت عليها الاخطا مرضت ولا ينفعها الا الحمية وهي قلة موادها ومنعها من كثرة الإخطا

(وفي الحديث) المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وكذلك القلب اذا قويت عليه الخواطر واستحوذ عليه الحس مرض وربما مات ولا ينفعه الا الحمية منها والفرار من مواطنها وهي الخلطة فاذا اعتزل عن الناس واستعمل الفكرة نجح دواؤه واستقام قلبه والابن سقيما حتى يلقي الله بقلب سقيم بالشك والخواطر الرديئة نسأل الله العافية (قال الجنيد) رضي الله عنه أشرف المجالس الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه ثمار العزلة الظفر بمواهب المنة وهي أربعة كشف الغطاء وتزول الرحمة وتحقق المحبة ولسان الصدق في الكلمة قال الله تعالى (فلا تعذرهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له) الآية اه (واعلم) أن في الخطوة عشر فوائد (الاولى) السلامة من آفات اللسان فان من كان وحده

وأيضاً هذه المسئلة اذا نظرت اليها من حيث العلم والتحقيق احتاجت إلى وجود البحث والتدقيق واذا نظرت اليها من حيث الحال وجدتها مبنية على التسليم والتصديق فان أخذت بالاول ظهر لك من وجوه الانكار ما لا خفاء فيه مع ابقائه على أصل لا تعرفه وان نظرت الى الآخر ظهر لك من موجبات التسليم ما يقتضي لك عدم الكلام بالكلية فلا وجه لاستخلاص الخلاصة الابصرة مبدأ الامور ومتنها قد ذكر منه جملة فيما يأتي وأما كونها مسئلة غريبة فانها غير مألوفة للنفوس ولا متداولة بين الناس ولا معروفة الحقيقة في الجملة فلذلك اعتقدها المعتقد من غير معرفة أصل وأقبل المنتسب اليها على أي وجه كان واتقدها المنتقد شأنها ولم يعرف ما انتقد وشأن قادعها من ليس من أهلها وأخل عليها ما ليس من شأنها كل ذلك بسبب الجهل بها والحرص على الاتساب اليها وعظمت في النفوس لما تقرر من جلالتها والله تعالى اعلم

قال الشيخ زروق رضي الله عنه وانما كان الجواب عنها ردية لان المقام قد يعبر عنه المستشرق عليه الواصل اليه ولا يفرق بينهما الا ذو بصيرة فهذه المسئلة قد يعبر عنها من وصل اليها وذاها وقد يعبر عنها من استشرق عليها بالعلم فلا يخلو الجواب

لا يجد معه من يتكلم وقد قال عليه السلام رحم الله عبداً سكت فسلم أو تكلم ففهم ولا يسل في الغالب من آفاته إلا من أثر الخلوة على الاجتماع وقال شيخ شيوختا سيدي على رضي الله عنه إذا رأيت الفقير يؤثر الخلوة على الاجتماع والصمت على الكلام والصيام على الشبع فاعلم أن حبيبه قد عمل وإذا رأيت يؤثر الخلوة والكلام والشبع على صدها فاعلم أن حبيبه علوى وقال في القوت وفي كثرة الكلام فله الورع وعدم التقوى وطول الحساب ونشر الكتاب وكثرة الطالين وتعلق المظلومين بالظالمين وكثرة الأشهاد من الكرام الكائين ودوام الاعراض عن الملك الكريم لأن الكلام مفتاح كبار اللسان وفيه الكذب وفيه النية والنية والزور والبهتان ثم قال وفي الخبر أكثر خطايا ابن آدم في لسانه وأكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم خوصاً في ماله يعني اه

(الفائدة الثانية) حفظ البصر والسلامة من آفات النظر فإن من كان معزلاً عن الناس سلم من النظر إليهم وإلى ما هم منكبون عليه من زهرة الدنيا وزخرفها قال تعالى (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) فتدبر بذلك النفس من التطلع إليها والاستشراف لها ومنافسة أهلها وقال محمد بن سيرين رضي الله عنه إياك وفضول النظر فانها تؤدي إلى فضول الشهوة وقال بعض الأدباء من كثرة لحظاته دامت حسراته وقالوا إن العين سبب العين أي الهلاك ومن أرسل طرفه اقتصر حقه وإن النظر بالبصر إلى الأشياء يوجب قفرة القلب اه

(الفائدة الثالثة) حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداينة وغيرهما من الأمراض (قال) بعض الحكماء من غالط الناس داراهم ومن داراهم راءاهم ومن داراهم وقع فيها وقموا فهلك كما هلكوا وقال بعض الصوفية قلت لبعض الأبدال المنقطعين إلى الله كيف الطريق إلى التحقيق قال لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة (قلت) لا بد لي قال فلا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة (قلت) لا بد لي قال فلا تعاملهم فإن معاملتهم خسران وحسرة ووحشة قلت أنا بين أظهرهم لا بد لي من معاملتهم قال فلا تسكن إليهم فإن السكن إليهم هلكة قلت هذا لعله يكون (قال) يا هذا تنظر إلى اللاعين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتسكن إلى المالكين وتريد أن تجد حلوة الطاعة وقلبك مع غير الله هيات هذا لا يكون أبداً ثم غاب عني (وقال) القشيري رضي الله عنه فأرباب المجاهدة إذا أرادوا صون قلوبهم عن الخواطر الرديئة لم ينظروا إلى المستحسنات أي من الدنيا قال وهذا أصل كبير لهم في المجاهدات في أحوال الرياضة (الفائدة الرابعة) حصول الزهد في الدنيا والقناعة منها وفي ذلك شرف العبد وكاله وسبب محبته عند مولاه لقوله صلى الله عليه وسلم ازهد في الدنيا يحبك الله ازهد فيها في أيدي الناس يحبك الناس اه ولا شك أن من انفرد

من رية هل صدر من صاحب ذوق وصاحب حال لكن كلام العارف لا يغني عن أهل الفن أبداً ولا تخو الأرض من قائم لله بحجته فاقاله الناظم ليس على عمومهم فقد يتحقق الجواب عنها من العارفين ولا رية فيه ولا شبهة والله تعالى أعلم ولما كان من كتم أنعم مذموماً وبلعام من النار ملجوماً غاف الشيخ أن يتخبط في سلك من كتم علماً فأجاب السائل بما هو في ذوقه حاصل فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولذلك قال

وإذا تهديت إلى الصواب ولم يكن بد من الجواب

فهر على الجملة والتفصيل منحصر في خمسة فصول

قلت تهديت إلى كذا وتهديت إليه واحد ومعناه سلكك الطريق إلى الوصول إليه ومنه قوله تعالى (أمن لا يهدي) على قراءة ورش والصواب الحق المبين والبد الفرار والهروب ويقال لا بد أن تفعل أي لا فرار لك ولا هروب من الفعل أولاً بحالة منه قاله في القاموس بمعناه والجملة ما كان محموراً والتفصيل ما كان مفراً والنصول جمع فصل وهو القلمة من

عن الناس ولم ينظر إلى مام فيه من الرغبة في الدنيا والانكباب عليها يسلم من متابعتهم في ذلك ويسلم من متابعة الطباع الرديئة والأخلاق الدنيئة وقل من يخاطبهم أن يسلم من مام فيه وقدرى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى تموت قلوبكم قالوا من الموتى ياروح الله قال المحبون في الدنيا الراغبون فيها (القائدة) الخامسة السلامة من حجة الأشرار ومخالطة الأردال وفي مخالطهم فساد عظيم وخطر جسيم ففي بعض الأخبار مثل الجليس السوء كمثل الكبر إذا لم يحركك بشره على بك من ريحه وقال سيدى عبد الرحمن المجذوب رضى الله عنه الجلسة مع غير الأخيار ترذل ولو تكون صافياً (أوحى الله) تعالى إلى داوود عليه السلام ياداوود مالى أراك متبذاً وحدانياً فقال إلهى قلت الخلق من أجلك فقال ياداوود كن يقظان وارند لنفسك إخواناً وكل أخ لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبها فانه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى اه فان أردت الصبحة فليكن بصحة الصوفية فإن صحبتهم كنز لا تفادله قال الجنيد رضى الله عنه إذا أراد الله بعد خيراً أوقعه إلى الصوفية ومنعه حجة القراء

(وقال) آخر واقه ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح (القائدة) السادسة التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر ولا شك أن العبد إذا كان وحده تفرغ لعبادة ربه وانجمع عليها بموارحه وقلبه لفة من يشغله عن ذلك قال في القوت وأما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بالخالق وتقوى العزم على الثبات الخ كلامه (القائدة) السابعة وجدان حلاوة الطاعات وتمكن لذيق المناجاة لفرغ سره وهذا مجرب صحيح قال أبو طالب ولا يكون المريد صادقا حتى يجد في الخلوة من الخلاوة والنشاط والقوة ما لا يجده في العلانية وحتى يكون أنسه في الوحدة وروحه في الخلوة وأحسن أعماله في السراة

(القائدة) الثامنة راحة القلب والبدن فإن في مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب بالاهتمام بأمرهم وتعب البدن بالسعى في أغراضهم وتكثير مرادهم وإن كان في ذلك الثواب فقد يفوته ما هو أعظم وأهم وهو جمع القلب في حضرة الرب (القائدة) التاسعة صيانة نفسه ودينه من التعرض للشروء والخصومات التي توجهها الخلطة فان النفس تولمأ وتسرعا للخوض في مثل هذا إذا اجتمعت بأرباب الدنيا وزاحمتهم فيها وللشافعي رضى الله عنه :

ومن يذق الدنيا فاقى طعمتها وسبق إلى عذابها وعذابها
فلم أرها إلا غرورا وباطلا كالأح في ظنير القلاة سراها

الكلام وهو في كلام الناظم بدل من خمسة بالتتوين لامضاف لإخلاله بالوزن يقول رحمه الله وأنت أيها السائل حين اهتديت إلى الصواب بتوجيهك إلى طلب الوصول إلى رب الأرباب فأسألت عن تبيين الطريق والوصول إلى عين التحقيق لزمى أن أجيئك ولم يكن لي بد ولا مهرب من الجواب لأن الله تعالى أخذ على العلماء أن لا يكتتموا العلم فقال تعالى (إن الذين يكتتمون ما أنزلنا) الآية وقال تعالى (لتيئنه للناس ولا تكتمونه) ولقوله عليه السلام من سئل عن علم نافع فكتمه ألجمه الله بلجام من النار وهذا لمن كتمه مع توفر الشروط وهو استحقاق ذلك وأهليته فان لم توفر الشروط فلا يجب إظهاره لاسياعلم السر وقد اختلف المشايخ هل لا يبذل عنهم إلا لأهله وهو مذهب أبي الحسن التورى أو يبذل لأهله ولغير أهله العلم أحمى جانب من أن يصل إلى غير أهله وهذا مذهب إمام الطائفة أبي القاسم الجنيد رضى الله عنه إذ قيل له كم تنادى على الله بين يدي العامة فقال له لكننى أنادى على العامة بين يدي الله تعالى اه قلت وفي كلامه رضى الله عنه الغار وتسرت ومعناه لكننى أنادى على عامة من حضرتى من مظاهر الحق بين يدي الله قلت ومن سلك مذهب الجنيد شيخ أشياخنا سيدى على

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها عشت سلا هلم وان تجتنبها فاهشتك كلابها
فطوبى لنفس أوطأت قعر بيتها مغلقة الأبواب مرخى حجابها

(الفائدة) العاشرة التمكن من عبادة التفكير والاعتبار وهو المقصود الأعظم من الخلوة وفي الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة وكان عيسى عليه السلام يقول طوبى لمن كان كلامه ذكرا وصمته تفكرا ونظره عبدة ، وإن أكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، وقال كعب من أراد شرف الآخرة فليكثر من التفكير وكان أفضل عبادة أبي البرداء التفكير وذلك لأنه يصل به إلى حقائق الأشياء وتبين الحق من الباطل ويطلع بها أيضا على خفايا آفات النفوس ومكائدها وغرور الدنيا ويتعرف بها وجوه الحيل في التحرز عنها والعلامة منها .

(قال) الحسن رضى الله عنه الفكرة مرآة تترك حسنك من سيئك ويطلع بها أيضا على عظمة الله وجلاله إذا تفكر في آياته ونعماته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلاله الجلية والحقية فيستفيد بذلك أحوالاً سنية يزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه قال الشيخ ابن عباد رضى الله عنه فهذه ثمرات عزلة أهل البداية وأما أهل النهاية فغمرتهم مصحوبة معهم ولو كانوا وسط الخلق لأنهم أقوياء رضى الله عنهم محجوبون بالجمع عن الفرق وبالمعنى عن الحسن استوى عندهم الخلوة والخلطة لأنهم يأخذون النصب من كل شيء ولا يأخذ النصب منهم شيئا وفي هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المعجذب رضى الله عنه

الخلق نوار وأنا أدريت فيهم هم الحجاب الأكبر والمداخل فيهم

فان أضاف المرید إلى العزلة والصمت والجوع والسهر فقد كملت ولايته وظهرت عنايته وأشرقت عليه الأنوار وانمحت من مرآة قلبه صور الاغيار وقد أشار الشيخ إلى بعض ذلك متعجبا من ضده فقال (كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته) يشرق بضم الياء أى يستير ويضئ وصور الأكوان أشخاصها وتماثيلها الحسية والمعنوية والأكوان أنواع المخلوقات دقت أو جلت ومنطبعة أى ثابتة وانطبع الشيء في الشيء ظهر أثره فيه والمرآة بكسر الميم آلة صقيلة ينطبع فيها ما يقابلها فكلمة قوى صقلها قوى ظهور ما يقابلها فيها واستعيرت هنا للبصرة التى هي عين القلب التى تتجلى فيها الأشياء حسنها وقبحها (قلت) جعل الله قلب الإنسان كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها وليس لها إلا وجهة واحدة فإذا أراد الله عنايته بعد شغل فكره بأنوار ملكوته وأسرار جبروته ولم يعلق قلبه بحجة شيء من

العلمانى رضى الله عنه حتى كان يسمى في زمانه المبذر ولذلك تجد أهل فاس كثيرا منهم يخوض في علم الحقيقة من غير عمل ولا ذوق وأخذ الجمهور بمذهب أبي الحسن التورى فكانوا لا يتكلمون في الحقيقة وعلم السر إلا مع أهله في موضع خال وربما سدوا الأبواب غيرهم على سر الروبوية أن يتبدل وينادى عليه بلسان الاشترار وفي الحكم عباراتهم وأما الفيضان وجد أو قصد هداية مرید فالأول معزول لثبته وجهه والثانى مأمور لهديته من هو أهله والله تعالى أعلم ثم ذكر برنامج الكتاب وانه محصور في خمسة فصول فينبأ بقوله

أولها في أصله والثانى في فضله على مدى الأزمان
وثالث الفصول في أحكامه وحين يستوى على أقدامه
والرابع الرد على من رده وليس يدري شأنه وقصده
والخامس يعلم كيف صيرا حتى غدا بين الأنام منكرا

الأكران الظلمانية والخيالات الوهمية فانطبع في مرآة قلبه أنوار الإيمان والإحسان وأشرقت فيها أفكار التوحيد وشموس العرفان وإلى ذلك أشار الششتري في بعض أزجاله بقوله ، اغض الطرف ترى ، وتلوح أخبارك ، وافن عن ذي الورى ، تبدو لك أسرارك ، وبصقل المرى ، به يزول انكارك ، ثم قال : الفلك فيك بدور ، وبضئ ويلمع ، والشموس والبدور فيك تنيب وتطلع ، أى وبصقل مرآة قلبك يزول إنكارك للحق فتعرفه في كل شئ . فيصير قلبك قلب تلك الأنوار فيه تبدو أفكار التوحيد وشموس العرفان

وإذا أراد الله تعالى خذلان عبد بعده وحكمته أشغل فكره بالأكران الظلمانية والشهوات الجسدية فانطبع تلك الأكران في مرآة قلبه فانعجب بظلماتها الكونية وصورها الخالية عن إشراق شموس العرفان وأنوار الإيمان فكلما تراكت فيها صور الأشياء انطمس نورها واشتد حجابها فلا ترى إلا الحس ولا تفكر إلا في الحس فتها ما يشتد حجابها وينطمس نورها بالكلية فتشكر وجود التور من أصله وهو مقام الكفر والعباد باقة ومنها ما يقل صداها ويرق حجابها فتقر بالتور ولا تشاهده وهو مقام عوام المسلمين وهم متفاوتون في التقرب والبعد وقوة الدليل وضعفه كل على قدر يقينه وقلة تعلقاته الدنيوية وعوائقه الشهوانية وخيالاته الوهمية (وفي الحديث) إن القلوب تصدأ كما تصدأ الحديد وأن الإيمان يخلق أى يبلى كما يخلق الثوب الجديد الحديث (وفي حديث) آخر لكل شئ مصقلة ومصقلة القلوب ذكر الله وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكثت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر صقلت وإن عاد زيد فيها حتى تملأ قلبه فذلك الران الذى ذكره الله (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أو كما قال عليه السلام وإذا علمت أن القلب ليس له إلا وجهة واحدة إذا قابلها النور أشرقت وإذا قابلتها الظلمة أظلمت ولا تجتمع الظلمة والنور أبداً علمت وجه تعجب الشيخ بقوله كيف يشرق قلب بنور الإيمان والإحسان وصور الأكران الظلمانية منطبعة في مرآة قلبه فالضدان لا يجتمعان قال الله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فمالك أبها الفقير إلا قلب واحد إذا أقبلت على الخلق أدبرت عن الحق وإذا أقبلت على الحق أدبرت عن الخلق فترحل من عالم الملك إلى الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت وما دمت مقيداً في هذا العالم بشهواتك وعوائدك فلا يمكنك الرحيل إلى ربك وإلى ذلك أشار بقوله (أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته) الرحيل هو التورض والانتقال من وطن إلى وطن وهو هنا من نظر الكون إلى شهود الكون

قلت أصل الشئ قاعدته وأساسه الذى بنى عليها ومدى الشئ غايته ونهايته يقول رحمه الله قد ذكرت في هذا الكتاب من مبادئ علم التصوف أربعة أمور وهى موضوعه وواضعه وفضيلته وقاعدته أما الموضوع والواضع فيؤخذان من ذكر أصله وأما فضيلته وثمرته فتؤخذ من ذكر فضله فإن فضيلة الشئ لا تكمل إلا بمصروف ثمرته وبقي من المبادئ ستة مجموعها عشرة وهى جارية في كل فن من فنون العلم فالخلاق من أهل العلم يقدمون ذكرها قبل الشروع في ذلك الفن وقد نظمها بعضهم فقال

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| الحد والموضوع ثم الواضع | والاسم الاستمداد حكم الشارع |
| تصور المسائل القضية | ونسبة قائمة جلية |
| حق على طالب علم أن يحيط | بهم ذى البشارة ميزها ينيط |
| يعلمها قبل الشروع في الطلب | لكى يكون مبعراً بما طلب |

وقد ذكرتها بنهاها في أول شرحنا على الحكم فليظنوه من أرادها والمراد بالأحكام ما يلزم المرید من الآداب في

أو من الملك إلى الملوك أو من الوقوف مع الأسباب إلى رؤية مسبب الأسباب أو من وطن الغفلة إلى اليقظة أو من حفظ النفس إلى حقوق الله أو من عالم الأكدار إلى عالم الصفا أو من رؤية الحس إلى شهود المعنى أو من الجهل إلى المعرفة أو من علم اليقين إلى عين اليقين أو من عين اليقين إلى حق اليقين أو من المراقبة إلى المشاهدة أو من مقام السائر إلى وطن المتكئين والمكبل هو المقيد والمراد بالشهوات كل ما تشبهه النفس وتميل إليه (قلت) الرجل مع التكبل لا يجتمعان فإدام القلب محبوساً بالليل إلى شيء من هذا العرض الفاني ولو كان مباحاً في الشرع فهو متيد به ومكبل في وطنه فلا يرحل إلى الملوك ولا تشرق عليه أنوار الجبروت فتعلق القلب بالشهوات مانع له من النهوض إلى الله لا شغاله بالالتفات إليها وعلى تقدير النهوض معها تكون مضطربة له عن الإسراع بالليل إليها وعلى تقدير الإسراع فلا يأمن العثار معها لأنس النفس بها ولذلك ترك الأكبر لذتها حتى قال بعضهم لدغ الزناير على الأجسام المقرحة أيسر من لدغ الشهوات على القلوب المترجعة اهـ

قال الشيخ زروق رضى الله عنه (قلت) هذا إن تعلق القلب بطلبها قبل حصولها وإلا فلا لعدم تعلق القلب بها وقد تقدم في حقيقة التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة وكان شيخنا رضى الله عنه يقول إن شئت أن أقسم لكم لا يدخل عالم الملوك من في قلبه علاقة اهـ فاطلع عنك يا أخى عروق العلائق وفر من وطن العوائق تشرق عليك أنوار الحقائق ولهذا كانت السياحة والهجرة من الأمور المؤكدة على المريد إذ الإقامة في وطنه الحسى لا يتخلو معها من التعلقات الحسية وقد قالوا الفتيقير كالماء إذا طال في موطن واحد تغير وإذا جرى عذب وبقدراً يسير في الحس يسير في المعنى ويقدر ما يسير القالب يسير القلب والهجرة سنة نبوية ومنذ هاجر النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن له راحة إلا في السفر للجهاد حتى فتح الله عليه البلاد وكذلك الصحابة رضوان الله عليهم لم يستقر في وطنه إلا القليل منهم حتى فتح الله على أيديهم سائر البلاد وهدى الله بهم العباد فنعنا الله ببركاتهم آمين وإذا رحل القلب من وطن شهواته وتطهر من لوث غفلاته وصل إلى حضرة ربه وتعم بشهود قربه ولذلك أشار بقوله (أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم ينظر من جنابة غفلاته) الحضرة هي حضور القلب مع الرب وهو على ثلاثة أقسام حضرة القلوب وحضرة الأرواح وحضرة الأسرار وحضرة القلوب للسائرين وحضرة الأرواح للمستترفين وحضرة الأسرار للمتكئين (أو تقول) حضرة القلوب لأهل المراقبة وحضرة الأرواح لأهل المشاهدة وحضرة الأسرار لأهل المكاملة وسر ذلك أن الروح مادامت تتقلب بين الغفلة والحضرة كانت في حضرة

معاملة وتصرفاته وقد حصرها في تسعة على ما يأتي إن شاء الله (وقوله) وحين يستوى على أقدامه معناه أنه ذكر في ذلك الفصل أحكام التصوف وآدابه من أوله إلى نهايته فإذا عرف ذلك فقد علم التصوف ونهض على أقدامه كناية عن معرفته وقوله (وغناس) الخ يعني إنه ذكر في الفصل الخامس كيف تغير علم التصوف حتى صار منكراً بين الناس بعد أن كان معروفاً مشهوراً وباقى الكلام واضح بقوله والله تعالى أعلم ثم ذكر تسمية الكتاب لأنها من مقدماته ومن الأمور المهمة فقال

وبعد ما فصلته فصولاً وعاد بتجليها موصولاً

ميتها للباحث الأصلية عن جملة الطريقة الصوفية

قلت ألبت بالثناء القطع وفي الحديث النبى لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى أى المتقطع وهو هنا استمارة لتفرق المسائل قبل جمعها في هذا الكتاب ويؤخذ منه أن تسمية الكتاب مؤخره عن كمال التأليف أو يكون جمعها في ذهنه وعزم على تأليفها والمباحث جمع مبحث وهو ما يحدث عنه أو فيظهر اسم مكان لأن كتابه جملة عملا للبحث والتفتيش عن أحوال

القلوب فإذا استراحت بالوصال سميت روحاً وكانت في حضرة الأرواح وإذا تمكنت وتصف وصارت سرّاً من أسرار الله سميت سرّاً وكانت في حضرة الأسرار والله تعالى أعلم

(قلت) الحضرة مقدسة منزّهة مرفوعة لا يدخلها إلا المطهرون فحرام على القلب الجنب أن يدخل مسجد الحضرة وجنابة القلب غفلته عن ربه قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْباً إِلَّا عَابِرِ سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا، أَمْ لَا تَقْرَبُوا صَلَاةَ الْحَضَرَّةِ وَأَنْتُمْ سُكَارَى بِجِبِّ الدُّنْيَا وَشُهُودَ السُّوَى حَتَّى تَتَّقُظُوا وَتَتَدَبَّرُوا مَا تَقُولُونَ فِي حَضَرَةِ الْمَلِكِ وَلَا جُنْباً مِنْ جَمَاعِ الْغَفْلَةِ وَشُهُودِ السُّوَى حَتَّى تَتَطَهَّرُوا بِمَاءِ الْغَيْبِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْحَاجِمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا فِي الطَّبَقَاتِ الشَّعْرَانِيَّةِ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الْمَوَاهِبِ بِقَوْلِهِ

توضاً بماء الغيب إن كنت ذاسر وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر
وقدم إماماً كنت أنت إمامه وصل صلاة الظهر في أول العصر
فهذه صلاة العارفين بهم فإن كنت منهم فاضنع البر بالبحر

يعنى تطهر من شهود نفسك بماء الغيبة عنها بشهود ربك أو تطهر من شهود الحس بشهود المعنى أو تطهر من شهود عالم الشهادة بماء شهود عالم الغيب أو تطهر من شهود السوى بماء العلم بآفة فانه يغيب عنك كل ماسواه وإذا تطهرت من شهود السوى تطهرت من العيوب كلها وإلى ذلك أشار الششتري رضى الله عنه بقوله

طهر العين بالدماع سكباً من شهود السوى زل كل علة

وهذا الماء الذى هو ماء الغيب هو النازل من صفاء بحار الجبروت إلى حياض رياض الملكوت قفزة سحاب الرحمة وتثيره رياح الهداية فتنسوق إلى أرض النفوس الطيبة فتصل منه أودية القلوب المنورق وخلقان الأرواح المطهرة وإليه الإشارة بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً راياء) الآية شبه الحق تعالى العلم النافع بالمطر النازل من السماء فكما أن المطر تنعم منه الأودية والقدرة وتجري منه العيون والأنهار كل على قدر سعته وكبره كذلك العلم النافع نزل من سماء عالم الغيب إلى أرض عالم الشهادة فسالت به أودية القلوب كل على قدر طاقته وحسب استعداده وكما أن المطر يطهر الأرض من الأوساخ وهو معنى قوله تعالى فاحتمل السيل زبداً راياء أى مرتفعاً على وجه الماء كذلك العلم النافع يطهر النفوس من الأدناس والقلوب من الاغيار والأرواح من الأكدار والأسرار من لوث الأنوار وهذا الماء

الصوفي وسيرهم (يقول) رحمه الله وبعد ما فصلت هذا الكتاب فصلاً خمسوا صار جل تلك الفصول بعد قطعه وصولاً بحيث نظمت جواهره في سلك عقده فصارت جواهره فصوله ويراقت تراجمه موصولة في سلك واحد سميت حينئذ المباحث الأصلية لأنها تبحث عن أصول الطريقة وتحقق مبادئها وهذه الطريقة هي طريقة الصوفية وهي الموضوعة لكيفية تهذيب القلوب وتصفيتها من الرذائل وتحليتها بالفضائل لتتأهل بذلك لمعرفة الحق تعالى المعرفة الحقيقية التي هي معرفة البيان بطريق النطق والوجدان واختلف في اشتقاق التصوف على أقوال كثيرة أحسنها أنه من الصفا لأن مداره على التصفية وإليه أشار بعضهم بقوله

تخالف الناس في الصوفي واختلفوا وكلهم قال قولاً غير معروف
ولست أمتح هذا الاسم غير قتي صافى فصوفى حتى يسمى الصوفى

قال أبو حمزة البنادى علامة الصوفى الصادق أن يفتخر بعد الفنى ويذل بعد العز ويخفى بعد الشهرة وعلامة الصوفى

هو الذى أشار بقوله توحاً بماء الغيب ان كنت ذا سرأى كنت صاحب سر والشهود شهود الوحدة ونفى الكثرة أو شهود العظمة بالعظمة ومن لم يتحقق بهذا فلا يمكنه التطهير بماء الغيب بالكلية لفقده ذلك الماء أو لعدم قدرته عليه فيقتل التيمم الذى هو رخصة للضعفاء وطهارة المرضى وإلى ذلك أشار بقوله وإلا تيمم بالصعيد أو بالصخر أى وإن لم تقدر على الطهارة الأصلية وهى الغيبة عن السوى لمرض قلبك مع عدم صدقك فانتقل للطهارة الفرعية التى هى العبادة الظاهرية . (أو تقول) وإن لم تقدر على الطهارة الحقيقية التى هى الطهارة الباطنية فانتقل للطهارة المجازية التى هى الطهارة الظاهرية .

(أو تقول) وإن لم تقدر على طهارة المقرين فانتقل لطهارة أهل التيمم .

(أو تقول) وإن لم تقدر على طهارة أهل المحبة فانتقل لطهارة أهل الخدمة قوم أقامهم الله لخدمته وقوم اختصهم بحبته (كلا عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك حظوراً) فطهارة أهل المحبة الفكرة والنظرة وطهارة أهل الخدمة بالمجاهدة والمكابدة بين عبادة ظاهرة كصلاة وصيام وذكر وتلاوة وتعليم وغير ذلك وبين عبادة خفية كخوف ورجاء وزهد وصبر وورع ورضى وتسليم ورحم وشفق وغير ذلك مما لا يظهر للعيان وهذا هو تصوف أهل الظاهر وأما تصوف أهل الباطن فهو الغيبة عن الأكوان بشهود المكون أو الغيبة عن الخلق بشهود الملك الحق وهو الذى عبر عنه الناظم بماء الغيب فكل من لم يدرك تصوف أهل الباطن فهو من أهل التيمم فإن كان مشغولاً بالعمل الظاهر كالصلاة والصيام ونحوهما فهو كالتييمم بالصعيد لظهورها كظهور أثر التراب على الجوارح وإن كان مشغولاً بالعبادة الخفية كالزهد والورع ونحوهما فهو كالتييمم بالصخر لعدم ظهورها فى الغالب كعدم ظهور أثر الصخر ولما أمرك بالغيبة عن السوى خاف عليك أنكار الواسطة وإسقاط الحكمة فتقع فى الزنقة فقال وقسم إماما كنت أنت إمامه والمراد بالإمام هو النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان على قدمه من جمع بين الحقيقة والشرعية فأمرك باتباع الشريعة المحمدية فى حال غيبتك عن السوى فيكون ظاهرك سلوكاً وباطنك جذباً بظاهرك مع الحكمة وباطنك مع القدرة ولا بد أن تقتدى بإمام كامل سلك الطريقة على يد شيخ كامل يعلمك كيفية العمل بالشرعية وبذلك على الحقيقة ولا يبيت مريضاً على الدوام تستعمل طهارة المرضى على الدوام وانظر قول القرافى رضى الله عنه لما سقط على شيخ التزية قال تيممت بالصعيد زماناً والآن سقطت على الماء إذ لا تجد ماء الغيب ولا تقدر على استعماله إلا بصحبة أهل هذا الماء الذين شربوه وسكروا به ثم صحوا من سكرتهم وسلكوا من جذبتهم فمسلحهم زمام أمرك وتقاد إليهم بكتيكك بعد أن أطلعتك الله على خصوصيتهم وكشف

الكذاب أن يستخفى بعد الفقر ويعز بعد الذل ويشتر بعد الخفا (وقال) بعضهم لا يد للوصوفى أن يتحقق بمعاني حروفه فالصا د صفاءه والواو فاؤه والفاء فئاؤه والياء يقيته وكذلك الفقير يتحقق بمعاني حروفه فالفاء فئاؤه والقاف فقهه والياء يقيته والراء رحمته ورأفته وبالله التوفيق ثم دعا لمن قرأ كتابه أو طالعاه أو شرحه أو اعتد كاله فقال :

غنى يارب أمراً حياها وركه يوماً متى زكاه

قلت التحية فى الأصل دعاء بطول الحياة كانت العرب إذا لقوا كبراً قالوا أطال الله حياتك وأبقاك الله أو أطال عمرك ثم انتقل إلى السلام وهى تحية أهل الاسلام وهو أيضاً تحية أهل الجنة والتزكية التطهير أو التتية والترفع (يقول) رحمه الله اللهم حي أى سلم أمراً حيا كتابنا بالقبول والعظيم والترفع وطهره من دنس الذنوب ودرن العيوب وغش الحس وغين الأفيار وطلبه الأكوان بتجدد ذلك التطهير متى ما زكى كتابنا بقوله أو العمل بما فيه أو التناء عليه أو البحث عن معانيه (و) قد كان الشيخ التباع يربى أصحابه بهذا الكتاب (و) كان الغزوانى يربى أصحابه بالشرعية يعنى الرأية

لك عن أسرارهم فتشهدت لهم روحك بالتقديم وسرك بالتعظيم فتقدمهم أمامك بعد أن كنت أنت امامهم وهم يطلبونك للحضرة وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو الناس إلى الله وهم فارون أمامه فلما عرفوا الحق قدموه أمامهم وهذا معنى قوله كنت أنت امامه وقوله وصل صلاة الفجر في أول العصر وفي بعض النسخ وصل صلاة الظهر في أول العصر أى اجتمع ظهر الشريعة لعصر الحقيقة وفي أكثر النسخ وصل صلاة الفجر في أول العصر أى ارجع إلى البقاء بعد كمال الفناء أو إلى السلوك بعد الجذب إذ الغالب على المرید أن يتقدمه السلوك ثم يأتيه الجذب فأوله سلوك وآخره جذب كما أن أول النهار صلاة الفجر وآخره صلاة العصر أى ارجع إلى صلاة الفجر التي كانت في أول نهارك فصلها في آخر نهارك فارجع إلى السلوك الذي كان في أول أمرك فاجعله في آخر أمرك وهو معنى قولهم منتهى الكمال مبدأ الشرائع وقالوا أيضاً نهاية السالكين بداية المجنوبين ونهاية المجنوبين بداية السالكين وقالوا أيضاً علامة النهاية الرجوع إلى البداية وسيأتي الكلام على هذا في محله إن شاء الله وقوله فهذه صلاة العارفين برهم لأنهم تطهروا الطهارة الأصلية وصلوا الصلاة الدائمة قال الله تعالى : الذين هم على صلاتهم دائمون ، فالعوام حد صلاتهم وأوقاتهم والعارفون في الصلاة على الدوام قيل لبعضهم هل للقلوب صلاة فقال نعم إذ سجد لا يرفع رأسه أبداً أى إذا سجدت الروح لهية الجلال والجلال لا ترفع رأسها أبداً وإليه أشار الششتري بقوله فاسجد لهية الجلال عند التلاني ، ولتقر آية الكمال سبع المثاني ، وقوله فإن كنت منهم فانضح البر بالبر أى فإن كنت من العارفين المحققين فانضح بر شريعتك ببحر حقيقتك بحيث ترش على شريعتك من بحر حقيقتك حتى تمرها وتقطبها قصير الشريعة عين الحقيقة والحقيقة عين الشريعة حتى يصير عمك كله باقة والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإذا دخل القلب حضرة القدس وعمل الأنس فهم دقائق الأسرار وملىء بالمواعب والأنوار وإلى ذلك أشار بقوله (أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته) الرجاء تعنى الشيء مع السعى في أسبابه وإلا فهو أمنية والفهم حصول العلم المطلوب ودقائق الأسرار غوامض التوحيد والتربة الرجوع عن كل وصف ذمى إلى كل وصف حميد وهذه توبة الخواص والمفوقات جمع هفوة وهى الزلة والسقطة (قلت) فهم دقائق الأسرار لا يكون أبداً مع وجود الأصرار (أو تقول) فهم غوامض التوحيد لا يكون إلا بقلب فريد فمن لم يتب من هفواته ويتحرر من رق شهواته فلا يطلع في فهم غوامض التوحيد ولا يدنو أسرار أهل التوحيد (قال) أحمد بن

والكن الباحث أفيد لأهل القلوب والله تعالى أعلم ثم شرع في المقصود فقال رحمه الله (الفصل الأول في أصله) قلت ذكر: أصله من جهتين من جهة الذوق والوجدان ومن جهة دليل الشرع والبرهان حتى لا يجد المنكر له مقالا ولا طاعان فيه مساغوا قدم الأول فقال :

واعلم بأن هذه الطريقة بحث عن التحقيق للحقيقة

قلت البحث هو التفتيش يقال بحث عن كذا فحصر عنه وبحث في الأرض أخرج ترابها والتحقيق إدراك الشيء من أصله والحقيقة ذات الشيء موأله وحقيقة الإنسان ماهيته ومادته (وأما) في اصطلاح الصوفية فهى كشف رداء الصون عن مظهر الكون فيفى من لم يكن وبقى من لم يزل وهى عديم نتيجة التصفية التى هى الطريقة والطريقة نتيجة الشريعة فالشريعة هى اصلاح الجوارح الظاهرة وهى تدفع إلى الطريقة التى هى اصلاح السرائر الباطنة وهى أيضاً تدفع إلى الحقيقة التى هى كشف الحجاب ومشاهدة الأحباب من داخل الحجاب فالشريعة أن تبيد والطريقة أن تصدده والحقيقة أن تنهده (يقول) رضى الله عنه واعلم بأن هذه الطريقة التى سألت عنها وهى طريقة للصوفية هى بحث وتفتيش عن تحقيق الحقيقة

أبي الخوارى وسمعت شيخى أبا سليمان الدراوى رضى الله عنه يقول إذا اعتادت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يودى إليها عالم علما قال أحمد بن حنبل صدقت يا أحمد وصدق شيخك ما سمعت في الإسلام بحكاية أعجب إلى من هذه من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقيل للجنيدي رضى الله عنه كيف الطريق إلى التحقيق قال بتوبة تزيل الأصرار وخوف يقطع التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس فقرها من الأجل وبعدها من الأمل قليل له بماذا يصل إلى هذا فقال بتلب مفرد فيه توحيد مجرد اه فاذا انفرد القلب بالله وتخلص مما سواه فهم دقائق التوحيد وغوامضه التي لا يمكن التعبير عنها وإعماهى رموز وإشارات لا يفهمها إلا أهلها ولا تقضى إلا لهم وقيل مام ومن أفشى شيئا من أسرارها مع غير أهلها فقد أباح دمه وتعرض لقتل نفسه كما قال أبو مدين رضى الله عنه .

وفي السر أسرار دقائق لطيفة ترائى دما ناجرة لو بها يحنا
(وقال آخر)

ولي حبيب عزيز لا أبوح به أخشى فضيحة وجهي يوم ألقاه
وهذه الأسرار هي أسرار الذات وأنوار الصفات التي تجلي الحق بها في مظهر الأكوان وإلى ذلك أشار بقوله (الكون كله ظلة وإنما أناره ظهور الحق فيه) الكون ما كونه القدرة وأظهرته للعيان والظلة ضد النور وهي عدمية والنور وجودى وأناره أى صيره نورا وظهور الحق تجليه :

(قلت) الكون من حيث كونه وظهور حسه كله ظلة لأنه حجاب لمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه ولأنه يحجب يغطي شمس المعاني لمن وقف مع ظاهر حس الأواني واليه أشار الشترى بقوله لا تنظر إلى الأواني ، وخض بحر المعاني لملك ترائى ، فصار الكون بهذا الاعتبار كله ظلة وإنما أناره تجلي الحق به وظهوره فيه فن نظر إلى ظاهر حسه رآه حسا ظاهريا ومن نقد إلى باطنه رآه نورا ملكوتيا قال تعالى (الله نور السموات والأرض) فحصل أن قول الشيخ الكون كله ظلة إنما هو في حق أهل الحجاب لا انطباع ظاهر صور الأكوان في امرأة قلوبهم وأما أهل العرفان فقد نفذت بصيرتهم إلى شهود الحق فراوا الكون نورا فائضا من بحر الجبروت فصار الكون عندهم كله نورا قال الله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) أى من نور ملكوته وأسرار جبروته أو من أسرار المعاني القائمة بالأواني (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله احتجب عن أهل السماء كما احتجب عن أهل الأرض وإن أهل الملأ الأعلى ليطالبونه بما تطالبونه أنهم وأنه

وادرأكم ذوقا وحالا واللام في الحقيقة لام التمدية كقوله هذا تحقيق لهذا أى تحقيقه في الحقيقة وما أنا أقدم لك مقدمة يسهل بها فهم ما يذكره الناظم في هذا الأصل فنقول وبالله التوفيق ومن الله الامداد والتسديد (اعلم) أن الحق جل جلاله واحد في ملكه لا شريك معه ولا ضله ولا ندله كان ولا شيء معه وهو الآن على ما كان عليه كان في أول أزليه لطيفا خفيا حكيا قديرا لطيفا لا يدرك خفيا لا يعرف قائما بذاته متصفا بمعاني أسمائه وصفاته فأراد سبحانه أن يعرف بذاته وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته فأظهر قبضة من نوره اللطيف فتكثفت بقدرته ليتبها بها التعريف ثم تنوعت على عدد أسمائه وصفاته فلما ظهرت تلك القبضة النورية تجلي فيها باسمه الباطن فبطنت في ظهورها وكنت في مظاهرها فالأشياء كلها مظاهر للحق لكن لا بد الحسناء من نقاب وللشمس من سحب فتسجعت تلك الخمرة اللطيفة الأزلية بقدرتها رداء واكتست بحكمتها إزارا فالت العظمة إزارى والكبرياء رداى فن نازعى واحدا منهما فصمت ثم اختلفت تلك الحكمة في نسجها وغزلها فنهامرق غزله ولطف نسجه فكان فيه النور قريبا من الظهور ومنها ما غلظ غزله وكثف نسجه ففنى النور لاجل غلظ الستور ثم أن الذى

ما حل في شيء ولا غاب عن شيء وهذه المعاني إنما هي أخواق لا تندرك بالعقل ولا ينقل الأوداق وإنما تندرك بصحية أهل الأذواق فسلم ولا تنتقد ، إن لم ترى الملل فسلم ، لأناس رواه بالأخبار ، ثم قسم الناس في شهود الحق على ثلاثة أقسام عموم وخصوص الخصوص فقال (فن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده فقد اعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه سموس المعارف بسحب الآثار) فأهل مقام البقاء يشهدون الحق بمجرد وقوع بصرم على الكون فهم يثبوتون الأثر بالله ولا يشهدون بسواه إلا أنهم لكلهم يثبوتون الواسطة والوسطة فهم يشهدون الحق بمجرد شهود الواسطة أو عندها بلا تقديم ولا تأخير ولا ظرفية ولا مظروف

مذ عرفت الإله لم أر غير أ وكذا الغير عندنا ممنوع

وقال الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه لأبي الحسن رضى الله عنه يا أبا الحسن حدد بصر الإيمان تجد الله في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقرياً من كل شيء ومحيطاً بكل شيء بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعمته وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصفة والقرب بالمسافات وعن الدور بالمخوقات وأحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان اه وقال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه ولم أره حديثاً وإنما هو من قول بعض العارفين فأهل السير من المرادين يشهدون الكون ثم يشهدون للمكون عنده وبأثره فيمتحن الكون من نظرم بمجرد نظرم إليه وهذا حال المستشرقين وأهل مقام الفناء يشهدون الحق قبل شهود الخلق بمعنى أنهم لا يرون الخلق أصلاً إذ لا يثبت له عندهم لأنهم لسكرتهم غائبون عن الواسطة قانون عن الحكمة غرق في بحر الأنوار مطموس عليهم الآثار وفي هذا المقام قال بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان إنما يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده إنما يستدلون على وجوده بوجود الكون وهذا لعامة المسلمين من أهل البين قد أعوزهم أى قاتم وجود الأنوار ومنعوا منها وحجبت عنهم سموس المعارف بسحب الآثار بعد طلوعها واشراق نورها لكن لا بد للشمس من سحاب وللحسنة من تقاب وقه در القاتل .

وما احتجبت إلا يرفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

وقال آخر

أقد ظهرت فلا تخفى على أحد الأعلى أكه لا يبصر القمر

رق عزله ولطف نسجه منه ما هو نور محض وم الملائكة ومنه ما هو نور وظلة وغلب عليه التوروم بنو آدم ومنه ما هو نور وظلة وغلب عليه ظهور الظلمة وهي الجمادات وما لا يعقل من الحيوانات ونعني بالتور المعنى وبالظلمة الحس فالكون كله باطنه نور وظاهره ظلمة باطنه قدرة وظاهره حكمة باطنه لطيف وظاهره كثيف وإليه أشار صاحب البينية بقوله وما الكون في التثال إلا كتلية . وأنت لها الماء الذى هو نابع

ثم إن الحق سبحانه خص مظهر هذا الأدنى بخصائص لم تكن لغيره منها أن جعل روحه اللطيفة التورانية في قالب كثيف ليناقى له منه غاية التصريف (ومنها) أن جعل ذلك القالب في أحسن تقويم وأبدع فيه من بدائع حكمته وعجائب صنعته ما يليق بقدرة السميع العليم (ومنها) أنه جملة حاكم على المظاهر كلها ما لا لها بأسرها خليفة عن الله فيها ثم فتح له من فنون العلوم ومخازن الفهم ما لم يفتح على غيره بما هو معلوم وقال تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) وقال في تلك الخليفة (وعلم آدم الأسماء كلها) (ومنها) أن أعطاه سبحانه سبعاً من الصفات تشبه صفات المعاني الأزلية إلا أنها ضعفت بإحاطة

لكن بطئت بما أظهرت محتجبا وكيف يعرف من بالعزة استرا

ثم احتجابه تعالى في حال ظهوره بما يدل على وجود قهره كما أشار إليه بقوله (بما يدل على وجود قهره سبحانه إن حجبت عنه بما ليس بموجود معه) قلت من أسماه تعالى القهار ومن مظاهر قهره احتجابه في ظهوره وظهوره في بطونه و بطونه في ظهوره وبما يدل أيضا على وجود قهره إن احتجب بلا حجاب وقرب بلا اقتراب بعيد في قربه قريب في بعده إحتجب عن خلقه في حال ظهوره لهم وظهر لهم في حال احتجابه عنهم فاحتجب عنهم بشئ ليس بموجود وهو الوهم والوهم أمر عديم مفقود فما حجبه إلا شدة ظهوره ومانع الأبصار من رؤيته إلا قهاريه توره فتحصل أفراد الحق بالوجود وليس مع الله موجود قال تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه) واسم الفاعل حقيقة في الحال وقال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وقال تعالى (فأين أتولوا ثم وجه الله) وقال تعالى (وهو معكم أينما كنتم) وقال تعالى (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) وقال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال تعالى (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) الآية وقال صلى الله عليه وسلم أفضل كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد ، ألا كل شئ ما خلا الله باطل ، وكل نعم لا محالة زائل ؛ وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا عبادي مرضت فلم تعدني يقول يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول الله أما أنه مرض عبادي فلان فلم تعده فلو عدته لوجدتني عنده ثم يقول يا عبادي إستطعتم أن تستطعتم فلم تعطوني ثم يقول استسقيتكم فلم تسقني الحديث فدل الحديث على أن هذه الهياكل والأشخاص خيالات لاحقيقة لها فهي أشبه شئ بالظلال قال الششتري رضي الله عنه

الخلق خلقكم والامر أمركم فأى شئ أنا لكنت من ظلل
ماللحجاب مكان في وجودكم إلا بسر حروف أنظر إلى الجبل
أتم دلتم عليكم منكم ولكم ديمومة عبرت عنها غامض الأزل
عرفتم بكم هذا الخير بكم أتم هم يا حياة القلب يا أملي

قوله الخالق خلقكم الخ المراد بالخلق صور الأشباح والأمور سر الأرواح أى الأشباح حكمتكم والأرواح سر من أسراركم فأنا لا وجود لى أصلا فأى شئ قدرت نفسى وجنتها لكم ومظهرها من مظاهركم وإنما أنا ظلل من ظلل وجودكم ثم قال ماللحجاب مكان في وجودكم أى لا موضع للحجاب الحسى في وجودكم اذ لو كان للحجاب مكان في وجودكم لكان

القهرية وهى القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام فحصل له هذا النموذج وشبه بالصمدانية الربانية (ومنها) أنه سبحانه جملة نسخة الوجود يحاكي بصورته كل موجود فإن عرف الحق كان الوجود نسخة منه والى بعض هذه المعاني أشار بقوله

وهذه حقيقة الانسان حيث لها النموذج رباني

قلت حقيقة الانسان هي روحانيته وهى لطيفة نورانية لاهوتية جبروتية ثم احتجبت ببشرية كسيفة ناسوتية فسيحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بأظهار الربوبية في مظاهر العبودية والنموذج قال في القاموس النموذج بالفتح الشبه وبالمعنى الحزن وفي نسخ النظم كلها بالمعنى فانظره مع مقال في القاموس وفي بعض النسخ اذ كان في المدرج الرباني وسيأتى معناه فالنموذج هو الشبه وهذا الشبه الذى حازه الإنسان دون غيره هو اتصافه بشبه أوصاف الحق سبحانه حيث جبل الله فيه قدرة وإرادة وعلم وحياة وسمعا وبصرا وكلما وجعله نسخة من الوجود بأسره وخليفة عن الله في حكمه يتصرف فى الأشياء باختياره فى ظاهر أمره ولذلك ورد فى الحديث أن الله خلق آدم على صورته وفى رواية على

أقرب اليانا منكم وهو حال لأنك قلت (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) وقوله إلا بسر حروف النح الاستثناء منقطع أى لا موضع للحجاب الحسى بيننا وبينكم لكن حجاب القهرية ورداء العزة والكبرياء هو الذى منع الأبصار من رؤية نوركم الاصلى الجبروتى إذ لو ظهر ذلك النور لاضمحلت المكونات ولا احترقت من نور السباحات ولهذا السر أمر الله سيدنا موسى عليه السلام حين طلب الرؤية بالنظر إلى الجبل لما أراد الله تعالى أن يتجلى له بشئ من ذلك النور فلما لم يثبت الجبل لشيء قليل منه علمنا أنه لا طاقة للعبد الضعيف في هذه الدار على رؤية الواحد القهار إلا بواسطة الاكوان الكثيفة بعد أن نشر عليها الأردية المعنوية وهذا معنى قوله إلا بسر حروف انظر إلى الجبل أى الا بحجاب القهرية المفهوم من سر قوله تعالى انظر إلى الجبل أو إلا حجاباً ملتبساً بسر الحكمة المفهوم من قوله تعالى انظر إلى الجبل وكأنه تعالى يقول يا موسى لن تقدر أن ترائى من غير حجاب الحكمة ولكن انظر إلى الجبل فان أطاق ذلك فسوف ترائى أنت فلما تجلى له الحق تعالى من غير واسطة الحس جعله ذكاه والله تعالى أعلم وقال أيضاً في هذا المعنى

لقد أنا شيء عجب لمن رآنى أنا المحب والحبيب ليس ثم ثانى
يا قاصداً عين الخبر غطاه اينك الخبر منك والخبر والسر عندك
ارجع لذاتك واعتبر ما ثم غيرك

فقوله يا قاصداً عين الخبر أى عين خبر التحقيق وقوله غطاه اينك أى مكان وجردك الوهمى إذ لو غبت عن وجردك لوقعت على عين التحقيق وقوله الخبر منك أى شربة خمرة المحبة منك وهذا كما قال ، منى على دارت ككوسى ، وقوله والخبر أى والخبر عن عين التحقيق منك أيضاً وسر الربوبية عندك لأنك كنز مطمئن فاذا أردت أن تعرفه فارجع لذاتك واعتبر تجد الوجود كله واحداً وأنت ذلك الواحد قال الشاعر

هذا الوجود وإن تعدد ظاهرا وحياتكم ما فيه إلا أنتم

وقال أيضاً رضى الله عنه ، لقد فنى سرى بلا مقال ، وقد ظهر عنى في ذا المثال ، نرى وجرد غيرى من المحال ؛ وكلما دونى خيال فى ، متحد فى كل شيء ، أنا هو المحبوب وأنا الحبيب ؛ والحب لى منى شيء عجب ، وحدى أنا فافهم سرى غريب ، فمن نظر ذاتى رآنى شيء ، وفى حلا ذات طوائى طى ؛ صفائى لا تحق لى نظر ، وذاتى معلومة تلك الصور

سورة الرحمن ومعناه خلق آدم واعطاه من الصفات ما يشبه صفات الرحمن وهي صفات المعانى والمعنوية وخصه أيضاً فجعله خزانة لسائر أسمائه فى الآدمى تسعة وتسعين اسماً كماها كلمة فى سره ثم يظهر على ظاهره ما سبق له فى علم الغيب فالبعض يظهر عليه اسمه الكريم والبعض اسمه الرحيم والبعض اسمه العظيم والبعض اسمه المستقيم والبعض اسمه المتكبر والبعض اسمه الظاهر والبعض اسمه القابض والبعض اسمه الباسط وقد يتعاقب عليه أسماء كثيرة فى وقت واحد وإذا فنى عن حسه وغاب عن نفسه ظهرت عليه أنوار الألوهية فيخلق بالإنانية غلبة ووجداً وبها قتل العلاج (و) قد ورد الترغيب فى التخلق بأخلاق الرحمن قال صلى الله عليه وسلم تخلقوا بأخلاق الرحمن ورغب فى الصيام لما فيه من شبه الصمدانية وقد رغب أيضاً فى التقرب اليه سبحانه حتى يكون سمعه وبصره ورجله ومعناه تنبيه عن صفة الحدوث بشهود أنوار القدم وفى ذلك يتحقق له هذا الامتزج الصمدانى (و) فى الحكم ووصولك الى الله ووصولك إلى العلم به والافعل ربنا أن يتصل بشئ أو يتصل به شيء وسياق الكلام إن شاء الله على هذا المعنى عند قول الشيخ

افن عن الإحساس ترى غير ، في السر والمعنى خفيت كي ؛ لأنه من سر على ، وقد اتفقت على هذا المعنى وهو سر الوحدة مقالات العارفين ومراجيد المحبين وأشعارهم كل على قدر ذوقه وشربه جزام الله عنا وعن المسلمين خيراً ولا يفهم هذه العبارات إلا أهل الأدواق والاشارات وحسب من لم يبلغ لها فهمه ولم يحط بها عليه أن يسلم وبكل فهمها إلى أربابها وليعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه لأن هذه المعاني أدواق لاتزال إلا بصحبة أهل الأدواق ثم استدل على بطلان وجود الحجاب في حقه تعالى بمشرة أمور متعجباً من كل واحد لظهوره مع خفائه أى لشدة ظهوره عند العارفين وشدة خفائه عند الغافلين الجاهلين فأشار إلى الأول بقوله (كيف يتصور أن يحجب شيء وهو الذي أظهر كل شيء) والظاهر هو الباطن ما بطن في عالم الغيب هو الذي ظهر في عالم الشهادة فخاص الجبروت متدفقة بأنوار الملكوت ، انظر جمالي شاهداً في كل إنسان ، الماء يجري نافداً ، في أس الأغصان ؛ تجده ماء واحداً والزهر ألوان ، يا عجباً كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ، عجيبت لمن يبني عليك شهادة ، وأنت الذي أشهدته كل شاهد ، ثم ذكر الثاني فقال (كيف يتصور أن يحجب شيء وهو الذي ظهر بكل شيء) بيا الجراى تجلى بكل شيء فلا وجود لشيء مع وجوده فكيف يحجب شيء والغرض أن لا شيء قال صاحب العينية رضى الله عنه

تجلىت في الأشياء حين خلقها فما هي مبطت عنك فيها البراقع

ثم ذكر الثالث فقال (كيف يتصور أن يحجب وهو الذي ظهر في كل شيء) بقدرته وحكمته القدرة باطنة والحكمة ظاهرة فالوجود كله بين قدرة وحكمة وبين جمع وفرق وقد تقدم قول بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه أى بقدرته وحكمته فلو لا ظهور أنوار الصفات ما عرفت الذات ولا الحس ما قبضت المعنى ولو لا الكيف ما عرفت اللطيف ولشترى رحمه الله ، محبوبى قد عم الوجود وقد ظهر في بيض وسود وفي التصارى مع اليهرد ، وفي الخنازير مع القروود ، وفي الحروف مع النقط أهمن قط أهمن قط ، ثم قال : عرفته طول الزمان ؛ ظهر لي في كل أوان وفي المياه واللوان ؛ وفي الطلوع وفي المبرط ؛ أهمن قط ؛ أهمن قط ؛ ثم ذكر الرابع فقال (كيف يتصور أن يحجب شيء وهو الظاهر لكل شيء) بلام الجر أى المتجلى لكل شيء بأسرر ذاته وأنوار صفاته ولما تجلى لكل شيء وعرفه في الباطن كل شيء وسبح بحمده كل شيء فلم يحجب شيء عن شيء قال الله تعالى : وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، يقول بلسان حاله سبحانه المتجلى لكل شيء الظاهر بكل شيء

متى أدققت عن قبيل الحس أدركت نفسك معنى النفس
يا من على الفشر غداً يحوم حتى عن اللب متى تصوم

إلى آخر الآيات وعلى النسخة الثانية للمندرج الربانى هو السر المكون الذى برزت منه الروح ونفخت في هذا الجسم وهي الخمرة الصافية أى هذه حقيقة الانسان حين كان في جملة السر الربانى المندرج في الخمرة الأزلية وفي بعض أدعية الشاغل وأدرج أسمائى تحت أسمائك وصفائى تحت صفاتك وأضالى تحت أفعالك درج السلامة واسقاط للامة والله تعالى أعلم .

ثم بين أن حقيقة الانسان وسره سر من أسرار الله لا يجوز أن يوضع في الكتب على وجه التصريح وإنما يذكر على وجه الإشارة والتلويح وعلنا كله إشارة فقال :

ووضعه في الكتب لا يجوز بل هو كثر في التهى مكنوز
إياك أن تطلع أن تحوزه منى دقروا شعرا وأرجوزه

يفقهه العارفون ويجهله الغافلون ثم ذكر الحامض فقال (كيف يتصور أن يحجب شيء وهو الظاهر قبل وجود كل شيء) فكل ما ظهر منه وإليه فكان في أزاله ظاهراً بنفسه ثم تجلى لنفسه بنفسه فهو التي بذاته عن أن يظهر بغيره أو يحتاج إلى من يعرفه غيره فالكون كله مجموع والغير عندنا ممنوع ثم ذكر السادس فقال (كيف يتصور أن يحجب شيء وهو أظهر من كل شيء؟) إذ لا وجود للأشياء مع وجوده ولا ظهور لها مع ظهوره وعلى تقدير ظهورها فلا وجود لها من ذاتها فلو لا ظهوره في الأشياء ما وقع عليها أبحار

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

فالعبد في حالة الحجاب تكون نفسه وجودها عنده ضرورياً ووجود الحق تعالى عنده نظرياً فإذا عرف الحق وفي عن نفسه وتحقق بزوالها صار عنده وجود الحق ضرورياً ووجود نفسه نظرياً بل محال ضررى قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه إنا ننظر إلى الله يصير الإيمان والابقان فأغنانا عن الدليل والبرهان وأنا لا نرى أحداً من الخلق فهل في الوجود أحد سوى الملك الحق وإن كان ولا بد فكالمجاه في الهواء إن فتشتم لم تجدهم شيئاً اه زاد في لطفه المن ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة إلى الله فقلت شعري هل لها وجود معه حتى توصل إليه أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هي المظهرة له وإن كانت الكائنات موصلة له فليس ذلك لها من حيث ذاتها لكن هو الذي ولاها رتبة الترصيل فوصلت فأوصل إليه غير إلميته ولكن الحكيم هو واضع الأسباب وهي لمن وقف معها ولا ينفذ إلى قدرته عن الحجاب فظهور الحق أجلى من كل ما ظهر إذا هو السبب في ظهور كل ما ظهر وما اختفى إلا من شدة ما ظهر ومن شدة الظهور الخفاء وإلى هذا المعنى أشار الرقاعي بقوله :

يا من تعاظم حتى رق معناه ولا تردى رداء الكبر إلا هو

أي يا من تعاظم في ظهوره حتى خفي معناه ثم ذكر السابع فقال (كيف يتصور أن يحجب شيء وهو الواحد الذي ليس معه شيء) لتحقق وحدانيته أزلاً وأبداً كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان إله مع الله تعالى الله عما يشركون أي الله شك فكل ما ظهر للعيان فإنما هو مظهر الرحمن قال صاحب العينية رضي الله عنه :

تجلى حبيبي في مرآتي جماله فني كل مرآة الحبيب طلائع

قلت انتهى جمع نية وهو اسم للعقل والنفس اسم للكتاب وقال في القاموس الدقة وقد تكسر الدال جماعة الصحف المنصومة والجمع دفاتر والشعر كلام موزون والأرجوزة بمعنى القصيدة وهي ذات أبيات (يقول) رضي الله عنه وضع هذا السر وهو النموذج الرباني الذي اختص به الإنسان في الكتب لا يجوز إذا كان ذلك على وجه التصريح وإنما منع وضعه في الكتب لأمرين أحدهما أن العبارة لاتقوم به لأن علم الإشارة مهما صار عبارة خفي وقد يؤدي التعبير عنه لتكفير القائل وتبديعه وتفسيره وربما أدى تلفه كما قال بعضهم :

فن فهم الإشارة فليصنها وإلا سوف يقتل بالسنان
كلج الحجة إذ تبدت له شمس الحقيقة بالتداني

وقال زين العابدين رضي الله عنه :

باب جومر علم لو أبوح به لقليل لي أنت بمن بعيد الوثنا

فلما تجل حسنه متوعا تسمى بأسماء فتن مطالع

فالحق تعالى واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله فلا شيء قبله ولا شيء بعده ولا شيء معه ثم ذكر الثامن فقال (كيف يتصور أن يحجب شيء وهو أقرب إليك من كل شيء) قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعم ما تنسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقال تعالى (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) وقال تعالى (وكان الله على كل شيء رقيباً وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) وقربه تعالى قرب علم وإحاطة وشهود لا قرب مسافة إذ لا مسافة بينك وبينه وتقدم في الحديث وإن الله ماحل في شيء ولا غاب عن شيء وقال سيدنا على كرم الله وجهه الحق تعالى ليس من شيء ولا في شيء ولا فوق شيء ولا تحت شيء إذ لو كان من شيء لكان مخلوقاً ولو كان فوق شيء لكان محمولاً ولو كان في شيء لكان محصوراً ولو كان تحت شيء لكان مقهوراً اه وقيل له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أين كان ربنا أو هل له مكان فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال قولكم أين الله سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان ثم خلق الزمان والمكان وهو الآن كما كان دون مكان ولا زمان اه وقال أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه قيل لى يا على بن قل وعلى دل وأنا الكل اه هذا كما في حديث البخارى يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر وتفسيره ما في الحديث قبله واهه تعالى أعلم ثم ذكر التاسع فقال (كيف يتصور أن يحجب شيء ولولا لما ظهر وجود كل شيء) قال الله تعالى (وخلق كل شيء فقدره تقديراً) وقال تعالى (إن أكل شيء خلقناه بقدر) فكل ما ظهر في عالم الشهادة فهو فاض من عالم الغيب وكل ما يرى في عالم الملكوت فهو فاض من بحر الجبروت فلا وجود للأشياء إلا منه ولا قيام لها إلا به ولا نسبة لهماهه إذ هي عدم محض وعلى توهم وجودها فهي حادثة فانية ولا نسبة للعدم مع الوجود ولا للحادث مع القديم ولذلك تعجب الشيخ من اجتماعها فقال (يا عجباً كيف يظهر الوجود في العدم أم كيف ثبت الحادث مع من له وصف القدم) قلت وهذا هو العاشر فالوجود والعدم ضدان لا يجتمعان والحادث والقديم متنافيان لا يلتقيان وقد تقرر أن الحق واجب الوجود وكل ما سواه عدم على التحقيق فإذا ظهر الوجود اتنى ضده وهو العدم فكيف يتصور أن يحجب وهو عدم فالحق لا يحجب الباطل قال تعالى (فذلكم الله ربكم الحق فإذا بعد الحق إلا الضلال) فلا وجود للأشياء مع وجوده فاتنى القول بالحلول إذ الحلول يقتضى وجود السوى حتى يحل فيه

ولا استحل رجال مسلمون دى يرون أقبح ما يأتونه حسناً

وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه

وفي السر أسرار دقاق لطيفة تراق دمانا جهرة لو بها بخنا

(الأمر) الثانى أن وضع ذلك في الكتب يؤدى لا ابتذاله وإظهاره مع عدم استيفاء المراد منه فيكون قطعاً للمريد عن التحقق به وموجباً لوجود الحيرة فيه ولا يفهمه في الحقيقة إلا من أطلع عليه وعرف معناه كحال الطرب في السماع لا يثأر به إلا من عنده ذوق وخبرة ثم ذكر أن هذا السر كنز مدفون في صدف مكنون لا يسمه إلا المطهرون بقوله بل هو كنز مكنون أى مدفون في النهى أى العقول الكاملة والقلوب الصافية ومن كالمها وحربها كتمها للأسرار كما قال بعضهم قلوب الأحرار قبور الأسرار

وقال آخر

لا يكتم السر إلا من به ثقة فالسر عند خيار الناس مكتوم

معنى الربوبية والفرض أن السوى عدم محض فلا يتصور الحلول وإلى هذا أشار في العينية بقوله
وزنه في حكم الحلول فاله سوى وإلى توحيده الأمر راجع

والقديم والحادث لا يلتقيان فإذا قرن الحادث بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم قال رجل بين يدي الجنيد رضى
الله عنه الحمد لله ولم يقل رب العالمين فقال له الجنيد كله يا أخى فقال له الرجل وأى قدر للعالمين حتى يذكروا معه فقال
الجنيد قل يا أخى فإن الحادث إذا قرن بالقديم تلاشى الحادث وبقي القديم اه قد تقرر أن الأشياء كلها في حيز العلم
إذ لا يثبت الحادث مع من له وصف القدم فأتى القول بالاتحاد إذ معنى الاتحاد هو اقتران القديم مع الحادث فيتحدان
حتى يكونا شيئاً واحداً وهو محال إذ هو مبنى أيضاً على وجود السوى ولا سوى وقد يطلقون الاتحاد على الوحدة كقول
ابن الفارض

وهامت بهاروحى بحيث تمازجا اتحاداً ولا جرم تخله جرم

فأطلق الاتحاد على اتصال الروح بأصلها بعد صفاتها ولذلك قال بعده ولا جرم تخله الخ فتحصل أن الحق سبحانه
واحداً في ملكه قديم أزلى باق أبدي منزّه عن الحلول والاتحاد مقدس عن الشركاء والأضداد كان ولا أين ولا مكان وهو
الآن على ما عليه كان وما ينسب لسيّدنا على كرم الله وجهه

رأيت ربى بعين قلبي فقلت لاشك أنت أنت
أنت الذى حزت كل أين بحيث لا أين ثم أنت
فليس للآين منك أين فيعلم الآين أين أنت
وليس للوهم فيك وهم فيعلم الوهم كيف أنت
أحلت علماً بكل شيء فكل شيء أراه أنت
وفي فتأى فتأى وفي فتأى وجدت أنت

وسئل أبو الحسن النورى رضى الله عنه أين الله من مخلوقاته فقال كان الله ولا أين والمخلوقات في عدم فكان حيث
هو وهو الآن حيث كان إذ لا أين ولا مكان فقال له السائل وهو على بن ثور القاضى في قصة محنة الصوفية فما هذه
الأماكن والمخلوقات الظاهرة فقال عز ظاهر وملك قاهر ومخلوقات ظاهرة به وصادرة عنه لاهى متصلة به ولا منفصلة عنه

وقال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

ادفن شرك ودكوا في الأرض سبعين قاماً
دخل الخلاق يشكوا إلى يوم القيامة

ثم حذرنا من أن تطمع أن تحوز هذا السر من كتب القوم أو من أشعارهم أو من قصائدهم لأنه أذواق لا يؤخذ
من الأوراق وإنما يؤخذ من محبة أهل الأذواق بل لاتزده مطالعة الأوراق إلا تفتيراً وتعطيلاً علم الأذواق لا يؤخذ
من الأوراق قالوا وحققنا المعارف منطبعة في الأرواح من يوم الميثاق فلذلك قامت بها الحجة فيما لا يزال فوصل المبد
إلى ماعدته منها بواسطة إمداد النجى لا لأمر زائد على ذلك (قال) بعض المشايخ إياك وطلب الدليل من خارج فتفتقر
إلى المعارج واطلب الحق من ذلك لذاتك تجد الحق أقرب إليك من ذاتك وقال في الحكم نور مستودع في القلوب مبدؤه
النور الوارد من خزان الغيوب (و) قال في موضع آخر أشهدك من قبل أن أحشيكك فطقت يالهيته الظواهر وتحققت

فرغ من الأشياء ولم تفرغ منه لأنها تحتاج إليه وهو لا يحتاج إليها قال له صدقت فأخبرني ماذا أراد الله بحفظها قال ظهور عزته وملكه وسلطانه قال صدقت فأخبرني ما مراده من خلقه قال ما مراده من خلقه قال أو يريد من الكفرة الكفر قال أفيكفرون به وهو كاره ثم قال أخبرني ماذا أراد الله باختلاف الشيخ وتفرق الملل قال أراد إبلاغ قدرته وبيان حكمته وإيجاب لطفه وظهور عدله وإحسانه اه المراد منه وفيه إشارة إلى أن تجليات الحق على ثلاثة أقسام قسم أظهر لهم يظهر فيهم كرموا إحسانهم أهل الطاعة والإحسان وقسم أظهر لهم يظهر فيهم عفوه وحله وم أهل العصيان من أهل الإيمان وقسم أظهر لهم يظهر فيهم نعمته وغضبه وم أهل الكفر والظلمين فهذا سر تجليه تعالى في الجملة والله تعالى أعلم (فذلك) حصل ما اشتمل عليه هذا الباب من أول الكتاب ثلاثة أمور عمل الشريعة والطريقة والحقيقة (أو تقول) عمل الإسلام والإيمان والإحسان وهي البداية والوسط والنهاية ومن علامة النجاح في النهاية الرجوع إلى الله في البداية فأمرك بالرجوع إليه والاعتقاد عليه دون الاعتقاد على العمل مع وجود العمل ثم ذلك على الأدب في حال التجريد والأسباب ثم نهاك في حالة المسير عن شغل باطنك بكبد التدبير فإنه سبب التكدير ثم أنهضك إلى الاجتهاد في الأعمال المطلوبة منك مع التقصير فيها هو مضمون لك ليكون سبباً في فتح بصيرتك ومن جملة ما هو مضمون ما تطلبه بدعائك فلا تستعجل ما تأخر عن وقته ولا تيأس من رحمته وإذا وعدك بشيء فلا تشك في وعده ولا تنهم فيها ينزل بك من ترفاته وقهره فهذه أعمال أهل البدايات اختلفت أجناسها باختلاف أحوالهم فتوله من علامة الاعتماد على العمل إلى قوله الأعمال صور قائمة كله من عمل الشريعة الذي هو مقام الإسلام وقوله الأعمال صور قائمة إلى قوله الكون كله ظلية هو من عمل الطريقة الذي هو مقام الإيمان ومداره على تخلص الباطن وتهذيب فأمرك بالإخلاص والصدق وهو سر الإخلاص والنحول لأنه محله ومظهره والعزلة لتتمكن من الفكرة وتصفيه مرآة القلب من صور الأكوان لتنتهي لإشراق شمس العرفان ثم فتح لك الباب ورفع عنك الحجاب وقال لك ها أنت وربك وهو قوله الكون كله ظلية إلى آخر الباب فقد قطع لك توم الحجاب من جميع الوجوه فجراه الله أحسن جزائه وفتح برضوانه مع أنبيائه وأحيائه وخرطنا في سلكهم مع كافة الأحباب آمين ولما أدخلك الحضرة ذلك على آدابها فقال في أول الباب الثاني مترجماً عنها من بعض التلامذة بقوله (وقال رضى الله عنه) وجملة أبوابه خمسة وعشرون باباً وثلاث رسائل وجواب ثم مناجاة فلما فرغ من الباب الأول أشار إلى الباب الثاني فقال (وقال رضى الله عنه) ما ترك من الجهل شيئاً من أراد أن

بأحديته القلوب والسرائر وما هو إلا كما قال الحق سبحانه في شأن الإخلاص فهو سر من أسرارى أودعه قلب من أحببت من عبادى لا يطلع عليه ملك فيكتبه ولا شيطان يفسده وكذلك سر الربوبية الذى أودعه الله في الإنسان لا يعلم حقيقته على الكمال إلا هو سبحانه وإذا كان كذلك فالتعليم والتعلم لا يفيد إلا ما يفيد التعرض لتفحات الحق بشواهد الصدق قولاً وعملاً وحالاً من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وكان علمه من ربه لقلبه وهو أتم العلوم وأجلها فافهم وأطلب الشيء منك إليك منى على دارت كؤسى قال بعضهم علمنا لا يؤخذ بالقياس ولا بالفهم وقوة الذكاء والافتقار بل هو نكتة من الحق يكشف عن القلب قناعه ونور منه ينبسط في عوالم الحقيقة شعاعاً حتى يصير الغيب في معد العين ولا يفتقر للمشكل لشيء من البيان بل لو كشف الغطاء ما زاد صاحبه يقيناً وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام لم يفتكم أبو بكر بكثرة صلاته ولا صيامه ولكن بشيء وقر في صدره ومع هذا فالشيء الموقر في صدره معلوم الأصل الذى هو التحقيق في اليقين والإيمان إلى حد المواجهة والبيان قاله الشيخ زروق رضى الله عنه ثم بين قدر ما يعرفه الإنسان من السر بالوصف فقال

يظهر في الوقت غير ما أظهره الله فيه (الجبل هو ضد العلم وقيل هو عدم العلم بالمقصود وهو على قسمين بسيط ومرب فالبسيط أن يجهل ويعلم أنه جاهل والمركب أن يجهل جهله وأقبح الجهل الجهل بالله وإنكاره بعد طلب معرفته (قلت) من آداب العارف الحقيقي أن يقر الأشياء في محلها ويسير معها على سيرها فكلما أبرزته القدرة للعيان فهو في غاية الكمال والاتقان وفي ذلك قال صاحب العينية رضى الله عنه .

وكل قبيح إن نسبت لحسنه أتت معاني الحسن فيه تسارع
يكل نقصان القبيح جماله فاشم نقصان ولا ثم باشع

وقال أبو الحسن النورى رضى الله عنه مراد الله من خلقه مأم عليه فإذا أقام الله عبداً في مقام من المقامات قالوا واجب على العارف أن يقره فيه بقلبه كائناً ما كان فإن كان لاسله الشريعة رغبة في الخروج عنه بالسياسة وينظر ما يفعل الله قال بعضهم من عامل الخلق بالشريعة طال خصمه معهم ومن عاملهم بالحقيقة عذرم والواجب أن يعاملهم في الظاهر بالشريعة فيذكرهم وفي الباطن بالحقيقة فيعذرم ، ومن أراد أن يظهر في الوقت غير ما أظهره الله تعالى في نفسه أو في غيره فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئاً حيث عارض القدر ونزع القادر وقد قال تعالى (إن ربك فعال لما يريد ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) (وفي بعض) الأخبار يقول الله تبارك وتعالى في من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فيخرج من تحت سماوى وليتخذ رباً سواى وقال عبد الله ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما لأن الحس حجرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إلى من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان وقال أبو عثمان رضى الله عنه منذ أربعين سنة ما أفانى الله تعالى في حال فكرهته ولا نقانى إلى غيره فسخطه وقال شيخ شيوخوا سيدى على رضى الله عنه في كتابه من عرف أهل حقائق الظاهر ولم ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم يظهر بما في أيديهم ولا يمنع خيرهم قطعاً ومن عرف أهل حقائق الباطن ولم ينكر عليهم شيئاً من أحوالهم يظهر بما في أيديهم على كل حال ولا يمنع خيرهم قطعاً والعارف بالله يجمع بين خير الفريقين مصطبحاً منهما جميعاً وكل فرقة يتلون على لونها كشيخ شيوخوا رضى الله عنهم سيدى أحمد أيمان نعمنا الله به كان رضى الله عنه ممن لا ينكر حالاً من أحوال الخلق أهل الظاهر يتلذذهم في ظواهرهم ويدفعهم إليها ويقرم فيها وأهل الباطن يتلذذهم في بواطنهم ويدفعهم إليها

ولما تعرف منه وصفاً لست تراه وهو ليس بخفى

قلت لما نفي معرفة النموذج الربانى الذى خص به الإنسان من الكتب ذكر هنا مقدار ما تعرفه بالنعى من الكتب فقال ولما تعرف من ذلك النموذج وهو سر الربوبية المندرج في الحرة الأزلية وصفاً ظاهراً بآلة بالسان ولا يرى بالعيان لأنه إنما يدرك بالبصيرة فإن كنت من أهل البصيرة أدركته بالذوق والوجدان وإن لم تكن من أهل البصيرة لخطر أسك لأهل البصيرة حتى تذوق ماذا قوا أو تموت فالمرقة التى تكتسبها من الدفاتر أو الأشعار أو الأراجيز لذلك الوصف لست تراها بعينك فإذا قال لك الشاعر مثلاً ألا كل شيء ما خلا الله باطل أو ما فى الكون غيركم لا تعرف ذلك ولا تدركه بقلبك مع كونه ظاهراً لا يخفى لكن لا يدركه إلا أهل الأدواق أهل البصائر النافذة لا أهل العقول المليدة بالخيالات الوهمية فإن هذا أمر خارج عن مدارك العقول ولا يحيطه بكمه العلم المنقول (قوله) لست تراه وهو ليس بخفى أى لست تراه بعينك الحسى لما كساه من رداء العزة وحجاب الحكمة وهو ليس بخفى على أهل البصيرة النافذة فليست تراه لأنه باطن وهو ليس

ويقرم فيها لحصل له خير الفرقين بما رزقه الله من المعرفة والحكمة قيل أن الولي الكامل يتطور بجميع الأطوار يقضى جميع الأطوار اه

(قلت) ومن تأمل الأحاديث النبوية وجدها على هذا المنوال لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان سيد العارفين وقنوة المرين فكان يقر الناس على ما أقامهم الله في حكمتهم ويرغبهم فيها فذلك نجد الأحاديث متعارضة ولا تعارض في الحقيقة فاذا نظرت في أحاديث الذكر قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الجهاد قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث العلم قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الرشد والتجريد من أسباب الدنيا قلت لا أفضل منه وإذا نظرت في أحاديث الكسب والخدمة على العيال كذلك فكل حكمة يرغب النبي صلى الله عليه وسلم فيها حتى تقول لا أفضل منها تعليلاً لخطر أهلها ليكونوا فيها على بينة من ربهم ولم يأمرهم عليه السلام بالانتقال عنها إذ مراد الله منهم هو تلك الحكمة فأقرم عليه السلام عليها ورغبهم فيها حتى يظن من يسمع أحاديثها أنه لا أفضل منها وهو كذلك إذ لا أفضل منها في حق أهلها (والحاصل) أن العارف لا ينكر شيئاً ولا يجهل شيئاً وقد قال بعض العارفين ليس في الامكان أبدع مما كان وتأويله ان ماسبق في علم الله يكون لا يمكن غيره فلا أبدع منه وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الثاني من آداب الحضرة القدسية وهي ترك الرعونات البشرية فقال (احالتك الأعمال على وجد الفراغ من رعونات النفوس) الاحالة على الشيء هو تسليطه واغراؤه عليه والمراد هنا توقف الأمر عليه بحيث لا يتوجه له حتى يتيسر وجوده والفراغ من الشيء خلوه منه وفراغ القلب خلوه بما يشغله وفراغ الجوارح خلوها من الأشغال والرعونات نوع من الحق (قلت) من آداب العارف أن يكون كامل العقل ثاقب الذهن ومن علامة العقل ابتزاز الفرصة في العمل ومبادرة العمل من غير تسويف ولا أمل إذ مافات منه لا عوص له وما حصل لاقمة له وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا وإن من علامة العقل التجافي عن دار الغرور والانابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم التشور (وقال) صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه هواها ومن على الأمانى هو العاقل ودان نفسه حاسبها (وفي صحيف) إبراهيم عليه السلام وعلى العاقل مالم يكن مغلوباً على عقله أن تكون له ساعات ساعة يناجي فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها بمجته من الطعام والمشرب وعلى العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا لثلاث تزود لمعاد أو مرمعة لمعاش أو لذة

يخفى لأنه ظاهر فاسمه الباطن يقتضى أن لا تتركه الأبصار واسمه الظاهر يقتضى انطواء ماسواه من الأغيار وانفراده بالوجود وظهور الأنوار وفي ذلك قال بعض العارفين

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمة لا يبصر القمر
لكن بطنت بما أظهرت محتجياً وكيف يعرف من بالعمة استترا

وفي الحكم أظهر كل شيء بأنه الباطن وطوى وجود كل شيء بأنه الظاهر فاسمه الباطن يقتضى ظهور الأشياء ليكون باطناً بالنسبة إلى ظهورها (و) اسمه الظاهر يقتضى بطون الأشياء وانطوائها إذ لا ظاهر سواه لما يقتضيه الحصر الذي في الآية الكريمة وهذا من عجائب الربوبية التي نهرت العقول وحيرت الأذهان بحيث صار ظاهر في حال بطونه باطناً في حال ظهوره ظاهراً باعتبار قدرته باطناً باعتبار حكته والله تعالى أعلم ثم ذكر المصنف أنه شرح لك من ذلك الوصف البعض بقدر ما يفهمه عقلك فقال

وها أنا أشرح منه البعض بقدر ما تفهمه فلتعرض

من غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه مقبلاً على شأنه حافظاً لسانه ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه اه فاحلك الأعمال وتأخيرها إلى وقت آخر تكون فيه فارغ القلب أو القالبن علامة الرعونة والحق وهو غرور ومن أين لك أن تصل إلى ذلك الوقت والموت هاجم عليك من حيث لا تشعروا وعلى تقدير وصولك إليه لا تأمن من شغل آخر يعرض لك وفرغ الأشغال من حيث هو نادر لقوله عليه السلام نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفرغ أى كثير من الناس فقدوهما وغبنوا فيهما إذ كثير منهم لا يتعهد إلا مشغولاً بدينياً أو مقترناً بهوى أو مريضاً مبتلى ومفهوم الكثير أن القليل من الناس رزقهم الله الصحة والفرغ فإن عروهما بطاعة مولاىم فقد شكرنا ورزقناهم بما عظمنا وإن ضيعرهما فقد خسروا خساراً ميبناً وكفروا بهاتين التعمتين فنجدير أن تسلبا عنهم وهو أيضاً من علامة الخذلان وسيأتى من كلام الشيخ الخذلان كل الخذلان أن تقل عواقبك ثم لا تقبل عليه فالواجب على الإنسان أن يقطع علاقته وعزاقته ويخالف هواه ويبادر إلى خدمة مولاىه ولا يتنظر وقتاً آخر إذ الفقير ابن وقته فلا يجد مشغولاً إلا بفكرة أو نظرة أو ذكر أو مذكرة أو خدمة شيخ يوصله إلى مولاىه وقد قلت لبعض الإخوان الفقير الصديق ليس له فكرة ولا هدررة إلا فى الحاضرة أو ما يوصله للحاضرة والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الثالث وهو إقامته حيث أقامه الله فقال (لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواه فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج) قلت من آداب العارف الاكتفاء بعلم الله والاستثناء به عما سواه فإذا أقامه الله تعالى فى حالة من الأحوال فلا يستحقها ويطلب الخروج منها إلى حالة أخرى فلو أراد الحق تعالى أن يخرجك من تلك الحالة ويستعملك فيما سواه من غير أن يطلب منه أن يخرجك بل يمكنك على ما أقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذى يتولى إخراجك كما تولى ادخاله وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق فالدخل الصدق هو أن تدخل فيه بالله والمخرج الصدق هو أن تخرج منه بالله وهذا هو الفهم عن الله وهو من علامة تحقيق المعرفة بالله فالعارف بالله إذا كان أعزب لا يمتنى التزوج وإذا كان متزوجاً لا يمتنى الفراق وإذا كان فقيراً لا يمتنى الغنى وإذا كان غنياً لا يمتنى الفقر وإذا كان محبباً لا يمتنى المرض وإذا كان مريضاً لا يمتنى الصحة وإذا كان عزيزاً لا يمتنى النذل وإذا كان ذليلاً لا يمتنى العز وإذا كان مقبرضاً لا يمتنى البسط وإذا كان مبسوطاً لا يمتنى القبض وإذا كان قوياً لا يمتنى الضعف وإذا كان ضعيفاً لا يمتنى القوة وإذا كان مقيماً لا يمتنى السفر وإذا كان مسافراً لا يمتنى الإقامة وهكذا

أى تنبيه لما أقول لك بعد فأننا أشرح لك بعض ذلك السر بقدر ما تفهمه ويدركه عقلك فتقتنع بذلك ولترضى به إذ لا يمكن شرح الكل لأنه السر المكنون الذى لا يحيط به إلا عظام الغيوب وأيضاً إذا عبرت لك عن كنه السر تعرضت للهلاك وقد قال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ثم ذكر ذلك البعض الذى وعده به فقال

فهذه الحقيقة النفسية موصولة بالحضرة القدسية
وإنما يعوقها الموضوع ومن هنا يبدأ الطلوع

قلت المراد بالحقيقة النفسية هى الروح الطيفة السارية فى الأشياح الكثيفة القائمة بها والحضرة القدسية هى العظمة الأزلية القديمة للطيفة الخفية المبر عنها بعالم الجبروت وهى التى فسرها ابن الفارض فى خبرته حيث قال رضى الله عنه وأرضاه

يقولونلى صفها فأت بوصفها خير أجل عندى بأوصافها
صفاء ولاماء ولطف ولاهوى ونور ولا فارور ولا جهم

بأن الأحوال ينظر ما يفعل الله به ولا ينظر ما يفعل بنفسه لتحقيق زواله بل يكون كالميت بين يدي الناسل أو كالقلم بين الأصابع كما قال صاحب البنية رضى الله عنه :

أرأيت كالآلات وهو محرك أنا قم والاقتدار أصابع

قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وما كان لهم الخيرة وقال تعالى وماتوا دون أن يشاء الله وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد فإن سلبت لى ما أريد أتيتك بما تريد وإن لم تسلم لى ما أريد أتيتك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم لآلى هريرة جف القلم بما أوتى لاق وفى حديث آخر جنت الأقلام وطويت الصحف (وقال) شيخ شيوخنا سيدى أحمد البجائى رضى الله عنه حين سأله أصحاب عن حقيقة الولاية فقال لهم حقيقة الولاية هو إذا كان صاحبها جالسا فى الظل لا تشتهى نفسه الجلوس فى الشمس وإذا كان جالسا فى الشمس لا تشتهى نفسه الجلوس فى الظل اه وهذا كله مع الاختيار دون الأمر الضرورى وقد تقدم قول شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه من أوصاف الولى الكامل أن لا يكون محتاجا إلا على الحال الذى يقيمه مولاه فيه فى الوقت يبنى ماله مراد إلا ما يبرز من عنصر القدرة لا تشتهى غيره اه .

(قلت) فإذا تجلى فى العارف شيء من هذه الأمور أعنى الانتقال من حال إلى حال فليتان وليصبر حتى يفهم أنه من الله بآشارة ظاهرة أو باطنة أو هاتف حسى أو معنوى ولينصت إلى المواقف فان الله تعالى يخاطبه بما يفعل وهذا أمر مجرب صحيح عند العارفين حتى أنهم لا يتصرفون إلا بأذن من الله ورسوله إذ لا فرق عند أهل الجمع جعلنا الله منهم أمين وهذا كله إذا كان الحال الذى هو فيه موقفا للشرعية وإلا فليطلب الخروج منه بما يمكن ثم ذكر الأدب الرابع وهو رفع الهممة عن الأكوان ودوام التزقى فى مقامات العرفان فقال (ما أردت همه سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هواتف الحقيقة الذى تطلب أمامك ولا تبرجت ظواهر المكونات إلا ونادته حقائقها إنما نحن فتنة فلا تكفر) همه سالك هى القوة الباغية له على السير ووقوفها مع الشيء هو اعتقادها أن ما وصلت اليه الناية أو فيه كفاية وهواتف الحقيقة هى لسان حال الكشف عن عين التحقيق وتبرج الشيء ظهوره فى حال الزينة لقصد الإمالة وظواهر المكونات هو ما كساها من الحسن والحكمة وتزيينها هو خرق عرائدها له وانقيادها لحكمه وحقائقها نورها الباطنى وهو تجلى المعنى فيها :

(قلت) السالك هو الذى يشهد الأثر فان كان يشهد فى نفسه فهو سالك فقط وهو فى حالة السير وإن كان يشهد باقة

تقدم كل الكائنات حديثها قديم ولا شكل هناك ولا رسم

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم

فالأشياء التى قامت بالخرقة الأزلية هى الموضوعات التى تكشف وتظهرت فقد وضعها الله أو أنى حاملة للعانى ومنها أشباح بنى آدم فانها موضوعات للسر الربانى الذى هو الروح والروح متصلة بتلك الجرة الأزلية وإنما يعوقها ويمنعها من الحق بأصلها هذا الموضوع الذى وضعه الله لها وأسكنها فيه فهو كسيف وهى لطيفة فمن غلبت كثافتها على لاطافتها أو تقول بشرية على روحانية ببق دائما مسجونا بمحيطاته محصورا فى هيكل ذاته ومن غلبت لاطافته على كثافتها أو تقول روحانية على بشرية اتصلت بروحه بالحضرة القدسية ورجعت إلى أصلها فلم يحجبها عن أصلها أرض ولا سما ولا عرش ولا كرمى حتى قال بعضهم العرش والكرسى مندقان فى ترسى وقال آخرون أن العرش فى زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به وفى الحكم العطائية الكائن فى الكون ولم تفتح له ميازين الغيوب مسجون بمحيطات محصور فى هيكل ذاته فهو ما إذا فحت

فهو سالك مجذوب والمقامات التي يقطعها ثلاث فناء في الأفضال وفناء في الصفات وفناء في الذات (أو تقول) فناء في الاسم وفناء في الذات والفناء وهو مقام البقاء ثم الترقى مالا نهاية له فإذا كشف للسالك عن سر توحيد الأفضال وذائق حلواته وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هو اتف حقيقة الفناء في الصفات التي تطلب أمامك وإذا ترقى إلى مقام الفناء في الصفات وكشف له عن سر توحيد الصفات واستشرف على الفناء في الذات وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هو اتف حقيقة الفناء في الذات الذي تطلب أمامك وإذا ترقى إلى الفناء في الذات وكشف له عن سر توحيد الذات وأرادت همته أن تقف مع ذلك المقام نادته هو اتف حقيقة فناء الفناء أو حقيقة البقاء الذي تطلب أمامك وإذا وصل إلى البقاء نادته هو اتف العلوم النبية وقل رب زدني علما وقد قال عليه السلام لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

(أو تقول) إذا كشف للبريد عن الفناء في الاسم وذائق حلوة العمل والذكر وأرادت همته أن تقف معها نادته هو اتف حقائق الفناء في الذات الذي تطلب أمامك فإذا ترقى إلى مقام الفناء في الذات وذائق حلواته ولم يتمكن وقنع بذلك وأرادت همته أن تقف مع ذلك نادته هو اتف حقيقة التمكن الذي تطلب أمامك وإذا تمكن ولم يطلب زيادة الترقى نادته هو اتف الترقى الذي تطلب أمامك وهكذا كل مقام ينادى على ما قبله يأهل يثرب لا مقام لكم وإذا تبرجت أي ظهرت بزيتها وحلها للسالك أو العارف ظواهر المكونات بحرق عوائدها وانقيادها له وتصرفه فيها بمهته كالشيء على الماء والطيران في الهواء . نبع الماء وجلب الطعام وغير ذلك من الكرامات الحسية وأرادت همته السالك أن تقف مع ظواهرها وتشغل بحلاوة حسناتها هو اتف للمعاني الباطنة إنما نحن فتنة لك تختبرك هل تقنع بها دون معرفة ما لكها ومتشبه المتجلى فيها أو تعرض عنها وتتفقد إلى نور معانيها وشهود ما لكها ومجرىها فلا تكفر وتجد المتجلى بها فتكره فتكون من الجاهلين (وقد) ضرب الساحلي في البنية مثلا لهذه المقامات والسير فيها فقال مثل ذلك كلك ظهر بالمشرق مثلا وأرسل لنا رسلا بكتاب من عنده فقرأوا علينا كتاب الملك وشوقنا إليه غاية التشويق بذكرى كرمه ومحاسنه فمن الناس من أعرض عن طاعته والانقياد إليه وهم الكفار ومن الناس من قبل وآمن ولم يقدر على النهوض إلى حضرة الملك وهم عوام المسلمين ضعفاء المحبة واليقين ومن الناس من تشوق للملك ونهض إلى حضرته فقالت له الرسل نحن نسرك ونعرفك الطريق فتقدموا أمامهم يسرون بهم ثم أن الملك بن ديارا ومنازل ينزلونها كل التزل أعظم من الذي به هكذا

له مبادي الغيوب لم يحصره هيكل ولا كون بل يترقى إلى فضاء الشهود وتصل روحه بالملك العبود اتصالا يعرفه أهل الأنواق ويذكره أهل الأوراق وقد ضرب عز بن عبد السلام مثلا ربما يزيل ذلك الأشكار ويوضع لك المثال إن لم تدق ماذا فت الرجال (قال في حل رموزه) وفتح كنوزه فاعلم أن القلب غيب والرب غيب فاطلع الغيب على الغيب فكان اطلاعه نزولا لا حلولا واعلم أن لطيفة ذلك أن القلب خلق كامل الوصف وله وجهان ظاهر وباطن فظاهره تراب أرضي مظلم طبيعي جثافي وباطنه سماوي علوي نوراني روحاني فكثافة ظاهره لمباشرة القوى الطبيعية البشرية بقول طاعة باطنه لمواجهه الملائكة تيات العلوية الربانية الروحية فعلى قدر مواجته لها ومقابلته لها انعكست عليه أشعة أنوارها وتخلت لأسراره بأسرارها فشاهدها بالأنوار التي فاضت عليه وأدركها بالأسرار التي أبدتها إليه وهذا معنى العكس والمقابلته فهو يشهد بجمالية محبته في مرآة قلبه من غير حصر ولا تحيز ولا حلول ولا تفصال ولا اتصال فهو في المثال كمرآة لها وجهان ظاهرها ككشف مظلم وباطنها لطيف مضئ فلو قابلها من الكائنات ما قبلها من صغير أو كبير أرتة مثلا فيها مع صغر جرمها وكبر المرتى

إلى حضرته فاذا نزلوا أول المنازل ورأوا حسنة وبهجة أرادوا أن يقيموا فيه فقول لهم الرسل الذين جاؤوا من عند الملك الذى تطلبون أمامكم فيهنزونهن من ذلك المنزل فاذا نزلوا الثانى وجده أعظم من الأول فيريدون أن يقيموا فيه فترحلهم الرسل إلى ما بعده هكذا يقطعون بهم المنازل منزلا منزلا حتى يوقفونهم على الملك فيقولون لهم ها أنتم وربكم فيستريحون من تعب ويتمتعون بالجمالة والنظر والمراد بالرسل هنا الأنبياء الذين بعثهم الله وخلفاؤهم من كان على قدمهم من جمع بين الحقيقة والشريعة وهذه المنازل هى المقامات التى يقطعها المرید اه بالعى مع الاختصار لطول العهد به وقد أشار الششتري إلى التنيه على عدم الوقوف مع هذه المقامات والكرامات فقال

فلا تلتفت في السير غيرا وكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حسنا
وكل مقام لا تقم فيه انه حجاب يجد السير واستجد العونا
ومهما ترى كل المراتب تجتلي عليك لخل عنها فمن مثلها حطنا
وقل ليس لي في غير ذاك مطلب فلا صورة تجلي ولا طرفة تعين

واعلم أن هذه الآداب التى ذكرها الشيخ في هذا الباب قد تكون خاصة بالعارف وقد يشاركه فيها غيره فذلك يعبر بعبارة واسعة لتكون عامة لأن المرید قد يترقى إلى مقام وقد بقيت عليه بهية مما قبله فيكملها فيه والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب الخامس وهو ترك الطلب من حيث هو قال فيها يأتى ربما دلهم الأدب على ترك الطلب فقال (طلبك منه اتهام له وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لغيره لقله حياتك منك وطلبك من غيره لوجود بعدك منه) قلت طلبك منه يكون بالتضرع والابتهال وطلبك له يكرن بالبحث والاستبدال وطلبك لغيره يكون بالتعرف والاقبال وطلبك من غيره يكون بالخلق والسؤال وحاصلها أربعة طلب الحق ومنه طلب الباطل ومنه وكما مدخولة عند المحققين أما طلبك منه فوجود تهمة لك لأنه إنما طلبته مخافة أن يهملك أو يغفل عنك فأما بنيه من يجوز منه الاغواء وإنما يذكر من يمكن منه الإهمال وما الله بغافل عما تعملون أليس الله بكاف عبده وقال صلى الله عليه وسلم من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين فالسكون تحت مجارى الأقدار أفضل عند العارفين من التضرع والابتهال وكان شيخ شيوختنا مولاي العربى رضى الله عنه يقول : الفقير الصادق لم تبق له حالة يطلبها وإن كان ولا بد من الطلب فليطلب المعرفة اه (قلت) وإذا ورد منهم الدعاء فأما

فيها ولو كان جملا أو جبلا أرته بكل أجزائه فيها من غير حلول فيها ولا اتصال بها ولا تحيز في شيء منها فكذلك الحق سبحانه وتعالى إذا تجلى على قلب عبده المؤمن يشاهده بين قلبه وبجتيه يبصر بصيرته من غير حلول ولا تحيز ولا اتصال ولا انفصال وأوضح من هذا المثال ما أشرحه في هذه الآيات

ولما تجلى من أحب تكروما واشهدنى ذاك الجناح المعظم
تعرف لي حتى تيقنت أنني أراه يعنى جهرة لا توها
وفي كل حال أجتليه ولم يزل على طور قلبي حيث كنت مكلا
وما هو في وصلي بمحصل ولا بمفصل عني وحاشاه منها
وما قدر مثلي أن يحيط بخله وأين ترى من طلعة البدر إنما
أشاهده في صفو سرى فأجتل كالا تعالى عزة أن يقسا

هو عبودية وحكمة لا طلباً للقسم إذ ما قسم لك وأصل اليك ولو سألته أن يمنعه ما أجابك (وفي) المسألة خلاف بين الصوفية هل السكرت أولى أو الدعاء والتحقيق أن ينظر ما يتجلى فيه وينشرح له الصدر فهو المراد منه (وأما) طلبك له فهو دليل على غيبتك عنه بوجود نفسك فلو حضر قلبك ووهلك لما وجدت غيره

أراك تسأل عن نجد وأنت بها وعز تهامة هذا فعل منهم

وقال ابن المرحل السبتي رضى الله عنه

ومن عجب أني أحن إليهم وأسأل شوقاً عنهم وهم معي
وتبكيهم عيني وهم بسوادها ويشكو النوى قلبي وهم بين أضعي

والرفاعي رضى الله عنه

قالوا أنسى الذي نوى فقلت لم يا قوم من هو روحى كيف أنساه
وكيف أنساه والأشياء حسنت من العجائب ينسى العبد مولاه
ما غاب عن ولكن استأبصره إلا وقت جهار قل هو الله

(وأما) طلبك لغيره أى لمعرفة غيره فقلته حياتك منه وعدم أنك به أما وجه قلته حياتك منه فلأنه يناديك إلى الحضرة وأنت تفر منه إلى الفلقة ومثال ذلك كمن كان في حضرة الملك والملك مقبل عليه ثم يجعل هو يريد الخروج منها ويلتفت إلى غيره فهذا يدل على قلته حياته وعدم اعتناؤه بالملك فهو حقيق بأن يطرده إلى الباب أو إلى سياسة الدواب وقد قالوا أنك من تعرف ولا تعرف لمن لا تعرف (وأما وجه) عدم أنك به فلأنك لو أنست به لاستوحشت من خلقة فلا يتصور منك طلب معرفتهم وأنت تفر منهم فإذا آنسك به أوحشك من خلقة وبالعكس والاستئناس بالناس من علامة الإفلاس إقبالك على الحق إقبالك عن الخلق وإقبالك على الخلق إقبالك عن الحق وقد عدوا من أصول الطريق الإعراض عن الخلق في الأقبال والادبار (وأما) طلبك من غيره فوجوده عندك عنه إذ لو تحققت بقربه منك وهو كرمها احتجت إلى سؤال غيره وهو لثيم وسيأتى في المناجاة أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما قطعت عادة الامتنان (وفي بعض) الكتب المنزلة يقول الله تبارك وتعالى إذا أنزلت بعبدى حاجة فرفعها إلى أعلم ذلك من نيتة لو كادته السموات السبع والأرضون

فإن أن يبدى لهم يظهر وجهه بصغو غير وهو في أفق السما

واعلم أن هذه الخصوصية إنما هي لابن آدم دون الملك وإنما كان كذلك لما ذكرنا أن الأدنى مخلوق من العالمين اللطيف والكثيف فينزل القلب فيه بمنزلة المرأة في لطفها وكثافتها فذلك أنطبع فيها ما يقابلها من الرنيات ولا كذلك للملك فإنه مخلوق من لطيف فقط وهو كله نور يشف ظاهره وباطنه فهو كالزجاجة الشفافة نورها غارق فلا يتماثل فيها ما يقابلها بالعدم التكثيف الذى يعكس ما يقابلها إليها فهذا سر العكس والمقابلة أه كلامه رضى الله عنه ومن هنا يبدأ الطلوع (وحاصله) أن الأدنى كالمرأة التى من خلقتها الطلاء وهو الدهن الذى يجعل فيه والملائكة كالمرأة التى لا طلاء خلقتها لكن الملائكة فيهم الخواص والعوام وفيهم المارقون وغيرهم والله تعالى أعلم (و) قوله ومن هنا يبدأ الطلوع الإشارة نمون إلى الموضوع الذى جعله الله محلا للروح ومستقرا لها في هذا العالم السفلى أى من هذا المحل السفلى الذى تقررت فيه الروح يبدأ طلوعها وعروجها إلى محلها الأصلى الذى هو عالم الملكوت أو الجبروت وطلوعها بقدر تخليها عن هذا الوطن وغيبتها عنه فيقدر ما تنيب عن

البيع لجعلت من أمره فرجاً ومخرجاً وإذا أنزلت بعبدى حاجة فرضها إلى غيرى أضحيت الأرض من نعمته وأسقطت السماء من فوقه وقطعت الأسباب فيما بيني وبينه أو كما قال لطول العهد به فتحصل أن الأدب هو الاكتفاء بمن الله والتحقيق بمعرفة الله والاستغناء به عما سواه والله تعالى أعلم ثم ذكر الأدب السادس وهو التسليم والرضى بما يجري به القدر والقضاء فقال (ما من نفس تبديه إلا وله قدر فيك يمضيه) قلت النفس بفتح الفاء عبارة عن دقيقة من الزمان قدر ما يخرج النفس ويرجع وهو أوسع من الطرفة والطرفة أوسع من اللحظة وهي رمق البصر ورده والقدر هو العلم السابق للأشياء قبل أن تظهر وهو أعلم أوقاتها وأماكنها ومقاديرها وعدد أفرادها وما يعرض لها من الكيفيات وما ينزل بها من الآفات فإذا علمت أيها الإنسان أن أنفاسك قد عمها القدر ولا يصدر منك ولا من غيرك إلا ما سبق به عليه وجرى به قلبه لئلا أن ترضى بكل ما يجري به القضاء وأنفاسك معدودة وطرقاتك ولحظاناتك محصورة فإذا انتهى آخر أنفاسك رحلت إلى آخرتك وإذا كانت الأنفاس معدودة فما بالك بالخطوات والخطرات وغير ذلك من التصرفات والله در القائل :

مشينا خطي كتبت علينا - ومن كتبت عليه خطي مشاها

ومن قسمت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

وحقيقة الرضى هو تلقى الممالك بوجه ضاحك وحقيقة التسليم استواء النعمة والتعبد بحيث لا يختار في أيهما يقيم وهذا هو مقام أهل الكمال الذين يتحققوا بالزوال نفعنا الله بذكرهم وخرطنا في سلكهم أمين ثم ذكر الأدب السابع وهو دوام المراقبة ومواصلة المشاهدة فقال (لا تترقب فراغ الاغيار فإن ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو متملك فيه) الترقب هو الانتظار والاغيار بكسر الهمزة وهو ما يغير القلب عن حاله والغالب استعماله فيما يغيره من حالة الكمال إلى حالة النقص وعند الصوفية كل ما يشغل عن الحضرة ويغير القلب عنها فهو غير والمراقبة هي العسة على القلب فلا يخرج من حضرة الرب والمراد بها في كلام الشيخ مطلق العسة تصدق بمراقبة القلب كما تقدم وتصدق بمراقبة الروح وهي عساه على دوام الشهود وبمراقبة السروهي عسته على دوام الترقب والأدب

(قلت) إذا أقامك الحق تعالى في حال يغاب فيها وجود الاغيار لعلبة الحس فيها كما إذا أقامك في شغل دنيوى في الظاهر لا يحيد لك عنه فجاهد قلبك في العسة عليه في الحضور لئلا تترك الغفلة أو جاهد روحك في العسة عليها في دوام الشهود لئلا يسرك الحس أو جاهد سرك في استمداد المواهب والعلوم لئلا يحصل ذلك فتور ولا تترقب

موضوعها ففارقة وتخرج عنه إلى أصلها وبقدر ما يتعلق به وترغب به تستقر فيه وتسكن في هيكله (قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أيها الشائق إلى سبيل نجاته التائق إلى حضرة حياته أقل النظر إلى طاهره إن أردت فتح باطنك لا سرار ملكوت ربك (وفي بعض) الكتب المنزلة يقول الله تعالى عبيد إنا متحكك صفاتى لعمري بها فان ادعيتها سلبتك التولية ولم أسلبك صفاتى يا عبيد أنت صفتى فأرجع إلى أرجع اليك يا عبيد فيك للعلوم باب مفتاحه أنا وفيك للجهل باب مفتاحه أنت فأفهد أى البابين شئت يا عبيد قرنى منك بقدر بعدك عن نفسك وبعيدى عنك بقدر قربك من نفسك فقد عرفك الطريق فأترك نفسك تصل الى فى خطوة واحدة يا عبيد كل ما جعلك على فهو منى وكل ما فرقك عنى فهو منك فجاهد نفسك تصل الى واني لفتى عن العالمين ثم قال يا عبيد ان منحتى نفسك رددتها اليك راضية وان تركتها عندك فهو أعظم بلية فهي أعدى الأعداء اليك فجاهدها تعد بالفوائد اليك وكان شيخنا رضى الله عنه يقول ان شئتم أن أقسم لكم انه لا يدخل عالم الملكوت من قلبه علاه (و) قال الششتري رضى الله عنه ليس يدرك وصلى كل

أى تنظر فراغ شغل يدك من تلك الاغيار فتؤخر حضور قلبك إلى تمام شغل يدك فيفوتك وجود المراقبة في تلك الحال التى أقامك الحق فيها فيحك سوء أدب وفيه أيضاً تضيق ذلك الوقت وخلوه من معاملة الحق وصرف الاوقات لا يمكن قضاؤها .

(ولقد) بلغنى أن شيخ شيخنا مولاي العري رضى الله عنه كان إذا رأى أصحابه في شغل وغف عليهم أن يسرقهم الحس ناذى عليهم بأعلى صوته أنت أنت تنهيا لهم ولإيقاظاً من شهود الحس وقد ذكر الشمراني في المهود عن بعض أشياخه أنه كان لا ينيب عن الله ولو في حالة الجماع وهذا شأن أهل الاعتناء من العارفين وهذا هو جمع الجمع والله تعالى أعلم .

(تنبيه) ليس هذا تكراراً مع ما تقدم في قوله احالتك الاعمال على وجود الفراغ الخ لأن ذلك في عمل الجوارح وهذا في عمل القلوب بذلك على ذلك تغييره هنا بالمراقبة وتصغيره ثم بالاعمال والافادة خير من الاعادة وبالله التوفيق وإذا حصلت لك المراقبة أو المشاهدة في حال الاغيار فلا تستغرب ما تراه من الاكدار لئلا يحصل لك الانكار وإلى هذا أشار بقوله (لا تستغرب وقوع الاكدار ما دمت في هذه الدار فإنها ما أبرزت إلا ما هو مستحق وصفها وواجب نعمتها) الاستغراب تصيير الشيء غريباً حتى يتعجب منه والاكدار كل ما يكدر على النفس ويؤلمها ومستحق وصفها ما تستحق أن توصف به وواجب نعمتها ما يجب أن تمتع به قال بعضهم الوصف يكون بالامور اللازمة و(المتع يكون) بالموارض الطارئة فالامور اللازمة كالبيض والسواد والطول والقصر والموارض كالمرض والصحة والفرح والحزن وغير ذلك والمراد هنا بالادوصاف ما يتكرر وقوعه كالموت والأمراض وما يقع كثيراً وبالنسبة ما يعل وقوعه في العادة كالفتن والمزج والزلازل لأنهم يقولون الادوصاف لوازم والنسبة دوارض وقيل شيء واحد وهو الاصح (قلت) من آداب العارف أن لا يستغرب شيئاً من تجليات الحق ولا يتعجب من شيء منها كاتنه ما كانت جلالته أو جمالية فإن نزلت به نوازل قهريه أو وقعت في هذه الدار أكدار وأغيار جلالته فلا يستغرب وقوع ذلك لأن تجليات هذه الدار كلها جلالته لأنها دار أهوال ومنزل فرقة وتقال (وفي الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خطبه أيها الناس إن هذه الدار دار التواء أى هلال لادار استواء ومنزل ترح أى حزن لا منزل فرح فن عرفها لم يفرح لرغبتها ولم يحزن لشقتها الا وان الله خلق الدنيا دار بلوى دار عقي فجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عرضاً فيأخذ ليعطى ويتلى ليجزى وانها لسبعة التوى وشبكة الانقلاب فأحذروا حلاوتها وقضاها الماراة

من فيه بقيا ، وقد أوضح النافط هذا المعنى فيما يأتي حيث قال :

لم يتصل بالعالم الروحاني من عمره على الفضول عانى

ليس يرى من المعاني دان من قلبه في عالم الأبدان

والبيت الآخر تفسير لما ذكره هنا بقوله ومن هنا يبدأ الطلوع وبأنى زيادة بيان وتوضيح عند شرحها إن شاء الله

والله تعالى أعلم ثم بين كيف كان اتصال الروح بالحضرة فقال :

فلم تزل كل نفوس الاحياء علامة دراكة للأشياء

وإنما تعوقها الابدان والافس النزع والشيطان

فكل من أذاقهم جهاده أظهر للقاعد خرق العادة

النزع هو النخس والتحريك نزع الشيطان أى نخسه وحركه والافس النزغ هى التى تحرك صاحبها الدعاصى والشهوات

فظامها واهجروا لذيذ عاجلها لكرية آجلها ولا تسعوا في عمران دار قد قضى الله خربها ولا تواصلوها وقد أراد الله منكم اجتنابها فكونوا السخطة مترصين ولعقوبته مستحقين (وقال) الجنيدى رضى الله عنه ليس استبشع ما يرد على من العالم لاني أصلت أصلا وهو أن الدار درام وغم وبلاء وقته وأن العالم كله شر ومن حكمه أنه يتفانى بكل ما أكره فان تلقاني بما أحب فهو فضل وإلا فالأصل هو الأول وفي ذلك قيل

يمثل ذو اللب في له شدة قبل أن تزل
فان تزل بقية لم ترعه لما كان في نفسه مثلا
رأى الأمر يقضى إلى آخر ضير آخره أولا
وذو الجهل يأمن أيامه وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته صروف الزمان ببعض مصائبه أعولا
ولو قدم الحزم من نفسه لعله الصبر عند البلا

قال أبو سليمان الدارني لأحمد بن أبي الحواري يا أحمد جوع قليل وعرى قليل وذلل قليل واصبر قليل وقد انقضت عليك أيام الدنيا أه فلا تستغرب أيها العارف ما يقع بك أو تفكر من الاكدار مادمت مقيا في هذه الدار لأنها ما برز فيها من التجليات الجلالية الا ما هو مستحق أن تصف به وواجب أن تتعت به فلا تستغرب شيئا ولا تتعجب من شيء بل الواجب عليك أن تعرف الله في الجلال والجمال والحلوة والمرّة وأما ان كنت لا تعرفه الا في الجمال فهذا هو مقام العوام والمعرفة في الجلال هو السكون والأدب والرضى والتسليم فينبغي للفقير أن يكون كمشب السمار إذا جاءت حملة الوادى حتى رأسه وإذا ذهبت رفع رأسه وكما لا تستغرب وقوع الاكدار بحيث لا تحزن ولا تخف ولا تجزع كذلك لا تتعجب من وقوع المسار وهو الجمال بحيث لا تفرح ولا تبتر فان الجلال مقرون بالجمال والجمال مقرون بالجلال يتعاقبان تعاقب الليل والنهار والعارف يتلون مع كل واحد منهما لا يستغرب شيئا ولا تتعجب من شيء اذ كل ما يبرز من عنصر القدرة كله واحد وبهذا وقع التفريق بين الصادق والصادق لأن الصديق لا يتعجب من شيء ولا يتردد في شيء وعد به بخلاف الصادق فقط فانه مهما رأى شيئا مستغربا تعجب منه وإذا وعد بشيء قد يتردد في امثاله وقد وصف الله تعالى السيدة مريم بالصدقية ولم يصف السيدة سارة بها لأنها لما بشرت بالولد على وجه

والنفس والعقل والقلب والروح والسر شيء واحد عند محققى الصوفية وما ثم الا اللطيفة الربانية حين اشبتك بهذا البدن وسجدت في هذا الهيكل اختلفت سميتها باعتبار تطورها وترقيتها فاما دامت مظلة بالشهوات والمعاصي سميت نفسا فاذا أخرجت وانعزلت عن المعاصي سميت عقلا فاذا سكنت الى الطاعة لكنتها تنقلب في التدبير والاختيار والاهتمام بأمر البدن سميت قلبا فاذا اطمانت بالله وسكنت اليه وفقت بصيرتها بشهود نور أصلها سميت روحا فاذا انصرفت من الحس وصارت معنى محضا سميت سرا وهذا كان أصلها سرا من أسرار الله قال تعالى قل الروح من أمر ربي ، أى سر من أسرارها فكانت في الاصل علامة لما كان وما يكون دراكة دقائق الاشياء على ما هي عليه ولما أدخلها الحق في هذا الهيكل الكثيف اظهرها لحكمته واعلاما بظلمة قدرته واشعارا بقهره انجبت عن أصلها وغاب عنها ذلك العلم والادراك ونسبت معاهدتها ومعالمها اشتغالا بتدبير هذا الهيكل الطينى فهو يميل بها الى أصله ويميل بها الى أرض الشهوات التي نشأ بالحكمة منها وهي تتشقق الى أصلها ونحن الى وكرها فاذا طارت ورفرت الى وكرها وجلت قعر البدن محيطا بها فربما شطحت ورقصت من وراء (٨ - ايقاظ أول)

خرق العادة استغربت وقالت إن هذا شيء عجيب فلذلك قالت لها الملائكة أنعجين من أمر الله بخلاف مريم فلم تعجب وإنما سألت سؤال استفهام فقط أو سألت عن وقت ذلك أو كيفيته هل بالتزوج أو بغيره والله تعالى أعلم ، ثم ذكر الأدب الثامن وهو أن يكون تصرفه بالله وقته ومن الله وإلى الله وهو تمام الصدق الذي هو لب الإخلاص والإخلاص خواص الخواص فقال (ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك) التوقف الحبس والتعذر والمطلب ما يطلب قضاءه والتيسر التسهيل .

(قلت) إذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة وأردت أن تقضى لك سريعاً فاطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك فإنك إذا طلبتها بالله تيسر أمرها وسهل قضاؤها وإن طلبتها بنفسك صعب قضاؤها وتيسر أمرها ولا يتوقف ويحبس أمر طئبه بربك ولا يتيسر وبسهل أمر طلبته بنفسك قال تعالى حاكياً عن سيدنا موسى عليه السلام وقال موسى لقومه « استمعوا بالله واسمعوا لأمري فاني أرى أن الأرض لله يورثها لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » فكل من استعان بالله وصبر في طلب حاجته كانت العاقبة له وكان من المتقين ، وقال تعالى « ومن يتوكل على الله فهو حسبه » أى كافيه كل ما أهمه وقال صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه وهو سويد بن غفلة لا تطلب الامارة فإنك إن طلبتها وكلت إليها وإن اتك من غير مسأله أعنت عليها وعلامة الطلب بالله هو الزهد في ذلك الأمر والاشتغال بالله عنه فإذا جاء وقته تكون ياذن الله وعلامة الطلب بالنفس هو الحرص والبطش إليه فإذا تعذر عليه انقبض وتغير عليه فهذا ميزان من كان طلبه بالله وطلبه بنفسه فمن طلب حوائجه بالله قضيت معني وإن لم تقض حساً ومن طلب حوائجه بنفسه خاب سعيه وضاع وقته وإن قضيت نهيمت وحاجته (وها هنا) ضابط يعرف به أهل العاقبة من أهل الخذلان وأهل الولاية من أهل الخسران ذكره الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فقال (إذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جرى ما قدر له ولا يلتفت إليها كأنه في معزل عنها وإذا أهان الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله عنه بمعزل وإن كان يجرى عليه شيء منها في الظاهر قال وهذا باب من الولاية والاهانة

(وأما) الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوى البصيرة لأنه بالله فيما يأخذ ويترك اه نقله الشيخ زروق في بعض شروحه (والحاصل) أن تصرفات العارف كلها بالله وتصرفات غيره كلها بالنفس ولو كانت

أردية العز والكبرياء وفي ذلك يقول الشيخ أبو مدين رضي الله عنه

| | |
|-----------------------------------|---------------------------------|
| يحركنا ذكر الأحاديث عنكم | ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا |
| فقل للذي ينهى عن الوجد أهله | إذا ابتذق معنا شراب المهرى دعنا |
| إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى القفا | نعم ترقص الأشباح أجاهل المعنى |
| أما تنظر الطير المغنص يا فتى | إذا ذكر الأوطان حن إلى المعنى |
| يفرح بالتغريد ما يفواده | فيطرب أرباب العقول إذا غنى |
| ويرقص في الأقصاء شوقاً إلى القفا | فتعطرب الاعضاء في الحس والمعنى |
| كذلك أرواح المحبين يا فتى | تهزرها الأشواق للعالم الأسنا |
| أنزلهما بالعبر وهي مشوقة | وهل يستطيع الصبر من شاهد المعنى |

بأنه فالعمل بالله يوجب القربة والعمل لله يوجب المثوبة العمل بالله صاحبه داخل الحجاب في مشاهدة الأحياء والعمل لله يوجب الثواب من وراء الباب العمل بالله من أهل التحقيق والعمل لله من أهل التشريع العمل لله من أهل قوله تعالى (إياك نعبد) والعمل بالله من أهل قوله تعالى (وإياك نستعين) وقال شيخ شيو خا سيدى على رضى الله عنه بين العمل بالله والعمل لله ما بين الدينار والدرهم اهـ وبالله التوفيق ومن كان عليه بالله كان راجعاً إليه في كل شيء ومتممداً عليه في كل حال وإليه أشار بقوله (من علامة النجى في النهايات الرجوع إلى الله في البدايات) النجى فى الشيء هو بلوغ القصد والمراد فيه ونجحت مطالبه إذا قضيت وبلغ منها ما أحب ونهاية الشيء تمامه وبدايته أوله

(قلت) إذا توجهت همتك إليها المريد إلى طلب شيء أى شيء كان وأردت أن ينجح أمره وتبلغ مرادك فيه وتكون نهايته حسنة وعاقبته محمودة فارجع إلى الله في بدايه طلبه وانسلخ من حوذك وقوتك وقل كما قال عليه السلام إن يكن من عند الله يمضه فلا تحرص عليه ولا تهتم بشأنه فاشاء الله كان وما لم يشأ ربنا لم يكن فلو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفكوك بشيء لم يقدره الله لك لم يقدروا على ذلك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقدره الله عليك لم يقدروا على ذلك جفت الأقلام وطويت الصحف كما في الحديث فإذا طلبت شيئاً وكنت فيه معتمداً على الله ومقوضاً أمرك إلى الله تنظر ما سبق في علم الله كان ذلك علامة نجح نهايتك وحصول مطلبك قضيت في الحس أو لم تقض لأن مرادك مع مراد الله لا مع مراد نفسك قد انقلب حظوظك حقوقاً لا تشتهى إلا ما قضى الله ولا تنظر إلا ما يرضى من عند الله قد فنت عن حظوظك وشهواتك وإن طلبت شيئاً بنفسك معتمداً على حوذك وقوتك حرباً على قضائها جاهداً في طلبها كان ذلك علامة على عدم قضائها وخيبة الرجاء فيها وعدم نجح نهايتها وإن قضيت في الحس وكلت إليها فتمت بسببها ولم تكن على شؤونها وآمرها وهذا كله مجرب صحيح عند العام والخاص وهذه الحكمة تتم لما قبلها وشرح لها والله تعالى أعلم :

ثم كل هذه المسئلة بقاعدة كلية تصدق بما تقدم وبغيره فقال (من أشرفت بدايته أشرفت نهايته) قلت إشراق البداية هو الدخول فيها بالله وطلبها بالله والاعتدال فيها على الله مع السعى في أسبابها والاعتناء في طلبها قياماً بحق الحكمة وأدباً مع القدرة ويعظم السعى في السبب بقدر عظمة المطلب بقدر المجاهدة تكون بعدها المشاهدة (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) إن رحمة الله قريب من المحسنين) وقال شيخ شيو خا سيدى عبدالرحمن المجزوب رضى الله عنه لا تحسبوا رخيصة ، رآدو أكل المشوق غالى ،

أنلزمها بالصبر وهى معشوقة وهل يستطيع للصبر من شاهد المعنى الخ كلامه ثم اعلم أن تطورات الروح من النفس والعقل والقلب والروح والسر كل طور له حد ينتهى إليه في العلم والادراك

أما النفس فخذ عليها وإدراكها زينة ظاهر الكون اغتراراً بتمتع ظاهره وغفلة عن عبدة باطنه واشتغالاً بحظوظها وهواها وأما العقل فخذ عليه وإدراكه افتقار الصنعة إلى صانعها فهو بقر الصنعة ويردها إلى صانعها معقولا عن غير ذلك وأما القلب فخذ عليه وإدراكه التوجه إلى خالقه بترك الأغيار وطلب الأنوار فقد انطلق من العقل وشد في طلب ولأه الرحال (وأما) الروح فخذ عليها وأدراكها مواجهة أنوار الملكوت طالبة أسرار الجبروت قد استراحت من تعب السير لكنها لم تتمكن من السر (وأما) السر فخذ إدراكه أسرار الجبروت فتمتعت البصيرة من الوقوف مع أنوار الملكوت وهذا انتهى السير قال تعالى (وإن إلى ربك المنتهى) وفي هذا المقام قال الشيخ أبو العباس الرسى رضى الله عنه

ولو عاينت عينك يوم تزلزل أرض النفوس ودكت الأجيال

ما تنحصر صاب الصيف ، إلا يبرد الليالي ، فن رأينا في بدايته جادا في طلب الحق معرضاً عن الإنس بالخلق مستغفراً في خدمة مولاه ناسياً لحظوظه وهواه علنا أن نهايته مشرقة وعاقبه محمودة ومآربه مقضية ومن رأينا مقصراً في طلب مولاه لم يخرج عن نفسه وهواه علنا أنه كاذب في دعواه قبايته الحرمان وعاقبه الخذلان إلا أن يتداركه الكريم اللتان هذا في طريق الوصول إلى حضرة الحق

(وأما) إشراف البداية في طلب حوائج الدنيا أو المقامات أو المراتب أو الخصوصية مثلاً فهو بالزهد والاعراض عنها والاشتغال بالله عنها قال بعضهم لا تدرك المراتب إلا بالزهد فيها قال الشيخ أبو الحسن كنت أنا وصاحب لي نعيد الله في مفارقة ونقول في هذا الشهر يفتح الله علينا في هذه الجمعة يفتح الله علينا فوقف على باب المغارة رجل عليه سماء الخير فقال السلام عليكم فرددنا عليه السلام وقلنا له كيف أنت فنفض علينا وقال كيف يكون حال من يقول في هذا الشهر يفتح الله في هذه الجمعة يفتح الله لا فتح ولا فلاح هلا عبدنا الله كما أمرنا ثم غاب عنا فقهنا من أين أخذنا فرجعنا على أنفسنا باللوم ففتح الله علينا اه بالمعنى ذكره في التوفيق فن طلب الخصوصية كان عبد الخصوصية وفاته حظه من الله حتى يتوب ومن كان عبد الله نال حظه من العبودية وأدركته الخصوصية من غير الثقات إليها ولا طلب والله تعالى أعلم ثم إن هذه الأمور التي تشرق بها البداية وتكون علامة على إشراف النهاية هي أمور باطنية كالاعتماد على الله والرجوع إليه أو كثرة الشوق والاشتياء إليه ولكن لا بد من ظهور أثرها على الظاهر وإليه أشار بقوله (ما استودع من غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر) استودع أي وضع فالاستيداع هو وضع الشيء في محل ليحفظ وغيب السرائر هو باطنها والمراد بالسرائر هو القلوب والأرواح وشهادة الظواهر هي ظاهر الجوارح (قلت) ما استودع الله سبحانه في القلوب وجهه فيها من خير أو شر من نور أو ظلمة من علم أو جهل من رحمة أو قسوة من بخل أو شح أو كرم وسخاء وقيض وبسط وبقلة أو غفلة ومعرفة أو نكران أو غير ذلك من الأخلاق الحمودة أو المذمومة لا بد أن يظهر آثار ذلك على الجوارح من أدب وتهذيب وسكون وطمأنينة ورزاق وبذل وعفو أو طيش وقلق وغضب وغير ذلك من الأحوال القلبية والأعمال القلبية قال تعالى «تعرفهم بسياهم» وقال «سياهم في وجوههم» وقال صلى الله عليه وسلم من سر سريرة كساه الله رداءها فاعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب فن أودع في سر غيبه معرفة مولاه لم يطلب من سواه ومن أودع في سر غيبه الجمل بمولاه تلقى بما سواه وهكذا أحوال الظاهر تابعة لأحوال الباطن كما تقدم في قوله تنوعت أجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال

لأيت شمس الحق يسطع نورها يوم الزلزل والرجال رجال

قال والأرض أرض النفوس والجيال جبال العقل اه أي لو غبت عن نفسك ولم تقف مع عقلك لأريت أنوار ربك (قوله) وإنما توقفها الأبدان أي إنما يمتنعها من الرجوع إلى أصلها فتكون علامة دراية للأشياء كما كانت في أصلها الأبدان التي هي كالانتهاز لها حصراً كالقاصص والأردية لها سترًا وإنما منها البدن من الرجوع إلى أصلها لأنه طلباني طيني صلاص لا يميل بطبعه إلا لأصله من الشهوات الجسمية ما كلاً ومشرباً وملبساً وكلما تعمق في ذلك تكثفت بشريته وقويت دائرة [حده فقطم حجاب الروح وتوغلت في هذا القصر وكذلك النفس الزائلة المحركة إلى الحظوظ الدنسية كحب العلو والجمامو المدح والثناء وحب الدنيا والنساء وغير ذلك مما يستتبع هذا من الكبر والحسد والبغض والغضب والقلق والحقد وخوف الفقر وهم الرزق وحب الأغنياء طمعاً وحرصاً واحتقاراً للفقراء وغير ذلك من عيوبها فهي التي حجب الروح ومنعتها من العروج إلى وطنها ولها هذه الأمراض وضع علم التصوف وكذلك الشيطان يوسوسه ونزعه وتزيينه لأنه حوسود فيزبها الكفر

فالأسرة تدل على السرية والكلام صفة المتكلم وما فيك ظهر على فيك وكل إناء بالذي فيه يرشح وما علم القلوب فعل
الوجه أثره والله تعالى أعلم وأعظم ما استودع في غيب السرار معرفة الله وهي على قسمين معرفة البرهان ومعرفة العيان
أشار إلى الفرق بينهما فقال (شأن بين من يستدل به أو يستدل عليه للمستدل به عرف الحق لأهله وأثبت الأمر من
وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول إليه وإلا فحق غاب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي
توصل إليه) شأن بمعنى بعد واقترب ولا تكون إلا في اقتراف المعاني دون الحسيات (قلت) اعلم أن الحق سبحانه لما أراد
أن يتجلى بأسرار ذاته وأنوار صفاته أظهر بقدرته قبضة من نوره الأزل فاقبض القدرة ظهور آثارها وشهود أنوارها
واقبض الحكمة استدال حجابها وإظهار أسرارها فلما عرفت القدرة نورها في مظاهر الكون استدلت عليها الحكمة
رداء الصون فصارت الأكوام كلها نورا في حجاب مستور ثم إن الحق سبحانه قسم الخلق قسمين وفرقهم فرقتين قسم
اختصهم بحجته وجعلهم من أهل ولايته ففتح لهم الباب وكشف لهم الحجاب فأشهدهم أسرار ذاته ولم يعجبهم عنه بآثار
قدرته وقسم أقامهم لحجته وجعلهم من أهل حكمته أسدل عليهم حجاب الوهم وغيب عنهم نور العلم والفهم فوققوهم ظواهر
القشور ولم يشهدوا بواطن النور مع شدة الظهور فنبهان من أخفى سره بحكمته وأظهر نوره بقدرته فأما أهل المحبة
وهم أهل الولاية والعرفان من أهل الشهود والعيان فهم يستدلون بالنور على وجود السور فلا يرون إلا النور وبالحق
على وجود الخلق فلا يبدون إلا الحق وبقدرته على حكمته فوجدوا قدرته عين حكمته وحكمته عين قدرته فنبأوا بشهود
الحق عن رؤية الخلق إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواء.

(وأما) أهل الخدمة من أهل الحكمة فهم يستدلون بظهور السور على وجود النور وبالحق على وجود الحق غايوا
عنه في حال حضوره وحجبوا عنه بشدة ظهوره (قال) بعض العارفين أثبت الله تعالى للعامة المخلوق فأنبتوا به الخلق
وأثبت للخاصة نفسه فأنبتوا به المخلوق أه فشتان أي فرق كبير بين من يستدل به على ظهور أثره وبين من يستدل بظهور
أثره على وجوده لأن من يستدل به عرف الحق وهو الوجود الحقيقي من وجود أصله وهو الجبروت الأصلي القديم الأزلي
يعني أن من عرف الله حتى صار عنده ضرورياً عرف الوجود إنما هو الله واتفق عنه وجود ماسواه وأثبت القدم
لأوله ومنتهاه.

(أو تقول) عرف الحق وهو الوجود الأصلي لأهله وهو الله تعالى وأثبت الأمر وهو الوجود الفرعي من وجود
ثم المعاصي ثم التلبط عن الطاعات ثم إدخال الرياء فيها ثم العجب فإذا تخلصت من هذه العوائق رجعت إلى أصلها من علم
الحقائق وإلى ذلك أشار بقوله :

فكل من أذاقهم جهاده أظهر للقاعد خرق العادة

لجهاد البدن يقطع مواده من تقليل الطعام والشراب واللباس والنام فلا يأكل ولا يشرب إلا ليتقوى على طاعة
الله ولا يلبس إلا ما يحفظ به البدن لأنه معرفة سر الله ولا ينام إلا ما يرد به العقل والنشاط لطاعة الله وكذلك لا ينقل
قدميه إلا حيث يرجو ثواب الله ولا يجلس إلا حيث يأمن غالباً من مصيبة الله ولا يصحب إلا من يستعين به على طاعة الله
ولا يتبع إلا من يتحقق وصلته بالله فيكون على كل حال عاملاً بالله وجهاد النفس يقطع مآلوفاتها وخرق عوائدها بتحميلها
ما تكره وإبعادها ما تنحب وأعظمها ثلاث حب الجاه وحب الدنيا وحب النساء وجهاد الشيطان بالاشتغال بالله والنية عنه
فقدوة العدو حقاً هي اشتغالك بمحبة الحبيب حقاً (قال) تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً يعني وأنا لكم حبيب

أصله أى الحقبة بأصله فاذا التحق الفرع بالأصل صار الجميع جبروتياً أصلياً ومحملاً أن يكون معناها واحداً ويكون التقدير عرف الوجود الحقيقي لأهله وأثبت ذلك الأمر من أصله كقولك عرفت هذا الحكم وأثبت به من أصله واثقه تعالى أعلم.

(وأما) من يستدل عليه فليدعه عنه في حال قر به منه ولتبيته عنه في حال حضوره معه بعده الوهم وغيبه عدم الفهم وإلا فتنى غاب حتى يستدل عليه إذ هو أقرب اليك من حبل الريد ومتى بعد حتى تكون الآثار الوهمية هى التى توصل اليه وهو معكم أينما كنتم إذ أثر القدرة هو عينها فالصفة لا تقارق الموصوف إذ لا قيام لها إلا به ولا ظهور لها إلا منه وسأنى له فى المناجاة إلهى كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مقتدر اليك أ يكون لغيرك ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل بدل عليك ومتى بدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك والله تعالى أعلم، ولما كان المستدلون بالله قد وسع عليهم دائرة العلوم وفتحت لهم مخازن الفهم بخلاف المستدلين عليه قد قتر الله عليهم أرزاق العلم بوجود حجاب الوهم أشار إلى ذلك بقوله (لينفق ذو سعة من سعته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السارئون اليه) السعة هى الغنى وقدر عليه ضيق عليه (قلت) أما الواصلون اليه فلا أنهم لما نفدت أرواحهم من ضيق الأكران إلى فضاء الشهود والبيان :

(أو تقول) لما عرجت أرواحهم من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح أو من عالم الملك إلى عالم الملكوت اتسعت عليها دائرة أرزاق العلوم وفتحت لها مخازن الفهم فأنفقوا من سعة غنائم جواهر العلم المكنون ومن مخازن كنوزهم يواقت السر المصون فأنسح لهم ميدان المجال وركبوا أجياد البلاغة وفصاحة المقال فأسرع الفطنين واجهته منهم العناية وما أعظم فتح من لحظته منهم الرعاية أن لله رجلا من نظر إليهم سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً وهم أهل السر والحلل أما السارئون إلى إله الله فلا أنهم باقون فى ضيق الأكران وفى عالم الأشباح مسجونون فى سجن الوهم لم يفتح لهم شيء من مخازن الفهم مشغولون بمجاهد نفوسهم ومعاناة تصفية قلوبهم مضيق عليهم فى العلوم ومقتدر عليهم فى سائر الفهم فان جدوا فى السير وصلوا وانتقلوا من ضيق الأكران ورحلوا وتبختروا فى رياض العلوم ورفلوا فظفروا بما أملاوا واستغنوا بعدما أنملوا وان رجعوا من الطريق أو قصر واقع خابوا وخسروا (تنبيه) إن أردت أن يتسع عليك علم الأذواق فاقطع عنك مادة الاوراق فما دمت متكللاً على كنز غيرك لا تحفر على كنزك أبداً فاقطع عنك المادة وافقر إلى الله تفيض عليك المواهب من الله إنما الصدقات للفقراء والمساكين إن أردت بسط المواهب عليك صح الفقر والفاقة لديك وقد قال الدباس لتليذه فاتخذونى حبيداً أكفكم عداوة عدوك (وبنى) من العوائق الناس فانهم أكبر العوائق وأقبح القواطع لمن وقف معهم واشتغل بمطالبهم وأما من غاب عن حهم وغرق فيهم فقد صاروا له عوناً على الترقى إلى معرفة خالقهم وإلى هذا المعنى أشار شيخ شيوخنا المجتوب رضى الله عنه بقوله .

الخلق نوار وأنا أرعيت فيهم هم الحجب الأكبر والمداخل رآه فيهم
وقال فى الحكم إنما أجرى الذى عليهم كى لا تكون ساكناً اليهم أراد أن يعجبك عن كل شيء حتى لا تكون ساكناً إلى شيء وقال فى شأن الشيطان والنفس إذ علمت أن الشيطان لا ينفل عنك فلا تنفل عنك فلا تنفل أنت عن ناصيتك يده إنما جعله لك عدواً ليحوشك به اليه وحرك عليك النفس ليديم إقبالك عليه (فحصل) أن هذه العوائق الأربعة إنما هى عوائق لمن وقف معها وحجب بها وأما من لم يقف معها فانما هى فى حقه معونات وموصلات حركتهم إلى الله ودفعتهم إلى حضرته وبها ثبتت خصوصيتهم وتحقق سيرهم لولا ميادين النفوس ملتحق سائر السائر فيسبحان من جمع بين الضدين شيء.

ميمونة حين تأخر عنه الفتح فرصدته فوجده يطالع رسالة القشيري اطرح كتابك واحرق في أرض نفسك يفرج لك ينبوع ولا فاذهب عنى اه والله التوفيق ثم ذكر سبب اتساع العلوم على الواصلين دون السائرين وهو أن الواصلين لم يقيموا مع شهود الانوار بل نفذوا الى نور الانوار بخلاف السائرين فانهم واقفون مع الانوار مفتقرون اليها ما لو كانوا في يدها فقال (اهتدى الى احلون اليه بانوار التوجه الى اصول نور الانوار المواجهة فالاولون نلوا نوراً وهؤلاء الانوار لم لانهم قلة لا لشيء دونه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) قلت انوار التوجيه هي انوار الاسلام والايمان وانوار المواجهة هي انوار الاحسان (أو تقول) انوار التوجيه انوار الطاعة الظاهرة والباطنة وانوار المواجهة هي انوار الكفرة والنظرة (أو تقول) انوار التوجه انوار الشريعة والطريقة وانوار المواجهة انوار الحقيقة (أو تقول) انوار التوجه انوار المجاهدة والمكابدة وانوار المواجهة هي انوار المشاهدة والمكاملة ويان ذلك أن الحق سبحانه إذا أراد أن يوصل عبده إليه توجه إليه أولاً بنور حلوة العمل الظاهر وهو مقام الإسلام فيتهدى إلى العمل ويعنى فيه ويدوق حلوته ثم يتوجه إليه بنور حلوة العمل الباطن وهو مقام الايمان من الإخلاص والصدق والطمأنينة والانس بالله والتوحيش عما سواه فيتهدى إليه ويفنى فيه ويدوق حلوته ويتمكن من المراقبة وهذا النور أعظم من الأول وأكمل ثم يتوجه إليه بنور حلوة المشاهدة وهو عمل الروح وهو أول نور المواجهة فتأخذه الدهشة والحيرة والسكره فإذا أفاق من سكرته وصحما من جذبه وتمكن من الشهود وعرف الملك المعبود ورجع إلى البقاء كان لله وبالله فاستغنى عن النور بمشاهدة نور النور لأنه صار عين النور فصار مالكا للأنوار بعد أن كانت مالكة له لا تقاربه لما قبل وصوله إلى أصلها فلما وصل صار عبداً لله حراً عما سواه ظاهره عبودية وباطنه حرية (والحاصل) أن المرید مادم في السير فهو يتهدى بانوار التوجيه مفتقراً إليها لسيده بها فإذا وصل إلى مقام المشاهدة حصلت له انوار المواجهة فلم يفتقر إلى شيء لأنه لله لا شيء دونه فالراجلون وهم السائرون للأنوار لا تقارم إليها وفرحهم بها وهؤلاء الواصلون الانوار لهم لاستغنائهم عنها بالله فهم لله ربا لله لا شيء دونه ثم نلى الشيخ هذه الآية على طريق أهل الإشارة قل الله بقلبك وروحك وغب عما سواه ثم خذ الناس أي اتركهم في خوضهم يلعبون أي يخوضون في السوى لا يعين في الهوى وقد اعترض بعض المفسرين على الصوفية استشهادهم بهذه الآية ولم يفهم مرادهم قد علم كل أناس مشربهم وكان الشيخ ابن عباد يقول لا تجملوا أهل الظاهر حجة على أهل الباطن اه أي لأن أهل الباطن نفاهم دقيق وغزلم

واحد حبيب من وجه عدو من وجه وفي الحقيقة ما ثم الا الحبيب أوقف على بابه حراسا ليظهر الصادق من الكاذب فيها والله عليهم حكيم (و) قوله أظهر للقاعد خرق القاعدة يعنى أن من نهض إلى مجاهدة هذه الثلاث أو الأربع قد يكرمه الله بظهور الكرامات وخرق العادات اما حسية أو معنوية فيظهر عليه بحسب كل مقام غرق يليق به على قدر حاله فن مجاهدة البدن تظهر الكرامات الحسية أما من جهة العبادة الحسية كحلوة الطاعات ولذيق المناجاة لقوله صلى الله عليه وسلم من غص بصره لله رزقه عبادة يجد لذتها وأما من جهة خرق المادة الحسية كالشيء على الماء والطيران في الهواء وطى الأرض وتسخير السباع وجلب الطعام والماء من التيب وغير ذلك (و) من مجاهدة النفس تظهر الكرامات المعنوية من فهم العلوم واتساع الفهم وتحقيق اليقين وشهود رب العالمين وتسخير النفوس وقهرها وظهور الجلالة والمهابة إلى الخلق الحديث إنما يرحم الله من عباده الرحماء وقوله عليه السلام من خاف من الله خاف كل شيء الحديث ونحو ذلك (و) من مجاهدة النفس الشيطان ظهر الكرامات الحقيقية بالكفاية والهداية والحفظ من الضلال والغواية لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم

رفيق لا يفهم اشارتهم غيرهم فنعنا الله بهم وخرطنا في سلمهم آمين (هذا) آخر الباب الثاني وحاصلها آداب المعارف وعلاماته فالآداب ثمانية والعلامات أربع الرجوع اليه في كل شيء والإعتماد عليه في كل حال والنية فيه عن كل شيء والاستدلال به على كل شيء واتساع أرزاق العلوم وفتح مخازن الفهوم والوصول إلى مواجهة الأنوار والنية عنها بشهود الواحد القهار ثم افتتح الباب الثالث بذكر الخلطة والتطية فقال (وقال رضى الله عنه تشوفك إلى ما بطن فيك من العيوب خير من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب) التشوف إلى الشيء الاهتمام به والتطلع له

(قلت) تشوفك أيها الإنسان إلى ما بطن فيك من العيوب كالخس والكبر وحب الجاه والرياسة وم الرزق وخوف الفقر وطلب الخصوصية وغير ذلك من العيوب والبحث عنها السعى في التخلص منها أفضل من تشوفك إلى ما حجب عنك من الغيوب كالاطلاع على أسرار العباد وما يأتي به القدر من الوقائع المستقبلة وكالاتلاع على أسرار غوامض التوحيد قبل الاهلية له لأن تشوفك إلى ما بطن من العيوب سبب في حياة قلبك وحياة قلبك سبب في الحياة الدائمة والتعيم المقيم والاطلاع على الغيوب إنما هو فضول وقد يكون سبباً في هلاك النفس كافتائها بالكبر ورؤية المزية على الناس وسبباً للشيخ من اطلاع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الالهية كان اطلاعه فتنة عليه وسبباً يجر الوبال عليه .

(واعلم) أن العيوب ثلاثة عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح فعيوب النفس تعلقها بالشهوات الجسدية اكليب للمأكل والمشرب والملابس والمراكب والمسكن والمناكب وشبه ذلك (وعيوب القلب تعلقها بالشهوات القلبية كحب الجاه والرياسة والعز والكبر والחסد والحقنوح المذلة والخصوصية وشبه ذلك كما يأتي إن شاء الله في أوصاف البشرية (وعيوب الروح تعلقها بالخطوط الباطنية كطباب الكرامات والمقامات والقصور والحدود وغير ذلك من الحروف فتشوف المرید إلى شيء من ذلك كله فاتح في عبوديته مانع له من القيام بحقوق ربوبيته فاشتغاله بالبحث عن عيوبه النفسانية والقلبية والراحانية وسعيه في التطهير من جميع ذلك أولى من تشوفه إلى ما حجب عنه من علم الغيوب كما تقدم وبالله التوفيق ولما ذكر الخلطة ذكر ثمرتها وهي التطية بالمعرفة إذ ما منع منها الا تشوف النفس أو القلب أو الروح إلى حظوظها الوهمية فقال (الحق ليس بمحجوب عنك إنما المحجوب أنت عن النظر اليه إذ لو حجب شيء لستره ما حجب ولو كان له سائر لكان لوجوده حاصر وكل حاصر لشيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده) قلت الحق تعالى محال في حقه الحجاب فلا يحجب شيء لأنه ظهر بكل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء فلا ظاهر معه ولا موجود

سلطان وقوله ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ثم بين أهل هذه الخوارق فقال :
وهي من النفوس في كون كما يكون الحب في النصوص

قلت الكون هو الخفاء والستر والضمير في هي يعود على ما تضمنه قوله خرق العادة من العلوم والادراكات والخوارق والكرامات يعني أن العلوم والادراكات والاعتدال على خرق العادات هي كامنة خفية في النفوس أي الأرواح لأن الأرواح أصلها قبضة من نور الجبروت فهي عالمة قادره مريدة سمعية بصيرة متكلمة فحيث سجدت في هذه الهياكل الكشيفة كن فيها ذلك السروخي ولم يظهر منه الا نموذج ضعيف فسمع العبد وبصره وكلامه وعلوه وقدرته وإراته وحياته بقية من تلك الصفات ظهرت على العبد واستر أصلها في النفوس كاستتار الحب الثمار في النصوص حين تكون عارية من الثمار فإذا نزل المطر وأرعد الرعد أخرجت أورثها وأزهارها وثمارها وإلى هذا أشار بقوله

حتى إذا أرعدت الرعد وانسكب الغيث ولان العود

سواء فهو ليس بمحجوب عنك وإنما المحجوب أنت عن النظر اليه لاعتقادهك الغيرية وتعلق قلبك بالأمور الحسية فلو تعلق قلبك بطلب الملوك وأعرضت بالكلية عن رؤية السوى لنظرت إلى نور الحق ساطعاً في مظاهر الأكوان وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم في معد الشهود والعيان والله در القائل :

لقد تجلّى ما كان مخي والكون كله طويط طي
مضى على دارت كؤوسى من بعد موتى ترى حى

فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وكلهم في البحر ولا يشعرون وسمعت شيخنا رضى الله عنه يقول واقه ما حجب الناس عن الله الا الوهم والوهم أمر عدى لاحقيقة له اه وسياق الشيخ ما حجبك عن الحق وجود مودعه إذ لا شيء معه وإنما حجبك عنه توهم موجود معه اه اذلو حجبته تعالى شيء حتى استره ذلك الحجاب ولو كان له سائر حسى لكان لوجوده غاصر اذ محال أن يستره من جميع الوجوه ولا يحصره وكل حاصر لشيء فهو له قاهر كيف واقه تعالى يقول وهو القاهر فوق عباده أى لأنهم في قبضته ونحت تصرف قدرته وتخصيص ارادته ومشيئته والفوقية عبارة عن رفعة الجلال والمكانة لا المكان كما يقال السلطان فوق الوزير والسيد فوق عبده والمالك فوق المملوك وغير ذلك مما ثبتت الكبرياء وينبئ سماء الحدوث واقه تعالى أعلم (ولما) كان حجاب الروح عن المعرفة أمراً وهمياً عندياً لاحقيقة له وهو مرضها بأوصاف البشرية فلز سمحت لعرفت أشار الى ذلك بقوله (اخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف هناقص لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ومن حضرته قريباً) قلت أوصاف البشرية هى الأخلاق التى تتأقضى خلوص العبودية ومرجعها إلى أمرين الأول تعلق القلب بأخلاق الإهائم وهى شهوة البطن والفرج وما يتبعهما من حب الدنيا وشهواتها الثانية قال الله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث الآية (الثانى) تغلقه بأخلاق الشياطين كالكبر والحسد والحقد والغضب والحدة وهى القلق والبطر وهى خفة العقل والاشتر وهو التكبر وحب الجاه والرياسة والمدح والقسوة والطاوة الفظاظة والغلظة وتعظيم الأغنياء واحتقار الفقراء وكثوف الفقر وم الرزق والبخل والشح والرياء والعجب وغير ذلك مما لا يحصى حتى قال بعضهم للنفس من النقائص ما فى من الكالات وقد ألف الشيخ أبو عبد الرحمن السلى كتاباً فى عيوب النفس وأدوبتها ونظمه الشيخ زروق فى نحو ثمانمائة

وجال فى أغصانها الرياح فندها يرتقب القفاح

قلت السكب هو الصب يقال انسكبت الدموع والمطر انصب واللقاح هو حمل الاشجار بالثمار وألقحت النخل ثمارها إذا حملت به واللقاح بالفتح كساب ما يعلق على النخل من طلع الذكر والمناسب فى البيت أن يكون اللقاح بالهمز مصدراً وهو الحمل بالثر وما ذكره هنا كاستعارة فالمراد بالرعود مجاهدة الجوارح الظاهرة فى خدمة الشريعة ككثرة الذكر والصلاة والصيام والسهر والجوع وغير ذلك من مجاهدة الحس أو كدها بالذكرو الصمت والتمزلة (ولقد) سمعت شيخنا شيخنا مولاي العربى رضى الله عنه يقول بقيت أربع سنين قانياً فى الاسم لا أقتر عنه لا ليلاً ولا نهاراً حتى كان البدن كله يهتز بهوحده فإذا قبضت على احدى رجلى اهتزت الاخرى فهكذا ينبغى ذكر الله والفناء فيه والمراد بانسكاب النيت نزول الاحوال والواردت على القلوب من شوق مقلق أو مزيج ووصول أثرها إلى الباطن من الشفقة والرحمة والحلم والصبر والزهد والودع والتوكل والرضى والتسليم والمحبة الطمأنينة والمراقبة والكرم والسخاء وغير ذلك من الاخلاق المحمودة التى تليق بالطباع

بيت ومن ألقاه الله إلى شيخ الترية فلا يحتاج إلى شيء سوى الاشتغال والاتباع فإذا خرج المريد من أخلاق الهائم تخلق بأخلاق الروحانيين كالزهد والورع والقناعة والعفة والغنى بالله والانس به وإذا خرج من أخلاق الشياطين تخلق بأخلاق المؤمنين أو بأخلاق الملائكة كالنواضع وسلامة الصدر والحلم والسكريّة والرزانة والطمأنينة والسهولة واللينة والخول والاكفاء يعلم الله والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء والمساكين وأهل النسبة وجميع الأمة والكرم والسخاء والجلود والاخلاص والصدق والمراقبة والمشاهدة والمعرفة فإذا تخلق العبد بهذه الأخلاق وتحقق بها ذوقاً بعد أن تخلص من أضدادها كان عبداً غالماً لمولاه حراً بما سواه وكان لندائه محبباً ومن حضرته قريباً فإذا قال له ربه يا عبدى قال له يارب فكان صادقا في إجابته لصدق عبوديته بخلاف ما إذا كان منهمكا في شهواته الظاهرة والباطنة كان عبداً لنفسه وشهواته فإذا قال يارب كان كاذبا إذ من أحب شيئا فهو عبده وهو لا يجب أن تكون عبداً لغيره وإذا تخلص من رق الشهوات والخطوط كان أيضا قريبا من حضرة الحق بل عاكفا فيها إذا ما أخرجنا عن الحضرة الأنجب هذه الحيات الوهمية فإذا تحررنا منها وتحققنا بالعبودية وجدنا أنفسنا في الحضرة

(واعلم) أن هذه الأوصاف البشرية التي احتجبت بها الحضرة إنما جعلها الله منديلا لمسح أقدار القدر كالنفس والشیطان والدنيا فجعل الله النفس والشیطان منديلا للأفعال المذمومة وجعل البشرية منديلا للأخلاق الدينية وما تم المظاهر الحق وتجليات الحق وما ثم سواه ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم إن هذه العيوب سبب بقائها في الإنسان باعتبار الحكمة هي الغفلة عن البحث عنها وسبب الغفلة عن البحث عنها هو الرضا عن النفس إذ لو أساء ظنه بها لبحث عن مساوئها فاستخرجها وتطهر منها فذلك قال (أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس قلت إذ كل من رضى عن نفسه استحسن أحوالها وغطى مساوئها لقول الشاعر وعين الرضا عن كل عيب كيلة (وأصل كل طاعة وبقرة وعفة عدم الرضا منك عنها)

قلت لأن من أتهم نفسه وأساء ظنه بها ونظر إليها بعين السخط بحث عن عيوبها واستخرج مساوئها لقول الشاعر ، ولكن عين السخط تبدى المساويا ، فاعتت أيها المريد عن مساوئك وأتهم نفسك ولا تستحسن شيئا من أحوالها فانك إذا رضيت عنها واستحسنف أحوالها لدعتك وأنت لا تشعر وحجبتك عن الحضرة وأنت تنظر قال أبو حفص الحداد من لم يتم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال ولم يجرها إلى مكروها في سائر أيامه كان مغرورا ومن نظر إلى نفسه باستحسان شيء منها فقد أهلكها وكيف يصح لعامل الرضا عن نفسه والكريم ابن

وتحسن الأخلاق وهو المراد بقوله ولأن العود فكأن العوديلين بربان الماء فيه كذلك القلب يلين بربان الحال الناشئ عن العمل الناشئ عن العلم (و المراد بجولان الرياح النفضات التي تهب على القلوب من حضرة علام الغيوب بصحة العارفين والحكم معهم وفي حكمة لقمان عليه السلام كان يقول لولده يا ولدى جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله ينبت الحكمة في القلوب بصحبته كما تنبت الحبة في الأرض الطيبة والمراد بالعلماء العلماء بالله فإن صحبتهم تلقح العلوم والمعارف والأسرار في القلوب كما يلقح الرياح أغمار في الأشجار قال تعالى وأرسلنا الرياح لواقيل فلقح الأشجار وقل تلقح الأمطار في السحاب ثم تصبه حيث أراد الكريم الرهاب وهذا معنى قوله هنالك ينتظر الالتحاق أى القناح العلوم والمعارف في القلوب ولاجل هذا المعنى قال بعض العارفين والله ما أظف من أظف الا بصحبة من أظف (و) قال الشيخ زروق رضى الله عنه المراد بالعود المواعظ المذكرات وزول غيث الواردات المليئة لأفنان شجر القلب وجولان رياح الأحوال المتوجهة منها في فواحي القلب حتى يسرى ذلك للجوارح فتأثر به قال الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاقشش متجلود الذين يخشون ربهم ثم تلين

الكريم ابن الكريم يقول وما أرى نفسي ان النفس لأماره بالسوء إلا مارحم ربي اه وفي معنى ذلك أنشدوا
توق نفسك لا تأمن غوائلها قال نفس أخطت من سبعين شيطانا

وقال السرى السقطى من عرف الله عاش ، ومن مال إلى الدنيا طاش ، واللاحق يروح ويندو في لاش والعاقل عن
عيوبه فاش له فابحث يا أخى عن عيوبك ان أردت نصح نفسك فإذا بحثت عن عيوبها وضحت عوراتها تخلصت
وتحررت وتحققت ودخلت الحضرة واتسعت لك النظرة واشتكت لك الفكرة وكان شيخ شيخنا يقول لمتأله على من
ظهرت له عورة نفسه فلم يفضحها وكان أيضاً كثيراً ما يوصى بعدم المراقبة للناس وعدم المبالاة بهم إذ لا يتخلص من دقائق
الرياء إلا باسقاطهم من عينه وسقوطه هو من عينهم ومن أراد أن يتخلص فيصحب من تخلص ولذلك قال (ولان تصحب
جاهلا لا يرضى عن نفسه خيراً من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه) قلت إذ صعبة من لا يرضى عن نفسه خير محض لتحقيقه
بالاخلاص فيسرى ذلك في صاحب حتى يتجلى بالاخلاص ويصير من جملة الخواص وصحبة من يرضى عن نفسه شر
محض ولو كان أعلم أهل الأرض لأن الطباع تسرق الطباع إذ الجهل الذى يقرب للحضرة أحسن من العلم الذى يبعد
عن الحضرة ولذلك قال بعض العارفين أشد الناس حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لوقوفهم مع علمهم وعبادتهم
وزهدهم والجهل الذى يوصل إلى الله علم على الحقيقة والعلم الذى يحجب عن الله جهل على الحقيقة ولذلك قال (فاى علم
لعالم يرضى عن نفسه) قلت لأنه صار حجاباً له عن ربه (وأى جهل لجاهل يرضى عن نفسه) قلت إذ بعدم الرضى عن
نفسه بحث عنها وتخلص من رقاها فصار عبداً حقيقة لله فيبتدئ أحبه سيده واصطفاه لحضرته تواجبه لمحبه وأطلعه على مكنون
عليه فكان أعلم خلقه والله تعالى أعلم وإذا تخلص البدن من حظوظه وأوصاف بشريته قرب من حضرة ربه لصحة قلبه
وإشراقه بنور ربه ثم امتحن وجوده في وجود محبوبه وشهوده في شهود مبيوده وإلى ذلك أشار بقوله (شعاع البصيرة
يشهدك قربك منك وعن البصيرة تشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة بشهدك وجوده لاعدمك ولأوجودك كان الله
ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان) قلت البصيرة ناظر القلب كما أن البصر ناظر القلب فالبصيرة ترى المعاني اللطيفة
النورية والبصر يرى المحسوسات الكثيفة الظلمانية الوهمية ثم البصيرة باعتبار إدراك نور المعاني اللطيفة على خمسة أقسام
فسم فسد ناظرها فعميت فأنكرت نور الحق من أصله قال سيدى البوصيرى

جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله هدى به من يشاء (و) ما شرحت به أنسب لطريق التربية والله تعالى أعلم
(وقد ضرب في القوت مثلاً لهذا السر الكامن في النفوس بالرب الكامن في اللبن فإذا ضرب بالخنض خرج زبدته ثم إذا
ذوب صار سماً صافياً) ثم بين الناظم ما يكون بعد الالتحاق من بدايته إلى نهايته فقال

| | |
|------------------------|------------------------|
| فند ما زهرت الأغصان | واعتدل الربيع والزمان |
| يكون إذ ذلك أوان العقد | واتنظم الأغصان نظم عقد |
| حتى إذا أነع للبيان | وأمنت جوائح الزمان |
| باكرها زارعها والغارس | يقطفها والغير منها آيس |

قلت العقد الأول يفتح العين وهو عقد الثمار من الأزهار والعقد الثانى بكسر العين وهو سلك الجوهر المنظوم (يقول)
رضى الله عنه فإذا جالت رياح الهداية وهب نسيم الولاية وجال في أغصان الأبدان ثم سرى إلى سويداء الجنان الفتح

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طم الماء من سقم

وهذه بصيرة الكفار قال تعالى فانها لانسى الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور وقسم صح ناظرها لكنها مسدودة تضيق ناظرها لمرض أصابه فهي ترق بالنور لكنها لا تقوى على مشاهدته ولا تشهد قربه منها ولا بعده عنها وهي لعامة المسلمين وقسم صح ناظرها وقوى شيئاً ما حتى قرب أن يفتح عينه لكن لشدة الشعاع لم يطق أن يفتح عينه فأدرك شعاع النور قريباً منه وهو لعامة المتوجهين ويسمى هذا المقام شعاع البصيرة (وقسم) قرى ناظرها فتح عين بصيرته فأدرك النور محيطاً به حتى غاب عن نفسه بمشاهدة النور وهذا خاصة المتوجهين ويسمى هذا المقام عين البصيرة (وقسم) صحت بصيرته واشتد نورها فاقصل نورها بنور أصلها فلم تر إلا النور الأصلي وأنكرت أن يكون شيء مما تدعى نور الأصل كان الله ولا شيء وهو الآن على ما عليه كان ويسمى هذا حق البصيرة ووجه تسميته بشعاع البصيرة أن صاحبها لما كان يرى وجود الأكوام انطلبت في مرآة بصيرته فحجته عن شهود النور من أصله لكن لما رقت كثافتها وتورت دلائلها رأى شعاع النور من ورائها قريباً منه فأدرك الشعاع ولم يدرك النور وهذا هو نور الإيمان وهو مقام علم اليقين (ووجه) تسمية عين البصيرة أن البصيرة لما صحت وقويت انفتحت عنها فرأت النور محيطاً ومتصلاً بها فسميت عين البصيرة لا فتحاتها وإدراكها ما خفي على غيرها وهذا مقام عين اليقين (ووجه) تسمية حق البصيرة أن البصيرة لما أدركت الحق من أصله وغابت عن نور الفروع بنور الأصول سميت حق البصيرة لما أدركته من الحق وغابت عن شهود الخلق وهذا مقام حق اليقين فشعاع البصيرة هو نور الإيمان لأهل المراقبة وعين البصيرة هو نور الإحسان لأهل المشاهدة وحق البصيرة هو نور الروح والتمكين لأهل المكاملة (أو تقول) شعاع البصيرة نور علم اليقين وعين البصيرة هو نور عين اليقين وحق البصيرة هو نور حق اليقين (فلم) اليقين لأهل الدليل والبرهان وعين اليقين لأهل الكشف والبيان وحق اليقين لأهل الشهود والعيان مثال ذلك كمن سمع بمكة مثلاً ولم يرها فهذا علم اليقين فإذا استشرف عليها ورآها ولم يدخلها فهو عين اليقين فإذا دخلها وتمسك فيها فهو حق اليقين وكذلك طالب الحق فما زال من وراء الحجاب فانياً في الأعمال فهو علم اليقين فإذا استشرف على الفناء في الذات ولم يتمكن من الفناء فهو عين اليقين فإذا رسخ وتمكن فهو في حق اليقين (أو تقول) شعاع البصيرة لأهل عالم الملك وعين البصيرة لأهل عالم الملكوت وحق البصيرة لأهل عالم الجبروت (أو تقول) شعاع البصيرة

فيه أزهار الحكم وفنوناً من أنوار العلوم وقفت أكمل المفهوم مختلفة الألوان صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد فعندما أزهت أغصان الجوارح الظاهرة بالأعمال والدوام الباطنية بالأحوال واعتدل ربيع الشريعة باظهار زهر جماله في رياض الملكوت مع زمان هيجان بحر الحقيقة في حياض الجبروت مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فعند ذلك يكمل عقد معرفة الشهود والعيان وتنظم استقامة الجوارح في مقام الإسلام والإيمان نزولاً إلى بستان سماء الحقوق أو أرض الحظوظ بعد الاذن والتمكين وبالغناية لذلك العارف ملحوظ فحينئذ يتحقق بكامل العبودية ويقوم بوظائف الربوبية لا يجهل مفرقه عن جمعه ولا يجمعه عن فرقه قد اعتدل فيه الميزان يعطى كل ذي حق حقه ويوفى كل ذي قسط قسطه فإذا ظهرت عليه آثار الغناية ولاحت له أسرار الولاية تصبغت الناس من أحواله وما خصه الله به من عظيم نواله فن معتقد وناقد ومن مسلم وحاسد يريد أن يشاركه في مقامه بدعوى اللسان ومن ادعى بما ليس فيه فضحه شواهد الامتحان كما أبان ذلك كله الناظم حيث قال :

فأى من مر بها مساء وأبصر الظلال والافياء

لأهل الفناء في الأعمال وعين البصيرة لأهل الفناء في الذات وحق البصيرة لأهل الفناء (فشعاع) البصيرة يشهدك قرب الحق منك أى يوجب لك شهود قرب نور الحق منك قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) وقال تعالى (وهو معكم أينما كنتم) وعين البصيرة يشهدك عدمك أى ذاك بزوال وهملك لوجوده أى وجد الحق إذ محال أن تشهده وتشهد معه سواء فإذا زال عنك الهم وفيت عن وجودك شهدت ربك بربك وهو علامة فتح البصيرة سيدى وعلاج السريرة كما قال شيخ شوخنا عبد الرحمن المجنوب :

من رأى المكون بالكون عزه في عي البصيرة
ومن رأى الكون بالمكون صادف علاج السريرة

فظاهره أن عامة المسلمين عيت بصيرتهم والتحقيق هو ما تقدم من التفصيل وأنها مسدودة قطع مع صحة ناظرها بخلاف بصيرة الكفار فإنها عمية وحق البصيرة يشهدك وجود الحق وحده لا وجودك لأنك مفقود من أصلك ولا عدمك إذ لا يعدم إلا ما ثبت له وجود ولم يكن مع الله موجود كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وهذه الزيادة وإن لم تكن في الحديث لكن معناها صحيح إذ الخير عليه تعالى محال قال يحيى الدين بن محمد بن علي بن العربي الحاتمي رضي الله عنه من شهد الخلق لا فعل لم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل اه (قلت) ومن شهدهم بعين العدم فقد تمكن وصله وأنشدوا

من أبصر الخلق كالسراب فقد ترقى عن الحجاب
إلى وجود تراه رقاً بلا ابتعاد ولا اقتراب
فلا خطاب به إليه ولا مشير إلى الخطاب

واقه تعالى أعلم ثم إذا قرر انفراد الحق بالوجود فلا تعد همتك إلى غيره إذ هو مفقود وإلى ذلك أشار بقوله في أول الباب الرابع (وقال رضي الله عنه لا تعد نية همتك إلى غيره فالكريم لا تتخطاه الآمال) قلت لا تمتد أى لا تتجاوز ونية الهمة قصدها الذى توجه به والهمة القوة المتبعة في طلب المقاصد والآمال قصود القاصدين ومعنى لا تتخطاه أى لا تتجاوز إلى غيره (قلت) إذا تعلقت همتك أبها المريد بشئ تريد تحصيله فردها إلى الله ولا يتعلق بشئ سواه لأنه سبحانه كريم

وزنه الأبصار والعيونا حيث رأى الأنهار والعيونا
واشتم منها الروح والريحان وظل في بهجتها حيرانا
فقال ها نحن إذا سواه فتندنا يجمعنا المساء

قلت المساء هو آخر النهار من الزوال إلى الغروب والي. الظل إذا أخذ في الزيادة فهو باعتبار ما قبله من عطف الخاص على العام والروح قال في القاموس الروح بالفتح الراحة والرحمة ونسيم الريح اه والمناسب هنا هو الأخير وقال في تفسير الريحان نبت طيب الرائحة أو كل نبت كذلك أو أطرافه أو ورقه والولد والرزق اه والمناسب هو التبت على حذف مضاف أى واشتم من تلك الأنصاف نسيم طيباً ورائحة تلك الريحان (يقول رحمه الله ورضي الله عنه فأى شخص من البطالين مر في سبائين العارفين ورياض الواصلين فوقت زوالهم واعتدالمهم وعند زيادة ظلال أنوارهم وعلومهم فأبصر ظلال أنوارهم قد ظهرت على وجوههم أو أثر خشوعهم أو بهجة سرورهم كما قال

على الدوام ونعمه سبحانه على مرّ الأيام والليالي والكريم لا تنطاه الآمال وهو يجب أن يستل فيجب السؤال وقد قالوا في تفسير اسمه تعالى الكريم هو الذي إذا سئل أعطى ولا يبالي كم أعطى ولأن أعطى وإذا رضى حاجة إلى غيره لا يرضى وإذا جنى غنا وإذا غاب ما استقصى فهذا من كمال كرمه وعظم إحسانه وإتمامه وفي ذلك يقول سيدي إبراهيم التازي في قصيدة له :

كأن الله أكل كل حسن فقه الكمال ولا يمارى
وحب الله أشرف كل أنس فلا نفس التخلق بالوقار
وذكر الله مرهم كل جرح وأنفع من زلال للأوار
ولا موجود إلا الله حقاً فدع عنك التعلق بالفشار

وإذا علمت كرمه وجوده وكآله وإحسانه فلا ترفع إلى غيره ما هو أمررده عليك كما قال (لا ترفن إلى غيره حاجة هو موردها عليك) قلت قد علمت أن ما سوى الحق خيال وهمي لا حقيقة لوجوده فإذا أنزل الله بك حاجة كفاة أو شدة أو غير ذلك من العوارض فأنزلها بالله واجعلها تحت مشيئة الله وغب عنها في ذكر الله ولا تلتفت إلى ما سواه تعلقاً ولا تعلقاً في الحديث من لم يستل الله بغضب عليه وقال أبو علي النقاق من علامة المعرفة أن لا تسأل حوائجك كلها إلا من الله قلت أو جلت مثل موسى عليه السلام اشتاق إلى رؤيته فقال رب أدنى أنظر إليك واحتاج يوماً إلى رغي فقال رب أدنى لما أنزلت إلى من خير فقير اه ثم تعجب من رفع أحكام الحق إلى غيره مع عجزه وضعفه فقال (فكيف يرفع إلى غيره ما كان هو له اضماً) قلت من لله حياء الإنسان أن يرفع إلى غيره ما أنزله عليه الحق تعالى من أحكام قهره مع علمه تعالى بإحسانه وبره وعدم انفكاك لطفه عن قدره قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أيسر من نفع نفسي نفسي فكيف لأياس من نفع غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لأرجوه لنفسي وقال بعض العارفين من المكاشفين رضي الله عنهم قيل لي في نوم كالقطة أو بقطة كالنوم (لا تبدين) فاته فأضاعها عليك كفاة لسوء أدبك وخروجك إلى حد عبوديتك إنما ابتليتك بالفاقة لتفزع إلى منها وتتضرع بها لدى وتوكل فيها على سبكتك بالفاقة لتصير بها ذهاباً خالصاً فلا ترفن بعك السبك وستك بالفاقة وحكت لنفسي بالغي فإن وصلتها بي وصلتك بالغي وإن وصلتها بغيري قطعت عنك موادعوتي وحسنت أسبابك من أسباب طرداك عن بابي فمن وكلته إلى ملك ومن وكلته إليه هلك اه ثم بين وجه التعجب فقال (من لا يستطيع

ان عرفان ذي الجلال لمز وضياء وبهجة ومرور
وعلى العارفين أيضاً بهاء وعليهم من المحبة نور
فهيتا لمن عرفك إلى هو واقع دهره سرور

ونزه أبعاده في أنهار علومهم الزاخرة وفي عيون حكمهم الفاخرة واشتم منها نسيم القرب والوصال حين قرب من جنة الجمال وريحان الكمال فبقي سائر نهاره في بهجة زهرتها ونضرتها حيران فاستقرب ما أعظمهم به مولا لم المنان بمد ما كانوا مثله في نقصان وغاية الجمالة والخذلان فلما علم بأحوالهم وتحقق بعظيم نوالهم تراه بالدعوى على مقامهم فقال هاتن معكم سواء ففشركم معكم في تلك البساتين عند المساء فادام نهار البسط والجمال استوتوا جميعاً بلسان المقال فإذا جن ليل القبض والجمال ظهرت الجنباء من الأبطال وتميزت الشايات من الرجال :

سوف ترى إذا انجلي النبار أفرس تحتك أم حمار

أن يرفع حاجته عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافضاً) قلت من عجز عن إصلاح نفسه فكيف يقدر أن يصلح غيره نصف الطالب والمطلوب قال بعضهم من اعتمد على غير الله فهو في غرور لأن الغرور ما لا يدوم ولا يدوم شيء سواه وهو الدائم القديم الذي لم يزل ولا يزال وعطاؤه وفضله دائماً فلا تعتمد إلا على من يدوم لك منه العطاء والفضل اه ثم ان الاعتماد على الله ورفع الحاجات إليه والرجوع في كل التوازل إليه سبيل حسن الظن به كما أشار إليه بقوله (ان لم تحسن ظنك به لأجل وصفه حسن ظنك به لأجل معاملته معك فهل عودك إلا حسناً وهل أسدى إليك إلا امتناً) قلت الناس في حسن الظن بالله على قسمين خواص وعوام أما الخواص فحسن ظنهم بالله تعالى ناشئ عن شهود جماله ورؤيته كماله فحسن ظنهم بالله لا ينقطع سواء واجههم بجماله أو بجلاله لأن انصافه تعالى بالرحمة والرفقة والكرم والجود لا ينقطع فاذا تجلى لهم بجلاله أو قهرته علواً ما في طي ذلك من تمام نعمته وشمول رحمته فقلب عليهم شهود الرحمة والجمال فدام حسن ظنهم على كل حال (وأما) العوام فحسن ظنهم بالله ناشئ عن شهود إحسانه وحسن معاملته وامتنانه فاذا نزل بهم قهرية أو شدة نظروا إلى سالف إحسانه وحسن ما أسدى إليهم من حسن لطفه وامتنانه فقاموا ما يأتي على ماضي فلقوا ما يريد عليهم بالقبول والرضى وقد يضعف هذا الظن بضعف النظر والتفكير ويقوى بقوتها بخلاف الأول فانه ناشئ عن شهود الوصف والوصف لا يتخلف والثاني ناشئ عن شهود الفعل وهو يتخلف فإن لم تقدر أيها المريد أن تحسن ظنك بالله لشهود وصفه بالرفقة والرحمة التي لا تتخلف فحسن ظنك به لم يوجد معاملته معك بلطفه ومنته فهل عودك الحق تعالى إلا برأ حسناً ولطفاً جميلاً وهل أسدى إليك أي أوصل اليك إلا امتناً كبيرة ونعماً غزيرة (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني بحب الله وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إنا لانحب إلا الله فقال رجل أبي ذلك جدك ياسيدي بقوله جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فقال الشيخ أبو الحسن أنا لما لم نر حسناً غير الله لم نحب سواه اه وقال أيضاً رضي الله عنه قرأت ليلة قل أعوذ برب الناس إلى أن بلغت فيها من شر الوسواس فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك أفضالك السيئة وينسبك أفضالك الحسنة ويكثر عندك ذات الشمال ويقلل عندك ذات اليمين ليعدل بك عن حسن الظن بالله وكرمه إلى سوء الظن بالله ورسوله فاحذروا هذا الباب فقد أخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد وأهل الطاعة والسداد اه وقال رضي الله عنه أيضاً العارف من عرف شدائد الزمان

وفي الأمثال بلسان الحال أن شجرة القرع تصاعدت مع النخلة وقالت أني شجرة مثلك فقالت النخلة ستعلم الشجرة مناعتد هبوب رياح الحريف (و) كذلك المدعون للخصومة بالتشبه بأهل الطريق اذا اختبرهم الحق تعالى وعبرهم بمحك التحقيق فأرسل عليهم قاصفاً من رياح الفتن وحزبهم بزالزل الخنأ في المال أو في البدن فكسروا على أعقابهم مدبرين وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كاذبين خسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (قال) في التوير وانما يقتضخ المدعون بزوال الأحوال وعزولهم عن مراتب الازوال هنالك يبدو العوار وتهتك الأستار فكم من مدع الفنى بالله وانما غناه بطاعته أو بؤره أو بفتحه وكم من مدع العز بالله وانما عزه بنسبته وصولته على الخلق معتمداً على ما ثبت عندهم من معرفته فكأن عبد الله لا عبد الله فكأن كان لك رباً ولا علة فكأن عبد الله ولا علة لتكون له كما كان لك ثم تم حال المدعين وما آل إليه أمرهم حين ظهر عوارهم وانكسفت أنوارهم واشتدت عليهم ظلمة أغيارهم فقال :

حتى اذا هجمه الظلام واحتوشه الوحش والهوام

في الألفاظ الجارية من افقه عليه وعرف إساءته في إحسان الله إليه فاذكروا آلام الله عليكم فتلحون اه وإذا كان الحق تعالى ما عودك إلا الإحسان وما أسدى إليك إلا الامتنان فمن العجب أن تركه وتطلب ما سواه وإلى ذلك أشار بقوله (العجب كل العجب بمن يهرب عما لا انفكك له منه ويطلب ما لا بقاء له معه فإنها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور) قلت ما لا انفكك منه هو الحق تعالى وقضاؤه وقدره وما لا بقاء له هو الدنيا أو ما تدبره النفس وتقدره فمن أعجب العجائب أن يفر العبد من مولاه ويتوجه بالطلب لما سواه مع أنه لا انفكك له منه ولا يحيد له عنه إذ لا وجود له إلا منه ولا قيام له إلا به فكيف يهرب منه بترك طلب معرفته وبالتقرب به بامتنال أمره واجتناب نهيه ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ الدنيا الفانية التي ان لم تزل عنها في الحياة زالت عنك بالمات فاطلب ما يبقى دون ما يفنى وقه در القاتل

هب الدنيا تساق إليك عفو أليس مصير ذلك إلى زوال

وما دنياك إلا مثل ظل أظلك ثم آذنت بارتحال

(أو تقول) من العجب كل العجب أن يهرب العبد عما لا انفكك له عن قدر الله وقضائه ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ تدبيره واختباره إذ كل ما تدبره وأمره فسفه القضاء وهمه :

مق يبلغ البنيان يوماً تامه إذا كنت تنيبه وغيرك يهدم

وهذا كله من عدم فتح البصيرة أو عمامها ولذلك قال فإنها لا تسمى الأبصار عن إدراك الحس لأنها أدركته وحجبت به ولكن تسمى القلوب عن إدراك المعنى فلا ترى إلا الحس ولا تخب إلا إياه ولا تطلب شيئاً سواه نسأل الله عافيته وهذه قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه عني البصيرة في ثلاث آرسال الجوارح في معاصي الله والطمع في خلق الله والتصنع بطاعة الله اه ثم إذا طلبت الحق الذي لا انفكك لك عنه ورحلت إليه فاطلب معرفة ذاته لا زغرف جناحه إذ هي كون من مكوناته ولذلك قال (لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى ينير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل عنه ولكن أرحل من الأكوان إلى المكون (وإن للدربك المنتهى) (قلت الرحيل من الكون إلى الكون هو الرحيل من السوى إلى طلب السوى وذلك كمن زهد في الدنيا وانقطع إلى الله يطلب بذلك راحة بدنه وإقبال الدنيا عليه لقوله صلى الله عليه وسلم من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ولقوله أيضاً من كانت الآخرة

ولم يجد للفوز من أسباب أقام حيراناً أمام الباب

فقيل من بالباب قال طارق فقيل كلا لولكن سارق

(قلت) عجم عليه فهو ما دخل بقية قاله في القاموس وضمنه الناطق معنى جن أى جنم وغطاه ولذلك عداه بنفسه واحتوش القوم الصيد نفروه ومناه هنا خوفه وأفرغه والوحش حيوان البر والهوام بشد الميم حشرات الأرض والطارق الآتى بالليل وكلا حرف زجر وردع (يقول) رضي الله عنه إن ذلك للمدعى الذي ترى على مراتب الرجال بجمرد التشديق والمقال وادعى الوصول إلى مقام الراحة والجمال قيل أن يتأدب بصدمات الجلال لما عجم عليه ليل القبض والجلال وغربت عنه شمس نهار البسط والجمال افتضح وتبين أنه دجال فأفرغه وحوش الشكوك والخواطر وأحاطت به هوام جرائم الصغائر والكبائر فهي تلغذه وتسلمه كسبح العقارب والزناير فلما لم يجد منها مسلماً ولا مهرباً التجأ إلى باب الأكبر فأقام خلف الباب حيران يريد أن يضمه معهم إلى حصون ما شيدوه خلف بساطين العرفان من غير أن يحيط رأسه إلى تقيل أقدام

نيتة جمع الله عليه امره وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي صاغرة وكن زهد فيها يطلب الخصوصية كإقبال الخلق والعز وتربية المهابة في قلوب الناس أو زهد فيها يطلب الكرامة وخوارق العادات أو زهد فيها يطلب التصور والصور فهذا كله رحيل من كون إلى كون فثله كجار الطاحونة يسير الليل والنهار وهو في موضعه فأنزى ارتحل منه هو الذي ارتحل إليه فن كانت همته المخطوط النفسانية فخاله حال حمار الساقية في السير دائم وهو في موضعه قائم يظن أنه قطع مسافة مما طلب وما زاد إلا نقصاً مع تعب ، قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه تف يابواحد لا تنفع لك الأبواب فتفتح لك الأبواب واحضض لسيد واحد لا تنضض لك الرقاب تنضض لك الرقاب قال تعالى (وان من شيء إلا عندنا خزائنه) اه فينبغي لك أيها المريد أن ترفع همتك إلى الملك المجيد فترحل من رؤية الأكو ان إلى طلب شهود الملك الديان أو ترحل من الدليل والبرهان إلى رتبة الشهود والعيان وهو غاية القصد وبلوغ المنتهى وإن إلى ربك المنتهى ولا ترحل من كون إلى كون بأن تترك حظاً من حظوظ نفسك طلباً لخطأ آخر فتكون كجار الرحى الذي سار منه هو الذي عاذ إليه وتشبیهه بالحمار دليل على بلائته وقلة فهمه إذ لو فهم عن الله لرحل عن حظوظ نفسه وهواه قاصداً الوصول إلى حضرة مولاه فلا ترحل أيها المريد من كون مخلوق إلى كون مخلوق مثلك ولكن ارحل من الكون إلى المسكون وإن إلى ربك المنتهى والرحيل إلى المسكون يكون بثلاثة أمور

(الأول) قصر همتك عليه دون ماسواه حتى يطلع على قلبك فلا يجده محباً لسواه

(الثاني) الرجفى إليه باقاة الحقوق والفرار من المخطوط

(الثالث) دوام اللجوء إليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستسلام لما يورده عليك (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أربعة من كن فيه احتاج الخلق إليه وهو غنى عن كل شيء (الحجة) لله والتنا باقة والصدق واليقين الصدق في العبودية واليقين في أحكام الربوبية ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون اه قاله الشيخ زروق رضى الله عنه ثم استدل على طلب رفع الهمة إلى الله مع الأعراض عما سواه بمحدث الهجرة الذى فى الصحيح فقال (واظفر إلى قوله صلى الله عليه وسلم فن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فافهم قوله عليه السلام فهجرته إلى ما هاجر إليه وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم والسلام) قلت الهجرة هي الانتقال من وطن إلى وطن آخر بحيث يهجر الوطن الذى خرج منه ويسكن الوطن الذى انتقل إليه وهى هنا من ثلاثة أمور من وطن المعصية إلى وطن الطاعة ومن وطن النغلة إلى وطن البقطة ومن وطن عالم الأشباح إلى

الرجال ولا أن يسبح بنفسه فى عز ولا جاه ولا مال فتأدوه بأفصح لسان الحال أيها الطارق لباب الرجال ماذا تريد وأن على هذا الحال فقتال هذا طارق يريد الدخول إلى حضرة المحبة والوصول فقالوا له كلاً ليس حالك حال الطارق ولكنك متطفل سارق فاذا انكسروذل نفسه نال مغليبه وحصل أنسه وإن بقي على ما هو عليه كان عاقبته الحرمان (أو يقول) حتى إذا هم هذا المدعى المتكبر ظلام الجهل والنغلة واحتوشتمو حوش المساوى والعيوب وأحاطت به هرام المعاصى والذنوب لم يجد للفوز والخلاص منها سبباً أقام خلف باب العارفين ، يستعطر الرحمة والغفر من رب العالمين ، فى حال الدهش والحيرة ينتظر من سعة كرمهم لحظة أو نظرة ، مع ما هو عليه من زى أهل النغلة والفترة ، فقالوا له من هذا الذى وقف بالبواب يريد الدخول مع الأجباب ، من غير أن يغفر خطه بالتراب ، فقال طارق يريد الوصول فقالوا لاسبل للشارق ، إلى الدخول وإنما سعى المدعى سارقاً لأنه يسرق كلام القوم وينسب لنفسه أودعيه حالاً ومقاماً وليس له فى ذلك إلا التطفل عليهم دون ذوق ولا وجدان فاذا أراد الله به خيراً أتى فى قلبه الصدق والتصديق وذلل وانكسر لأهل التحقيق فوق

وطن عالم الأرواح (أو تقول) من وطن الملك إلى وطن للملكوت أو من وطن الحس إلى وطن المعنى أو من وطن علم اليقين إلى وطن علم اليقين أو حتى اليقين فن هاجر من هذه الموطن قاصداً هجرة الوصول إلى رضى الله ورسوله أو الوصول إلى معرفة الله ورسوله فيجهر ته موصلة له إلى الله ورسوله على حسب قصد و همته ومن كانت هجرته إلى حظوظ نفسه وهواه فقد غلب قصد و مسماه وغاية هجرته ما هاجر إليه وكانت هجرته زيادة في جر الرمال إليه فافهم أيها السامع قوله عليه السلام هجرته إلى ما هاجر إليه وتدبره وأعرضه على قلبك ونفسك وانظر هل فيك بقية من الالتفات إلى ما هاجرت عنه أو فيك حظ سوى ما هاجرت إليه من رضوان الله ورسوله أو معرفة الله ورسوله فإن الله غيور لا يحب لمن طلبه أن يطلب معه سواء ولن يوصل إليه من بقي فيه بقية من حظ و هواه قال الششتري

ان ترد وصلنا فوقك شرط لا ينال الوصال من فيه فضله

وقال أيضاً ليس يدرك وصال كل من فيه بقيا

(وسمعت) شيخنا الزيندى رضى الله عنه يقول إن أردتم أن تعرفوا هل رحلت أنفسكم من هذا العالم إلى عالم الملكوت أو لم ترحل فأعرضوا عليها الأمور التي كانت تشبهوا وتميل إليها واحد واحد فإن وجدتموها رحلت عنها وخرجت مجتبا من قلبها ولم تترك لي واحد منها فاستبشروا فقد رحلت أرواحكم إلى عالم الملكوت وإن وجدتموها ركنت أو مالت بالحجة إلى شيء من هذا العالم لمجاهدوها وأخرجوها عنه بالكلية حتى ترحل إلى ربها اه بالمعنى وختم هذا الباب بالسلام لما اشتملت عليه من الرحيل والمقام فكلها تدل على سفر القلب من شهود الخلق إلى شهود الخالق فناسب ختمها بالسلام لما فيه من ذكر السلامة ولما كان السفر لا بد فيه من دليل وإلا ضل عن سواء السبيل اقتح الباب الخامس بذكر الصعبة وشروط المصحوب وأدائها فقال (لا نصحب من لا ينهض حاله ولا يدل على الله مقالته) قلت الذى ينهض حاله هو الذى إذا رأيته ذكرت الله فقد كنت في حال الغفلة فلما رأيته نهض حاله إلى اليقظة أو كنت في حالة الرغبة فلما رأيته نهض حاله إلى الزهد أو كنت في حالة الاشتغال بالمعصية فلما رأيته نهض حاله إلى التوبة أو كنت في حالة الجهل بمولاك فنهضت إلى معرفة من تولاك وهكذا والذى يدل على الله مقالته هو الذى يتكلم بالله ويدل على الله وينيب عما سواه إذا تكلم أخذ بجماع القلوب وإذا سكث أنهضك حاله إلى علام الغيوب لحاله يصدق مقاله ومقاله موافق لعمله فصحة

يبهم منكسرا وإلى ما عندهم من المعارف والأنوار مقتفرا لأنهم باب الله الأعظم كما نبه على ذلك الناظم رحمه الله حيث قال

فقال مهلا صاحب الجنات الحائر قد ضل في الفلات

فقيل هلا كنت ذا بستان فقال كنت قاعدا ووان

فقال يا قوم ألا تشرون قالوا جهلت ثمن المثلون

قلت المهل هو التأخر والتأخر وهو مصدر حذف عامله أى أمهلني مهلا وضل وفلات هو الموضع الفقر الخالي من العمارة والوانى هو المتأخر والمتهمل (يقول) رضى الله عنه ان ذلك المدعى المتطفل لما عرف الحق وأهله ، وتحقق عينه وجهه ، أقر بكأهل الكمال ، وعرف مقالات الرجال ، فحين طرق الباب ، وطرد من ذلك الجناب ، تهمة انه اعلم بخلق السلاح ، ولم ينزع عن فماله الصباح ، قال لهم مهلا على يا أصحاب الجنات ، هيتا لكم بما أسلفتم في الايام الخاليات ، ألا ترقوا الحائر قد ضل في الفلات ، واستوحشته هوام الذنوب والسيئات ، ولسمته حيات الحظوظ والشهوات ولدغته

مثل هذا اكسير بقلب الأعيان وهو مفهوم من قول الشيخ لتصبح من لا يهنك حاله الخ أى بل اصحب من يهنك حاله ويدلك على الله مقاله والصحة في طريق التصوف أمر كبير في السير إلى الله تعالى حسب ما جرت به عادة الله تعالى وحكمته حتى قال بعضهم من لا شيخ له فالشیطان شيخه وقال آخر الانسان كالشجرة النابتة في الخلاء فان لم تنعم وتلقم كانت ذكارة وقال الشيخ أبو العباس الرمى رضى الله عنه كل من لا شيخ له في هذا الشأن لا يفرح به (ومن شروط) الشيخ أربعة علم صحيح وذوق صريح وهمية عالية وحالة مرضية فاعلم الصحيح هو ما يتقن به فرضه ولا بد أن يكون عالماً بالمقامات والمنازل التي يقطعها المرید وبغور النفس ومكايدها قد سلك ذلك على يد شيخ كامل وذاق ذلك ذوقاً لا تقليداً وهو المراد بالذوق الصريح (والهمة) العالمة هي المتعلقة بالله دون ما سواه (والحالة) المرضية هي الاستقامة بقدر الاستطاعة ولا بد أن يكون جامعاً بين حقيقة وشريعة وبين جذب وسلوك فيجذبه بمجذب القلوب وبسلوكه يخرجها من حالة الجذب إلى البقاء فالسالك فقط ظاهري لا يجذب ولا يحقق والمجنوب فقط لا يسير ولا يوصل وفساد محبة أكثر من نقصها قال في أصول الطريقة ومن فيه خمس لا تصح مشيخته الجهل بالدين وأسقاط حرمة المسلمين ودخول ما لا يعنى وأتباع الحوى في كل شيء وسوء الخلق من غير مبالاة أه فصحة مثل هذا ضرر محض واليه أشار بقوله .

(ربما كنت سيئاً فأراك الاحسان منك صحبتك إلى من هو أسوأ حالاً منك) قلت رب هنا للتكثير وصحبك فاعل بآراك والاحسان مفعول مقدم والتقدير ربما تكون سيئاً في حالك مقصراً في عمالك فإذا صحبت من هو أسوأ حالاً منك أراك أى ابصرتك صحبتك إلى من هو أسوأ حالاً منك الاحسان منك لما ترى ما يصدر منها من الاحسان ومن المصحوب من التقصير والنقصان فتعتقد المزية عليه لأن النفس مجبولة على رؤية الفضل لها ومشاهدة التقصير من غيرها علماً أو عملاً أو حالاً بخلاف ما إذ صحبت من هو أحسن حالاً منهما فانها لا ترى من نفسها إلا التقصير وفي ذلك خير كثير

(قال) الشيخ أبو الحسن الشاذلي أوصاني حبيبي فقال لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الا حيث تأمن غالباً من مصيبة الله ولا تصطف لنفسك الا من تزداد به يقيناً وقيل مأم (وقال) له أيضاً لتصبح من يؤثر نفسه عليك فانه لم ولا من يؤثرك على نفسه فانه قل ما يدوم واصحب من إذا ذكر ذكر الله فاقه يعنى به إذا شهد وينوب عنه إذا فقد ذكره نور القلوب ومشاهدته مغايب الثيوب اه وحاصله لا تصحب من تتكلف له فوق جهدك ولا من يتكلف لك

عقارب الشكوك والخطرات ، فقالوا له أين كنت وقت ربح السموم وبرد الليالي ؛ حين غرست الرجال أشجار المعارف لجنت ثمار الممانى ، قال كنت عند كائون الكسل ونار البطالة قاعداً ووانى ، فقالوا له لا تظن أن بساين المعارف رخيصة كل معشوق عالى ؛ ما جنيت ثمار المعارف إلا يبرد الليالي ؛ فقال يا قوم أهل الكرم والجود ، ألا تبيعوا لى شيئاً من ثماركم المنضود ، وتأوونى إلى سعة ظلك الممدود ، قالوا له جلست ثمن ثمارنا المحمود ، فلا تاله ولو بذلت فيه نفس المجهود فليس ينال بالدرام والفوس ، وأما ينال يذل الأرواح والنفس كما فيه عليه الناظم بقوله .

فهذه فواكه المعارف لم تشر بالتأله أو بالطارف

ما لها ذو العين والفوس وإنما تباع بالنفوس

قلت التأله هو المال الذى تتج عنده وطال في ملكك قال في القاموس التأله كصاحب والتد بالفتح والعزم والتحريك والتلاد والتلبد والتلاد والتلبد ما ولد عنده من مال أو الطارف الحادث من المال أى الذى تجد ملكه ضد التأله يقول

كذلك وخير الأمور أوساطها وهذا والله أعلم في صحة الأخوة وأما صحة الشبوخة فكل ما أمر به الشيخ أو أشار إليه أو فهمت أنه يجب ذلك فلا بد أن تباد إليه بقدر الامكان ولو كان عمالا عادة لأخنت في التهيء للفعل قال شيخ شيوخنا سيدي العربي بن أحمد ابن عبد الله الفقير الصديق هو الذي إذا قال له شيخه ادخل في عين الحياط لا يتردد ويقوم يادر في امثال ما أمر ولو كان لا يتأتى منه ذلك (وقال أيضا صاحبي الذي فقلته بشعرة) اه

(وقال) سيدي علي رضي الله عنه في كتابه اعلم انه لا يقرب طالب الله إلى الله شيء مثل جلوس مع عارف بالله ان كوجهه وان لم يجده فعليه بذكر الله ليلا ونهارا قائما وقاعدا مع العزلة عن أبناء الدنيا بعد الجلوس معهم وعدم الكلام بذلك وعدم النظر فيهم لأنهم سم عارق ولا يبعد من الله شيء مثل جلوسه مع فقير جاهل الفقير الجاهل أقبح من العاصي الغافل بألف ضعف الجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين (والجلوس مع العاصي الغافل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل) لا شيء في الوجود يسود قلب للمريد مثل جلسة مع الفقير الجاهل كما ان العارف بالله يجمع بين العبد ومولاه بنظرة أو بكلمة كذلك الفقير الجاهل بالله ربما اقلق المريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فمما فوقها يرحم الله المجذوب حيث يقول في بعض كلامه، الجلسة مع غير الاخيار، تزدل ولو تكون صافي اه

وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه (احذر) محبة ثلاث من اصناف الناس الجارية الغافلين والقراء المداهين والمتصوفة الجاهلين اه وزاد الشيخ زروق علماء الظاهر قال لأن نفوسهم غالية عليهم اه (قلت) الجلوس معهم اليوم أقبح من سبعين عاميا غافلا وفقيرا جاهلا لأنهم لا يعرفون الا ظاهر الثريمة ويرون أن من خالفهم في هذا الظاهر خاطيء أو ضال فيجهدون في رد من خالفهم يعتقدون انهم يصحون وهم يشنون فليحذر المريد من محبتهم والقرب منهم ما استطاع فان توقف في مستقوله لم يجد من يستل عنها من أهل الباطل فليساله على حذر ويكون معه كالجالس مع القرب والحية والله ما رأيت أحدا قط من الفقراء قرب منهم ومحبتهم فأفزع أبدا في طريق الخصوص ويرحم الله أبا ذر الغفاري رضي الله عنه حيث قال والله لا أسألم دنيا ولا أستفتيهم عن دين اه (قال) هذا في علماء الصحابة الاخيار رضي الله عنهم فإياك اليوم حين اشتغلوا بجمع الدنيا وتزين الملابس وتكبير العائيم وتحسين المأكول والمسكن والمراكب ورأوا ذلك سنة نبوية فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وكان يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه يقول لعلماء وقته (يا معشر) العلماء دياركم هامانية ومراكبكم قارونية واطعمتكم

رضي الله عنه فواكه المعارف واذواق الوجدان وأنوار الراسطين والواصلين لاتال ولا تشتري بالاموال القديمة ولا الحادثة ولا بالكسب والاكتساب؛ وإياها هي فضل من الكرم الوهاب يخص بها من يشاء بأسباب وبغير أسباب، وفاعل السبب هو فاعل المسبب من تمام نعمته عليك ان خلق فيك ونسب اليك قبوت الخصوصية، انما هو منح لإلهية ومواهب اختصاصية ما قالها صاحب الدرام والفلس؛ انا تال يذل المهج والفقر يغيب أولا عن فلسه وجنسه؛ ثم يغني عن وجوده ونفسه ثم يغني عن فائه ويبقى يقاومه ماثم في لك كله الافضل ربه وعظيم عطائه وأنشدوا.

فدكت أحسب ان وصلك يشترى بنفائس الاموال والارباب
وطنت جهلا أن حبك هين هني عليه كرائم الارواح
حتى رأيتك تجني وتخص من تحتله بلطائف الامتاح
فلمت انك لا تال بحيلة فلويت رأسي تحت طي جناحي

فرعونية وولائمك جالوتية ومواسمكم جاهلية وقد صيرتم مذاهبكم شيطانية فأين الملة المحمدية وما تأكد النظر إليه في المصحوب الزهد في الدنيا ورفع الهمة عنها ولو قل عمله في الظاهر وإلى ذلك أشار بقوله (ما قل عمل يرز من قلب زاهد ولاكثر عمل يرز من قلب راغب) قلت الزهد في الشيء هو خروج محبة من القلب وبرودته منه وعند القوم ينض كل ما يشغل عن الله ويحبس عن حضرة الله ويكون أولاً في المال وعلامة أن يستوى عنده الذهب والتراب والفضة والحجر والنفى والفقر والمنع والمطاء ويكون ثانياً في الجاه والمراتب وعلامة أن يستوى عنده العز والذل والظهور والخلو والمدح والذم والرفعة والسقوط (وتكون) ثالثاً في المقامات والكرامات والخصوصيات وعلامة أن يستوى عنده الرجا والخوف والقوة والضعف والبسط والقبض يسير بهذا كما يسير بهذا أو يعرف في هذا كما يعرف في هذا ثم يكون الزهد في الكون بأسرة بشهود المكون وأمره فإذا تحقق المرید بهذه المقامات في الزهد أو جلها كان عمله كله عظيماً كبيراً في المعنى عند الله وإن كان قليلاً في الحس عند الناس وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وأى بدعة أعظم ولا أشنع من حب الدنيا والانكباب عليها بالقلب والقالب الذي لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن الصحابة حتى ظهرت الفرافنة فبنوا وشيدوا وزخرفوا فهذه هي البدعة الحقيقية فعمل هؤلاء قليل في المعنى وإن كان كثيراً في الحس إذ لا عبرة بحركة الأشياخ وإنما العبرة بخضوع الأرواح لعبادة الزاهد بالله لله وعبادة الراغب بالنفس للنفس عبادة الزاهد حية باقية وعبادة الراغب ميتة فانية عبادة الزاهد متصلة على الدوام وعبادة الراغب منقطعة بلامتمام عبادة الزاهد في مساجد الحضرة التي أذن الله أن ترفع وعبادة الراغب في مزاب القنذرات التي أذن الله أن توضع ولذلك قال بعضهم عبادة النبي كالمصلى على المزية ومماثل عبادة الزاهد مع قلتها في الحس وكثرتها في المعنى وعبادة الراغب مع كثرتها في الحس وقلتها في المعنى إلا كرجلين أحديا للملك أحدهما أهدى ياقوته صافية صغيرة قيمتها ستون قطاراً والآخر أهدى ستين صندوقاً خلوية فارغة فلا شك أن الملك يقبل الياقوتة ويكرم صاحبها ويرد الصناديق ويبين صاحبها بغضب عليه لكونه استهزأ بالملك حيث أهدى له خشباً خلوية شهرتها أعظم من منفعتها وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول الراغب في الدنيا عاقل ولو كان يقول الله الله بلسانه على الدوام إذ لا عبرة باللسان والزاهد في الدنيا ذكر على الدوام ولو قل ذكره باللسان اهـ .

(قلت) وهذا فسر بعضهم قوله تعالى لا يذكر الله إلا قليلاً أى مع الغفلة والرغبة ولو كثّر في الحس اهـ .

وجعلت في عش الغرام إقامتي فيه غدوى دائماً ورواحي

ومعنى بيع النفوس هو أن لا يبقى لها حظ ولا لحظ إذ المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكراً ويشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً وذلك لا يكون مع وجود التقيض مع التوخر والتشهير وكما لا يقاء عين الفناء المطلق وقد تضمن ذلك قوله تعالى «إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية» إذ المبيع لا يبقى لبائعه حتى فيه ولا تحوير ولا تديير مع مشتربه ولا نسبة له في وجوده مع ماله كما جاء سياق الآية بذلك إظهار الرحمة وتبيين الكرامة وتسمية النعمة إذ لا راحة ولا نعمته أعظم من إكرام السيد عبده بإظهار النسبة له في وجوده بوجوه مع عز له عن وجوده وموجوده بطريق الرحمة والكرامة لا بطريق القهر والقوة والله تعالى أعلم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه (د) لما كانت جنة الزخارف مشتملة على بساين وأنها وعمود وقصور وحور شبهت الصوفية بما جنته المعارف فجعلوا فيها بساين الأسرار والأنوار التي هي محل نزعة الأرواح وجعلوا فيها أنهار العلوم وعمود الحكم وقصور الحضرة وحور سكنى المعرفة

(وقال) سيدنا على كرم الله وجهه كونوا لقبول العمل أشد منكم اهتماما للعمل فإنه لم يقل عمل مع التقوى وكيف يقل عمل يتقبله .

(وقال) ابن مسعود رضى الله عنه وكعتان من زاهد عالم خير وأحب عند الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبدا سرمداً .

(وقال) بعض السلف لم يفترق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بكثرة صلاة ولا صيام إلا أنهم كانوا أزهد في الدنيا اه (وفي بعض) الأخبار أن سيدنا عيسى عليه السلام مر برجل قائم والناس يتعبون فقال له عيسى عليه السلام قم تعبد مع الناس فقال تعبدت يا روح الله فقال له وما عبادتك قال تركت الدنيا لأهلها فقال له نعم نعمت العبادة هذه أو كما قال عليه السلام (وقال) رجل للشيخ أبي الحسن رضى الله عنه مالى أرى الناس يعظمونك ولم أراك كبير عمل فقال بسنة واحدة اقترضها الله على رسوله تمسكت بها فقال له وما هى قال الإعراض عنكم وعن دنياكم اه (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وإنما كانت للزهد هذه الفضيلة الثلاثة أوجه (أحدها) ما فيه من فراغ القلب عن الشواغل والشواغب (الثاني) لأنه شاهد بوجود الصدق في المحبة إذ الدنيا محبوبة لا تترك إلا بما هو أحب (قال) عليه السلام الصدقة يراهن قيل على حب العبد ربه (الثالث) لأنه دليل على المعرفة بالله والثقة به لأن بذل الموجود من الثقة بالمعبود ومنع الموجود من سوء الظن بالمعبود اه ولما كان حسن العمل الظاهر وإتقانه الذى يكون به كاله ونقصانه إنما هو نتائج حسن الباطن وأحواله أشار إلى ذلك بقوله (حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الإزال) قلت الأعمال حركة الجسم بالمجاهدة والأحوال حركة القلب بالمكابدة والمقامات سكون القلب بالطمأنينة مثال ذلك مقام الزهد مثلاً فإنه يكون أولاً عمله بمجاهدة بترك الدنيا وأسبابها ثم يكون مكابدة بالصبر على الفاقة حتى يصير حالاً ثم يسكن القلب وينوق حلاوته فيصير مقاماً وكذلك التوكل يكون بمجاهدة بترك الأسباب ثم يكون مكابدة بالصبر على مرارة تصرفات الأعداء ثم يصير حالاً ثم يسكن القلب فيه وينوقه فيصير مقاماً وكذلك المعرفة تكون بمجاهدة بالعمل في الظاهر كحرق العوائق من نفسه ثم تكون مكابدة بالمعرفة والإقرار عند التعريفات ثم يصير حالاً فإذا سكنت الروح في الشهود وتمسكت صارت مقاماً فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب يعنى أن الأحوال مواهب من الله جزء ثواب الأعمال فإذا دام العمل واتصل الحال صار مقاماً فالأحوال تحول وتذهب وتجيء فإذا سكن القلب في ذلك المعنى صار مقاماً وهو مكتسب من دوام العمل . (واعلم) أن المقام والحال لكل واحد علم وعمل فالمقام يتعلق به العلم أولاً ثم يسعى في عمله حتى يكون حالاً ثم يصير مقاماً

وبعائر تفك البسط والجمال واجتناء فواكه الأحوال وطرق مقامات الإزال فقد ذكر الناظم ما يتعلق بالسائين والآهين والعيون وتكلم على ما نقي من القصور والبحار فقال :

وقيل ليست هذه المقاصر ماوى لكل قاعد وقاصر
وقيل ليست هذه البحار لحائر ضل فضل حائر

قلت المقاصر جمع مقصورة والمقصورة هى الدار الواسعة المحيطة قلة في القاموس والبحائر جمع بحيرة وهى المقتات (يقول) رضى الله عنه ليس للسكنى في قصور الحضرة والاقامة في دار المعرفة حاصل لكل قاعد بطال، ولا لكل مقصر كسلان وليس التفكك من مجازر البسط والجمال، لمن كان في حيرة وضلال، وأظلم في ظلمة راضياً بذلك الحال، إنما نالها أهل الجد والاجتهاد، وبصحة الأفراد السالكين على منهاج الحق والسادات، وفي ذلك قيل :

الانس بالله لا يحويه بطال ولا يحوزه في الحال غشال

وكذلك الحال يتعلق به العلم أو لا ثم العمل ثم يصير مقاما حالاً والله تعالى أعلم فعلمه التحق بمقامات الانزال هو حسن الحال وعلامة حسن الحال هو حسن العمل فاقبأن الأعمال وحسنها هو ثمرة ونتيجة حسن الأحوال وحسن الأحوال إقبالها هو نتيجة التحق بمقامات الانزال أى التحق بالانزال فى المقامات (أو تقول) حسن الأحوال دليل على التحق بالمقامات التى ينزل الله عبده فيها وحسن الأعمال دليل على حسن الأحوال ثم التحق بالحال والسكون فى المقام أمر باطنى ويظهر أثره فى عمل الجوارح (والحاصل) أن حركة القلب تدل على صلاح القلب أو فساده لقوله صلى الله عليه وسلم إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب فإذا تحقّق القلب بالزهد مثلاً وصار له حالاً أو مقاماً ظهر ذلك على جوارحه من الثقة بالله والاعتماد عليه وقلة الحركة عند الأسباب المحركة لقوله عليه السلام ليس الزهد بتحرّم الحال ولا باضاعة المال إنما الزهد أن تكون بما فى يد الله أوثق بما فى يدك (وقال) الصديق رضى الله عنه قال الحسن الشاذل فى اليوم علامة خروج حب الدنيا من القلب بدلها عند الوجد ووجود الراحة منها عند الفقد ، وعلامة التحق بالانزال فى مقام التوكل السكون والطمأنينة عند محركات الأسباب وعلامة التحق بالانزال فى مقام المعرفة هو الادب ظاهراً وباطناً وحسن الخلق مع كل مخلوق ولذلك قال أبو خنيس الحداد رضى الله عنه حسن أدب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن فإن النبى ﷺ قال لو خشع قلب هذا الخشعت جوارحه اه وراجع ما تقدم من شرح قوله تنوعت أجناس الأعمال بتنوع واردات الأحوال فبها زيادة شرح على هذا المحل والله تعالى أعلم وأفضل الأعمال التى يقطع بها المرید المقامات وأقربها هو ذكر الله ولذلك ذكره بأثره فقال (لا تترك الذكر لعدم حضور قلبك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ففى أن يرضك من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور إلى ذكر مع غيبة عن ما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز) قلت الذكر ركن قوى فى طريق القوم وهو أفضل الأعمال قال الله تعالى اذكرونى أذكركم وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكر أكبر وأذكر الكثير أن لا ينساه أبداً قال ابن عباس رضى الله عنهما كل عبادة فى ضلالتها الله تعالى جميل لما وقتاً مخصوصاً وعند العباد فى غير أوقاتها إلا الذكر لم يجعل الله له وقتاً مخصوصاً قال تعالى اذكروا الله ذكراً كثيراً وقال تعالى فإذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم وقال رجل يارسول الله كثرت على شعائر

والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم صفوة الله عمال

ولا يمكن السكنى فى قصور المعارف والتفكر من بحار الأزواق ، إلا بأفراد الوجهة للواحد الخلاق فيجعل المهوم هما واحداً والقصد قصداً واحداً والمجة عجة واحدة والقلب مفرداً الله بذلك ينال القرب من الله ويسكن فى حضرة الله (و) فى الحديث منى جعل المهوم هما واحداً كفاه الله هم دنياه .

(قلت) وجعل جنة المعارف مأواه . وفى حضرة القدس منقلبته ومثواه وقيل للجنيد رضى الله عنه كيف السبيل إلى الانقطاع إلى الله تعالى قال بتوبة تزيل الأصرار وخوف تزيل التسوف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة النفس بقربها من الأجل وبسرها من الأمل قيل له لم يصل العبد إلى هذا قال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد (قال) الشيخ زروق وهذا الأمر لا سبيل إليه سوى الصراعة لمن يده القلوب وعنده مفاتيح الأمور ثم نبه على أن ما تقدم من العبارة ليس المقصود منها ظاهراً وإما هو إشارة كما قال بعضهم علينا كلمة إشارة فقال :

فانهم فحّت هذه العبارة إشارة وإيما إشارة

الإسلام فأوصني بأمر أدرك به ما فاتني وأوجز فقال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله وقال عليه السلام لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان الذاكر لله أفضل وقال صلى الله عليه وسلم ألا أتيتكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إيقاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وما ذلك يا رسول الله قال ذكر الله (وعن علي) كرم الله وجهه قلت يا رسول الله أي الطرق أقرب إلى الله وأسهلها على عباد الله وأفضلها عند الله تعالى فقال يا علي بمداومة ذكر الله فقال علي كل الناس يذكرون الله فقال صلى الله عليه وسلم يا علي لا تقوم الساعة حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول الله فقال له علي وكيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم غمض عينيك واسمع مني ثلاث مرات ثم قل مثلها وأنا أسمع فقال صلى الله عليه وسلم لا إله إلا الله ثلاث مرات فمضاه عيني ثم قالها على كذلك ثم لفتها على الحسن البصري ثم الحسن الحبيب المجي ثم حبيب لداوود الطائي ثم داوود لمعروف الكرخي ثم معروف للسري ثم السري للجديد ثم انتقلت إلى أبواب التربة فلا مدخل على الله إلا من باب الذكر فالواجب على العبد أن يستغرق فيه أوقاته ويبدل فيه جهده فان الذكر منشور الولاية ولا بد منه في البداية والنهاية فمن أعطى الذكر فقد أعطى المنشور ومن ترك الذكر فقد عزل وأنشدوا :

والذكر أعظم باب أنت داخله لله فاجعل له الألفاس حراسا

فيقدر ما يفنى في الاسم يفنى في الذات ويقدر ما يتغير في الفناء في الاسم يكون متغيرا في الفناء في الذات فليلتزم المريد الذكر على كل حال ولا يترك الذكر باللسان لعدم حضور قلبه فيه بل يذكره بلسانه ولو كان غافلا بقلبه فان غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلاتك في وجود ذكره لأن غفلتك عن ذكره اعتراض عنه بالكلية وفي وجود ذكره اقبال بوجهه ما في شغل اللسان بذكر الله تزيين جارحة بطاعة الله وفي فقدته تعرض لاشتغالها بالمصيبة قبل لبعضهم ما لنا بذكر الله باللسان والقلب غافل فقال أشكر الله على ما وفق من ذكر اللسان ولو أشغله بالغيبة ما كنت تفعل فليلتزم الانسان ذكر اللسان حتى يفتح الله في ذكر الجنان فسي أن ينقلك الحق تعالى من ذكر مع وجود غفلة إلى ذكر مع وجود يقظة أي ابتاه لمعانى الذكر عند الاشتغال به ومن ذكر مع يقظة إلى ذكر مع وجود حضور المذكور وارتسامه في الخيال حتى يطمئن القلب بذكر الله ويكون حاضرا بقلبه مع دوام ذكره وهذا هو ذكر الخواص والأول ذكر العوام فان دمت على ذكر قلت فليس المقصود من ذكر الرعود والنيث وزهر الأغصان واعتدال الزمان ولا من ذكر الظلال والافياء والانهار والعيون والروح والريحان والطارق والسارق والبستان ما يفهم من ظاهر العبارة وإنما ذلك الغاز وإشارة فتحت كل عبارة إشارة دقيقة ومعانرة وقد تقدم التنبيه على ذلك كله في علمه بالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم ذكر أصل التصوف من جهة دليل الشرع فقال .

ولنرجع الآن لباقي الفصل اذ في تمامه ثبوت الأصل

قلت الفصل معقود لثبوت أصل التصوف فذكر أصله من جهة النوق والوجدان ونق ثبوته من طرق الشرع وبه تمام ثبوت أصله على الكمال فأشار إليه بقوله :

فقادة الصوفي أهل الصفة . في زمن الرسول فاعلم وصفه
وم ضياف الله والاسلام . وجلساء سيد الانام

لحضور رفعك إلى ذكر مع الغيبة عما سوى المذكور لما يغمرك قلبك من النور وربما يعظم قرب نور المذكور فيغرق في النور حتى يغيب عما سوى المذكور حتى يصير الذاكر مذكورا والطالب مطلوباً والواصل موصولاً وما ذلك على الله بعزيز أى بممتنع فقد يرفع في أعلى الدرجات من كان في أسفل الدرجات وما هنا يسكت اللسان وينقل الذكر للجان فيصير ذكراً للسان غفلة في حق أهل هذا المقام كما قال الشاعر :

ما إن ذكرتك إلا هم يلغني سوى وقلبي وروحي عند ذكراك
حتى كان رقيباً منك يهتف بي إياك ويحك والتذكر إياك
أما ترى الحق قد لاح شواهد وواصل الكل من معناه معاك

وقال الواسطي مشيراً إلى هذا المقام الذاكرون في ذكره أكثر غفلة من الناسين لذكره لأن ذكره سواء اه يعنى الذاكرين الله بالقلوب هم في حال ذكرهم لله بلسانهم أكثر غفلة من التاركين لذكره لأن ذكره باللسان وتكلفه يقتضى وجود النفس وهو شرك والشرك أقبح من الغفلة هذا معنى قوله لأن ذكره سواء أى لأن ذكر اللسان يقتضى استقلال الذاكر والفرض أن الذاكر محرم في مقام العيان (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه حقيقة الذكر الانقطاع عن الذكر إلى المذكور وعن كل شيء سواء لقوله واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً (وقال) القشيري رضى الله عنه الذاكر اندراج الذاكر في مذكوره واستظلام السر عند ظهوره وفي معنى ذلك أنشدوا :

ذكرتك لا أنى نسيك لحظة وأيسر ما في الذكر ذكر لسانى
وصرت بلا وجود أهم من الهوى وهام على القلب بالخفقان
فلما أرانى الوجد أنك حاضرى شهدتك موجوداً بكل مكان
فغاطبت موجوداً بغير تكلم وشاهدت موجوداً بغير عيان

وفي هذا المقام يتحقق المرید بعبادة الفكرة أو النظرة وفكرة ساعة خیر من عبادة سبعين سنة وإن ذلك قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه أو قاتنا كلها ليلة التمدد أى عبادتنا كلها مضاعفة مع خفائها وتحقيق الإخلاص فيها أذلاً يطلع عليها ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسد وفي ذلك قال بعضهم قيل هو الخلاج

قلت القادة والقادة ما اقتديت به واتبعت طريقتهم (يقول) رضى الله عنه فتبوع الصوفية وقدوتهم في طريق التجريد وترك الأسباب والانقطاع إلى رب الأرباب هم أهل الصفة موضع بناء عليه السلام في طرف مسجده لفتراء أصحابه كانوا يجتمعون فيه إذا كثروا بلغوا أربعائة وإذا قلوا كانوا ثمانين أو سبعين وبه سمو الصوفية على قول وكانوا يعرفون بضياف الله وبضياف الإسلام آثروا التجريد للعبادة ومجالسة سيد المرسلين وفهم نزل قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعونهم بالغداة والعشي كما يأتى فافهم عليه السلام على التجريد وترك الأسباب حيث علمهم عدم التشرف للأسباب والرضى بما قسم الله لهم وبما يراهم به سبحانه من سعة أو ضيق ومن تشوق منهم أمره بالأسباب مثل حكيم بن حزام رضى الله عنه فإنه سأله فأعطاه ثم سأله فأعطاه ثم قال له يا حكيم أن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه بأشراف نفس لم يارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع ثم قال له لأن يأخذ أحكم حبله فيحطب خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو مده الحديث فله عليه السلام على التسبب لما تشرفت نفسه للأسباب بدلاً عن المسئلة إذ هي آخر كسب المؤمن بخلاف غيره إذ لم يتشوف ولذلك قال الخواص رضى الله عنه

قلوب العارفين لما عيون ترى مالا يرى للناظرين
والسنة بأسرار تلجى تنيب عن الكرام الكائنين
وأجنحة تطير بثير ريش إلى ملكوت رب العالمين

وقد ذلتها بيتين فقلت :

وأقنعة تهم بعشق وجد إلى جبروت ذى حق يقينا
فان تردن بنا كرى المعاني فبذل الروح منك يقل فينا

ولما كان الذكر هو سبب حياة القلب وتركه سبب موته وفي الحديث مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه كمثل الحى والميت ذكر علامة حياته وموته فى أول البيت الساس فقال وقال رضى الله عنه (من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من المواقفات وترك التدم على ما فعلت من وجود الزلات) قلت موت القلب سببه ثلاثة أشياء حب الدنيا والنفلة عن ذكر الله وإرسال الجوارح فى معاصى الله وسبب حياته ثلاثة أشياء الزهد فى الدنيا والاشتغال بذكر الله ومحبة أولياء الله وعلامة موته ثلاثة أشياء عدم الحزن على ما فات من الطاعات وترك التدم على ما فعلت من الزلات ومحبة للناقلين الأموات وذلك لأن صدور الطاعة من العبد عنوان السعادة وصدور المعصية علامة الشقاوة فان كان القلب حياً بالمعرفة والإيمان آله ما يوجب شقاوته وأفرجه ما يوجب سعادته (أو تقول) صدور الطاعة من العبد علامة على رضامولاه وصدور المعصية علامة على غضبه فالقلب الحى يحس بما يرضيه عند مولاه فيفرح وما يسخطه عليه فيحزن والقلب الميت لا يحس بشئ قد استوى عنده وجود الطاعة والمعصية لا يفرح بطاعة وموافقة ولا يحزن على زلة ولا معصية كما هو شأن الميت فى الجس وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من سرتة حسنة وساءتة سيئانه فهو مؤمن وقال عبد الله بن مسعود المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا فأطاراه اه لكن لا ينبغي للعبد أن يغلب النظر إلى جانب الذباب فيقل رجاءه ويسئ الظن بسببه كما أشار إليه بقوله (لا يعظم الذنب عندك عظمتك عن حسن الظن بالله) قلت الناس فى الخوف والرجاء على ثلاثة أقسام أهل البداية ينبنى لهم تغليب جانب الخوف وأهل الوسط ينبنى لهم أن يعتدل خوفهم ورجاؤهم وأهل النهاية يغلبون جانب

مادامت الأسباب فى النفس قائمة فالنسب أولى والأكل بكسب أحل له لأن العقود عن المكاسب لا يصلح لمن لم يستغن عن التكلف ثم وصف حالهم ليعتدى بهم فقال :

كانوا على التجريد عاملين وعن سوى الرحمن معرضين

قلت التجريد هو التعرية عن الشئ يقال فلان جرد ثوبه أزاله وجردت الجلد أزلت شعره هذا باعتبار اللغة وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام تجريد الظاهر فقط أو الباطن فقط أوهما معاً فتجريد الظاهر هو ترك الأسباب الدنيوية وتخزين العوائد النفسانية الجسدية والتجريد الباطنى هو ترك العلاقات النفسانية والعوائق الوهمية وتجريدهما معاً هو ترك العلاقات الباطنية والعوائد الجسدية أو تقول تجريد الظاهر هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله وتجريد الباطن هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله وتجريدتهما هو أفراد القالب والقلب لله والتجريد الكامل فى الظاهر هو ترك الأسباب وتعرية البدن من معتاد الثياب وفى الباطن هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتحليته بكل وصف كريم فأشار الناظم إلى الأول

الرجاء أما أهل البداية فلاهم اذا غلبوا جانب الخوف جدوا في العمل وانكفوا عن الزلل فيذلك تشرق نهايتهم والذين جاهلوا فيالنهيدينهم سبنا وأما أهل الوسط فلاهم قد اتقلت عبادتهم الى تصفية بواطنهم فبيادتهم قلبية فلو غلبوا جانب الخوف لرجعوا الى عبادة الجوارح والطلوب منهم عبادة البواطن على رجاء الوصول وخوف الفضيحة فيعتدل خوفهم ورجازهم وأماالواصلون فلايرون لانفسهم فلا ولاتركافهم ينظرون الى تصرف الحق ومايجرى به سابق القدر فيتلقونه بالقبول والرضاء فان كان طاعة شكروا وشهدوا منة الله وان كان معصية اعتذروا أو تأدبوا ولم يقفوا مع انفسهم اذا لوجود لما عندهم وانما ينظرون الى مايرز من عنصر القدرة فنظرم الى حلمه وغفوه واحسانه وبره أكثر من نظرم الى بطشه وقهره ويرحم الله الشافعي حيث قال

فلما قسى قلبي وضائق مذاهي جعلت الرجاء منى لمفوك سلما
تماطلني ذني فلما قرنته بمفوك ربي كان عفوك أعظما
فازلت ذا جود وفضل ومنة تجمود وتغفو منه وتكرما
فياليت شعري هل أصير لجنة أهنا وإما للسير فأندما

قال تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وتأمل قضية الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم سأل رابا فقال له هل لي من توبة فقال له لا توبة لك فكلل به المائة ثم أتى عالما فسأله فقال له من يحول بينك وبينها ولكن اذهب الى قرية كذا فيها قوم يعبدون الله فكن فيهم حتى تموت فلما توسط الطريق أدركه الموت فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله اليهم أن قيسوا القرية التي خرج اليها والقرية التي خرج منها فالى أيهما كان اقرب فهو من أهلها فأوحى الله الى القرية التي يريد أن تقارب ولي القرية التي خرج منها أن تباعدى فوجد اقرب إلى القرية التي يريد بشير فأخذته ملائكة الرحمة والحديث في الصحيحين نقلته بالمعنى وقال الشيخ أبو العباس الرمي رضى الله عنه العامة اذا خوفوا واذا رجوا رجوا والخاصة متى خوفوا رجوا ومتى رجوا خافوا قال في لطائف المتن ومعنى كلام الشيخ هذا أن العامة واقفون مع ظواهر الامر فاذا خافوا خافوا اذ ليس لهم نفوذ الى ما وراء العبارة بنور الفهم كما لاهل الله وأهل الله اذا خوفوا رجوا عالمين ان من وراء خوفهم وما

وهو تجريد الظاهر بقوله كانوا أى أهل الصفة على التجريد الظاهر عالمين ورفضوا همتهم الى رب العالمين فقتنوا بما تيسر من القوت وما يستر العورة من الثياب منها ما تبلغ الركبة ومنها دون ذلك كانوا يقولون للنساء في الصلاة لا ترفن رؤسكن حتى يستوى الرجال قعدا خشية أن يرين عورة أهل الصفة من ثياب ومنهم من لبس اهاب كبش أى جلده وهو مصعب بن عمير فلما رآه عليه السلام بكى وقال انظروا الى هذا الذي نور الله قلبه فقد رأيته قد بكى بين أيويه يمتثال في حلة قد اشترت له أو اشتراها بما تتي درهم فما زال به حبا لله ورسوله حتى صيره الى ماثرون رواه البيهقي في المنذرى ورواه في كتاب الزهد عن الترمذى أيضا فهذه كانت أحوال أهل الصفة خبار هذه الامة وهذه كانت سمة نبينا صلى الله عليه وسلم (فقد) دخل سيدنا عمر رضى الله عنه عليه وسلم فرأى الشرط قد أثر في جنبه صلى الله عليه وسلم فبكى عمر رضى الله عنه لما رأى كما في البخارى ومات عليه السلام ودرعه مرهقة عند يهودى واليوم صار هذا بدعة عند الناس وصار التأني في اللباس وتكثير العمائم وجمع المال سنة فان الله وأنا اليه راجعون ويرحم الله القاتل

خوفوا به أوصاف المرتجوا الذي لا ينبغي أن يقطع من رحمته ولا أن يئس من ميثه فأحاثوا على أوصاف كرمه علما منهم ما خوفهم إلا ليجمعهم وليردم بذلك إليه وإذا رجوا يخافون غيب مشيئة الذي هو من وراء رجائهم وخافوا أن يكون ما ظهر من الرجاء اختبارا لعقولهم هل تقف مع الرجاء أو تتقد إلى ما بطن في مشيئته فذلك آثار الرجاء خوفهم اهـ

(ودخل) الجنيد رضى الله عنه على شيخه السري فوجده مقبوضا فقال له مالك أيها الشيخ مقبوضا فقال دخل على شاب فقال لي ماحقيقة التوبة فقلت له ما أن لا تنسى ذنبك فقال الشاب بل التوبة أن تنسى ذنبك ثم خرج عنى قال الجنيد فقلت الصواب ما قاله الشاب لأنى إذ كنت في حالة الجفاء ثم نقلنى إلى شهود الصفاء ذكر الجفاء في حال الصفاء جفاء اهـ قلت (نظر السرى إلى أهل البدايه ونظر الجنيد إلى أهل النهاية والكل صواب والله تعالى أعلم ثم ذكر موجب تصغير الذنب فقال (فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه) قلت بل من عرف ربه غاب عن رؤية ذنبه لفتائه عن نفسه بشهود ربه فإن صدر منه فعل يخالف الحكمة غلب عليه شهود النعمة قال تعالى نبىء عبادى انى أنا الغفور الرحيم وأما قوله تعالى وإن عذابى هو العذاب الأليم فاما هو لمن لم يقب وقال رسول الله ﷺ عليه لو أذنبتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم يتب الله عليكم ولو أن العباد لم يذنبوا لذهب الله بهم ثم جاء بقوم آخرين يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم والله أفرح بتوبة عبده من الطمان الوارد ومن العقيم الولد ومن الضال الواجد لكن لا ينبغي أن يصغر ذنبه حتى يفتى بحلم الله (وقد) أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود قل لعبادى الصديقين لا يفتروا فانى ان أقم عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى المذنبين لا يقتطوا فانه لا يعظم على ذنب أغفره لهم اهـ (وقال الجنيد رضى الله عنه إذا بدت عين من الكريم ألحقت المسىء بالمحسن وقال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه في حربه إلى محبيك ناديت بالطاعة وطاعتك ناديتي بالمعصية فى أيهما أخاف وفى أيهما أرجو ان قلت بالمعصية فأبليتى بفضلك فلم تدع لى خوفا وإن قلت بالطاعة فأبليتى بمدلك فلم تدع لى رجاء فيت شمرى كيف أرى احسانى مع احسانك أم كيف أجهل فضلك مع عصيانك اهـ هو معنى كلام الشيخ رضى الله عنه ان العبد إذا كان فى المعصية شهد قهرا بالحق وعظمة موصوف نفسه وعجزه اكتسب من المعصية انكسارا وذلا لنفسه وتعتظا وإجلالا لربه وهذا افضل الطاعات فقد نادته بمعصيته التى هو فيها بالطاعة التى يحنيتها منها وإذا كان فى الطاعة ربما شهد فيها نفسه وتصدتعتة وحذاء فأشرك بربه وأخل بأدبه وهذه معصية فاذا كان

ياحسبى الله ما للناس أكثرهم قد أنكروا الزهد والتجريد والورع
سماوا طريق أولى الترفيق صملكه وسنة اتقوا الأهراء والبدعا

وسنة مفعول مقدم بلقبوا (و) قول الناظم وعن سوى الرحمن معرضين أى وكانواع سوى الرحمن معرضين لا يلتفتون إليه ولا يتعللون به اكتفاء به واستغناء بعلمه رضى الله عنهم ونعتنا بهم سم أشار إلى الثانى وهو التجريد الباطنى فقال :

تخلقوا بتخلق الذى يدعون بالعداة وبالعشى

قلت تخلق بكذا تطيع به والخلق بعضهم السجية والطبع (يقول) رضى الله عنه ان أهل الصفه رضى الله عنهم تخلقوا بتخلق الذى صلى الله عليه وسلم يعنى قاربوا من خلقه عليه السلام وإلا فلا يمكن التخلق بتخلقه عليه السلام على الوفاء والقيام كيف والله تعالى يقول وانك لعل خلق عظيم فتدحاز عليه السلام مراتب الكمال على الوفاء والقيام حتى قالت عائشة رضى الله تعالى عنها كان خلقه القرآن واحتشمت أن تقول كان خلقه خلق الرحمن أدبابع الحضرة ووقوفامع الحكمة فذكرت

في الطاعة نأذنه هذه المعصية التي يجتنبها منها فلا يدرى من أيهما يخاف وأبهما يرجو وقوله وإن قلت بالمعصية الخ أي إن نظرت إلى صورة المعصية قابلتي بفضلك فأتحتى اسمها واندرس رسمها وإن نظرت إلى صورة الطاعة قابلتي ببذلك فاضمحلت وامتحتنت وبقي عضو الرجاء من الكرم الوهاب الذي يعطى بلا سبب ويغنى بجله المناقشة والكتاب والله تعالى أعلم فحصل أن العارف لا يناف مع «معصية» وإن جلت ولا مع طاعة وإن عظمت وهو معنى قوله (لا صغيرة إذا قابك عدله ولا كبيرة إذا وجهك فضله) قالت الصغيرة هي الجرعة التي لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث والكبيرة هي التي تردد عليها بالعذاب أو الحد في القرآن أو في السنة وقيل ذير ذلك هذا كله بالنظر لظاهر الأمر وأما باعتبار ما عند الله من أمر غيبه والنظر إلى حكمه وعدله فقد يبرز خلاف ما يظن قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يـكـنـونـا يحسبون فن سبق له العناية لاضطره الجنابة فأولئك يدل الله سيئاتهم حسنات وإن كانت الأعمال علامات فقد تختلف في بعض المقامات فوجب استواء الرجاء والخوف في بعض المقامات والتسليم لله في كل الأوقات إذ قد تمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته فإذا قابك الحق سبحانه وتعالى بعبده وجلاله لم تبق لك صغيرة وعادت صفاتك كباثر وإذا واجهك الحق تعالى بفضله وكرمه وإحسانه وجماله لم تبق لك كبيرة وعادت كباثر صفاتك كالرازي رضي الله عنه إذا نالهم فضله لم تبق لهم سيئة وإذا وضع عليهم عدله لم تبق لهم حسنة أهـ وقيل لو وزن رجاء المؤمن وخوفه مارجع أحدهما على الآخر بل المؤمن كالطائر بين جناحين أو كما قيل قاله الشيخ زروق رضي الله عنه :

(قالت) وحديث الرجل تـمـدله تسع وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم تخرج له بطاقة قدر الأمل فيها شهادة أن لا إله إلا الله فتعشش تلك السجلات بدل على عظيم حلمه ورحمته وشمول كرمه ومنته ولما ذكر رضي الله عنه علامة موت القاب ذكر الأعمال التي توجب حياته فقال (لا عمل أرجى للقلوب من عمل يغيب عنك شهوده ويحقر عندك وجوده) قالت هكذا هي نسخة الشيخ بلطف القلوب وهي أوفق بالسياق إذ الكلام كله في موت القلوب وحياتها يعني أنه لا عمل أرجى لحياة القلوب من عمل يكون باقاً وقه غائباً فيه عما سواه خبر ملاحظ فيه حظوظه وهواه متبرئاً فيه من حوله وقواه فإذا أظهرته عليه القدرة غاب عن شهوده وصغر في عينه صورة وجوده لما تجلى في قلبه من عظمة مولاه فصغر عنده كل ما سواه فمثل هذا العمل تنبى به القلوب وتغطى بمشاهدة علام النبوة وهو روح اليقين وهو حياة قلوب العارفين فإذا أراد الله أن يتولى عبده أنهضه للعمل وصغره في عينه فلا يزال جاداً في عمل الجوارح حتى ينقله

ما يليق بأداب العبودية واحتشمت من أخلاق الربوبية قد أعطى عليه السلام الغاية من الزهد والورع والخرف والرجاء والصبر والتوكل والرضا والتسليم والمحبة والرحمة والشفقة والحلم والكرم والشجاعة وكامل العقل وتعمام المعرفة إلى ما لا يحصى وكان أهل الصفة أشبه الناس به في هذه الأخلاق (وقوله) يدعون ربهم وأشار به إلى قوله تعالى في حقهم أرسلوه صلى الله عليه وسلم وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم وسبب نزول الآية أن الكفار قالوا الأرضى أن نجالسك مع هؤلاء فأراد عليه السلام أن يجعل لهم مجلساً يخصهم به ثم يجالس الفقراء بعد ذلك فزلت الآية .

(قال) بعضهم هو امر ارشاد وتزكية ونهى تنبيه وترقية ليكون محجة لقوم وحجة على قوم وهذا كنهى البار عن العقوق وأمره بالبر ليكون اثبت وأوفى وأنتم في الحجة وإظهاراً لتشريف قدر هذه الجماعة وما هم عليه من عماد الخلائق والا فهو عليه السلام لا يعمل الا ذلك قبل الأمر وبعد ثم ملأ صفيهم به مولاهم من النماء بالغداة والعشي غير معلل بفضلة سوى إرادة وجهه الكريم أى معرفة ذاته المقدسة لا يرجون على ثواب ولا جزاء ولا قصور ولا حور وهذا

إلى عمل القلوب فتستريح الجوارح من التعب ولا يبقى إلا شهود العظمة مع الأدب قال الهرجوري رحمه الله من علامات من تولاه الله في أحواله أن يشهد التقصير في إخلاصه والغفلة في أذكركه والتقصان في صدقه والفتور في مجاهدته وقلة المراعات في فقره فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية ويزداد قرأ إلى الله في قصده وسيره حتى يبقى عن كل شيء دونه اه وإذا حي القلب بمرقة الله كان محلاً لتجلي الواردات الإلهية وإلى ذلك أشار بقوله (إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً) قلت الوارد نور إلهي يقذفه الله في قلب من أحب من عبادته وهو على ثلاثة أقسام على حسب البداية والوسط والنهاية (أو تقول) على حسب الطالبين والسائرين والواصلين .

(القسم الأول) وارد الانتباه وهو نور يخرجك من غلبة الغفلة إلى نور اليقظة وهو لأهل البداية من الطالبين فإذا تيقظ من نومه واتبه من غفلته استوى على قدمه طالباً لربه فيقبل عليه بقلبه وبقلبه وينجمع عليه بقلبه .
(القسم الثاني) وارد الإقبال وهو نور يقذفه الله في قلب عبده فيحركه لذكر مولاه وبنيه عما سواه فلا يزال مشتغلاً بذكره غائباً عن غيره حتى يتملأ القلب بالنور وينبغي عما سوى المذكور فلا يرى إلا النور فيخرج من بين الأغيار ويترعرع من رق الآثار .

(القسم الثالث) وارد الوصال وهو نور يستولى على قلب العبد ثم يستولى على ظاهره وباطنه فيخرج من بين نفسه وبنيه عن شهود حسه وقد أشار إلى القسم الأول وهو وارد الانتباه بقوله (إنما أورد عليك الخ أي إنما أشرق عليك نور اليقظة والانتباه وهو الوارد فتكون بسببه وارداً عليه وسائراً إليه ولولم يورد عليك هذا الوارد لبقيت في وطن غفلتك دائماً في سكرتك دائماً في حصرتك ثم أشار إلى القسم الثاني وهو وارد الإقبال فقال (أورد عليك الوارد ليتسلل من بدا الأغيار ويحرك من رق الآثار) أي (إنما أورد عليك وارد الإقبال ليؤنسك بذكر الكبير المتعال فإذا اشتغلت بذكره وغبت عن غيره تسلك أي أتقنك من بدلصوص الأغيار بعد أن شدوا أو ناكك بحيل هواك وبمجنوك في بين حظوظك ومنك وليرحرك ويعتقك أيضاً من رق الآثار بعد أن ملكك كما أظهرت لك من زخرف الاغترار فإذا تسلت من بدا الأغيار أفضيت إلى شهود الأنوار وإذا تحررت من رق الآثار ترقيت إلى شهود الأسرار فالأنوار أنوار الصفات والأسرار أسرار الذات فالأنوار لأهل الفناء في الصفات والأسرار لأهل الفناء في الذات ثم أشار إلى القسم الثالث وهو وارد الوصال فقال (أورد عليك الوارد ليخرجك من بين وجودك إلى فضاء شهودك) أي أورد عليك وارد الوصال بعد أن أهب عليك نفحات الإقبال كله تحققت الصوفية رضى الله عنهم كما فهموا ذلك من أخلاق نبهم صلى الله عليه وسلم وما كان يدل عليه وإلى ذلك أشار بقوله :

قد فهموا مقتضيات الشرع فصوروا الفرق لعين الجمع
قلت مقتضى الشيء مطلوبه واقضى دينه طلبه والشرع الشرعة بالكسر ما شرعه الله لعباده من الأحكام والفرق عند الصوفية هو شهود خلق بلا حق والجمع هو شهود حتى بلا خلق وجمع الجمع هو شهود خلق بحق ، الفرق شريعة والجمع حقيقة ؛ الفرق شهود الحكمة والجمع شهود القدرة وجمع الجمع حكمة وقدرة (يقول) رضى الله عنه في وصف أهل الصفة أنهم تركوا الدنيا لأهلها وانقطعوا إلى الله بالكلية وقد فهموا ذلك من مطلوبات الشرع ومقتضياته إذ قد سمعوا كلامهم وأحاديث نبهم صلى الله عليه وسلم في ذم الدنيا والاشتغال بها ومدح التفرغ للعبادة والاجتهاد فيها وما أعد الله فيها للزاهدين وللقائتين فتركوا الأسباب التي هي شريعة الضعفاء وتمسكوا بالتجريد الذي هو شريعة الأقوياء وحقيقة الأصفياء فصوروا الفرق الذي هو الاشتغال بالأسباب لعين الجمع الذي هو الاشتغال بمسبب الأسباب فالنظر للأسباب فرق والنظر لمسبب

ليخرجك من بين رؤية وجودك إلى فضاء أى اتساع شهودك لربك فرويتك وجودك مانعة لك من شهود ربك إذ حال أن تشهده وتشهد معه سواء وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وأنشد الجنيد

وجودى أن أغيب عن الوجود بما يبدو على من الشهود

فالفناء عن النفس وزوالها أصعب من الفناء عن الكون وهدمه فيها زالت النفس وهدمت انهم الكون ولم يبق له أثر وقد يهدم الكون وتبقى في النفس بقية فلذلك قدم الشيخ رق الاكون على بين وجود الانسان والله تعالى أعلم ثم فسر تلك الواردات فقال (الأنوار مطايا القلوب والأسرار) قلت النور نكتة تقع في قلب العبد من معنى اسم أو صفة يسرى منها في كليته حتى يصر الحق والباطل أبصاراً لا يمكنه التخلف معه عن موجه قاله الشيخ زروق والمطايا جمع مطية وهى الناقة المهيئة للركوب والقلوب جمع قلب وهو الحقيقة القابلة للمفاهيم والأسرار جمع سر وهو الحقيقة القابلة للتجليات والسر أدق وأصنى من القلب والكل اسم للروح فإن الروح ما دامت متظلة بالمعاصي والذنوب والشهوات والعيوب سميت نفساً فإذا انزجرت وانعلقت انعقال البعير سميت عقلاً فاذا زالت تغلب في الغفلة والحضور سميت قلباً فإذا اطمانت وسكنت واستراحت من تعب البشرية سميت روحاً فإذا انصفت من غش الحس سميت سرا لكونها صارت سرا من أسرار الله حين رجعت إلى أصلها وهو سر الجبروت فإذا أراد الله تعالى أن يوصل عبده إلى حضرة قدسه ويحمله إلى محل أنسه أمده بواردات الأنوار كالطايا فيحمل عليها في عفة العناية مروحاً عليه بنسيم الهداية مخفواً بنصرة الرعاية فتزحل الروح من عوالم البشرية إلى عوالم الروحانية حتى تصير سرا من أسرار الله لا يعلمها إلا الله قل الروح من أمرى فالأنوار التى هى الواردات مطايا القلوب تحملها إلى حضرة علام النيوب وهى أيضاً مطايا الأسرار تحملها إلى جبروت العزيز الجبار فالسلوك هداية والجذب عناية فوارد الانتباه والاقبال حمله سلوك ووارد الوصال حمله جذب فالأنوار التى هى مطايا القلوب تحملهم على جهة السلوك إلا أنهم يحملون فيه بملادة نور الانتباه والاقبال فصار سلوكهم كأنه جذب وأما الأنوار التى تحملهم على مطايا الأسرار فإنها تحملهم على جهة الجذب عز وجأ بسلوك فيكونون بين جذب وسلوك وهذا الحل أعظم والله تعالى أعلم

ثم بين كيفية السير على هذه المطايا وما يعوقها عن السير فقال (النور جند القلب كما ان الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمده بمجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار) قلت الظلمة نكتة تقع من الهوى في النفس عن عوارض الأسباب جمع وهذا كقول الشيخ أبى العباس رضى الله عنه للناس أسباب وسيننا الإيمان والتقوى قال الله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فقضى الشرع للعبد أن يكون جامعاً بين حقيقة وشريعة اعنى شريعة الخواص التى هى لب الشريعة لا شريعة العوام التى هى القشر وإذا كان جامعاً فيكون في ظاهره ممثلاً لأمره وفى باطنه مستسلماً لقهره يدعونه لكونه لا يرى الأمر إلا منه وله ويقوم بواجبات وقته لكونه مطلوباً بوظائف حكمته عملاً بقوله إياك نعبد وإياك نستعين فإياك نعبد فرق وإياك نستعين جمع وشهود الجمع في عين الفرق هو جمع الجمع وهو الصراط المستقيم الذى طلب الهداية إليه وياقه التوفيق فهو الهادى إلى سواء الطريق ولما ذكر ان أهل الصفة صيروا الفرق عين الجمع ذكر ما يترتب عليه من الخروج عن كل شيء والنفي بالله في كل شيء فقال

قد خرجوا لله عما اكتسبوا فكل صوفي إليهم ينسب

قلت لا شك أن أهل الصفة رضى الله عنهم كانت لهم أموال وعبيد وإمام وديار وعقار وأهل وعيال فلما هاجروا

الوم فوجب العلم عن الحق لتمكن الباطل من الحقيقة فيأتي العبد ويذر على خير بصيرة قلبه الشيخ زروق (قال) قد تقدم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر أسماء مسمى واحد وهو الحقيقة الربانية المودعة في هذا القلب الجسماني الظلاني وإنما اختلفت أسمائها باختلاف أحوالها وتنقل أطوارها ومثال ذلك كما إذا طار النازل في أصل الشجر ثم يصعد في فروعه فيظهر ورقاً ثم نوراً وأزهاراً ثم يثمر ثم ينمو حتى يكمل فلاماً واحداً واختلفت أسمائها باختلاف أطوارها هكذا قال الساحلي في بقية وقد نفذت في ذلك قصيدة ذكرت في غير هذا الكتاب فعلى هذا يكون تقابل القلب مع النفس بالمحاربة كناية عن صعوبة انتقال الروح من وطن الظلمة التي هي محل النفس إلى وطن النور الذي هو القلب وما بعده فالقلب ياربها لينقلها إلى أصلها وهي تقاعد وتسط إلى أرض البصيرة وشهواتها فالقلب له أنوار الواردات وقربه وتصره حتى يترقى إلى الحضرة التي هي أصله وفيها كان وطنه وكانت جنود له من حيث أنه يتقوى بها وينتصر على ظلمة النفس وهذه الأنوار هي الواردات المتقدمة والنفس لما ركنت إلى الشهوات واستطاعت صارت كأنها جنود لها وهي ظلمة من حيث أنها حجبها عن الحق ومنعتها من شهود شئوس العرفان فإذا هاجت النفس بجنود ظلماتها وشهواتها إلى مصيبة أو شهوة رحل إليها القلب بجنود أنواره فيلحجم بينهما القتال فإذا أراد الله عناية عبده ونصره أمد قلبه بجنود الأنوار وقطع عنه من جهة النفس مدد الأغيار فيستولى النور على الظلمة وتولى النفس منهزمة وإذا أراد الله خذلان عبده أمد نفسه بالأغيار وقطع عن قلبه شوارق الأنوار فيأتي المأخور بالآدم على وجهه والمخذول بالشيء على عكسه

(قال) الشيخ زروق رضي الله عنه وأعداد الأنوار ثلاثة أولها بين لا يخاطمه شك ولا ريب الثاني علم تصحبه بصيرة وبيان الثالث الهام بحرى معد العيان (وإمداد) الظلم ثلاثة أولها ضعف اليقين الثاني غلبة الجهل على النفس الثالث الشفقة على النفس وذلك كله أصله الرضى عن النفس وعدمه ومظهره الثلاث المرتبة عليه وهي المعاصي والشهوات والغفلات وأضدادها المتقدمة في الباب الثالث فاقمها

(ولما) كان النور هو جند القلب لأنه يكشف عن حقائق الأشياء فيميز الحق من الباطل فيحقق الحق ويبطل الباطل فينتصر القلب قبالة على الحق على بينة واضحة وتهزم النفس بانهمزام جند ظلماتها إذ لا بقاء للظلمة مع وضوح النور كما أشار إلى ذلك بقوله (النور له الكشف والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار) قلت النور من حيث هو من شأنه أن يكشف الأمور ويوضحها حتى يظهر حسناتها من قبحها ومن شأن البصيرة المفتوحة أن تحكم على الحسن بحسنه وعلى القبيح

إلى الله ورسوله خرجوا عن ذلك كله وتركوه فانتقلوا إلى المدينة ليس معهم شيء فبني لهم عليه السلام صفة في طرف المسجد فنزلوا فيها يملكون الليل ويصومون بالنهار ويجاهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الجيش فقتل أكثرهم في الجهاد ومن بقي منهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته الدنيا فنهزم من لم يقبلها ولم يأخذ منها شيئاً كآبى ذر وأبى الدرداء وأبى عبيدة ومعاذ وغيرهم ممن لا يحصى (وممنهم) من أخذها باقة ودفعها ففكان فيها كالأمن ينظر العزل من مولاه يقوم فيها بواجب الحقوق دون تقصير ولا تعرج على مخلوق وكذلك كانت الصوفية المحققون لا يملكون مع سيدهم شيئاً ولا يملكونهم شيء (وقد) سأل بعض الفقهاء أبا بكر الشيلي رحمه الله اختاراً له في العلم فقال يا أبا بكر كم في خمس من الإبل فقال أما الواجب فتشاة وأما عندنا فنكلما الله قال وما دليلك على ذلك قال أبو بكر حين خرج عن ماله كله لله ورسوله فمن خرج عن ماله كله فأمامه أبو بكر ومن خرج عن بعض وترك بعضاً فأمامه عمر رضي الله عنه ومن أعطى الله ومنع الله كان إمامه عثمان رضي الله عنه ومن ترك الدنيا لأهلها فأمامه علي رضي الله عنه وكل يعلم لا يدل على ترك الدنيا فليس يعلم الله

بقبحه والقاب يقبل على ما ثبت حسنه ويدبر عن ما ثبت قبحه (أو تقول) يقبل على ما فيه نفعه ويدبر عما فيه ضرره ومثال ذلك رجل دخل بيتا مظلماً فيه عقارب وحيات وفيه سبائك ذهب وقضة فلا يدري ما يأخذ ولا ما يذر ولا ما فيه نفع ولا ضرر فإذا أدخل فيه ذهباً رأى ما ينفعه وما يضره وما يأمنه ولا يبحره كذلك قاب المؤمن العاصي لا يفرق بين مرارة المهصية وحلاوة الطاعة فإذا استضاء بنور الحق عرف ما يضره وما ينفعه وفرق بين الحق والباطل قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تمموا الله يجعل لكم فرقاناً) أي نوراً يفرق بين الحق والباطل وقال تعالى (أو دن كان ميتاً فأحييناه وجعلناه نورا يمشي به في الناس) وقال تعالى (أن شرع الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) وهذا النور الذي يكشف الأمور هو نور الوردات المتقدمة الذي هو مطابا للقلب إلى علام الغيوب أولها نور الوارد الانتباه ومن شأنه أن يكشف ظلمة الغفلة ويظهر نور اليقظة فتحكم البصيرة بفتح الغفلة وحسن اليقظة فيقبل القلب حيثنعل على ذكر ربه ويدبر عما يغفله عن ربه وهذا هو نور الطالبين (الثاني) نور وارد الإقبال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الاغيار ويظهر بهجة المعارف والاسرار فتحكم البصيرة بضرر الاغيار وحسن الاسرار فيقبل القلب على بهجة الاسرار ويدبر عن ظلمة الاغيار وهذا هو نور السائرين

(الثالث) نور وارد الوصال ومن شأنه أن يكشف ظلمة الكون نور داء المصون ويظهر نور تجليات المكون فيقبل القلب على مشاهدة مولاه ويدبر عن الالتفات إلى ما سواه وهذا هو نور الواصلين وهو نور المواجبة ونور ما قبله نور التوجه وإن شئت قلت هو نور الاسلام والايمان والاحسان فنور الاسلام يكشف ظلمة الكفر والعصيان ويظهر نور الاقياد والاذعان فتحكم البصيرة بفتح الكفر والعصيان وحسن نور الاسلام والاذعان فيقبل القلب على طاعة ربه ويعرض عما يبعده من ربه ونور الايمان يكشف ظلمات الشرك الخفي ويظهر بهجة الاخلاص والصدق الوفي فتحكم البصيرة بفتح الشرك وضرره وحسن الاخلاص وخيره فيقبل القلب على توحيده ربه ويعرض عن الشرك وشره ونور الاحسان يكشف ظلمة السوى ويظهر نور وجود المولى فتحكم البصيرة بفتح ظلمة الاثر وحسن نور المؤثر فيقبل القلب على معرفة مولاه وينيب بالكلية ١٤ سواه (وإن شئت) قلت هذا النور هو نور الشريعة والطريقة والحقيقة فنور الشريعة يكشف ظلمة البطالة والتقصير ويظهر نور المجاهدة والتشهير فتحكم البصيرة بفتح البطالة وحسن المجاهدة فيقبل القلب على مجاهدة الجوارح في طاعة مولاه ويدبر عن متابعة حظوظه وهواه ونور الطريقة يكشف ظلمة المساوى والعيوب ويظهر بهجة الصفاء وما يشره من علم الغيوب فتحكم البصيرة بفتح العيوب وحسن الصفاء وعلم الغيوب فيقبل القلب على ما يوجب التصفية ويدبر عما يمنعه

(و) قوله فكل صوفي إليهم ينسب يعني أن كل من اتصف بأوصافهم من الخروج عما كسب لله وأخذ به وأعطاه الله فهو منسوب إليهم فيقال له صوفي أما نسبة إلى الصفة على غير قياس وأما لأنه صفت أحواله كما تقدم في الاشتقاق (و) قال الشيخ زروق رضي الله عنه كل من اتصف بأوصافهم فهو منسوب إليهم سواء كان غنياً أو فقيراً لأن الله عز وجل لم يمدحهم بالعدم وإنما مدحهم بكونهم يدعون بالحنوة والعنى يريدون وجهه فمن اتصف بهذا كان على طريقهم غنياً كان أو فقيراً ودليل ذلك أنه كان منهم بعد ذلك الأمير والفقير والمتسبب للتجرد لم ينقل ذلك وصفهم عما كانوا صوفية به ولا تقصم عما هم فيه من العمل بالحق والحقيقة بل شكروا على الدنيا حين وجدت كما صبروا عنها حين فقدت فكانوا للمولاه في الحالتين ومن كان بهذه الصفة فهو تابع لهم فاعرف ذلك وإذا كان أمر النصف في حال أهل الصفة فهو أمر ثابت عن الشارع بتقريره ولم يبق البحث إلا في التسمية وهو أمر اصطلاحى لا مدخل للإنكار فيه إذ هي من عوارض الألفاظ والله تعالى أعلم اهـ

(و) قوله إن هو يشير إلى أن القياس أن يقال فيه الصفي بالشد لكن كثيراً ما يأتي النسب على غير قياس وهذا منه ثم

من التخلية والتجلي ونور الحقيقة يكشف ظلمة الحجاب ويظهر له ع الحسن الأحباب (أو تقول) نور الحقيقة يكشف له ظلمة الأكران ويظهر نور الشهود والعيان فيقبل القلب على مشاهدة الأحباب داخل الحجاب ويدبر عما يقطعه عن الأدب مع الأحباب جعلنا الله معهم على الدوام في هذه الدار وفي دار السلام آمين ولما كان أصل كل نور وسر وخير هو طاعة الله وأصل كل ظلمة وحجاب وبعد هو معصية الله ومن علامة حياة القلب فرحه بالطاعة وحزنه على صدور المعصية نهك الشيخ على وجه الفرح بالطاعة التي هي سبب نور القلوب ومفاتيح الغيوب فقال (لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله إليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قلت قد تقدم في الحديث من سرته حسناته وسأته سيئاته فهو مؤمن والناس في الفرح بالطاعة على ثلاثة أقسام قسم فرحوا بها لما يرجون عليها من النعم ويدفعون بها من عذابه الآليم فهم يرون صدورهم من أنفسهم لأنفسهم لم يترأفوا فيها من جرحهم وقتهم وهم من أهل قوله تعالى إياك نعبد (وقسم) فرحوا بها من حيث أنها عنوان الرضى والقبول وسبب في القرب والوصول فهي هدايا من الملك الكريم ومعايا تحملهم إلى حضرة النعم لا يرون لأنفسهم تركا ولا فعلا ولا قوة ولا حول يرون أنهم محمولون بالقدره الأزلية مصرفون عن المشيئة الأصلية وهم من أهل قوله تعالى إياك نستعين فأهل القسم الأول عبادتهم لله وأهل القسم الثاني عبادتهم بالله وبقدرة الله وبينهما فرق كبير (وقسم) ثالث فرحهم بالله دون شيء سواه فانهم عن أنفسهم بالقرب يربهم فان ظهرت منهم طاعة فآلته الله وإن ظهرت منهم معصية اعتدوا الله أدبا مع الله لا ينقص فرحهم أن ظهرت منهم زلة ولا يزيد أن ظهرت منهم طاعة أو يقظة لأنهم بالله وفيه من أهل لا حول ولا قوة إلا بالله وهم العارفون بالله فان ظهرت منك أيها المريد طاعة أو إحسان فلا تفرح بها من حيث أنها برزت منك فتكون شركا بربك فان الله تعالى غنى عنك وعن طاعتك وغنى عن أن يحتاج إلى من يطيعه سواه قال الله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه إن الله غنى عن العالمين وقال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا الحديث وافرح بها من حيث أنها هادية من الله إليك ندل على أنك من مظاهر كرمه وفضله وإحسانه فانفرح إنما هو بفضل الله وبرحمته قال تعالى - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ففضل الله هو هدايته وتوفيقه ورحمته هو اجتنابه وتقريبه وقيل فضل الله الإسلام

بين أن طريق التصوف ليس محدثا بل هو مقرر من الشارع فقال :

إذن فثان القوم ليس محدثا بل كان أخرى فوجدناه غثا

قلت الأحوى النبات الضارب للسواد من شدة الخضرة قاله في القاموس والثناء هو النبات اليابس المشيم (يقول) رضى الله عنه إذا تقرر ما تقدم من حال أهل الصفة وما كانوا عليه من التجريد وقد أقرم النبي صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه فليس شأن الصوفية محدثا بل هو أمر شرعي إذ لا يقرر عليه السلام إلا ما هو مباح أو مطلوب وكيف يكون محدثا ودار الشرية عليه إذ هو لها وصفاؤها إذ مقصود التصوف تصفية البواطن حتى يكون العبد على حالة يرضاها الله ورسوله ظاهرا وباطنا وإذا كان أمره هكذا فكل علم يتوقف عليه أما من باب الشرط أو السكال إذ مداره على صدق التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى فكل علم لا يصحبه صدق التوجه إلى الله فليس بشيء إذ الإخلاص شرط في الجميع وأيضاً مقام التصوف هو مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله أن تعبد الله كأنك تراه

ورحمته القرآن وقيل فضل الله هداية الدين ورحمته جنة النعيم وقيل فضل الله توحيد الدليل والبرهان ورحمته توحيد الشهود واليمان وقيل غير ذلك والله أعلم : ولما كان الفرح بالطاعة قد يتوهم أنه فرعٌ رؤيتها والنظر إليها رفع ذلك بقوله قطع السائرین له والواصلین إليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم أما السائرین فلا أنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها وأما الواصلون فلا أنه غيبتهم بشهوده عنها قلت قطع هنا بمعنى غيب ولو غير به لكان أظهر وأسهل لما في التعبير بالقطع من الشؤمة وفي عبارته شيء من التقص فلو قال غيب السائرین له عن رؤية أعمالهم وأحوالهم الواصلین إليه عن رؤية وجودهم أما السائرین فلا أنهم لم يتحققوا فيها الصدق مع الله وأما الواصلون فلا أنهم لم يشهدوا مع الله سواء يعني أن الحق تعالى غيب السائرین له والواصلین إليه عن رؤية أعمالهم الظاهرة وشهود أحوالهم الباطنية أما السائرین فلا أنهم همون أنفسهم على الدوام فهما صدر منهم إحسان ولا ح لهم بقطة أو وجدان رأوها في غاية الخل والتقصان فاستحيوا من الله أن يعتدوا عليها أو يعتدوا بها فغابوا عن أعمالهم وأحوالهم واعتمدوا على فضل ربهم فالصدق هو لب الإخلاص وسره أى لم يتحققوا بسر الإخلاص فيها فلم يروها ولم يكنوا إليها سئل بعض العارفين ما علامة قبول العمل قال نسيانك إياه وانقطاع نظرك عنه بالكلية بدلالة قوله تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال زين العابدين رضى الله عنه كل شيء من أفضالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لم يقبل لأن المقبول مرفوعٌ غيب عنك وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول :

(وأما الواصلون فلا أنهم قانون عن أنفسهم غائبون في شهود معبودهم فحركاتهم وسكناتهم كلها باقية ومن الله وإلى الله إذ محال أن تشهد وتشهد معه سواء فإن ظهرت عليهم طاعة أو صدر منهم إحسان شهدوا في ذلك الواحد المنان (حكى) عن الواسطى رحمه الله أنه لما دخل نيسابور سال أصحاب أى عبان بماذا كان بأمركم شيخكم فقالوا كان يأمرنا بالزمام الطاعة ورؤية التقصير فيها فقال أمركم بالمجوسية المحضة هلا أمركم بالنية عنها بشهود مجرمها ومنشئها أم قال القصيرى أراد صيانتهم عن الإعجاب ودلائلهم على الآداب اه فنعير قطع يعود إلى الحق سبحانه وتعالى والسائرین والواصلین مفعول به :

(واعلم) أن السائرین في كلام الشيخ هم القسم الثانى الذين فرحهم بالطاعة من حيث أنها عنوان القبول ولا يلزم من الفرح بها رؤيتها إذ قد يفرح بها من حيث أنها منة من الله ويقطع رؤيته عنها من حيث أعتاده على الله والواصلون هنا هم القسم الثالث الذين هم فرحهم بالله دون شيء سواه والله تعالى أعلم (هذا) آخر الباب السادس

فان لم تكن تراه فانه يراك وذلك لا يصح بدون ما تنفع به العبودية والتعبد من عقائد الإيمان وأعمال الاسلام فهما ظاهره وهو باطنهما فلا قيام لها إلا به ولا صحة له بدونهما فهو كالروح وهما كالجسد فالروح لا تقوم بغير جسد والجسد لا يقوم بغير روح ولذلك قال مالك رضى الله عنه (من تفقه) ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزدق ومن تفقه وتصوف فقد تحقق فالتفقه من غير تصوف جسد بلا روح والميت لا عبرة به والتصوف من غير تفقه ما يلزم الانسان في نفسه لا يصح إذ لا يدخل للحقيقة إلا من باب الشريعة وإلا فهي زندقة فالمتكلم في أحكام الاسلام يسمى قبيهاً والمتكلم في أحكام الإيمان يسمى أصولياً والمتكلم في أحكام الاحسان يسمى صوفياً ويسمى عليه تصوفاً فغاية التصوف ومداره تفسير مقام الاحسان لأنه دال بأوله على خشية الله وبأوسطه على معاملته وبآخره على معرفته (أو تقول) مدار على مراقبة بعد مشاهدة أو مشاهدة بعد مراقبة وهو مقام الاحسان (و) أما إنك تراه بعض الناس هذا اللفظ بأنه لم يسمع في صدر الصحابة والتابعين فهو مردود إذ كثير من الاصطلاحات أحدثت بعد زمان الصحابة واستعملت ولم ينكر كالنحو واللغو المنطق

وبه انتهى (ربيع الكتاب) وحاصلها علاج القلوب وعلامة موتها ومرضاها وصحتها واستمداد أنوارها واتصال وارتدائها حتى تقيب عن شهود أعمالها وأحوالها وتفتي عن دائرة حسابها بتساع نضام شهودها وفي ذلك شرفها وعزها وفي ضد ذلك وهو رؤية المخلوق والركون إليه ذلها وهوانها وبذلك افتتح الباب السابع فقال (وقال رضى الله عنه ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع) قلت البسوق هو العلول قال تعالى «والنخل باسقات» أى طوليات والبذر الذريعة والطمع تعاق القاب بما فى أبدي الخلق وتشوف القاب إلى غير الرب وهو أصل شجرة الذل فما بسقت أغصان شجرة الذل إلا على ذريعة الطمع ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسى والله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق وإنما كان الطمع هو أصل الذل لأن صاحب الطمع ترك رباً عزيزاً وتعاق بعبد حقير فاحتقر مثله ترك رباً كريماً وتعلق بعبد فقير فافتقر مثله ترك رفع همة إلى الغنى الكريم وأستط همة إلى الدنى اللئيم إن الله يرزق العبد على قدر همة وأيضاً كان عبد الله حراً بما سواه صار عبداً للمخلوق وعبداً لنفسه وهو له لآك مهما أحببت شيئاً وطمعت فيه إلا كنت عبداً له ومهما أبست من شيء ورفعت همة عنك عنه إلا كنت حراً منه وفى ذلك يقول الشاعر

أبت المطامع أن تهمنى إلى لمعولها صفا صله
العبد حر ما عصى طمعاً والحر مهمل طاعه عبداً

قال فى التور وكن أبنا العبد إبراهيمياً فقد قال أبوك إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه لأحب الآفلين وكل ما سوى الله أقل إما وجوداً وإما امكاناً وقد قال سبحانه ملة أتيكم إبراهيم فواجب على المؤمن أن يتبع ملة إبراهيم ومن ملة إبراهيم رفع الهمة عن الخلق فإنه يوم جزه فى الجنة تعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما إلى الله فلى قال فاستله قال حري من سؤالى عليه بحالى فانظر كيف رفع إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه همة عن الخلق ووجهها إلى الله الحق فلم يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال من الله بل رأى الحق سبحانه أقرب إليه من جبريل ومن سؤاله فلذلك سلمه من نمرود ونكاله وأنم عليه بنوالة وأفضاله وخصمه بوجود أقباله ومن ملة إبراهيم معاداة كل ما شغل عن الله وصرف الهمة بالود إلى الله لقوله تعالى «فإنهم عدو لى الرب العالمين» والغنى أن أردت الدلالة عليه فهو فى اليأس وقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أيسر من نفع نفسى لنفسى فكيف لا يأس من نفع غيرى

وأيضاً قد ذكرهم النجيب أنه سمع فى صدر السلف فقد قال الحسن البصرى رضى الله عنه لقيت صوفياً فى الطواف فأعطيته شيئاً ولم يقبله والحسن من كبار التابعين أدرك كثيراً من الصحابة فهو حجة على استعمال هذا الاسم فى زمانه والله تعالى أعلم (و) قوله بل كان أحوى فوجدناه غنا ببنى أن التصوف كان فى الصدر الأول غصاً طرياً جديداً لقربه من نور النبى صلى الله عليه وسلم فكان أقل شيء منه يرضى صاحبه ثم طال أمره وقل وجوده فوجدناه غثاء يابساً متشنجاً لكنه يصلح للرعى كالأول مع أفضلية الأول ببنى أن حقايقه لم تتغير وإن تغيرت أعيانه فالعمل به لم ينقطع لكنه صار غريباً وأهله غريباً وقد قال عليه السلام طوبى للغريب وإذا قرر أن حقايقه لم تتغير وجب العمل به كما أبان ذلك بقوله :

فاسلك طريق القوم تلقى منه إذ الكتاب قيده والسنة

قلت الذين هم البركة والخير (يشير) إلى أن طريق القوم ميمونة مباركة فكل من سلكها بالصدق والمحبة والجود والاجتهاد وجد ركنها ويمناها وبركتها هى ثمرتها ما ينتج منها من مكارم الأخلاق ومعرفة الخلاق وقيل ثمرتها سخاؤه ونفوس

لما ووجوت الله لعنرى فكيف لا أرحمه لنفسى وهذا هو الكيمياء والإكسير الذى من حصل له حصل له غنى لا فائده فيه وعز لا ذل معه وإتفاق لا نفاذ له وهو كيمياء أهل الفهم عن الله تعالى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه صحبى إنسان كان ثقيلا على فباسطه فانبسط وقلت يا ولدى ما حاجتك ولم صحبتي قال يا سيدى قيل لى أنك تعلم الكيمياء فصحبك لاتعلم منك فقلت له صدقة وصدق من حدثك ولكن أخالك أى أظنك لا تقبل فقال بل أقبل فقلت نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين أعداء وأحباء فنظرت إلى الأعداء فعلبت أنهم لا يستطيعون أن يشكوكنى بشوكة لم يردنى الله بها فقطعت نظرى عنهم ثم تعلقت بالأحباء فرأيتهم لا يستطيعون أن ينفعونى بشئ لم يردنى الله به فقطعت بأسى منهم وتعلقت بالله فقيل لى أنك لاتصل إلى حقيقة هذا الأمر حتى تقطع بأسك منا كما قطعت من غيرنا أن تعطيك غير ما قسمنا لك فى الأزل .

(وقال) مرة أخرى لما سئل عن الكيمياء قال أخرج الخلق من قلبك وأقطع بأسك من ربك أن يعطيك غير ما قسم لك وليس يدل على فهم البعد كثرة علمه ولا مداومة على ورده إنما يدل على نوره وفهمه غنايه به وانحياشه إليه بقلبه وتحوزه من ريق الطمع وتغلبه بحلية الورع وبذلك تحسن الأعمال وتركوا الأحوال قال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض ذينة لها لنبلوهم أهم أحسن عملا فحين الأعمال إنما هو الفهم عن الله والفهم هو ما ذكرناه من الاعتناء بالله والاكتفاء به والاعتماد عليه ورفع الحوائج إليه والدوام بين يديه وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تنفق ما سواه وتظهر من الطمع فى الخلق فلو تظاهر الطامع فهم بسيرة أبحر ما ظهره إلا اليأس منهم ورفع الهمة عنهم وقدم على رضى الله عنه البصرة فدخل جماعة فوجد القصاص يقصون قصصهم حتى وجد الحسن البصرى فقال يا فقى إني سائلك عن أمر فإن أجبت عنه أبقيتك وإلا أفنك كما أفنت أصحابك وكان قد رأى عليه ستماً وهدياً فقال الحسن سل عما شئت فقال ما مالك الدين قال الورع قال فما فساد الدين قال الطمع قال اجلس فملك من يتكلم على الناس .

(قال) وسمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول كنت فى ابتداء أمرى بالاسكندرية لجئت إلى بعض من يعرف فاشترت منه حاجة بنصف درهم فقلت فى نفسى لعله لا يأخذنى من هفتى فى هاتف السلامة فى الدين بترك الطمع فى الخلق ونسخته يقول صاحب الطمع لا يشبع أبداً ألا ترى أن حروفها كلها بحرفة الطام والمم والدين فملك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ولا تذلل لهم فى شأن الرزق فقد سبقته سهمته وجردك وتقديم ثبوته ظهورك واسم ما قال

وسلامة الصدور وحسن الخلق (و) قوله إذ الكتاب قيده والسنة أشار به إلى قول الجنيدي رضى الله عنه علنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يسمع الحديث ويجالس الفقهاء يأخذ أدبه عن المتأدين أفسد من اتبعه (و) قال سهل بن عبد الله بنيت أصرونا على ستة أشياء كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق وقال أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلًا ونطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلًا نطق بالبدعة أه وقال أبو القاسم النضرى رضى الله عنه أصل الصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الأهواو البدع وتعظيم حرمة المشايخ ورؤية أئمة الخلق والمداومة على الأوراد وترك الرخص والتأويلات قلت (حرر) أبو اسحاق الشاطبى هذه المسئلة حسبما نقله فى العدة فرأينا نقله بطوله لما قد بين الفوائد (قال) رضى الله عنه كل ما عمل به المتصوفة المعترفون فى هذا الشأن يعنى كالجنيد وأمثاله لا يخلو إما أن يكون كما ثبت له أصل فى الشريعة فهل خلفاؤه كما أن من الصحابة والتابعين خلفاء بذلك وإن لم يكن له أصل فى الشريعة فلا عمل عليه لأن السنة حجة على

بعض المشايخ أيها الرجل ما قدر لماضيك أن يمضاه فلا بد أن يمضاه فكلو بحك بعر ولا تأكله بذل له وقال أبو الحسن الوراق رحمه الله أشعر نفسه عجة شيء من الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع ومن طمع في شيء ذل له وبذله هلك وقال أبو بكر الوراق لو قيل للطمع (من أبوك) لقال الشك في المقدور فلو قيل له ما حركك لقال اكتساب الذل فلو قيل له ما غابتك لقال الحرمان له وفي معنى هذا أنشدوا :

أضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس واقنع بعر فان العز في اليأس
واستغن عن كل ذي قريب وذى رحم إن الفنى من استغنى عن الناس

ولما كان سبب وجود الطمع هو الوم والجزع ذكره بآثره فقال (ما قاذك شيء مثل الوم) قلت يقال قاذ الشيء يقود جره اليه وقت البهيمه جررتها اليك والوم أول الخاطر وهو أضعف من الشك والمراد هنا ما خالف اليقين فيصدق بالظن والشك يقول رضى الله عنه ما جرك شيء وقاذك إلى الطمع في الخلق والتلقى لهم والتذلل لما في أيهم شيء مثل الوم يعنى أنك لما توهمت أن يديم فعداً أو ضرراً أو عطاء أو منناً طمعت فيهم وتذلل لهم واعتدلت عليهم وخفت منهم ولو حصل لك اليقين أن أمرهم بيد الله وأنفسهم في قبضة الله عاجزين عن نفع أنفسهم فكيف يقدر على نفع غيرهم لقطعتم بأسك منهم ولرفضت همتك عنهم وتعلقت همتك برب الأرباب ولنبئت الأصحاب والأحاب .

(أو تقول) ما قاذك شيء عن حضرة الشهود والبيان إلا توهمك وجود الأكوان ولو انتهكت عنك حجاب الوم لوقع العيان على فقد الأعيان ولو أشرق نور الإيقان لنفى وجود الأكوان (قال) في التنوير وإنما منع العباد من السبق إلى الله جوازب التعلق بغير الله فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله جنبها ذلك التعلق إلى ما به تعلقت فكرت راجعة اليه ومقبلة عليه فالحضرة محرمة على من هذا وصفه ومنوعة على من هذا نمته (قال) بعض المارفين لا تظن أن تدخل الحضرة الإلهية وشيء من ورائك يجذبك وافهم هنا قوله سبحانه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والقلب السليم هو الذى لا تعلق له بشيء دون الله وقوله تعالى ولقد جنمونا فراداً كما خلقناكم أول مرة يفهم منه أيضاً أنه لا يصح مجيئك إلى الله بالوصول اليه إلا إذا كنت فرداً بما سواه وقوله تعالى ألم يجحد يتباً فأوى يفهم أنه لا يأويك اليه إلا إذا صحت يتمك بما سواه وقوله عليه السلام إن الله وتر يحب الوتر أى يحب القلب الذى لا يشفع بثبوت الأثار ثم قال وقال بعضهم لو كلفت أن أرى

جميع الآثمين ليس عمل أحدهم على السنة لأن السنة معصومة من الخطأ وصاحبها معصوم وسائر الآثمة لم تثبت لهم عصمة أصلاً إلا مع اجتماعهم خاصة وإذا اجتمعوا تضمن إجماعهم دليلاً شرعياً فالصوفية كغيرهم ممن لم يثبت لهم العصمة يجوز عليهم الخطأ والسيان والمعصية كبرها وصغيرها والبذعة عزمها ومكرها وكذلك قال العلماء كل كلام منه مقبول ومردود إلا ما كان من النبي عليه الصلاة والسلام (قال) وقد قرر القشيري رحمه الله ذلك أحسن تقرير قال هل يكون الولي معصوماً قال أما وجوباً كما يكون في الأنبياء فلا وأما أن يكون محفوظاً حتى لا يصر على الذنوب وإن حصلت منه هفوات أو زلات أو آفات فلا يمتنع ذلك في وضعهم قال وقد قيل للجيد المارفي يزي فاطر قرق راسه ملياً ثم رفع رأسه وقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً قال فهذا كلام المصنف فكذا يجوز على غيرهم من المعاصي والابتداع وغيره كذلك يجوز عليهم البدع قالوا يجب علينا أن نقف مع الاقتداء بمن يمتنع عليه الخطأ ونقف عن الاقتداء بمن يجوز عليه إذا ظهر في الاقتداء به إشكال بل يرضى ما جاء عن الآئمة على الكتاب والسنة فما قبلناه قبلناه وما لم يقبلناه تركناه وما علينا إذا قام لنا الدليل على أقوال اتباع الصوفية

غيره لم أستطع فانه لاغير معه حتى أشهد به انه فتحصل له يوم حجب عن الله العوام والخواص وأما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء أما العوام فقادهم إلى التعلق بالخلق ومنعهم عن السير إلى الملك الحق فاشتغلوا بمراقبة الاحباب وعداوة من عاداهم من الاصحاب فقالتهم محبة الحبيب وسراقة الرقيب وأما الخواص فقادهم إلى ثبوت الآثار والوقوف مع الآثار فقتلوا بذلك ولم يشغفوا إلى ما وراء ذلك فالتقاعه من الله حرمان وليس الخير كالبيان (وسمعت) شيخنا رضى الله عنه يقول والله ما حجب الناس عن الله إلا الزم والزم أمر عدى لا حقيقة له وأما خواص الخواص فلم يحجبهم عن الله شيء قطعوا حجاب الزم وحصل لهم من الله العلم والفهم فلم يتعلقوا بشيء ولم يحجبهم عن الله شيء جعلنا الله منهم بمنه وكرمه

(ولما) كان الزم ينشأ عنه الطمع والطمع ينشأ عنه الذل والعبودية واليقين ينشأ عنه الورع والورع ينشأ عنه العز والحرية نبه عليه بقوله (أنت حر بما أنت عنه آيس وعبد لما أنت فيه طامع) قلت انما كان الانسان حرا بما آيس منه لانه لما آيس من ذلك الشيء رفع همه عنه وعلقها بالملك الحق فلما علق همه بالملك الحق سخر الحق له تعالى سائر الخلق فكانت الاشياء كلها عبيدا له ومسخرة لأمره أنت مع الآكوان مالم تشهد المكون فاذا شهدت المكون كانت الآكوان معك فمن كان عبدا لله كان حرا عما سواه وإنما كان الإنسان عبدا لما طمع فيه لأن الطمع في الشيء يقتضى المحبة لمواضعه والالتئاد اليه فيكون عند أمره ونهيه لأنك حبك الشيء بمعنى وبهم وهذه حقيقة العبودية وفي هذا المعنى قيل العبد حر ما قنع ، والحر عبد ما طمع ، وما أقبح الانسان الذي يريد سيده منه أن يكون ملكا وهو يريد أن يكون مملوكا يريد سيده أن يجعله حرا وهو يريد أن يكون عبدا خلق له سيده الكون بأسره خادما له عند نهيه وأمره فجعل هو يخدم الكون بنفسه ويتبع لأقل شيء وأخسه (يقول) للمصنف في التنوير في مناجاة الحق تعالى على ألسنة الهوايق (انا) أجلنا قدرك أيما العبد أن تشغلك بأمر نفسك فلا تضعن قدرك يامن رفضناه ولا تدنن بحوالتك على غيري يامن أعزناه وبحك أنت أجل عندنا من أن تشغل بغيرنا لحضرتي خلقتك والهيا طلبتك وبجو اذبح عنايتي لها جذبتك فان اشتغلت بنفسك حجبك وإن اتبعت هواها طردتك وإن أخرجت عنها قربتك وإن توددت لي بأعراضك عما سوى أحببتك اه فتحصل أن محبة الأشياء والطمع فيها هو سبب الذل والهوان والتعبد لسائر الآكوان وإن الاياس من الأشياء ورفع الهمة عنها هو سبب العز والحرية والتبعية على الاقران وفيه در القائل حيث قال

وأعمالهم إلا بعد عرضها على الكتاب والسنة وبذلك وصى شيخوهم وإن ما جاء به صاحب الوجد والذوق من العلوم والآحوال والفهوم يعرض على الكتاب والسنة فان قبلاه وإلا لم يصح ثم قال إذا نظرت في رسومهم التي حدها وأعمالهم التي امتازوا بها عن غيرهم بحسب تحسين الظن والتماس أحسن الخارج ولم تعرف له غرجا فالواجب التوقف عن الاقتداء والعمل وإن كانوا من جنس من يقتدى بهم لأرداه ولا اعتراضا عليه بل لأننا لم نفهم وجه رجوعه إلى القواعد الشرعية كما فهمنا غيره

ثم قال بعد كلام فوجب بحسب الجريان على رأيهم في السلوك أن لا نعمل بما رسموه ربما فيه معارضة لاذلة الشرع ونكون في ذلك متبعين لأنارهم ومهتدين بأنوارهم خلافا لمن يعرض عن الأدلة ويصمم على تقليدكم فيها لا يصح تقليدكم فيه على مذهبهم فالأدلة الشرعية والانظار الفقهية ورسوم الصوفية تنميه وترده وتحمد من تحرى واحتاط وتوقف عن الاشتباه واستبرأ لدينه وعرضه انتهى كلامه (هذا) آخر فصل أصله عقلا وقللا وموضوع هذا العلم الذات العلمية لانه يبحث عنها باعتبار معرفتها ذاتا وصفات وأسماء متعلقا وتعلقا وتحققا (و) واضعه الرسول صلى الله عليه وسلم وحيا وإلهاما (و) حده صدق

رأيت القناعة رأس الغنى فصرت بأذيالها متمسك
فألبسني عزها حلة يمر الزمان ولا تنهك
فصرت غنيا بلا درهم أتبه على الناس فيه للملك

قلت وهذا هو الغنى الأكبر والأكبر عند الأكابر ويسمى في اصطلاح الصوفية الورع أعنى الورع الخاص وهو رفع الهمة عن السوى قال في لطائف المنن واعلم رحمك الله أن ورع الخصوص لا يفهم إلا قليل فإن من جملة ورعهم أن يسكنوا لغيره أو يميلوا بالحلب لغيره أو تمتد أطعامهم بالطمع في غير فضله وخيره ومن ورعهم ورعهم عن الخوف مع الوسائط والأسباب وخلق الأنداد والأرباب ومن ورعهم ورعهم عن الوقوف مع العادات والاعتداد على الطاعات والسكون إلى أنوار التجليات (ومن) ورعهم ورعهم عن أن تقتهم الدنيا أو توقفهم الآخرة تورعوا عن الدنيا وقاموا عن الآخرة صفاء قال الشيخ عثمان بن عاشوراء خرجت من بغداد أريد الموصل فأنا أسير وإذا بالدنيا قد عرضت على بعزها وجاها ورفعتا ومرأكها وملابسها ومزيناها ومشتهياتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنة بحورها وقصورها وأنهارها ونمارها فلم أشتغل بها فقبل لي بثمان لو وقعت مع الأولى لحببتك عن الثانية ولو وقعت مع الثانية لحببتك عنها فأتيت لك وقسطك من الدارين بآتيك

قال الشيخ عبد الرحمن المعري وكان مقم بشارقي الاسكندرية حججت سنة من السنين فلما قضيت الحج عزمت على الرجوع إلى الاسكندرية فاذا النداء على أنك العام القابل عندنا فقلت في نفسي إذا كنت العام القابل ها هنا فلا أعود إلى الاسكندرية فخطر على الذهاب إلى اليمن فأتيت إلى عدن فأنا يوما على ساحلها أمشي وإذا بالتجار قد أخرجوا بضائعهم ومناجرهم ثم نظرت فإذا رجل قد فرش سجادة على البحر ومشي على الماء فقلت في نفسي لم أصلح للدنيا ولا الآخرة فإذا على يقال من لم يصلح للدنيا ولا الآخرة يصلح لنا وقال أبو الحسن الورع نعم الطريق لمن يحل ميراثه وأجل ثوابه فقد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله القول بالله والعمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة القائمة فهم في عموم أوقاتهم وسائر أحوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يمشون ولا يتحركون إلا بالله والله من حيث يعلمون فهم هم العلم على حقيقة الأمر فهم مجموعون في عين الجمع لا يفترون فيها راعى ولا فيما هو أدنى (وأما أدنى الأدنى) فافقه بورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لئلا زلات الشرع عليهم ومن لم يكن لعله

التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى (و) استمداده من الكتاب والسنة والهامات الصالحين وقترحات العارفين واسمه التصوف وتقدم اشتقاقه واستعماله وثمرته تصفية البراطن بالخلية والنحلة تنهيا لواردات الأنوار الإلهية والقترحات الربانية وقد وقع في بعض نسخ النظم هنا زيادة آيات تضمنت هذه المعاني لكن لم توجد في جل النسخ وليس عليها رونق ولا تلاوة مثل ما للنظم ولا أظنها إلا زيادة من بعض الكتاب والله تعالى أعلم وأما فضيلته فأشار إليها في هذا الفضل بقوله (الفصل الثاني في فضله)»

اعلم أن شرف الشيء وفضيله إما أن تثبت أو بالعقل أو بالنقل أو بظهور ثمرته في الخارج وقد اجتمعت هذه الأمور في علم التصوف على الكمال (وأما) ثبوت شرفه بالعقل فلا شك أن الشيء بشرف موضوعه ووضعه وقد تقدم أن موضوع هذا العلم الذات العلية وهي أشرف وأفضل على الإطلاق ووضعه الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أفضل الخلق بالإجماع وأيضاً العقل السليم يستحسن الكمالات ولا شك في التصوف ما وضعه لا لتحقق الكمالات علما وعملا وحالا

وعمله ميراث فهو محبوب بدنياً أو مصروف بدعوى وميراثه التميز لحلقه والاستكبار على مثله والدلالة على الله بعلمه فهذا هو الخسران للمين والعياذ بالله العظيم من ذلك والأكياس يتورعون عن هذا الورع ويستعينون بالله منه ومن لم يزور بعلمه وعمله افتقاراً لربه واحتقاراً لنفسه وتواضعاً لخلقهم فهو هالك فسبحان من قطع كثيراً من الصالحين صلاحهم من صلحهم كما قطع كثيراً من المفسدين فسادهم عن موجودهم فاستد بالله أنه هو السميع البصير اه فانظر فهمك الله سبيل أوليائه ومن عليك بمثابة أجيائه هذا الورع الذي ذكره هذا الشيخ رضى الله عنه هل كان فهمك يصل إلى هذا النوع من الورع ألا ترى قوله قد انتهى بهم الورع إلى الأخذ من الله وعن الله والقول بالله والعمل لله وبالله على اليقظة الواضحة والبصيرة الفاتحة فهذا هو ورع الأبدال والصدقين لا ورع المتطمعين الذي ينشأ عن سوء الظن وغلبة الوهم اه (قلت) هذا الورع الذي ذكره الشيخ هو ورع الخواص أو خواص الخواص وهو الذي يقابل الطمع كما تقدم في قول الحسن البصري صلاح الدين الورع وفساد الدين الطمع لا ورع العوام الذي هو ترك للمتشابه والحرام فانه لا يقابل الطمع كل المقابلة وحاصله صحة اليقين وكال التعلق برب العالمين ووجود السكون اليه وعكوف الهم عليه وطمأنينة القلب به حتى لا يكون له ركون إلى شيء من السوى فهذا هو الورع الذي يقابل الطمع المفسد وبه يصلح كل عمل مقرب وحال مسعد (قال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه الورع على وجهين ورع في الظاهر وهو ألا تتحرك إلا لله وورع في الباطن هو أن لا يدخل قلبك إلا الله ذكر أن بعضهم كان حرصاً على أن يرى أحداً من هذا صفة فجعل يجتهد في طلبه ويحتمل على التوصل اليه بأن يأخذ الشيء بعد الشيء من ماله إلى أن ظفر ذات يوم يفيته وحصل على مقصوده ومنيته وذلك أنه قال لأحدهم خذ ذلك فقال له أخذه لمانك فان كان للبعد استشراف إلى الخلق أو سببية نظر إليهم قبل بحجى الرزق أو بعده فقتضى هذا الورع والواجب في حق الأدب ألا ينيل نفسه شيئاً مما يأتيه على هذا الحال عقوبة لنفسه في نظره إلى أبناء جنسه كقصه أيوب الحال مع أحمد بن حنبل رضى الله عنهما وهى معروفة وكما روى عن الشيخ أن مدين رضى الله عنه أنه أتاه حمالة يقيم فنازعه نفسه وقالت ياترى من أين هذا فقال أنا أعرف من أين هو يا عدو الله وأمر بعض أصحابه أن يدفعه لبعض الفقراء عقوبة له لكونه نارات الخلق قبل رؤية الحق تعالى وقد قيل إن أحل الحلال مالم يخطر على بال ولا سألت فيه أحد من النساء والرجال (قال)

فهو موضوع لتكامل المعاقب وتطهير النفوس وتحسين الأخلاق (وأما) ثبوت شرفه بالنقل فلا شك أن الكتاب والسنة واجماع الأمة وردت بمدح جزئياته ومسائله كالثبوت والتقوى والاستقامة والصدق والإخلاص والطمأنينة والزهو والورع والتوكل والرضى والتسليم والمحبة والمراقبة والمشاهدة وغير ذلك من مسائله (وقال) الجنيد رضى الله عنه لو تعلم أن تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذى تتكلم فيه مع أعصابنا لسعيت اليه ما تبلغ اليه المطى وفي رواية ولو حبوا (و) قال الشيخ الصقل رضى الله عنه في كتابه المسمى بأثر القلوب في العلم الموهوب كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه التجم الذى لا يدرك والبحر الذى لا يترق اه وما من علم إلا وقد يستغنى عنه في وقت ما إلا علم التصوف فلا يستغنى عنه أحد في وقت من الأوقات (وأما) شرفه باعتبار ظهور ثمراته فهو الذى نكلم عليه الناظم في هذا الفصل وحصره في ستة أمور

(الأول) ما ظهر على أهله من شدة الاقتداء وقوة الاتباع

(الثاني) ما ظهر عليهم من وفاق مذهبهم وحسم الخلاف والتزاع بينهم

(الثالث) ما ظهر عليهم من الكرامات الحسية والمعنوية

الشيخ عبد العزيز المهدي رضي الله عنه الورع ألا تحرك ولا تسكن إلا وترى الله في الحركات والسكون فإذا رأى الله ذهب الحركة والسكون وبقى مع الله فالحركة ظرف لما فيها كما قال ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه فإذا رأيت الله ذهب (وقال) أيضاً أجمع العلماء على أن الحلال المطلق ما أخذ من يد الله بمقوطة الوشاظ وهذا مقام التوكل ولهذا قال بعضهم الحلال هو الذي لا ينسئ الله فيه اه على نقل ابن عباد رضي الله عنه وإذا أراد الله تعالى أن يعز عبده ويرفعه إلى هذا المقام قطع عنه زمام الوهم والجرع وحرره من رق الطمع فقادته إليه بملاطفة الإحسان أو بسلاسل الامتحان كما أشار إلى ذلك بقوله (من لم يقبل على الله بملاطفات الإحسان قيد إليه بسلاسل الامتحان) قلت قد قسم الله تعالى عبادَه ثلاثة أقسام أهل الشمال وأهل اليمين والسابقون أما أهل الشمال فلا كلام عليهم إذ لا أقبال لهم على الله أصلاً وأما أهل اليمين فلم يوجب لهم ما لم يكن لخصوصية لهم لأنهم بقوا بظاهر الشريعة ولم يلتفتوا إلى سلوك طريقة ولا حقيقة فقفوا مع الدليل والبرهان ولم ينضوا إلى مقام الشهود والعيان ولا كلام معهم أيضاً وأما السابقون فقد أقبلا على الله متوجهين إليه طالبين الوصول إلى معرفته وهم في ذلك على قسمين قسم أقبل على الله بملاطفة إحسانه وقياماً بشكر انعامه امتنانهم أهل مقام الشكر (وقسم) أقبل على الله بسلاسل الامتحان وضروب البلايا والمحن وهم أهل مقام الصبر أهل المقام الأول فأقبلوا على الله طوعاً وأهل المقام الثاني أقبلا على الله كرها قال تعالى وفيه يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها قال أبو مدين رضي الله عنه سنة الله استدعاء العباد لطاعته بسعة الرزاق ودوام المعافاة ليرجعوا إليه بنعمته فان لم يفعلوا ابتلاهم بالسراء والضراء لعلمهم يرجعون لأن مراده عز وجل رجوع العباد إليه طوعاً وكرها اه يقوم بسط الله عليهم النعم وصرف عنهم البلايا والنقم ووزقهم الصحة وأمدم بالأموال والعافية فأدوا حقها وقاموا بشكرها وتشفوا إلى معرفة النعم بها فكانت عطية لهم على السير إليه ومعونة لهم على القدوم عليه أخرجوها من قلوبهم وجعلوها في أيديهم وقليل ما هم قال تعالى وقليل من عبادي الشكور وفي مثل هؤلاء ورد الحديث نعمت الدنيا عطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر أو كما قال عليه السلام قال بعض أصحابنا جعل عليه السلام الدنيا عطية للمؤمن حاملة له ولم يجعل للمؤمن عطية لها حتى يتكلف حملها فهذا يدل على أنها في يده يستعين بها على السير إلى ربه لأنها في قلبه حتى يرتكب المشقة في طلبها والله تعالى أعلم (وقوم) أمدم الله بالنعم وبسط لهم في المال والعافية وصرف عنهم النقم فشغلهم ذلك عن النهوض إليه ومنعمهم من المسير إلى

(الرابع) ما ظهر عليهم من تطهير جوارحهم من الذنوب ونفوسهم من الميوس في الغالب
(الخامس) ما ظهر عليهم من تحقيق عقائد الإيمان وترقيتهم فيها إلى مقام الإحسان مع صحة اليقين والثقة برب العالمين :

(السادس) ما كشفوا به من العالم الروحاني وما ترقوا إليه من عالم الملكوت وحضرة الجبروت وهذا مضمّن هذا الفصل ما أشار إلى الأول بقوله :

حجة من يرجع الصوفية على سوام حجة قوية
(قلت) وإنما كانت حجة من يرجع الصوفية على غيرهم حجة قوية لأنهم أحرزوا الكالات عقداء وعملوا حالاً أما اعقادهم فترقوا فيه إلى الشهود والعيان وأما علمهم فهم يأخون بالآحسن والأحرف فهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأما) حالهم فهي ربانية ذوقية فهم على بينة من ربهم ثم ذكر ترجيحهم وشرفهم باعتبار ما ظهر عليهم من ثمرات علمهم وهي ستة كما تقدم فأشار إلى الأول وهي شدة الاقتداء والتابعة فقال :

هم أنجب الناس لخير الناس من سار الآنام والآناس

حضرته فسلم ذلك عنهم وضرهم بالبلايا والمحن فأقبلوا على الله بسلاسل الامتحان عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل وقد مدح الله النبي الشاكر والفقيه الصابر بمدح واحد فقال تعالى في حق سليمان عليه السلام : ووهبنا لداود سليمان ، نعم العبد انه أواب وقال في حق أيوب عليه السلام : وإنا وجدناه صابرا ، نعم العبد إنه أواب وقال بعضهم لأن أعطى فاشكر أحب إلى من أن أبطل فاصبر وكان الشيخ أبو العباس المرسى يرجع النبي الشاكر على الفقير الصابر وهو مذهب ابن عطاء ومذهب أبي عبد الله الترمذي الحكيم ويقول الشكر صفة أهل الجنة والنكر ليس كذلك قاله في لطائف المنن والتحقيق أن الفقير الصابر هو النبي الشاكر وبالعكس لأن النبي إنما هو باق بعد استغنى القلب بالله فصاحبه هو النبي الشاكر ولا عبرة بما في اليد فقد تكون اليد معمورة والقلب فقير وقد يكون القلب غنيا بالله واليد فقيرة وقد تكون اليد معمورة والقلب مع الله غنيا به عما سواه قال بعض المشايخ كان رجل بالمغرب من الزاهدين في الدنيا ومن أهل الجد والاجتهاد وكان عيشه بما يصيده من البحر وكان الذي يصيده يتصدق ببعضه ويتقوت ببعضه فزاد بعض أصحاب هذا الشيخ أن يسافر إلى بلد من بلاد المغرب فقال له هذا الزاهد إذا دخلت على بلدة كذا فاذهب إلى أخي فلان فاقتره من السلام واطلب منه الدعاء فانه ولي من أولياء الله تعالى قال فسافرت حتى قدمت تلك البلدة فسأت عن ذلك الرجل فدللت على دار لا تصلح إلا للوك فتجيت من ذلك وطلبت له قيل لي هو عند السلطان فازداد تسجي فبعد ساعة وإذ هو قد أتى في أغفر مركب ومجلس وكان ما هو ملك في مركبه قال فازداد تسجي أكثر من الأولين فهمت بالرجوع وعدم الاجتماع به ثم قلت لا يمكنني مخالفة الشيخ فاستأذنت فأذن لي . فلما رأيت دخلت ماها من العبيد والخدم والشارة الحسنة فقلت له أخوك فلان يسلم عليك قال لي جئت من عنده قلت نعم قال إذا رجعت إليه فقل له إلى كم اشتغالك بالدنيا وإلى كم أقبالك عليها وإلى متى لا تنقطع رغبتك فيها فقلت والله هذا أعجب من الأولى

فلما رجعت إلى الشيخ قال اجتمع بأخي فلان قلت نعم قال فما الذي قال لك قلت لا شيء قال لا بد أن تقول لي فأعدت عليه ما قال فبكى طويلا وقال صدق أخي فلان وهو غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يدي وعلى ظاهره وأنا أخذها من يدي ولي إليها بقايا التطلع اه من لطائف المنن للثوف رحمه الله ورضي الله عنه فأحوال الأولياء لا تضبط بفقر ولا غنى لأن الولاية أمر قلبي لا يعلمها الا من خصهم بها وبالله التوفيق ومن أقبل على الله بملاطفة احسانه وجب عليه شكر ما أسدى إليه من لطائف كرمه وامتنانه والا زالت عنه بسبب كفره وعصيانه وإلى ذلك أشار بقوله :

قلت الانام والاناس شيء واحد وهم الناس سموا الانام لغلبة التورم لهم وسموا الناس لأنس بعضهم ببعض (يقول) رضى الله عنه ما هي الصوفية اتبع الناس وأكثرهم اقتداء بيسد الناس صلى الله عليه وسلم فدل ذلك أنهم أحب الخلق إلى الله قال تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبيكم الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين وعلامة المحبة الاتباع (و) قال بعضهم التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع ثم ذكر وجه كونهم أشد الناس اتباعا فقال :

تبعه العالم في الأقوال والعابد الناسك في الأفعال

وفهما الصوفي في الساق ولكنه قد زاد بالأخلاق

قلت الناس ثلاثة عالم وعارف صوفي وكلهم قد أخذوا حظا من الوراثة النبوية فالعالم ورث أقواله عليه السلام تعلما وتعلما بشرط إخلاصه والاخرج من الوراثة بالكلية إذ الأعمال بلا إخلاص أشباح بلا أرواح ومن ورث من أبيه

(من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بمقالها) قلت اتفقت مقالات الحكماء على هذا المعنى وإن الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا أيضا من أعطى ولم يشكر سلب منها ولم يشعر فن شكر النعمة فقد قيدها بمقالها ومن كفرها فقد تعرض لزوالها قال تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) أى أن الله لا يغير ما بقوم من النعم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الشكر وتغييرهم الشكر هو اشتغالهم بالمعاصي والكفر ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه الشكر أن يلعبي الله نعمه وقيل الشكر فرح القلب بالنعم لأجل نعمته حتى يتعدى ذلك إلى الجوارح فتبسط بالأوامر وتنكف عن الزواجر وقال في لطائف المنن الشكر على ثلاثة أقسام شكر اللسان وشكر الأركان وشكر الجنان فشكر اللسان التحدث بنعم الله قال تعالى «وأما نعمة ربك فحدث» وشكر الأركان العمل بالطاعة لله تعالى قال تعالى «اعملوا آل داود شكراً» وشكر الجنان بالاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد هي من الله تعالى قال الله تعالى «وما بكم من نعمة فمن الله» ومن القسم الأول قول النبي صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعم شكر ومن الثاني أنه صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له أتتكلف كل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا اه

(وسئل) أبو حازم رضى الله عنه ما شكر العينين قال إذا رأيت بها خيرا أعلته وإذا رأيت بها شرا سترته قال فما شكر الأذنين قال إذا سمعت بها خيرا وعيته وإذا سمعت بها شرا دفنته قال فما شكر اليدين قال لا تأخذ بهما ما ليس لك ولا تمنع حقا هو لله فهما قال فما شكر البطن قال أن يكون أسفله صبرا وأعلى عدا قال فما شكر الفرج قال قال الله تعالى «والذين هم لفروجهم حافظون» إلى قوله غير ملومين قال فما شكر الرجلين قال إن رأيت شيئا عبثته استعملتهما وإن رأيت شيئا مكنه مكففتها اه

(واعلم) أن الناس في الشكر على ثلاث درجات عوام وخواص وخواص الخواص فشكر العوام على النعم فقط وشكر الخواص على النعم والنعيم وشكر خواص الخواص الغنية في المنعم عن شهود النعم والنعيم، والنعم التي يقع الشكر عليها ثلاثة أقسام دينية كالصالحات المأقية والمال الحلال ودينية كالمعلم والعمل والتقوى والعرفوة وأخرى كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل وأجل النعم الدينية التي يتأكد الشكر عليها نعمة الإسلام والإيمان والعرفوة وشكرها هو اعتقاد أنها من الله تعالى بلا واسطة ولا حول ولا قوة قال الله تعالى (ولكن الله يحب اليك الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليك الكفر والفسق والعصيان) ثم قال (فضلا من الله ونعمة) قال أبو طالب المكي رضى الله عنه بعد كلام فقلب قلوبنا في الشك والضلال كما جارية ميتة فليس يوارثها العابدورث أفضاله عليه السلام من صيام وقيام ومجاهدة ظاهره فقد قدم عليه السلام حتى تورمت قدماه وكان يصوم كثيرا ويفطر كذلك والصوفي العارف ورث الجميع فأخذ في بدايته ما يحتاج اليه من العلم وقد يتبحر فيه ثم ينتقل إلى العمل على أكمل حال ثم زاد عليهما بوراته الاخلاق التي كان عليها باطنه صلى الله عليه وسلم من زهد وورع وخوف ورجاء وصبر وحلم وكرم وشجاعة وقناعة وتواضع وتوكل ومحبة ومعرفة وغير ذلك مما يطول ذكره ولذلك قال سهل رضى الله عنه الصوفي من صفا من الكبر وامتلا من الفكر وانقطع إلى الله دون البشر واستوى عنده المال والمدر وقد خص الله رسول الله صلى الله عليه وسلم بمخصائص لم يشاركه أحد فيها فكان له القوة في الوجهين فمن نظر في عبادته لم يوجد له إطلاق ومن نظر في أخلاقه الباطنة تجده لا يدرك ومن نظر في معرفته وحده لا يلحق ولا يقرب أحد حول حماه فكان عليه السلام على مقام لا يدرك ولا يلحق ولا يعرف (و) انظر قول الشيخ القطب ابن مشيش رضى الله عنه وفيه ارتقت الحقائق وتزالت علوم آدم فاعجز الخلائق وله تضاملت الفهوم فلم يدركه مناسيق ولا لاحقون إنال أحسن العلماء والعباد

يقلب نيأتنا في الأعمال أى شيء كنا نضع وعلى أى شيء. نقول وبأى شيء كنا نطمئن ونرجوا فها من كبار النعم ومعرفته هو شكر نعمة الإيمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الإيمان توجب العقوبة وإدعاء الإيمان أنه عن كسب معقول أو استطلاعة بقرة وحول هو كفر نعمة الإيمان وأخاف على من توهم ذلك أن يسلب الإيمان لأنه بدل شكر نعمة الإيمان كفرًا أم فإن غفل العبد عن شكر هذه النعم ثم دامت صورتها عنده فلا يفتقر فقد يكون ذلك استدراجًا كما أشار إلى ذلك بقوله (خف من وجود إحسانه إليك ودوام إساءتك معه) أن يكون ذلك استدراجًا (سفسد رجهم من حيث لا يعلمون) الاستدراج هو كون المحنة في عين المنة وهو مأخوذ من درج الصبي أى أخذ في المشي شيئًا بعد شيء ومنه الدرج الذى يرتقى عليه إلى العلو كذلك المستدرج هو الذى تؤخذ منه النعمة شيئًا بعد شيء وهو لا يشعر قال الله تعالى سفسد رجهم من حيث لا يعلمون أى تأخذهم بالنعم حتى يجرهم إلى النقم وهم لا يشعرون قاله الشيخ زروق رضى الله عنه غفأ بها المريد من دوام إحسان الحق إليك بالصحة والفراغ وسعة الأرزاق ودوام الامداد الحسية أو المعنوية مع دوام إساءتك معه بالغفلة والتقصير وعدم شكرك للملك الكبير أن يكون ذلك استدراجًا منه تعالى قال تعالى سفسد رجهم من حيث لا يعلمون قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ندمم بالنعم ونسبهم الشكر عليها فإذا ركنوا إلى النعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقال ابن عطاء رضى الله عنه كلما أحدثوا خطيئة جددنا لهم نعمة ونسيناهم الاستغفار من تلك الخطيئة ثم قال الحق تعالى وأمل لهم أى ندمم بالمعافاة والنعم حتى تأخذهم بغتة قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون أى فلما غفلوا عما ذكروا به من العقوبة والعذاب فتحنا عليهم أبواب النعم وبسطنا عليهم الأرزاق الحسية حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم وتمكنوا منها أخذناهم بالهلاك بغتة أى فجأة فإذا هم مبلسون آيسون من كل خير وهكذا عادة الله في خلقه أن يرسل إليهم من يذكرهم بالله ويدلهم على الله فإذا أعرضوا عنه وردوا عليه قوله بسط عليهم النعم الحسية حتى إذا اطمانوا وفرحوا بها دمدمهم الله وأخذهم بغتة ليكون ذلك أشد في العقوبة قال الشاعر :

وأعظم شيء حين يفجؤك البت

وقال تعالى ولا يحسن الذين كفروا إنما نكلى لهم خير لأنفسهم إنما نكلى لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين فالواجب على الإنسان إذا أحس بنعمة ظاهرة وباطنة حسية أو معنوية أن يعرف حقها ويأيد إلى شكرها فطقاً واعتقاداً وعملاً فالنطق الحمد والشكر باللسان والاعتقاد شهود المنعم في النعم وإسنادها إلى الوافية عن الواسطة عن الواسطة بالقلب مع شكرها باللسان

والصوفية من عليه عليه السلام أو عمله أو خلقه الارشفة أو رشة لله در البوصيرى في بردة المدح حيث يقول

وكلهم من رسول الله ملتس
وواقفون لديه عند حدهم
غرفاً من البحر أورشفا من الديم
من نقطة العلم أو من شكلة الحكم

ثم ذكر الأمر الثاني وهو اتفاق مذهبهم واتحاد غاية طريقتهم والأمر الثالث وهو ما ظهر عليهم من الكرامات فقال

ثم بشيتين تقوم الحجة
مذاهب الناس على اختلاف
ولهم قطعاً على المحجة
ومذهب القوم على ائتلاف
وما أترا فيه يخرق العادة
إذا لم تكن لمن سوامه عادة

قلت الحجة هي الدليل والبرهان والمحجة هي الطريق المستقيم والائتلاف هو الاتفاق (يقول) رضى الله عنه ثم تقوم الحجة الدالة على أنهم على المحجة والطريق المستقيم أحدهما بشيتين أن مذاهب الناس على اختلاف كثير فقد كانت مذاهب الفقهاء

من لم يشكر الناس لم يشكر الله أشكركم الله فإذا قال له جزاك الله خيراً فقد أدى شكرها والشكر بالعمل صرفها في طاعة الله كما تقدم فإن لم يتم هذا الوجوب خيف عليه السلب والابتدراج وهو أقبح .

(والحاصل) أن الشكر هو الأدب مع المنعم ومن جاءت على يديه فإن أساء الأدب أدب وقد يؤدب في الباطن وهو لا يشعر كما أشار إلى ذلك بقوله (من جهل المرید أن يسئ الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد أو وجب البعاد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المرید وقد تقام مقام البعد وأنت لا تدري ولو لم يكن إلا أن يظلمك وما تريد) قلت من الأمور المؤكدة على المرید الصادق أن يراعى الأدب مع الله في كل شيء ويلتزم التعظيم لكل شيء ويحفظ الحرمة في كل شيء فإن أخل بشيء من هذه الأمور وأساء الأدب مع ربه فليبادر بالتوبة والاعتذار مع الله والانكسار فإن آخر التوبة إلى وقت آخر انقطعت عنه الامداد واستوجب الطرد والبعاد وقد لا يشعر بذلك في الحين فيحتج لنفسه ويقول لو كان هذا سوء أدب لانقطع عني المدد وهذا منه جهل قبيح يفضي إلى العطب إن لم تدركه العناية من رب الارباب وإنما كان هذا جهلاً من المرید لاتصاهر لنفسه وقت سوء أدبه وعدم شعوره بنقصان قلبه إذ لو كان عالماً بمخادع النفس لاتهمها وما اتصر لها ولو كان عارفاً بربه لشعر بنقصان قلبه فقد جمع بين جهالة وجهل فالجهالة هي سوء الأدب الذي صدر منه والجهل هو غفائته عن نفسه وإنكاره أن يكون ماصد منه سوء أدب وما احتج به من كونه لم يحس بالعقوبة ولو كان ذلك سوء أدب لأحس بقطع الامداد ولأوجب الطرد والبعاد لانهض فقد يقطع عنه المدد وهو لا يشعر ومثال ذلك الاشجار التي على الماء فإذا قطع عنها الماء لا يظهر أثر العطش عليها إلا بعد حين فإذا طال الامر يست شيئاً شيئاً كذلك قلب المرید قد لا يحس بقطع المدد في القرب حتى يفرق في الوهم ويحترق بالحس فإن كانت له سابقة خير تاب وأصلح ما أفسد فيرجع إليه المدد وإن لم تكن لسابقة رجع إلى وطنه وأقام في بعده نسأل الله السلامة من سلب نعمته بعد عطاائه ولو لم يكن من العقوبة إلا منع المرید من السير أو التزقي لكان كافياً لأن من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ومن كان يومئذ آمن أمسه فهو في الخسران وقوله في الاحتجاج أيضاً لو كان هذا سوء أدب لأوجب البعاد فقد يقام مقام البعد وهو يظن أنه في محل القرب لأن مراتب القرب والبعاد لانهاية لها ومامن مقام القرب إلا وما بعده أعظم منه حتى يكون ذلك القرب بالنسبة إلى ما بعده بعداً ولو لم يكن ذلك البعد إلا أن يتركه مع ما يريد

في الفروع اثني عشر مذهباً ثم قررت في أربعة (و) كانت مذاهب القراء خمسة وعشرين رواية ثم قررت في عشرة وكانت مذاهب النحاة على مذهبين بصرى وكوفي بخلاف مذهب الصوفية فهي متفقة في المقصد والعمل وإن اختلفت المسالك فهي راجعة إلى صدق التوجه إلى الله تعالى من حيث يرضى بما يرضى وعبرة كل واحد على قدر مآثاله منه إذ كل عبارة فيه إنما هي بخيرة عن صدق توجه صاحبها وكل من له نصيب من صدق التوجه له نصيب من التصوف إذا كان ترجه برضاه الحق ومن حيث يرضاه وإلا فهو زنديق واسم التصوف عليه لاحقية له فذلك قيل من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن تفقه ولم يتصوف فقد فسق ومن جمع بينهما فقد نعمت وإما تزندق الاول لرفضه الحكمة والاحكام وتفسق الثاني لخلوه من صدق التوجه فيها هو فيه وتحقق الثالث لقيامه بكل في محله فرجع كلام الصوفية في كل باب لاحوالهم وإلا فلا تنافي بين أقوالهم لمن تأملها وذلك خلاف مذهب غيرهم والوجه فيه أن الحق واحد وطريقة واحدة وإن اختلفت مسالكها فالنهاية واحدة والنوق واحد وفي معنى ذلك قال قائلهم

لكان كافياً في الطرد والبعد إذا ترك العبد مع هواه وشهوته من علامة الإهمال وإخراج العبد عن هواه وما تركن إليه نفسه من علامة الاعتناء والانتبال فإذا اعتنى الله تعالى بعبد وأراد أن يوصله إلى حضرته شوش عليه كل ما تركن إليه نفسه وأزججه طوعاً أو كرها حتى يوتيه من هذا العالم ولم يبق له ركون إلى شيء منه فحينئذ يهبط فيه لحضرته ويحتجبه بحجته فليس له حينئذ عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار وأصل ذلك قضية سيدنا موسى عليه السلام لما علم الله تعالى محبته لعصاه وركونه إليها قال له الحق تعالى « وما تلك يمينك يا موسى قال هي عصاى أنوكأ عليها وأهش بها على غنى ولى فيها مأرب أخرى ، أى حوائج أخر قال له ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى فلما فرغ منها وقطع بأسه منها قال له خذها ولا تخف لا تنزعك حيث رجعت إليها بالله ويقال للفقير وما تلك يمينك أيا الفقير فيقول هي دنياى أعتمد عليها وأقضى بها ماري فيقال له ألقها من يدك فإذا هي حية تسعى كانت تلذغه وهو لا يشعر فإذا أيسر منها وأستأنس بالله وأطمأن به قيل له خذها ولا تخف لأنك تأخذها بالله لا بنفسك والله تعالى أعلم ومواطن الآداب التى بها يتجلى المرید فيعاقب عليها ثلاثة آداب مع الله ورسوله وآداب مع الشيخ وآداب مع الإخوان (فأما) الآداب مع الله باعتبار العوام فبإمتثال أمره واجتناب نهيه ومع رسوله باتباع السنة وبجانبه أهل البدعة فإذا قصروا فى الأمر وخالفوا فى النهى عوقبوا عاجلاً فى الحس أو أجلاً فى المعنى الحس وباعتبار الخواص مع الله بالإكثار من ذكره ومراقبة حضوره وإيتار محبته زاد الشيخ زروق وحفظ الحدود والوفاء بالعهود والتعلق بالملك الودود والرضى الموجود وبذل الطاقة والمجهود مع رسوله صلى الله عليه وسلم بإيتار محبة والاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه فإذا قصروا فى ذكره أو جالت قلوبهم فى غير حضرته أو مالت بمحبتهم إلى شيء سواه أو قصروا فى شيء مما تقدم أو حلوا عقدة عقدوها مع الله عوقبوا فى الحس بالضرب أو السجن أو الأذى باللسان أو فى المعنى وهو أشد كقطع المدد وإيجاب الطرد والاقامة مقام البعد وباعتبار خواص الخواص وهم الواصلون يكون مع الله بالتواضع معه فى كل شيء والتعظيم لكل شيء ودوام معرفته فى تجليات الجلال والجمال أو مع اختلاف الآثار وتقلبات الأطوار ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتحقق بحسبه وتنظيم أمته وشهود نوره كما قال أبو العباس المرسى لى ثلاثون سنة ما غاب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحس أو فى المعنى والغالب يتقطعه فى الحين فيستدرك ما فات إن الذين اتقوا إذا مسهم

الطرق شتى وطريق الحق مفردة والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا نسلك مقاصدهم فهم على مهل يمشون قصاد
والناس فى غفلة عما يراهم فجعلهم عن طريق الحق حياذ

(فان قلت) قد ورد مدح الاختلاف وذم الاتفاق فقد ورد فى بعض الآثار اختلاف أمتى رحمة وقال بعضهم مادامت الصوفية بغير ماتافروا فإذا اتفقوا فلا خير فيهم (قلت) أما مدح الاختلاف فهو محمول على الاختلاف فى الفروع واختلاف الأئمة فى المذاهب فإن فى ذلك توسعة على الأمة إذ كل من تمسك بمذهب فهو ناج ما لم يتبع الرخص وكذلك اختلاف الروايات فى القراءة فهى توسعة أيضاً على القارئ بخلاف الاختلاف فى الأصول فهو مذموم كاختلاف التقديرية والجبرية والحشوية وغير ذلك من الاختلاف فى التوحيد ومذهب الصوفية هو الاتفاق فى الأصول ، والفروع (أما) الأصول فقهايتهم الشهود والبيان وهم متفقون فيه لأنه أمر ذوقى لا يختلف (وأما) الفروع فهم يأخذون بالاحوط والا كابر منهم

طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فهذه جملة الآداب التي تكون مع الله من العوام والخواص وخواص الخواص (أو تقول) من الطالبين والسايرين والواصلين والله تعالى أعلم (وأما) الآداب التي تكون مع الشيخ فرجعها إلى ثمانية أمور أربعة ظاهرة وأربعة باطنة (فأما) الظاهرة فأولها امتثال أمره وإن ظهر له خلافا واجتناب نهيه وإن كان فيه حقه خطأ الشيخ أحسن من صواب المريد (وثانها) السكينة والوقار في الجلوس بين يديه فلا يضحك بين يديه ولا يرفع صوته عليه ولا يتكلم حتى يستدعيه للكلام أو يفهم عنه بقرائن الاحوال كحال المذاكرة بخفض صوت ورفق ولين ولا يأكل معه ولا يربط بين يديه ولا ينام معه أو قريبا منه قال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه في كتابه ومن آداب المريد مع الشيخ أن لا يأكل معه ولا ينام معه ولا يضحك بين يديه ولا ينام في فراشه ولا يجلس في موضع جلوسه ولا يتكلم في مجلس الشيخ ولو كلمة واحدة والكلام فيه سوء الأدب أكثر من كل شيء وكل ما يشبه هذه الأوصاف يؤدي لعدم التعظيم والازدراء بجانب الشيخ وذلك هو الخسران المين والعياذ بالله من السلب بعد العطاء والطرد بعد الإقبال قالوا اجعل عملك ملحا وأدبك دقيقا وقال الشاعر ، أدب العبد تذلل ؛ والعبد لا يدع الأدب ؛ فإذا تكامل ذله ؛ نال المودة واقترب ؛ (وثالثها) المبادرة إلى خدمته بقدر الامكان بنفسه أو بماله أو بقله ؛ لخدمة الرجال سبب الوصال ؛ لمولى الموالى ، وقال سيدي عبد الله الهبطي الرجلى رضي الله عنه في منظومة له في السلوك

إن الخديم ظنه جميل دل على فلاحه دليل
أهل نفسه لخدمة الرجال لكي ينال من حبيب الوصال
ذل المحب في طلب القرب عز عزيز عند أهل الحب
أبن بيوت القرب من أربابها فتحت له إذا بأسرها
طوبى له بشرى له استفاد ونال خير قربه وساد
(ثم قال)

مقامك أعرف أهما الخديم فانه مغضوم عظيم
أمسيت المنحوم في جواره مشاككا كذلك في أسراره
لا تعبت سوى مقامك الرفيع فالخير كله لديك مجتمع

يخرجون عن التقليد ويتسكون بالكتاب والسته في نفسه وإن كان جلهم قللوا في الفروع فكان الجنيح على مذهب أبي نور والشيل مالكيًا والجيلاني حنبليًا إلى غير ذلك (وأما) قول من قال مادامت الصوفية بخير ما اختلفوا فراده اختلاف تنبيه وإرشاد فكل واحد يرشد صاحبه وينبهه إذا رأى فيه نقصاً وعيباً فإذا اتفقوا وسكتوا على عيوبهم فلا خير فيهم وقد يجعل ذلك على حال مذاكرتهم في العلوم فقد قالوا فهم ألسنتهم حادة وقلوبهم سالمة ولا شك أن حال المذاكرة لا ينبغي فيها التسليم في كل شيء إذا لا تخرج العلوم إلا بالحك والبحث والتفتيش (قال) بعضهم نحن في حل المذاكرة بحال من قال حك لي ندر بل لك لا بحال من قال سفيح لي نسفج لك هكذا سمعنا من شيخ شيخنا مولاي العريضي رحمه الله عنه وكان يقول لا تسلم لنا في حال المذاكرة وكان أيضاً يقول المستحي والتكبر والخواف لا يأخذ من طريقنا شيئاً والله تعالى أعلم (وأما) الأمر الثالث الذي تقوم به الحجة فهي خرق العادة التي ظهرت على أيديهم وتسمى الكرامة وقد تقدم ترويضها إلى حسية ومعنوية أو أن المعبر هي الكرامة المعنوية وهي الاستقامة أو الكرامة الحسية فإن صحبتها الاستقامة فهي كرامة

(ورايها) دوام حضور مجلسه فإن لم يكن فسكر الوصول إليه إذ بقدر تكرير الوصول إليه يقرب الوصول فدد الشيخ جاز كالساقية أو القادوس فإذا غفل عن الساقية أو القادوس تحرم وانقطع الماء إلى غيره وأيضاً تكرير الوصول يدل على شدة المحبة تكون الشربة وفي هذا المعنى قال شيخ شيوختنا المجنوب رضى الله عنه

لا محبة إلا بأصول ولا وصول الاغالي

ولا شراب إلا محتوم ولا مقام الاعالي

وقال شيخ شيوختنا سيدى على الجمل رضى الله عنه في كتابه اعلم أنه لا يقرب طالب الوصول إلى الله تعالى شيء مثل جلوسه مع عارف بالله إن وجده ثم قال الجلوس مع العارف بالله أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام الغافلين والجلوس مع العاوى الناقل أفضل من الجلوس مع الفقير الجاهل كما إن العارف بالله يجمع بين المريد ومولاه بنظرة أو بكلمة كذلك الفقير الجاهل بالله ربما ألف للمريد عن مولاه بنظرة أو بكلمة فافوقها يرحم الله سيدى المجنوب حيث يقول : الجلسة مع الاخيار ، تذلل ولو تكون صافى له المراد منه

(وأما الآداب الباطنية) فأولها اعتقاد كماله وانأهل للشيخوخة الترية لجمعه بين شريعة وحقيقة وبين جذب وسلوك وانأهل قدم النبي ﷺ (وثانيها) تعظيمه وحفظ حرمة غائباً وحاضراً وترية محبة في قلبه وهو دليل صدقه وبقدر التصديق يكون التحقيق فن لا صدق له لا سير له ولو بقى مع الشيخ ألف سنة ويرحم الله سيدى محمد الشرقى حيث قال من لا صدق ما عند باش ينق من لا حقق ما جاب إيماناً باباً (وثالثها) انزاله عن عقله ورياسته وعلمه وعمله إلا ما يرد عليه من قبل شيخه كما فعل شيخ طريقنا الشاذلى رضى الله عنه ملاقاته بشيخه فى سنة في طريقه فكل من أتى شيخه في هذه الطريقة الشاذلية فلا بد أن يتنسل من علمه وعمله قبل أن يصل إلى شيخه لينال الشراب الصافى من بحر مدده الرافى (ورايها) عند الانتقال عنه إلى غيره وهذا عديم من أقب كل قبيح وأسنع كل شنيع وهو سبب تسويس بذرة الارادة ففسد شجرة الارادة لفساد أصلها وهذا كله مع شيوخ الترية كما تقدم وأما شيوخ أهل الظاهر فلا بأس أن يتنقل عنهم إلى أهل الباطن أن وجدتم ولا يحتاج إلى إذن والله تعالى أعلم

(وأما الآداب) مع الاخوان فأربعة أولها حفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين فلا يتتاب أحداً ولا ينقص أحداً فلا يقول أصحاب سيدى فلان كمال وأصحاب سيدى فلان نقص أو فلان عارف أو فلان ليس

شاهدة على صدق صاحبها مع الله وإن لم تخصها استقامة فهي استدراج ومكر (قال) بعضهم خرق العادة كرامة للمتبع والمتبع هو المغروق في الدنيا وأشغلتها إلى عنقه ولو كثرت صلاته وصيامه (و) قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الايمان بزيادة الايقان وشهود العيان وكرامة العمل على السنة والمتابعة وترك الدعاوى والمخادعة فن أعطيها ثم جعل يشاق إلى غيرهما فهو مفتر كذاب أو ذو خطاء في العلم والعمل بالصواب كن أكرم بشهود الملك على الرضى ثم جعل يشاق إلى سياسة النواب وخلع المرضى وكرامة الاولياء قد بلغت مبلغ التواتر فلا تحتاج إلى دليل والله تعالى أعلم ثم أشار إلى الأمر الرابع وهو تطهير جوارحهم من الذنوب وقلوبهم من العيوب فقال

قد رفضوا الآثام والعيوب وطهروا الابدان والقلوب

قلت لاشك أن الصوفية رضى الله عنهم قد رفضوا الذنوب أى نبتوها وراء ظهورهم ورفضوا العيوب أى طهروا قلوبهم منها وسبب تطهيرهم من الذنوب والعيوب تطهيرهم من أصلها ورأسها أما أصلها فالحلقة مع الغافلين الجاهلين فن غاخط (١٤ - إيقاظ أول)

بعارف أو فلان ضعيف و فلان قوی أو غیر ذلك فنهذه عين الغيبة وهی حرام بالإجماع لاسیما فی حق الأولیاء فإن لحومهم معوم قاتلة کلحرم العلماء والصالحین فلیحذر المرید جهده من هذه الخصلة الذميمة ولیفر من هذا طبعه فراره من الأسد فن أولع بهذا فلا یفلح أبدا فالأولیاء کالأنبیاء فن فرق بینهم حرم خیرهم وکفر نعمتهم وقد قال بعض الصوفیة من کسره الفقراء لا یمیره الشیخ ومن کسره الشیخ فقد یمیره الفقراء وهو صحیح مجرب لأن إذایة ولی واحد لیس کإذایة أولیاء كثيرة ومن کسره الشیخ یضعف فی الاخوان فیجبر قلب الشیخ بخلاف قلوب الفقراء إذا تنیرت قل ان تنفق علی الجبر والله تعالی أعلم (وثانیها) نصیحتهم بتعلیم جاهلهم وارشاد ضالهم وتقویة ضعیفهم ولو بالسر إلیه فإن فهم أهل بدایات ونهایات والقوی والضعیف فکل واحد یدکره بما یشیق به إمامه خاطبوا الناس بقدر ما یفهمون کما فی الحدیث (وثالثها) التواضع لهم والاستغفار من نفسک معهم وخدمتهم بقدر الامکان تخدیم القوم سیدهم فن عرض له شغل لاینتفک عنه فالواجب اعانتة لیتفرغ منه إلی ذکر الله إن کان خفیفا قال تعالی وتعاونوا علی البر والتقوی فکل ما یشغل قلب الفقیر فدفنه جهاد ویر (ورابعها) شهود الصغافیرهم واعتقاد کمالهم فلا ینتص أحد اولو رأی منه ما یوجب التنص فی الظاهر فالؤمن یتلمس المعاذر فلیتلمس له سبعین عنرا فإن لم یزل عنه موجب تنصه فلیشده فی نفسه فالؤمن مرآة أخیه ما کان فی الناظر یظهر فیها أهل الصفا لایشهدون إلا الصفا وأهل التخیط لایشهدون إلا التخیط أهل الکمال لایشهدون إلا الکمال وأهل النقص لایشهدون إلا النقص وتقدم فی الحدیث عنه صلی الله علیه وسلم خصلتان لیس فوقهما شیء من الخیر حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان لیس فوقهما شیء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله وبالله التوفیق فهذه من جملة الآداب الی الی یجب علی الفقیر مراعاتها والتحفظ علیها سواء کان طالبا أو سائرا أو واصلا وقد تقدمت فی أول الباب الأول ثمانية آداب بعضها فی حق العارف وبعضها فی حق السائر فلیراجعها ولیمعمل بمقتضاها فإن الطریق کلها آداب حتی قال بعضهم اجعل عملک ملحا وأدبک دقیقا وقال أبو خضص رضی الله عنه التصوف کله آداب لکل وقت آداب ولکل حال آداب ولکل مقام آداب فن لزم الأدب بلغ مبلغ الرجال ومن حرم الأدب فهو بعید من حیث یظن القرب مردود من حیث یظن القبول .

(وقال) بعضهم لزم الأدب ظاهرا وباطنا فإساءة أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب فی الظاهر وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب فی الباطن وقال فی المباحث الأصلية

العوالم وظن أنه ینجو من الآثام فقد رام المحال کن خط الخطب مع النار وظن أنه ینجو من الاحتراق وأما رأسها فحب الدنيا الساکن فی القلوب (فی الحدیث) حب الدنيا رأس کل خطیئة ورآه الیهی فی الشعب من مراسیل الحسن وقیل هو من کلام مالک بن دینار وقیل من کلام سیدنا عیسی علیه السلام وقیل من کلام علی کرم الله وجهه وعده بعضهم فی الموضوعات ورده ابن حجر قاله تعالی أعلم وعلى کل حال فهو کلام صحیح فی المعنی مجرب مدقوق فن طهر قلبه من حب الدنيا وریاستها وما لها واعتزل عن الناس فالناب سلامة قلبه من المیوب وطهارة جوارحه من الذنوب وما تشعبت عیوب القلوب إلا منها إذ علیها یقع البخل والشح والجبن وغیر ذلك من العیوب وكذلك الذنوب کالكذب والایمان الفاجرة وسوء الخلق ذلك ویرحم الله الامام الشافعی رضی الله عنه حیث قال :

ومن یذق الدنيا فانی طعمتها وسبق لی عذبا وعذابها

والآداب الظاهر للعيان دلالة الباطن في الانسان
وهو أيضاً للفقير سند وللغنى زينة وسؤدد
وقيل من يحرم الآداب فهو بعيد ما تداني واقتراب
وقيل من تحبسه الانساب فانما تطلقه الآداب
فالقوم بالآداب حقاً سادوا منه استفاد القوم ما استفادوا

وقال أبو حفص السراج رحمه الله والناس في الآداب على ثلاثة طبقات أهل الدنيا وأهل الدين وأهل الخصوصية من أهل الدين ، فأما أهل الدنيا فأكثر آدابهم في البلاغة وأخبار الملوك وأشعار العرب ، وأما أهل الدين فأكثر آدابهم حفظ العلوم ورياضة النفوس وتآديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات واجتناب الشهات والمسارة إلى الخيرات ، وأما أهل الخصوصية من أهل الدين فأدابهم حفظ القلوب ومراعاة الأسرار واستواء السر والعلانية ، فالمريدون يتفاضلون بالعلم ، والمتوسطون بالآداب ، والعارفون بالهمم اهـ

ثم ما ذكره الشيخ من لزوم الجهل للمريد مقيد بما ذكره من احتجاجه لنفسه ومدافعتة عنها لأنه في هذه الحالة صاحب جدل لتزيهه المقدمة والنتيجة وعليه فهم قولهم ما ألهم قوم الجدل إلا حرموا العمل وأما لو اعترف بآسائه وأنصف من نفسه لم يكن ذلك في حقه جهلاً ولا جهالة وقد قالوا عدم الآداب أن كان يحرم الآداب فهو أدب والله تعالى أعلم ومن جملة الآداب ألا يستحقر مقاماً أقام الحق تعالى فله عبداً من عباده كاتباً ما كان كما أشار إليه بقوله :

(إذا رأيت عبداً أقامه الله بوجود الأوراد ، وأدامه عليها مع طول الامداد ، فلا تستحقرن ما منحه مولاه ، لأنك لم تر عليه سيما العارفين ، ولا بهجة المحبين ، فلو لا وارد ما كان ورد) قلت ما ذكره الشيخ هنا من مؤكداات هذه الباب كلها في الآداب وهو أن لا يستحقر شيئاً من تجليات الحق على أى حال كانت فلا ينبغي أن ينازع مقتدر ولا أن يضاد قهار ولا أن يعترض على حكمه فإذا رأيت عبداً أقامه الحق تعالى بوجود الأوراد ككثرة صلاة وصيام وذكر وتلاوة واجتهاد وأدامه عليها مع طول الامداد بكسر الهمة أى استمراره وهو تقويته في الباطن وصرف الشواغل والشواغب في الظاهر لكنّه لم يفتح عليه علم الأذواق وعمل التلويح فلا تستحقرن حاله وما منحه مولاه لأجل أنك لم تر عليه سيما العارفين من السكينة والطمأنينة وراحة الجوارح والقلب بسبب نسيم الرضى والتسليم على أرواحهم وقال الشيخ زروق

فلم أرها إلا غروراً وباطلاً كما لاح في ظهر الفلاة سراها
وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب مهمن اجتذباها
فان تجتنبها عشت سلباً لأهلها وان تجتنبها ناهشتك كلابها
فطربني نفس أوطنت قمر بيتها مغلقة الأبواب مرخى حجابها

وقوله وطهروا الأبدان والقلوب تفسير لما قبله على طريق اللفظ والمعنى وطهروا الأبدان من الآثام والذنوب وطهروا القلوب من المساوى والعيوب فلما حصل لهم هذا التطهير المجيد لاح لهم قر التوحيد فأسلموا الأمر إلى مولاهم ورجعوا إلى من قد تولاهم عملاً بقوله تعالى ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى عاقبة الأمور فلما تحققوا بذلك وقفوا في رياض الاحسان وأشرقت عليهم شمس العرفان وأضاءت لهم أنوار المواجهة والعيان هذه المنازل الثلاث هي التي نزّلها المريد ويرتحل عنها منزل الاسلام وهو محل تطهير الجوارح وظاهرة من الذنوب وتحليتها بطاعة

سبأ العارفين ثلاث (أولها) الاعراض عما سوى معرفتهم بكل حال وعلى كل وجه (الثاني) الاقبال عليه بترك الحظوظ وإقامة الحقوق (الثالث) الرضى عنه في مجارى أقداره اه ولا تستحق بحاله أيضا لأجل إنك لم تر عليه بهجة المحيين وهى الفرح بمحبوبه والاكتثار من ذكره والقيام بشكره والاعتباط بمحبته والمسارة إلى تحابه وطلب مرضاته والخضوع لمظلمته والتذلل لتهره وعزته .

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضى المحبوب صح لك الوصل
تذلل له تحظى برؤيا جماله ففي وجهه من تهوى الفرائض والنفل

فكيف تستحق من دامت خدمته واتصلت أورداه فلو لا وجود الوارد الإلهي في باطنه ما قدر على إدامة أورداه فلو لا وارد ما كان ورد فالوارد مامته إليك فلو لا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعث الشيطان إلا قليلا بمجهم ويحبونه ثم تاب عليهم ليتوبوا فالعناية سابقة والهداية لاحقة الأمر كله بيده وفى التحقيق ما ثم إلا سابقة التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله

(قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أكرم المؤمنين وإن كانوا عصاة فاسقين وأقم عليهم الحدود واجرمهم رحمة بهم لا تقدر لهم : وقال الشيخ زروق رضى الله عنه فالمتنسب لجانب الحق يتعين إكرامه ، مراعاة لنسبته ، ثم إن كان كاذبا فالأمر بينه وبين من انتسب إليه ، فإن أمرنا بإقامة حقه عليه بحيث يتعين عليه كتمان معه كعبد السيد يضرب ولد سيده يأذنه يؤذبه ولا يحقره ولأن الحسن الحرائى رحمه الله :

إرحم بنى جميع الخلق كلهم وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم وراع في كل خلق حق من خلقه

ثم إن الإقامة على دوام الأوراد وهى خدمة الجوارح من شأن أهل الخدمة وهم العباد والزهاد والانتقال منها إلى عدم القلوب من شأن أهل المحبة والمعرفة وهم العارفون وكلهم عباد الله ومن أهل عنايته فلا يستحقهم إلا جاهل أو مطرود كما بين ذلك بقوله : (قوم أقامهم الحق لخدمته وقوم اختصهم بمحبته كلاً عند هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) قلت العباد المخصوصون بالعناية على قسمين : قسم وجههم الحق لخدمته وأقامهم فيها وهم أنواع فمنهم من انقطع فى التيقاق والقفار لقيام الليل وصيام النهار وهم العباد الزهاد ، ومنهم من وجهه الحق لإقامة الدين وحفظ شرائع المسلمين وهم العلماء والصلحاء ومنهم : من أقامه الحق لنصرة الدين وإعلاء كلماته وهم المجاهدون فى سبيل رب العالمين ، ومنهم من أقامه علام النيوب ، ومنزل الايمان ، وهو على تطهير القلوب من المساوى والعيوب وتخليتها بمقامات اليقين لتتهاجل معرفة رب العالمين ، ومنزل الاحسان وهو على الشهود والبيان ، قال بعض العارفين رضى الله عنهم بلغ إلى حقيقة الاسلام لم يقدر أن يفتر عن العمل (و) من بلغ إلى حقيقة الايمان لم يقدر أن يلتفت إلى العمل (ومن) بلغ إلى حقيقة الاحسان لم يقدر أن يلتفت إلى أحد سوى الله تعالى ، وإلى هذه المراتب أشار بقوله :

وبلغوا حقيقة الايمان واتجهوا منهاج الاحسان

قلت وهذا هو الامر الخامس الذى ظهر به شرف أهل التصوف وفضيلتهم وانهم بلغوا إلى حقيقة الايمان وصرح به بتحقيق دعائهم واركانه ، التى من جعلها الايمان بالقدر خيريه وشره حلوه ومره ، فقد استوى عندهم وقت الخير ووقت الشر ووقت الحلو مع وقت المر ، قد استوى عندهم الدلو العز ، والذم والمدح والمنع والعطاء والقبض واليسر وغير ذلك من اختلاف الآثار وتقلات الاطوار وذلك لأجل ما حصل لهم من مقام الرضى والتسليم وكال المعرفة فخلصوا اليقين (و) قوله واتجهوا

الحق نعيم البلاد وتسكين العباد وهم الأمراء والسلاطين وقسم أقامهم الحق لمحبتهم واختصهم بمعرفته وهم العارفون الكاملون سلكوا سواء الطريق ووصلوا إلى عين التحقيق وبينهما فرق كبير لأن أهل الخدمة طالبن الأجور وأهل المحبة رقت عنهم السئور أهل الخدمة يأخذون أجورهم وراء الباب وأهل المحبة في مناجاة الأجاب أهل الخدمة مسدول بينهم وبينه الحجاب وأهل المحبة مرفوع بينهم وبينه الحجاب أهل الخدمة من أهل الدليل والبرهان وأهل المحبة من أهل الشهود والعيان أهل الخدمة لا تنفك عنهم الحظوظ وأهل المحبة تصب عليهم الحظوظ أهل الخدمة لمحبتهم مقسومة وأهل المحبة محبتهم مجموعة فلذلك دام أهل الخدمة في خدمتهم وقذف المحبون إلى شهود محبوبهم فلو تركوا الحظوظ وحسروا محبتهم في محبوب واحد لنفخوا إلى محبوبهم وشهده يصير لإيقانهم واستراحوا من تعب خدمتهم ولكن حكمة الحكيم أقامتهم في خدمتهم فوجب تعظيمهم في الجملة ولا يلزم منه عدم تفضيل أهل المعرفة والمحبة عليهم أنظر كيف قال تعالى بعد ذلك ، أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً ، فدل على تفضيل بعضهم على بعض لكن عبيد الملك كلهم معظومون في الجملة ولا يجب للملك أن يحقر له عبداً من عباده وإن كانوا متفاوتين عنده والله تعالى أعلم .

(وقال) أبو يزيد رضى الله عنه اطلع الله على قلوب أوليائه ففهم من لم يصلح لحل المعرفة صرفاً فشغلهم بالعبادة وقال أبو العباس الدينورى رضى الله عنه إن الله عباداً لم يستلحهم لمعرفة ففشلهم بخدمته وله عباد لم يستلحهم لخدمته فأهلهم لمحبة وقال يحيى بن معاذ رضى الله عنه الزاهد صيد الحق من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة أه يعنى أن الزاهد اصطاده الله من الدنيا فقبضه وأدخله الجنة والعارف اصطاده الحق من الجنة فأدخله الحضرة اصطاده من جنة الحسن وجمعه في جنة المعنى وهى جنة المعارف وقال شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه في كتابه ، سحان من هيا أقواماً لخدمته وأقامهم فيها ، وهيا أقواماً لمحبة وأقامهم فيها أهل الخدمة تجلى لهم الحق بصفة الجلال والهيبة فصاروا مستوحشين من الخلق قلوبهم شاخصة لما يرد عليها من حضرة الحق قد نعلت أجسادهم واصفرت ألوانهم وخمست بطونهم وبالشوق ذابت أكبادهم وقطعوا الدياجى بالبكاء والتجيب واستبدلوا الدنيا بالجاهدة في الدين ورغبوا في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للتقين وأهل المحبة تجلى لهم الحق تعالى بصفة الجمال والمحبة وسكروا بغير لذى القربة شغلهم المعبود عن أن يكونوا من العباد ولا من الزهاد اشتغلوا بالظاهر والباطن وهو الله فحجبوا عن كل ظاهر وباطن زهدوا في التمتع

منهج الإحسان أى سلكوا طريق الإحسان الموصلة إلى الشهود والعيان ولذلك اقتصروا إلى دليل يكون عارفاً بالمنازل والمناهل قد سلك الطريق وعرفها حتى بوصولهم إلى مطلوبهم أو يقول لهم ها أنتم وربكم وسيأتى الكلام عليه إن شاء الله ثم أشار إلى الأمر السادس وهو ترقيمهم من عالم الملك إلى عالم الملكوت أو تقول من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح فقال :

وعلوا مراتب الوجود كالأم والوالد والمولود
واستشعروا شيئاً سوى الأبدان بدعونه بالعالم الروحاني

قلت مراتب الوجود هى العوالم الثلاثة الملك والملكوت والجبروت وذلك أن الوجود له ثلاثة اعتبارات وجود أصلى أدنى وهو الذى لم يدخل عالم التكوين ويسمى عالم الامر وعالم الغيب وهو المسمى بعالم الجبروت ووجود فرعى وهو النور المتدفق من بحر الجبروت وهو كل ما دخل عالم التكوين لطيفاً كان أو كثيفاً ويسمى عالم الشهادة وعالم الخلق وهو المسمى بعالم الملكوت لما غرق فيه وجمعه بأصله ووجود دهمى وهو محل ظهور التصرفات الإلهية ومقتضى الاسماء الجلالية والجلالية

والانعام واشتغلوا بمشاهدة الملك العلام اه كلامه رضى الله عنه (هذا آخر الباب السابع) وحاصلها رفع الهمة وشكر النعمة وحسن الأدب في الخدمة ونفوذ العزيمة بالانتقال من دوام الخدمة إلى المحبة والمعرفة وإذا أراد الله أن يصطفى عبداً لحمل معرفته وينقله من تعب خدمته قوى عليه الواردات الإلهية لجذبته إلى الحضرة الربانية وهى مواهب لا مكاسب تال بأعمال ولا يجمل وقل أن تأتى إلا بقتة كما أشار إلى ذلك في أول الباب الثامن فقال (وقال رضى الله عنه قل ما تأتى الواردات الإلهية إلا بقتة صيانة لها أن يدعيها العباد بوجوب الاستعداد) قال التشيرى الوارد هو ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون للعبد فيه تحمل والواردات أعم من الخواطر لأن الخواطر تخص بنوع خطاب أو ما تضمنه مناهه والواردات تكون وارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط إلى غير ذلك من المعانى وهو قريب من الحال وسئل الشيخ عبد القادر الجيلانى نعمنا الله بذكره عن صفات الواردات الإلهية والطوارق الشيطانية فقال الوارد الإلهى لا يأتى باستعداده ولا يذهب بسبب ولا يأتى على نخط واحد ، والطوارق الشيطانية بخلاف ذلك غالباً اه .

(قلت) والمراد به هنا نوع خاص وهو نفحات إلهية يهب نسيهما على القلوب والأرواح أو الأسرار فتغيب القلوب في حضرة علام الغيوب وتغيب الأرواح والأسرار في جبروت العزيز الجبار فتطيش فرحاً وسروراً وترقص شوقاً وخيوراً . إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا ، ترقصت الأشياح باجمل المعنى ، وقل ما تكون هذه الواردات الإلهية إلا بقتة لأنها لا تال باكتساب وإنما هى فتح من الكريم الوهاب ولو كانت تال بمجد واجتهاد لادعاهها العباد والزهاد بوجوب التأهب والاستعداد فتصير حينئذ مكاسب والأحوال والواردات إنما هى مواهب ، يتحس برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ونسخة الشيخ زروق العباد بالتخفيف جمع عبدهى أعم قال والحكمة في إزائها بقتة ثلاثة أمور أحدها يعرف منه الله فيها الثانى ليقدرها ويعظم الفرح بها الثالث الغيرة عليها وتميزها لأن ما كان من العزيز لا يكون إلا عزيزاً اه ثم ان هذه الواردات الإلهية والمواهب الاختصاصية أسرار من الحكيم النفار لا يمنحها إلا لأهل الصيانة والامانة لا لأهل الانشاء والحياة كما أشار إلى ذلك بقوله (من رأيت مجيئاً عن كل ما يسئل ومعبراً عن كل ما شهد وإذا كرا لكل ما علم فاستدل بذلك على وجود جهله) قلت أما وجه جهله في كونه مجيئاً عن كل ما سئل فلما يقتضيه حاله من الاحاطة بالعلوم وقد قال تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً فأى جهل أعظم ممن يمارض كلام الله ولما فيه أيضاً من التكلف وقد قال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرأ وما أنا من المتكلمين وقال عليه الصلاة والسلام أنا وأتقياء أمتى برآء

ويسمى عالم الملكوت وهو عالم الملك (وقال) بعضهم العوالم أربعة عالم الشهادة وعالم الغيب وعالم الملكوت وعالم الجبروت (ف) لأول كالكثائف المحسوسة والثانى كالألوانف الغيبية كالجن والملائكة والأرواح وهذا كله داخل في عالم الملكوت والثالث وهو عالم الملكوت هو جمع لهذه الاشياء وضمتها إلى أصلها وتحقيق الشهود فيها والرابع الذى هو الجبروت هو العظمة الأصلية الطليعة الأزلية قبل ظهورها وفى هذه المراتب يقع الترقى للسائر فيترقون من عالم الملك الذى هو وهى طلبانى حتى إلى عالم الملكوت الذى هو نورانى ملكوتى ثم يترقون إلى عالم الجبروت الذى هو أصلى أزلى فإذا ضموا الأصول إلى الفروع صار الجميع جبروتاً وهذا هو العالم الروحانى الذى أشار إليه بقوله واستشعروا شيئاً سوى الأبدان (و) قوله كلام الخبيث أنهم عرفوا مراتب الوجود الثلاث وفرقوا بين الملك والملكوت والجبروت تفرقاً ضرورياً كما يفرق الرجل بين ولده وأمه وأبيه ويحتمل أن يكون التشبيه من حيث الابداد والظهور فإن عالم الجبروت سبب في ظهور عالم الملكوت فهو أشبه شىء بالوالد وعالم الملكوت هو محل استقرار الصفات كالقدرة والارادة والعلم والحياة التى هى سبب في إظهار آثارها لعالم الملك فهو أشبه

من التكلف ولا يخلو صاحب التكلف من التصنع والتزين وهو من شأن الجهل باقه اذ لو كان عالما به لا كثر يعلمه وعرف قدره في بعض الاخبار (عاش من عرف قدره) وسئل بعضهم عن العلم النافع فقال ان تعرف قدرك ولا تعدى طورك وقال بعض المحققين اذا قال العالم لا أدري أصيبت مقالة وقال في الاحياء كان السلف الصالح يستل أحدهم عن المسئلة الواحدة فيدفع السائل الى غيره ثم يدفعه الثاني الى آخره ثم كذلك حتى يرجع الى الاول وكان بعضهم اذا سئل عن مسئلة يقول للسائل اذهب بها الى القاضي فقلدها في عنقه (وقد سئل مالك) رحمه الله عن اثنتين وثلاثين مسئلة فأجاب عن ثلاث وقال في الباقي لا أدري فقال له السائل وما قول للناس فقال قل لهم قال مالك أدري وأيضاً اجابة كل سائل جهل وضرر إذ قد يكون السائل متعناً لا يستحق جواباً وقد تكون المسئلة التي سأل عنها لا تليق به لانه لا يفهمها ولا يطبق معرفتها فتبرقه في الحيرة أو الانكار وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلوها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وفي ذلك يقول الشاعر :

سأكنم على عن ذوى الجهل طائقي ولا أثر الدرد النفيس على البهم
فان قدرك الله الكريم بلطفه ولاقيت أهلاً للعلوم وللحكم
بذلت علوى واستفدت علومهم والا فخزون لدى ومكتم
فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وقال على كرم الله وجهه حدث الناس بقدر ما يفهمون أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقد قيل للجنيذ رضى الله عنه بسألك الرجلان فتجيب هذا بخلاف ما تجيب به هذا فقال الجواب على قدر السائل قال عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم اه وقال رجل لبعض العلماء وقد سأله فلم يجبه أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كنتم علماً نافعاً ألجم يوم القيامة بلجام من النار فقال له العالم أترك اللجام واذهب فان جاماً من يستحقه وكتمته فليجمنى به اه

(وأما) وجه جهله في كونه معيراً عن كل ما شهد من الكرامات وما وصل اليه من المقامات وما ذاقه من الأنوار والأسرار فلأن هذه الأمور أدواق باطنية وأسرار ربانية لا يفهمها الا أربابها فذكرها لمن لا يفهمها ولا يدركها جهل بقدرها وأيضاً هي أمانات وسر من أسرار الملك وسر الملك لا يحل لأفشاؤه فمن افشاها كان خائناً واستحق الطرد والعقوبة

بالأم في تربية الولد قبل الظهور وبعده وعالم الملك هو محل ظهور التصرفات الإلهية وآثار القدره الأزلية فهو أشبه شيء بالولد لظهوره بينهما وربما يلوح حديث الخلق عيال الله وأحب الخلق الى الله أنفعهم لعياله رواه أبو يعلى والبراز عن أنس ولفظه الخلق كلهم عيال الله وأحبهم الى الله وأنفعهم لعياله والله تعالى أعلم بالصواب (و) قوله واستشعروا شيئاً سوى الابدان الخ اعلم أن عالم الاشباح هو عالم الملك وعالم الأرواح هو عالم الملكوت وعلمها واحد اذ ليس لنا الا وجود واحد لكن النظرة تختلف باختلاف الترقى في المعرفة فإدام العبد مسجوناً بمحيطات حسه محصوراً في هيكل نفسه فهو مقيم في عالم الاشباح محصور في عالم الملك لم يفتح له مبادئ النور لم يفرق بين روحانية وبشرية ولا بين حسه ومعناه فإذا فتح الله بصيرته وغاب عن حسه ونفسه وقلسه وجنسه رأى نور الملووت قد فاض من بحر الجبروت فحجب شهود ذلك النور عن ظلمة الحس وعن رؤية الكون بشهود المكون فالكون أصله كنه نور وإعماجه ظهور الحكمة فيه فن رأى الكون ولم يشهد النور فيه أو قبله أو معه فقد أعوزه وجود الأنوار وحجبت عنه شمس المعارف بحسب الآثار فإذا ضم النور إلى أصله صار الجميع

ولا يصلح أن يكون أمياً بعد ذلك ، فكتم الأسرار من شأن الأختيار ؛ وهتك الأسرار من شأن الأشرار ؛ وقد قالوا
قلوب الأحرار قبور الأسرار وقال الشاعر :

لا يكتم السر إلا كل ذى ثقة فالسر عند خيار الناس مكتوم

وفي إنشائها قلة علمها ونفعها في الباطن فقامت هذه الأحوال والواردات الالهية هي محو الحسى وإظهار المعنى أو محو
الشك وتقوية اليقين فاذا أنشأها ضعف أعمالها وقلت نتيجتها والخير كله في الكتان في الحديث استعينوا على قضاء
حوائجكم بكتانها أو كما قال عليه السلام وينخرط في سلك الأحوال التي يجب كتانها خرق عوائد النفوس فمن خرق عادة
في نفسه فلا يقش ذلك لغيره فان في ذلك دسيسة لها لأنها تحب أن تذكر بالقوة والتجدة فيكون كلما قتل منها أحياء
في ساعته وفيه أيضا نقص الأخلاق وإدخال الرياء وهو سبب الهلاك والعباد باقه (وأما) وجه جهله في كونه ذكر الكل
ماعلم من الحقائق والعلوم والمعارف فلأنه جهل قدرها واستخف شأنها فلو كانت عنده رفيعة عزيزة ما أنشأها لغيره
إذ صاحب الكنز لا يورح به وإلا سلبه من ساعته وانظر قول شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

أحر لسرك ودككو في الأرض سبعين قامه
وخل الخلاق يشكرو إلى يوم القيامة

وإذا كان الله تعالى يقول ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فكيف بالعلم الذي هو ثلوه مكنون قال عليه الصلاة والسلام
من العلم كهيئة المكنون لا يعرفه إلا العلماء باقه فاذا أظهره أنكره أهل الفرة باقه اه وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت
من رسول صلى الله عليه وسلم جرابين من علم أما أحدهما فبثته في الناس وأما الآخر فلو بثته لقطع منى هذا البلغوم اه
وقه در زين العابدين سيدنا على بن الحسين بن على كرم الله وجهه حيث يقول :

يارب جوهر علم لو أبوح به لقليل أنت من يعبد الوثنا
ولا يستحل رجال مسلوب دى يرون أقبح ما يأتونه حسنا
انى لأكتم من على جواهره كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتنا

وقال الروذا بادی رحمه الله علينا هذا اشارة فاذا صار عبارة خفي وقال الإمام الغزالي قد تضر الحقائق أقوام كابتضر

نورا واحداً وهو نور الجبروت أو سر اللاهوت فقد علمت أن الملك والملكوت والجبروت علمها واحد وكذلك عالم
الأشباح وعالم الارواح علمها واحد فاهل الحجاب لا يرون الا عالم الأشباح وأهل العرفان وهم أهل مقام الاحسان
لا يرون الا عالم الارواح مع أن المخل واحد لكن لما رقى حجابهم وتلطفت بشرتهم استشعروا شيئاً زائداً على عالم
الأشباح وهو عالم الارواح ويسمى عالم المعاني والعالم الروحاني وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله عند قوله لم يتصل بالعالم
الروحاني من عمره على الفضول عانى ، وعند قوله ، مهما تعدت عن الاجسام أبصرت نور الحق ذا انبسام ، والله تعالى
أعلم ثم أشار الى أن هذه المعاني لا تدرك بالمقول وانما هي أدواق يلغز بها إشارات المقول فقال :

ثم أمام العالم المعقول معارف تلفز في المنقول

قلت اعلم أن النفس والعقل والروح والسر كل واحد منها له حد ينهى اليه في العلم والادراك على ما يأتي بيانه ان شاء
الله عند قوله ، يا جاهلا أقصى الكمال وقفاً ، على عقول ومهما لا يخفى فشهدوا أنوار الملكوت وأسرار الجبروت وهي علوم

الجميل بالورد والمسك (قلت) قد يرخص للعارف الماهر إلقاء الحقائق مع من لا يعرفها بعبارة رقيقة، وإشارة لطيفة، وغزل رقيق بحيث لا يأخذ السامع منها شيئاً فقد كان الجنيد رضى الله عنه يلقي الحقائق على رؤوس الأشهاد فقيل له في ذلك فقال جانب العلم أحمى من أن يأخذه غير أهله أو علنا محفوظ من أن يأخذ غير أهله والله تعالى أعلم.

ثم أن الإجابة عن كل ما سئل والتعبير عن كل ما شهد وذكر كل ما علم يوجب إقبال الخلق عليهم وتعظيمهم وإكرامهم في هذه الدار لأن من ظهرت منزهة وجبت خدمته؛ ومن شأن العامة تعظيم صاحب الكرامة فيجنى ثمرة عمله في هذه الدار الباقية وتفوته درجات الصديقين في تلك الدار الباقية فأمره بكنمها ويقنع بعلم الله ويدخل الجزاء عليها ليوم لقاء الله وعلى ذلك نبه بقوله: (إنما جعل الدار الآخرة محلاً لجزاء عبادة المؤمنين لأن هذه الدار لاتسع ما يريد أن يعطيهم، ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لا يبقاها) قلت لاشك أن الله تعالى وسع هذه الدار بدار الغرور وحكم عليها بالهلاك والنبور، فهي دار دنية دانية زائلة فذلك سميت الدنيا إما لدنوها وإما لدناعتها فهي ضيقة الزمان والمكان ووسم الآخرة بدار القرار، وبحل ظهور الأنوار، وانكشاف الأسرار محلل النظرة والحيور ودوام النعمة والسرور، محل شهود الأحباب ورفع الحجاب نعيمها دائم ووجودها على الدوام قائم فلذلك جعلها الحق تعالى محلاً لجزاء عبادة المؤمنين، ومقعد صدق للنيين والصديقين ولم يرض سبحانه أن يجازيهم في دار لا يبقاها صيغة الزمان والمكان ومحل التكدار والفساد والذل والهوان، لأنها ضيقة لاتسع ما يريد أن يعطيهم أى لا يسع فيها ما يريد أن يكرمهم به تعالى زماناً ولا مكاناً لأن أدنى أهل الجنة يملك قدر الدنيا عشر مرات فكيف بأعلام قال تعالى فلا تعلم نفس ما أحتج لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون. وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولأله جل وعلا أى عظم أقدار عباده المؤمنين والمنقرين أن يجازيهم في دار لا يبقاها فعمارتها خراب ووجودها سراب في بعض الأحيان لو كانت الدنيا من ذهب يفي والآخرة من خرف يبقى لاختار العاقل الذى يبقى على الذى لا يبقى اه لاسيما بالعكس فالآخرة من ذهب يبقى، والدنيا من خرف يبقى فلا يختارها إلا من حكم الله عليه بالتقاء والعناء والخرف بالخاء والزين والتقاء المحركات الطين المصنوع للبناء وهو الآجر (وفي حديث آخر) الأوان السعيد من اختار باقية يوم نعيمها على فانية لا ينكع عذابها وتدمر لما يقدم عليه مما هو الآن في يده قبل أن يخلفه لمن يسعد بانفائه وقد شق وهو يجمع واحتكاه (اه) (وعن) أن أبواب الانصاري

المعارف أمر خارج عن مدارك العقول فهو أمام العالم للعقول أى وراءه وقدامه لا مطمع له في إدراكه وقد تقدم قول ابن العارض:

فتم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

وقال أبو العباس رضى الله عنه:

فلو عاينت عينك تزلزل أرض النفوس ودكت الأجيال

لأريت شمس الحق تستطيع نورها يوم التزلزل والرجال رجال

قال والأرض أرض النفوس والجيال جبال العقل (و) قال بعضهم في تفسير قوله تعالى فلنأجل ربك للجبل جعله دكا أى تجلى لجبل معقل جعله دكا أى مضطجلاً وخر موسى صعباً أى زال وجوده بوجود خالقه والمتجلى فيه (و) الحاصل أن شمس العرفان لا تدرك بعقل ولا حدس ولا يرهان وإنما تدرك ببيع النفوس ويدل الأرواح بالخروج عما تعهد (١٥ - لقاط أول)

رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حلوا أنفسكم بالطاعة وألبسوها قناع الخفاة وأجعلوا آخرتكم لأنفسكم وسعيكم مستقركم واعلموا أنكم عن قليل راحلون وإلى الله سائرلون ولا يبق عنكم هناك إلا صالح عمل قدمتموه أو حسن ثواب جزيتموه أنكم إنما تقدمون على ما كنتم وتجاوزون على ما أسلفتم فلا تخشعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنات عالية فكان قد كشف القناع وارتفع الارتباب ولاقي كل امرء مستقره وعرف مثواه ومن قبله اه ثم ان الجزء من تلك الدار إنما يكون على العمل في هذه الدار بشرط كونه مقبولا وقبوله منيب لكن له علامات يعرف بها هنا أشار إليها بقوله (من وجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول) قلت ثمرة العمل هي لذية الطاعة وحلاوة المناجاة وأنس القلب بالمرافقة وفرح الروح بالمشاهدة والسر بالمكاملة قد علم كل أناس مشربهم ودليل وجود هذه الثمرة النشاط في النهوض إليها والاعتباط بها والمداومة عليها وزيادة المدد فيها وهي علامة حلول الهداية في القلب قال تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والبرصيري في هزيمته :

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

فن رأيتاه في زيادة الأعمال والترقي في الأحوال علما أنه وجد لعمله ثمرة فهي بشارة له على قبولها ومن رأيتاه انقطع عن عمله أو نقص من أحواله خضا عليه علم قبول أعماله ومن ثمرة العمل أيضاً الاستيحاء من الخلق والانس بالملك الحق ومن ثمرة العمل أيضاً الاكتفاء بعلم الله والاستغناء به عما سواه زاد الشيخ زروق رضي الله عنه الحياة الطيبة ونفوذ الكلمة واتقاء الحزن للفرح بالناله اه فليل الأول قوله تعالى ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة قيل هي القناعة وقيل هي الرضى والتسليم (والتحقيق) انها المعرفة ودليل الثاني وهو نفوذ الكلمة قوله تعالى وعداؤه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض نفوذ الكلمة هي الخلافة وقال أيضاً وأجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وأما الثالث وهو اتقاء الحزن فليله في نفسه لان حلاوة العمل تنسي الحزن والنعم لانها شبيهة بنعم الجنة قال تعالى في شأن أهل الجنة وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والله تعالى أعلم وسيأتي التحذير من الوقوف مع حلاوة الطاعة وانها مسرور قاطنة ولما ذكر ميزان مقادير الاعمال ذكر ميزان مقادير الرجال (أو نقول) لماذا كرميزان العمل المقبول من المردود ذكر ميزان العامل المحيرب من المطرود فقال (ان أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك) قلت جعل الله تعالى بحكمته

الفوس وتحيط به العقول فاذا صح منك هذا البيع وتحقق منك هذا الخروج أدركت أنوار الملكوت متصلة ببحر الجبروت وصرت لا يعبك عن الله أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسي ولا أفلاك ولا أملاك وصرت أنت قطب الوجود تدوره بيدك كيف شئت خليفة الله في أرضه ونقطة دائرة كونه والله ذو الفضل العظيم وإلى هذه المعارف أشار بقوله ثم امام العالم للعقول ، معارف لتزني المنقول ، وأشار بقوله تلزاج أن هذه المعاني ليست صريحة في كلام اللوح إنما هي من باب الإشارة واللزج وكـ. لك قين في قوله تعالى إذا زلزلت الأرض أي أرض النفوس وأخرجت الأرض أثقالها أي ما فيها من العلوم والحكم والأسرار وقال الانسان متعجباً من حال تلك النفس ما لها يومئذ تحدث أخبارها تظهر أسرارها وماورها وهذه كلها إشارات وألغاز وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم في تيسير الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن وقف بعضهم هنا وجعل تراها جواباً أي فان عتق زواك ولم تكن شيئاً تراه وهذه الامور كلها الغائزات وإشارات لا يسلمها أهل الظاهر وإنما يذوقها أهل الباطن ويلغزون بينهم بها وقد قلنا علينا كنه إشارة فاذا صار عبارة خفي ثم ان هذه الامور إنما هي كسوفات تشرق على الارواح والاسرار تكون لوائح ثم لوامع ثم طوابع ثم يتصل الشروق ويوم النور حتى يقع السرخ وانما تكين

خلقه على تسمين أشقياء وسعداء وجعل السعداء قسمين أهل قرب وأهل بعد (أو تقول) أهل عین ومقرين وهم السابقون فإن أردت أن تعرف نفسك هل أنت من أهل الشقارة أو من أهل السعادة فانظر في قلبك فإن كنت تصدق بوجود ربك وتوحده في ملكه وتتقادم عرفك به وهو رسوله عليه السلام فأنت من أهل الجنة وإن كنت تنكر أو تشك في ربك أو تشرك به غيره في اعتقادك أو لم تدع لمن عرفك به فأنت من أهل الشقاء ثم إن وجدت نفسك من أهل السعادة وأردت أن تعرف هل أنت من أهل القرب أو من أهل البعد فانظر فإن كنت عن يستدل بأثره عليه فأنت من أهل البعد من أصحاب العین وإن كنت عن يستدل به على غيره فأنت من أهل القرب من المقرين ثم إن عرفت أنك من أهل العین وأردت أن تعرف قدرك عنده هل أنت من المكرمين أو من المهانين فانظر فإن كنت تمثل أمره وتجنب نهيه وتسارع في مرضاه وتجنب إلى أوليائه وأحبابه فأنت من المكرمين المعظمين وإن كنت تهاون في أمره وتتساهل في نواهيهِ وتكاسل عن طاعته وتهتك حرمانه وتعدى أوليائه فأنت والله عنده من المهانين المحرومين المنطردين إلا أن تداركك غناية من رب العالمين وإن تحققت أنك من القرب وأنت بلغت مقام الشهود تستدل به على غيره فلا ترى سواه فإن كنت تفر بالواسطة وتبت الحكمة وتعطي كل ذي حق حقه فأنت من المقرين الكاملين وإن كنت تنكر الحكمة وتغيب عن الوساطة فإن كنت مجذوباً مغلوباً فأنت في هذا المحل ناقص وإن كنت صاحباً فأنت ساقط إلا أن يأخذ بيدك شيخ واصل أو عارف كامل وهنا ميزان آخر تعرف به نفسك في القرب والبعد فإن وجدت شيئاً مريباً كشف الله لك عن أنواره وأطلعك على خصائص أسرارهِ فأنت قطعاً من أهل القرب بالفعل أو بالامكان لقول الشيخ رضي الله عنه سبحانه من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه وإن لم تجد شيئاً مريباً وغرك قول من قال إنه انقطع وجوده فأنت قطعاً من أهل العین من عوام المسلمين هذا الغالب والتادير للاحكم له والله تعالى أعلم.

(وفي الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم بقول الله تبارك وتعالى أنا الله لا اله إلا أنا خلقت الخير والشر فطرد لمن خلقت له الخير وأجريت الخير على يده وويل لمن خلقت له الشر وأجريت الشر على يده وفي حديث آخر من أراد أن يعلم ماله عند الله فليظر ماله عنده وفي رواية من أراد أن يعلم منزلته عند الله فليظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزله العبد من نفسه قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى

وإلى ذلك أشار بقوله :

وعلموا أن لهم تمكيناً يرقى بهم في المكاشفينا

قلت قد علموا أن دائم السير قطعاً يؤدي إلى الوصول وحال التلون لا بد يوصل إلى التمكن فإذا ترقوا إلى مقام التمكن فقد وصلوا إلى مقام لو كشف الغطاء ما ازدادوا يقيناً قد انكشف الغطاء لكن مراتب الكشف لانهاية لها وقل رب زدني علماً ولما علموا بتمام التمكن علموا أن لهم مراتب تتمهم من الوصول إليه كما أشار إلى ذلك بقوله :

ثم رأوا أن دون ذلك مانع كدقته نيط عليه طابع
فالقوم حين علموا بذلك وميزوا القطاع والاشراك
سلوا من العزم لهم قواضب فأثبت كل قاطع وحاجب
فاحتزموا للطنم والنزال وابتدروا ميادين القتال

وصدق بالحسنى ففسيره اليسرى الآية والله تعالى أعلم ثم ذكر ميزانا آخر تعرف به المقرين والأغنياء الثاكرين فقال (متى رزقك الطاعة والعتى به عنها فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة)

قلت الطاعة فى الظاهر هى رسوم الشريعة والعتى به فى الباطن هو شواهد الحقيقة فإذا جمع لك بين الطاعة فى جوارحك والعتى به عنها فى باطنك فقد أسبغ عليك أى أكل وأطال عليك نعمة ظاهرة وباطنة وهذه سببا العارفين المقرين الأغنياء بالله الفقراء عما سواه استغنوا بعبودهم عن رؤية عبادتهم وبمعلومهم عن علمهم وبمصلحهم عن صلاحهم

قال الشيخ أبو الحسن فى حربه الكبير نسألك النقر عما سواك ، والعتى بك حتى لا تشهد إلا إياك ، فهؤلاء الأغنياء بالله الغائبون فيه عما سواه عبادتهم بالله والله ومن الله قياما بشكر النعمة وإتماما لوظائف الحكمة وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أحب العباد إلى الله الأغنياء الأخفاء الاقنياء أو كما قال عليه الصلاة والسلام وفى حديث آخر ليس العنى بكثرة العرض إنما العنى غنى النفس اه وهو العنى بالله وهذه هى النعمة الحقيقية فائتمم الظاهرة هى تزين الجوارح بالشريعة والنعم الباطنة هى اشراق الأسرار بالحقيقة وقيل النعم الظاهرة هى الكفاية والعافية والنعم الباطنة هى الهداية والمعرفة وقيل النعم الظاهرة راحة البدن من مخالفة أمره والباطنة سلامته من منازعة حكمه وحقيقة النعمة من حيث هى ما لا يوجب ألما ولا يعقب ندما وتيمل النعمة العظمى الخروج من رؤية النفس وقيل النعمة ما وصلك بالحقائق وطهرتك من العلائق وقطعتك عن الخلائق وبالله التوفيق (هذا) آخر الباب الثامن وحاصلها تحقيق الآداب مع الواردات الإلهية لأنها مراهب اختصاصية فمن أراد مدد أنوارها فعليه بكتبان أسرارها وليؤخر جزاء ثوابها لدار يدوم بقاؤها فحينئذ يتحقق إخلاصه ويظهر اختصاصه فينوق حلالة الطاعة والإيمان ويعظم قدره عند الملك الديان فيغنيه به عما سواه ويسبغ عليه منته ومهما أغناك به استغنت به عن طلبه وإن كان لا يد من الطلب فاطلب منه ما هو طالبه منك كما أشار إليه فى أول الباب التاسع فقال (وقال رضى الله عنه خير ما يطلب منه ما هو طالبه منك) قلت والذى طالبه مناهى الاستقامة ظاهراً وباطناً ومرجعها إلى تحقيق العبودية فى الظاهر وكال المعرفة فى الباطن (أو تقول) الذى هو طالبه مناصح الجوارح الظاهرة بالشريعة قياما برسم الحكمة وإصلاح القلوب بالأسرار الباطنة بالحقيقة قياداً بوظائف القدرة (أو تقول) الذى طلبه من أمثال أمره واجتناب نهيهِ والاكتراث من ذكره والاستسلام لقهره فلا كثر فى حق العارفين أن يستغنى بعلم الله ويكتفى بسؤال الحال عن طلب المقال فإن تجلى فيه وراد اطلب غير ما يطلبه من سيده ما هو طالبه

قلت دفتر الكتاب وأراد هنا الحرز والقيمة ونيط أى لف وغشى الطابع بفتح الباء كالناب والكاغد والخاتم والعالم والنابل والناظ وأحفظ أخر تبلغ خمسة وعشرين كلمة كلها بفتح عين الكلمة نظماً ابن مالك والأشراك جمع شرك وهى الشبكة وتقاض جمع قاض وهو السيف الصارم والزوال هى شدة الحرب وذلك أن العرب إذا اشتد بينهم الحرب نزولوا عن خيولهم ليقاتلوا بالسيف والميادين مجال الخيل استعير هنا المجاهدة النفوس ومحاربتها (يقول) رضى الله عنه أن القوم لما شعروا بالحقيقة كاملة فى نفوسهم وكوشفوا بأعلموا أنهم تمكنوا من الوصول إليها والرسوخ فيها حصل لهم كشف القضاء وارتفعت الحجب عن قلوبهم فكانوا على هيئة من ربه ثم رأوا أن مقام التمكن دونه موانع وقواطع تمنعهم من الوصول إلى ذلك المقام وهذه الموانع هى التى غطت القلوب غلقتها وحجبت الأرواح عن الكشف عن أصلها فصار القلوب والروح كحرز مكتوب لف عليه غشاو طبع عليه طابع فلا يظهر ما فى باطنه حتى يخرق ذلك الطابع والنشاء الذى غشى عليه وهذا الطابع الذى جعله الله بحكمه وعمله حاجباً للقلوب عن أسرار الغيوب هو عالم الطليعة وهى شهور النفوس وعوائدها التى امتزجت

منه وهو ما تقدم ذكره (ففي بعض الاحاديث) ان الله لا يستل الخلق عن ذاته وصفاته ولا عن قضائه وقدره ولكن عن أمره ونهيه قلت لأن الأمر والنهي في كسبه ومكلف به ومعرفته الذات والصفات والرضى والتسليم إنما هي مواهب جزاء الاعمال وتأتج الامتثال فإذا فعل ما أمره به سيده رزقه المعرفة به المعرفة العامة وهي معرفة الدليل فإذا اشتد عطشه تبص له من يأخذ يده حتى يعرفه به المعرفة الخاصة وقال بعضهم إذا عرضت لك حاجة فأنزله بالله يعني من غير طلب ما لم يكن لك فيها حظ فتعجب عن الله اه قال تعالى ولا تمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واستلوا الله من فضله ، وفضله هو النبي به ومن دعاء الجنيد رضى الله عنه اللهم وكل سؤال فمن أمرتك بالسؤال فاجعل سؤالى لك سؤال عابك ولا تجعلنى ممن يعتمد سؤاله مواضع الحفظ وبل يستل القيام بواجب حقك ثم إذا طلبت منه فاطلب منه ما طلبه منك وهو الطاعة والاستقامة ولم تساعفك الاقدار ومنعت منها قيل أن تستل فان لم تبص اليها بقلبك وتأسفت عليها بنفسك فذلك علامة الاغترار كما أشار إلى ذلك بقوله (الحنن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض اليها من علامة الاغترار) قلت الحزن هو التحسر على فان لم تحصله وندمت على تحصله أو التوجع على شيء منعت منه ولم تقدر على تحصيله فان كان حزنك على شيء منعت منه ونهضت إلى أسبابه الموصلة اليه فهو حزن الصادقين .

وفيه قال أبو على الدقاق يقطع صاحب الحزن في شهر ما لا يقطعه غيره في سنين وان لم تبص إلى أسبابه فهو حزن الكاذبين وان كان على ما فاتت ونهضت إلى استدراك ما يمكن استدراكه فهو حزن الصادقين وان لم تبص إلى استدراكه فهو حزن الكاذبين وقد سمعت رابعة العدوية رجلاً يقول واحزنناه فقلت له ق و اناقة حزنناه فلو كان حزنك صادراً لم يتبأ لك أن تنفس اه وقال أبو سليمان الداراني رضى الله عنه ليس البكاء بتحصير العيون إنما البكاء أن تترك الأمر الذى تبتكى عليه وقيل لا يفرنك بكاء الرجل فان إخوة يوسف جاؤا أباهم عشاء فيكون وقد فعلوا ما فعلوا اه فالحنن على فقدان الطاعة مع عدم النهوض إلى استدراك ما فاتت منها أو تحصيل ما حضر منها من علامة الاغترار أى الغرور وهو الركون إلى ما لا حقيقة له فالاغترار قول النار والانقياد إلى غروره وخدعه فالحنن ينقسم ثلاثة أقسام حزن الكاذبين والصادقين والصدّيقين السائرين لحزن الكاذبين هو ما تقدم من عدم النهوض والاستدراك لمفادات ، وحزن الصادقين هو الحزن المصحوب بالجد والاجتهاد والتوسط في العمل والاقتصاد مع اغتنام ما بقى من الأوقات لاستدراك ما

معها وعجبت بطيبتها في أصل النشأة وهي التي ذكرها الله تعالى بقوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والآية فاشتغلت الروح بتدبير هذا البدن لجليلها نصرفت همها لما كلة ومشربه ومطيسه ومسكنه وما يتبع ذلك من الشواغل والشواغب فيعقت عن أصلها ومنعت من شهود أنوار ربها إلا من أسبغ الله بولايته وسبقت لها سابقة عناية فأنعم القوم بهذه القواطع التي قطعهم عن الوصول إلى ربهم وميزوا هذه القطائع والشياكات التي حبستهم في قيودها وهي علائق الدنيا وعوائقها سلوا من ممهم المالبسة سوءاً وعزوا على قطع تلك العلائق ورفضوا تلك الشهوات فلباعلقوا همهم الله وانقطعوا بكليتهم اليه انقطعت تلك العلائق وارتفعت تلك العجب فاحزمووا وشمروا للطنن في تلك العلائق ونزلوا بخارية النفوس، وردوا إلى حضرة الملك القدوس ، حتى ألقت السلاح ، وأذغت لطاعة الكريم المتاح (قال بعضهم انتهى سير الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فان ظفروا بها وصلوا وهذه مسامرة كلام الناظم فيه تقديم وتأخير فان قطع العلائق ورفع العجب مؤخران عن عمارية النفوس فقول الناظم فأثبت كل قاطع وحاجب مرتب على ما بعده من الطعن والتزال وابتداء ميادين القتال

فات ، وحزن الصديقين من السائرين هو الحزن على فوات الأوقات أو حصول شيء من النفلات أو وقوع ميل أو ركون إلى الخطيئة والشهوات إلا أن حزنهم لا يدوم إذ لا يقفون مع شيء ولا يقبضهم شيء وأما الواصلون فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، إذ الحزن إنما يكون على فقد شيء أو فوات غرض ماذا فقد من وجد الله وقاتلوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وفي هذا المقام ينقطع البكاء إذ لا بكاء في الجنة (وقدر رأى الصديق) قوماً يقرضون ويكون قتال كذلك كنّا ثم قست القلوب فغير بالقسوة عن التمكن أدباً وتستر لأن القلب في بدايته رطب يتأثر بالمواعظ وتحركة الأحوال فإذا استمر معها وتصلب لم يتأثر بشيء ويكون كالجلجل الراسي ، وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب

(نتيجه) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه من تطارعه نفسه على التهبؤ إلى الطاعات وأخلت إلى أرض الشهوات فتواؤه في حرفين الأول أن يعلم منه الله عليه بالهداية للإسلام ومحبة الإيمان فيشكر الله عليها ليحسن بقائهما عنده (الثاني) دوام تضرعه وابتهاؤه في مظان الاجابة قال: يارب سلم وإن أهمل هذين الأمرين فالشتاوة لازمة له اه بالمعنى وبالله التوفيق ثم إذا أعطاك ما طلبت من كمال الاستقامة ونهضت اليه نادى على ما فأنك من الطاعة كانت نهايتك الوصول إلى الحبيب ومناجاة القريب هناك تكل الألسن عن العبارة وتنقطع الاشارة كما أبين ذلك بقوله (ما العارف من إذا أشار وجد الحق أقرب اليه من إشارته بل العارف من لا إشارة له لقائه في وجوده وانطوائه في شهوده) قلت الاشارة أرق وأدق من العبارة والرمز أدق من الاشارة فالأمر ثلاثة عبارات وإشارات ورموز وكل واحدة أدق مما قبلها فالعبارة توضح والاشارة تلوح والرمز يفرح أى يفرح القلوب بإقبال المحبوب وقالوا علنا كله إشارة فإذا صار عبارة خفي أى خفي سره أى فإذا صار عبارة باضاح للسان يظهر سره على الجنان فاشارة الصفة هي تنزلاتهم وتلويحاتهم بالمحبوب كذكر سلى وليلى وذكر الخمرة والكيسان والتديم وغير ذلك مما هو مذكور في أشعارهم وتنزلاتهم وكذكر الأفاقر والنجوم والشموس والبدور واللوائح والطوالع وكذكر البحار والأنراق وغير ذلك مما هو مذكور في اصطلاحاتهم (وأما الرموز) فهي إيماء واسرار بين المحبوب وحييه لا يفهما غيرهم ومنها في القرآن فراخ السور ومنها في الحديث كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني بكر أن أدعوك لأمر قال وما هو يا رسول الله قال هو ذاك فرمى لأمر بينهما لا يعرفه غيرهما وقال له أيضاً يا أبا بكر أتعلم يوم يوم يتكرر لفظ يوم قال نعم يا رسول الله سألني عن يوم المقادير فذهروموز

والأمر قريب ولو قال لكل قاطع وحاجب بلام التعليل كان أحسن والله تعالى أعلم ثم بين بعض تلك القواطع فقال :

وعلموا أن ليس شيء قاطع كبدن كاس وبطن شابع

قلت يعنى أنهم تحققوا أن أعظم القواطع هو الاشتغال بهم الظهر والبطن فن أراد الله تعالى أن يتركه محجوباً لنفسه يشغل قلبه بتزين الملابس وتحسين المأكل وهذا هو الذى حجب جل الناس فن وقع من اللباس بما يستر العورة من خشين اللباس ووقع من الطعام بما يسد الجوع من مطلق الطعام كان قلبه بجموع مع الله إن توجه بهيمة إلى الله ومن همه إما بدخل يطنه كان قيمته ما يخرج منها وفي الحديث من ترك ثوب جمال وهو قادر عليه أبسه الله حلة الكرامة يوم القيامة (وقال) أيضاً صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مسالكه بالجوع والمقصود من ذلك كله صرف الشواغل والشواغب التي تحجب عن الله سواء كانت من قبل اللباس أو الطعام أو غيرهما ولذلك عم الناظم في البيت الذى بعد هذا حيث قال .

بين الصديق وحبيه قال الشيخ زروق رضى الله عنه في شرح الحزب الكبير وقد حارت العقول في رموز الحكاء فكيف بالعلماء فكيف بالأنبياء فكيف بالمرسلين يطمع في حقائق رب العالمين اهـ (وأما الإشارات) فيذكرها أربابها من أهل الفن والاساس في إدراكها وعدمه على أقسام (فهم) من لا يفهم منها شيئاً ولا يعرف الا ظاهر العبارة وهم الجهال من عموم الناس (ومنهم) من يفهم المقصود ويحد الحق بعد الاشارة أى بعد سماع الاشارة وهم أهل البداية من الساترين (ومنهم) من يفهم الاشارة ويحد المشار اليه وهو الحق أقرب اليه من إشارته وهم أهل الفناء في الآيات قبل التمكن ولهذا تجدهم يتواجدون عند السماع ويتحركون وتطيب أوقانهم وتهم أرواحهم أكثر مما يتواجدون عند الذكر لأن الاشارة تهيئ أكثر من العبارة بخلاف المتمكنين قد رست أقدامهم واطمأنت قلوبهم وتحقق وصولهم فاستغنوا عن الاشارة والمشير ولذلك قيل للجند مالك كنت تتحرك عند السماع وتترجى واليوم لا تترك تتحرك بشئ قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر السحاب اهـ وهذا هو العارف الذى لا اشارة له لفنائه في وجود الحق وانطوائه في مشهوره (أو تقرر) لتحقيق وصوله وتمكنه في شهره فصار المشير عين المشار اليه لفنائه وجورده في وجود محبوه وانطواء ذات مشهوره (أو تقول) لزوال همه وثبوت علمه فتحت الرحلة وامتحت الغيرة

رق الزجاج ورق الخمر فتشابه وتسا كل الأمر
فكأتم ما خمر ولا قدح وكأتم قدح ولا خمر

فالأفداح أشباح والخمر أرواح (أو تقول) لنهاب حبه وانطماس رسمه فانكسرت الآواني وسطت المعاني
وطاح مقاي في الرواسم كلها فلست أرى في الوقت قريباً ولا بعداً
فليت به عني فبان به غيبي فهذا ظهور الحق عند الفناء تصداً
أحاط بنا التعظيم من كل جانب وعادت صفات الحق بما يلي العباد

قال الشيخ أبو العباس الرامى رضى الله عنه ان لله عباداً يحق أفعالهم بأفعاله أو صافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحملهم من أسرار ما تعجز عنه الأولياء وقال القطب الشيخ ابن مشيش رضى الله عنه نفعنا بربكاه (وشراب الحية) مزج الأوصاف بالأوصاف والأخلاق بالأخلاق والأنوار بالأنوار والأسماء بالأسماء والتعوت بالتعوت والأفعال بالأفعال اهـ وأطلق المزج

ونظروا الحجاب في البواطن فوجدوه في التعوس كامن
فعملوا على جهاد النفس حتى أزالوا ما بها من ليس

(قلت) هذا الحجاب هو الذى كامن في النفوس هو حب الهوى ومرجه إلى حب السوى فنه ما يكون متعلقاً بالظواهر كحب المال وتزين لللباس ولما لكل والمرآك والمناكب ومنه ما يكون متعلقاً بالبواطن كحب الخصوصيه وطلب الكرامة وحب المدح والتناء وحب الرياسة والظهور وما ينشأ عن ذلك من الحسد والكبر والتعل والش والغضب والقلق والحرص والطمع وغير ذلك من العيوب الباطنية فكل من جاهد نفسه في التخلية من هذه المساوى والنخلة باضدادها من التواضع والخمول وسلامة الصدر وسخاوة النفس والبط والتأني والصبر والرضى والتسليم وغير ذلك من الأخلاق الحسنة زال عن نفسه حجاب النفس والتخليط واكتسب لباس الصفا والوفا فكان من المقربين الذين يشربون من عين التسليم المختوم ويمزج لغيره من أهل اللبس والتخليط فن صفا حتى له ومن خلط كدر عليه فن شرب اليوم كأس حبة المرلى صافياً من

على التبديل مناسبة للشراب وقال إمام الطريقة أبو قاسم الجندري رضي الله عنه في وصف العارف عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقه ناظر إليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هدايته وصفا شرابه من كأس وده تجلي له الجبار عن أستار غيبه فإن تكلم فبألفه وإن سكوت فن الله وإن تحرق فبأذن الله وإن سكن فع الله فهو بالله وقه ومع الله ومن الله وإلى الله فهذه صفات العارف الحقيقي الراسخ المتمكن قد كل لسانه عن التعبير واستغنى عن الإشارة والمشير فإذا صدرت منه إشارة أو تعبير فأنما ذلك لفوضان وجد أو هداية فقير وقد صدرت إشارات من المتمكنين فتحمل على هذا القصد كقول الشيخ أبي العباس رضي الله عنه

أعندك عن ليلي حديث محرر بإرادته يحبي الرمم وينشر
فهدى بها العهد القديم وأني على كل حال في هواها متصر
وقد كان عنها الطيف قدما يزورني ولما يزر ما باله يتعذر
وهل يخات حتى بطيف خيالها أم اعتل حتى لا يصح النصور
ومن وجه ليلي طلعة الشمس تستضي وفي الشمس أبصار الوري يتحير
وما احتجبت إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

هكذا وجدت بخط الشيخ وكان كثيرًا ما يمثل بها قاله المصنف في لطائف المتنقول الشيخ ما العارف الخ أي ليس العارف الكامل وهو الراسخ المتمكن وأما السائر فيحتاج إلى الإشارة وتوجد الحق أقرب إليه من الإشارة أو معناه هي إعادة له وقته كالعبارة للتوحيين وسياق العبارة قرين لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل وقول من إذا أشار أي أشير له وقوله بل العارف من لا إشارة له أي لا يحتاج إليها نفسه وقد يشير لأجل غيره كما تقدم وإنما استغنى عن الإشارة لأن الإشارة والعبارة قوت الجائع وهو قد شبع واستغنى (أو تقول) لأن الإشارة تقتضي اليقونة والفرق وهو مجرّع وفرقه ولذلك قال الشيخ أبو يزيد رضي الله عنه أبعد من الله أكثرهم إشارة إليه (وقال) ابن العريف في محاسن الإشارة نداء على رأس البعد وبرح بعين العلة أي تصرّح بعين علة وهو بعده وقاله الروذبادي الإشارة الابانة عما يتضمنه الوجد من المشار إليه وفي الحقيقة الإشارة بصاحبها العلل والعلل بعيدة من الخاتق وقال الشيلي رضي الله عنه كل إشارة أشار بها

الموى شرب عين اتسليم صافية ومن مزج محبة اليوم بمحبة الموى شرب مع العوام من السليل ولا حظوة له عند الملك الجليل

(قال) أبو طالب المكي رضي الله عنه وأضر ما ابتلي به العبد في دينه وأشد ما يحبه ضعف يقينه لما وعد الغيب أو ترعد عليه قال وقوة اليقين أصل كل عمل صالح (وقد) أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مجاهدة الفوس وتصفيها بقوله عليه الصلاة والسلام المسلم من سل المسلمين من لسانه وبهده والمؤمن من آمنه الناس على دعاتهم وأموالهم والمهاجر من هاجر ماله إلى الله عنه والمجاهد من جاهد نفسه وهواه وقال أيضا عليه السلام ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وفي معناه قيل :

ليس الشجاع الذي يحمي في رسته يوم الزحام ونار الحرب تشتعل
لكن من غض طرفاً أو ثني قدما عن المحارم ذاك الفارس البطل

وفي الخبر جت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر يعني جهاد النفس (قال) الشيخ أبو العباس رضي الله عنه

والبينونة بدليل قوله حتى يشيروا إلى الحق بالحق وإنما نقي الطريق إلى ذلك لاستفتاء الحق عن الإشارة والمشير والله تعالى أعلم ويحتمل أن يريد بالإشارة إشارة القلب أو الفكرة إلى الوجود فإن القلب إذا أشار إلى الكون بأسره فني وتلاشي ووجد الحق أقرب إليه إشارته لكونه كان فانياً قبل إشارته وهذا حال السائرين

(وأما) الواصل فلا يحتاج إلى إشارة لكونه قد تحقق فثاته وانطوى وجوده في وجود محبوبه فلم يحتاج إلى إشارة لتفكير حاله وتحقق مقامه والله تعالى أعلم (وسئل أبو سعيد بن الأعرابي عن الفناء قال هو أن تبدو العظمة والإجلال على العبد فتنسبه الدنيا والآخرة والأحوال والدرجات والمقامات والأذكار فتفيه عن كل شيء وعن عقله وعن نفسه وفثاته عن الأشياء وعن فثاته عن الفناء لأنه يفرق في التعظيم اهـ) ولما كان المطلوب من العبد القيام بوظائف العبودية ومعرفة عظمة الربوبية تشوقت القلوب إلى نيلها وطعموا في إدراكها ورجوا بلوغ أمالهم فيها فبين الشيخ علامة الرجاء الصادق من الكاذب فقال (الرجاء ما قارنه عمل وإلا فهو أمنية) قال بعض العلماء الرجاء تعلق القلب بمطموح يحصل في المستقبل مع الأخذ في العمل المحصل له وأقرب منه طمع يصحبه عمل في سبب المطموح فيه لاجل تحصيله اهـ والأمنية اشتباه وتحي لا يصحبه عمل فإن كان مع الحكم والجزم فهو تدير وهو أتم قبحاً قاله الشيخ زروق.

(قلت) فمن رجا أن يدرك النعيم الحسي كالغصور والخور فعليه الجلد والطاعة والمسارة إلى نوازل الخيرات وإلا كان رجاءه حمقاً وغروراً وقد قال معروف الكرخي رضي الله عنه طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وارتجاء الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء رحمة من لا يطاع جهل وحق وقيل من زعم أن الرجاء مع الإصرار صحيح فكذلك فليزعم أن الريح مع الفقر وقد النار من البحر صحيح ومن كان رجاءه تحقيق العلوم وفتح مخازن العلوم فعليه بالمداينة والمطالعة ومجالسة أهل العلم المحققين العاملين مع علميته بالتقوى والورع قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فإن فعل هذا كان طالباً صادقاً وإلى ما رجا واصلاً وإلا كان باطلاً وبقي جاهلاً وقد قال بعض المحققين من أعطى كليتة في العلم أخذ كليتة ومن لم يعط كليتة لم يأخذ بعضها ولا كليتة (وفي الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم من يطلب الخير يؤته ومن يتق الشر يوقه اهـ والذي تفيدته التقوى إنما هو فهم يوافي الأصل ويشرح الصدور ويوسع المعقول ومن كان رجاءه الوصول إلى إدراك المقامات وتحقيق النزلات ومواجيد المحين وأذواق العارفين فعليه بصحبة الفحول من الرجال أهل السرو والجمال يحيط رأسه وذيب نفسه والأخذ فيما كفوه به من الأعمال مع الذل والافتقار الخضوع والانكسار فإن زعم أنه لم يجدم قلبه صدق في الطب فسر الله كله صدق الطالب وليستغرق أوقاته في ذكر الله وليلتزم

في شأن النفس هي التي لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها (و) في الحكم لو كنت لا تصل إليه إلا بعد محو مساوئك وترك دعاويك لانتصل إليه أبداً ولكن إذا أردت أن يوصلك اليعطى وصفك يوصفك بصفه فعدك بصفه فوالك بما منه إليك لا بامتنك إليه ثم أشار لاختلاف الفرق في المجاهدة فقال :

والقوم في هذا على فرقتين وحكمم فيه على ضربين
فرقة طريتهم مبنية على العقائد وحسن التيه
قالوا فإن النفس كالمرآت ينطبع الماضي بها والآت
وإنما يعونها أشياء ترك المحاذاة أو الصدا
قالوا وإن العين قد تتور وإنما يخرجها الخفير

قلت أشار إلى الناس في الوصول إلى الله على فرقتين الفرقة الأولى نظروا إلى أصل الروح وما كانت عليه من الصفا (١٦ - بإقطاء أول)

الصمت والعزلة وليحسن ظنه بالله وبعباد الله فإن الله يقبض له من يأخذ بيده ، إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم (قال) في القواعد قاعدة طلب الشيء من وجهه وتصده أقرب لتحصيله وقد ثبت أن حقائق علوم الصوفية منح إلهية ومواهب اختصاصية لا تنال بمعاد الطلب فزوم مراعاة وجه ذلك وهو ثلاث :

(أولاً) العمل بما علم قدر الاستطاعة

(والثاني) اللجوء إلى الله على قدر الحاجة .

(الثالث) إطلاق النظر في المعاني حال الرجوع لأصل السنة فيجري الفهم ويتقن الخطأ ويتيسر الفتح وقد أشار الجنيد رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله ما أخذنا التصوف عن التيل والتمال والمراء والجدال إنما أخذناه عن الجوع والسرور وملازمة الأعمال أو كما قال (وفي الخير) عنه عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم وقال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جاءت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف العلوم من غير أن يؤدي إليها عالم علماً أه فزرجا أن يدرك هذه الأمور المتقدمة وشرع في أسبابها وتحصيل مبادئها كان علامة على نجاح مطلبه وكان رجاءه صادراً ومن طمع فيها من غير أن يأخذ بالجد في أسباب تحصيلها كان أمنية أي غرورا وحمقاً وكان الحسن رضي الله عنه يقول يا عباد الله اتقوا هذه الأمانى فإنها أودية النوك يحلون فيها فوائده ما أتى عبداً بأمنية خيراً في الدنيا والآخرة اه والنوك بفتح النون جمع أنوك وهو الاحمق .

(ولما) كان من رجاء شيئاً وطمع فيه الغالب أنه يطليه بين الشيخ خير ما يطلبه العبد ويرجوه فقال (مطلب العارفين من الله الصدق في العبودية والقيام بالحقوق الربوبية) قلت أطلب مصدر بمعنى المفعول أو اسم مكان أي مطلوب العارفين ومقصودهم أو عمل قصدم وعمل نفظم إنما هو تحقق الصدق في العبودية بحيث لا يبقى فيهم بقية إذ الملكاب عبد ما بقي عليه درهم فما دام العبد مسجوناً بمحيطاته محصوراً في هيكل ذاته لا تنفك عنه الحظوظ أما دنيرية أو أخرى فلا تتحقق عبوديته وفيه عبودية لحظوظ ظهوره اه فلا يكون صادراً في عبوديته وهو ملوك لحظ نفسه فاذا قال أنا عبد الله نازعته حظوظه وهواه فلا تتحقق عبوديته حتى يتحرر من رقي الأكوان ويتحقق بمقام الأحرار من أهل العرفان فيرتد يكون سالماً لله حراً بما سواه قال الله تعالى ضرب الله مثلا رجلاً فيه شركاء متشاكسون أي متخاصمون ورجلاً سداً لرجل يستر بان مثلاً أي لا يستويان أبداً إذ العبد الخالص لسيد واحد يكون أحظى وأعز وأقرب من العبد المشترك وكذلك العبد الخالص لله أحظى بمحبة مولاه .

والجلاء كالمرآة الصقيلة ينطبع فيها كل ما يقابلها من الماضي والآتي لكن لما اتصلت بهذا البدن انطبع فيها صور الأكوان وغيش الحس فحجبت عن أصلها قائم عاقها عن أصلها أمران أحدهما ترك المحاذاة أي القرب والاتصال بالحضرة باشتغالها بالغفلة يعني أن الروح لما تركت القرب إلى الله ولم تصرف وجهها بالكلية إليه تدنست وحجبت عن أصلها فلو اشتغلت بذكر الله على الدوام وفيت عن غيره على التمام لانصقلت مرآتها ونجست فيها حقائق الأشياء ماضية وآتية (وفي الحديث) أن القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد وإن الإيمان يخلق أي يبلى كما يخلق الثوب الجديد (وفي حديث) آخر لكل شيء مصفلة ومصفلة القلوب ذكر الله وهذا الذكر الذي يصفل القلوب لا بد أن يكون ذكراً واحداً بقلب واحد وهم إلا فلا يجدى شيئاً (الأمر الثاني) الذي يعوق الروح عن أصلها الصفاء الذي ينطبع فيها وهي صور الأكوان التي تنطبع في القلب حزن يملأها اعتقاداً أو استناداً أو اهتماماً (وفي) الحكم كيف بشرق قلب صور الأكوان منطبقة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهوته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يظهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم

(وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تمس أى غلب وخسر عبد الدينار والدرهم والخمصة إذا أعطى رضى وإذا لم يسطم تس تس وانكسر وإذا شيك فلا انتش أى إذا أصابته شركة فاته لا يخرجها منه بالنش عليها وهو دعاء على من حظه هواه بالتكيس وعدم الخروج مما يقع فيه وقال أبو سليمان الداراني رضى الله عنه شتان بين من همه الحور والقصور وبين من همه الحضر ورفع السوراه ولاجل هذا كان مطلب العارفين إنما هو التحق بالعبودية لمولاهم بالتحضر من رق هوام والقيام بوظائف الربوبية بالأدب والتعظيم والجلال لمولاهم وهم استلازمان فهم اتحق الصدق في العبودية الاحصل القيام بوظائف الربوبية فان النفس إذا ماتت بترك حظوظها حيث الروح وإذا حيت الروح عرفت وإذا عرفت أذعنت وخضعت لهية الجلال وهذا هو القيام بحق الربوبية وهو مراد العارفين ومقصود الساترين ومخط نظر التاصدين والطلالين قبل بعضهم ما مراد العارف قال مراد معروفة أى لا يريد الا ما أراد سيده ولا يتنى الا بما قضيه مولاه (وقيل) لبعضهم ما تشتهى قال ما يقضى الله فهذا يتحقق العارف فذاؤه ويتحقق فثاته بذاؤه وأنشدوا

لو قيل ما تمنى والعبد يعطى مناه لقلت منية قلبى فى بقاءه

أى بقاءه مع مولاه والله تعالى أعلم فاذا طلب العبد من مولاه ما هو طالبه منه من استقامة ظاهره بالتهوض إلى كمال الطاعات والحزن على ماسلف من الغفلات واستقامة باطنه بمعرفته معبوده والفتاء في شهوده فيكون ظاهره قائماً بوظائف العبودية وباطنه متحقاً بحقوق الربوبية ثم إذا أحس باجابه المطلب وحصول المني والمرغب فرح قلبه وأنبسطت روحه حيث شئت نسيم الأقبال وروح الوصال فرمما يقبضها البسط عن شهود مولاه فيخرجها منه إلى القبض ثم يرحلها عنهما اليكما أشار الشيخ إلى ذلك بقوله (بسطك كى لا يقيقك مع القبض وقضك كى لا يتركك مع البسط وأخرجك عنهما كى لا تكون لشيء دونه) قلت البسط فرح يعتري القلوب أو الأرواح إما بسبب قرب شهود الحبيب أو شهود جماله أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله وتجلي ذاته لهم بغير سبب والقبض حزن وضيق يعتري القلب إما بسبب فوات مرغوب أو عدم حصول مطلوب أو بغير سبب وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار فالعوام إذا غلب عليهم الخوف انقبضوا وإذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا والخواص إذا تجلى لهم بوصف الجمال انبسطوا وإذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا وخواص الخواص استوى عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم وأردات الأحوال لأنهم بالله وقته لا شيء سواه فالأولون ملكتهم

دقائق الأسرار وهو لم ينب من هفواته (وقال) بعض الحكماء لا تطمع أن تصفو وبك عيب ولا تطمع أن تنجو وعليك ذنب (وقالوا) أيضاً أن الشر الذى منا كان فى النفوس هو كإم العيون إذا غفلت عن تحميلها وتجربتها غلر وتغفل بالتراب فلا يخرجها إلا الحفير عليه بالفؤس كذلك سر الحقيقة كن ظاهراً فى الأرواح حين كانت طاهرة من دنس الحس أرايت يوم الميثاق كما عرفت الحق وأقرت به فلما اتصلت به ذال انقلاب الحس الكثيف وتراكت عليها ظلمة الغفلات والشهوات والعوائد وألفت هذا العالم الحسى وركنت إليه حجبت عن ذلك السر فلا يخرجها إلا الحزير عليه بفؤس المجاهدة والرياسة وانجماع القلب بالله والمؤانسة به ذكر أو فكرة أو نظرة والاغار السرو غاب وذهب كالسراب (قيل) للجنيذ كيف الطريق إلى الحقيقة قال بتوبة تزيل الاصرار وخوف يقطع التسويف ورجاء يبعث على مسالك العمل وإهانة بقرها من الاجل وبعدها من الأمل فقيل له بماذا يصل إلى هنا فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد ثم بين كيفية العلاج فى ردها إلى أصلها فقال

واجمعوا أن علاج الأصل أقرب للبئر معار والنيل

الأحوال وخواص الخواص ما لكون الأحوال فن لطفه بك أهما السالك آخر جك من الاغيار ودفعك إلى حضرة الأسرار فإذا أخذك القبض وتمكن منك الخوف وسكنت تحت قهره وأنست بأمره أخر جك إلى البسط لتلا محرق قلبك ويذوب جسمك فإذا حبسك البسط وفرحت به وأنست بجماله قبضك لتلا يتركك مع البسط قنسى الأدب وتجر إلى العطب إذ لا يقف مع الأدب في البسط إلا القليل هكذا يسيرك بين شهود جلاله وجماله فإذا شهدت أثر وصف الجلال انقضت وإذا شهدت أثر وصف الجمال انبسطت ثم يفتح لك الباب ويرفع بينك الحجاب فتزده في كمال الذات وشهود الصفات فتغيب عن أثر الجلال والجمال بشهود الكبير المتعال فلا جلاله يحجبك عن جماله ولا جماله يحجبك عن جلاله ولا ذاته تحبسك عن صفاته ولا صفاته تحبسك عن ذاته تشهد جماله في جلاله وجماله في صفاته وصفاته في ذاته أخر جك عن شهود أثر الجلال والجمال لتكون عبده في كل حال أخر جك عن شيء لتكون حرا من كل شيء وعبدا له في كل شيء وأنشدوا :

حرام على من وحده الله ربه وأفرده أن يحتذى أحدا رفا
فيا صاحبي قف على الحق وقفة أموت بها وجدا وأحياها وجدا
وقل للملوك الأرض تجهد جهدها فذا الملك ملك لا يباح ولا يهدا

قال فارس رضى الله عنه القبض أولا ثم البسط ثانيا ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط لمان في الوجود وأما مع الفناء والبقاء فلا واعلم أن القبض والبسط لما آداب فإذا أساء فيهما الأدب طرد إلى الباب أو إلى سياسة الدواب فن آداب القبض الطمانينة والوقار والسكون تحت مجرى الأقدار والرجوع إلى الواحد القهار فان القبض شبه الليل والبسط شبه النهار ومن شأن الليل الرقاد والهدو والسكون والخفو فاصبر أيها المريد واسكن تحت ظلة ليل القبض حتى تشرق عليك شمس نهار البسط إذ لا بد ليل من تعاقب النهار ولا بد للنهار من تعاقب الليل (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل هذا آداب القبض الذي لا تعرف له سيا (وأما) ان عرفت له سيا فارجع فيه إلى مسبب الأسباب ولذا بجانب الكريم الوهاب فبل عودك إلا حسنا وهل أسدى إليك إلا متا فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك لحسن الاختيار فالذى أنزل الداء هو الذى يده الشفاء يا مهموم بنفسه لو ألتيتها إلى الله لا سترحت فأتجده القلوب من الأحران

فا إليه أبدا نشير هو علاج النفس وانظروا

* قلت العلاج محاولة الداء بالدواء لتذهب العلة ولا ينبج في الغالب إلا بعد معرفة العلة وسببها والمراد بالأصل هو علاج الروح والنيل هو التحصيل (يقول) رضى الله عنه أجمع الصوفية أن علاج الروح ونيل شفاها من مرضها أقرب من علاج البدن وشفاؤه إذا تمكن منه الداء قلت وهو كذلك بلا شك فلهذا رأيت كثيرا من المرضى أعين مرض البشرية يدفع أمورا عريضة ويحتى أزمنة طويلة ولا تنقطع علمه لقد رأيت كثيرا ممن كان مريض الروح بالمعاصي والذنوب والشكوك والحوادث حين ألقاه الله إلى الطبيب شناه الله في أقرب مدة وأقل حمية (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وأصل كل داء جسماني إنما هو فساد المزاج إلى أن يصير قلبه وانعزاله على غير المجرى الطامعي وأصل كل داء قلبي إنما هو فساد القصد الذى عنوانه الرضى عن النفس حتى يهمل فعلها وانعزالها على غير المجرى الشرعى والتحقيق بل على وفق الهوى والأوهام الباطلة التى شأنها ضعف اليقين ورقة الديانة وقصيل ذلك يطرد وسيأتى منه إن شاء الله تعالى في باب التزينة (و) قوله فا

فلأجل مامنته من الشهود والعيان والحاصل أن سبب القبض إنما هو النظر للسوى والنفلة عن المولى وأما أهل الصفا: فلا يشهدون إلا الصفا ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول من أصابه هم أو غم فليقل (الله الله لا أشرك به شيئاً) فإن الله يذهب همه وغمه أو كما قال عليه السلام والحديث صحيح فانظر كيف دل عليه الصلاة والسلام للمقبوض إلى الدواء وهو شهود التوحيد والنجية عن الشرك فدلنا صلى الله عليه وسلم على القول والمراد منه المن فكأنه قال اعرفوا الله ووجدوه ينقلب قبضكم بسطاً وتفتحكم نعمته وكذلك في حديث آخر قال ما قال أحد اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عنك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور بصري وجلاء حزني وذهاب همي إلا أذهب الله همه وغمه وأبدل مكان همه فرحاً وسروراً فدلهم أولاً فى الحديث الأول على شهود الربوبية وفى الحديث الثانى على القيام بوظائف العبودية وهو الصبر والرضى إذ من شأن العبد أن يصبر على أحكام سيده ويسلم ويرضى لما يجر به عليه من أوصاف قهره (ومن) آداب البسط كف الجوارح عن الطغيان وخصوصاً جراحة اللسان فإن النفس إذا فرحت بطرت وخفت ونشطت فربما تنطق بكلمة لا تأتى لها إلا فسق فى مابوى القطيعة بسبب سوء أدها ولذلك كان يبسط مزلة أقدام فإذا أحس المرید بالبسط فليجزم نفسه بلجام الصمت وليحتل بلمية السكينة والوقار وليدخل خلوته وليلتزم بيته فقل الفقير فى حالة البسط والقوة كقدر غلى وقار فإن تركه بجلى إهراق إدامه وبقى شاحاً وإن كفه وأحمد ناره بقى إدامه تماماً كذلك الفقير فى حالة القوة والبسط يكون نوره قوياً وقلبه مجموعاً فإذا تحرك وبطش وتبع قوته يرد ورجع لضعفه وما ذلك إلا لسوء أده وافتقار تعالى أعلم ولأجل هذا كان الماروفون يخفون من البسط أكثر من القبض كما أنه عليه بقوله (الماروفون إذا بسطوا أخوف منهم إذا قبضوا) قلت كل من فتح عليه فى شهود المعاني فهو عارف فإن تمكن من شهود المعنى على الدوام فهو واصل متمكن وإلا فهو سائر وإنما كان العارف إذا انبسط أخوف منه إذا انقبض لأن القبض من شأنه أن يقبض النفس عن حظوظها ومن شأنه أيضاً السكون والسكون كله أدب ومن شأن البسط أن يبسط النفس وينشطها فربما تطش لما فيه حظها فتزل قدم بعد ثبوتها بسبب قلة آدابها ولذلك قال (ولا يقف على حدود الأدب فى البسط إلا قليل) قلت وهم أهل الطمانينة والتمكين لأنهم كالجبال الرواسى لا يجرهم قبض ولا بسط فهم ما لكون الأحوال لا يغيرهم القبض

إليه أبداً نشير هر تصريح ببلاج الأصل المتقدم يعنى أن العلاج الذى نشير اليه علاج هو النفس من غفلاتها وشكوكها وخوارطها واهتمامها بالرزق وأمر الخلق وتديريها واختيارها وإنكارها وجهلها وسوء أدها فإذا برئت من هذه الأمراض وتطهرت من هذه الأخلاق صلحت للحضرة وتمتع بالنظرة فى سرور ونفصرة ثم ذكر استمرار هذه الطريقة إلى انقراض الدين فقال

وهذه طريقة الاشراق كانت وتبقى ما الوجود باقى

قلت ذكر أن هذه الطريقة التى ذكرها فى هذه الآيات تسمى طريق الاشراق وتسمى أيضاً طريق الجلاء والتصفية لأنها مبنية على تصفية القلوب والسرائر وتخليتها من الرذائل وتخليتها بانفضالها فإذا تخلت من الأغيار والأكدار أشرقت عليها شمس المعارف والاسرار فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والاسرار ثم ذكر أن هذه الطريقة لا تنقطع مادام لوجود باقياً لقوله عليه السلام لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون والتحقيق أن هذه الطائفة هى مؤلفة من المارفين بالله والعلماء العاملين الناصحين والمجاهدين فى سبيل رب العالمين فلا تخلو الأرض من قائم

ولا البسط عن حالة الاعتدال بخلاف السائر وإن كانوا عارفين قائمهم ربما تؤثر فيهم الواردات فردد عليهم وارد البسط فيخرجهم عن حد الأدب وقد قيل قف على البساط وإياك والانبساط وقال رجل لأبي محمد الحريري رضي الله عنه كنت على بساط الأنس وفتح على طريق البساط فزلت زلة فحجبت عن مقامي فكيف السيل اليه دلني على الوصول إلى ما كنت عليه فيكي أبو محمد وقال يا أخي الشكل في قهر هذه الخطيئة لكنني أشهد أحياناً لبعضهم وأشهد بقول :

قف بالديار فهذه آثارهم تبكي الأجيال حسرة وتشوقاً
كم قد وقعت برسمها مستخيراً عن أهلها أو سائلاً أو مشفقاً
فأجابني داعي الهوى في رسمها فارقت من تهوى فخر الملتقا

ثم علل عدم الوقوف على حدود الأدب في البسط فقال (البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح ، والقبض لاحظ للنفس فيه) قلت لأن البسط جمال والقبض جلال ومن شأن الجمال أن يأتي بكل جمال وأين هو الجمال ثم هو عين الجلال أين هو حبيك ثم هو عدوك أين الريح ثم هو الحسنة ومعنى ذلك أن الموضوع الذي يلائم النفس ويليق بها ثم هو خسارة القلب وحجاب الروح لأن الموضوع الذي تعجب به النفس يميت فيه القلب والموضوع الذي تموت فيه النفس يحيي به القلب والروح ولذلك قال ابن الفارض رضي الله عنه

الموت فيه حياتي وفي حياتي قتل

وقال الششتري رضي الله عنه

إن ترد وصلنا فونك شرط لا ينال الوصال من فيه فضله

وكتب يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله إلى الجنيد رضي الله عنه لا أذاقك الله طعم نفسك فإنك إن ذقتها لا تنق بعد ما خيراً أبداً اه وقال أبو علي الدقاق رضي الله عنه القبض حق الحق منك والبسط حقا منه ولأن تكون بحق ربك أولى من أن تكون بحظ نفسك اه وهذا كله في حق السائرين وأما الواصولون المتكئون فلا يؤثر فيهم جلال ولا جمال ولا يحركهم قبض ولا بسط كما تقدم لأنهم باقون لله ومن الله وإلى الله باقون تصرفهم وقه عبوديتهم ومن الله ورودهم وإلى الله صدورهم لأنهم لله لا شيء دونه قال الجنيد رضي الله عنه الخوف يقبضني والرجاء يبسطني والحقيقة تجمعني والحق

بمحبة الله ظاهرة وباطنة (قال) الشيخ زروق رضي الله عنه في قوله كانت وتبقى يعني أنها لا ترفع أبداً لكنها تارة تجرى باصطلاح الخلووات والزريات ونحوها وتارة بمحفظ الأصول فقط وتارة بمحفظ الحرمة وتارة بملو الهمة وقوة الحزم والعزم وتارة بمجرد اللق والالتقاء وهذه الأمور لا تزول أبد الأبدن غير أن الاصطلاح قد انقضى في هذه الأزمنة وارتفع اتاجه حسبما دلت عليه العلامات ويشهد به الاستقراء (قال) بعض مشايخنا رضي الله عنه ارتفعت التربة بالاصطلاح في ستة أربع وعشرين وثمانمائة ولم تبق إلا الإفادة بالهمة والحال فليكن بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان يعني الجادة مع التزام الصدق وبالله التوفيق (قلت) وبعض مشايخنا الذي ذكر هو الحضري (وفيا) قاله نظر من وجهين أحدهما أن الاستقراء الذي ذكره متعذر في جميع أقطار الأرض وشيخ التربة الغالب عليهم أخفاء لأنهم كنوز لا يظفر بهم إلا من أسعده الله (والثاني) أن دائرة الأولياء الله لا تنقطع أبداً من أقطاب وأبدال وأوتاد حسبما ذكره غير واحد بلوغه إلى مقام القطبانية لا يكون من غير تربة أبداً (فان) قلت، يكفي فيه الهمة والحال قلنا لا نسلم ذلك لأن تربة الهمة والحال دون

يفرقني إذا قبضني بالخوف أفأنا عني وإذا بسطني بالرجاء ردى على وإذا أجمعت بالحقيقة أحضرتني وإذا فرقتي بالحق أشهدني غيري ففطاني عنه في كل ذلك محرك غير مسكني وموحشي غير مؤنس بمحضورى لنوق طعم وجودي فليته أفأنا عني فتنى أو غيبن عني فروحنى اه قوله رضى الله عنه الخوف يقبضني لأن البعد في حالة الخوف يشهد ممانته إلى اقمن الالهاده فتفتح له باب الحزن وفى حالة الرجاء يشهد مامن الله إليه من الإحسان فيفتح له باب الرجاء والبسط وقوله والحقيقة تجمعى أن تغني عن نفسى وتجمعى به فلا تشهد إلا مامن الله إلى الله فلا قبض ولا بسط وقوله والحق يفرقتي المراد بالحق الحقوق اللازمة للعبودية فلا ينهض إليها إلا بشهود نوع من الفرق وإن كان نهوضه بالله وقوله إذا قبضني بالخوف أفأنا عني أى إذا تجلى لى باسمه الجليل ذاب جسمى من هبة المنجلى وإذا بسطنى بالرجاء بان تجلى لى باسمه الخليل أو الرحيم رد نفسى ووجودى على وإذا جمنى إليه بشهود الحقيقة أحضرتني معه بزوال وهمى وإذا فرقتي بالحق الذى أوجه على للقيام بوظائف حكته أشهدني غيرى حتى يظهر الادب منى معه وقد بقوى الشهود فلا يشهد الادب إلا ممانته إليه (وقوله) ففطاني عنه لأن البعد في حالة النزول إلى سماء الحقوق أو أرض المخطوط قد يرجع لمقام المراقبة لكنه غير لازم وسيأتى للؤلؤ بل نزولاً في ذلك بالله ومن الله وإلى الله فعلى هذا لانتطية للبعد في حالة النزول للحق أصلاً :

(وتوله) فهو في كل ذلك محرك غير مسكني يعنى أن الحق تعالى حين يقبضه بالخوف أو يبسطه بالرجاء أو يجمعه بالحقيقة أو يفرقه بالحق هو محرك له ليسيره اليه ويوحشه اليه غير مسكن له في مقام واحد وموحشه عن عالم نفسه غير مؤنس له بها بسبب حضوره مع عوالم البشرية فينوق طعم وجودها فإذا غيبه عنه عرف قدر مامن به عليه ولذلك قال فليته أفأنا عني أى عن رؤية وجودى فتنى بشهوده أو غيبن عني حتى فيروحنى من الحقوق التى تفرقتي عنه باسقاطها عني في حالة الغيبة وكأنه مال الى طلب السلامة خوفاً من الوقوع فيما يجب الملامة وإن كان الكمال هو الجمع بين العبودية وشهود الربوبية والله تعالى أعلم

ثم ذكر أسباب القبض والبسط وهو العطاء والمنع في الغالب فقال (ربما أعطاك فتعك وربما منعتك فأعطاك) قلت على النفس الأمانة والوراثة أن تنبسط بالعطاء وتنقبض بالمنع لأن في العطاء تمتعها وشهوها فلا جرم أنها تنبسط بذلك وفي المنع قطع موادها وترك حظوظها ولا شك أنها تنقبض بذلك وذلك لجليلها يربها وعدم فهمها فلو فهمت عن الله لعلمت أن المنع عين العطاء والعطاء عين المنع كما يأتى فانهم أبها الفقير عن مولاك ولا تنهم فيباه ولا كفر بما أعطاك ما تشبهه النفوس فتعك

اصطلاح انتقال لا يترقى صاحبها من مقام إلى مقام ولا من حال إلى حال فلا يخرج من السلوك إلى الفناء ولا من الفناء إلى البقاء إلا بتربية المقال وهى الاصطلاح وإن أراد بالاصطلاح الخلوة وترتيب الاوراد فلا تسلم أيضاً أنه لا ينقطع إذ من بلغ إلى درجة التربية يربى كيف شاء فمن تصلح به الخلوة يرباه بها ومن تصلح به الخلطة يرباه بها فتشيخ التربية لا ينقطع أبداً تربية الهمة والحال والمقال والاصطلاح وإذا كان الحضرى تكلم على ما ظهر له في زمانه فلا يلزم عموم فهمها بعده قال الله تعالى ويخلق ما لا تعلمون (وقال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه في قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (قال) ما نذهب بولى نأت بخير منه أو مثله وكلامه عام في زمان وعصر وقال عليه السلام أمتى كالطير لا يدرى أوله خير أم آخره وقال خير أمتى أولها وآخرها وفيها بينهما الكدور وفي حديث آخر قال عليه السلام لأصحابها الكرام إذا لقيتم إخواني فأفروهم منى السلام قيل من إخوانك يارسول الله نحن إخوانك فقال أنتم أنصارى وأصحابى أخوان قوم بأنون من بعدى يؤمنون بى ولم يروا للعامل منهم أجر سبعين قالوا يارسول الله أجر سبعين منهم قالوا بل أجر سبعين منهم

بذلك حضرة القدوس وربما منك ما تشبه نفسك فيم بذلك حضور وأنتك ربما أعطاك مئة الدنيا وزهرتها فنك جمال الحضرة وبهجتها وربما منك زينة الدنيا وبهجتها فأعطاك شهود الحضرة ونظرتها ربما أعطاك قوت الاشباح فنك قوت الارواح وربما منك من قوت الاشباح فنك بقوت الارواح (ربما) أعطاك إقبال الخلق فنك من إقبال الحق وربما منك من إقبال الخلق فأعطاك الانس بالملك الحق (ربما) أعطاك العلوم وفتح لك مخازن القيوم فحجبك بذلك عن شهود المعلوم ومعرفة الحى القيوم وربما منك من كثرة العلوم وأعطاك الانس بالحى القيوم فأعطت بكل مجول ومعلوم (ربما) أعطاك عز الدنيا ومنك عز الآخرة وربما منك من عز الدنيا وأعطاك عز الآخرة (ربما) أعطاك التعزز بالخلق ومنك من التعزز بالحق وربما منك من التعزز بالخلق وأعطاك التعزز بالملك الحق (ربما) أعطاك خدمة الكون فنك من شهود المكون وربما منك من خدمة الكون وأعطاك شهود المكون (ربما) أعطاك العرف في الملك ومنك دخول الملكوت وربما منك من التصرف في الملك ومنك شهود الملكوت (ربما) أعطاك أنوار الملكوت ومنك الترقى إلى بحر الجبروت وربما حجب عك أنوار الملكوت فأعطاك الدخول إلى حضرة الجبروت (ربما) أعطاك القطبانية ومنك التفتح بشهود الفردانية وربما منك القطبانية ومنك بشهود سر الوجودية إلى غير ذلك مما لا يحصى إلا علم الغيوب قال ابن العربي الحاتمي رضى الله عنه إذا منعت فذلك عطاؤه وإذا أعطيت فذلك منه فآختر الترك على الأخذ اه وشاهده قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم الآية فإذا فهمت هذا علمت أن المنع هو العطاء كما بينه بقوله (نق فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع هو عين العطاء)

قلت إذا فهمت أها البعد عن الله بد تحمكت برحمته ورأته وكرمه وجرده ونفوذ قدرته وإحاطة علمه علمت أنك إذا سأله شيئاً وهمت بشئ أو احتجت إلى شئ فعلك منه قائماً منك ذلك رحمة ربك وإحساناً إليك إذ لم يمنعك من نخل ولا بجز ولا جهل ولا غفلة وإنما ذلك حسن نظر إليك وإتمام نعمته عليك لكونه أتم نظر وأحمد عاقبة فعمى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأتم لاتعلمين فربما دبرنا أمراً ظننا أنه لنا فكان علينا وربما أنت الفوائد من وجوه الشدائد والشدائد من وجوه الفوائد وربما كنت المنن في المحن والمحن في المنن وربما انتفضنا على أيدي الأعداء وأودبنا على أيدي الأحياء (وربما) أتى المسار من حيث المضار وقد أتى المضار من حيث المسار ولأب الحسن الشاذلى رضى الله عنه في حربه (اللهم) أما قد عجزنا عن دفع الضر عنا

قل لماذا يرسل الله قال أنكم وجدتم على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعواناً والحاصل أن نور النبوة في الزيادة لا في القصران وقد وجد بعد الحضرى وفي زمانه رجال اتفق الناس على تزيينهم كالغزوانى والسدى والمطى والمجنوب والشرقى (وسيدى يوسف) الفاسى وسيدى عبد الرحمن الفاسى وسيدى محمد بن عبد الله وغيرهم من لا تحصى فانكار كمال هؤلاء وتزيينهم مكابرة وخذلان والياد باقة من الطعن في أولياء الله وقد أدركنا والحمد لله في زماننا هذا رجالاً لا تتوفر فيهم شروط التزية على الكمال ذوو همة وحال مقال عارفين راسخين كاملين تخرج على أيديهم خلق كثير واتفع بهم جم غفير ولكن من كان خفافاً لا يستطيع أن يصير شماع النور ويرحم الله البوصيرى حيث قال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم المساء من سقم

(وقال آخر)

وكم غائب لى ولم ير وجهها فقال له الحرمان حبك ما فات

ثم ذكر الطريق الثانية فقال .

أنفسنا من حيث نعلم فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لانعلم بما لانعلم فحق فتح لك أيها المرشد باب الفهم عنه في المنع وعلت مافيه من الشر والخير وحسن النظر لك عاد المنع في حقه هو عين العلماء (ومثال ذلك) كصير رأى طعاما حسنا أو حلوا أو عسلا وفيه سم وأبوه علم بما فيه فكلما بطش الصبي لذلك الطعام رده أبوه فالصبي يبكي عليه لعدم علمه وأبوه يرده بالقهر لوجود علمه فلو عقل الصبي مافيه ما بطش اليه ولعلم نصيح أبيه وشدة رأفته ومثال آخر كر جل صنع طعاما جيدا وعمل فيه بصاقا ومخاطا أو قذرا وأق به لمن يعرفه فكل من رآه ولم يعرف مافيه بطشت نفسه اليه فلو علم مافيه ما بطشت نفسه فاذا نناه عنه من علم ما فيه اتهمه لعدم فهمه كذلك العبد يبطش للدنيا أو الرياسة أو غير ذلك بمافيه ضرره فيمنعه الحق تعالى من رفعة وشفقة عليه واعتناء به فاذا فهم عن الله سلم الأمر إلى مولاه ولم يتهمه فيها أبوه وقضاه وإذا لم يفهم عن الله تحسر وربما سخط فاذا انكشف له سر ذلك بعد علم ما كان في ذلك من الخير لكن قاتته درجة الصبر لقوله عليه السلام إنما الصبر عند الصدمة الأولى وانظر قضية الرجل الذي كان يسكن في البادية وكان من العارفين فاتفق له ذات يوم أن مات حماره وكلبه وديك فأتى اليه أهله فقالوا له حين مات الخمار مات حمارنا فقال خير ثم قالوا مات الكلب فقال خير ثم قالوا له مات الديك فقال خير فضرب أهل الدار وقالوا أي خير في هذا متاعنا ذهب ونحن نتظر فاتفق أن بعض العرب ضربوا على ذلك الحى في تلك الليلة فاحتاجوا أكل مافيه وكانوا يستملون على الخيام ينهق الخمار وينباح الكلاب وصراخ الديكة فأصبحت خيمته سالمة أذ لم يكن بقى من يفضضها فانظر كيف كان حسن نظر الحق لا ولياته وحسن تديره لهم وكيف فهم الرجل العارف مافى ذلك من السر في أول مرة فهذا هو الفهم عن الله رزقا الله من ذلك الحظ الاوفر آمين (قال) الشبلى الصوفية أطفال في حجر الحق تعالى اه يعنى انه يتولى حفظهم وتديرهم على مافيه صلاحهم ولا يكلمهم إلى أنفسهم والله تعالى أعلم وسبب عدم الفهم عن الله هو الوقوف مع ظواهر الأشياء دون النظر إلى بواطنها كما بان ذلك بقوله (الاكوان ظاهرة غرة وباطنها عبرة) قلت الغرة بكسر النون وقوع الغرور وإنما كانت الاكوان ظاهرة غرة لوجهين أحدهما ما جعل الله سبحانه على ظاهره حسما من البهجة وحسن المنظر ومانتهية النفوس من أنواع الماء كل والمشارب والملابس والمراكب وشهوة التامع والمسكن والبساتين والرياضات وكثرة الأموال والبنين وكثرة الاصحاب والشارب والاجناد والساكر وغير ذلك من بهجتها وزهرتها وزخرفها فانك جب الناس على الإشتغال بجمعها وتخصيلها والجري

وفرة قالت بأن العلماء من غلج بالاكتساب احما
وشرطوا العلوم في اصطلاحه إذ لا غنى للباب عن مفتاحه
فليس للطامع فيه مطمع ما لم تكن فيه علوم أربع
وهى علوم الذات والصفات والفقه والحديث والحالات
وهذه طريقة البرهان وهى لكل حازم بقطان

(قلت) حاصل هذه الطريقة إنها شرطت اصلاح الظاهر أولا وعلاجه قبل علاج الباطن فقالت ان اكتساب العلم من غلج أسهى أمر أرفع وأعظم لأنه دواء وشفاء للعلل الظاهرة لقوله عليه السلام العلم امام والعمل تابعه وأول الحديث (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلوا العلم فإن تعلمه خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث فيه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهل القرية لأنتم مال الحلال والحرام ومنارسيل أهل الجنة وهو الانيس في الوحشة والصاحب في (١٧ - لقاط أول)

عليها الليل والنهار والشهور والأعوام حتى هم عليهم هادم الذات فأعقبهم النعم والحسرات ولم ينفع الندم وقد جف القلم سافروا بلا زاد، وقسموا على الملك بلا تأهب ولا استعداد؛ فاستوجبوا من الله الطرد والبعاد ولأجل هذا حذر الله سبحانه وتعالى من غرورها وزخرفها والوقوف مع ظاهرها قال تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والآية ثم قال قل أنبئكم بخير من ذلكم الذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد وقال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا أي لتختبرهم أيهم أزهديها وقال تعالى لئنيتي صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي أصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه .

(وسئل) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها واهتموا بأجل الدنيا حين اهتم الناس بما جعلها فأماتوا منها ما خشوا أن يمتتهم وتركوا منها ما علموا أن سياترهم فما عارضهم من نائلها عارض لا يرفضوه ولا عاودهم من رفعتها خادع إلا وضعوه خلق الله الدنيا في قلوبهم فلم يمددوها وخربت بفيانهم فما يعمرونها وماتت في صدورهم فأيحونها بل يهدونها فينون بها آخرتهم ويبعونها ليشتروا بها ما يبق لهم ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت بهم المثلثات فيأروا أمانا دون ما يرجون ولا خوفادون ما يجدون اه وقال على كرم الله وجهه فيما كتبه إلى سليمان الفارسي رضى الله عنه إنما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها قاتل سمها فأعرض عنها وعمى يسجك منها لقلته ما يصجك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسرها تكون فيها أحذرها تكون منها فإن صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخص منها إلى مكروه اه فقد جعل الحق سبحانه هذه الأكوان وهى الدنيا وما اشتملت عليه ظاهرها قتة وباطنها عبرة فمن وقف مع ظاهرها كان مغرورا ومن نفذ إلى باطنها كان عندا مقبرة رواه فاعل النغلة والبطالة وقصوا مع متعة عاجلها وبهجة ظاهرها ففرتهم بزخرفها وخدعتهم بفروها حتى أخذتهم بقتة وأهل البقطة والحزم نفذوا إلى باطنها ففروا سرعة ذهابها وقلة بقائها فاشتغلوا بجمع الزاد تأهبوا اليوم للمعاد أولئك الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكان السلف الصالح إذا أقبلت الدنيا قالوا ذنب عجلت عقوبتي وإذا أقبل الفقر قالوا امرحبا شعمار الصالحين (الوجه) الثانى إنما جعل الله الأكوان ظاهرها غرة تغطيه لسهرة وإظهار الحكمة وذلك أن الحق سبحانه لما جعل في مظاهر خلقه غلى سره بظهور حكمته (أو قول) الأكوان ظاهرها غللة وباطنها نور فمن وقف مع الظلة كان محجوبا

الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخطاء ويرفع الله به أرواما فيجعلهم في الخيرة قادة وأئمة تقص آثارهم ويقصد بأضالهم وينتهى إلى رأيهم ترغب الملائكة في خلقتهم وبأجنحتهم تسبحهم يستغفر لهم كل رطيب ويابس وحيثان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب ومن الجهل ومصابيح الأبصار من الظلم يبلغ العبد بالعلم منازل الأخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة والتفكير فيه بعد الصيام ومدارسته تعدل القيام به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء اه ذكره المذنبى (فشرطت) هذه الفرة الثانية تحصيل العلم الظاهر لأنه مفتاح العلم الباطن لأن الشريعة باب والحقيقة بيت ولا مدخل للبيت إلا من بابه قال تعالى وأمر البيوت من أبوابها فمن الشريعة مفتاح لعم الحقيقة ومن أنى الباب بلا مفتاح لا يطمع في دخوله فلا يطمع أحد في علم الحقيقة والإطلاع على السر إلا بعد تحصيل أربعة علوم علم الذات العالية ويكفيه أن يعتقدها إنها موجودتة بقية منزهة عن النقائص متصفة بصفات الكالات (وعلم) الصفات ويكفيه أن يعتقد أن الذات العالية متصفة بالقدر

ومن نفذ إلى شهود النور كان عارفاً محبوباً (أو تقول) الأكران ظاهرها حس وباطنها معنى فن وقف مع الحس كان جاهلاً ومن نفذ إلى المعنى كان عارفاً (أو تقول) الأكران ظاهرها ملك وباطنها ملكوت فن وقف مع الملك كان من عوام أهل البين ومن نفذ إلى شهود الملكوت كان من خواص المقربين وقد أشرت إلى ذلك في قصيدتي الثانية حيث قلت :

إذا حبست نفس في بين الهوى الذى تقيد به العقل في قهر قبضة
واشغلتها علم الصوائف لحكمة فلم تر إلا الكون في كل وجهة
فذلك عين الملك وهم ثبوته وناظره محجوب في بين ظلمة
وإن قللت روح المقدس سره إلى درك الحق قاض بقدره
فذا ملكوت الله يسمى لوسمه وعارفه يحظى بفتح بصيرة

واقه تعالى أعلم ثم بين الشيخ الواقف مع الظواهر والتأخذ إلى البواطن فقال (فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها والقلب ينظر إلى باطن عبرتها) قلت إنما كانت النفس تنظر عبرتها إلى ظاهر غرتها لما فيها من متعة شهوتها وحظوظها فلا يفرجها عن ذلك إلا شوق مقلق أو خوف مزعج أو عناية ربانية لما بواسطة شيخ كامل له اكسير يقلب به الأعيان أو بغير واسطة والله ذو الفضل العظيم وإنما كان القلب ينظر إلى باطن عبرتها لما فيه من نور العرفان الذى يفرق بين الحق والباطل ويميز بين النافع والضرار وهو ثمرة التقوى والقصية .

(أو تقول) لما فيه من عين البصيرة التى لا ترى إلا العائق بخلاف عين البصر لا ترى إلا الحس فتحصل أن أهل النفس وقفوا مع ظواهر الأشياء واغترى بها بباطنها ولم يهتموا بباطنها فنجسوا عن العمل وغرهم الأمانى وطول الأمل وفى مثلهم ورد الخبر عن سيدنا عيسى عليه السلام كان يقول ويلكم علماء السوء مثلكم كمثل قذاة حش ظاهرها وباطنها تن أه والحش هو بيت الخلاء وأهل القلوب لم يقفوا مع ظواهر الأشياء بل نفذوا إلى بواطنها واهتموا بباطنها ولم يفتروا بباطنها فاشتغلوا بالجد والاجتهاد وأخفوا في الآجبة والاستعداد وهم العباد والزهاد وأهل الأرواح والأسرار لم يقفوا مع الأكران لأظواهرها العاجل ولا بواطنها الآجل بل نفذوا إلى نور الملكوت فاشتغلوا بتطهير القلوب والتأهب لحضرة علام الغيوب حتى صلحوا للحضرة وتزهدوا في رياض الفكرة والنظرة ؛ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون أولئك المقربون في جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، جعلنا الله منهم من يدينهم وهم هؤلاء ومن تلقى بهم هم الأعراء عند الله تميزوا بطاعة

والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام وإن زاد براهينها من الكتاب والسنة فهو كال وإن أسعده الله بقاء شيخ كامل رقه إلى علم الأدواق وصار توحيدة في معد الشهود والعيان (العلم) الثالث علم التقوى يكفيهما يتقن به طاعتهم وصلاته وصيامه وإن كان له مال تعلم ما يجب عليه فيو لا يقدم على ما لم يحرم يعلم حكم الله فيه (العلم) الرابع علم الآخرات والولائم والمنازلات وغداع النفوس ومكايدها وما يجري مجرى ذلك من آداب ومعاملات وهذا هو الذى يختص به أهل هذا الفن والناس فيه طريقان طريق رؤية الحق من أول قدم العمل على ذلك بالانحياش إليه وهو طريق الشاذلية ومن نحا نحوم وطريق رؤية النفس وإطلاع الحق عليها وأتعمل على ذلك وهى طريق الغزالي ومن جرى مجراه وكل منهما مستند لحديث أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فتمسكت الشاذلية بصدر الحديث والغزالية بآخره (و) قوله فهذه طريقة البرهان يعنى أن هذه الطريقة تسمى طريقة البرهان لأنه طريقة الترقية لأنها أو لا تستدل بالأثر على المؤثر ثم ترتقى إلى معرفة البيان بخلاف الطريقة الأولى إنما اشتغلت بتصفية الروح فإذا تصفت وطهرت زال عنها الحجاب (قلت) وطريق

العزیز فزعهم العزیز كما أشار إلى ذلك بقوله (إن أردت أن يكون لك عز لا يفتى فلا تستعز بعز يفتى) قلت المر الذي لا يفتى هو العز بالله والنبي بطاعة الله أو بالقرب من تحقق عزه بالله فالعز بالله يكون بتعظيمه وإجلاله وهيبته وعجبه ومعرفته وحسن الأدب معه في كل شيء وعلى كل حال ويكون بالراضى بأحكامه والخضوع تحت قهر جلاله وكبريائه وبالحياء والخوف منه ويكون بالذل والانكسار كما قال الشاعر :

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل
إذا كان من تهوى عزيراً ولم تكن ذليلاً له فاق السلام على الوصل

وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه والله ما رأيت العز إلا في الذل وقال شيخ شيخنا دولای العربی وأنا أقول والله ما رأيت الذل إلا في الفقر يعني أن الشيخ فسر الذل بالفقر إذ لا يتحقق ذل الإنسان إلا بالفقر فهو ذل لأن النفس تموت بالفقر ولا يبقى لها عرق أصلاً والله أعلم (وأما العز بطاعة الله فهو بالمبادرة لامثال أمره واجتناب نهيه والإكثار من ذكره وبذل المجهود في تحصيل بره (وأما العز بالقرب من تحقق عزه بالله فيكون بصحبته وتعظيمه وخشعته وحسن الأدب معهم وهذا في التحقيق يرجع إلى التعز بالله لكونه وسيلة إليه فإذا تحقق عزه بالله استغنى بعز الله عن عز غيره فمن حصل هذا العز وتحقق به فقد تعزز بعز لا يفتى أبداً ينسحب عليه وعلى أولاده وأولاد أولاده إلى يوم القيامة قال تعالى من كان يريد العزة فته العزة جميعاً وقال تعالى ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون والمراد بالذين آمنوا هم الأولياء أهل الإيمان الكامل وقال تعالى والله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون وقال سيدنا علي كرم الله وجهه من أراد الفنى بغير مال والكثرة بغير عسيرة فليتقل من ذل المهصية إلى عز الطاعة اه فمن تحقق عزه بالله لم يقدر أحد أن يذله (واقطر) قضية الرجل الذي أمر هارون الرشيد بالمعروف فحق عليه فقال اربطوه مع بقلة سيئة الخلق لثقلته فلم تقض فيه شيئاً ثم قال اسجنوه وطينوا عليه البيت ففعلوا فروى في بستان فأتى به فقال له من أخرجك من السجن فقال الذي أدخلني البستان فقال ومن أدخلك البستان فقال الذي أخرجني من السجن فلم يهره أن يركب على دابة وينادي عليه ألا إن هارون أراد أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر اه (وأما التعز بالعز الذي يفتى فهو التعز بالمخلوق كتعزز ملوك الجور

الشاذلية الحقيقة من تأملها وجدها جمعت بين الطريقين طريق الإشراق وطريق البرهان لأن أشياخها الكمل يملكون أولاً على إتقان الشريعة والفناء في العمل بها ثم على إتقان علم الطريقة على الحقيقة (قلت) وأنا عبد الله كنت إذا لقيت أحداً الورع عليه ما يلزمه من إتقان طهارته الصغرى والكبرى وعلته التيمم وإتقان الصلاة وإذا كان أمياً عليه ما يلزمه من عقائد التوحيد إجمالاً فأصحبنا كلهم والحمد لله على بصيرة في دينهم مع ما زادهم الله تعالى من التنوير والأذواق وهي طريق الإرشاد فأصغرهم يناظر نجيبة طلبة العلم الظاهر حسباً استقرئناه من أحوالهم وما أطلعنا عليه من أسرارهم والحمد لله رب العالمين .

(قوله) وهي لكل حازم يقظان يعني أن هذه الطريقة التي جمعت بين العلم الظاهر والباطن لكل حازم مشعر في تحصيل دينه يقظان أى متنبه من غفلاته قد أتى البيت من باب وحصل الأمر بشروطه وأسبابه فليس لأحد فيه مطمن ولا لإخلاقه فيه مدخل لكن لا يدرك هذه الطريقة على الكمال إلا الخول الرجال وبالله التوفيق ثم وصف الصوفى وحاله وشأنه فقال :

ومن انشعب إليهم بكثرة الاتباع والاجناد والعصى والقهر، وكالتعزز بالأموال والجاه في غير محله والرياسة وغير ذلك مما ينقطع ويبدد فن تمزق بهذا مات عزه وانصل ذله فان التعزز بالخلق قطعاً يعقبه الذل عاجلاً وآجلاً (وانظر) قضية الرجل الذي تكبر في الحرم فصار بعد ذلك يتكفف الناس وقال اني تكبرت في موضع تواضع فيه الناس فوضعت في موضع ترتفع فيه الناس ذكر القضيتين في التنبيه ويقال لمن تمزق بالخلق انظر إلى إلهك الذي ظللت عليه ما كفا لحرته ثم لنسفه في اليم نسفا ودخل عارف على رجل يبكي فقال له وما يبكيك فقال له مات أستاذي فقال له ولم جعلت أستاذك من يموت فنبهه على رفع همته وإنقاذ بصيرته وقد مات شيخه قبل أن يرشد و الله تعالى أعلم فان أردت أبها المريد أن يكون لك عز لا يفنى فاستعز بالله وبطاعة الله وبالقرب من أولياء الله ولا تستعز بمن مخلوق بغير الله فان من تمزق بمن يموت مات عزه قال الله تعالى أيتنون عذمة فان العزة لله جميعاً وقال أبو العباس المرسى رضى الله عنه والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن الخلق

(تنبيه وإرشاد) أعلم أن سبب العز الذي يعطيه الله لأولياته هو حبه لهم فالعز نتيجة الحب في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا أحب الله عبداً نادى جبريل ان الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى جبريل في السموات ان الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض فيحبه أهل الأرض وفي رواية يلقى له القبول في السماء فيشر به الناس فيحبه جميعاً أو كما قال عليه السلام وسبب حب الله للعبد هو زهده في الدنيا في حديث الترمذي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما أبدي الناس يحبك الناس ثم أعلم أن هذا العز الذي يعطيه الله لأولياته لا يكون في بدايتهم ولا في أول أمرهم ثلاثيتهم الخلق عن الوصول إلى الحق بل من لطف الله بهم وإغارته عليهم أن ينفر الخلق أو يسلط عليهم حتى يتخلصوا من رق الأشياء ويتحققوا بالوصول والتمكين فيخشد أن شاء أظهر عزهم لينفع بهم عباده ويهدي بهم من شاء من خلقه وإن شاء أخفاهم واستأثر بهم حتى يقدموا عليه فيشر عزهم ويظهر مكائهم في دار لافناء لها وسيأتي الكلام على هذا في محله إن شاء الله ثم ذكر الشيخ سبب العز الذي لا يفنى وهو الزهد في الدنيا كما ذكرنا فقال (الطلي الحقيق أن يطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب إليك منك) قلت الطي هو الف والضم بحيث يصير الطويل قصيراً والكبير صغيراً يقال طويت الثوب أى ضمنتوني تقسم عند الصوفية إلى أربعة أقسام طي الزمان وطي المكان وطي الدنيا وطي النفوس فأما طي الزمان

ونسبوا الصوفي للكمال وضربوا معناه في المثال

فهو كالهواء في العلو ثم كمثل الأرض في الدنو

ثم كمثل النار في الضياء ثم كمثل الماء في الارواء

فهو إذا للكائنات حاصر إذ صار في معناه كالناصر

قلت لاشك أن الصوفي المحقق قد حاز مراتب الكمال على إتمامه من مرتبة إلا حاز أكلها وأشرفها فأخذ من مقام الإسلام كمال التقوى والاستقامة على إتمامه وأخذ من مقام الإيمان تمام الطمأنينة وكمال الايقان وأخذ من مقام الاحسان أعلى المراتب وهي الشهود والعيان (وقد) قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان وأخذ أهل الظاهر من الأعمال أعمال الجوارح الظاهرة وأخذ الصوفي أعمال القلوب الباطنة والنزعة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح كما قاله الشيخ ابن عباد وغيره (و) في الحديث تفكر ساعة خير من عبادة

فهو أن يقصر في موضع وطول في موضع آخر كن مر عليه سنون في موضع وفي موضع آخر ساعة أو يوم كالرجل الذي خرج يقتسل في القرات يوم الجمعة قرب الزوال فلما فرغ من غسله لم يجد ثيابه فسلك طريقاً حتى دخل مصر فتزوج فيها وولد له أولاد وبقي سبع سنين ثم ذهب يقتسل يوم الجمعة بنيل مصر فلما فرغ فاذا ثيابه الأولى فسلك طريقاً فاذا هو ببغداد قبل صلاة الجمعة ثم ذلك اليوم الذي خرج فيه والحكاية معطولة للفرغانى في شرح الثانية .

(وأما) طى المكان فتثاله أن يكون بمكثلاً فاذا هو بغيرها من البلدان وهذا مشهور لأولياء الله قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه والله ما صار الأولياء من قاف إلى قاف حتى يلقوا رجلاً مثلاً فاذا لا قوة كان بينهم .

(وأما) طى الدنيا فهو أن تطوى عنك مساقمتها بالزهد فيها والغبية عنها وحصول اليقين التام في قلبك حتى يكون الآتى عندك واقعاً أو كواقعه وسيأتى للشيخ لو أشرق نور اليقين في قلبك لرأيت الآخرة أقرب من أن ترحل إليها ولرأيت الدنيا وكسفة الفناء ظاهرة عليها وسيأتى تمة الكلام على هذه الحكمة ثم إن شاء الله .

(وأما) طى النفوس فهو بالغبية في الله عنها ولذلك يتحقق الزوال وتام الوصال وقد ذكره الشيخ بقوله فيما يأتى ليس الشأن أن تطوى لك الأرض فاذا أنت بمكة أو غيرها من البلدان إنما الشأن أن تطوى عنك أو صاف نفسك فاذا أنت عند ربك اه وهذا هو الطى الحقيقى المعتبر عند المحققين لاطى الزمان أو المكان إذ قد يكون استدراجاً أو مكرراً أو تخيلاً وسحراً فالطى الحقيقى هو أن تطوى عنك مسافة الدنيا كلها حتى يكون الموت أقرب إليك من نفسك التى بين جنيتك وكما قال الصديق رضى الله عنه .

كل امرئ مصيب في أهله والموت أذن من شراك نعله

وحتى ترحل عنها بالكلية فلا تبقى فيك منها بقية هنالك ترحل إلى عالم الملكوت وتكشف لك أسرار الجبروت وقد قيل في قوله عليه السلام الدنيا خطوة مؤمن بمعنى أنه يتخطاها بالزهد فيها وقال بعضهم لا تسجوا بمن يدخل يده في جيبه فيخرج ما يريد ولكن تسجوا بمن يضع يده في جيبه ولم يجد شيئاً ولم يتغير (وقيل) لأن محمد المرتضى أن فلاناً يمشى على الماء قال عندى من مكنته الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى على الماء وفي الهواء اه ومخالفة الهوى إنما تكون بالزهد في كل شيء والغبية عن كل شيء وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول لا تفرحوا الفقير إذا رأيتموه يصلى كثيراً أو يذكر كثيراً أو يصوم كثيراً أو يعتزل كثيراً حتى تزوه زهدنى الدنيا ورحل عنها ولم يبق له الثغات البها لحيث قد يفرح

سبعين سنة وعبادة القلوب هى الفكرة والنظرة والرضى بما يبرز من عنصر القدرة فبإدابة العارفين كلها مضغفة إما بسبعين أو بألف أو بأكثر ولذلك قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه أوقاقتنا كلها ليلة القدر بيني كلها خير من ألف شهر من عبادة العامة وفى ذلك قال الشاعر :

كل وقت من حبي قدره كالف حجة

أى سنة (وفى الحكم) ما قل عمل برز من قلب زاهد ولاكثر عمل برز من قلب راغب (وقال) عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ركعتان من عالم زاهد خير وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر الدهر أبداً سرمداً وهذه المراتب موجودة فى الصوفى الكامل على التمام (وقد) ضربوا له المثال بالناصر الأربعة التى قامت بها الموجودات الحسية باعتبار العادة وهى الهواء والترى أى التراب والماء والنار وتسمى الطابع الأربعة وقد نظمها ابن سينا الحكيم فقال :

وقول بقراط بها صحيح نار وماء وثرى وريح

به ولو قلت صلاته وصيامه وذكره وعزله (قلت) ومثل هذا تقم في قوله ما قل عمل يبرز من قلب زاهد وكذلك قال في التنوير لا تدل على فهم العبد كثرة عليه ولا مداومته على ورده وإنما يدل على نوره وفهمه غناه بربه وانحياشه إليه بقلبه وتحرره من رق الطمع وتحلية بجليه الورع وبذلك تحسن الاعمال وتزكو الأحوال إله فاقاله شيخ شيخنا صحيح لكن لا يفهمه إلا أهل الفن من أهل الذوق إذ لا تجتمع مجاهدة ومشاهدة وإنما تكون المجاهدة أولاً فإذا حصلت المشاهدة في الباطن ارتكبت الجوارح في الظاهر وما بقي إلا فكرة أو نظرة والادب مع الحضرة وربما يعترض على الشيخ من لم يعرف مقصوده من جهة علم الطريق وبالله التوفيق وإنما يتحقق طي مسافة الدنيا بتحقيق الزهد فيها ولا يتحقق الزهد فيها إلا برفع الهمة عن الحلق والتعلق بالملك الحق وبالإياس بما في أيدي الناس كما أبان ذلك بقوله (العطاء من الخلق حرمان والمنع من الله إحسان) قلت إنما كان العطاء من الحق حرماناً لثلاثة أوجه (أحدها) ما في ذلك من حفظها وفرحها والتوصل إلى شهواتها وحفظها وفي ذلك موت القلب وقسوته (الوجه الثاني) ما في ذلك من نقص الدرجات والغنى عن كمال المراتب والمقامات ولذلك ترك الأكبر التمتع بالشهوات لقوله تعالى أذهبهم طياتكم في حياتكم الدنيا وقد تعرض المرء للسؤال لأجل موت نفسه وحياة روحه فإذا كثر عليه العطاء من الخلق فرحت النفس وأنتست فلا تموت به سرياً بخلاف ما إذا واجهه المنع فاتها موت سريعاً إذ لا حظ لها فيه فالجهاد الذي لا غنية فيه أعظم من الجهاد الذي فيه البينة (قد ورد في الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا خرجت طائفة للفرز وبجاهدوا وغنوا فقد تعجلوا أثلي أجرم وإذا لم يغنموا رجعوا بأجرهم كاملاً أو كما قال صلى الله عليه وسلم (الوجه الثالث) ما في ذلك من الركون إليهم وميل القلب بالحببة لهم إذ النفس مجبولة على حب من أحسن إليها فستترك لهم وتكون أسيرة في أيديهم (وفي وصية) سيدنا على كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منما وعد نعمة غيره عليك مفرماً وأشد رضى الله عنه :

لمعرك من أوليته منك نعمة ومد لها كفا فانت أميره
ومن كنت محتاجاً إليه فانه أميرك تحقيقاً وانت أسيره
ومن كنت عنه ذا غنى وهو مالك أزمة أهل الدهر أنت نظيره
فمش قائماً ان القناعة للفتى غناه وهذا مقتضى ما أشيره

وأراد بالريح الهواء فالصوفي قد اجتمعت فيه العناصر الاربعة فهو كالهواء في رفع الهمة وعلو القدر وأيضاً الهواء حار رطب فهو معتدل محيط بالابدان به يقع كالماء ونقصها والصوفي معتدل في حركاته من غير إفراط ولا تفريطاً بموسط في كل شيء وخير الأمور أوسطها وبحسب هذا جميع الوجود يأسن به ويرجع إليه ويقع له منه الفعل والانفعال باذن الله سبحانه مع ارتفاعه عن أبناء جنسه في عين مجانسته لهم كما ارتفع الهواء عن التراب والماء مع مخالطته لهما وهو أيضاً كالارض في الدنوا والتواضع والسهولة يناله البر والفاجر والصغير والكبير كما أن الارض طهاها البر والفاجر والصغير والكبير وقال بعض أشياخنا نحن كالزقاق أى الطرق يمر علينا البر والفاجر والطائع والعاصى ولا تفرق بينهم وأيضاً طابع الارض بارد يابس فيبرودتها يقع لها الملابس إذ لو كانت حارة والهواء حار لا حرق ما عليها بسبب يوستها يقع لها المماساة والصوفي كذلك لبرودة حركاته وليوتها يلبسه الخلق ويتغفون به ولو قوفه مع الحق وصلابته فيه صح له الصدق فيكون لقلب مثل الارض بطرح عليه كل قبيح ولا يخرج منه الا كل ملبس وكلما زيد في زيلها زيد في خيرها وكذلك الصوفي كلما

وقال آخر :

فلا ألبس الثما وغيرك ملبسي ولا أملك الدنيا وغيرك واهي

وقال شيخ شيوخنا ومادة طريقنا بعد نيتنا مولاي عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه لأبي الحسن رضى الله عنه يا أبا الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم فإن خيرهم بصيكتك في قلبك وشرهم بصيكتك في بدنك ولأن تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعمدو تصل به إلى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك اه
(وقال) بعضهم عز الزاهة أكل من مرور الفائدة ولأجل هذا المعنى قال عليه السلام إذا أمدى إليك أحدمعروفاً فكافئه أى لتسقطوا منه عليكم وقطعوا رقبته لكم والله تعالى أعلم وإنما كان المنع من الله إحساناً لوجهين (أحدهما) ما تقدم من أن الله سبحانه ماضك بخلا ولا يحزا وإنما هو حسن نظر لك إذ امل ما طلبته لا يليق بمالك في الوقت وآخره لوقت هو أول لك وأحسن أو ادخر لك ذلك ليوم فترك (الثاني) ما في ذلك من دوام الوقوف ببابه واليادجنا به وفى ذلك غاية شرك ورفق لقدرك وفى الحديث إذا دعا العبد الصالح يقول الله تعالى لللائكة اخرجوا حاجته فأتى أحب أن أسمع صوته وإذا دعا الفاجر قال لللائكة أنصوا حاجته فأتى أكره صوته أو كما قال عليه السلام اطول العهد به (تنبيه) ما ذكره الشيخ من كون العطاء من الخلق حرماناً إنما هو باعتبار الساترين أو باعتبار الزهاد والعباد وأما الواصولون إلى الله المتكئون مع الله فقد تولاى الحق وغيبهم عن شهود الخلق فهم يتصرفون بالله يأخذون من الله ويدفون بالله ولا يرون فى الوجود إلا الله

مذ عرفت الإله لم أر غيرا وكذلك الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت اقترافاً فانا اليوم واصل مجموع

فلا يرون العطاء إلا من الله ولا يرون الخلق البتة إلا ما يشهدون فيهم من واسطة الحكمة كما قال القائل

إذا ما رأيت الله فى الكل فاعلما رأيت جميع الكائنات ملأها

وباقه التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله (هذا) آخر الباب التاسع وحاصلها علامة كمال العارف وآدابها فى الطلب وفى البسط والتقيض وفى المنع والعطاء ومن جملة العطاء ما يعطيه الحق سبحانه عباده من الخيرات فى مقابلة أعمالهم الصالحات كما أشار إلى ذلك فى أول الباب العاشر بقوله (وقال رضى الله عنه جل ربنا أن يعامله العبد نقداً فيجازه نسيته) قلت زدت فى البحث معه زادك فائدة وحكمة وقد قال سيدنا عيسى عليه السلام لأصحابه أين تثبت الحبة قالوا فى الأرض قال فكذلك الحكمة لا تثبت إلا فى قلب كالأرض وقال سهل رضى الله عنه طريقنا هذه لا تصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزايل وهو أيضاً كالنار فى أحراق الأوصاف الخبيثة النامية وفى اقتباس الأنوار واشتعال مصابيح القلوب وأيضاً طبع النار حار يابس مضى محرق كذلك الصوفى لا تارة الحرارة الباطنية وهى قوته وسخاته الناشئة عن شهود حرته الباطنية ويحرق كل ما والاى من أوصاف نفسه ويرى ما وراءه من المعارف وحقائق الوجود وهو أيضاً كاللما فى البرود والارواء وإزالة عطش الجهل وحرارة التعب الناشئة عن وجود الحجاب وأيضاً طبع الماء بارد وطبع الصوفى كذلك فى برودته لا يتصر لنفسه ومن رطوبته لا يتكبر على غيره مع لروائه من احتاج إليه وهذه العناصر الأربع هى التى اجتمع منها وجود العالم باعتبار الحكمة وهى أركانها فالصوفى كاتبة العالم بمغايه ومبانيه ولذلك قال فيه بعضهم الصوفى من لا يعرف فى الدارين أحداً غير الله ولا يشهد مع الله سواه قد سخر له كل شئ ولم يسخر هو لشيء وسلط على كل شئ ولم يسلط عليه

النقد ما كان معجلاً والنسيئة ما كان مؤخراً ومن شأن الكريم إذا اشترى شيئاً أن ينجز نقده ويزيد احسانه ورفقه وقد اشترى الحق تعالى منا أنفسنا وأموالنا فوضنا بها الجنة فمن باع نفسه وماله ونقدهما وسلها إليه عرضه الله جنة المعارف عاجلاً وزاده جنة الخلف آجلاً مع ما يتخفه به من أنواع النعيم ودوام الشهود والنظر إلى وجهه الكريم لجل ربنا أي تزه وترفع أن يعامله العبد نقداً أي معجلاً فيجازه نسيئة أي مؤخراً بل لا بد أن يجعل له ما يليق به في هذه الدار ويدخر له ما يليق به في تلك الدار والذي عجل له سبحانه في هذه الدار (أمور) منها ما يدفع عنه من المضار ويجلب له من المنافع والمساير لقوله تعالى وهو يتولى الصالحين وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد يتعمد ذلك إلى عقبه كاتقدم (ومنها) ما يشرق عليه من الأنوار ويكشف لقلبه من الأسرار وهي أنوار التوجه وأنوار المواجهة قال تعالى يا أيها الذين آمنوا ان تقوا الله يجعل لكم فرقاً وهو نور يفرق بين الحق والباطل وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور يخرجهم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة ومن ظلمة النغلة إلى نور البقطة ومن ظلمة الحس إلى نور المعنى أو من ظلمة الكون إلى نور المكون (ومنها) التوفيق والهداية لما قبل عملها حتى جعلك أهلاً للوقوف بين يديه وهو الذي أبانه بقوله (كفى من جزائه إياك على الطاعة أن رضيك لها أهلاً) قلت لأن الملك لا يدعو لخدمته إلا من يريد أن يكرمه ولا يدخل لحضرته إلا من يريد أن يعظمه ولا ينسب له إلا أهل الفضل والتكرمة ، فلو لافضل الله عليكم ورحمته مازكن منكم من أحد أبداً ، فالتوفيق لها أعظم منه وأكبر جزاء على وجودها لأنها تحقق للعبد ثلاثاً أولها تصحيح النسبة لمولاه بوجه ما الثاني وجود الاقبال عليه بصورة ما الثالث إقامة رسم العبودية في الجملة والله أعلم قاله الشيخ زروق رضي الله عنه (ومنها) ما ردد على قلبه حال عملها من الموانسة به والقرب به وهو الذي ذكره بقوله (كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته) قلت والذي فتحه على قلوبهم في حالة العمل ثلاث محاضرة أو مراقبة أو مشاهدة فالمحاضرة للطالبين والمراقبة للساكنين والمشاهدة للواصلين والمحاضرة للعموم والمراقبة للخصوص والمشاهدة لخصوص الخصوص والكل يسمى خشوعاً قال بعضهم الخشوع اطراق السر على بساط التجوى باستكمال نعت الهية والنوبان تحت سلطان الكشف والاعاء عند غلبات التجلي اه ويختص المقام الثالث بقره الدين وقال الشيخ زروق ما يجده في حالة الطاعة ثلاث

شيء فأخذ النصيب من كل شيء ولم يأخذ النصيب منه شيء يصفو به كد كل شيء ولا يكدر صفوه شيء قد شغله واحد عن كل شيء وكفاه واحد من كل شيء ثم كل ما بقي من فضله إجمالاً فقال

وفضله أشهر من أن يحمله وقد ذكرنا منه نورا بجلا

وفي بيان أصله دليل يعلم من الشأن والتفضيل

قلت أشار رحمه الله إلى أن فضل التصوف مشهور وشهرته أعظم من أن يحمله أحد وقد ذكر من فضله نورا أي شيئاً قليلاً بجلا غير مفصل إذ تفصيله يؤدي إلى التطويل الممل وفي بيان أصله الذي ذكره في الفصل الأول دليل على تعظيم شأنه وتفضيله على سائر العلوم

(قلت) ولم نسمع أحداً قط طعن في علم التصوف أو عابه أو نقصه بل القلوب كلها مجبولة على حبه ومدحه وإنما وقع الانكار على أهله والمتسبين إليه إما غيره عليه أن لا يدخل فيه من ليس منه وهذا معنور وإما حسداً لأهله وهذا هالك مشهور والأول على خطر فإن المنكر على المتسبين كن يدخل يدخل يده في التيران فيدخل يده في النار الأول

أولها وجود الانس به فيها روح إقباله ومنه ما يقع من الرقة والخشوع ، الثاني وجود التلق بين يديه وله حلاوة ينسبها كل شيء ، الثالث حصول الفهم والفرادة العالية والإلهامات الدنية التي بها يترك كل شيء قال بعضهم في الدنيا جنة من دخلها لم يشق إلى جنة الآخرة ولا إلى شيء ولم يستوحش أبداً قبل وما هي قال معرفة الله وقال بعض العلماء ليس في الدنيا ما يشبه نعيم الجنة إلا ما يجده أهل التلق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وكان بعضهم يقول التلق للحيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة أظهره الله في الدنيا لا يعرفه إلا هم ولا يجده سواهم روحاً لقلوبهم اهـ .

(ومنها) ما يجده من الفرات بعد عملها وهو الذي أشار إليه بقوله (وما هو موده عليهم من وجود مؤانسة) قلت هذه المؤانسة التي يجدها العامل بعد العمل على ثلاثة أقسام مؤانسة ذكر وهو لأهل الفناء في الأفعال ومؤانسة قرب وهو لأهل الفناء في الصفات وهم أهل الاستبشاف ، ومؤانسة شهود وهو لأهل الفناء في الذات فالأول لأهل السلام والثاني لأهل الإيمان والثالث لأهل الإحسان ، فمؤانسة الأول توجب له الفرار من الناس والوحشة منهم ومؤانسة الثاني توجب القرب لم على حذر منهم ومؤانسة الثالث توجب الصلابة لم وغالطتهم لأنه يأخذ منهم ولا يأخذون منه فالأول لا تليق به إلا العزلة لضعفه والثاني تليق به الصلابة مع العسة ليتعلم القوة فهو يشرب منهم ولا يشربون منه لبعده منهم بقلبه والثالث لا تليق به إلا الصلابة لتحققه بالقوة فهو يأخذ النصب من كل شيء ولا يأخذ النصب منه شيء يصفو به كدر كل شيء ولا يكدر صفوه شيء ومؤانسة الذكر توصل لمؤانسة القرب ومؤانسة القرب توصل لمؤانسة الشهود فمن صعد عقبه أفضت به إلى راحة ما بعدها قال بعض العارفين ليس شيء من الطاعات إلا ودونه عقبه كثود يحتاج فيها إلى الصبر فمن صبر على شدتها أفضى إلى الراحة والسهولة وإنما هي بمجاهدة النفس ومخالفة الهوى ثم والله مكابدة في ترك الدنيا ثم اللذة والتعم أي ثم تكون لذة الطاعة وتتم المعرفة ثم يبنى لك أيها المريد ألا تقصد شيئاً من هذه الأمور التي يجازيك الحق تعالى بها كانت معجزة أو مؤجلة فإن ذلك نقص في إخلاصك وناقص لصدق عبادتك كما أشار إليه بقوله (من عبده شيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه فما قام بحق أوصافه) قلت الناس في عبادة الله باعتبار إخلاصهم على ثلاثة أقسام (ففهم) من يعبد الله خوفاً من عقوبته معجزة أو مؤجلة أو طمعاً في رحمته وحفظه عاجلاً وأجلاً وهم عوام المسلمين وفيهم قال عليه السلام لولا النار لماسجد الله ساجد (ومنهم) من يعبد الله بحبه في ذاته وشرفاً

والثاني يقول لا شيء ثم يدخل يده في غلر آخر فيصادف حية تأسعه فيهلك من ساعته وإذا فاتته بركة الاعتقاد فآكل أحواله ترك الاعتقاد ولذلك قال الشاذلي تسليم طريقته ولاية واعتقاده عناية (و) قالوا أيضاً التسليم ولاية والاعتقاد عناية والاعتقاد جنابة وقد يكون الانكار من عدم الفهم وقلة الإدراك ويرحم الله القائل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته بمن الفهم السقيم

وسياتي بقية الكلام في الفصل الرابع إن شاء الله في الرد على من أنكروه ثم ذكر الناظم هنا أحكامه فقال :

هـ (الفصل الثالث في أحكامه وهي تسعة) هـ

قلت المراد بأحكامه ما يحكم به على المريد وما يلزمه من الآداب وما يكون عليه أمر من أعماله وأحواله وحصرها في تسعة (الأول) في حكم الشيخ وما يترتب عليه (الثاني) في حكم الاجتماع (الثالث) في حكم اللباس (الرابع) في حكم الأكل (الخامس) في آداب الاجتماع (السادس) في حكم السماع (السابع) في حكم السفر وآدابه (الثامن) في حكم السؤال وأسبابه (التاسع) في

إلى لقائه لا طمعاً في جنته وحفظه ولا خوفاً من ناره ونكاله وهم المحبون الماشقون من الساترين (ومهم) من يعبد الله قياماً بوظائف العبودية وأدباً مع عظمة الربوبية (أو تقول) صدقاً في العبودية وقياماً بوظائف الربوبية وهم المحبون المارفون فالقسم الأول عبادته بنفسه لنفسه والثاني عبادته بنفسه لله والثالث عبادته بالله لله ومن الله إلى الله فمن عبد الله تعالى شيء يجره منه في الدنيا أو في الآخرة أو ليدفع عنه بطاعته ورود العقوبة في الدنيا أو في الآخرة فإقام بحق أو صاف الربوبية التي هي العظمة والكبرياء والعزة والغنى وجميع أوصاف الكمال ونموت الجلال والجلال إذ نعوت الربوبية من العظمة والجلال تقتضي خضوع العبودية بالانكسار والاذلال أرأيت أن لم تكن جنة ولا نار ألم يكن أهلاً لأن يعبد الواحد القهار أرأيت من أنعم بنعمة الإيجاد والامداد أليس أهلاً لأن يشكره جميع العباد فمن كان عبداً مملوكاً لسيده لا يخدمه في مقابلة نواله ورفده بل يخدمه لأجل عيودته ورفه وسيد له محالة يقوم بمؤوته ورزقه أيرزك لوجوده ويمتلك من جوده أيدخلك داره ويمتلك إرثه لقد أسأت الظن بالرب الكريم أن اعتقدت أنك أن لم تعبد منكم من جوده العظيم لقد أجرى عليك متنور رزقه وأنت في ظلمة الاحشاء ثم حين أظهر لك لوجوده وبسط لك من جوده جعلك تصرف فيه كيف تشاء وتصنع به ما تشاء وما وجد مكتوباً بقلم القدرة في حجر في الكعبة

تذكر جميل فيك إذ كنت نطفة ولا تنس تصويري لشخصك في الحشا
وكن واثقاً في أمورك كلها سأكفيك منها ما يحفظ ويمتشي
وسلم إلى الأمر واعلم بأنني أصرف أحكامي وأهمل ما أشاء

فاستحي من الله أيها الإنسان أن تطلب أجر على عبادة أجراها عليك الواحد المنان واذكر قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وقوله تعالى وربك خلق ما يشاء ويختار وقوله تعالى وما تشاءون إلا أن يشاء الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير السوء إن لم يعط الأجرة لم يعمل وقال شيدنا عمر رضي الله عنه نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه وقال وهب بن منبه في زبور داود عليه السلام يقول الله تعالى ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع أه وفي أخبار داود أيضاً عليه السلام أن الله أوحى اليه أن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها أه ثم إن

حكم التزييف وتدرج المرید إلى أو أن ترشيد (و) اعلم أن مذهب الصوفية الأخذ بالأحسن في كل شيء عملاً بقوله تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (و) أحسن المذاهب في الاعتقاد مذهب السلف من اعتقاد التزييه وبني التشبيه وتقويض التشابه والوقوف مع ما ورد كما ورد مالم يتحجج إلى تقييد فيقيد بما ينفي شبهته من غير زائد وهذا تمسكت الصوفية في بدايتهم (و) قد يعلمهم الله تعالى على أسرار من مكنون عليه فتسرع لهم دائرة العلوم وتصل عنهم قيود التشابه فيطلعون على أسرار تنكشف بها غوامض التشابه ولذلك قال ابن السبكي رحمه الله للتشابه ما استأثر الله بعلمه وقد بطلع عليه بعض أصفياه وهم الراسخون في العلم يقولون أولاً أنا به كل من عند ربنا ثم يعلمهم الله على أسرار غيبه ومكنون عليه ولهذا توسعوا في العبارة حتى أنكرت عليهم فوجب التحفظ فلا يتكلم بهذا العلم إلا مع أهله شفقة على الضعفاء وحماية سوء الظن بأهلهم في بعضه من سقوط الحرمة فوجب تجنبه أبداً وإن فهم على الصواب مع حسن الظن بقائمه لأن أصل المذهب حسن الظن حتى يأتي المناقض وحرمة الشرمة واجبة الحفظ في الأقوال كوجوبها في المعاني والأفعال (و) أحسن

رفضت منك عن طلب الحظوظ صبت عليك الحظوظ فقد ورد في بعض الأخبار أن الله يحفظ الأولاد وأولاد الأولاد بطاعة الأجداد لقوله تعالى وكان أبوهما صالحاً فقد حفظ الحق تعالى كثرهما بصلاح أيهما قد صبت الحظوظ على الأولاد وهو حفظهم بتلا الآباء الحظوظ وكان سعيد بن المسيب يقول لولده أن لا طيل الصلاة من أجلك اه ومعناه أن أعبد مخلصاً لله يحفظك ثم إن مدد الحق وهو لطفه وإبراره جار على الطائفتين في كل وقت وحين سواء أعطاهم في الحسن أو منهم وسواء بسطهم أو قبضهم وهو ظاهر لمن يفهم عن الله كما أشار إليه بقوله (متى أعطاك أشهدك به ومتى منعك أشهدك قهراً فهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك) قلت من أسمائه تعالى اللطيف والرحيم فهو تعالى لطيف بعباده رحيم بخلقه في كل وقت وعلى كل حال سواء أعطاهم أو منهم وسواء بسطهم أو قبضهم فإن أعطاهم أو بسطهم أشهدهم به وإحسانه فرؤوا أنه سبحانه بار بعباده لطيف بخلقه رحيم كريم جواد يحسن تقطع محبتهم فيه ويكثر شوقهم واشتياقهم إليه ويكثر شكرهم فيزداد نعيمهم وفي هذا مالا من يدعيه من البر والإحسان والجود والامتنان وإن منحهم أو قبضهم أشهدهم قهراً وكبريائه فعلوا أنه تعالى قهار كبير عظيم جليل غافر من سطوته وذابوا من خشيته وخضعوا تحت قهره فدامت عبادتهم وقلت ذنوبهم ومحبت مساوهم واضمحلت خطيئتهم فوردوا يوم القيامة خفافاً مطمئنين فرحين مبتهجين إذ لا يجمع الله على عبده خرفين ولا أمتين فمن أخافه في الدنيا أمنه يوم القيامة ومن أمنه في الدنيا فافتر ، أخافه يوم القيامة كما في الحديث فلا تنهم ربك أي العبد في المنع ولا في العطاء فإنه متى أعطاك أشهدك به ورحمته وكرمه ففرت بذلك أنه بر كريم رؤوف رحيم فتعلق بكرمه وجوده دون غيره فتحرر من ريق الطمع ويذهب عنك النهم والجزع وتخلق أيضاً بوصف الكرم والرحمة والاحسان فإن الله يحب أن يتخلق عبده بخلقه وفي الحديث تحقروا بأخلاق الرحمن وقالت عائشة رضي الله عنها كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن والقرآن فيه أوصاف الرحمن فكانت كما قالت كان خلقه خلق الرحمن إلا أنها احتشمت الحضرة وتأدبت مع الربوبية ومتى منعك أو قبضك أشهدك قهراً وكبريائه ففرت أنه قهار جبار فيعظم خوفك وتشد هيبك وحيائك منه فلا جرم أن الله يعظمك ويكرمك ويحفظك ويستحي منك كما استحيت منه فإن الله ينزل عبده على قدر منزلته منه وإنما يطيع العبد ربه على قدر معرفته به وخوفه منه فهو سبحانه وتعالى في كل ذلك من إعطاء ومنع وقبض وبسط متعرف اليك أي طالب منك أن تعرفه بصفاته وأسمائه وما من اسم من أسمائه تعالى إلا اقتضى ظهور ما يطلبه فاسم الكرم اقتضى الإعطاء والاحسان وهو

المذاهب في الأحكام مذهب الفقهاء المرجوع إليهم كالآئمة الأربعة فالتيقيد بمنع واحد أجمع للحقيقة وأقرب للتبصر وادعى التحقيق وأسهل تناولاً وعلى هذا دارج سلفنا أشرافنا فكان الجنيدي ثورياً والشاذلي ما لكتاب المحاسبي شافياً والجزيري حنفياً والجيلاني حنبلياً والشاذلي وشيخه مابكين لكن لا ينبغي لمن تجرع في العلم من الصوفية إلا يرضى برتبة التقليد ويتجمد على قول إمامه من غير أن يعرف أصله بل ينبغي له أن يأخذ الأحكام من أصولها ويعلم مأخذها وعلاها (وقد قال بعضهم قف حيث وقفوا ثمهم) وقال (آخر من أخذ علمه عن خصوص كان نوره وفتحهم منهم ومن أخذ عن نصوص الكتاب والسنة كان نوره وفتحهم منها على قدرهما) وقال (في القواعد التقليد أخذ القول من غير استناد لعلامة في القائل ولا وجه في القول وهو مذموم مطلقاً لاستنزاه صاحبه بدنه) (والاعتداء) الاستناد في أخذ القول لذي يات صاحبه وعلمه وهذه رتبة أهل المذهب مع آئمتها وإطلاق التقليد عليها عجز (والتبصر) أخذ القول بدليله الخاص من غير استناد بالنظر والأعمال القول أي ولا اختراع لقول من تفلسك وهو رتبة مشايخ المذهب وأجلو يد طلب العلم (والاجتهاد) اقتراح الأحكام من أدلتها دون

ظاهر في خلقه واسمه المانع اقتضى ظهور المنع فظهر في عبادته أيضاً واسمه المستقم اقتضى ظهوره في قوم وجههم لمخالفته واسمه القهار اقتضى ظهوره في قوم لقهرهم على ما يريد من منع أو غيره وظلم قهره أيضاً في عبادة بالموت فهو من مقتضى اسمه التهار وهكذا كل اسم يقتضى ظهوره في الوجود وكلها في بني آدم فإذا تحققت هذا في حالة الاعطاء والمنع علبت أيضاً أنه تعالى مقبل بوجود لطفه وإبراره عليك إذ هو متعرف إليك في كل شيء ومقبل عليك في كل وجه فاطلب أيضاً أنت معرفته في كل حال واعرف منه عليك في الجلال والجلال وأقبل عليه بكليتك واستسلم لقهره بروحك وبشربتك تكن عبده حقاً وهو ربك حقاً وصدقاً والله تعالى أعلم ويؤخذ من هذه الحكمة أن المدار إنما هو على قوة الروحانية التي هي المعرفة في الجلال والجلال لا على قوة البشرية لأن بمنحه يحصل العبد الكمال وبالله التوفيق ثم هذا كله إنما ينوقه من يفهم عن الله كما تقدم واليه أشار بقوله (إنما يؤلك المنع لعدم فهمك عن الله فيه) قلت لأن الفهم عن الله يقتضى وجود المعرفة به ولا تكون المعرفة كاملة حتى يكون صاحبها يعرفه في الجلال والجلال والمنع والعطاء والقبض والبسط وأما إن كان لا يعرفه إلا في الجلال فهذه معرفة العوام الذين هم عبيد أنفسهم فإن أعطوا رضوا وإن لم يعطوا إذا هم يستظنون وأيضاً من ثمرات المعرفة التسليم والرضى لما يجرى به القضاء ومن ثمرات المحبة والهووى الصبر عند الشدائد والبلوى .

ندعى مذهب الهوى ثم تشكو أى دعواك في الهوى قل لى أينا
لو وجدناك صابراً لمهوانا لأعطيناك كل ما تمنى

فلا يكون المحب صادقاً في محبته ولا العارف صادقاً في معرفته حتى يستوى عنده المنع والعطاء والقبض والبسط والفقر والغنى والعز والذل والمدح والتفقد والوجد والعز والفرخ فيعرف محبوبة في الجميع كما قال القائل حبيبي ومحبوبي على كل حالة ويرضى ويسلم له في الجميع فإن لم يجسد ذلك عنده سواء فلا يدعى مرتبة العشق والهوى فيعرف قدره ولا يتعدى طوره ولا يتراى على مراتب الرجال من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان ولابن الفارض رضى الله عنه :

فان شئت أن تحيا سعيداً فأت به شهيداً والا فالغرام له أهل

وقال إبراهيم الخواص رضى الله عنه لا يصح الفقر الفقير للفقير حتى يكون فيه خصلتان إحداهما الثقة بالله والاخرى الشكره فيها ورى عنه ما ابتلى به غيره من الدنيا وقيل لبعضهم ما الزهد عندهم قال إذا وجدنا شكرينا وإذا فقدنا صبرنا فقال

مبالاة بقاتل ثم إن لم يعتبر أصل التقدم فطلق ولا فقيد (وأحسن) المذاهب في فضائل الأعمال مذهب المحدثين إلا يأخذون إلا بما صح أوقاب الصحيح فلا يأخذون بموضوع ولا بما قوى ضعفه وقد حذروا من تتبع الفضائل وتبني الرغائب كصلاة الأيام والليالي وغير ذلك (قلت) وحسب المريد الصادق من التواضع ما يحفظ فرضه من الخلل فإن قوى جمع قلبه حتى آمن من الخواطر كفته الصلوات الخمس مع عمارة وقته بذكر مفرد أو فكرة أو نظرة أو مذكرة أو ما يلزمه من ضرورياته فهذه عبادة العارفين والصابقين من المريدين مع الزهد التام والتفرغ التام والله تعالى أعلم ثم ذكر ما بدأ به من التسمية الأحكام فقال (الأول في حكم الشيخ والمشيخة ومعنى الشيخ) قلت جعل هذه الثلاثة في حكم واحد لقرب بعضها من بعض فالأول في حكم الشيخ يعنى هل هو شروط صحة أو شرط كمال (و) الثاني في حكم المشيخة أى حكمه الشيخوخة وما يراد بها (و) الثالث في معنى الشيخ يعنى المعنى الذى يكون بها شيئاً وصح الاقتداء به وهو أن يكون جامعاً بين حقيقة وشريعة بين جذب وسلوك ماهرأ بطل النفوس وغناها والله تعالى أعلم ثم شرع في شرح الأمر وهو حكم الشيخ فقال

حالة الكلاب عندنا يبالغ فقال وما الزهد عندكم أتم قال إذا فقدنا شكرنا وإذا وجدنا آثرنا فهذا هو الفهم عن الله حيث شكر حين فقد فقد عد القصد نعمة والفاقة غنى لما يجدا فيها من الواهب والاسرار ولما يتقرب بعدها من ورود الواردات والانوار اولو لم يكن إلا التفرغ من الشواغل والاغياو وهذا تزكوا الاحوال وتنظم الاعمال ويتأهل صاحبها للقبول والاقبال ولا فلا عبرة بصورة وجودها مع عدم قبولها كما نه على ذلك بقوله (ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول) قلت لا عبرة بالطاعة إذا لم يصحها قبول كما لا عبرة بالسؤال حيث لم يحصل به مأمول إذ الطاعة إنما هي وسيلة لمحبة المطاع وإقباله على المطيع بحيث يفتح في وجهه الباب ويرفع عن قلبه وجود الحجاب وبجسده على بساط الاحباب فإذا فتح لك باب العمل وبلغت في تحصيله غاية الأمل غير أنك لم تجد له ثمرة ولم تنلق له حلاوة من الانس بالله والوحشة مما سواه ومن الغنى بهو الانحياش اليه والاكسفاء بعلمه والقناعة بقسمته فلا تنفرت بذلك أيها المريد فرما فتح لك باب طاعته وأنهضك إلى خدمته ولم يفتح لك باب القبول ومنحك بها من الوصول حيث اعتمدت عليها وركنت اليها وأنست بها وأسفلتك حلاوتها عن الترقى إلى حلاوة شهود النعم بها ولذلك قال بعضهم احذروا حلاوة الطاعات فإنها سموم قاتلة لأنها تقبض صاحبها في مقام الخدمة ويحرم من مقام المحبة وفرق كبير بين من شغله بخدمته وبين من اصطفاها لمحبة واجتباها لحضرة فإجراء الذنب على العبد أحسن من مثل هذه الطاعة التي تكون سبب الحجاب كما نه عليه بقوله (وقضى عليك الذنب فكان سببا في الوصول) قلت وذلك أن العبد إذا كان سائرا لمولاه قاصدا لو صول حضرة حبيبه ورضاه قد يحصل له كل أو يصيبه ملل أو يركبه كسل فسلط الحق عليه ذنبا أو تغلبه نفسه فيسقط فإذا قام من سقطته جد في سيره ونهض من غفلته ونشط من كسله فلا يزال جادا في طلب مولاه غائبا عما سواه حتى يدخل حضرة ويشاهد طلعه وهي الحضرة التي هي تجليات الحق وأسرار ذاته ومثال ذلك رجل مسافر أصابه في الطريق نوم أو كسل فيسقط فيضربه حجر فإذا قام ذهب كسله وجد في سيره وفي الحديث رب ذنب أدخل صاحبه الجنة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال لا يزال تابيا فأرا منه خائفا من ربه حتى يموت فيدخله الجنة أو كما قال عليه الصلاة والسلام وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رآني نفي يده لولم تذبذبه الله بك ولجاء يقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم اهو قال صلى الله عليه وسلم في شأن الطاعة التي لم تقبل رب صائم ليس له من صيائه إلا الجوع وقائم ليس له من قيامه إلا السهر فقل هذه الطاعة

وإنما تقوم مسافرون لحضرة الحق وظاعنون

فاقتروا فيه إلى دليل ذى بصير بالسير والمقبل

قد سلك الطريق ثم عاد لينجز القوم بما استفاد

(قلت) السفر إلى الله مجاز عبارة عن قطع العلائق وعن الخروج عن الشهوات والموائد ليتصل بالانوار والحقائق وهي المعبر عنها بمحضرة الحق وإن شئت قلت السفر هنا عبارة عن الانتقال عن المقامات والازوال في أخرى كالاتقال من مقام الاسلام إلى الايمان ثم من مقام الايمان إلى الاحسان (أو) عبارة عن الانتقال من شهود عالم الملك إلى عالم الملكوت ومن الملكوت إلى الجبروت أو من عالم الحس إلى عالم المعنى أو من شهود الكون إلى شهود المكون أو من عالم الشهادة إلى عالم الغيب أو من السلوك إلى الجنب ثم من الجنب إلى السلوك أو من توحيد الافعال إلى توحيد الصفات ثم إلى توحيد الذات ولا يتحقق السفر ولا يظهر السير إلا بمحاربة النفوس ومخالفتها في عوائدها وقبيح حالها وشهواتها فلو لا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين

المعصية التي يصحبها الانكسار أحسن منها بكثير أبان ذلك بقوله (معصية أورت ذلا وافقارا خيرا من طاعة أورت عز واستكبارا) قلت إنما كانت المعصية التي توجب الانكسار أفضل من الطاعة التي توجب الاستكبار لأن المقصود من الطاعة هو الخضوع والخشوع والافتقار والتذلل والانكسار أنا عند الذكرى قلبهم من أجل إذا دخلت الطاعة من هذه المعاني واتصفت بأحد أبعادها فالمعصية التي توجب هذه المعاني وتجلب هذه المحاسن أفضل منها إذ لا عبرة بصورة الطاعة ولا بصورة المعصية وإنما العبرة بما يتبع عنهما أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم فثمر الطاعة هي الذل والانكسار وثمر المعصية هي التقوية والاستكبار فإذا انقلبت الثمرات انقلبت الحقائق صارت الطاعة معصية والمعصية طاعة ولذلك قال المحاسبي رضي الله عنه إنما مراد الله سبحانه من عبادة قلوبهم فإذا تكبر العالم أو العابد تواضع الجاهل والمعاصي وذلك هية لله عز وجل وخوفا منه فهو أطوع لله عز وجل من العالم أو العابد بقلبه اه وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه كل إساءة أدب ثمر أدب فليست بإساءة أدب وكان رضي الله عنه كثير الرجاء لمباد الله الغالب عليه شهود وسع الرحمة وكان رضي الله عنه يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله حتى أنه يدخل عليه مطيع فلا يزال به وربما دخل عليه عاص فأكرمه لأن ذلك الطائع أتى وهو متكبر بعمله وناظر لفعله وذلك المعاصي دخل بكثرة معصيته وذاته ومخالفته قاله المصنف في لطائفه وقال أبو يزيد رضي الله عنه نوديت في سرى خزانتي معلومة بالحقمة فإن أردت أن أفعلك بالذلة والافتقار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولم تذبوا الحشيت عليكم ما هو أشد من ذلك العجب كذا في الصحيحين وقال عليه السلام لولا أن الذنب خير من العجب ما خلا الله بين مؤمن وذنب أبدا وقال الشيخ أبو مدين رضي الله عنه انكسار المعاصي خير من صولة المطيع وقال شيخ شيوخنا رضي الله عنه معصية بالله خير من ألف طاعة بالنفس اه ومعنى كلام الشيخ أن العبد إذا أجزيت عليه زلة لم يقصدها بقلبه وإنما جرته القدرة إليها رغما على أنه ثم ندم وانكسر فهي في حقه خير من ألف طاعة يشهد فيها نفسه ويتبجح بها على عباد الله وقه در صاحب العينية حيث يقول :

وأسلمت نفسي حيث أسلنى الهوى ومالى عن حكم الحبيب تنازع
فلورا ترانى فى المساجد راكما وإنى طورا فى الكنائس راتع
أرأى كآلات وهو محرك أنا قم والافتقار أصابع

إذ لا سير ولا سلوك إلا فيها ولا جذب ولا أخذ إلا عنها ولذلك قال بعض المحققين لا يصح أن يقال في الآتياء عليهم السلام سالكون ولا مجنوبون لأن الجنب لا يكون إلا عن نفس والسلوك لا يكون إلا في قطع عقباتها وهم عليهم الصلاة والسلام مطهرون من آثار النفوس بأول قدم فهم مقيمون في بساط الحضرة قديما وحديثا وقوله لحضرة الحق بين دائرة ولايته وهي عكوف القلب في شهود الرب بحيث يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل (أو تقول) الحضرة عبارة عن كشف رداء الصون عن أصل نور الكون فتلوح أنوار القدم على صفحات العدم فيتلاشى الحادث ويبقى القديم والظائع هو المرحل وهو المسافر (وقد) ضرب الساحلى مثلا للسفر للمعنوى الذى يوصل إلى الحضرة وحاصله باختصار أن مثل الحضرة كلك كبير ظهر بالشرق مثلا وأرسل رسلا يعرفون به ويشوقون الناس إلى حضرته بذكر محاسنه ومكارمه فن الناس من أعرض عن طاعته وهم الكفار مثلا ومن الناس من أذعن وأطاع وعجز عن السير إليه اما لثقله أو لضعف محبته وهم غوام المسلمين الذين يؤمنون بالغيب ومن الناس من تشوق إلى السير إليه وبذل مهبته وروحه في الوصول إليه فقالت له الرسل

ولست يجبرى ولكن مشاهد
فأؤنة يقضى على بطاعة
لذلك ترى كنت أترك أمر
ولى نكتة غراء سوز أفوها
هى الفرق ما بين الولى وفاسق
وما هو إلا أنه قبل وقعه
فأجى الذى يقضيه فى مرادها
فكنت أرى منها الإرادة قبل ما
فأتى الذى تنوء قدى ومهجى
إذ كنت فى حكم الشريعة عاصياً
فما لمريد ماله من يدافع
وحيثما عته نهتا الشرائع
وأتى الذى أنهاه والجفن دافع
وحق لها أن ترعوبها المسامع
تفه لها فالأمر فيه فظائع
يغير قلبى بالذى هو واقع
وعنى له قبل الفعل تطالع
أرى الفعل منى والأسير مطاوع
لذلك فى نار حوتها الأضالع
فانى فى علم الحقيقة طائع

فأشار إلى الفرق بين معصية الولى ومعصية الفاسق وذلك من ثلاثة أوجه الولى لا يقصدها ولا يفرح بها ولا يصر عليها والفاسق بالعكس فى الجميع وقيل للجنيذ أيزن العارف فقال وكان أمراً قدراً مقدوراً لكن معصية الولى حدها الظاهر ولذلك قال ابن عطاء الله ليت شمرى لو قيل له أتعلم حمة العارف بنير الله لقال لا اه ولما كانت النعم تقتضى من العبد شكرها وشكرها هو العمل بطاعة الله فيها قال الجنيذ الشكر ألا يعصى الله بنعمه بين الشيخ أصول النعم وفروعها فقال (نعمتان باخرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما نعمة الإيجاد ونعمة الامداد) قلت أما نعمة الإيجاد فهى الاظهار من عالم النيب إلى عالم الشهادة أو من عالم الأمر إلى عالم الخلق أو من عالم الأرواح إلى عالم الاشباح أو من عالم القدرة إلى عالم الحكمة أو من عالم التقدير إلى عالم التكوين وأما نعمة الامداد فهى قيامه تعالى بالأشياء بعد وجودها وإمداده إياها بما تقوم به بنيتها وهاتان النعمتان عامتان واختص الإنسان بما اجتمع فيه من الصدين وهما التور والطاعة والطلاقة والكثافة فلو بقيت أيها الانسان على ما كنت عليه من العدم فى عالم القدم لم تتمتع بنعمتين بنعمة الاشباح ونعمة الارواح ولو تجلى فيك بوجه واحدة لكننت ناقصاً فى شهود المعرفة لأن منزلة الآدى فى المعرفة أعظم إذ بقدر المجاهدة يكون

أو من ناب عنهم هاتين نسير بك ونصرفك الطريق ثم ان الملك بنى دياراً فى الطريق يزولونها وجعل فيها مياهاً ورياضاً وأزهاراً وكل منزل ما بعده أعظم منه فإذا سارت الرسل أو نوابهم بالناس وزلوا فى بعض تلك المنازل أراد بعضهم أن يسكن فيها ويقيم ثم يقول له الرسول المطلوب امامك فزالوا يرحلون بهم من مرحل إلى مرحل ومن مقام إلى مقام حتى يشفرون بهم على الملك فإذا شاهدوا الملك على نعمت الرضى والتكريم كان ذلك مقامهم ومسكنهم انتهى ذكرته بالمعنى لطول العهد به (وقال) ابن عطاء الله فى الحكم فى هذا المعنى فالعالم من كان بما هو أبقى أفرج منه بما هو ببقى قد أشرق نوره وظهرت تابشيره فصدف عن هذه الدار مضياً وأعرض عنها مولياً فلم يتخذها وطناً ولا جعلها مسكناً بل أنهض الهمة عنها إلى الله وصار به مستعينا فى القدوم عليه فزالته مطية عزمه لا يقر قرارها دائماً بتسيارها إلى أن أناحت بحضرة القدس وبساط الأنس فى محل الرفاعة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والطاعة فصارت الحضرة ممشى قلوبهم إليها يأوون وفيها يسكنون الخ (و) قوله فافتقروا فيه إلى دليل يعنى أن من تشوف إلى الحضرة لابد له من دليل.

الترقى في المشاهدة لما فيه من الكثافة والطاقة فكما لطف من كثافة ترقى في مشاهدة ربه ولما فيه من النور والظلة فكما اتفتحت الظلة قوى النور بخلاف غيره من الجن والملائكة غير المقرين قال الله تعالى في حق الملائكة ومامن إلا له مقام معلوم فمثل الآدى الا كيا فورة سوداء وهى أعظم اليواقيت كلما صلتها أشرفت وزاد نورها وجمالها ومثل الملائكة كالزجاج إذا صقل مرة كفاف ولا يزيد نوره على أصله فلو بقيت أيها الإنسان على ما كنت عليه من العدم أو من الطاقة بعد قبضة القدم لم يكن لك مزبة على غيرك وعما يدلك على أن تجلى الآدى أعظم اختصاصه بالجنة والنظر قال تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش والكلام إنما هو مع الخواص فخواص الآدى أعنى الانبياء أعظم من خواص الملائكة وخواص الملائكة أعنى المقرين أعظم من خواص الآدى أعنى العارفين والعارفون أعظم من عوام الملائكة وعوام الملائكة أعظم من عوام بنى آدم والله تعالى أعلم فأنتم الحق سبحانه عليك أيها الإنسان أو بنعمة الإيجاد وأصبحك الرأفة والوداد لتظهر مزيك وتكمل نعمتك ثم أنعم عليك ثانيا بنعمة الامداد حسية ومعنوية .

(أما المدد) الحسى ففداء البشرية من أول النشأة إلى منتهائها (وأما المدد) المعنوى ففداء الروح من قوت اليقين والعلوم والعارف والأسرار ثم إن هذا المدد المعنوى من حيث هو ينقسم على ثلاثة أقسام منه ما لا يزيد ولا ينقص وهو مدد الملائكة قال تعالى ففهم ومامن إلا له مقام معلوم ومنه ما يزيد وينقص وهو مدد عوام بنى آدم ومنه ما يزيد ولا ينقص وهو مدد خواصهم كالرسل والأنبياء وأكابر الأولياء ومن تعلق بهم عن دخل تحت حضانتهم ولزم عنهم من الفقراء والمريدين السائرين فقدم في الزيادة على الدوام وهذا المدد ثابت الروح قبل اتصالها بالبشرية فلذلك أقرت بالروية في عالم النذر قال في التنوير اعلم أن الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع أطوارك وقام لك في كل ذلك بوجود ابرارك فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير يوم السبت ربكم قالوا بلى ومن حسن تدبيره لك أن عرطف به وفرقه وتجلي لك فشده واستنطقك وأهلك الارقار برويته فرحته ثم انه جعلك طفلة مستودعة في الأصلاب تولاك بتدبيره هنالك حافظا لك وحافظا لما أنت فيهوم صلا لك المدد بواسطة ما أنت فيه من الآباء إلى أليك آدم ثم قذفك في رحم الأم فتولاك بحسن التدبير وجعل الرحم قابلة لك أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا تعطى فيها حياتك ثم جمع بين التفتين وألف بينهما فكانت عنهما لما بينت عليه الحكمة الإلهية من أن الوجود كله مبنى على سر الازدواج ثم جعلك بعد الطفلة علة مهيئة لما يريد سبحانه أن ينقلها اليه ثم بعد العلة مضغة ثم فق سبحانه في المضغة صورتك وأقام فيها بينتك ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ثم غذاك

بدله عليها ويسلك به طريقها (قال) في شرح الشريعة اعلم أن سلوك الطريق وخصوصاً لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد لأن الطريق عويص وأذى وزوال يقع عن المحجة يؤدي إلى مواضع في غاية البعد عن المقصود (قال) الشيخ أبو الحسن الششتري رضى الله عنه ولا بد أن يتدبكر لمن يأمره وينهاه ويصبره فان الطريق عويص قليل خطاره كثير قطاعه وقد يظن السالك أنه على جادته وهو قد ولى ظهره لموضع توجهه منه فانه إذا خرج منه أئمة فقد خرج واقتطع وانصرف سيره على أشعة تلك الأئمة فانه طريق دقيق ونفس متصرفة في البدن وهى الراحة عنه وعادة مألوفة وشيطان هذا الطريق يقيه بمقاماته ونوازل (قال) أبو عمرو الزاجرى رضى الله عنه لو أن رجلا كشف له عن الغيب ولا يكون له أستاذ لا يجيئه منه شيء (وقال) إبراهيم بن شيان رضى الله عنه لو أن رجلا جمع العلوم كلها وحسب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياسة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح ومن لم يأخذ أدبه عن أمر له يره عيوب أعماله وروعات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح الممارات (وقال) الشيخ أبو مدين رضى الله عنه من لم يأخذ أدبه

بدم الحىض فى رحم الأم فأجرى عليك رزقه من قبل أن يخرجك إلى الوجود ثم أبقاك فى رحم الأم حتى فويت أعضاؤك واشتدت أركانك ليسبك إلى البروز إلى ماضم لك أو عليك وليبرك إلى دار تعرف فيها فضله وعده إليك ثم لما نزلك إلى الأرض علم سبحانه أنك لا تستطيع أن تتناول خشونات المطاعم وليس لك أسنان ولا أرحى تستعين بها على ما أنت طاعم فأجرى التدين بالغذاء اللطيف ووكّل بهما مسحت الرحمة التى جعلها فى قلب الأم فكلما وقف اللبن على البروز استحسنت الرحمة التى جعلها لك فى الأم مستحسناً لا يفتر ومستمضاً لا يهرثم انه شغل الأبوالأم بتحصيل مصالحك والراقة عليك والرحمة والنظر بين اللودة منهما إليك وما هى إلا راقته ساقها للعباد فى مظاهر الآباء والأمهات تعريفاً بالوداد وفى حقيقة الامر ما كفلك إلا ربوبيته وما حشنتك إلا ألوهيته ثم أزم الاب القيام بك الى حين البلوغ وواجب عليه ذلك راقته، ثم رفع قلم التكليف عنك إلى أوان تكمل الاقلام وذلك عند الاحتلام ثم إلى أن صرت كهلاً لم يقطع عنك نوالاً ولا فضلاً ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة ثم إذا قدمت عليه ثم حشرت إليه ثم إذا أقامك بين يديه ثم إذا أسلكك من عقابه ثم إذا أدخلك دار ثوابه ثم إذا كشف عنك وجود حجابيه وأجلسك بمجالس أوليائه وأحياه قال سبحانه ان المتقين فى جنات ونهر فى مقد صدق عند مليك مقتدر فلأى احسانه تشكر ولأى آياديه تذكر واسمع قوله سبحانه ، وما بكم من نعمة فمن الله :

تعلّم لك لم تخرج عن احسانه ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه اءكلامه فى التنوير وهو شرح لهذه الحكمة لاشتماله على التعمتين ايجاداً وامداداً ومن نعمة الامداد المعنوى نعمة الاسلام والاحسان وحفظ ذلك وادامته علينا فى كل وقت وحين وزيادة الترقى فى المعرفة واليقين الى يوم الدين فالله رب العالمين ثم المقصود بالنظر الى هاتين التعمتين هو الانسان وان كانتا عامتين فى جميع الاكوان اذ هو المطلوب بشكرها والتحدث بذكرها ولذلك خصه بالخطاب (انعم عليك أولاً بالايادى وثانياً بتوالى الإمداد)

قلت نوالى الامداد هو متابعة واتصاله سواء كان حسيّاً أو معنويّاً فى كل ساعة ولحظة أنت مفتقر الى امداده قلباً وقالياً كما أبان ذلك بقوله (فاقفك لك ذاتية ووروداً لاسباب مذكرة لك بما خفى عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض) قلت الفاقة الذاتية هى الأصلية الحقيقة والاسباب المحركة لها هى العوارض الجلالية وهى كل ما يقهر النفس ويزعجها عن حظوظها وتصرفاتها العادية وانما كانت فاقتنا ذاتية لا تقارفا ساعة واحدة لأن نشأتنا مركبة من حس ومعنى ولا يقوم الحس الا

من المتأدين أفسد من يتبعه (وقال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه كل من لا يكون له فى هذا الطريق شيخ لا يفرح به ولو كان وافر العقل منقاد النفس واقصر على ما يلقى اليه شيخ التعليم فقط لا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المرنى لأن النفس أبداً كثيفة الحجاب عظيمة الاشراك فلا بد من بقاء من الرغائات فيها ولا يزول عنها ذلك بالكلية الا بالانقياد للغير والدخول تحت الحكم والقهر حسبما ذكر الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه (و كذلك لو كان سبق لمعنى الله عناية وأخذ الحق إليه وجذبه الى حضرة لا يؤهل للشيخة ولو بلغ) (وقال) فى لطائف المنن من لم يكن له أستاذ يهله بسلسلة الانبياء ويكشف له عن قلبه القناع فهو فى هذا الشأن لقيط لا أب له دعى لا نسب له فان يكن له نور فالتألب غلبة الحال عليه والتألب عليه وقوفه مع ما يرد من الله اليه لم تره سياسة التأديب والتهديب ولم يقه زمام التربية والتدريب (وقال) الشيخ أبو عثمان الفراء رحمه الله المجنوب المتدارك الراجع من عالم الحق الى عالم الخلق لا يكمل ولا يصلح للاقتداء إذا لم يكن له مرشد يهديه إلى دقائق المقامات وان كان على بينة من ربه وبصيرة فى سلوكه فان فى المقامات الاسلامية

بالمعنى والمعنى هو أسرار الربوبية القائمة بالأشياء فأشباحنا مفتقرة في كل لحظة إلى نعمة الامداد بعد نعمة اليجاد ولا الحكمة إلا بالقدر ولا البشرية إلا بالروحانية والروح سر من أسرار الله قال الله تعالى قل الروح من أمر ربي قال بدن قائم بالروح والروح أمر من الله وكل شيء قائم بأمر الله فافتقار البشرية للروحانية حاصل على الدوام قال تعالى في نعمة اليجاد يا أيها الناس أتمم الفقراء إلى الله والله هو الغني الجيد ، فهذا هو الافتقار إلى نعمة اليجاد ثم قال في نعمة الامداد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وهذا هو افتقارنا إلى الامداد وقال تعالى في افتقار بقية العالم ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا فالكون كله قائم بأمر الربوبية مظهر من مظاهرها لا قيام له بغيرها قال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه الحق مستبد والوجود مستمد والمادة من عين الجود فإذا انقطعت المادة أى مادة للمعنى انهد الوجود اه والمراد بالوجود ظهور الحس وعين الجود هو المعاني اللطيفة القديمة يعنى أن الحق تعالى مستبد أى قائم بنفسه وظهور تجلياته مستمدة من باطن صفاته ومادة الاشياء كلها من عين الجود وهى نعمة اليجاد والامداد فإذا انقطعت المادة أى مادة للمعنى من الحس اضمحل الحس واضمحلت الأكوان فلو ظهرت صفاته اضمحطت مكوناته ففانك أى افتقارك أيها الانسان لك ذاتية أى أصلية حقيقية لكنها خفية ووردة الأسباب المحركة لظهور تلك الفاقة وهى الشدة والحيرة وكل ما يلجئك إلى مولاك مذكرة لك ما خفى عنك منها يعنى أن فافتك لا تفارقك إذ كل لحظة تقتقر إلى من يمدك بالوجود فى الساعة الثانية الا أنها خفية لا تذكرها حتى يتحرك عليك أسباب ظهورها كالفقر والمرض وغيرها والفاقة الأصلية الذاتية لا ترضها العوارض وهى الصحة والعافية فادام البدن فى العافية فافتقه خفية لا يفتقر لها الا العارفون لا يزلون اضطرارهم فإذا قام عليه جلال أو محرك ظهر افتقاره وتحقق اضطرابه مع أنه دائم الفاقة حسه ومعناه والله تعالى أعلم ثم ان رجوع الشيء إلى أصله مرغ فيه وخروجه عن أصله لاخير فيه وأصلك أيها الانسان هو الفاقة والاضطرار والذلة والانكسار فكل ما يردك إلى أصلك فهو لك فى غاية الحسن والاختيار كما أبان ذلك بقوله خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فافتك وترد فيه إلى وجود ذلك قلت انما كان شهود الفاقة هو خير أوقاتك لوجهين أحدهما فى ذلك من تحقيق العبودية وتعظيم شأن الربوبية وفى ذلك شرف المبد وكاله اذ بقدر تحقيق العبودية فى الظاهر يعظم شهود الربوبية فى الباطن .

(أو تقول) بقدر العبودية فى الظاهر تكون الحرية فى الباطن

(أو تقول) بقدر الذل فى الظاهر يكون العز فى الباطن .

الإيمانية دقائق لا تترك الا من حيث الخلفية والاطلاع عليها متوقف على اطلاع من اطلع عليها بنظر خفيته فلا يكتفى بالينة الحقيقة التى المعجوب فكان محتاجا إلى المرشد (وكلام الشيخ فى الحضر على اتخاذ الشيخ الربانى والتحذير من ضده كثير (وروى) عن أبي زيد أنه قال من لم يكن له أستاذ فامامه شيطان (وقال الشيخ أبو على الدقاق الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غرس فانها تورق ولا تثر (قال) القشيري وهو كما قال يجوز أن تثر كالأشجار التى فى الأودية والجبال ولكن لا يكون لغايتها طم فأكهة البساتين والغرس إذا نقل من موضع لآخر يكون أحسن وأكثر ثمرة قد خول التصرف فيه ثم قال وسمعت من المشايخ يقول من لم يرمط لا يفلح وقد وقعت مشاجرة ومناظرة فى آخر المائة الثامنة بين فقراء الاندلس حتى تضاربوا بالعمال وذلك هل يكتفى بمشاهدة الرسوم ومطالعة الكتب فى طريق الصوفية أهل التوحيد الذوق والمعرفة الحقيقية الوجدانية أم لا بد من الشيخ فكثيرا البلاد فأجاب فيها كل أحد على قدر نظره كالشيخ أبي عبادة ابن عباد رضى الله عنه كالشيخ أبي عبد الله بن خلدون رحمه الله وأورد لهذه المسئلة تأليفا وقد ذكر حاصل ذلك الشيخ

(أو نقول) بقدر وضع الظاهر يكون رفع الباطن من تواضع دون قدره رفعة الله فوق قدره وانظر أشرف خلق الله وهم الأنبياء بماذا خاطبهم الله تعالى فاططهم إلا بالعبودية قال الله تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب واذكر عبدنا داود ذا الأيد واذكر عبدنا أيوب وقد اختارها نينا صلى الله عليه وسلم حين خير بين أن يكون نينا ملكا أو نينا عبدا فاختار أن يكون نينا عبدا فدل على أن أشرف حال الإنسان هو العبودية بقدر ما يتحقق بها في الظاهر يعظم قدره في الباطن ومهما خرج منها في الظاهر بإظهار الحرية أدبته القدرة وردته القهربة حتى يرجع إلى أصله ويعرف ماله وعليه .

(الوجه الثاني) مافي الفاقة من مزيد المدد وطلب الاستمداد إنما الصدقات للفقراء والمساكين إن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك كما أتى إن شاء الله وقد جعل الله النصر والفتح مقرونين بالفاقة والذلة وتحقيق الضعف والقلّة قال الله تعالى ولقد نصركم الله بيدر وأتم أدلة وقال تعالى واذكر وألذ كنتم قليلا فكثركم وجعل الخذلان وعدم النصر والمعونة في إظهارها الحرية والقوة قال تعالى ويوم حين إذا أعجبتمك كثيرنكم فلم تنعنكم شيئا وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وذلك لما وقع من بعض الصحابة الذين كانوا حديثي عهد بإسلام فأدبهم الله بإظهار الحرية لكن عمت الفتنة قال تعالى وانقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وهذا ذكر الآية قبل ذكر القضية والله تعالى أعلم فإذا خير أوقانك أيها المريد وقت تشهد فيه وجود فائقك أي ظهورها وإلا فهي كامنة كما تقدم وتسمى عند المتأخرين الحيزة وهي الشدة فهي خير لك من ألف شهر إن عرفت فيها ربك والمعرفة أن تسكن عن التحرك والاضطراب وتقع النظر عن التعلق بالأسباب وترجع فيها إلى مسبب الأسباب وتعلق همك برب الأرباب وتكني بعم الله الكريم الروهاب ولقد سمعت شيخنا الزبيدي رضي الله عنه يقول العجب من الإنسان يرى الخير أو الفتح واصلا اليه وقادما عليه ثم يقوم يبادر بسد الباب في وجهه وهو أن يرى الفاقة قادمة عليه فيبادر إلى الأسباب التي تقطعها عنه قبل وصولها فقد كان الرجح واصلا اليه فقام فرده أو ما هذا معناه وخير أوقانك أيضا وقت تشهد فيه وجود ذلك كما تقدم لأنه سبب عزك وبصرك إذا الأشياء كامنة في أصدادها العز في الذل والفنى في الفقر والقوة في الضعف والعلم في الجهل أي إظهار الجهل إلى غير ذلك قال تعالى وزيد أن نن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وقال تعالى في حق الصحابة رضي الله عنهم حين كانوا في حالة الاستضعاف والاذاية نولية لهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات

زروق في عدته فقال بعد كلام وقد تشاجر فقراء الأندلس من المتأخرين في الاكتفاء بالكعب عن المشايخ فكتبوا البلاد فكل أجاب على حسب فتحه وجل الأجوبة دائرة على ثلاثة أولا النظر للمشايخ فشيخ التعليم تكني عنه الكعب الليب حاذق يعرف موارد العلم وشيخ التزية تكني عنه الصبغة لدين عاقل ناصح قال شارح بداية السلوك وقل أن يوجد لعلبة للمرى (وشيوخ) الترقية يكني عنه اللقاء والتبرك وأخذ كل ذلك من وجه واحد يعني أن أخذ ذلك عن الشيخ في الأوجه الثلاثة أتم للنجاح وأبلغ للموارد (الثاني) النظر لحال الطالب فالبلد لا بد من شيخ يريه والليب تكني الكعب في ترقيه لكنه لا يسلم من رعونته نفسه وإن وصل لا يتلاءم البديروية نفسه (الثالث) النظر للجهاد ان فجاهدة القوى لا تحتاج إلى شيخ ليانها وعموما والاستقامة تحتاج للشيخ في بيان الأصلح منها وقد يكتفى عنه الليب بالكعب وبجاهدة الكشف والترقية لا بد فيها من شيخ يرجع اليه في فوجها كرجوعه عليه السلام في عرضه على ورقة بن نوفل لعله بأخبار النبوة ومبادئ ظهورها حين فاجأه الحق وهذه الطريقة قريبة من الأولى والسنة معها والله تعالى أعلم انتهى (وهذا) الجواب الأخير أقرب للصواب

ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وما جرت به العادة الإلهية أن الفرج على قدر الضيق فيقدر الفقر يكون الغنى وبقدر العز وبقدر السر يكون اليسر والحاصل بقدر الجلال يكون الجلال عاجلاً وآجلاً قال تعالى « فإن مع العسر يسراً » ، وإن يظن عسر يسرين كما في الحديث حيث قال عليه السلام لابن عباس رضي الله عنه واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً ثم إذا صح فترك إليه وتحقق ذلك بين يديه أحفظك بأنسه وزج بك في حضرة قدسه كما أشار إلى ذلك بقوله (متى أوحشك من خلقه فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به) .

قلت هذه سنة الله تعالى في خلقه إذا أراد أن يؤنس عبده بذكره ويتخفه بمعرفته أوحشه من خلقه وشغله بخدمته وألمحه ذكره حتى إذا امتلأ قلبه بالأنوار وتمكن من حلاوة الشهود والاستبصار رده إليهم رحمة لهم لأنه حينئذ لقوته يأخذ منهم ولا يأخذون منه ومثاله في الحس كفتيلة شعلتها فما دامت ضعيفة لا بد أن تحفظها من الريح وتقصد بها للمواضع الخفية فإذا اشتد نورها وأشعلتها في الحطب صعدت بها إلى ظهور الجبال فيقدر ما يصيبها الريح يعظم اشتعالها كذلك الفقير مادام في البداية لا يليق به إلا الوحشة من الخلق والفرار منهم فإذا تمكن في الشهود فلا يليق به حينئذ إلا الخلطة معهم لأنهم لا يضرونه فتي أوحشك أيها الفقير من خلقه وعزلك عنهم في قلبك فاعلم أنه تعالى أراد أن يؤنسك به ويفنيك بمعرفته فقد كان عليه السلام حين قرب أو أن النبوة والرسل حبيب إليه الخلوة فكان يخلو بفار حراء وحكمة ذلك تصفية البواطن من الشوائب والشواغب لتتأقلم بالقبول ما تتحمله من الأسرار والمواهب فإذا تظاهر من الأكدار ملء بالأنوار فأشرقت فيه شمس العرفان وتمكن من حضرة الشهود والبيان فهذه سنة الله في أوليائه وأصفيائه يفرغون أولاً من الناس حتى يحصل لهم منهم الأيأس ثم يردم الحق إليهم رغماً على أنفسهم لمقام الدلالة والارشاد فينتفع بهم العباد ونحيا بوجودهم البلاد وفي مثلهم قال الشاعر :

نحيا بكم كل أرض تزولون بها كأنكم في بقاع الأرض أمطار
وتشهى العين فيكم منظر أحسنأ كأنكم في عيون الناس أزهار
ونوركم يهتدى السارى برؤيته كأنكم في ظلال الليل أقمار
لا أوحش الله ربعاً من زيارتكم يامن لهم في الحشا والقلب تذكار

والله تعالى أعلم (وقوله) ذو بصير بالسير والمقبل أشار به إلى شروط الشيخ وأنه لا بد أن يكون بصيراً بأحوال السير فيسير كل واحد على قدر طاقته وجهده فليس القوى كالضعيف وليس الزاكي كالرجل فليس يسير الصديق كالصديق والصادق كالتردد وليس المتردد كالمتكرر فيحمل الصديق من المجاهدة والخراب والأذى كما لا يحمل الصادق ويحمل الصادق من ذلك ما لا يحمل المتردد ويحتاج على الذكر بالسياسة حتى يربطه الصدق وهكذا يسير مع كل واحد من القاصدين (قال) بعض المحققين المرید على قسمين مرید حقيق ومجازي فالمرید الحقيق هو من كملت فيه أهلية الإرادة فضمهم عزهم من أول مرة على التزام بصحبة الشيخ والتحكيم في نفسه وعمل على معانقة الأحوال وتحمل الانتقال ومفارقة الأشكال ومعالجة الأخلاق وممارسة المشاق وتحمل المصاعب وزكوب المتاعب (والمرید المجازي هو الذي ليس قصده إلا الدخول مع القوم والتزوي بزهم والانتظام في سلك عقدهم والتكثير لسوادهم وهذا لا يلزم بشروط الصحبة وإنما يؤمر بلزوم حدود الشرع ومخالطة الطائفة حتى تشمله برحمتهم وينظر إلى أحوالهم وسيرهم فيسلك مسلكهم ويؤهل لما أهلوا له (وقوله) قد سلك الطريق ثم

نقنعا الله بهم وحقننا بمعرفتهم آمين ثم إذا فتح لك باب الانس وتشوقت إلى حضرة القدس ثم أطلق لسانك بطلبها فاعلم أنه يريد أن يفتح لك بابها كما أشار إلى ذلك بقوله (متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن ينطق بك) قلت لأن الحق تعالى جعل الطلب سبباً من الأسباب فإذا أراد أن ينجز للعبد ما سبق له فتح له فيه باب الطلب فإذا حصل منه الطلب حصل ذلك الذي قسم له في الأزل إظهاراً لحكمته وإخفاءً لقدرته وتغطيةً لسهو فالدعاء من جملة الأسباب العادية كالخروج والدواء والزواج في الولد وغير ذلك وكل ذلك سبقت به المشيئة وفقد به القضاء والقدر فما بقي الدعاء إلا إظهاراً للفاقة وإبقاء لرسم العبودية لا طلباً لحصول ما لم يكن جل حكم الأزل أن يضاف للأسباب والعلل فتى أطلق لسانك أيها المريد بالطلب لشيء تجل في قلبك أو احتجت إليه فاعلم أن الحق تعالى أراد أن يعطيك ما طلبت منه فلا تحرص ولا تستعجل فكل شيء عنده بمقدار فإن أطلق لسانك في الدعاء من غير سبب غير ما تطلبه منه ما هو طالع منك كما تقدم . (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى الدعاء لم يجرم الاجابة وقال أيضاً عليه السلام من أذن له في الدعاء منكم فقد فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئاً أحب إليه من العفو والعافية وقال الكتاني رضي الله عنه لم يفتح الله لسان المؤمن بالمعذرة إلا وقد فتح له بالمعفرة اه وقال الحفاف رحمه الله وكيف لا يجيبه وهو يحب صوته ولولا ذلك ما منع الدعاء وفي ذلك قيل :

ولو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من فيض جودك ما علتي الطلب

ثم هذا كله قبل فتح باب المعرفة وإذا فتح لك الباب فلا تحتاج إلى طلب لغناك بسبب الأسباب فيكون دعاؤك إنما هو إظهار للفاقة والاضطرار اللازمين لك مع كل نفس وفي كل وقت وحال كما أشار إليه بقوله (العارف لا يزول اضطرابه ولا يكون مع غير الله قراره) قلت أما وجه كونه لا يزول اضطرابه فلتحقق قيمية الحق به إذا احس لا يقوم إلا بالمعنى لحس العبودية لا يقوم إلا بمعنى الربوبية فيقدر تحقق العبد بقيومية الربوبية يشتد اضطرابه في ظاهر العبودية وأيضاً العارف لا يزال في الترقى فهو متعطل للزيادة على الدوام كما قال النقشبندی رحمه الله

وذو الصبابة لو يسقى على عدد الآلاء فماس والكون كأس ليس يرويه

وقال آخر سقاني الحب كأساً بعد كأس فما قد الشراب ولا رويت

عاد أشار به إلى أن الشيخ لا بد أن يكون سلك طريق السلوك ثم خاض بحار الجنب ثم رجع إلى السلوك فلا يصلح للترية سالك محض ولا ينجذب محض وإنما يصلح من تقدمه سلوك ثم تدارك الجنب أو تقدمه جذب ثم رجع للسلوك والاول أكل وقيل الثاني أكل وكلاهما يصلحان للترية دون ما قبلهما أما السالك المحض وهو الظاهري فلا لأنه لا يخلو من بقية فيه من هذا العالم أعنى عالم الاشباح والمكاتب عبد ما يتي عليه درهم والعبد المملوك لا يمكنه التصرف في نفسه فكيف يتصرف في غيره (وأما) المجنوب قبل أن يرجع إلى البقاء أعنى قبل أن يرجع من عالم الحق الذي هو عالم القدرة وارتفاع الوسائط وخرق حجاب الاسباب إلى عالم الخلق الذي هو عالم الحكمة وتحقيق الوسائط والاسباب وإلى الاشتغال بالسلوك والتحقق بالمقامات فهو أيضاً غير مؤهل للشيخية والافتداء به لاشتغاله بماله عن حال غيره وعدم تحققه بالمقامات إلا انه يرى من هو دونه إلى بلوغ مقامه وقد يتمكنان معاً ان كان الاول مقتدياً بشيخ سبيله وافته تعالى أعلم (وقوله) لينهر القوم بما استفاد المراد بالقوم هم المريدون يخبرهم بما استفاد من علوم الأدواق وأنوار الشهود ولذلك قالوا لا بد للشيخ أن يكون

وقال بعضهم لو شربت في كل لحظة ألف بحر لارتى ذلك إلا قليلا وتشهد شفتيك ذلك بأبسة وكل كناية عن عدم النهاية وإن المقصود غير منضبط فالمعارف لا يزال مقترا للزيادة على اللوام فلا يزال اضطرابه على اللوام وقد قال الله تعالى لسيد المعارف من قبل رب زدني علما فلا اضطراب إلى زيادة العلم لا ينقطع ولو جمع علوم أهل السموات والأرض قال تعالى غافلاً للكل وما أوتيت من العلم إلا قليلا (وأما) وجه كونه لا يكون مع غير الله قراره فلأن قلب المعارف رحل إلى الله من الكون بأسره فلم يبق له حاجة إلى غيره فقراره إنما هو شهود الذات الأقدس فان نزل إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالاذن والعكن والرسوخ في اليقين ما المعارف ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله إر وأيضاً سابق العناية لا يتركه يركن إلى غير مولاه فهما ركن قلبه إلى شيء شربته عليه العناية واكتسفته الرعاية فهو محفوظ من الأغيار محفوظ من كل جهة بمدد الأنوار إذ كان الله حرم السماء من استراق السمع فكيف لا يحسد قلوب أوليائه من الأغيار وما توم بمحبه حتى حفظهم من شهود غيره فكيف بالركون فكيف بالسكون هيات هيات هذا يكون من كان ظاهره محفوظاً بالأنوار وباطنه محشواً بالأسرار فكيف يركن إلى شهود الأغيار كما بان ذلك بقوله (أنار الظواهر بأنوار أناره وأنار السرائر بأنوار أوصافه) بالكواكب

قلت أنوار الظواهر هي مظهر على تجليات الأكوان من تأثير قدرته وابداع حكمته كثرين السماء والقمر والشمس وما فيها من ابداع الصنع وتمام الانتان وكثرين الأرض بالأزهار والثمار والنبات وسائر النواكه وكثرين الإنسان بالبصر والسمع والكلام وسائر ما فيه من عجائب الصنعة قال تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقال تعالى إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فهذه أنوار الظواهر وأنوار الأوصاف هي علوم والمعارف والأسرار والمراد بالأوصاف أوصاف الربوبية كالعظمة والعز والقوة والجلال والجمال والكبرياء والكمال وغير ذلك من أوصاف الذات العلية والذات لا تتأرق الصفات فإذا أشرفت السرائر بأنوار معرفة الصفات فقد أشرفت بأنوار معرفة الذات للتلازم الذي بين الصفات والذات ثم الناس في شهود هذه الأنوار الباطنة التي هي أنوار الأوصاف على ثلاثة أقسام قسم يشهدونها على البعدوم أهل مقام الاسلام وقسم يشهدونها على القرب وهم أهل المراقبة من مقام الايمان وقسم يشهدونها على الاتصال وهم أهل المعرفة من مقام الاحسان فأهل مقام الاسلام أنوارهم ضعيفة كأنوار النجوم وأهل مقام الايمان أنوارهم متوسطة كنور القمر وأهل مقام الاحسان أنوارهم ساطعة كأنوار الشمس فتحصل أن أنوار الباطن ثلاثة نجوم الاسلام وفر التوحيد وشمس المعرفة

له علم صحيح وذوق صريح وهمة عالية وحالة مرضية وسيأتي الكلام في بقية شروطه إن شاء الله ثم أحوال الشيخ ومعارفه فقال

وجاب منها الوحد والأكاما وراض منها الرمل والرغاما

قلت أصل جاب في اللغة بمعنى نقب وقطع قال تعالى الذين جابوا الصخر بالوادى تقبوها واتخذوا فيها بيوت وأطلقا الناظم هنا على الدخول والسلوك والوحد المكان المنخفض والأكام المكان المرتفع جمع أكمة وهو التل والتل هو جبل صغير وراض المكان اختيره وعرف ما فيه والرمل بالراء معلوم والمراد هنا الرقيق الذي يتمتع من سرعة السير والرغام التراب والمراد هنا الصلب اليابس (يقول) رضى الله عنه أن شيخ الترية يكون قد سلك من طريق القوم ما كان منها منخفضاً كالخول والنذل والعزلة والفاقة وذاق حلاوة ذلك ومرارته وعرف منافاه ودسائسه فيسير فيها كما صار هو وعرف أيضاً ما كان منها مرتفعاً كالظهور والعز والحظلة والتي فيكون قد سلك ذلك وعرف ضرره ونفعه وذاق حلاوته ومرارته فيسيرون فيه كما سار هو لكن الناس مختلفون فكم من واحد تأنس بالخول والعزلة وترك نفسه لذلك ويشق عليه ظهوره

وإلى هذا المعنى أشار ابن الفارض بقوله :

لما البدر كاسوهى شمس يدبرها هلال وكم يبدو إذا مزجت نجم

فالضمير نخرة الحبة وهى أيضاً شمس المعرفة فإذا مزجت لتشرق ظهر نجم الإسلام وإذا وضعت فى الكأس طلع قر التوحيد وهو الإيمان وإذا شربت أشرقت شمس المعرفة والذي يدبرها على الشارين هلال الهداية هذا معنى كلامه فى الجملة وتشبيه الأنوار المعنوية بالأنوار الحسية إنما هو تقريب لا فأنوار القلوب كلها عظيمة حتى قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض فاطنك بنور المؤمن المطيع (وقال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه لو كشف عن حقيقة لعبد من دون الله (وقال) فى لطائف المنن ولو كشف الحقي عن مشرقات قلوب أنوار أولياته لاطوى نور الشمس والقمر فى مشرقات أنوار قلوبهم وأين نور الشمس والقمر من أنوارهم الشمس والقمر طرا عليهما لكسوف والغروب وأنوار قلوب أولياته لا كسوف لها ولا غروب ولذلك قال قائلهم .

هذه الشمس قابلتنا بنور والشمس واليقين أهر نوراً

فراينا بهذه النور لكن بهاتيك قد رأينا المنيرا

فأنار الحق سبحانه ظواهر الكائنات بأنوار الظواهر وهى النجوم والقمر والشمس فى الحسن وتزين الخلق وابداعهم وتخصيصه وتقيده عن شكل معلوم فى الأنوار الخفية وتهذيب الجوارح وتطهيرها من الأنوار المعنوية وأنار سبحانه القلوب والسرائر بأنوار أوصافه وهى عظمة الربوبية وأوصافها فإذا أشرت فى سماء القلوب الصحية والأسرار الصافية غلب العبد عن شهود الأغيار وغرق فى بحر الأنوار فتفى الأشكال والرسوم ولا يبق إلا الحى القيوم ثم ذكر الفرق بين أنوار الظواهر وأنوار السرائر فقال (لأجل ذلك أقلت أنوار الظواهر ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر) أى لأجل أن أنوار الظواهر إنما هى أنوار الأثر ومن شأن الأثر أن يتأثر ويتميز بالطلوع والغروب فأقلت أى غربت أنوار الظواهر أما بالغروب والمعلوم أو بالعدم المحض ولم تأفل أى تغرب أنوار القلوب وهى أنوار السلام والإيمان وأنوار السرائر وهى أنوار الاحسان فأنوار الاسلام والإيمان هى أنوار التوجه وأنوار الاحسان هى أنوار المواجهة فالنور عبارة عن اليقين الذى يحصل فى القلب يشر حلاوة العمل فإذا قوى اليقين قوى النور واشتدت الحلاوة حتى يتصل بحلاوة الشهود فيغضى حلاوة العمل فذلك

وخلطته فالواجب على الشيخ إخراجهم من ذلك فيأمره بالخلطة والظهور إذ لا تموت النفس إلا بما يتقل عليها وكمن واحد كان مبتلى بالظهور والمز والنفى والخلطة فالواجب إخراجهم من ذلك كله بالأمر بضده (قال) فى شرح الرائية الشريفة وإذا أردت الخروج من العلائق فأولها الخروج من المال فإن ذلك الذى يميل به عن الحق فلم يوجد مرتد دخل فى هذا الأمر ومعه علاقة من الدنيا لا يجتره تلك العلاقة عن قريب إلى مامنه خرج فإذا خرج من المال فالواجب عليه الخروج من الجاه فإن ملاحظة الجاه مقطعة عظيمة ومالم يستوعد المرید قبول الخلق ووردهم لا ينجى منه شيء بل أضر الأشياء له ملاحظة الناس له بعين التعظيم والتبرك به لا غلاص الناس من هذا الحديث وهو بعد لم يصح عقده بينه وبين الله تعالى غروجه من الجاه واجب عليه لأن ذلك سم قاتل له فإذا خرج به من ماله وجاهه فيجب أن يصح عقده بينه وبين الله تعالى لا يخالف شيخه فى كل ما يشير به عليه فإن الخلاف للمرید فى ابتداء أمره عظيم الضرر لأن ابتداء حاله دليل على جميع عمره اه (قوله) وراض منها الرمل والرغاما يعنى أن الشيخ يكون قد اختبر الطريق صعبا وسهلا

يقول عمل الجوارح عند المعارف إذ حلالة الشهود تنفي عن كل شيء ليس الخبر كالعيان (وفي بعض) الأحاديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال العلم بالله قالوا يا رسول الله سألناك عن العمل قال العلم بالله ثم قال فى الثالثة عمل قليل كاف مع العلم بالله وحقيقة النور فى الأصل كيفية تبسط من النيران على سطح الجسم فينكشف ما عليه بواسطة البصر ثم شبه به العلم واليقين والمعرفة لما بينهما من الشبه فى كشف حقيقة الأشياء وتمييزها فالنور الحسى ينقطع بانقطاع أصله والنور المعنوى هو نور القلوب لا ينقطع أبداً فذلك أنشد الشيخ "هذا البيت فقال له ولذلك قيل

ان شمس النهار تغرب بليل وشمس القلوب ليست تغيب

وليس هو من عند المؤلف بل هو لغیره وسيأتى فى المناجاة بتأيمه إن شاء الله قال الشيخ زروق رضى الله عنه فشمس القلوب لا تغيب أبداً بل هى دائمة لا تنقطع وباقية لا تنصدم لبقاء مددها وهى معانى الأوصاف الربانية ودوام علماؤها وهى الآفاق الروحية فالتملق بها متعلق بحقيقة لا تنصدم ومن هذا الوجه كان غنى القوم بالله لا بالاسباب وتعلقهم به لا بشيء دونه اهـ (هذا آخر الباب العاشر) وحاصلها ذكر كيفية الجزاء على الأعمال والزجر على طلبه وتحقيق معرفته فى عطائه ومنعه والاعتناء بأقبله وقبوله لا بخدمته ودوام الاضطراب بين يديه والافتقار إلى نعمته والاستيحاء من خلقه بدوام أنسه ثم اشراق أنواره على قلوب أوليائه وأسرار أصفياه جزاء لأقبالهم عليه وإغياشهم إليه فاذا أنعمهم بذلك وهياهم لما هناك نلى عليهم قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآية كما نبه عليه فى أول الباب الحادى عشر بقوله وقال رضى الله عنه (يخفف ألم البلاء عنك عليك بأنه سبحانه هو المليك فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار) قلت إذا أصابك أهما الإنسان مصيبة أو نزلت بك بلية فى بدن أو أهل أو مال فاذا ذكر من أنزل ذلك عليك وما هو متصف به من الرحمة والآفة بك والمحبة والعطف عليك لعلك تفهم ما فى طى ذلك من النعم وما يعقبه من سوابغ الفضل والكرم ولو لم يكن إلا تطهيرك من الذنوب وتحريكك من العيوب وتقريبك من حضرة علام الغيوب فهل تعودت منه إلا الاحسان وهل رأيت منه إلا غاية الميرة والامتنان فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار فالذى واجهتك منه أحكام قهره هو الذى عودك تمام إحسانه وبوره فالذى واجهتك منه غلواهر المحن هو الذى أسبغ عليك بواطن المنن فالذى واجهتك من حضرة قهارته الرزايا هو الذى أنحفك بأنواع الكرامات والهدايا وقدر

فينظر فى حال المريدین فمن كان قويا حمله على الصعبة ليطوى عنه مسافة البعد ومن كان ضعيفا حمله على السهلة لئلا ينفرد فيرجع من حيث جاء فالرمل الرقيق يصعب السير فيه بخلاف الرغام الصلب فانه يسهل فيه السير فكفى به الناظم عن مشاق النفس وما يخف عليها ولا شك أن الطريق إذا كانت قرية مختصرة لا تجد لها إلا صعبة معقبة وإذا كانت طويلة مسلوكة لا تجد لها إلا طريقا بعيدة والله تعالى أعلم ثم قال :

وجال فيها رائحا وغاديا وسار كل فغد وواديا

قلت القصد للمكان الغليظ ذو حياء قاله ابن الانبارى وقال أبو زيد القنفذ الموضع الذى فيه غلظ وارتفاع والوادى معلوم وجمعه أودية وهو مواضع المياه (يقول) رضى الله عنه يشترط فى الشيخ أن يكون ماهرا بالطريق قد جال فيها مرارا قد راح فيها آخر النهار وغدا فيها أول النهار وكفى بها عن علم البدايات والنهايات فيكون عالما بهارى به المريد فى بدايته وفى نهايته فكل واحد حكم يخصه فعمل البدايات عمل الجوارح وعمل النهايات عمل القلوب ويكون أيضا قد سلك مسالك (٢٠ - بإقراط أول)

صاحب العينة حيث يقول :

تلذذ الآلام إذ أنت مسقى وإن تمنخى فمى عندى صنائع
تحكم بما تهواه فى فائقى فقير لسلطان المحبة طائع

قال الجنيد رضى الله عنه كنت ناعماً بين يدى السرى فأيقظنى وقال لى يا جنيد رأيت كاذباً وقتت بين يديه فقال لى
ياسرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا بحجى خلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر خلقت الجنة فهرب منى
تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر فقلت للباقيين
معى لا الدنيا أردتم ولا الآخرة أخذتم ولا من النار هربتم فأتريدون قالوا إناك تعلم ما تريد فقلت لى مسلط عليكم من
البلاء بمدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون قالوا إن كنت أنت المبتلى فأفضل ما شئت هو لا معيادى حقاً اه
وقال فى التورير وإنا يعينهم على حمل الأحكام قطع باب الأفهام (وإن شئت) قلت وإنا يقوهم على حمل البلاء وأردت
العطايا (وإن شئت) قلت وإنا يقوهم على حمل أقدره وشهود حسن اختياره (وإن شئت) قلت وإنا يصبرهم على
وجود حكمه عليهم بوجوده (وإن شئت) قلت وإنا يصبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجوده (وإن شئت) قلت
إنا صبرهم على القضاء عليهم بأن الصبر يورث الرضى (وإن شئت) قلت إنا صبرهم على الأقدار كشف المحجب الاستار (وإن
شئت) قلت إنا صبرهم على أقداره عليهم بما أودع فيها من لطفه وإبراره اه وإلى هذا الأخير أشار بقوله (من ظن أنفكك
لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره) قلت من أعظم إحسان الله وبره كون لطفه لا ينفك عن قدره فأنزل القدر لإسبغه
اللطف وصحبه وبهذا حكم النقل والعقل أما العقل فأن مصيبة تنزل بالبعد الا وفى قدرة الله ما هو أعظم منها وقد وجد
ذلك فإذا نزلت بك أيها الإنسان مصيبة فاذكر من هو أعظم منك بلاء فكف من إنسان يتقطع بالأوجاع وكف من إنسان
مبتلى بالجذام والبرص والجنون والعمى وكف من إنسان مطروح فى الضنائق لا يجد من يبريه الا من ابتلاه وكف من إنسان
أعمى أو مقعداً أو محموم الا ما لا يتأمله نسال الله عاقبته الدائمة فى الدارين (وأما) من جهة الثقل فقد ورد فى ثواب الأمراض
والأوجاع أحاديث كثيرة وآيات قرآنية فى مدح الصابرين منها قوله تعالى إنا يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله
تعالى وبشر الصابرين الآية إن الله مع الصابرين لى غير ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم ما يصيب المؤمن من وصب ولا

إجبال والجلال فالجمال على العلو والظهور كالنفد والجلال على الانخفاض والخس كالأودية وفيه إشارة إلى أن
شرب المريد من مهل الجلال أكثر من شربه من مهل الجمال لأن الأودية الغالب فيها وجود الماء بخلاف النفد والله
تعالى أعلم ثم قال :

وعلم المخوف والمأمون وعرف الأنهار والعيون

قلت يعنى أن الشيخ يكون علماً بالمكان المخوف والمأمون والمكان الجلب الذى لا ماء فيه والمكان الذى فيه الماء
فيكون علماً بالأمور التى يخاف على المريد فيها فيأمره بالبعد عنها كالركون إلى العز والتعظيم أو إلى الدنيا والميل إلى شيء
منها ومن أسبابها ومخالطة أهلها وسماع حديثها وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول لا تتجالسوا الموت فتموت قلوبكم وكصحة
علما الفروع المتجددين على ظاهر الشريعة لأنهم يزعمون أن السنة محصورة فيها علواً منها وكخطاطة القراء المذاهبين والمتفكرة
الجالهين فهؤلاء كلهم قطاع يخاف على المريد فى صحبته (والموضع) المأمون هو الزهد فى الدنيا والبعث منها ومن أهلها (وفى
الحديث) ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما فى أبدي الناس يحبك الناس وفى حديث آخر الزاهد يرج بدنه وقلبه فى

نصب ولا سقم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها وحتى الهم يمه إلّا كفره سيئاته (وورد) في الحى أحاديث كثيرة وأن حى ساعة تكفر سنة إلى غير ذلك وقد ذكر الشيخ ابن عباد رضى الله عنه منها جملة شافية لطيطالمة من أراد تكثير الأجور ورفع السور والرضى بالمقدور وما ذكرناه كاف إن شاء الله وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول كلام التبة قصير وبالله التوفيق فالأمر واضح لمن هو نفسه ناصح فلا يخاف عليك من الجبل بالحق وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى وجهلة الخلق كما أشار إلى ذلك بقوله (لا يخاف عليك أن تلبس الطرق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك) قلت لاشك أن الله سبحانه بين لنا طريق الوصول على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فينا أعلام الشريعة ومنار الطريقة وأنوار الحقيقة فقرر لنا شرائع الإسلام وقواعد الإيمان ومقام الاحسان فأترك صلى الله عليه وسلم شيئاً يقربنا إلى الله إلا دلنا عليه ولا شيئاً يبعدنا عنه إلا حذرنا منه لم يال جهداً في ارشاد العباد وإظهار طريق السداد فأرسل إلى الله تعالى حتى ترك الناس على الدين القويم والمنهج المستقيم على طريق يضاء لا يضل عنها إلا من كان أعمى قال تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً وقال تعالى لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وقال عليه السلام لقد تركتكم على الحنيفة السمحة وفي رواية على الملة البيضاء نهارها كليلها أو كما قال عليه السلام وقال أحمد بن حنبل روى البخاري رضى الله عنه الطريق واضح والدليل لائح والداعي قد أسمع فما التحير بعد هذا إلا من العسى (وسمعت) رابعة العدوية صالحا المرى يقول من أضمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت له الباب مفتوح وأنت تفر منه كيف تصل إلى مقصد أخطأت الطريق إليه في أول قدم أم كلالها رضى الله عنها فلا يخاف عليك أيها المريد أن تلبس الطرق الموصلة إلى الله تعالى عليك لأنها في غاية الوضوح وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك فيصلك ويضيعك أن الهوى ماتولى يصم أو يعمى ، فلا يخاف عليك التباس الهدى وإنما يخاف عليك اتباع الهوى فلا يخاف عليك التباس الحق وإنما يخاف عليك جهلة الخلق وإن قطع أكثر من في الأرض بضلوك عن سبيل الله فلا يخاف عليك عدم وجود أهل التحقيق وإنما يخاف عليك قطاع الطريق لا يخاف عليك من خفاء أهل الحق وإنما يخاف عليك من قلة الصدق فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم والله ما حجبهم عنك إلا من عدم صدقك فلو حسنت ظنك بالله وأولياء الله لرفع الله الحجاب بينك وبينهم ووجدتهم أقرب إليك من أن ترحل إليهم فسيحان من سترهم في حال ظهورهم وأظهرهم في حال خفتهم

الدنيا والآخرة (وقيل) لأبو الحسن مالى أرى الناس يعظمونك وليس لك كبير عمل قال يستة واحدة افترضها الله على عباده تمسكت بها (وقيل) وما هى قال الاعراض عنكم وعن دنياكم

(و) من المراضع المأمونة صحة الصوفية من المريدين والعارفين والميل إلى الفاقة والقناعة من الدنيا والعزلة والصمت والموضع الذى لا ماضى فيه وهو عمل الجذب وهو الموطن الذى تكثر فيه الشهوات والعوائد ويجد فيه المريد راحته وجماله ويظهر فيه عزه وجاهه فهذا الموطن أن طال فيه أقامته قسط قلبه ومنع من مد الزيادة .

(قال) في الحكم أن أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك ربما تجد من المزيد في الفاقة ما لا تجده في الصوم والصلاة ولذلك كانت الفاقة أعياد المريدين لأنها سلم وممرج للرسوخ والتسكين في مقامات اليقين (و) قد قال بعضهم بقدر الامتحان يكون الامتكان واختيار الباقي يقطع التباقي وكل محنة تزيد مكنة والموضع الذى فيه الميامن عيون وأنهار هو ما قلته آنفاً من مواطن الشدة والفاقة وكلما ينضج على النفس ويؤلها فالأنهار هي علوم الطريقة والعيون هي أسرار الحقيقة (أو تقول) الأنهار هي العلوم والعيون هي الآذواق فلا بد للشيخ أن يكون عارفاً بالعلوم التي يحتاج إليها وينوق

كانه عليه الشيخ بقوله (سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهر بعظمة الربوبية في اظهار العبودية) قلت الخصوصية هي نور الحق يشرقه الله في قلوب خواص عباده المقربين بعد تطهيرها من الأكدار وتزويجهم عن المساوى والاعيار فيغيرون به عن شهود أنفسهم بشهود مجبورهم وسرها هو ما احتوى عليه ذلك النور من الكالات العلية والنعوت القدسية والصفات السنية التي تليق بالتحلي به كالكبرياء والعز والقوة والعظمة والاجلال وكالاتها بالقدرة التامة والعلم المحيط وسائر أوصاف الكمال ثم ان الحق سبحانه من عظيم حكيمه وباهر قدرته ان ستر تلك الأوصاف اللازمة لذلك النور بظهور أضعادها التي هي أوصاف العبودية فستر كبريائه وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد وستر قدرته وإرادته بظهور العجز والقهرية عليه وستر علمه المحيط بظهور الجهل والسو إلى غير ذلك من أوصاف العبودية المقابلة لأوصاف الربوبية فسبحان من جعل الأشياء كمنتهى في أضعادها ستر كالات الربوبية بتقائص العبودية ولولا ذلك لكان السر غير مصون والكفر غير مدفون وسيأتى قوله ستر أنوار السرائر بكثافت الظواهر لإجلالها أن تبدل بالاعطار وأن ينادى عليها بلسان الاشهار اهـ ولذلك قال الشيخ أبو العباس الرمى رضى الله عنه لو كشف عن نور الولي لعبد من دون الله وثبت عن الشيخ أبى يزيد رضى الله عنه أنه لما تجلى له هذا النور قال سبحانى ما أعظم شأنى وقال الخلاج رضى الله عنه :

أنا أنت بلا شك سبحانك سبحانى توحيدك توحيدى وعصيانك عصيانى
وقال أيضا :

سبحان من أظهر ناسوته سر سناء لاهوته التائب
ثم يبدأ في خلقه ظاهرا في صورة الأكل والشارب
حتى لقد عابته خلقه كلعطة الحاجب بالحاجب

وباظهار هذا وأمثاله قتل رضى الله عنه فمن لطف الله تعالى ورحمته ان ستر ذلك السر بظهور تقاضيه صونا لذلك السر أن يظهر لنير أهله ومن أشقاء لنير أهله قتل كما فعل بالخلاج وكما ستر سر الخصوصية بظهور أضعادها ظهر بعظمة الربوبية في مظاهر العبودية قال للشيخ أبو الحسن رضى الله عنه العبودية جوهرة أظهر بها الربوبية اهـ إذال ربوبية تقتضى مروبيا موصوفا بضد ما أنصف به ربه من الكالات الإلهية والنعوت القدسية فإظهرت أوصاف الربوبية التي هي الغنى والعز والقدرة وغير ذلك من الكالات إلا في أضعادها من الفقر والذل والضعف وغير ذلك فالفقر الحقيقى شامل لسائر

أسرار الأحوال والمقامات والله تعالى أعلم ثم قال :

قد قطع اليباء والمفاوز وارتاب كل حابس وحاجز

قلت اليباء هي الصحراء والمفاوز جمع مفازة وهي المسافة البعيدة وارتاد أى اختبر البلد وعرف ما يصلح وما لا يصلح فالرائد هو الذى يتقدم أمام القوم ليختبر لهم البلد الذى يصلح للزول والحابس هو الذى يحبسك عن بلوغ المراد والحاجز هو الذى يحجز بينك وبين مرادك (يقول) رضى الله عنه ان الشيخ لابد أن يكون قطع مهامه النفوس وجال في ميدان محاربتها في قطع شوائبها وعوائدها وما ينجح إليه من رغواتها وما لوفاتها وقطع أيضا مفاوز البعد الذى بينها وبين خالقها الناشئ عن ومهما وجهلها وذلك بقطع ركوتها إلى الكرامات وخوارق العادات أو طلب الخصوصية أو غير ذلك من الحروف القاطعة عن مقام الاخلاص والحق بخواص الخواص ويكون أيضا اختبر وعرف كل ما يحبس عن المسير من الوقوف مع المقامات والتقاعه بظهور الكرامات (و) في الحكم ما أرادت حمة عارف أن تقف مع ما كشف لها إلا ونادته هو اتف الحقيقة

الموجودات والغنى المطلق واجب لمن تجلى في الأرض والسماوات يأملها الناس أتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحيد
فاذا تقرر هذا علمت أن الاضافة في سر الخصوصية ليست هي اليان بل هي التخصيص فسر الخصوصية غير هال إذا الخصوصية
هي النور الذي يقذفه الله سبحانه في قلوب أوليائه وسرها الكالات التي تلازم ذلك النور كما تقدم (واعلم أن سر الخصوصية)
الذي جملة الله في بواطن أوليائه وسره بظهور وصف بشرتهم قد يظهر عليهم على وجه خرق العادة فقد يظهر على وليه
من قدرته وعلمه وسائر كالاته ما تعجز فيه العقول وتذهل فيه الأذهان لكن لا بدوم ذلك لهم بل يكون على الكرامات
وخرق العادات يشرق عليهم شمس أوصافه فيتصفون بصفاته ثم يقبض ذلك عنهم فيردم إلى حدودهم فنور الخصوصية
وهي المعرفة ثابت لا يزول ساكن لا يحول وسرها وهو كالاته تعالى تارة يشرق على أفتق بشرتهم فيستبشرون بأوصاف الربوبية
وتارة ينقبض عنهم فيردون إلى حدودهم وشهود عبوديتهم فالمعرفة ثابتة والواردات مختلفة والله تعالى أعلم (واعلم أيضاً أن
أوصاف البشرية التي ستر الله بها سر الخصوصية إنما هي الأوصاف الذاتية اللازمة للبشر كالأكل والشراب والنوم والنكاح
لا الأوصاف المذمومة المناهضة للعبودية كالكبر والعجب والحسد والغضب وغير ذلك فان تلك أوصاف ذهبت بظهور
نور العناية وسابق الهداية إذ لا تثبت الخصوصية إلا بعد عموها بخلاف الأوصاف الذاتية فانها تجامع الخصوصية كإسباتي
إن شاء الله بل هي حجابها وصوانها وبوجودها وقع الستر والخلفاء لأولياء الله تعالى غيرهم عليهم أن يعرفهم من لا يعرف
قدوم قال في لطائف المنن فأولياء الله أهل كهف الأيوة قليل من يعرفهم (وسمعت) الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول
معرفة الولي أصعب من معرفة الله فان الله معروف بكلمه وجهه ومثي تعرف مخلوق مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما
تشرب وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشرته وأشهدك وجود خصوصيته اهـ

(تنبيه) هذا النور الذي أشرقه الله في قلوب أوليائه كان كمناء في الروح في أصل روزها فأصلها نورانية عالمة بأسرار
الغيب دراكة للأشياء على حقيقتها وإنما حجبها عن ذلك سجنها في هذا البدن الطيني واشتغالها بمحظوظه وشهواته فن أدبها
وربها على يد شيخ كامل رجعت إلى أصلها قال في المباحث

ولم تزل كل نفوس الاحياء علامة دراكة للأشياء
وإنما توقها الابدان والافئس الزغ والشيطان

الذي تطلب أمانك ولا تبرجت ظواهر المكونات الا وفادته حقائقها وإنما عنقته فلا تكفرو عرف أبداً ما يحجز ويعنع
من الوصول إلى صريح العرفان على وفق المشاهدة والبيان وهو أمران إما الملل من المجاهدة والسير والركون إلى الراحة
والكسل وإما الاستغناء عن الشيخ والخروج عنه قبل الرشيد فان ذلك يحجز بينه وبين التحقيق ويخرجه عن سواء الطريق
ويرجع إلى مقام العموم نسل الله السلامة من السلب بعد العطاء آمين ثم قال :

وحل في منازل المناهل وكل شرب كان فيه ناهل

للمناهل جمع منهل وهو الموضع الذي ينزله الركب بشرط أن يكون فيه الماء والآخذ والتاهل هو الشارب (يقول)
رضي الله عنه بشرط في الشيخ أن يكون حل في منازل السائرين وهي مقامات اليقين بحيث سلكها وعرفها ذوقاً وحالا
رمقاما كتصحيح التوبة بشروطها وأركانها وتحقيق الورع والزهو والخوف والرجاء والتوكل والصبر والرضى والتسليم والمحبة
المراقبة والمشاهدة وحصل له الفرق بين الروحانيات البشيرة والسلوك الجنبو القنماوا أحمك أحكام التخليق والتحلية

فكل من أذاهم جهاده أظهر للقاعد خرق العاده
فاذا كل تطهير الروح من الاعيار وأشرفت عليها شمس الأنوار كوشفت بأسرار الذات وأنوار الصفات ففرقت
في بحر التوحيد الذي تكل عنه العبارة ولا تلاحقه الإشارة وهو التوحيد الخاص الذي أشار اليه الهروي بقوله :

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد
توحيد من ينطق عن نعمته علوية أبطلها الواحد
توحيد إياه توحيد ونعت من ينعمه لاحد

ومضمنه أن الحق سبحانه تولى توحيد نفسه بنفسه فكل من ادعى أنه وحده بنفسه فهو جاحد لوحدهانيته حيث أشرك
معه نفسه وكل من ينعمه بنفسه فهو لاحد أى مائل عن الصواب والله تعالى أعلم فاذا طلبت ربك في تطهيرك من وصف
البشرية ليكشف لك السر الخصوصية ثم تأخر مطلبك فاعلم ذلك من سوء أدبك كما به عليه بقوله (لا تطالب ربك بتأخر
مطلبك ولكن طالب بتأخر أدبك) قلت هذه قاعدة عامة وإن كانت مناسبة خاصة فاذا طلبت شيئاً ثم تأخر ظهور
ذلك المطلب فاعلم ذلك لما فاتك من حسن الأدب ولو لم يكن إلا قصد خصوص ذلك الطلب فلا تطالب ربك أن يعجل
مطلبك بسبب تأخره عنك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك فلو أحسنت الأدب في الطلب لقصيت حاجتك معنى وإن
لم تقض حساً وحسن الأدب هنا هو اكتفاؤك بعلمه ورضائك بحكمه واعتماد على ما اختاره لك دون ما اخترته لنفسك لقله
عليك فقد ضمن لك الإجابة فيما يريد لا فيما تريد في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد و قد در القائل :

وكم رمت أمراً خرت لى في انصرافه فلا زلت لى منى أبر وأرحما
عزمت على ألا أحس بخاطر على القلب إلا كنت أنت المقدما
وإلا ترانى عند ما قد نهيتى لانيك في نفسى ككيرا معظما

قال وهب بن منبه رضى الله عنه قرأت في بعض الكتب يا ابن آدم أطلقني فيما أمرتك ولا تعلني بما يصلحك لاني عالم
بخطي إنما أكرم من أكرمني وأهين من هان عليه أمرى ولست بناظر في حق عبدي حتى ينظر عبدي في حقى وأعظم
الآداب وأكلها امتثال أمره والاستسلام لقهره كما به عليه بقوله (متى جعلك في الظاهر ممثلاً لأمره وفي الباطن مستسلباً

وكل شرب من مشارب القوم وأذواقها كان فيه ناهلاً وشارباً فاذا حصل هذه المراتب وذاق هذه الأذواق استحق
أن يكون شيخاً مريباً كما أشار اليه بقوله :

فند ما قام بهذا الخطب قالوا جميعاً أنت شيخ الزك

(قلت) الخطب هو الشأن يعنى فند ما قام بهذا الخطب الجسم وتحقق فيه هذا السر العظيم إستحق التقديم للترية
والترقية وقالوا له أنت شيخ الزك حيث سلكت المنازل وعرفت المناهل وحققت الطريق ووصلت إلى معالم التحقيق
وعلمت المخوف والمأمون والمجذوب منها وما اشتغل على أنهار وعيون قد شهدت لك الأرواح بالتقديم والاسرار بالتعظيم
وقد أشار الشريشي إلى شروط الشيخ قال :

ولشيخ آيات إذا لم تكن له فاهراً لا في ليالى الهوى يبرى
إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاحضر بهلج البحر

لقهره قد أعظم المنة عليك) قلت إنما كان من أعظم المنة لأنه شاهد المعرفة التي هي منتهى الهم وأقصى غاية النعم فاستال الامر في الظاهر يدل على كمال الشريعة وتحقيق العبودية والاستسلام للقهر في الباطن يدل على كمال على الطريقة ونهاية الحقيقة والجمع بينهما هو غاية الكمال إذ منتهى الكالات الشرائع فتى جعلك أيها الانسان في الظاهر بمثل لا أمره وبجنتاً لئله وفي الباطن مستقلاً لقهره قد أعظم المنة عليك حيث أراح ظاهرك من عنت المخالفة وأراح باطنك من تعب المنازعة (أقول) حيث زين ظاهرك بالطاعة وزين باطنك بالمعرفة فالواجب عليك أن تشكر هذه النعمة وتعرف قدرها حتى تعظم محبة الله في قلبك وذلك أقصى مرادك وتصدك والله ذو الفضل العظيم ومتى أثبت لك هذا الامر قد خلصك من نفسك وحررك من رق حظك فلا تبال معها ما فاتك من تخصيص الكرامات الحسية لأنها أمور وهمية كما أشار إلى ذلك (ليس كل من ثبت تخصيصه كل تخلية) قلت المراد هنا بالتخصيص تخصيصه بالكرامات الحسية والمراد بالتخليص تخلية من رق الحظوظ ومن بقية السوى فليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات الحسية كل تخلية من حظوظه النفسية ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات كل تخلية من الفوائد والشهوات بل قد يعطى الكرامة الحسية بعض من لم يتخلص من حظوظه النفسية وحكمة ظهورها عليه ثلاثة أمور

(أحدها) انهاضه في العمل لحصول فرة أو وقعة

(الثاني) اختيار له هل يقف معها فيحجب أو يألف عنها فيقرب

(الثالث) زيادة في يقينه أو يقين الغير فيه ليقنع به فهي مقصودة بالتكبير على كل حال قال سهل رضي الله عنه لرجل قال اني أتوضأ فأخذ الماء يسقط من يدي فتصيان ذهب وفضة فأجابه بقوله أما علمت أن الصبيان اذا بكرو أعطوا خشخاشة يشتغلون بها (قال بعض) العلماء ما رأيت هذه الكرامات إلا على أيدي البله من الصادقين اه قلت الكرامة العظمى هي المعرفة والاستقامة ورفع الحجاب وفتح الباب فلا كرامة أعظم من هذا وسياتي الكلام على هذا المعنى بعد إن شاء الله ويحتمل أن يريد بالتخصيص تخصيص التقرب والهداية فليس كل من ثبت تخصيصه بالهداية وشروق الأنوار كل تخلية من رؤية الاغيار قد يخص المجاهدة والمكابدة ولا يتحف بالمعرفة والمشاهدة قوم أقامهم لخدمته وقوم اختصهم بمحبة كما تقدم فالعباد والزهاد ثبت تخصيصهم فهم من عوام المقربين ولم يكمل تخليةهم من شهوات السوى حتى يكونوا من خواص العارفين وبالله التوفيق (هذا آخر الباب) الحادى عشر وحاصلها تحقيق الادب في التعرفات الجلالية بدوام معرفته وشهود نعمته في نعمته وجريان اطقه ويره في حال قضائه وقدره حتى لا يغلبك الهوى فتلبس

فالعلم الظاهر هو علم الشريعة والعلم الباطن هو علم الطريقة والحقيقة فاذا لم يحصل شيئاً من هذين العلمين ثم ادعى مرتبه الشيخوخة فأخرجه من سفينة دائرة الشيخوخة وألقه في لجم بحر النفاق (قال) صاحب العوارف ومن شرائط أهل الولاية أن يكون عالماً بالامور الشرعية عاملاً بها وهاً على آداب الطريقة والكفاية وكاملاً في عرفا الحقيقة وواصلها اليها ومخلصاً لجمع ذلك حتى يتم له السلوك ويشرف بعالم الوصال فاته الله أي الطالب الحذر من محبة اشرار فانهم قطاع الطرق واعتصموا بجبل القرآن والاحاديث النبوية (وقال) أبو الحسن الششتري رضي الله عنه لا يقتدى في طريقنا هذه بظاهر ولا يياطن ولا بما يقتدى بمن جمع بينهما من الزهد الظاهر والابتناء والورع والعلم بالمنازلات والاحوال والمقامات والحواطر (وقال) الجنيد رضي الله عنه من لا يكتب الحديث ويعتظ القرآن لا يقتدى به في هذا الامر فيجب على المريد ألا يقتدى إلا بالعلم المجرد عن الدنيا العامل بما يعلم ثم قال ولا يتخيل لطالب هذا الامر بذكاته أو ينظر في كتب لصوفية أو الحكماء ويسمل ويجهد وصل لا واهة ما الامر هين (واعلم) أن ما شرطه الشيخ الشريشي في شيخ الترية

عليك سبل الهدى أو وقف مع ظواهر الأشياء التي هي محل الجلال فتعجب عن البواطن التي هي مستقر الجمال فالذات جلال والصفات جمال فن وقف مع ظواهر الجلال حجب عن شهود الجمال وحرم من معرفة الرجال وكان محجوباً عن ذى المظنة والجلال فيسيء الأدب ويحرم حصول المطلب فإذا استدركته الغاية وهبت عليه ريح الهداية شغل ظاهراً بوظائف العبودية وباطنه بشهود الربوبية فكان في الظاهر مبتللاً لاهره وفي الباطن مستتبلاً لقهره فتمت عليه نعمة مولاه وكل تخليصه من رِق حظوظه وهواه فح يعظم ما يعظم مولاه ولا يستحق شيئاً من أسباب محبته ورضاه كي أبان ذلك في أول الباب الثاني عشر بقوله وقال رضى الله عنه (لا يستحق الورد إلا جهول الورد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوى بانطواء هذه الدار وأولى ما يعتنى به ما لا يخلف وجوده الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك بما هو مطلبك منه)

قلت الورد في اللغة هو الشراب قال تعالى بش الورد المورود وفي الاصطلاح ما يرتبه العبد على نفسه أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات والوارد في اللغة هو الطارق والقادم يقال ورد علينا فلان أى قدم وفي الاصطلاح ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من النضجات الإلهية فيكسبه قوة محركة وربما يدهشه أو يغبیه عن حسه ولا يكون إلا بقية ولا يدوم على صاحبه ثم ان الورد ينقسم على ثلاثة أقسام ورد العباد والزهاد من المجتهدين وورد أهل السلوك من السائرين وورد أهل الوصول من العارفين

(فأما) ورد المجتهدين فهو استغراق الاوقات في أنواع العبادات وعبادتهم بين ذكر ودعاء وصلاة وصيام وقد ذكر في الاحياء والقوت أوراد النهار وأوراد الليل وعين لكل وقت ورداً معلوماً

(وأما) ورد السائرين فهو الخروج من الشواغل والشواغبات ترك العلائق والعرائق وتطهير القلوب من المساوى والميوب وتحليتها بالفضائل بعد تخطيتها من الرذائل وعبادتهم ذكر واحد وهو ما يعينه له الشيخ لا يزيد عليه مع جمع القلب وحضوره مع الرب (وأما) ورد الواصلين فهو إسقاط الهوى ومحبة المولى وعبادتهم فكرة أو نظرة مع المكوف في الحضرة فكل من أقامه مولاه في ورد غليظه ولا يتعدى طوره ولا يستحق غيره إذ العارف لا يستحق شيئاً بل يصير مع كل واحد في مقامه ويقر كل شيء في محله فلا يستحق الورد ويطلب الورد إلا جهول أو معاندى وكيف يستحق الورد به ويكون الورد على الملك المعبود الورد يوجد ثوابه ونمرته في الدار الآخرة والوارد الذى تطلبه ينطوى بانطواء هذه الدار قال تعالى وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون وجاء في الاثر ان الله يقول ادخلوا الجنة برحمتي وتفاضلوا بها

من العلم الظاهر والباطن صحيح أما العلم الظاهر فالمطلوب منه تحصيل ما يحتاج اليه فقط ويحتاج اليه المريد في حال سيره وهو القدر الذى لا بد منه أحكام الطهارة والصلاة ونحو ذلك إذ كثير من العلوم الظاهرة لا مدخل لها في السير والسلوك إلى ملك الملوك كالدهماء والحدود والطلاق والمناق ولا لزوم الحط من رتبة كثير من غرل الطريق وأعلام الوجود والتحقيق فقد كان كثير منهم متضلعين بعلوم الشريعة وكثير منهم ليس عنده إلا ما يخصه من الذى لا بد منه (قلت) إذا عرفت هذا عرفت بطلان من قال أن شيخ التزمية لا بد أن يكون جامعاً للعلوم كلها بحيث لو انقطعت العلوم كلها لأحيائها كيف وقد وجد كثير ممن اتفق الناس على تربيته وهو أى (قال) في العوارف وقال أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه صحبت أبا على المسندى بالسین فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه وهو يعلمنى التوحيد والحقائق صرفاً ومن المعلوم أن الشيخ ابن عباد رضى الله عنه لم يفتح له إلا على يد رجل أى وكذلك النزالي (ومن) المعلوم أن النزوان لم تكن له يد في العلم الظاهر فكان إذا جماعه تقياً في علوم القوم أرسل بها تلميذه المجهلى (و) كذلك شيخ شيخنا سيدنا عبد الرحمن

بأعمالكم وأيضاً المراد من الواردات ثمراتها وتائجها وهو ما يعقبها من اليقين والطمأنينة والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن فإذا أعطتكم تائجها وجنت ثمراتها فلك في الله غنى عنها فلا يستحق الورد ويطلب الورد إلا من كان عبد الوارد وأما من كان عبد الله فلا يلتفت إلى ما سواه بل يلزم ما هو مكلف به من الوظائف العبودية قياماً بحق عظمة الربوبية فهو الذى يلزم به يتوصل إلى رضى الحى القيوم وأولى ما يعتنى به الإنسان ما ينقطع وجوده بانقطاع موته وهو رده فيستم وجوده مادام في هذه الدار فليس في تلك الدار عمل وإنما هي دار جزاء وحصول أمل فالدنيا دار عمل لاجزاء فيها والآخرة دار جزاء لا عمل فيه فليست الإنسان عمره قبل الفوات فما من زمن يحظر عنه إلا وهو فائت منه (وقد جاء) في الحديث لآتأت على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة اهـ والذكر متنوع كل بحسب حاله وقال الحسن رضى الله عنه أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أشفق منكم في دنائكم ودرأهمكم وفي معنى ذلك قيل :

السباق السابق قولاً وفعلًا حذر النفس حسرة المسبوق

(وفي بعض الأحاديث) عنه عليه السلام من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه مشراً من أمسه فهو محروم ومن لم يكن في الزيادة فهو في النقصان ومن كان في النقصان فالموت خير له وأولى ما يعتنى به العبد أيضاً ما هو طالبه منه الحق تعالى وهو الورد دون ما يطلبه هو منه وهو الوارد فالورد من وظائف العبودية وهو الذى يطلبه منا الحق تعالى والوارد من وظائف الحرية ولذلك تطلبه النفس وتعتش إليه وأين ما هو طالبه منا عما هو مطلبنا منه بينهما فرق كبير قال الشيخ زروق رضى الله عنه بينهما في القدر ما بينهما في الوصف قضاء الله أحق وشرط الله وأحق وإنما لمن أعتق اهـ (فتحصل) أن الاعتناء بالورد أفضل وأكمل من الاعتناء بالوارد لأن الورد من وظائف العبودية وهي لا تنقطع مادام العبد في هذه الدار كما أن حقوق الربوبية لا تنقطع كذلك حقوق العبودية لا تنقطع (قال) النقشبندى رحمه الله ولهذا لم يترك العبادة سيد هذا المقام صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماء فقيل له كيف فعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبداً شكوراً فأفاد صلى الله عليه وسلم أن شكر النعمة تمام الخدمة وهو موجب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وهذا سبيل طائفة الجنيد رضى الله عنه لم يترك أوراده في حال نزاع فقيل له في ذلك فقال ومن أولى منى بذلك وهذه صحائف تطوى لم يترك الخدمة رضى الله عنه في مثل هذه الحالة فكيف بسواها قيل له أن جماعة يزعمون أنهم

المجنوب لم يكن له معرفة بالعلم الظاهر وكثير من الأولياء الأكابر كانوا أميين وفي أسرار الولاية راسخين (وأما) العلم الباطن فال المطلوب فيه التبحر التام إذ المقصود بالذات في الشيخ المصطلح عليه عند القوم هو هذا العلم لأن المريد إنما يطلب الشيخ يسلكه ويعلمه علم الطريقة والحقيقة فيكون عنده علم تام بالله وصفاته وأسمائه ومتعلقاتها وأحكامها وتفصيلها وفوائدها وحكمها وأسرارها وعلم تام بآيات الطريق ومكاييد النفس والشيطان وطرق المواجهيد وتحقيق المقامات فحصل له ذلك على سبيل التوق والوجدان بحيث إذا استخبر عن آفات الطريق وعلاماته وعن حقيقة المقصد يخبر بحقيقة الأمر على ما هو عليه وحصلت له مع ذلك قوة وتمكن من رفع الموانع وقطع المالاتق الظاهرة والباطنة وبصيرة نافذة ينظر بها في قابلية المرئيين المسترشدين واستعداداتهم يحمل كل أحد على شاكاة قابليته ويعين له طريقاً قريباً يقضى منها إلى ربه قاله الفاسى (و) قال الساحلى من الشروط التى لا بد منها في الشيخ أن يكون عنده من الكتاب والسنة ما يقيم به ما لا بد منه من الرسوم الشرعية وما يبنى عليه وظائف سلوكه وإذا انضاف إلى ما يفتح به عليه من الحكمة في باطنه فانه يكون

يصلون إلى حالة يسقط عنهم التكليف قال وصلوا ولكن إلى سقر وقال في كلام آخر هذا كلام من يقول بالإباحة والسرقة والزنى عندنا أهون حالا ممن يقول بهذه المقالة ولقد صدق رضى الله عنه في قوله هذا فإن الزانى والسارق عاص بزناه وسرقته ولا يصل إلى حد الكفر ، وأما القاتل يسقط الفرائض المعتقد لذلك فقد أنسل من الدين كإسلاف الشجرة من العجين فضض على هذا الأصل بالنواجذ يا أخى ولا تسمع كلام من أخذ الحقائق من الكتب وصار يتكلم بالزندقة والإلحاد وإسقاط الأعمال على حسب فهمه وهواه قال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تابعا لما جئت به وقال تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله فعليك بمتابعتي صلى الله عليه وسلم ومتابعة السلف الصالحين فى الأقوال والأفعال والأحوال تحز مقامهم وتكن معهم فالمرء مع من أحب اه كلام التقيسندى وهو حسن لأن من أخذ الحقائق من الكتب لا ذوق عنده وإنما يترامى على الحقيقة بالمع فيتبع الرخص ويسقط فى مهوى الهوى ، وأما من كان من أهل الأنواق فصره مكتوم وأمره مجزوم بعبادته أدب وشكر وهو أحق بدوام الشكر وكيف ينكر الواسطة ولولا الواسطة لذهب الموسط (قال) أبو الحسن الدراج رضى الله عنه ذكر الجنيد أهل المعرفة بالله وما يراعونه من الأوراد والعبادات بعد ما أغضهم الله به من الكرامات فقال الجنيد رضى الله عنه العبادة على العارفين أحسن من التيجان على رؤوس الملوك اه (وقد رأى) رجل الجنيد رضى الله عنه وفى يده سبعة فقال له أنت مع شرفك تأخذ فى يدك سبعة فقال نعم سبب وصلنا إلى ما وصلنا فلا تتركه أبداً اه فالشرعية باب والحقيقة بيت الحضرة قال تعالى وأتوا البيوت من أبوابها ثم قال فلا دخول للحقيقة إلا من باب الشرعية والله دسيدى عبد الله الهبطى الزجلي رضى الله عنه حيث يقول فى منظومته

وثالث الفصول فى الشريعة لأنها إلى الهدى ذريعة
فكل باب دونها مسدود ومن أتى من غيرها مردود
قد اصطفاها ربنا عز وجل بفضلها وجوده على الملل
طريقة العبدان للرحمن عفوقة بالنور والرضوان
طوبى لمن أتى بها للعرض والويل للذى بها لم يقض
بأبها المرید إن أردت وصال من بحبه مسغت

له فى ذلك نور يمشى به فى الناس ويهديه إلى فهم خطابات الكتاب والسنة إلى آخر كلامه (و) قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه كل شيخ لم يصل إليك القوائد منهم وراء حجاب فليس بشيخ (قلت) ولعله يشير إلى أن الشيخ الكامل يمد تلميذه ولو كان بعيدا عنه فى الحس وقال أيضا والله إنى لأوصل الرجل إلى الله من نفس واحد (وقال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه والله ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه وقد أغنيته (قلت) وقد لقينا والحد لله فى زماننا هذا من يعنى بالنظر صحتهم وعرفتهم على قدم الشاذلى والمرسى رضى الله عن جميعهم وخرطنا فى سلكهم آمين ثم إذا توفرت فيه شروط الشيخوخة لزم اتباعه فى طريق الخصوص وإلى ذلك أشار بقوله :

وأحدثوا من حوله يمشون وكلهم إليه يوزعون

قلت أحقق القوم بالشئء داروا به ويوزعون أى يضمنون ويمشرون (يقول) رضى الله عنه لما تحقق الناس بوجود شرط الشيخوخة فى هذا الولى واطلعوا على وجود السر عنده أحدثوا به وداروا من خلفه يقتدون به ويهتدون بهديه

فقد منك الكف ياولى على شريعة النبي الأمي
حصل جميع ماله الشرع ارتضى وكن لكل ما سواء رافضاً
ترى الفؤاد صافياً وشارفاً وعن سوى المولى إلى المولى ارتقى

(ثم قال)

فبالشريعة الوصال للنفا كالقوز بالبقاء من بعد الفنا
ومن يظن الخير سواء فاته واقه ما دارها

قلت وقد رأيت كثيراً من الفقهاء قصرُوا عن الشريعة فخرجوا عن الطريقة وسلبوا نور الحقيقة ورأيت آخرين طال
أمدهم في محبة القوم ولم يظهر عليهم بهجة المحيين ولا سيما العارفين وما ذلك إلا لعدم التحفظ على مراسم الشريعة وكان
شيخنا البريدي رضي الله عنه يقول كل من ترك الشريعة من غير جذب ولا عنذ سلكت طريقاً كبيراً اهتلك وأهله
الخير إلا فيها وما يرجحنا إلا منها فاته يرزقنا الأدب معها إلى يوم الفصل والقضاء آمين ثم ذكر ثمرة الورد ونتيجته وهو الممدد
الالهي إذ بقدر الاستعداد تحصل الامداد ولا استعداد لها إلا بدوام الاوراد وتفرغ الفؤاد فقال (ورود الامداد بحسب
الاستعداد) قلت المراد بالامداد أنوار التوجه للساكنين وأنوار المواجهة للواصلين فهي تتوالى على قلوب العباد بحسب
التأهب والاستعداد فيقدر المجاهدة تكون المشاهدة وبقدر التخلية تكون التخلية وفائدة هذه الامداد تطهير القلوب من
الاغيار وتقديس الأسرار من غيش الحس والاكدار والوقوف مع الأنوار فلا تزال أقطار الممددات على أرض النفوس
الطيبة والقلوب المطهرة والأرواح المنورة والأسرار المقدسة حتى تملأ بأنوار المعاني فتح تنشق لها أسرار الذات وتعلق لها
أنوار الصفات فتنبش بشهود الذات عن أثر الصفات ثم ترد إلى شهود الصفات بالذات والذات بالصفات لا يصحبا جميعاً
عن فرقها ولا فرقا عن جميعها تطمئن كل ذي حق حقه وتوفي كل ذي قسط قسطه قال شيخ شيوخنا مولانا العبد المذنب رضي الله
عنه في بعض رسائله فإن قلتم أي وقت نكون كالجبال تحسبها جامدة وهي تمر من السحاب قلنا إذ زهدتم في الدنيا بالكلية
وقطعتم الأيأس من الرجوع إليها بالكلية ثم اعتقدتم في شيوخكم أنهم كل وأنهم على قدم الأنبياء عليهم السلام من ورثة
النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه العظيم لينزل عليكم الممدد الليل والنهار والشهر والعام وفي كل وقت وساعة لحظة حتى تمتلئ
قلوبكم بمعرفة الله وتطمئن قلوبكم بذكر الله وتكونوا كالجبال الراسية هذا معنى كلامه باختصار رضي الله عنه وهو كمال قال

ويمشون على سبته وكلهم يضمون إليه ويقربون من خضرته لعل تفحات تهب من ناحيته فإن الله رجالاً من نظر إليهم سعد
سعادة لا يشق بعدها أبداً وهم العارفون بالله (وقال) في العوارف أن نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين تبارق نافع ينظر
أحدهم إلى الرجل الصادق فيستشق بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستثاله مواهب الله تعالى الخاصة فيقع في
قلبه محبة الصادق المريد وينظر إليه نظرة محبة غن بصيرة وهم من جنود الله تعالى فيكسبون بنظرهم أحوالاً سنية ويهبون
آثار مرضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه وتعالى وكما جعل في بعض الأفاعي من الخاصة إذا نظر إلى الإنسان
يهلكه بنظره هو قادر بأن يجعل في بعض خواص عباده أنه إذا نظر إلى طالب صادق يكسبه حالاً وحياة (وقال) في
لطائف المنن إنما يكون الاقتداء بولي ذلك الله عليه وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشرته
في وجود خصوصيته فالتفت إليه القيادة ففلك بك سبيل الارشاد ببركته برعونات نفسك وكائناتها ودفاتها وبذلك على الجمع
على الله والفرار عما سوى الله وبسارك في طريقك حتى تصل إلى الله يوفقك على إساءة نفسك وبصرفك بإحسان الله

لأن الزاهد في الدنيا تفرغ قلبه وتخلّى من الأكدار وتها للأنوار فإذا نزل المدد وجد القلب متسماً مطهراً منظفاً فلهذا من أنواره وحلاه بحلية أسرارته بخلاف ما إذا كان القلب معموراً بأغيار الدنيا لم يجد المدد موضعاً ينزل فيه فيرجع من حيث جاء واعتقاد كمال الشيخ هو عين الصدق وبقدر الصدق ينبع المدد ولا يمكن أن ينقطع الوم أو يذهب الحس إلا بالصدق مع الزهد فبالزهد يتها للدد وبالصدق يفيض عليه المدد فكلاً فاض ماء المدد غسل أوساخ الوم فإذا لم يبق الوم أثر حصل الفرق في البحر والله تعالى أعلم ثم فر الامداد وكيفية الاستعداد فقال: (شروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار قلت شروق أنوار المعارف في أفق سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الآثار وغيم الاغيار وغين الأنوار كما قال الشاعر :

إن تلاشي الكون عن عين ظلي شاهد السر غيه في بيان
فاطرح الكون عن عيانك وانح نقطة الغين إن أردت ترائي

فتقدر صفاتها ومحوها يكون تمام إشراق نورها فإذا انجلي عن سماء القلوب سحب الآثار وغيم الاغيار أشرق فيها نور الفنا فيغيب القلب والروح عن الرسوم ولم يبق إلا الحى القيوم وإذا انجليت عن الأسرار غين الأنوار أشرق فيها نور البقاء فيبقى من لم يكن ويبقى من لم يزل ولصاحب العينية رضى الله عنه :

فبت بها عيني فساى أية هوبة ليسى للأنية قاطع
وكنيت كأن لم أكن وهو أنه كما لم يزل فرداً وللشكل جامع
فشمسى في أفق الآلوه مشرق وبدري في شرق الربوبية طالع
فأنيتها حتى فتتوهى لم تكن ولكننى بالوم كنت أطلع

فعلامه شروق هذه الأنوار ترك التدبير والاختيار والاكتفاء بنظر الواحد القهار كما أشار إليه بقوله: (الناقل إذا أصبح نظر في ماذا يفعل والعاقل ينظر ماذا يفعل الله به) قلت الناقل هو الجاهل بالله ولو كثّر ذكره باللسان والعاقل هو العارف بالله ولو قل له ذكر اللسان إذ المتعبّر هو ذكر الجنان فالناقل نفسه موجود وآماله ممدودة إذ أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه فيدير شؤونهم ومأربه بمقله وحده فهو ناظر لفعله معتمد على حوله وقوته فإذا أفسخ القضاء ما أرمه وهدم له ما مله غضب وسخط وحزن وقط فأنزع ربه وأسأه أدبه فلا جرم أنه يستحق من الله البعد ويستوجب في قلبه الوحشة والطر دالاً أن

اليك فيفيدك معرفة اساءة نفسك الحرب منها وعدم الركون اليها ويفيدك العلم باحسان الله اليك الإقبال عليه والقيام بالشكر اليه والدوام على عمر الساعات بين يديه (وقال) الشيخ أبو مدين رضى الله عنه الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم الشيخ من هذيك بأخلاقه وأدبك بإطرافه وأثار باطنك بأشراقه الشيخ من جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه (وقال) أيضاً في لطائف المنن ليس شيخك من استمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارة إنما شيخك الذى سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك من نهض بك حاله شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذى مازال يحلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فهضت اليه وسار حتى وصلت اليه ولازال محاذياً لك حتى ألتاك بين يديه فوج بك في نور الحضرة وقال هأنت وربك هنالك محل الولاية من الله ومواطن الامداد من الله وبساط التلقى من الله ثم ذكر كيفية تسييره للبريدى فقال :

حصل له إياب وأدام الوقوف بالباب حتى يرفع عنه الحجاب فيتحذ بالاحباب وأما العاقل وهو العارف فقد تحققت في قلبه عظمة ربه وانجم اليه بكية قلبه فأشرقت في قلبه شمس العرفان وطوى من نظره وجود الأكوان فليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار تصرفه بالله ومن الله وإلى الله فقد في عن نفسه وبقي ربه فظيرها تراكوا ولا ضلوا ولا قوة ولا حول فإذا أصبح نظر ماذا يفعل الله به فيلتي كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والهجة والخيور لما يجم عليه من حق اليقين والغنى رب العالمين (قال سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القدر) وقال أبو عثمان رضي الله عنه منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرته ولا نقل إلى غيره فسخطه الله فإذا أراد الفقير أن يكون تصرفه بالله فليتعزل عن حظوظه وهواه فإذا أراد أن يفعل أمر فليأت بصبر ويستمع إلى الهاتف فإن الله سبحانه يسمعه ما يريد أن يتوجه إليه ضلأ أو تركا وقد جربنا هذا في سفرنا وإقامتنا فكنا لا نتصرف إلا بأذن خاص والحمد لله وصاحب الاعتناء كله هكذا مع الثاني فإن الثاني من الله والعجلة من الشيطان وكثيراً ما كان الشيخ المجنوب الولي العارف سيدنا أحمد أبو سلهم يشهدني هذا البيت :

تأن ولا تعجل لأمر تريده . وكن راحماً بالخلق تبلى براحم
فليك أيها المريد بالاعتناء بهذا الأمر وأهمه عن الله في أمورك كلها وأنشد على نفسك :
اتبع رياح القضاو در حيث دارت وسلم لسلي ومر حيث سارت

واستن على هذا الأمر بأدعيته عليه السلام في هذا المقام كقوله اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن أخذ إلا ما أعطينني ولا أتق إلا ما وقيني فرفقي اللهم لما رضاه من من القول والفعل وفي عافية وستر إنك على كل شيء قدير وكقوله أيضاً عليه السلام اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الأمر يد غيري وأصبحت مرتهنا بعلى فلا فقير أفقر من اللهم لا تشمت بي عدوى ولا تنسى بي صديق ولا تجعل مصيبتى في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني إلى غير ذلك من الأدعية التي تكسب الرضى والتسلم والمقصود من دعائه عليه السلام فهم معانيها لا مجرد ألفاظها فالمراد المعاني لا الاواني والله تعالى أعلم ويجمع هذه المعاني وصية شيخ طريقنا القطب ابن مشيش للرجل الذي قال له وظف على

فرتب القيوم مراتب ما بين ماش راجل وراكب

(قلت) ينبغي للشيخ أن يكون ماهراً بالمسير عارفاً بأحوال السائر فيرتب القوم على مراتب فن كان ضعيفاً في السير خالياً من الحال الحاملة له جملة في وسط الراكب يمشي خلفه من سبقه ويسير من خلفه كان قويا في سيره محمولا على نجيب حاله قدمه مع المتقدمين ليسير خلفه المتوسطون والمتأخرون (وقال) الشيخ زروق رضي الله عنه لما شى عيارة عن صاحب الأعمال والحركات الجسانية والركب إشارة إلى المحمول بحال أو أعمل أو ذكر أو فكر توجه له على بساط معرفه وإنما يفعل بهم ذلك لأن قوة النفس معية لصاحبها على مراده والله تعالى ينفع العبد بنيه على قدر مته فلذلك تعبد المسلك واحداً والفتح مختلفا تسقى بماء واحد وتفضل بعضها على بعض في الأكل هذا شأن الأشجار النابتة فكف بالحقائق الرفائية وما يحب أحد قط وليا إلا نال منه ما قضى مته فان وافقت نته مته حصل الانتظام والإلتزام بالاختلاف (قلت) ينبغي أن نية المريد أن وافقت مته شيخه وقع الانتظام في سلك الشيخ ولحق به وإن كانت نية المريد عاتفة لهمة الشيخ

وظائف وأورادا فنضب وقال له أرسول أنا فوجب الواجبات الفرائض معلومة والمعاصي مشهورة فكأن للفرائض حافظا والمعاصي رافضا واحفظ قلبك من إرادة الدنيا وحب النساء ومن الجاه وإثارة الشهوات واقنع في ذلك كله بما قسم الله لك إذا خرج لك مخرج الرضى وهو جماله تعالى فكأن فيه شاكراً وإذا خرج لك مخرج السخط وهو جلاله فكأن عليه صابراً وحب الله قلب تدور عليه الخيرات وأصل جامع لجميع الكرامات وحسن ذلك كله أربعة (صدق الورع وحسن النية وإخلاص العمل ومحبة العلم) ولا يتم ذلك إلا بصحبة أخ صالح أو شيخ ناصح اهـ (وقال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه احرص أن تصبح وتمسى مفوضاً مستسلاً لعله ينظر إليك فيرحمك اهـ (وقال) بعضهم من اهتدى إلى الحق لم يهتد إلى نفسه ومن اهتدى إلى نفسه لم يهتد إلى الله أى "من رأى الحق غلب عن نفسه ومن رأى نفسه غلب عن الله ثم ان المائل الذى ينظر مايفعل الله هو العارف كما تقدم لأنه هو الذى يتحقق فيه ذلك ومن علامته أنه لا يستوحش من شيء لمعرفته في كل شيء وفهمه عن الله في كل شيء بخلاف غيره من العباد الزاهدين والذى أشار إليه بقوله (إنما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لتبقيتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء ما استوحشوا من شيء) قلت العباد هم الذين غلب عليهم الفعل فهم مستغرقون في العباد الحسية يقومون الليل ويصومون النهار شغلهم حلاوة العباد عن حلاوة شهود المعبود فنجبوا بعبادتهم عن معبودهم والزهاد هم الذين غلب عليهم الترك فهم يفرون من الدنيا وأهلها ذاقوا حلاوة الزهد فتركوا معه وحجوا عن الله فهم يستوحشون من الأشياء لتبقيتهم عن الله فيها ولو عرفوا الله في كل شيء ما استوحشوا من شيء ولأنسوا بكل شيء وتادبوا مع كل شيء والعارفون لنعوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق فنجبوا أولاً بالحق عن الخلق وبالمعنى عن الحس وبالقدرة عن الحكمة ثم رعدوا إلى شهود الحق فى الخلق والقدرة فى الحكمة فحين عرفوه فى كل شيء أنسوا بكل شيء وتادبوا مع كل شيء وعظموا كل شيء وفى هذا المقال قال المنجذب رضى الله عنه :

الخلق نوار وأنا رعييت فيهم هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم

وقال سيدى على رضى الله عنه على قول الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى شأن الخلق أراهم كالغياه فى الهواء إن قشنتهم لم تجدم شيئاً قابل إن قشنتهم وجدتهم شيئاً وذلك الشئ ليس كئله شيء يعنى وجبتهم مظاهر من مظاهر الحق أنواراً من أنوار المسكوت فاقضه من بحر الجبروت كما قال صاحب البينة رضى الله عنه :

بأن تكون نية المريد التبرك فقط أو دخل معه على حروف من الحروف وهمة الشيخ فيه الوصول فانه يقع الاختلاف ولا يقال منه إلا ما نوى إلا أن سبقت له من الله سابقة فلا بد أن تهضم همة الشيخ إلى ما سبق له والله تعالى أعلم ثم أن دوام السير يوجب الملل فلا بد لاستعمال ما يوجب الراحة ليحصل النشاط فقد قال عليه السلام أرحموا القلوب ساعة ساعة وقال ابن مسعود رضى الله عنه ان هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا إليها طرائف الحكمة والى ذلك أشار الناظم بقوله :

وحيث كنت تحب الأبدان قال أحدها يا حادى الاظمان

فمن هنا يقلب القولا حاد لأجل حذو الرجال

قلت الكل هو البيا وعيد كل أى ثقيل وكلت الأبدان عييت والتعب جمع نجيب وهى الناقة الجيدة وحدا يحذو حذوا بمعنى غنى بالإبل ليسيرها فهو حاد أى منزى والاظمان جمع ظمينة وهى الناقة المرحلة وتطلق على المرأة الراكبة عليها مجازاً والتقلب هو أحداث اسم يشعر بالمدح أو الذم وقد نهى الله تعالى عن القلب المشعر بالذم فقال ولا تاتوا

تجليت في الأشياء حين خلقتها فما هي ميظت عنك فيها البراقع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ولم يك موصول ولا فصل قاطع

وقال شيخ شوخنا المجنوب رضى الله عنه

طلع النهار على قلبى حتى نظرت بعينيا أنت دليلى ياربى أنت أولى منى يا

والحاصل أن العارفين بالله غابوا عن شهود الخلق بشهود الحق فهم مع الخلق بالاشباح ومع الحق بالأرواح ماتوا
ويعشوا وقامت قيامتهم وتبدلت في حقهم الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار فهم يرون الأنوار
والناس في ظلة الاغيار كشف لهم في هذه الدار عن أسرار مكتوباته مسدولة عليها قهارية أستارهم وسيكشف لهم في تلك
الدار عن أسرار ذاته من غير حجاب الحكمة التي هي أثر صفاته كما أشار إلى ذلك بقوله (أمرك في هذه الدار بالنظر في
مكوناته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته) قلت إنما أمرك في هذه الدار أن تنظر إليه بواسطة مكوناته لأنك
لا تقدر هناك أن تنظر إلى حقيقة ذاته المقدسة في عظمة الجبروت الأصلي بلا واسطة لضعف نشاطك وإن كان ذلك جائزا
عقلا ولذلك طلبه سيدنا موسى عليه السلام لكن حكمة الحكيم اقتضت تغطية أسرار الربوبية بأنوار سبحات الألوهية
إذ لا بد للحسنة من نقاب وللشمس من سحب ولو ظهر من غير رداء الكبرياء لوقع الإدراك وليرقى حيث ترقى فالترقى
في أسرار الذات إنما هو بالنظر إلى أنوار الصفات وهو لا ينقطع أبدا في الدارين فلا تنال الذات من غير مظهر أصلا
فالمنى لا تقبض إلا بالحس هذا مذهب أهل التحقيق من أهل المعاني فإن قلت كيف فرق الشيخ بين الرويتين باعتبار
الدارين والتحقيق إنما رؤية واحدة لأن المظهر متحد فالجواب أنه لما كان مظهر هذه الدار الحس فيه غالب على المعنى
والحكمة ظاهرة والقدره باطنة ومظهر الدار الآخرة بالعكس المعنى فيه غالب على الحس والقدره ظاهرة انكشف ثم عن
حقيقة الذات أكثر مما انكشف هنا فهذا المعنى وقع التفريق بين الرويتين ومثله قول الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه
في حربه الكبير عز الدنيا بالإيمان والمعرفة وعز الآخرة بالقائم والمجاهدة هذا باعتبار الخواص وأما العوام فلا يرون إلا
الحس في هذه الدار وفي تلك الدار (وأما الرؤية) التي تحصل لهم يوم المزيدي فيحتمل أن يظهر لهم نورا من أنوار قدسه
ويلهمهم المعرفة فيه وهو ظاهر الحديث أو يفهم عن حسهم في ذلك الوقت حتى يشهدوا معاني الذات ويتلذذوا برويتها

بالالقباب وأطلقه الناظم هنا على مجرد التسمية أو وسما القول الذى يعنى حاديا لاجل حدوده بالرجال الساترين وحقه
أن يقول حاديا منصوب لكنه جرى على لغة من يقدر الاعراب كله في المقتوص (يقول) رضى الله عنه وحيث
دام السير وحصل الملل وكلت الأبدان في الخدمة أو القلوب في الفكره أو الأرواح في النظرة أو الاسرار في المكوف
في الحضرة وخفيف عليها حصول الفترة قال الشيخ أو نائبه لمن يحسن الفناء أحد هذه القلوب أيها الحادى وذكرها معا ماعدا
الأصلية ومواطنها القدسية فيبقى بما يليق بكل واحد في محله ولهذا المعنى اتخذوا قولا في حلقة الذكر لأنه يهيج وينشط
ويحسن أيضاً بعد تمام الذكر خشية أن يكون حصل شيء من الملل فيروح بذلك (والحاصل) أن من سياسة الشيوخ اعانة
النفوس بما يقتضيه حالها على ما هو المراد منها ثم إن الطباع مختلفة وأحوال السالكين مختلفة فمنهم من تنعش قواه بالمعارف
والعلوم فيذكر له منها ما يقوى حاله بوجه يشوق ولا يشوش (ومنهم) من ينعش حاله بالتذكير والعطف فيكون تذكيره عونا
له على سلوكه ورفعا لهما (ومنهم) من ينعش قواه بالمذاكرة في العلوم واستخراج دقائق الفهم فيكون ذلك منه ناله في

ثم يردم إلى حجبهم (والحاصل) أن تجلي الذات على قسمين قسم يكون بوساطة كثيفة ظاهرها ظلمة وباطنها نور ظاهرها حكمة وباطنها قدرة ظاهرها حس وباطنها معنى وهو تجلي هذه الدار (وقسم) يكون بوساطة لطيفة نورانية ظاهرها نور وباطنها نور ظاهرها قدرة وباطنها حكمة ظاهرها معنى وباطنها حس وهو تجلي دار الآخرة فالعارفون لما حصل لهم الشهود والمعرفة في هذه الدار وفي تلك الدار لا يحجبهم عن الله حور ولا قصور بل دائماً في النظرة والسرور والنضرة والخيور وذلك أنهم لما عرفهم به هنا لم يحجبهم هناك يموت المرء على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه بخلاف العامة فانهم لما حجبهم هنا بشهود أنفسهم أنجبوا هناك عن رؤية معبودهم إلا في وقت مخصوص على وجه مخصوص ولذلك كتب ابن العربي الحاتمي إلى الإمام الرازي (فقال له تعالى) نعرفك بالله اليوم قبل أن تموت فإذا تجلي الله لعباده أنكروا لم تعرفه (وسئل) الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن رجل يدعى أنه يرى الله يصبره فاستدعاه فسأله عن ذلك فقال نعم فأتته ونهاه عن هذا القول ثم قيل له أمتي هو أم مبطل فقال هو محي ملبس عليه وذلك أنه شهد بصيرته نور الجمال ثم خرق من بصيرته إلى بصره فنفذ فرأى بصره بصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ما شاهدته بصيرته وإنما رأى بصره بصيرته فحسب أم وباطنها هو البصرية كان النظر إنما هو للبصر الحسي فلا يرى إلا الحس فإذا استولت الروحانية على البصرية انعكس نظر البصر إلى البصيرة فلا يرى البصر إلا المعاني التي كانت تراها البصيرة وهو معنى قول شيخ شيوخنا المجنوب

غيب نظري في نظر وأقنيت عن كل قاني
حققت ما وجدت غير وأمسيت في الحال هاني

والله تعالى أعلم وإنما أمرك في هذه الدار أن تنظر إليه في مكوناته تسلياً لك عن شهود ذاته والنظر إليه إذا صبر للحب عن محبوه كما أبان ذلك بقوله (لما علم أنك لا تصبر عنه أشهدك ما برز منه) قلت لما فصل الحق سبحانه هذه الروح التي هي لطيفة نورانية من أصلها وتغربت عن وطنها تشقت إلى أصلها وتعلشت إلى محبت سيدها فلما علم الحق سبحانه وتعالى لا تصبر عنه ولا تقدر أن تراه على ما هو عليه من كمال جلاله ونور بهاء جماله ما دامت في السجن الذي هو قفص البدن أشهد الحق تعالى ما برز منه من تجلياته في مظاهر مكوناته وآثار صفاته لكن لا بد للحسناء من نقاب وللشمس من سحاب

حاله فيؤتي كل أحد بما ينشئه وبالله تشير الآية الكريمة وهي قوله تعالى أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن فأهل الصدق يكني فيهم الدعاء إلى الله بالحكمة وهي الهمة التوفية (و) أهل الاعتقاد والتسليم يكني فيهم الدعاء بالموعظة الحسنة (وأهل) الاعتقاد يجادلهم بالتي هي أحسن فإن سبقت لهم سابقة فنعمهم التذكير وإلا فأنما أنت نذير (ومن) الناس أيضاً من يتنفع بالحكايات وذكر الكرامات (ومنهم) من يتأثر بالشعر والسماع ومنهم من يتأثر بنغم الآلات والطرب ومنهم من يتأثر بسماع الزمارة والكبر ومنهم من يتأثر بسماع الطيور والبندير وغير ذلك من آلات اللهو وفي ذلك يقول الشاذلي رضي الله عنه فيما نسب له :

ومنا من يهيم على سماع بندير وعود وتقر طار
ومنا من يهيم على علوم وقرآن وذكر وأفكار

قال بعض الحكماء من سار إلى الله بطبعه كان وصوله أقرب إليه من طبعه ومن سار إلى الله بالبعد من طبعه كان

فبرزت أنوار الجبروت الى رياض الملكوت فظلتها سحائب الحكمة وآثار القدرة فبقيت الروح تتعشق الى أصلها من وراء سحاب الاثر فاذا انقشع السحاب ورفع الحجاب لنى كل حبيب حبيبه وعرف كل انسان منواه ومستقره فقنعت الروح بشهود المعاني خلف رقة الأواني واليه أشار الشيخ النوث أبو مدين رضى الله عنه بقوله

فلولا معانيكم تراها قلوبنا اذا نحن ايقاظ وفي النوم ان غينا
لمتنا أسمى من بعدكم وصباية ولكن فى المعنى معانيكم معنا

أى فلو لا معاني ذاتكم تراها قلوبنا فى مظاهر صفاتكم لمتنا عشقاً أو فلو لا معاني ربيوكم تراها قلوبنا فى مظاهر مكنوناتكم أو فلو لا معاني الجبروت تراها قلوبنا فى عالم الملكوت لمتنا أسمى أى حزن أعلى فراقكم وشوقاً الى لقاءكم وقولوا لكن فى المعنى معانيكم معنا أى ولكن معانيكم التى تشاهدها قلوبنا فى المعنى عظيم فاستأنسا بمشاهدتها وأنست أرواحنا بها فلم تمت عشقاً وشوقاً والله تعالى أعلم وما تستأنس به الروح عن صدمات المحبة اشتغالها بالخدمة كما أشار الى ذلك بقوله (لما علم منك وجود الملل لوت لك الطاعات) قلت من كرمه تعالى وحسن اختياره لك أيها العبد انه لما علم انك لا تقدر أن تصبر عنه أشهدك ما يرض منه ولما علم الحق سبحانه أن من عبادته من لا يقدر أن يشهده فيما يرض منه أشغله بخدمته ولما علم منه انه ربما يعمل من خدمة واحدة لون له طاعة سنة لأن من شأن النفس أن تمل من تكرار الشيء الواحد وفى ذلك يقول الشاعر

لا يصلح النفس اذا كانت مديرة الا التنقل من حال الى حال

فلون لك طاعته فاذا ملكك من الصلاة مثلاً انتقلت الى ذكره وإذا ملكك من ذكره انتقلت الى قراءة كتابه وهكذا وأنواع الذكر كثيرة والتنقل من موجبات النشاط فالعبادة مع النشاط ولو ثلث أعظم من العبادة مع الكسل وإن كثرت ليس العبادة بكثرة الحس وإنما العبادة بوجود المعنى (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه فلو نلت له الطاعة لثلاثة أوجه أحدها رحمة به ليسترخ من لون الى لون الثانى إقامة للمحبة عليه إذا لا عذر له فى الترك الثالث ليثبت له النسبة فى العمل بوجود التخيير فى الجملة فتكمل الكرامة وتسهل الطاعة فقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذا وافق الحق الهوى فذلك

وصوله على قدر بعده من طبعه وذلك يقتضى له الاستهلاك قبل الوصول فلا يتعمق برؤية الحق إلا فى آخر نفس من وجوده ان وجد والا فهو بعيد فى دعواه ومحجوب برؤية نفسه (قلت) وطريق الشاذلية بمن سار الى الله بطبعه فكان وصولها أقرب اليهم من طبعهم لانهم بنوا أصولهم وطريقهم على رؤية الحق والفناء فيه بأول قدم حسبما استقر من أحوالهم فهم يتعمقون برؤية الحق فى أول قدم ولذلك قال القطب ابن مشيش رضى الله عنه من ذلك على الدنيا فقد غشك ومن ذلك على العمل فقد أنبعك ومن ذلك على الله فقد نصحك فالدلالة على الله هى الفناء فيه والانقياس والغيبة عما سواه وعلى هذا بنت الشاذلية طريقهم حققنا الله بمعرفتهم آمين ثم بين حقيقة هذا السفر فقال

والسفر المذكور بالقلوب والشيخ فى منزلة الطبيب

(قلت) السفر هنا هو القلوب الى حضرة علام الغيوب وهو من أربعة مواطن الى أربعة مواطن يسافر أولاً من موطن الذنوب والغفلة الى موطن التوبة واليقظة ويسافر ثانياً من موطن الحرص على الدنيا والانكباب عليها الى موطن الزهد فيها والغيبة عنها ويسافر ثالثاً من موطن مساوى النفوس وعيوب القلوب الى موطن التخلية منها والتخلية أضعافها كما قال فى الحكم أخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف مناضح لعبوديتك لتكون لنداء الحق مجيباً ومن خضرته (٢٢ - ايقاظ أول)

الشهد بالزبد (ومن سار إلى الله) بطبعه كان الوصول أقرب إليه من طبعه ومن سار إلى الله بمخالفة طبعه كان الوصول إليه بقدر بعده عن طبعه ومتى يصح بعده عن طبعه والمقصود إنما هو مراقبة الحق لا مخالفة النفس وشواهد السنة لا تخفى فافهم ومن دواعي الملل وجود البهه وهو الحرص وموجه هو الإطلاق في العمل فذلك قيدت الطاعة بأعيان الأوقات كما أبان ذلك بقوله (وعلم ما فيك من وجود الشره فخيرها عليك في بعض الأوقات) الشره خفة في النفس توجب المسارعة للعمل والاسراع فيه ويتيج آفات ثلاثاً أولاً الترك عند الغوام لتروى النفس وضيقها الثاني الملل وهو التثاقل ان لم يكن ترك الثالث الاخلال بالحقوق لوجود السبلة (والحجر) بالوقت فيه فوائد ثلاث أولاً منع الشره إذ لو كانت مرسلة لوقعت النفس فيها على وجه الشره الثاني نفي التسويف لولا الوقت لكنت تعدى من زمن إلى زمن فيؤدى إلى التفریط الثالث التحمك من العمل والتحكين فيه إذ لولا الوقت لأهمل العمل ولم يحافظ عليه لنفلة الهوى ولم يحفظه استعمال المخطوط اه

ثم بين وجه التجبير وهو الانتقال والاقامة فقال (ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة) قلت السر في تجبير الصلاة في بعض الأوقات لتشتاق النفس إليها وترتاح بها فيحصل فيها الخشوع والحضور وقرة العين بخلاف ما إذا كانت دائمة فيها فلا تمشق إليها بل تمل فتوقها على غير تمام والمقصود منك حركة قلبك لا حركة جسمك ان الله لا ينظر الى صورتكم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ليس الشأن حركة الاشباح إنما الشأن خضوع الارواح فالسر في تجبير الصلاة عنك في بعض الأوقات أن يكون همك اقامة الصلاة وهو اتقانها والقيام بحقوقها الظاهرة والباطنة لا وجود الصلاة من غير اقامة فهي ميتة غالية فهي الى العقوبة أقرب (قال) الامام القشيري رضى الله عنه اقامة الصلاة هو القيام بأركانها وسننها ثم النية عن شهودها برؤية من يصل له فتحفظ عليه أحكام الأمر بما يجرى عليه منه وهو عن ملاحظتها محو فتفوسم منه مستقبله الى القبة وقلوبهم مستقرة في حقائق الوصلة اه وقال المؤلف رضى الله عنه اقامة الصلاة حفظ حدودها مع حفظ السر مع الله عز وجل لا يحتاج بترك سواه اه وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عماله ان أهم أموركم عندى الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أخطأ ومن ضيعها فهو لمن سواها أضيع اه من الشيخ زروق ثم ذكر وجه

قريباً ويسافر رابعا من عالم الملك إلى شهود إلى عالم الملكوت ثم إلى شهود الجبروت أو من عالم الحس إلى عالم المعنى أو من عالم الاشباح الى شهود عالم الارواح أو من شهود الكون الى شهود المكون وهذا السفر انما هو معنى كناية عن مجاهدة النفوس ومخاربتها في ردها عن عوائدها ومآلقاتها وفي تخليتها من الرذائل وتخليتها بالقضائل وفي الحكم لولا مبادئ النفوس ما تحقق سير السائرین لا مسافة بينك وبينه حتى تطوبها رحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تحوها وصلتك (و) قال أيضاً كيف يشرق قلب صور الاكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته الى آخره (و) كان الشيخ بمنزلة شيخ الركب في معرفة الطريق هو أيضاً بمثابة الطبيب للذنوب فهو طبيب القلوب بما علم وعرف من أحوالها وعالج من أمراضها وبما شاهد وذاق من أنوارها وأسرارها (وقد) أشار الفضيل رضى الله عنه الى هذا حيث قال العالم طبيب الدين والدنيا داء الدين فإذا كان الطبيب يجر الداء الى نفسه فتى يرى غيره وأشدوا :

وغير تقي يأمر الناس بالتقى
طبيب يداوى الناس وهو عليل
وقال آخر : يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا
ومن الضنى وجواه أنت سقيم

كون المطلوب هو الإقامة دون الوجود من حيث هو فقال (فاكل فصل مقيم) قلت لأن الإقامة في اللغة هو الاكبال والاتقان يقال أقام فلان داره إذا أكلها وجعل فيها كل ما يحتاج إليه إقامة الصلاة اتقانها كإتقان العمل ضد الإقامة هو الاخلال والتفريط فليس كل فصل مقياً فكم من فصل ليس له من صلاته إلا التعب وفي بعض الأحاديث من لم ته صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزد من الله إلا بعدا وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم إذا صلى العبد فلم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها لغت كما يلف الثوب الخلق ثم يضرب بها وجهه أو كما قال عليه السلام فالمصلون كثير والمقيمون قليل فأهل الأشياخ كثير وأهل القلوب قليل (قال أبو بكر) بن العربي المأفريد ته الله ولقد رأيت ممن يحافظ عليها ألافلا أحصيا فأما من يحافظها بالخشوع والاقبال فما استوفى منهم خمسة (وقال الشيخ أبو العباس الرمى رضى الله عنه كل موضع ذكر فيه المصلون في موضع المدح فأنما جاء لمن أقام الصلاة أما بلفظ الإقامة أو بمعنى يرجع إليها قال الله سبحانه الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة رب أجعلني مقيم الصلاة وأقام الصلاة والمقيم الصلاة ولما ذكر المصلين بالغلة قال فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة اه

(واعلم) أن الخشوع في الصلاة على ثلاث مراتب (المرتبة الأولى) خشوع خوف وانكسار وأذلال وهو للعباد والزهاد (المرتبة الثانية) خشوع تعظيم وهيبة واجلال وهو للريدين السالكين (المرتبة الثالثة) خشوع فرح وسرور وإقبال وهو للواصلين من العارفين ويسمى هذا المقام قرة العين كما بآى إن شاء الله .

(ثم اعلم) أن الصلاة التي لا يصحبها خشوع ولا حضور هي باطلة عند الصوفية غير مقبولة عند العلماء وقالوا ليس للعبد من صلاته إلا ما حضر فيها قلبه فقد يكون له ربع صلاته أو نصفها بقدر ما حضر فيها ويعين على الخشوع الزهد في الدنيا وهذا هو الدواء الكبير إذ حال أن تكون عندك بنت إبليس ولا يزورها أبوها فلا يتأتى الخلوص من الخواطر مادامت في القلب وقليلها هو كثيرها فن بقيت فيه بقية منها فانه تأتية الخواطر على حسبها فحال أن تكون شجرة الدنيا في قلبك وتسلم من الخواطر ومثال ذلك كشجرة عندك في بستان يجتمع عليها الطيور ويولونك بأصواتهم فكما شوشتهم رجعوا فلا ينقطعون عنك أبدا حتى تقطع تلك الشجرة فإذا قطعتها استرحت من أصواتهم فكذلك الدنيا ما دامت في اليد وهو

وأراك تلقح بالرشاد عقولنا
أبدأ بنفسك فانها عن غيا
فهنالك يقبل انوعظت ويقتدى
لا ته من خلق وتأتى مثله
فصحا وأنت من الرشاد عديم
فاذا انتهت عنه فانت حكيم
بالقول منك وينفع التعليم
عار عليك إذا فعلت عظيم

ولما كان علم الطب مركبا من علم وعمل هو صنعة العقاقير أشار الناظم إلى بعض ذلك بقوله :

يعلم منها الفث والسمينا ويدرئك الصلب معاً واللينا

(قلت) الفث اللحم المزال وهو ضد السمين والصلب هو الشديد اليوسة وهو ضد اللين (يقول) رضى الله عنه إذا كان الشيخ بمنزلة الطبيب فلا بد أن يكون له اطلاع على القلوب واشتتاراف على النفوس يعلم ما كان منها غثا ضعيفا من العلم والعمل والحال خاليا من اليقين خرابا من التور فيعامله معاملة الجائع المزال فيعطيه من الاذكر ما يقويه على حاله ومن الأعمال ما يفتيه عن أشكاله ويمد باطنه من مدد الهمة ما يسد به فقره ويجبر به كسره (و) يعلم أيضاً ما كان منها سمينا يعلم أول عمل أو حال أو بنور يقين أو معرفة أو غير ذلك فيعامله بالترقية والثرية اللائقة به وإذا كان ممنه مفرطارده

معمور بها لا يسلم القلب من خراطرها حتى يخرج عنها ويحتك يستريح من مساوئها وانه تعالى أعلم و (عما يعين) أيضاً على الحشوع الاكثر من ذكر الله بالقلب والقالب وادمان الطهارة لأن الظاهر له تعلق بالباطن إذا طهر هذا ظهر هذا وبالله التوفيق ثم ذكر نتائج الصلاة وثمراتها ورجعها إلى ست كل واحدة توصل إلى ما بعدها وإن إلى ربك المتبى فأشار إلى الأولى بقوله (الصلاة مطهرة للقلوب) قلت إنما كانت الصلاة مطهرة للقلوب من المساوى والعيوب لما فيها من الخضوع والانكسار والذل والافتقار والتذلل والاضطرار فإذا خضع القلب لمية الجلال طهر من سائر العلل لأن طلب العلوم والرفعة هو أصل العلل وعصرها ومن شأن النفس وطبيعتها طلب العلو والاستكبار والتعزز والافتخار لأنها جاءت من علم المزم فلا ترضى إلا بالعرز وإلى هذا أشار شيخنا المجنوب بقوله :

من أين جتى ياذى الروح الهياما روحانيا
مقامها بساط العز أحوالها ربانيا

فلما ركبت في هذا القالب الجسماني ردتها القهرية إلى العبودية وجعلتها لها بابا للوصول إلى حضرة الربوبية فلا يطعم لها في الرجوع إلى أصلها إلا بانكسارها وهذا ولذلك قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها ازدحاما فأتيت باب الذل والانكسار فوجدته خاليا فدخلت منه وقلت هلوا إلى ربكم هكذا سمعته من أسيافنا فإذا انكسرت وذلّت رجعت لأصلها ووصلت وإذا تعززت واستكبرت حجبت وطردت وإذا طردت بعدت وكلما بعدت عن الحضرة الربانية استحسنت فيها الشهوات الجسمانية والأخلاق الشيطانية فأتصفت حينئذ بكل خلق دني وبعدت من كل خلق سني فإذا أراد الله تعالى أن يرحمها بالقرب من جنابه والوقوف بباب أهمها الصلاة وحبها إليها حتى إذا تطهرت من الذنوب وبغيت عنها المساوى والعيوب قربت من حضرة الحبيب ومناجاة القريب فقرعت الباب وطلبت رفع الحجاب وهذا معنى قوله (واستفتاح لباب الغيوب) وهي النتيجة الثانية من نتائج الصلاة قلت المراد بالغيوب أسرار الملكوت وأسرار الجبروت وإنما كانت الصلاة اهتفتاحا لباب الغيوب لما اشتملت عليه من تطهير الظاهر والباطن قال محمد بن علي الترمذي

إلى الوسط غير الأمور أوسطها (و) قد ردد رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص عن صيام الدهر وقيام الليل لكنه غلبت عليه القوة فتسك بذلك ثم ندّم (و) يكون أيضا حال هذا الشيخ الطيب يدرك القلب الصلب وهو القاسى من كثرة الذنوب والتفلة فيحمله على التوقير وقظه من التفلة ويأمره بما يلين قلبه كالصيام ومحبة الفقراء وقيام آخر الليل وغير ذلك مما يزيل علته وقساوته (و) يدرك القلب اللين بالحشوع والخضوع فيأمره بالتزقي إلى مقام الاحسان ويطوى عنه مسافة أعمال الجوارح من أعمال أهل الاسلام والايمان وهكذا يعامل كل قلب بما يناسبه (قال) في العوارف ينبغي للشيخ أن يتفرس في المريد ويعامله على حسب صلاحته واستمادته ثم قال ينبغي للشيخ أن يعتبر حال المريد ويتفرس فيه بنور الايمان وقوة العلم والمعرفة فن المريد من يصلح للتباعد المحض وأعمال القوالب وطريق الاراد من المريد من يكون مستعدا صالحا للقرّب وسلوك طريق المقرين المرادين بمعاملة القلوب والمعاملات السنية ولكل من الاربار والمقرين نهايات وبدائيات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن يعرف كل شخص وما يصلح له ومن العجب أن الصحراوي يعرف الارضين والفروس ويعلم كل غرس وأرضه وكل صاحب صنعة يعلم نافع صنعة ومضارها حتى المرأة تعرف قطنها وما يتأتى منه من الغزل دقته وغلظه ولا يعلم الشيخ حال المريد وما يصلح له وكان رسول الله

الحكيم رضى عنه دعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخس رحمة منه عليهم وهى لهم فيها أنواع الضيافة لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه فالأفضال كالأطعمة والأقوال كالأشربة وهى عرش الموحدين هياماً رب العالمين لأهل رحمته فى كل يوم خمس مرات حتى لا يبق عليهم دنس من الاغيار اه فاذا ظهر الظاهر بالطهارة الحسية والباطن بالطهارة المعنوية استحق الدخول إلى الحضرة القدسية فاول ما يتخف به قربته إلى الباب وسماح خطاب الاحباب من وراء حجاب فينته بمناجاة الاحباب ولذئذ الخطاب وهو معنى قوله (الصلوة محل المناجاة) وهى النتيجة الثالثة قلت المناجاة هى المسارعة والمكاملة مع الاحباب فتناجاة العبد ربه بالتلاوة والاذكار ومناجاة الرب لعبده بالفهم الفتح ورفع الاستار وفى الحديث الصحيح المصلى يناجى ربه وقال أيضاً عليه السلام يقول الله تعالى قسمت الصلاة بينى وبين عبدى ولعبدى ماسأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال تعالى حمدنى عبدى فاذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى حمدنى عبدى فاذا قال مالك يوم الدين قال الله تعالى فوض إلى عبدى فاذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله تعالى هذه بينى وبين عبدى فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم الآية قال الله هذه لعبدى ولعبدى ماسأل الحديث فلا يزال المصلى يناجى ربه ويطلب قربته حتى تتمكن المحبة من القلب والأقبال من الرب فتصفوا المحبة من كدر الجفا ويتصل المحب مع حبيبه فى محل الصفا وهو معنى قوله (ومعدن المصافاة) وهى النتيجة الرابعة قلت المعدن هو محل الذهب والفضة أستعير هنا لصفاء القلوب والأرواح لتصفيتها من لوث صلصال الاشباح فالمصافاة خصوص المناجاة من تشويش الحس وكدر الهوا جس فهمى أرق وأصنى من المناجاة كما قال ابن الفارض رضى الله عنه ، وقد خلوت مع الحبيب وبيننا ؛ سر أرق من النسيم إذا سرا ؛ وهذه مصافاة العبد لربه ومصافاة الرب لعبده بالإقبال عليه حتى لا يدعه لغيره وفى الخبر ان العبد إذا قام إلى الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجه وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهوى يهلون بصلاته اه فامتأمت التصفية وعظمت المحبة وكثر العطش وظهر الدهش استنحت الروح رفع الحجاب وفتح الباب فتدخل إلى حضرة الاحباب ويرتفع وبينهما وبينهم الحجاب فتخرج من ضيق الاشباح إلى قضاء عالم الأرواح أو من ضيق الملك إلى سعة عالم الملكوت وهو معنى

صلى الله عليه وسلم بكلم الناس طلى قدر عقولهم ويأمر كل شخص بما يصلح (فهم) من أمره بالاتفاق (و) منهم من أمره بالامساك (و) منهم من أمره بالكسب (و) منهم من أقره على ترك الكسب كاصحاب الصفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل أحد (فأما) فى رتبة الدعوة فكان يعمم الدعوة لأنه مبموت لاثبات الحجة وإيضاح المحجة يدعو على الاطلاق ولا يخصص بالدعوة من يتفرس الهداية دون غيره ثم تم أوصاف الشيخ الطيب وهو العلم والعمل فقال .

ويعلم البسيط والمركب وما بدأ منها عليه واختبا
والطبع والمزاج والتركيب والكون والتحليل والترطيا

قلت البسيط هو المفرد الذى لم يتركب من جواهر والمركب ضده وبدا الشيء ظهر واختبا بالباء بمعنى أستر ومنه الحب فى قوله تعالى يخرج الحب فى السموات أى المستر والخفى فيها ومطبع ما جبل عليه الإنسان من خوف أو شجاعة أو بخل أو كرم أو غير ذلك (و) المزاج ما ركب منه بدنه كالحرارة والبرودة واليوسة والرطوبة وغير ذلك (و) التركيب إضافة الشيء إلى غيره كتركيب العقاقير والأدوية والكون ما كان عليه الجسم من صحة أو مرض (و) التحليل هو تنويب ما

قوله (فيها تسع ميادين الاسرار) وهي النتيجة الخامسة قلت الميادين جمع ميدان وهو مجال الخيل أستعير هنا لفضاء عالم الملكوت فإذا تزهت الروح في عالم الملكوت وجالت بفكرتها في سعة أنوارها أشرقت عليها أنوار سنا الجبروت وهو معنى قوله (وتشرف فيها شوارق الأنوار) وهي النتيجة السادسة قلت أراد بالاسرار أسرار الذات وهو لأهل الفناء وبالأنوار أنوار الصفات وهو لأهل البقاء والله أعلم وأراد الشيخ بهذه الصلاة التي تنقله من حال إلى حال ومن مقام إلى مقام صلاة أهل الاعتناء وهم أهل السلوك على يد الشيوخ لاصلاة أهل النغلة وصلاة أهل المجاهدة من العباد والزهاد فليس لهم هذا السير والله تعالى أعلم (قال أبو طالب) حدثنا أن المؤمن إذا توجها للصلاة تباعدت عنه الشياطين في أقطار الأرضين خوفاً منه لأنه تأهب للدخول على الملك فإذا كبر حجب عنه إبليس وضرب بينه وبينه برادق لا ينظر إليه ولا وجهه الجبار وجهه فإذا قال الله أكبر أطلع الملك في قلبه فإذا ليس في قلبه أكبر من الله فيقول الملك صدقت الله أكبر في قلبك كما تقول فيتشمع في قلبه نور يلحق ملكوت العرش فيكشف له بذلك ملكوت السموات والأرض ويكتب له حسن ذلك النور حسناً قال وإن الغافل الجاهل إذا قام إلى الرضوء احتوشته الشياطين كما تحتوش الذباب على نقطة العسل فإذا كبر أطلع الملك في قلبه فإذا كل شيء في قلبه أكبر من الله عنده فيقول الملك كذبت ليس الله في قلبك كما تقول فيشور من قلبه دخان يلحق بعتان السباء فيكون حجاباً لقلبه عن الملكوت قال فيرد ذلك الحجاب صلاته وتلتقم الشياطين بقلبه ولا يزال تنفخ فيه وتنفث وتوسوس وتزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما فعل ثم ذكر حركة حصرها في عدد معلوم وهو خمسة فقال (علم وجود الضعف منك قتل أعداءها) وهي خمس بعد أن كانت خمسين فن لطفه سبحانه بك أيها الإنسان قلل أعداءها مع سعة الزمان فجعل عليك صلاة في أول نهاره شكراً لما أظهره لك من باهر أنواره وليكون نهودك إليه في أول قيامك جباً لما حصل من غفلتك في طول منامك وجعل عليك صلاة في وسط نهاره اتحاداً عنك لما أظهره في ذلك الوقت من وقود ناره وجعل عليك صلاة قرب انصراف النهار ليكون شاهداً لك بوجود طاعتك عند الملك الغفار ولتشهد عليك ملائكة الرحمن بالصلاة عند الملك الديان وأوجب عليك صلاة في أول زمان الليل استغنا حال ذلك الزمان بوجود طاعتك كما استغنت

بمحمد كتحليل ما انعقد في جوف الإنسان من العلل بدواء ونحوه (و) الترطيب تلين ما صلّب ويس (يقول) رضى الله عنه لا بد للشيخ أن يكون ماهراً بأحوال القلوب عارفاً بعللها عالماً بعلاجها يعلم ما كان منها بسيطاً أى مفرداً من حب الأشياء ليس فيه إلا قصد واحد وهم واحد ومحنة واحدة وإرادة واحدة وهو الذى أشار إليه الجنيد رضى الله عنه حين قالوا له كيف يصل العبد إلى التحقيق فقال بقلب مفرد فيه توحيد مجرد بعد تحصيل أمور ذكرها قبل فهذا القلب سهل العلاج قريب الصحة لأن المرض إذا كان مفرداً قرب علاجه وهذا القلب حين سلم من تشعب المهوم ولم يبق له إلا مهوم واحد لم يبق فيه إلا مرض واحد وهو حجاب الوهم فعلاجه في ترقيته ورفع حجاب بخلاف القلب الذى تشعب فيه المهوم فهو أصعب في العلاج لتزكيب أمراضه وتراكم علاجه وهو المراد بالمركب (و) قد قال بعضهم القاب كاللعنة والمعدة بيت الداء فإذا كثرت عليها الاخلالات مرضت وفسدت وعلاجها الحمية من الاخلالات وكذلك القلب إذا كثرت عليه المهوم والخطر فسدت فكرته واضطربت مآهده وإذا ظلمته المهوم والخطر سلبت فكرته واضلقت مآهده (وفى) الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من جعل المهوم مآهده واحداً كفاه الله مآهده ومن تشعبت به المهوم لم يبال به الله في أى أوديه الدنيا هلك (و) علاج هذا بالهزلة والصمت واخراج الدنيا من يده إلا قدر ضرورته (و) يعمل أن يريد

أول نهارك واستحفظاً لما يتوقع من عجائب الليل ثم لما أردت أن تنام عن سيدك وتغفل عن ربك وتتمتع بفراسك أمرك أن تودعه بحضورك معه وأن يكون آخر عهدك به وجود طاعتك فهذا كله جذب منه لك الحضرة واستخراج منك لشكر منته عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل وحين قلل أعدادها لما علم احتياجك إلى منته كثر أعدادها وإليه أشار بقوله (وعلم احتياجك إلى فضله فكثّر أمدادها) المراد بالأعداد الأجزاء الذي رتب عليها لجل كل صلاة بمشرفي خمس وهي خمسون خمس في الحس وخمسون في المعنى أي الثواب وإذا فلتت في الجماعة كانت كل واحدة بخمس وعشرين وكل درجة بمشرف فكان عدد صلاة الجماعة مائتين وخمسين في كل صلاة واثقة ذو الفضل العظيم وتفاوتت الدرجة أيضاً بكثرة الجماعة وكالها وبقدر الحضور والخشوع والنية ورفع الستور فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وتفاوتت أيضاً بقدر البقع كبيت الله الحرام والمسجد النبوي وبيت المقدس وبقدر رتبة الإمام من صلى خلف منقور غفر الله له واثقة تعالى أعلم لكن لا ينبغي لك أيها الفقير أن تلتفت إلى هذا الحظ فإن فضل الله كثير لمن رفع همه إلى العلى الكبير كما أبان ذلك بقوله (متى طلبت عرضاً عن عمل طوبت بوجود الصدق فيه ويكفي الرب وجدان السلامة قلت متى صدر منك عمل من أعمال البر وطلبت الحق سبحانه أن يجازيك عليه طلبك الحق تعالى بوجود الصدق فيه وهو سر الإخلاص وله الذي هو التبرى من الحول والقوة وانزال النفس عن رؤية العمل لها بالكلية بعد تحقيق الحضور والسلامة من الوسواس والخواطر والهواجس حتى تكون صلاتك باقة وثقة غائبة فيها عما سواه قد ملا قلبك عظمة الله فثبت في الله بالله فإن تحققت فيك هذه الأمور صبح لك أن تطلب ما رتب الحق سبحانه على العمل من أنواع الجزاء والأجور وإن لم تحقق من نفسك هذه الأمور فاعلم أن عملك مدخول فاستحي من الله أن تطلب الجزاء على عمل مدخول فيكفيك من الجزاء وحصول المطلب السلامة من الهلاك والعطب يكفيك من طلب حسن نواله السلامة من عقابه ونكاله يكفي الرب وهو المthem وجدان السلامة من العقوبة فيما اتهم فيه من كان عند الملك متهما وهو مجرب للعقوبة على ما اتهم فيه ثم قيل له إن الملك يمنحك ويعطيك كذا وكذا فيقول لهم يكفيني في العطاء وجدان السلامة من عقوبته

بالبسيط والمركب نفس العيوب التي هي مرض القلب فيعلم القلب الذي مرضه بسيط وهو الذي فيه مرض واحد والقلب الذي مرضه مركب وهو الذي كثرت علة وأمرضه فيعالج كل واحد على قدر علته وأمرضه ويدل على هذا الاحتمال قوله وما بدا منها عليه واختياً فإن المراد به المرض الظاهر كعاصي الجوارح الظاهرة والمرضى الخفي كعاصي القلوب الباطنة وهي أصعب في العلاج كالرباء والعجب والكبر وحجب الجاه والرياسة والمدح وغير ذلك من الأمراض

(و) في الحكم حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداداة ما يغني صعب علاجه (و) قال أيضاً يمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء العضال (وقال) أيضاً لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزج أو شوق مقلق فدواة الأمراض الظاهرة التزام التوبة والتقوى والاستقامة فإن صحبت عليه فليزلم حجة الشيخ ومداداة الجلوس بين يديه أو تكرار الحجى إليه فإن نظر الشيخ تريباً فإن محبه ولم يشف من مرضه طيلم أن صدقه ضعيف أو شيخه ضعيف فإن الشيخ إذا كان له نور يمشي به في الناس جامعا بين جذب وسلوك لا يمكن أن يصحبه العليل بالصدق ولم يشف من ساعته (وقد) قالوا سيدي ابن سيدي هو الذي يحمل عن قيودى (وقال) شيخ شيوخنا سيدي العربي بن عبد الله طريقتنا كالمسكين الماضية بأيتنا الرجل مكبل بشواته فقطع يده من ساعته فكل من حجب شيئاً بالصدق ولم ينفك عنه كبل المعاصي فليظن شيخاً آخر والله تعالى أعلم .

وأنت أيها الإنسان طوبت بالأعمال والإخلاص فيها وإتقانها وإتمام إقامتها فأنت بطاعة مشوبة بالخواطئ والوساوس وعلى تقدير سلامتها من ذلك فظلك الجزاء يقتضى رؤية نفسك ووجود الفعل منك وهو شرك تستحق عليه العقوبة فيكفيك من عطاءه وجود السلامة من عقابه .

(قال) الواسطى رضى الله عنه العبادة إلى طلب العفو عنها أقرب منها إلى طلب الأعراض اه وقال خير النساج رضى الله عنه ميراث أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميراث فضله فإنه أتم وأحسن وقال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ومعنى كلامه رضى الله عنه أن جزاء أعمالك ما يليق بأفعالك الناقصة وجزاء الناقص ناقص فاطلب منه ثمرة فضله فإنه كامل من كل وجه فهو أتم وأكمل وأقرب تعالى أعلم وكيف تطلب الجزاء على عمل لست له فاعلا ولا علت كون القبول له حاصلًا كما أشار إليه بقوله (لا تطلب عوضا عن عمل لست له فاعلا يكنى من الجزاء لك على العمل إن كان له قابلا) قلت قد تقرر عند أهل الحق أن البعد مجبور في قالب مختار فليس له فعل ولا اختيار وإنما الفاعل هو الواحد القهار قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وقال تعالى والله خلقكم وما تعملون وقال تعالى وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين وقال صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس أى النشاط وقال عليه السلام كل ميسر لما خلق له فأما من كان من أهل السعادة فيسیر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فيسیر لعمل الشقاوة ثم قرأ فأما من أعطى واتى الآية فإذا تقرر هذا فكيف يطلب البعد الأجر على عمل ليس هو فاعله وعلى تقدير نسبتة إليه فالجزاء متوقف على القبول فمن أين تدرى هل يكون مقبولا أم لا وإذا تفضل عليك بالقبول على ما هو عليه من النقص والخلل فهذا يكفيك في جزائك على العمل فلو لا جميل ستره لم يكن عمل أهلا للقبول فلو لا أن الله سبحانه تفضل على عباده بالعفو والحلم ما قبل عملا قط إذ تصفية الأعمال كاد أن تكون من المحال قال الله تعالى وما قدروا الله حتى قدره أى عظموه حتى تعظمه وقال تعالى كلا لما يقض ما أمره أى لم يقض الإنسان ما أمره سيده الوجه الذى أمر به وانظر قوله تعالى أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا ولم ينل الحق تعالى تقبل عنهم لأنه يقتضى أنه كامل بل عداه بمن المفيدة للتجاوز كأنه قال أولئك الذين يتجاوز عنهم فى أحسن ما عملوا فتقبلها منهم ولو لم

والفرق بين الاحتمالين أن الأول جعل البسيط والمركب من صفة القلب والثانى جعله من صفة المرض وهو أليق بما بعده ويعلم أيضا أن الشج الطيب طبع المريد وما جبل عليه من قبض أو بسط أو شح أو كرم أو سخاء أو خوف أو شجاعة أو غير ذلك من الطباع فيعالجه بما يصلح لطبيعته فإن كان متقبضا أمره بشئ من البسط وإن كان بخيلا أمره بالبذل والإيثار وهكذا يقابل الأشياء بأضدادها ويعلم أيضا مزاج المريد هل هو بارد الهمة قليل الطلب أو هو حار متعطش السخانة غالبية عليه أو هو معتدل فإن رآه بارداً أمره بصحبة الفقراء وإحلك معهم أو دوام صحبته وإن رآه حاراً متعطشا أمره بالقصد والتوسط فى الخدمة لقوله عليه السلام اكفروا عن العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وقال أيضا صلى الله عليه وسلم لا يكن أحدكم كالنبت أى المنقطع لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وإن رآه معتدلا سيره كذلك ويعلم أيضا كيفية تركيب العقاقير والأغذية فمن رآه يليق به ذكر واحد لقته له بسطا ومن رآه يليق به ذكران أو ثلاثة لقته كذلك ومن رآه يصلح للفكرة أمره بها ومن رآه يصلح للفكرة والنظرة ركبها له وكذلك الذكر مع الفكرة يركبها لمن يقدر عليهما وهكذا ويعلم أيضا كون القلب هل هو سليم أو سقيم وهل هو أهل للخدمة أو العجبة فإن القلب الذى لا يطبق أنوار المعرفة لا يصلح لصاحبه إلا اشتغاله بالخدمة ويعلم أيضا تحليل الملل الجامدة وتنويعها كمن تمكنت فيه الرئاسة

يتجاوز عنهم فيها ما تقبلت منهم ولكن الكريم لا يتعد بل يقبل كل ما بعباءه العظيم كرمه وغناه فالحد دائما في حيث خلق فيه العمل وأعطانا عليه غاية الخي والامل كما أشار إلى ذلك بقوله (إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونب اليك) قلت الحق تعالى فاعل بالمشيئة والاختيار لا يستل عما يفعل وهم يستلون أى لا يستل عما يفعل حقيقة وهم يستلون شريعة ثم وإن الحق سبحانه وتعالى قسم عباداه على ثلاثة أقسام قسم أعدمهم للاتقاه فظهر فيه اسمه المنتقم واسمه الظاهر أجرى عليهم صورة العصيان بحكمه ونسبا لهم بدله وقهره ولو شاء ربك ما أولوه ولو شاء الله ما أشركوا فقامت الحجة عليهم باعتبار النسبة وإظهار الحكمة وما ربك بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقسم أعدمهم الله للحلم ليظهر فيه اسمه الخليم واسمه الرحيم أجرى عليهم العصيان وحلام بالآيمان فاستحقوا العقوبة على العصيان ثم إن الحق تعالى حلم عليهم وعفا عنهم وأدخلهم الجنان وقسم أعدمهم الله الكرم ليظهر فيه اسمه الكريم واسمه الرحيم خلق فيهم الطاعة والاحسان وحلام بالاسلام والآيمان وربما زادهم التجلي بالاحسان فأدخلهم فسيح الجنان ومتعمم بالنظر إلى وجه الرحمن فإذا أراد الله تعالى أن يهلك بهؤلاء السادات هياك لأتوارع الطاعات وخلق فيك القوة على فعل الخيرات ثم نسب اليك ذلك الفعل فقال يا عبيد فقلت كذا وكذا من الخير فأنأ أجازبك عليه أدخل الجنة برحمتي ورتق إلى مقامك بملكك فأمك حيث أمرك (قال تعالى) كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أنظر كيف فضلتنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأفضل تفضيلا وقال تعالى أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون ثم ينفى لك أيها الإنسان أن تأدب مع الملك اللذان فلا تنسب إليه القص والعصيان وإنما أغرتك نفسك والشيطان قال تعالى فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور أى الشيطان فما كان من الكمال فأنسبه إلى الكبير المتعال وما كان من النقصان فأمسحه في متدبيل النفس والشيطان (قال) سهل بن عبد الله رضي الله عنه إذا عمل العبد حسنة وقال يارب بفضلك استعملت وأنت أعنت وأنت سهلت شكر الله ذلك له وقال يا عبيد بل أنت أطعت وأنت تقربت وإذا نظر إلى نفسه وقال أنا عملت وأنا أطعت وأنا تقربت أعرض الله عنه وقال (له يا عبيد) أنا وقتت وأنا أعنت وأنا سهلت وإذا عمل سيئة وقال يارب أنت قدرت وأنت قضيت وأنت غضب المولى جلست قدرته عليه وقال يا عبيد

والجاء فلا يحالها إلا الخراب الكبير والذل الكبير وكل ما يسقط أن أعين الناس وكذلك من تمكن فيه حب الدنيا وجمعها لا يحمله إلا الزهد الكبير وكذلك من تمكن فيه الشح والبخل لا يحمله إلا العطاء والهدى وهكذا ويعلم أيضا أن طرييب العلل اليابسة كقسوة وغفلة وجمود العين وقبض النفس فيأمره بما يعالج كل داء على حدته فالقسوة تذهب بالذكر والتلاوة والتدبير والصيام والتضرع آخر الليل وقس على هذا والغفلة تذهب بملزمة الذكر ومراقبة الوقت وجمود العين تنفع فيه المواعظ والزواجر وقبض النفس تنفع فيه مذاكرة ما بقوى الرجاء ويوجب الفرح وهكذا وهو الذي قتله ليس هو عين الدواء وحده إنما نهبا على الأصل المهم وليقس ما لم يقل ثم كل أحوال الشيخ الماهر فقال :

قد أحكم التشرية والمفاصل وصار علم الطب فيه حاصل

قلت علم التشرية هو علم الطب وسمى علم التشرية لأنه يشرح بواطن الحيوانات ويعلم دواخلها وأسباب عللها ومخترها وفسادها ويعرف طبائنها وأمرجتها فهو يشرح ذلك شرحا بالنجربة والاطلاع حتى أن أطباء العجم يشقرون على جوف الميت وينظرون علته التي أعصابها فيما لجرنها بالأمور المحللة حتى تنحل ليعرفوا كيفية علاجها في غيره وعلم المفاصل هو ما يتعلق بعلاج الجوارح الظاهرة كالجزم الذي يكون في مفاصل اليدين والرجلين وسائر الجوارح (وقد قيل إن في الإنسان ثلاثمائة

بل أنت أسأت وأنت جهلت وأنت عصيت . وإذا قال يارب أنا ظلمت وأنا أسأت وأنا جهلت أقبل المولى جلت قدرته عليه وقال يا عبدي أنا قضيت وأنا قدرت وقد غفرت وقد حلت وقد سترت أه ثم إن هذه النسبة التي نسب الله لعبده بما خلق فيه بها يستحق المدح والذم فإذا خلق فيه الطاعة ونسبها إليه استحق المدح بلسان الشرع وإذا أجرى عليه المعصية وقضاها عليه استحق الذم بلسان الشرع أيضاً كما أشار إليه بقوله (لا نهاية لمذاكم إن أرجعك إليك ولا تفرغ مذاثك إن أظهر جوده عليك) قلت إذا أراد الله إهانة عبده وإذلاله رده إلى نفسه وهو أه فاحيل عليها ووكل اليها فيرويه ما تولى فإذا استولى عليه الهوى أعماه وأحمه وفي مهاوى الردى أسقطه كما قال الشاعر :

ترك يوماً نفسك وهو أه سعى لها في رادها

فاللهوى مختصر من الهوان وموجب له كما قال البرعي رحمه الله

لا تتبع النفس في هواها إن اتباع الهوى هوان

وإذا أراد الله عزاز عبده وعنايته أظهر عليه جوده وكرمه فتولاه وحفظه ولم يتركه مع نفسه وهو أه طرفة عين ولا أقل من ذلك فلا نهاية لمذاكم أيها الإنسان إن رددك إلى نفسك وحكمها فيك وتركك مع هواك لأن ذلك من علامة الإهمال وسقوطك من عين الكبير المتعال والعباد باق من كل خير ووبال ولا تفرغ مذاثك إن أظهر جوده عليك فتولاه بحفظه وركه بعنايته وحجزك عن نفسك وحال بينك وبين تديريك وحسبك ومن دعائه عليه السلام إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة وإن لا أثنى إلا برحمتك والحاصل أنك إن كنت بربك تكمل عزك ولا يتناهى مدحك وإن كنت بنفسك تكامل ذلك ولا يتناهى ذمك قال الشاعر

اذ كنا به تنها دلالة على كل الحرائر والعبيد

وإن كنا بنا عدنا لنا فطلل دلنا ذل اليهود

وسنة وستين مفصلاً على عدد السنة كل مفصل قائم بحكمة الله وقدرته ونصفها متحرك ونصفها ساكن فإذا سكن المتحرك أو تحرك الساكن ضربه الراجع فيحتاج إلى علاج فيكون الطبيب عالماً بما يعالج مجموع الطب هو العلم بالطبيعات السبعة والضروريات الستة والأمور الجارحة عنها وهي ثلاثة والعلم بخواص العشب وتركيب الأغذية والعقاقير (يقول) رضى الله عنه يشترط في الشيخ أن يكون قد أحكم على تشريع القلوب وأطلع على أسباب فسادها وصلحها ومخاتها وسقمها عارفاً بعلاج أمراضها وأعلامها علم ذلك بصيرة نافذة ومكاشفة غيبة قد عالج نفسه وطهرها وطهر قلبه من صلح الحسن وصنى مرآته من صور الأكران فإذا كان فعل ذلك فإن قلبه يصير كالزجاجة الصافية فينطبع فيه بواطن المريدين فيعالجهم بما يتجلى فيه من أمرهم بإذن الله (وقد) يقع الفناء بمجرد المواجهة والمقابلة وهذا الذى شهدناه من أشياخنا وأذلك قال بعضهم إن تربية الشاذلية إنما هي بالهمة والحال يعنى أن الغالب فيها نهوض الهمة والحال أكثر من نهوض الاصطلاح والمقال والا فالجميع موجود والحمد لله هذا معنى كلامه والله تعالى أعلم ويشترط فيه أيضاً أن يكون أحكم علم المفصل ويعنى به ما يتعلق بإصلاح الجوارح الظاهرة فيكون جامعاً بين علم الشريعة وعلم الحقيقة وقد تقدم أنه إنما يحتاج منها لما يلزمه في خاصة نفسه أو ما يتوقف السير عليه من اتقان ما كلف به الإنسان راجع ما تقدم ويشترط فيه أيضاً أن يكون علم الطب أى طب القلوب صار حالاً فيه

أو تقول من أجله الله وتركه مع نفسه وهواه لانهية لذامه وقبحه فان لنفس من التناقص ماله من الكالات ومن تولاه الله وأظهر جوده عليه ولم يتركه مع نفسه وأزججه من حظه وحال بينه وبين هواه فلا نهاية لمداخه إذ كالات الله لانهية لما وما هنا إلا مظاهره فكما لانهية لجلاله كذلك لانهية لجلاله والله تعالى أعلم

(هذا) آخر الباب الثاني عشر وحاصلها تنظيم الاوراد والتأهب ولورود الامداد وصفية البواطن من الاكدار لتشرق عليها شمس الانوار وهي شمس العرفان فيفنى العارف عن التدبير والاختيار فكل يوم ينظر ما يفعل الواحد القهار فيتأنس حيثنذ بكل شيء ويتأذب مع كل شيء ويعظم كل شيء ولا يستوحش من شيء لمعرفته في كل شيء فيستأنس في هذه الدار بالنظر إلى الله في حجاب صفاته وهي مظاهر مكوثاته وسيكشف له في تلك الدار عن كمال ذات من غير حجاب صفاته وذلك أنه لما علم أنه لا يضره عنه أشهد ما برز منه ولا علم أن من عباده من لا يقدر أن يشهده في مكوثاته أشهد بخدته وعلم أيضاً أنه ان دام على عمل واحد ربما حصل له الملل لون له الطاعة والعمل وعلم ما في عبده من الشره فحجره عليه في بعض الاوقات ليكون همه إتمام الصلاة لاجود الصلاة ثم ذكر ثمراتها وتأنجها وهناك عن طلب العوض عليها لكونك لست عاملاً لما وانما هو فضل من الله عليك خلق فيك القوة ونسبها إليك فان ردك إلى نفسك وتركك مع هواك لا تنتهي مذامك وان أخذك عن نفسك وتولاك بمجوده وفض لا تفرغ مداخك حيث صرت ولياً من أولياته وصفيّاً من أصفياه جعلنا الله منهم بمنه وكرمه آمين :

انتهى الجزء الاول والله المستعان على التمام بحمد نبيه المصطفى

بدر التمام صلى الله عليه وعلى آله الكرام ويليهِ

الجزء الثاني فقول وبالله نستعين

راسخاً في معرفته قد شفا الله على يديه خلقاً كثيراً وجما غفيراً وأما من لم يعرف بالتداوى والشفاء فقيه غرور وفي محبة خطر (قال) الامام أبو حامد رضى الله عنه وكما أن معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة حتى ان الطبيب لا يعالج العليل ما لم يعرف البدن وأحوال الزمان وصناعة المريض وسنه وسائر أحواله فيعالج بحسبها لذلك الشيخ المتبرع الذي يطلب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي أن لا يهاجم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص وطريق مخصوص ما لم يعرف أخلاقهم وأمرأهم وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد لقتل أكثرهم فكذلك الشيخ لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة لقتل أكثرهم وأما قلوبهم (قلت) فينبغي للشيخ أن يتفرض يصيرته في حال المريدين فنراه يصلح للتجريد لقوة يقينه أو خفة مؤوته جرده ومن رآه لا يصلح له تركه في الاسباب ومن كان أهلاً للخرقة أنبسه إياها ومن كان غير أهل لما تركه في لباسه ومن كان أهلاً للعرلة أمره بما ومن كان قد استأنس بما أمره بالخلة لقوة حاله ومن كان ذا جاه ورياسة أمره بالخراب والسؤال ونحوه ومن كان حاملاً كان أمره بما يليق به وهكذا والله تعالى أعلم ثم تم أحوال الشيخ

(قال)

وكن عشاباً وصيدلاًني قدسا وكمالا ومارستاني

أتمى الجزء الأول من كتاب إيقاظ الهمم فى شرح الحكم
والفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية والله المستعان
على التمام بمجاه نية المصطفى بدر التمام
صلى الله عليه وعلى آله الكرام
ويليه الجزء الثانى فنقول
وبالله نستعين

إيمان طرس

الفتوح الأصلية شرح المبحث الأصلية

للمعارف باقة الصوفي الجليل أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني
نفعنا الله به وبعلمه آمين



المجلد الثاني

(الطبعة الأولى)



صححه فضيلة الأستاذ محمد محسن
المدرس بالأزهر الشريف



مكتبة الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشركين - رقم ١٨

القرايات : مصر - صندوق بريد القاهرة رقم ٣٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قال المؤلف نفعا الله به وبعلمه آمين)

فإذا أردت أن يظهر جوده عليك وتيسر ما به لديك فتحقق بوصفك وتعلق بوصفه كما أبان ذلك بقوله (وقال رضي الله عنه كن بأوصاف يويتهم تعلقاً وأوصاف عبوديتك متحدة) قلت أوصاف الربوبية هي العز والكبرياء والعظمة والعتى والقدرة والعلم وغير ذلك من أوصاف الكالات التي لا نهاية لها وأوصاف العبودية هي الذل والفقر والعجز والضعف والجهل وغير ذلك مما يناسب العبودية من النقائص وكيفية التعلق بأوصاف الحق هو أن تلجئ في أمورك إليهم وتعتمد في حوائجك عليه وترفض كل ما سواه ولا ترى في الوجود إلا إياه فإذا نظرت إلى عزه وكبريائه وعظمته تميزت به ولم تميز بغيره وصغر في عينك دونه كل شيء وإذا نظرت إلى وصفه تعالى بالعتى تطلعت بقاء واستغنيت عما سواه ولم تهتقر إلى شيء واستغنيت به عن كل شيء وإذا نظرت إلى وصفه تعالى بالقدرة والقوة لم تلجئ في حال عجزك وضعفك إلا إلى قدرته وقوته واستضعفت كل شيء وإذا نظرت إلى سعة علمه وإحاطته اكتنبت بعلمه واستغنيت عن طلبه وقلت بلسان الحال عليه بحالي بغنى عن سؤالي وهكذا في جميع الأوصاف والأسماء فكلها تصالح للتعلق والتخلق والتحقيق (وكيفية التخلق) بأوصافه تعالى أن تكون في باطنك عزيزاً قوياً عظيماً كبيراً عنده قوياً في دينه وفي معرفته عالماً به وبأحكامه وهكذا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(قلت) العشاب هو الذي يعرف أعيان العشب ومنافعها وخواصها وهو شأن الأطباء والصيادلة هو الذي يعرف أنواع العطرية التي تتركب منها العقاقير منسوب إلى صيدلة وهو الطرح قاله في القاموس والقدهج هو اخراج الماء الفاسد من العين ويقال للفاعل قدهج والكحل هو الذي يعرف أدوية العين ويعالجها بأنواع الكحل والمرستاق هو الذي يجمع أنواع الطب فعالج أنواع المرض في أشخاص مختلفة والمرستان دار كبيرة معدة للبرضى والقائم عليها يسمى المرستاق ولا يكون إلا ماها بالطب علماً بأنواعه وقد أخبرني من أتق به أن الروم عديم مرستان كبير وعليه طبيب ماهر يداوى كل من يأتيه ولهذا المرستان عديم أحباس عظيمة يقوم بها على المراد هنا هو طب القلوب (يقول) رضي الله عنه بشرط في طب القلوب ما يشترط في طب الأبدان فيشترط فيه أن يكون عارفاً بتركيب أدوية القلوب وأثرها وأغذية الأرواح وأستيتها علماً بمنافع الأذكار وأذواقها وتناج الأفكار ومعارفها فلا ذكر كالأغذية للقلوب والعلوم كالأشربة لها والمذاكرة كالأغذية للأرواح والفكرة والنظرة كالأشربة لها وحجة العارفين والجلوس بين أيديهم فيه مند كبير للقلوب والأرواح والأسرار هو غذاؤهم وشرابهم وفيه دواؤهم وشفائهم كل على قدر صدقه ومحبه وعلى قدر مقامه ومرتبته قد علم كل أناس مشربهم قال يحيى الدين بن العربي رضي الله عنهم لم يكن الطبيب بين أعيان الأعشاب والعقاقير عارفاً بتركيب الأدوية فانهملك للبرضى

وحاصلها استعمال الحرية في الباطن والعبودية في الظاهر (وكيفية التحقق) بأسماء الله تعالى أن تكون تلك المعاني فيك راسخة متمكنة متحققة فيك وجودها فالتخلق بمجاهدة والتحقق مشاهدة أى يكون وجودها غريباً (وكيفية التخلق) بأوصاف العبودية هو التحقق بالذل في الظاهر حتى يصير الذل عندك حرفة وطبيعة لا تأتف منه بل تستطليه وتقتبط به وكذلك الفقر والضعف والجهل وسائر أوصاف العبودية تتحقق بوجودها في ظاهرك حتى يكون ذلك شرفاً عندك وكان شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه يقول أهل الظاهر يتنافسون في العلو أهم يكون أعلى من الآخر وأهل الباطن يتنافسون في الخزر أهم يكون أحن من الآخر اه بالمعنى (وقال الشيخ) زدوق رضى الله عنه أوصاف الربوبية أربعة تتقابلها أربعة هي أوصاف العبودية أولها الغنى ويقابله الفقر الثانى العز ويقابله الذل الثالث القدرة ويقابلها العجز الرابع القوة ويقابلها الضعف وكل هذه متلازمة أن وجد واحدها وجد جميعها ووجود المقابل ملزوم بوجود مقابله فن استغنى بالله افتقر إلى الله استغنى به ومن تبرز بالله ذل له ومن ذل له تبرز به ومن شاهد قدرته رأى عجز نفسه ومن رأى عجز نفسه شاهد قدرة مولاه ومن نظر ضعف نفسه رأى قوة مولاه ومن رأى قوة علم ضعف نفسه لكن إن كان البساط النظر لأوصافك فأنت الفقير إلى الله وإن كان البساط النظر إلى أوصافه فأنت الغنى بالله وهما يتعاقبان على العارف فارة يغلب الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية وتارة يظهر عليه آثار الفقر إلى الله فيلتزم الرعاية حين غلب الغنى بالله على حبيب الله أطعم ألفاً من صاع وحين غلب عليه الفقر إلى الله شد الحجر على بطنه من الجوع فانهم اه (قلت) والتحقق ما قدمناه من أن التعلق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن والتحقق بأوصاف العبودية يكون في الظاهر فالحرية في الباطن على الدوام والعبودية في الظاهر على الدوام فحرية الباطن هي شهود أوصاف الربوبية وهو معنى التعلق بها لكن إن كان مجاهدة فهو تعلق وإن كان طيبة وغريبة فهو تحقق (أو تقول) إن كان حالاً فهو تعلق وإن كان مقاماً فهو تحقق وعبودية الظاهر هي شهود أوصاف العبودية تياماً بالحكمة وستراً للقدرة (الحاصل) أن عظمة الربوبية ظهرت في مظاهر العبودية فنظر للعظمة صرفاً لتحقيق بعظمة الربوبية ومن نظر لظاهر المظهر تحقق بأوصاف العبودية والتكامل ينظر لها معاً فيتحقق بعظمة الربوبية في الباطن ويتحقق

فإن العلم من غير العين لا يفيد فلا بد من عين اليقين ألا ترى لو كان للشباب غرض في إهلاك المريض فإذا وصف الطبيب الدواء من جهة كونه علماً به وهو لا يعرف شخص الدواء وقلة الشباب في ذلك فاعطاه العشاب ما فيه هلاك الليل وهو يقول هذا مطلوبك ليسية الطبيب للمريض فهلك فإنه لا يداوى إلا بما يعرف شخصه وعينه فكذلك الشيخ إذا لم يكن صاحب ذوق وأخذ الطرق من الكتب لا من أفواه الرجال وقصد ربى المريدين طالباً الرياسة فإنه يهلك من تبعه لأنه لا يعرف مورد الطالب ولا مصدره فلا بد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدير الأطباء وسياسة الملوك وحينئذ يقال له أستاذ وقوله قدحاً على حذف مضاف أى ذا قدح أو يكون مصدراً بمعنى اسم الفاعل حالاً أى قادحاً وكذلك جاء زيد ركضاً أى راكضاً والمراد أن الشيخ لا بد أن يكون علماً بأودية مرض البصيرة فإن كانت فاسدة يشك أو كفر أو نفاق فحسب عليها وأخرج ما فيها من فساد الإيمان وأدلى الطمانينة وصرح بالإيمان وهذا الدواء يكون لأهل النور الكبير والعناية الكبيرة الذين يغنون بالنظر وإن كانت صحيحة تناظر إلا أنها مسددة بمرض الحس والوهم وأطمعوسة بالحرص والجزع والمخع وعلامة ذلك اجتهد صاحبها فيما ضمن له وتقصيره فيما طلب منه عاجلاً له بكل توحيد الاتصال حتى يتبين أن الذى انفرق بالخلق والتصوير هو الذى انفرق بالحكم والتدبير وأن الذى غرس الشجرة هو ساقها والقائم عليها فيذهب عنه الم

بأوصاف العبدية في الظاهر فيعطى كل ذى حق حقه فالجحد في باطنه مشهود والفرق في ظاهره موجود والله تعالى أعلم
فإن أظهر أوصاف الربوبية قد تدعى ظهوره وجهل قدره فلا بد أن تؤيده القدرة وإلى ذلك أشار بقوله (منعك أن تدعى
ماليك لك بما هو للخلقين أفيبيع لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين :

(قلت) الحق تعالى غير فلا يجب لعبد أن يفشى سر خصوصيته ولا يرضى لعبد أن يشاركه في أوصاف ربوبيته
فمن غيرته تعالى أن ستر الخصوصية بظهور وصف البشرية ولولا ذلك لكان سر الربوبية مبتذلاً ظاهراً وذلك مناقض
لحكمته وكيف وهو يقول إن ربك حكيم عليم ومن غيرته تعالى أن يختص بأوصاف الربوبية ونهاها عن إظهارها
والتحلي بها حالاً أو مقالاً وذلك كأوصاف العبد بالعرز والعظمة والكبر وطلب الرئاسة والعلو أو إدعاء ذلك بالمقال
فإن فضل شيئاً من ذلك استحق من الله الطرد والتكال في الحديث القدسي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله
تبارك وتعالى الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قصمته وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم لا أحد
أغبر من الله فذلك حرم الفواحش مظهر منها وما بطن (وفي البخاري) في قصة سيدنا موسى عليه السلام أنه
خطب على الناس خطبة ذرفت منها العيون فقام إليه رجل فقال له هل تعلم أحداً أعلم منك قال لا فتب الله عليه إذا لم
يرد إليه العلم فقال له بلى عبدنا خضر هو أعلم منك فكان من شأنهما مناقص الله في كتابه فانظر كيف أدبه بطلب
غيره حتى صار تليذاً له بأمره وينهاه بقبره وصوره من عظم قدره وجلالة منصبه وما ذلك إلا لإظهار شيء من الحرية
فكل من أظهر الحرية رده إلى العبودية بالقهرية وكل من أظهر العبودية حتى له في باطنه الحرية وملكه الكون بالكلية
فمن تواضع دون قدره زفقه الله فوق قدره ومن غيرته تعالى أيضاً أن حرم الفواحش مظهر منها وما بطن والفواحش
كل ما غشى قبحه وعظم جرمه كالزنا والنصب والسرقة والتدعي وإكل أموال اليتامى وغير ذلك من حقوق العباد فإذا
كان منعك أن تدعى ماليك لك بما هو للخلقين من العرض الثاني فكيف يبيع لك أن تدعى وصفه من العزة
والكبرياء وهو رب العالمين فإذا ادعيت ماليك لك سلبك ممالكك وإذا تحققت برصفك وسلبت له وصفه منعك ما لم
يكن عندك وأنتك ما لم يؤت أحداً من العالمين فكلمات نزلت بنفسك أرضاً أرضاً سما قلبك سما سما وقد تقدم هذا المعنى في

والجوزع والخرف والمهلج والحرص والطمع وبصير قلبه والله أعلم غياً عما سواه وإذا فتحت البصيرة وظهر لها شمع
النور حتى أصبحت قرب الحق منها إلا أنها تضعها لا تستطيع مقاومة شهيد النور كطها بكحل توحيد الصفات فإذا فتحت
عينها وقويت على شهيد النور المحيط بها لكنها لم يقو نورها حتى تنصل بالنور المحيط بها كطها بكحل توحيد الذات فيصل
نورها بنور الجبروت فلا تشهد إلا النور لحيث يكمل شفاؤها وينبع دوائها وهذا شرح قول ابن عطاء الله شمع البصيرة
يشهدك قرب الحق منك وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لعدمك ولا وجودك كان
الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان (وقوله) وما رستاني أراد أن الشيخ لابد أن يكون جامعاً لعلوم المعاملة عارفاً
بأدوية الأمراض على اختلاف أنواعها وأصنافها قد قدمه أهل وقته وشهد له بذلك أهل قته وهذا قد لا يشترط للعلة
الحقن على أهل هذا الفن والله تعالى أعلم ثم ذكر ما بقي من أحوال الشيخ فقال :

أمر في الاعراض والاخلط من أسلاك الجالينوسر أو بمرط

قلت التمهيد في الشيء هو التوسيع في علمه والماهر هو الواسع العلم وفي الحديث الماهر القرآن مع السفرة الكرام البررة
أي الواسع في حفظه أو علمه والاعراض جمع عرض وما يعرض للبدن من استقام وأوجاع وحرارة وبرودة وما يدل على
(٢٤ - إيقاظ ثاني)

الحوادث والله تعالى أعلم (تنبيه) أعلم رحمك الله ووقتك للتسليم لأوليائه أن الجريم إما تحققت في الباطن لا بد من رشحات تظهر على الظاهر فكل إناء بالذي فيه يرشح وصاحب الكبر لا بد أن يظهر عليه السرور وصاحب الغنى لا يخلو من بهجة وجور وكما قال الشاعر .

ومهما تكن عند امرئ من خليفة وإن خلها تخفى على الناس تعلم
ولذلك تجد أهل الباطن رضى الله عنهم جلهم أوفياء في الظاهر فربما تصدر منهم مقالات تستخرجها القدرة منهم فيظن الجاهل بما لهم أن ذلك دعوى وظهور وليس كذلك وإنما ذلك رشحات من قوة الباطن لا قدرة لهم على إمساكها منها ما يكون محدثاً بالنعم ومنها ما يكون نصحاً للعباد ليعرفوا حالهم فيفتخعون بهم في طريق الارشاد ومن هذا الأمر رفضهم كثيراً من أهل الظاهر وللمتعمقون في العبادة أو المتجهدون على ظاهر الشريعة أو من لم تطل صحبتهم معهم في الطريقة وإن كان كاملاً (ومن ذلك) ما وقع للشيخ زروق رضى الله عنه مع أبي المواهب التونسي رضى الله عنه حين ظهرت عليه آثار القوة الباطنية حتى قال فيه الشيخ زروق دعواه أكبر من قمه وليس كذلك فإن الشيخ أبا المواهب عظيم الشأن راسخ القدم في العرفان أخذ عن أبي عثمان المغربي وكان يقول لبنت خربة التصوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم وله شرح حسن على الحكم إلا أنه لم بكل وله كلام رائق نظاً ونثراً ومن نظمه رضى الله عنه :

من فاته منك وصل حظه الندم ومن تكن همه تسوبه الهمم
وناظري في سوى معتك حق له يقتص من جفنه بالدمع وهو دم
والسمع إن جال فيه من محدثه سوى حديثك أمسى وقره الصمم
في كل جراحة عين أراك بها منى وفي كل عضو بالنساء فم
فان تكلمت لم أطلق بغيركم وكل قلبي مشغوف بجمكم
اخذتم الروح منى في ملاطفة فلت أعرف غيراً مذ عرفكم
نسبت كل طريق كنت أعرفها إلا طريقاً تؤدني لربكم

وجود المرض هذا في علم الطب وهو عند المتكلمين أعم من هذا والاخلط ما اجتمع في المعدة من العلل المتضادة الناشئة عن اختلاط الأغذية المختلفة وأسئلة جالينوس بفتح الهزة وسكون اسين وفتح القاف ولا م مفتوحة بمدودة وجم مفتوحة بمدودة ولا م مفتوحة وياه ساكنة ثم نون مضمومة بمدودة ثم سين ساكنة اسم حكيم من اليونان وكذلك بفراط بضم الباء وسكون القاف فيلسوف حكيم وكانا ماهرين بعلم الطب وأمر اسم تفضل معطوف على خبر كان منصوباً أو بمعنى الراوي (يقول) رضى الله عنه يكون هذا الشيخ أمر في علم القلوب من هذين الطيبين الحكيمين وأراد بالاعراض كل ما يمرض للبردين في حال سلوكه من القواطع والشواغل كليه للرئاسة والجاه وتقدمه للرات قبل كاله وكليه للدنيا واشتغاله بالأسباب قبل ترشيده وكال بقاءه وغير ذلك مما يقطع عن السير (و) أراد بالاخلط الحواطر الدينية والمقاصد الدنية فيكون الشيخ عارفاً بالخواطر النفسانية والشرطانية والملكية والربانية ويكون أيضاً عارفاً بالمقاصد السنية والدنية والهمم العالية والسفلية فيعالجهم من الاخلط بجمع قلبه على الله والنية عماسواو بالقضاء التام وقرغ القلب على الدوام ويعالجهم من المقاصد الدنية كعب الحظوظ وطلب الحروف بالدلالة على تحقيق العبيدية والقيام بوظائف الربوبية الذي هو مطلب العارفين والله تعالى أعلم وإذا تكلمت في الشيخ هذه الخصال صح أن يقصده الرجال لشفاء ما فيهم من العلل كما أبان ذلك بقوله :

في المنازل لولا أن تحمل بها وما الديار وما الاطلاع والحج
لولاك ما شاق ربح ولا ظل ولا سبت في إلى نحو الخي تقطع

وأطال الشعراني في ترجمته في الطبقات بما يدل على كمال خصوصيته وتام ولايته وما حمل الشيخ زروقاً على مقااثة تلك إلا القوة التي صدرت من أبي المواهب مع كونه لم تطل محبته معه مع ما صدر منه في جانب الشيخ ابن عباد رضي الله عنهم والله تعالى أعلم وهذا الأمر الذي ذكرناه من القوة التي في العارفين لا يحمله إلا من لم يبلغ مقامهم وحسب من لم يبلغ مقامهم التسليم وسر هذه القوة التي ظهرت في العارفين هو من جهة الروح وذلك أن الروح جاءت من عالم العز والقوة فلما ركب في هذا البدن حجب وقهرت فأرادت الرجوع إلى أصلها فطلبت بالعرز الأصلي والقوة الأصلية فتعت منهوأنت من كوة الذل والافتقار وخرقت عرائد نفسها فانخرقت لها حيلة الحجب فرجعت إلى أصلها فلما رجعت إلى أصلها اتصفت بالقوة التي كانت لها فأمرت أن تجعل ذلك في باطنها فعملت لكن ربما رشع شيء من ذلك على الظاهر غلبة ولذلك ذكر الشيخ خرق العوائد بأثر ذكر التحقق بالعبودية فقال (كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد) قلب العوائد كل ما تعودته النفس وألفته واستمرت معه حتى صعب خروجهاعنهسواء كان ظلياً أو نورانياً كتسبب الفضائل وكثرة التواضع وهي على قسمين عوائد ظاهرة حسية وعوائد باطنة معنوية (فقال) العوائد الحسية كثرة الأكل والشرب والنوم واللباس وخطلة الناس والدخول في الأسباب وكثرة الكلام والمخاصمة والعتاب والاستغراق في العبادة الحسية أو العلوم الرسمية وغير ذلك (ومثال) العوائد للمعنوية حب الجاه والرياسة وطلب الخصوصية وحب الدنيا والملاح وكالحسد والكبر والعجب والرياء والطمع في الخلق وخوف الفقر وهم الرزق والفظاظة والتسوق وغير ذلك مما تقدم فن خرق من نفسه عوائدها الحسية بالرياضات القهرية خرقت له العوائد الحسية كالطيران في الهواء والمشي على الماء وضوء الدعوة وغير ذلك من الكرامات الحسية ومن خرق من نفسه عوائدها المعنوية خرقت له العوائد الباطنة كرفع حجب الغفلة وتطهير القلوب وكشف الحجاب وفتح الباب وتحقيق العرفان وارتقى إلى مقام الاحسان وهذا هو المعبر عنه الاكياس وهو المطلوب من سائر

فند ما صح له التحصيل بممه السقيم والعليل
فكان يريهم من الأمراض والساخت القلب يعودراض

(قلت) يريد فند ما صح له تحصيل هذه الحصال على التمام والكمال قصده السقيم وهو الذي خف مرضه والعليل وهو الذي تاهت عفته وقيل هما سواء فيكون من عطف التفسير فكان يريهم من أمراض القلوب وأعظمها هم الرزق وخوف الخلق ثم التدبير والاختيار ثم الغضب والقط عند نزول الأقدار فيما جعلهم بمنور بصيرته وبلا حظه بنظرته حتى يمتلئ قلبه بنور اليقين فيستقي بالله عن كل ماسواه وتشرق عليه أنوار التوحيد فيستريح من كد التدبير والاختيار فيخبت بذوق حلوة الايمان فيرضى عن الله في كل حال وأوان (وقد) قال عليه السلام ذاق طعم الايمان من رضى بالله رباً بالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً (قال) في التوراة فمن رضى بالله رباً استسلم له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً تبعوا من رضى بالإسلام ديناً عمل به (قلت) ولا شك أن القلب إذا كان عليلًا لا يذوق حلوة الايمان ولا يجد للطاعة ولا للنجاة لذة فم السقيم لا يجد للطعام ولا للشراب لذة فإذا صح القلب ذاق حلوة الايمان ومن أركانه الايمان بالقدر خيريه وشره حظه ومره فيستحلي ما يبرز من عنصر القدرة كيفما كان إذ كل ذلك من عند الحبيب وقه در القائل حيث قال :

الناس (وأما) خرق العرائد الحسية فقد تكون لمن ليست لهم خصوصية كالسحرة وأرباب الشعرة نعم من جمع بينهما خرق له فهما فكيف تطلب أيها المريد أن تحرق لك عوائد نفسك حتى تدخل حضرة نفسك وأنت لم تحرق عوائد نفسك فاجب النفس عن الشهود إلا ما عودته من رؤية هذا الوجود فلو غابت عن رؤية هذا الموجد دلته على أنها أمر الشهود ولا يمكن أن تغيب عنه إلا بحرق عوائده نفسها (وقد تقدمت) حكاية الرجل الذي كان مع أ. يزيد ثلاثين سنة فلقد شق أفتال له لو صليت ثلاثمائة سنة لم تدق شيئاً لأنك محجوب بنفسك ثم قال له اذهب الساعة إلى الحجام واحلق رأسك ولحيثك وانزع هذا اللباس وانزع ربماة وعلق في عنقك مخلقة وأملأها جوزاً واجمع حولك صياها وقل بأعلى صوتك يا صبيان من يصغني صفة أعطه جرة وادخل السوق وأنت على هذه الحالة حتى ينظر إليك كل من عرفك ثم قال له فلا مطعم لأحد فيها حجب عن العامة من أسرار القيب حتى تموت نفسه ويحرق عوائده العامة فيحرق لك العوائد وتظهر لك الفوائد (وقدمت) أيضاً في باب الخول قصة الغزالي والششتري والمجنوب وغيرهم من خرقوا العوائد فخرقت لهم العوائد وظهرت لهم الفوائد (وأما من بقي) مع عوائده نفسه فلا مطعم أن يتمتع بحضرة قدسه قال الشيخ أبو المواهب رضى الله عنه من ادعى شهود الجمال قبل تأديبه بالجلال فارقضه فانه دجال ولا جلال أعظم على النفس من خرق عوائدها كتبديل العز بالذل والغنى بالفقر والجاه بالخل وغير ذلك (وقال الشيخ) أبو الحسن رضى الله عنه اللهم ان القوم قد حكت عليهم بالذل حتى عزوا وحكت عليهم بالفقر حتى وجدوا فلا مطعم في نيل العز باقية حتى يتحقق بالذل له ولا نيل الغنى به حتى يتحقق بالفقر بما سواه وقال أبو حمزة البغدادي رضى الله عنه علامة الصوفي الصادق أن يفقر بعد الغنى ويذل بعد العز ويغنى بعد الشهوة اه فنهذه الاخبار كلها تدل على أن خرق عوائد النفس شرط في تحقيق نيل الخصوصية فن أعادها قبل أن يحرقها فهو كذاب كما تقدم عن أبي المراهب (وكتب) شيخ شيخنا رضى الله عنه إلى بعض الاخوان (أما بعد) فان أردتم أن تكون أعمالكم زكية وأحوالكم مرضية فقلوا من العوائد فانها تمنع الفوائد اه وسمعت رضى الله عنه يقول من جملة العوائد تبيع الفضائل وكثرة التواقل فانه يشتت القلب وانا يلزم المريد ذكر واحد وعمل واحد ما يليق به أو كلام

إذا كانت اقدار من مالك الملك فبيان عندي ما يسر وما يك
رضيت بما يقضى إليه فأمره يقبل بالاقبال عند ذوى النفس
وان صلي الانسان نار مشقة فالذهب لا يريز الا أخواله
أخو الصبر لا يخشى أمورا وإنما يهنا في الحالين من غير ماشك

(قوله) والساخط القلب يعود هذا علامة الشفاء فادام العبد ينقيض عند الجلال والشدة وينبسط عن الجمال والرخا فقيه بقية من مرض القلب فاذا استوت عنده الأحوال فذلك علامة الصحة على الكمال ويتصل بمقامات الرجال (سئل) ذو النون المصري رضى الله عنه عن وصف الابدال فقال سألت عن دجاجي الظلام لا تكشف لك عنها ثم قرم ذكروا الله بقلوبهم، تعظيما لربهم لمعرفتهم بجلاله فهم حجج الله تعالى على خلقه ألبسهم الله تعالى الثور الساطع من محبته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مرادته، وأقامهم مقام الابل بارادته، وأفرغ عليهم من غنايته، وطهر أبادانهم بمراقبته وطيبهم بطيب أهل معاملته، وكأهم حلالا من شيع مريدته، ووضع على رؤوسهم نيجان مريدته، ثم أودع الثوب من ذخائر الغيوب فهي متلة بمراصلته، فهممهم اليه تائرة، وأعينهم اليه بالغيب فائرة، قد أغامهم على باب النظر من رؤيته، وأجلسهم على

هذا معناه فخر العوائد ابدالها بضدها كتبديل كثرة الاكل والنوم بالجوع والسر وكبتديل كثرة اللباس بالنقل منه أو ما خشن من الثياب كالمرقعات ونحوها كتبديل الخبطة بالعزلة والأسباب بالزهد والكلام بالصمت وسوء الخلق بحسن الخلق كتبديل حب الجاه والرياسة بالذل والخرل وسقوط المزية عند الناس وحب الدنيا بالزهد فيها والقرار منها وكاتصافه بالتخلية من الرذائل والحبلية بالفضائل فاذا تحقق المرید هذه الأمور وخرقت له العوائد على ما يريد حتى يكون بسم الله عنده موافقة لكن من الله فيكون أمره بأمر الله وما ذلك على الله بعزيز ولا بد في خرق العوائد الباطنية من شيخ كامل جامع بين حقيقة وشريعة بحملك همته فاذا رمية بك في نفسك حملك الهمة ونصرتك القدرة قتلها بالمرء وأما إذا لم يكن لك شيخ فكيف قتلها رجعت أكبر مما كانت ولا تميت النفس الحية إلا مع الأموات كما قال شيخنا رضي الله عنه هذا الأمر يجرب وبالله التوفيق وخرق العوائد الباطنية التي هي رفع الحجب وشهود المحبوب لا يكون بمجرد الطلب دون السعي في السبب مع تحقق الأدب كما به عليه بقره (ليس الشأن وجود الطلب إنما الشأن أن ترتزق حسن الأدب) فلت قد تقدم في أول الكتاب أن الطلب كله مدخول عنه المحققين أولى الألباب لما يقتضيه من وجود النفس والوقوف مع الحس إذ العارف المحقق لم يتبق له حاجة بطلبها لأنه قد حصل له النقي الأكبر وفاز من مولاة بالحظ الأوفر وهو معرفة مولاة والغبية عما سواه ماذا قد من وجدك ليس الشأن وجود صورة الطلب وإنما الشأن أن تستغنى به عن كل مطلب وترزق معه حسن الأدب والاكتفاء بعلم الله والوقوف مع مراد الله (قال) الشيخ زروق رضي الله عنه والأدب على ثلاثة أوجه آداب في الظاهر وذلك باقامة الحقوق وآداب في الباطن بالأعراض عن كل مخلوق وآداب فيها وذلك بالانغشاش للحق والدوام بين يديه على بساط الصدق وذلك هو جملة الأمر وتقصيله وتفريعه وأصله اه فالطلب عند العارفين ليس هو بلسان المقام وإنما هو بلسان الحال وهو الاضطراب وظهور الدالة والافتقار كما به عليه بقوله (ما طلب لك شيء مثل الاضطراب ولا أسرع بالمواهب مثل الذل والافتقار) قلت إنما كان طلب العارفين بلسان الحال دون المقال لما حققهم به من وجود معرفته حتى شهدوا في مته في محته ونعمته في نعمته فاذا تجلى لهم بالقوة والجلال تلقوه بالضعف والاذلال فيحتذيتجلى لهم

كراسي أطباء أهل معرفته ، ثم قال لهم إن إنا تمك عليل من قدي فداؤوه أو مريض من فراق فعالجوه ؛ أو غاف من فأنصروه ، آمن من الخنزروه أو راغب في مواصلي فتنوه ، أو راحل نحوي فزودوه ، أو جبان في مناجرتي فثجبعوه أو آيس من فضلي فرجعوه ، أو راج لاحسان فبشروه ، أو حسن الظن في فباسطوه ، أو محب لي فواصلوه أو معظم لقدرى فظلموه ؛ أو مسيء بعد إحسان فعاتبوه ، أو مسترشد فارشدوه . اه كلامه رضي الله عنه ثم به على المقصود بهذا العلم فقال :

وليس هذا طب جالينوس وإنما يختص بالنفوس

(قلت) به رحمه الله على أن هذا الطب الذي ذكر ليس هو طب الابدان الذي كان يعرفه جالينوس الحكيم وإنما هو طب النفوس لتصلح لحضرة القدوس وطب القلوب لنصح من الامر اضرو العيوب وتنبها لدخول حضرة علام الغيوب فتتخرط في سلك من أتى الله بقلب سليم ويكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر في جوار الكريم متعاقه بالسكنى في حضرة في الدنيا والآخرة ثم ذكر قلة هذا الطب في زمانه فقال :

فهكذا الشيوخ قد ما كانوا يحسروا إذ سلفوا وبانوا

(قلت) الاشارة تعود على ما ذكر في الفصل في أحكام الشيوخ من معرفتهم بالطرق ومساكنها سهلها ووعرها

باسمه الجليل فيمنحهم كل جميل وإذا تجلى باسمه العزيز أو القهار تلقوه بالذلة والافتقار فتوارد عليهم المواهب الغزرا فإذا أردت أيها العارف أن تطلب من مولك شيئاً جلياً أو دفعاً فليكن بالاضطرار والاضطرار هو أن يكون كالفرق في البحر أو الضال في الليل القفر ولا يرى لنياته إلا مولاة ولا يرجو لنجاة من هلكته أحداً سواه فاطلب لك من مولك شيء مثل اضطرارك إليه والوقوف بين يديه متحلياً بحيلة العيد هنالك تنال كل ما تريد كما قال الشاعر :

أدب العيد تذال والعبد لا يدع الأدب
فإذا تكامل ذله نال المودة واقترب

وقال آخر :

ومارمت الدخول عليه حتى حلت محلة العبد الذليل
وأغضيت الجفون على قذاها وصفت النفس عن قال وقيل

إذا أردت ورود المواهب عليك وهي العلوم الدنية والأسرار الربانية فلا شيء أسرع لك بها مثل الذلة والافتقار بين يدي الحليم الغفار يكون ذلك قلباً وقالاً فينبغي لك حينئذ أن تستعد لكاتب المواهب ونيل المراتب قال تعالى إنما الصدقات للفقراء والمساكين وقال تعالى أمن يجيب المضطر إذا دعاه وقال أيضاً ولقد نصرمك الله ييدر وأتم أذلة وقال صلى الله عليه وسلم أن تصرع مع الصبر وأن الترجع مع الكرب وأن مع العسر يسرا وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه ما أظهر عبد الله إلى الله في شيء إلا قال الله تعالى للدلائل لولا أنه لا يحتمل كلالاً لأجبتك ليكن لك إذا فاذ طلبت الدخول مع الأحباب فقف ذليلاً حقيراً بالباب حتى يرفع بينك وبينهم الحجاب من دون حيلة منك ولا أسباب وإنما هو فضل من الكريم الوهاب كما أشار إلى ذلك بقوله (لو كنت لا تصل إليه إلا بعد فناء مساويك ومخود عاويك لم تصل إليه أبداً ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه ستر وصفاك بوصفه وغطى نعمتك بنعمته فوصلك إليه بما منه إليك لا بما منك إليه) قلت الوصول إلى الله هو العلم به وبصاحته بحيث يفتي من لم يكن ويقتي من لم يزل وهذا لا يكون إلا بعد موت النفوس وحط الرؤوس وبذل الأرواح ونبيح الأشباح لقوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة أي جنة

ومعرفتهم يطلب القلوب وأنواع الأدوية والمقاير وعليهم بطل النفوس وأمر اضيائهم تأسف وتحسر على ذهابهم أي فراقهم دار الدنيا وسكناتهم دار البقاء ولكن لا تغفل الأرض من قائم الله بحجته كما قال سيدنا علي كرم الله وجهه (وقد وردت أخبار في مدح مقام الشيوخ والتوبة بقدرهم عند الله (قال) في العوارف ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال والذي نفس محمد بيده لئن شئت لأفعلنكم أن أحب عباد الله إلى الله الذين يحبون الله إلى عبادته ويمحبون عباد الله إلى الله ويمشون في الأرض بالنصيحة وهذا الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله لأن الشيخ يجب الله إلى عبادته حقيقة ويجب عباد الله إلى الله ورتبة المشيخة والدعوة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله (فأما) وجه كون الشيخ يجب عباد الله إلى الله لأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صح اقتدائه وإتباعه أحبه الله قال الله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله (وجه) كونه يجب الله تعالى إلى عبادته لأنه يسلك بالمريد طريق التزكية وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكس فيها نور العظمة الإلهية ولاخ فيها جمال التوحيد وذلك ميراث التزكية قال الله تعالى قد أطلع من زكاهوا فلا ضحاً بالظفر بمعرفة الله وأيضاً مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقيتها وواقعيتها وماهيتها ولاحت الآخرة بنفاستها بكنها وغايتها

المعارف لأهل الجهاد الأكبر وجة الزخارف لأهل الجهاد الأصغر وقلوله عليه السلام موتوا قبل أن تموتوا ذكره
التشبيدي في شرح الهاتية حديثاً وقال في لطائف المنن لا يدخل على الله إلا من باين أحدهما الموت الأكبر وهو الموت
الحسي والثاني الموت الذي تنفيه هذه الطائفة يعني موت النفوس وقال الششتري رضى الله عنه :

إن ترد وصلنا فوئك شرط لن ينال الوصال من فيه فضله

وقال أيضاً :

ليس يدرك وصال كل من فيه بقيا

وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه لا يصل الولي إلى الله تعالى ومعه شهرة من شهرة أو تدبير من تدبيراته واختيار
من اختياراته وهذه القضية ليست هي من فعل العبد وكسبه وإنما هي بسابق عناية ربه فلو كان العبد لا يصل إلى الله
تعالى إلا بعد فناء مساويه ومحو دعاويه من حيث هو ولم يصل أبداً لكن الحق تعالى من كرمه وجوده إذا أراد أن
يطوى عنه مسافة أبعد أظهر له من أنوار قدسه ونعوت وصفة ما ينبغي به العبد عن شهرة نفسه فينتدقني المساوي وتمتحن
الدعوى فيحصل الوصول ويبلغ المأمول بما من الله إلى العبد من سابق العناية والوداد لا بما من العبد إلى الله من الكد
والاجتهاد (وان شئت) قلت فناء المساوي هو التطهير من أوصاف البشرية وهي الأخلاق المذمومة من حيث هي ومحو
الدعوى وهو التبري من الحول والقوة بحيث لا يرى لنفسه فعلاً ولا تركاً ولا نقصاً ولا كلاً ولا نكاحاً غرض لسهام الاقدار
تجره عليها أحكام الواحد القهار فتحقيق هذين الأمرين على السكّال مع وجود النفس كاد أن يكون من المحال لكن
الحق تعالى لكرمه وجوده إذا رأى منك صدق الطلب وأراد أن يوصلك إليه وصلك إلى ولي من أوليائه وأطلعك على
خصائصه واصطفاه فلزم الأدب معه فإزال سير بك حتى قال لك ها أنت وربك لحين يدبّر الحق تعالى وصفك
الذي هو وصف العبودية بوصفه الذي هو وصف الحرية فتحنس أوصاف البشرية بظهور أوصاف الروحانية وينطى أيضاً
نعتك الذي هو الخلوث بنعته الذي هو القدم أو غطي نعتك الذي هو العدم بنعته الذي هو الوجود وقال الشيخ زروق
ستأقرك بفناءه وذلك بعزه وعجزك بتدبره وضعفك بقوته ويصرفك عن شهود ذلك منك واليك بشهود ما منه إليه اه

فينكشف البصيرة حقيقة وحاصل المتزلزل فيحب العبد الباقي ويزهّد في الفاني فتظهر فائدة التزكية وجدوى المشيخة
والتزكية فالشيخ من جنود الله تعالى يرشد به المريدين ويهدي به الطالين ثم قال فعل المشايخ وقار الله بهم بتأدب المريـ
د ظاهر أو باطناً قال الله تعالى أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتده فالشايخ لما اعتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة المتقين
(قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكياً عن ربه عز وجل إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال في جعلت همته ولذته
في ذكرى فإذا جعلت همته ولذته في ذكرى عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه لا يسهر إذا سهر الناس أولئك
كلهم كلام الانبياء أولئك الأبطال حقاً أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذاباً ذكرتهم فصرقتهم
عنهم انتهى ثم أشار إلى الحكم الثاني من أحكام التصوف فقال (الحكم الثاني في حكم الاجتماع) اعلم أن الاجتماع عند القوم
هو أعظم الأركان وأهمها حتى قال بعضهم التصوف مبني على ثلاثة أركان الاجتماع والاستماع والاتباع فكل من انفرد
عن الإخوان واشتغل بنفسه لا يجيئه منه شيء مؤمنون كالشياخ فإذا انفردت شاة عن القوم كانت من سهم الذئاب
وقد رغب الله في الاجتماع قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وقال صلى الله عليه وسلم
يد الله مع الجماعة وعن معاوية رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم

(قلت) وهو لازم لما فسرت به من وصف العيردية ونعت الحرية فوصلك حيثن بما منه عليك من الإحسان والطف والامتنان لا بما منك اليه من المجاهدة والطاعة والادعان ومثال النفس كالفضحة كلما غسلها بالصابون زاد سوادها فاذا اشتعلت فيها النار ونفخ فيها الريح كسها الدار ولم يبق اللون الفحة فيها أثر فكذلك أوصاف البشرية إذا كساها نور الروحانية تغطت ظلة البشرية ولم يبق لها أثر فتقلب البشرية في صفة روحانية وفي ذلك يقول الششتري في بعض أزجاله :

ففي ما بين لىء زالت البشرية وتحولت غبرى • في صفاروحانيا

والنار التي تحرق البشرية هي مخالفة الهوى وتحمل النفس ما يثقل عليها كالثقل والفقر ونحوهما مع دوام ذكر الاسم المفرد فكما في فيه ذابت بشريته وقويت روحانيته حتى تسترل على بشرته حيثن بكرن الحكم لها فغيب في نور مذكورها وتغرق في شهود عظيمة مجبرها حيثن يحصل لوصال ويتحقق الفناء في ذى العظمة والجلال وللششتري أيضاً رضى الله عنه ، فالتفت الخطاب ، وسعت من . كلى عن كل غيب ، وأنا عنى معنى وارضع لى الحجاب ، شهدت أنى ما بقى لى أثر ؛ غبت عن أثرى ، لم أجد من حضر ، فى الحقيقة غبرى ، وبالله التوفيق (هذا آخر الباب الثالث عشر) وحاصلها أملك بالتحقق بأوصاف الربوبية والتحقق بأوصاف العيردية وعدم مشاركتك له فى وصف الحرية وما تعددت به من ذلك فآخرق لها تلك العوائد هنالك حتى تهذب وتأنب وتكتفى بعلم الحال عن وجود الطلب فيكون طلبها شاهداً حالها من الذلة والانكسار وظهور الفاقة والاضطرار حيثن تترادف عليها المراهب وتنال بذلك غاية المطالب ومتهى الرغائب وهو الوصول إلى حضرة القدس وغل الأنس من غير حيلة ولا اكتساب وإنما هرمة من الكريم الوهاب من عليها بالوصول وتفضل عليها بالقبول كما أشار إلى ذلك فى أول الباب الرابع عشر فقال وقال رضى الله عنه (لولا جميل بتره لم يكن عمل أهلا للقبول) قلت لأن العمل الذى يكون أهلا للقبول هو الذى تتوفر فيه شروط القبول وهو سر الاخلاص وغاية الحضور والتبرى فيه من الحول والقوة وهذا فى غاية التدور فلولا أن الله سبحانه تفضل علينا بجميل ستره فى على مساوينا بجلال لطفه وبره ما كان عمل أهلا للقبول أصلاً ولكن الذى من بوجود الأعمال بمن بوجود القبول والاز قال

قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومن به علينا قال والله ما أجلسكم إلا ذلك قالوا والله ما أجلسنا إلا ذلك قال أما انى لم أستطعكم نعمة لكم ولكنه جاءنى جبريل فأخبرنى أن الله يباهى بكم الملائكة (وقال) رسول الله ﷺ ما من قوم اجتمعوا يذكر الله عز وجل لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مادم السماء أن قوم مغفور ألكم قد بدلت سيئاتكم حسنات (وقال) أيضاً صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس إن الله سرايا من الملائكة تجول وتقف على مجالس الذكر فى الأرض فارتعوا فى رياض الجنة قالوا وأين رياض الجنة قال مجالس الذكر فاغور وروحوا فى ذكر الله وذكروا أنفسكم من كان يعلم منزله عند الله فيلنظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل المجد منه حيث أنزله من نفسه (وقوله) عليه السلام وذكروا أنفسكم أى ليذكر بعضكم بعضاً فالذاكرة هى أعظم من الذكر لأن فيها علماً وذكر الله ومجالس الذكر تصدق بمجلس العلم والذكر والمذاكرة وما زال الأشياخ رضى الله عنهم يوصون أصحابهم بالاجتماع ومحضون عليها وكان شيخنا رضى الله عنه يقول إذا رأيتم أحداً انقطع عنكم فتداركوه قبل أن يموت وموته برودته ورجوعه عن الطريق (وكان) للشاذلى رضى الله عنه تليذ يحضر مجلسه ثم انقطع عنه فلقية ذات يوم فقال مالك انقطعت عنا فقال له قد استغيت بك عنك فقال له رضى الله عنه لو استغنى أحد بأحد لاستغنى الصديق عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفارقه حتى مات

قال بعضهم ما هناك إلا فضله ولا نعيش إلا في ستره ولو كشف النطاء لكشف عن أمر عظيم (وقال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه سكن ابن آدم (جسم معيب وقلب معيب) يريد أن يخرج من معينين علما بلا عيب الله قلت ولماذا لم يبق تعالى أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا فغير بين التي تدل على التجاوز ولم يقل تقبل منهم فكانه قال أولئك الذين تجاوز عنهم في أعمالهم فقبلها منهم والله تعالى أعلم (وروى) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال البلاء والهوى والشهوة معجزة بطين آدم اه قيل وهو معنى قوله تعالى انا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج فينبه على أن البلاء والهوى والشهوة فركب ابن آدم منها فزمته الثلاثة مادامت بنيتها قائمة وبشريته موجودة فإذا انهدمت البشرية حسا أو معنى لم يبق حكم النطفة الإشاجية وصار الحكم للروح التورانية والله تعالى أعلم فإذا قرر أن علمنا مدخول وليس أهلا للقبول ولو لأجل ستره المأمول علمت أن افتقارنا إلى علمه وعفوه في حال الطاعة أعظم من افتقارنا إليه في حال المعصية كما أبان ذلك بقوله (أنت إلى حله إذا أطعته أخرج منك إلى إذا عصيته) قلت وذلك لأن الطاعة بباطل العز والرفق والنفس فيها شهوة ومتعة ولأن الناس يلحظون صاحب الطاعة الظاهرة وينظرونه بعين التعظيم ويأبدون إليه بالخدمة والتكريم وكل ما عظم في عين الخلق سقط من عين الحق أن كان يفرح بذلك ويقنع به دون الملك الحق بخلاف المعصية فإنما هي بباطل الذل والانكسار وعمل السقوط والاحتقار وكل ما سقط من عين الخلق عظم في عين الحق فكان العبد في حال طاعته له أخرج إلى حله وعفوه منه في حال معصيته لأن الطاعة التي ينشأ عنها العز والاستكبار أقبح من المعصية التي تورث الذل والافتقار بل في الحقيقة ليست بطاعة لأن الطاعة التي توجب البعد ليست بطاعة والمعصية التي توجب القرب ليست بمعصية (وفي الحديث) يقول الله تبارك وتعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي ومن كان الله عنده فهو أعظم من ألف مطيع توجب له طاعته طرده وبعده (أوحى الله تعالى) إلى بعض الأنبياء عليهم السلام قل لعبادى الصديقين لا يقرؤا فاني أن أقم عليهم عدلى وقسطى أعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادى الخاطئين لا يئسوا من رحمتى فانه لا يكبر على ذنب أغفره اه (وقال) الشيخ أبو يزيد رضى الله عنه توبة المعصية واحدة وتوبة الطاعة ألف توبة وكل من صلى الله عليه وسلم إذا صلى استغفر ثلاثاً

فانقطاع الفقير عن الاجتماع أو عن الشيخ من أعظم القواطع والله تعالى أعلم وذكر الشيخ في هذا الفصل سبب الاجتماع وآدابه ووقته وأهله ونحوه فإشار إلى الأول بقوله :

فكان إذا ذاك اجتماع القوم له يعلم عمل عن علم

(قلت) لما كان الاجتماع على الشيخ مرتبة على معرفته والتحق به استفتح الفصل بالفاء السبية والإشارة تعود على شروط الشيخ المتقدمة أى فكان حين حصل ذلك الأمر المتقدم في الشيخ وتحقق العلم به بعلة شواهد اجتماع القوم له وحضورهم مجلسه لتعلم علم العمل أى لتعلم اتقان العمل بالعلم الذى كان عنده واستفادوه منه (و)الحاصل أن فائدة الشيخ هي تحقيق الاخلاص واتقان العمل إذ العلم عند اناس كثير والعمل به قليل وعلى تقدير وجود العمل لا يخلو من طلب الخطوط وقصد الحروف وذلك مناف للإخلاص والأعمال صور قائمة وروحها وجود سر الاخلاص فيها أيضاً الإنسان لا يخلو من دعوات نفسه فتورقه في إفراط أو تفريط أو تخرج بخلاف المقصود فاذا رجع رأى من هو أعلم منه وانصح له لم يبق فيه بقية تفرقه عن الوصول إلى الحق (و) قوله عن علم راجع للاجتماع أى فكان اجتماعهم عليه بسبب اتقان العمل بالعلم الذى حصلوه على علم ويقين منهم أنه على بينة من ربه وأنه أهل للتربية بحيث شهدت له أرواحهم بالتقديم وسرم (٢٥ - لقاطات) (ناني)

تعلما للامة في شهود التصير وإلا فلا استغفار من طاعة ولا ذنب على المختار صلى الله عليه وسلم (ولما) كانت المعصية بساط المذلل والاحتقار كما تقدم وهي أقرب للمقام العبودية والطاعة بساط العز والرفعة فافتقرت إلى حلم الله أكثر صار الناس يطلبون الستر في المعصية أو عنها خوفاً عما ينشأ عنها كما أبان ذلك بقوله (الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون الستر من الله فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق) قلت الستر هو الحفظ والتغطية وهو في الحسن من الآفات والبلبات التي ترجب هلاكه وفي المعنى من القضيحة والمقت وسقوط المرتبة وهو باعتبار المعصية على قسمين قسم يقع الستر فيها فلا يفضح صاحبها وقسم يقع الستر عنها فلا يقع فيها ولو طلبها لما شمله من حفظ الله ورعايته فالعامة يطلبون الستر من الله فيها مع وقوعها لئلا يسقطوا من عين الخلق فهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين فحفظ نظرم إنما هو شهود الخلق غائين عن نظر الملك وذلك لضغف إيمانهم وقلة يقينهم وانطلاس بصيرتهم (وفي بعض الأخبار) يقول الله تبارك وتعالى يا عبادي إن كنتم تعتقدون أنني لا أراكم فالخلق في إيمانكم وإن كنتم تعتقدون أنني أراكم فلم جستموني أهون الناظرين إليكم اهـ

(وأما الخاصة) فهم يطلبون من الله الستر عنها والمعصية منها خشية أن يسقطوا من عين الحق لأن صدور المعصية من العبد سوء أدب ومن أساء الأدب مع الأحياء طرد إلى الباب فإذا وقعت منه معصية يادروا إلى الاعتذار وصحبه الجبل والانكسار ثم جدوا في سيرهم ولم يبقوا مع نفوسهم إذ لا وجود لها في نظرم ولا التفات لهم إلى الخلق إذ لم يبق في نظرم إلا الملك الحق غايوا بشهود الحق عن رؤية الخلق أو بشهود الحق عن رؤية الحسن أو بشهود الوسط عن الواسطة .

(وأما خاصة الخاصة) فلا يطلبون شيئاً ولا يخافون من شيء صارت الأشياء عندهم شيئاً واحداً واستغنوا بشهود واحد عن كل واحد منهم ينظرون ما يبرز من عنصر القدرة فيتلقونه بالقبول والرضى فإن كان طاعته شهوداً فيها المنه وإن كان معصية شهوداً فيها القهريه وتادبوا مع الله فيها بالتوبة والانكسار قياماً بأدب شريعة النبي المختار صلى الله عليه وسلم وقد وردت أحاديث في المقامات الثلاثة تعلماً للامة فقد دعا عليه السلام بالستر على المساوي ومنها وهي العصمة والحفظ وطلب مقام

بالتعظيم ولم يكن اجتماعهم عليه على جهل به وتقليد وشك وترديد (ثم) الأليق بالشيخ إذا اختلط الفقراء أهل بدايات ونهايات أن يفرقهم في المذاكرة على مقاله الناظم وأشار إليه بقوله :

ولم يكن ذلك عن رويه بل يحضر القوم على سويه

(قلت) الروية والتروى هي المشاورة في الأمر والاتفاق عليه يعني أن القوم لم يكن اجتماعهم عن اتفاق وروية على أن تحضروا في مجلس واحد ووقت واحد ويكون أهل البدايات وأهل النهايات على السوية في مجلس واحد كما يفعل أهل التدريس للعلم الظاهر بل كانت الشيوخ تذكر كل فرقة على حديثها وتخطب كل واحد على قدر فهمه فينبغي للشيخ أن يكون له مجلسان مجلس يخص به أهل النهايات ومجلس يمه به أهل البدايات والنهايات وينبغي له أيضاً ألا يلتزم مجلساً واحداً لا يتعداه بل مهما اتفق اجتماعهم ذكرهم في أي وقت كان ومهما قدم عليه قوم ذكرهم فقد يكون منهم من يجب الاستعمال في سفره ومنهم من يريد المقام ولا ينبغي للشيخ أن يحتجب عن الفقراء حتى يتضرروا بانتظاره فقد كان عليه السلام لا يحتجب عن أصحابه ولم يكن له برابون ولا مشاورون وما ذكره الناظم من تفرق المذاكرة إنما يتأتى مع فقراء وأمامهم كثرهم فيجعل مجلساً لهم واحداً ويذكر فيه البدايات والوسط والنهايات وكل واحد يشرب من منهله قد علم كل أناس مشربهم

الرضا والتسليم لأحكام الله القهرية كل ذلك منشور في كتب الأحاديث فلا تغيل به ثم إذا ستر الحق تعالى مساويك وذنوبك ثم توجه الناس إليك بالتعظيم والمجد والتكريم فأعرف منة الله عليك وانظر من المدوح في الحقيقة هل أنت أو من ستر مساويك كما أبان ذلك بقوله (من أكرمك فأما أكرم فيك جميل ستره فأحمد لمن سترك وليس الحمد لمن أكرمك وشكرك) قلت إذا كان الحق تعالى تولى حفظك برعايته وستر مساويك بستر عنايته فغنى وصفك بوصفه وفتك بعتته ثم توجه الناس إليك بالتعظيم والتعجب والتكريم فأعرف منة الله عليك وانزل عن شهود نفسك فن أكرمك فأما أكرم فيك جميل ستره فلو لا فضل الله عليكم ورحمته لا تبتم الشيطان إلا قليلا ولو لا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا فأحمد في الحقيقة إنما هو لمن سترك لأن أكرمك إذ لو أظهر للناس ذرة من مساويك لمقتورك وبضورك فأشكر الله على ما أسدى إليك من كرم وغنى عليك من المساوى التي توجب أنواع الأذية والنقم (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه إذ لو لا ستره عن المعاصي ما كنت مطيعا ولو لا ستره فيها لكنت مهانا عند الخلق وبخصوصا بالمقت بينهم ولو لا نعمة ربى لكنت من المحضرين فالخلق كلهم إنما يتاملون بينهم بستر مولاهم ولو خلا عبده من ستره لا بغضه أحب الناس إليه ولاذاه أشفق الخلق عليه ولاهلكه أرف الخلق به والله در القائل :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| يظنون بي خيرا وما بي من خير | ولكنني عبد ظلوم كما تدرى |
| سترت عيوبى كلها عن عيونهم | وألبستى ثوبا جميلا من السر |
| فصاروا يحبونى وما أنا بالذى | تحب ولكن شهبونى بالغير |
| فلا تقصصنى فى القيامة بينهم | وكنلى بامولاي فى موقف الحشر |

ولما بلغت الاذابة كل مبلغ من حبيب الله صلى الله عليه وسلم ما زاد على أن قال لاغنى لى عن عافيتك عافيتك أوسع لى الحديث أهو سيأتى التقسيم فى شهود الخلق فى حاله النعم وإن الناس على ثلاثة أقسام قوم عوام لا يشهدون الا الخلق وقوم خواص لا يشهدون الا الخلق وقوم خواص الخواص يشهدون الخلق فى الخلق والموسوط فى الواسطة فيمطون كل

هذا ما ادركنا اشياخنا عليه حين كثر الاتباع (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه يجعل مجلسا يتضرع فيه الى الله فى اصلاح شأنه وشأن من تعلق به ليكون ناجحا لهم فى الباطن كما نصح لهم فى الظاهر ولما ذكر سبب الاجتماع وآدبه أشار الى وقته فقال :

ولم يكن أيضا لدى العشاء اذ فيه نهى وهو للاغفاء

(قلت) الاغفاء هو النوم يعنى ان اجتماع القوم لم يكن عند وقت العشاء لأن ذلك الوقت جملة الله للنوم والراحة قال تعالى (هو الذى جعل لكم الليل لتسكون فيه) وقال تعالى (وهو الذى جعل لكم الليل لياسوا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا) وذلك ليقوم للصلاة ناشطا ولا سباتا عند قصر الليل وقد نهى سيدنا عمر رضى الله عنه عن النوم قبلها والحديث بعدها يعنى العشاء وكذلك أيضا لا ينبغي أن يكون عند أوقات الصلاة لأن ذلك يؤدى إلى خروج وقتها ولا ينبغي تطويل المجلس فقد قال الزهرى إذا طال المجلس كان فيه حظ الشيطان (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وحسب المرید أن يدخل على الشيخ بالهمة ويقعد عنه بالحرمة ويخرج من عنده بالخدمة والعزعة ثم أشار إلى حكمة الاجتماع فقال :

وافقروا فيه للاتلاف ليعلم المستوفى حال الوافى

قلت الاتلاف هو الاجتماع وتألف القوم اجتمعوا قاله فى القاموس (يقول) رضى الله عنه وافقروا أيضا للاجتماع

دَى حق حتمه كإبائى مينا أن شاء الله وإذا تحققت أن الذى أكرمك هو الذى ستر عيبك وغطى مساويك بعد اطلاعه على خفاياها وعلية غباياها فأنه صاحب وكن له مراقبا ودع الناس جانباً كما نبه عليه بقوله (ما يحبك من صوبك وهو بعبك علم ليس ذلك إلا مولاك الكريم) قلت وإذا علمت أنه ليس لك صاحب إلا مولاك فأعرف حقيقة محبته والزم الأدب في ظاهرك وباطنك واستحي منه أن يراك حيث نهاك أو يفقدك حيث أورك (وفي الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأصحابه استحيروا من الله حق الحياء قالوا أنا نستحي والحمد لله قال لهم الحياء من الله حق الحياء ، أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما عوى وتذكر القبر والبلى فمن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء اه فالصاحب الذى يدرم لك هو الذى يصحبك وهو عالم بعبك لأن ذلك داع للسلامة من التكلف والرياء والتصنع وليس ذلك إلا مولاك العالم غفاياك المطيع على شرك وعلايتك أن عصيته سترك وإن اعتذرت إليه قبل عنذك (وقد قيل) من الحكمة في قوله تعالى إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم مع أن الكل ملكة ثلاثة أشياء (أحدها) البشارة بعدم الرد بالعب لأن المشتري عالم به

(الثاني) ليس العبد نفسه إليه فيتولى تدبيره إذ لا يتم بيع الابن التسليم ولا كفاية إلا بعد أقباض (الثالث) اظهار التمام الفضل في ظهور النسبة لله سبحانه وذكور الصحة في جانب الحق وقت في حديث أنت الصاحب في السفر واختلف في اطلاعه في غير ذلك المحل والظاهر أن الشيخ يرى ذلك في عمل إشارة الأدب والانعاش وعليه مر أبو حامد النزلى في بعض كتبه قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (وأعلم) أن الأمر الذى يرغب في الصحة يقعد الحية والمردة أمران أحدهما ما تقدم من كون الصاحب يغطى شينك بحله ويستر وصفك بوصفه والثاني كونه يحبك وطلبك إلى حضرته من غير غرض ولا منفعة له في صحبتك وإلى الثاني أشار بقوله (خير من تصحب من يطلبك لا شيء يعود منك إليه) قلت ولا يوجد هذا الوصف المجيد إلا للذي الحميد الفعال لما يريد يجب من يشاء بلا علة ولا سبب ويمتد من يشاء بلا ضرر يلحقه ولا تعب يقرب من ياء بلا عمل ويعمد من يشاء بلا زلل لا يستل عما يفعل وهم يستلون ولو شاء ربك ما فعلوه لو شاء الله لهدى الناس جميعاً وكلامنا إنما هو مع أهل التحقيق وأما باعتبار الحكمة وأهل التشريع فلا يظلم ربك أحداً ولكن

لامور منها معرفة حال الإنسان في العلم والحال والمقام فإن النفس قد تنقلب في نفسها فتظن أنها أدركت مقام الأكبر وهي مقيمة مع الأصغر فإذا اجتمع مع من هو أنقص منه حال وأكثر منه علماً علم حاله وعرف مقامه فيجد في سيره ويتحقق بقدرة (وفي) بعض الأخبار عاش من عرف قدره وكذلك الفقير الكامل إذا رأى من هو دونه في الحال أو المقام حمد الله وشكره وطلب الزيادة من مولاه وهذا معنى قوله ليعلم المستوفى حال الوافى فالمستوفى الذى هو الناقص تتعشه رؤية الكامل الذى هو الوافى في العلم والحال لاستشعاره نقصه وقصوره عن رتبة صاحبه الوافى فيهنش في العمل وينافسه في الحال قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والوافى يعرف قدر منتهى الله عليه فيما أدركه فيشكره فيزيده الله تعالى على ما أعطاه ويتشرف إلى مقام أعلى فيوصله الله إليه إذ السر لا نهاية (قال) الشيخ أبو هادى رضى الله عنه لأصحابه يوماً به يرفع المرید إلى رتبة هي أعلى من رتبة فقالوا بفضل الله ورحمته فقال إنما سألتم عن السبب الخاص بهذا الأمر فقالوا من عند الشيخ قال يخلق الله له همة هي أعلى من همة فيرتفع بها إلى رتبة أعلى ومنهاى ومن الأمور الداعية للاجتماع حصول النشاط والقررة فإن دوام الوحدة تبرد صاحبها والتقوى عليه الحس والكسل أن كان في محل البدايات (و) قد تحصل له قوة أو وقته فإذا اجتمع مع الأخوان قوى حاله وزال كله لذلك قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى (ورغب) عليه

فاعل السبب هو فاعل المسبب من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه وللجبل رحمه الله
إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً فإن في حكم الحقيقة طائع

غير من تصحبه أيها الإنسان مولاك الذي يطلبك لحضرتة ويحتيك لمحجته من غير نفع يعود منك إليه وإنما
هو برور وإحسان منه إليك فكيف تركه وتطلب الأنس بغيره وضرره أقرب من نفعه (قال) بعضهم جرب الناس
تجدهم عقارب فإذا طلبت الصحة فاصحب العارفين الذين ينهضك حالهم ويدلك على الله مقالهم والله در صاحب العينية حيث
يقول في عينيته .

| | |
|----------------------------------|------------------------------|
| فشمز ولد بالأولياء فانهم | لهم من كتاب الحق تلك الوقائع |
| هم الذخر للملأوف والكنز والرجا | ومنهم ينال الصبما هو أطالع |
| هم يمتدى للعين من ضل في العمى | بهم يجذب العشاق والربع شاسع |
| هم القصد والمطلوب والموال والمنا | واسمهم للصبر في الحب شافع |
| هم الناس فالزم أن عرفت جنباهم | قفيهم لضر العالمين منافع |

وقال في التحذير من صحبة غيرهم من الغافلين والعوالم

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| وقاطع لمن واصلت أيام غفلة | فما وصل العذال إلا مقاطع |
| وجانب جناب الأجنبي لو أنه | لقرب اتساق في المنام مضاعف |
| فلنفس من جلاسها كل نسبة | ومن خلة للقلب تلك الطبايع |

والحاصل أن صحبة من يوصل إلى الله فاهي إلا صحبة الله إذ ما تم سواه والنظر إلى العارف بالله قائما هو نظر إلى
الله اذ لم يبق فيه بقية عليه لنير الله نصار نوراً أعضاء من نور الله وفيهم قال عليه السلام أن الله رجلا من نظر اليهم سعد
سعادة لا يشقى بعدها أبداً وهم موجودون لا ينقطعون أبداً ظاهرون ظهور الشمس لا يخفون إلا على من أراد الله منه
طرداً وبعداً والعياذ بالله من الساب بعد العطاء ومن سوء القضاء وشماتة الأعداء وحضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعمة

السلام في حضور مجالس الذكر كما تقدم قال بعض المتقدمين كنا إذا قرأنا نظراً إلى محمد بن واسع فعملنا عليه أسبوعاً أه
أى بق نشاطنا فعمل عليه أسبوعاً فشاهدة الأخبار ترفع الهمة وتقوى العزيمة والمؤمن مرآة أخيه فأنى المحاذى ينطبع
في المحاذى وقد قال أنس رضي الله عنه ما نقصنا أيدينا من التراب من دفعه عليه السلام حتى فقدنا قلوبنا ومنها استفادة
العلم والمعرفة أما العلم فن المذاكرة ؛ وأما المعرفة فن المشاهدة (قال) بعض الحكماء فهم سطرين أفضل من حفظ وقرين
فضل ومذاكرة اثنين أفضل من هاتين أى أفضل من فهم سطرين وحفظ وقرين والنظر إلى العلماء ومجالسة الحكماء عبادة
كبيرة وبالله التوفيق ثم استدلل على فضل الاجتماع بالحديث ورواه بالمعنى فقال :

لا خير فيمن لم يكن ألوفاً ولم يكن لغيره مألوفاً

قلت لفظ الحديث المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف (وقال) أيضاً عليه الصلاة والسلام ان
من خياركم أحسنكم أخلاقاً المؤمنين أكفأنا الذين يألفون ويؤلفون قوله عليه السلام الموطئين أكفأنا من آمن من جانبيه
بحيث لا يخاف منهم خيانة ولا جناية للذين يألفون الناس ويألفهم وهو معنى قول التأظم لا خير فيمن لم يكن ألوفاً بغيره
ولم يكن مألوفاً لغيره أى بألفه غيره (وفي رواية أخرى ألا أنبئكم بأحبكم إلى وأقربكم بمجالس يوم القيمة أحسنكم أخلاقاً

ونجاة النعمة آمين ثم فائدة صحة العارفين وهو حصول اليقين كما أشار اليه بقوله (لو أشرق نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها) قلت اليقين هو العلم الذي لا يزاحمه وهم ولا يخالطه ريب ولا يصحبه اضطراب مشتق من يقن الماء إذا حبس ولم يجر شبه به العلم إذا صحبته الطمأنينة ولم يبق للقلب فيه تحرك ولا اضطراب وإشراق نوره وهو ظهور أثره على الجوارح فيظهر فيها الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ويظهر منه الانحياس إلا الله والاشتياق الى حضرة جملة والسكون والخضوع تحت قهر جلاله والمسارعة الى ابتغاء مرضاته والمبادرة إل مظان محابه ولهج اللسان بذكره وشغل القلب بالفكرة في عظمته وهيمان الروح في حضرة قربه وسكرها من شراب حبه واعتبارها قربيه فهذه علامة إشراق نور اليقين في القلب ومن علامته أيضاً أن يصير الأجل عاجلاً والبعيد حاصلًا والنيب شهادة فإن ما توعدون لآت وما أتم بمعجزين ولنا في هذا المعنى :

فلا ترضى بغير الله حباً وكن أبداً بمشوق واشتياق
ترى الأمر المغيب ذاعيان وتحظى بالوصال وبالتلاق

كنت ذلت بهما قول القائل

فلا دهش وحام الحى حى ولا عطش وساقى القوم باقى
فا الدنيا بياقية لحى وما حى على الدنيا ياقى

قلو أشرق نور اليقين في قلبك لرأيت الآخرة الآتية حاضرة لديك أقرب اليك من أن ترحل اليها إذ هي الراحة اليك والمدركة لك ولرأيت محاسن الدنيا الرومية الفانية قد ظهرت كسفة الفناء عليها أى قد انكسف نور وجودها بظهور ظلمة فئتها فصار ما كان ظاهراً باطناً وما كان باطناً صار ظاهراً وما كان كفيفاً صار لطيفاً وما كان لطيفاً صار كفيفاً وما كان غيباً صار شهادة وما صار شهادة صار غيباً وإنما بعد ذلك عن الخلق ضعف إيمانهم وقلة نور إيمانهم ولو أشرق نور اليقين في قلوبهم لرأوا الدنيا مكسوفة أنوارها بادية عوارها كآرامها حارثة رضى الله عنه حين أخبر عن حقيقة إيمانه

الموطنون أكتافاً الذين بالفن والفنون (قلت) وينبئ التفصيل في أحوال الناس أما العارفون بالراسخون فلا يليق بهم الا التالف بالناس والتصبر لهم لأنهم يأخذون نصيبهم من كل شيء وقد وجههم الله لنفع عباده فينبغي لهم أن يألفوا الناس وبألفهم الناس وكذلك الصالحون المتوجهون لاصلاح الناس بالترك والدعاء والعلماء المتوجهون لتعليم العباد فلا بد من صبرهم على جفوة المتعدين والساتلين ومن تعلق بهم من المسلمين وأما المريدين السائرون فلا ينبغي لهم أن يألفوا الناس كلهم فان ذلك يقطعهم عن ربهم وكل قدير مال الرياسة والسياسة وتوجه للناس قبل كاله فلا يجي منه شيء وإنما يألف الفقير من ينهض حاله ويده على الله مقالته (وفى) الحديث قالوا من نجالس يا رسول الله قال مر ذكركم بالله رؤيته وأزاد في علمكم منطلقه ورغبكم في الآخرة عمله (وقال) الشيخ أير الحسن رضى الله عنه أوصانى حبيبي فقال لا تتلق قدمك الا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الا حيث تأمن غالباً من معصية الله ولا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك الا من ترداد به يقيناً وقليل مأم وبالله التوفيق والى هذا المعنى أشار بقوله

ومن يكن يصحب غير جنسه فجاهل والله قدر نفسه

(قلت) وإنما كان من يصحب غير جنسه جاهلاً بقدر نفسه لان النفس وهى الروح ياقوته رفيعة جعلها الله في صدف

(تقدروى) عن انس رضى الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضى إذ استقبله شاب من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمناً بالله حقا فقال له انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة فاحقيقة إيمانك فقال يا رسول الله عرفت نفسي عن الدنيا أى أدبرت وهربت فأسهرت ليلى وأعطأت نهارى فكأنى بعرض ربى بارزا وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتعاضون فيها فقال له أبصرت فالزم عبد نور الله الإيمان فى قلبه قال يا رسول الله ادع الله لى بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل يوم بدر شهيداً لجاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد علمت منزلة حارثة منى فان يكن فى الجنة أصبروان لم يكن فى الجنة ترى ما أصنع فقال أو هبلت أجنة هى إنما جئنا وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى فرجعت وهى تضحك وتقول (يج يج) يا حارثة اه وكارأما معاذ بن جبل رضى الله عنه حين دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال له كيف أصبحت يا معاذ قال أصبحت مؤمناً قال إن لكل قول مصداقاً ولكل حق حقيقة فامصداق ما تقول فقال يا رسول الله ما أصبحت صابحاً قط إلا ظننت لأمسى وما أمسيت قط إلا ظننت لأصبح ولا خلوت خطوة قط إلا ظننت أنى لا أتبعها بأخرى وكأنى أنظر إلى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها مع نبيها وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله وكأنى أنظر إلى عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة فقال صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم فهذا الرجلان الأنصار يان أشرق نور الايقان فى قلوبهما وشرح الله به صدورهما فرأوا ما كان آجلاً وما كان أنياً واصلاً :

(وفى الحديث) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ان التور إذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسخ قيل يا رسول الله هل لذلک من علامة يعرف بها قال نعم التجافى عن دار النور والاقابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله أو كما قال عليه السلام وقال أحمد بن حنبل فى صحيحه ان الصادق عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من آمن بالله ورسوله وأقام الصلاة وأتى الزكاة وحج البيت وصام رمضان لم يمت حتى يلقى الله وهو عاقل فأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا أيها الناس ان الله قد خلقكم من نور الايمان على فقد الاعيان ولم يبق إلا نور الملك الדיان كما أشار إلى ذلك بقوله (ما حجبك عن الله وجود

بشربك فاذا صحبت بها من هو أحسن منك فقد صلتها ورفعتها واعتنيت بشأنها لأن صحة الأبرار تصيرك من الأخيار وإذا صحبت بها من هو أسوأ منك وأخسر منك فقد نجستها وحطت قدرها ورمى بها فى المزابل لأن الطباع تسرق الطباع والمرء على دين خليله وصاحب المرء رقعة من ثوبه فلا يصح أن يكون من غير نوعه ويرحم الله القائل حيث قال :

عليك بأرباب الصدور فمن غداً مصافاً لأرباب الصدور تصدرا
ولياك أن ترضى بصحبة ساقط فتسقط قدراً من علاك وتحقرا
(وقال غيره)

لا تصحب أعما الجمل فإياك وإياه فكمن جاهل أرى طليحين وإياه
قياس النمل بالنمل إذا ما هو حاذاه يقياس المرء بالمرء إذا ما هو ماشاه
والشئ من الشئ بمقاييس وأشياء وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

(وقال) سهل بن عبد الله أحذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبارة النافلين والقراء المداهين والمتصوفة الجاهلين (وقال) يوسف بن الحصين الرازى رحمه الله قلت لذى النون المصرى رضى الله عنه من أصحب فقال من لا تكتمه شيئاً بعلمه الله منك (وقال) حمدون القصار رضى الله عنه اصحب الصوفية فان القسيس عديم وجوها من المعاذير وليس للحسن

موجود معه إذ لا شيء معه، ولكن حبك عنه توهم موجود معه) قلت الحق تعالى ظاهر ونوره البصائر باهر وإنما حبه مقتضى اسمه الحكيم وأسمه القاهر فاحبك عن شهود الحق وجود شيء معه إله مع الله تعالى الله عما يشركون ولكن حبك عن شهوده توهم وجود موجود معه ولا شيء معه وكما كان ولا شيء. بقى ولا شيء. هو الأول والآخر والظاهر والباطن واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله فالفعل لا يصدر من غير صفة والصفة لا تفارق الموصوف فالفعل متحد والفعل واحد والصفة متحدة والمتصف بها واحد وللشئ رضى الله عنه، صفات لا تخفى لمن نظر وذائق معلومة تلك الصور، فافن عن الإحساس ترى غير، وسبب توهم الغيرية عدم الفكرة وسبب عدم التمسكة حب العاجلة فهى الشاغلة للقلوب عن السير إلى حضرة علام الغيوب وحكمة حب الدنيا ظهور القهريه فن قهارته تعالى أن احتجب بلا حجاب وغطى نور شمسه بالاسحاب وأيضاً قوال العبودية حجب مظاهر أنوار الربوبية ووجود الحكمة ستر ظهور القدرة (وقال) بعض العارفين الحق تعالى منزّه عن الآين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لا يعلم منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفه سار في كل شيء ولنوربه ظاهر في كل شيء ولا طلانه وإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك ومن لم يندق هذا ولم يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق اه ومن كلام ابن وقارضى الله عنه .

هو الحق المحيط بكل شيء هو الرحمن ذو العرش المجيد
هو النور المين يغير شك هو الرب المحجب في العبد
هو المشهود في الأشهاد يدوا فيخفيه الشهود عن الشهيد
هو العين العيان لكل غيب هو المقصود من بيت التقصيد
جميع السالمين له ظلال محمود في القريب وفي البعيد
وهذا القدر في التحقيق كاف فكف النفس عن طلب المزيد

وقال الشيخ القطب مولاي عبد السلام بن مشيش مخاطباً لأوارثه الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنهما في وصية
عندهم كبيرهم إشارة إلى أن العجب بالعمل عندم متنى في صحتهم (وقال) الجنيد رضى الله عنه إذا أراد الله بالمرء خيراً
أوقفه إلى الصوفيه ومعه صحبة القراء (وقال) سيدنا على رضى الله عنه شر الأصدقاء من أحوجك إلى المدارة وألجأك
إلى الاعتذار (وقال أيضاً) شر الأصدقاء من تكلف له وأنشدوا .

أحب من الأخوان كل موات وفي غضيض الطرف عن عثراتى
يوافقنى في كل أمر أحبه ويحفظنى حياً وبعد وفاتى
فنى لذى لى قد وجدته فتاسمت مالى من الحسنات

(وأوحى) الله إلى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظاً وأردت لنفسك إخواناً وكل أخ لا يوافئك على مسرق
فهو لك عدو يقضى قلبك ويباعدك منى (وقال) الشيخ أبو عبد الله بن عباد رضى الله عنه والحاصل من هذا أن صحبة
الصوفية هى التى يحصل بها كمال الاتضاع للصاحب دون من عداهم من المنسوين للدين والعلم لأنهم خصوا من حقائق
التوحيد والمعرفة بخصائص لم يساهمهم فيها أحد وسريان ذلك إلى الصاحب من المصحوب هو غاية الأمل والمطلوب فقد
قبل من تحقيق بحالة لم يحل حاضره منها فن جلس على دكان المطار لم يفقد الراحة الطيبة هذا في الحضور والمجالسة فـ

له وقد تقدمت حدود بعض الإيمان نحمد الله تعالى في كل شيء وعند كل شيء ومع كل شيء وقيل كل شيء وبعد كل شيء وفوق كل شيء وتحت كل شيء وقريباً من كل شيء ومحيطاً بكل شيء بقرب هو وصفه وبحيطة هي نعمة وعد عن الظرفية والحدود وعن الأماكن والجهات وعن الصحة والقرب في المسافات وعن الدور بالخلوقات وإعني الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن وهو هو هو كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان اهـ (قال) بعضهم ونبه بقوله وعد الخ على أن ماجرى من كلامه من الظروف ليست بزمانية ولا مكانية لأنها من جملة الاكوان وإنما هي أمور فوقية فاعتقد كال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله عز وجل ليس كمثل شيء وهو السميع البصير وسلم ذلك لأهله فأنهم على بصيرة فيما رمزوا اليه بما ذاقوه ووجوهه بل هو محض الإيمان وغالض العرفان وهو حقيقة التوحيد وصفوا الإيمان وأما قوله وهو الآن على ما هو عليه كان وإن لم يرد في الحديث الصحيح فهو في نفسه صحيح إذ لا وجود في الحقيقة للأشياء معه تعالى وإنما هي كالتخيل ووجود الظلال فلا تنسخ أحديته ولا ترفع فردانيته وبالجملة فن غلب عليه شهود الاحدية فكشف بسر الوحدة واستغراق في الحقيقة العانية انقطع عن الشعور بنفسه وغاب عن السوى بالكلية وإن رد إلى الشعور رآه قائماً به وظاهر آ فيه وبه حكما من أحكامه اهـ وقال في لطائف المنن وأشبه شيء بوجود الكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة وجود الظلال والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم وإذا ثبت ظلية للأثار لم تنسخ أحدية المؤثر لأن الشيء إنما يشفع بمثله ويضم إلى شكله كذلك أيضاً من شهد ظلية للأثار لم تعقه عن الله فان ظلال الأشجار في الأنهار لا تنعوق السفن عن التسيار ومن هنا تبين لك أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله تعالى ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم أن يكون أقرب اليك منه ولا شيء أقرب من الله فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهج الحجاب اهـ .

(ولما) قرر أمر الوحدة ونفي وجود الغيرية استشعر سائلاً يقول له وهذه المكونات الظاهرة فما تقول فيها مع ثبوت الوحدة فأجاب بأنها قائمة به ولو لا ظهور نوره فيها ما ظهرت كما بين ذلك بقوله (ولو لا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته) قلت كان الله ولا شيء معه فكانت اخره الأزلية القديمة لطيفة

بالك بالصحة والمؤانسة ثم قال وبصحة هؤلاء يحصل للريدين من المزيد ما لا يحصل لهم بغيرها من فنون المجاهدات وأنواع المكابدات حتى يبلغوا بذلك إلى أمر لا يسهه عقل عاقل ولا يحيط به علم ناقل ولذا قال سيدي أبو العباس المرسى رضي الله عنه ماذا أضع بالكيمياء والله لقد صحبت أقواما يبيع أحدهم على الشجرة اليابسة قشور رماناً للوقت فمن صحب هؤلاء الرجال ما صنع الكيمياء (وقال) أيضاً رضي الله عنه والله ما سار الأولياء من قاف إلى قاف إلا حتى يلقوا واحداً مثلنا فاذا لقوه كان بينهم (وقال) أيضاً الولي إذا أراد أغنى (وقال) أيضاً رضي الله عنه والله ما بين وبين الرجل الآن أنظر إليه فظروقه قد أغنيته (وقال) فيه شيخه سيدي أبو الحسن رضي الله عنه أبو العباس هو الرجل الكامل والله انه ليأنيه البدوي بيول على ساقيه فلا يمسى عليه الماء الا وقد وصله الى الله ثم أشار لحديث ورد في الجليس فقال :

أفضل للمرء جلوس وحده ولا يكن جليس سوء عنده

قلت أشار الى قوله عليه الصلاة والسلام الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جلاس السوء والجلس الصالح مثل العطار ان لم تمل من طيبه أصبت من ربحه والجلس السوء مثل الحداد إن لم تصب من شره أصابك قتته وفي معنى ذلك قيل :
(٢٦ - إيقاظ أول)

خفية نورانية روحانية وليس هناك شكل ولا رسم متصفة بصفة صفات الملقى والعنوية متسمية بأسمائها القديمة منعوتة بنعوت الجلال والجلال فاقصت الخزة ظهور حسناتها وجمالها واقتضت الصفات ظهور آثارها والأسماء ظهور مطالبها فقبضت الصفات من النور اللطيف قبضة نورانية لمقتضى اسمه الظاهر واسمه القادر فظلمها أيضاً اسمه الباطن واسمه الحكيم فابطنها في حال ظهورها وغطاها في حال بروزها فكانت ظاهرة باطنة ثم قرعت تلك القبضة على تخاريج كثيرة بمدد الصفات وتنوعت على أجناس كثيرة بتنوع الأسماء فظلم واحد والزهر ألوان وفي ذلك يقول صاحب العينية :

وكل الورى طراً مظاهر طلعتي مرأ بها من حسن وجهي لامع
ظهرت بأوصاف البرية كلها أجلى ذوات الكل نورى ساطع

فبحر الجبروت فياض إلى عالم الملكوت ثم احتجب بالحكمة فصار ظاهرة ظلمة وباطنه نوراً ظاهره حكمة وباطنه قدرة ظاهره ملك وباطنه ملكوت والجميع جبروت فإذا قرر هذا علمت أن الأكوان لا وجود لها من ذاتها فلو لا ظهور الحق بها ما ظهرت ولا وقع عليها إحصاء الخلق كما قال القائل :

من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال
(وقال آخر)

فلم يبق إلا الحق لم يبق كائن فأنتم موصول وما ثم باق
بذا جاء برهان العيان فارأى بعيني شيئاً غيره إذ أعين

وظهوره تعالى بواسطة تجليات الأكوان فيه لطف كبير إذ لا يمكن شهوده ومعرفة إلا بواسطة هذه التجليات ولو ظهر بالأوصاف التي كان عليها في الأزل وبلا واسطة لتلاشت الكائنات وانضطحت (وفي الحديث) حجابها النور لو كشف عنه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره اه وهذا معنى قوله لو ظهرت صفاته انضطحت مكوناته أي لو ظهرت نعوته الأصلية الأزلية لانضطحت المكونات الحديثة إذا الكائنات كلها تكشف الأسرار اللطيفة التي هي نعوت الخزة الأزلية التي أشار إليها ابن الفارض في خمرته بقوله :

إذ كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب إلا ردى فتردى مع الردى
عن المرء لا تسلم وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

(وقال) شيخ شيوخوا سيدى على رضى الله عنه الجلوس مع العارفين أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام ولا شيء أضر على المريد من الجلوس مع المتفجرة الجاهلين (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه الجلوس السوء هو الذى جمع ثلاث خصال (الأولى) الرضى عن نفسه بحيث يرى له حقاً على الناس ويرى الناس كلهم دونه وهذه صفة الجبارة النافلين (الثانية) الاسترسال في النية وتركبة النفس وتعظيم ذنب الغير واحتقار ذنب نفسه فلا يقبل عثرة ولا يفر ذلة وهذه صفة القراء الدماهين (الثالثة) وجود الدعاوى والطمع وحب الرياسة والبذع وهذه صفة المتسوفة الجاهلين (وقيل) الإخوان ثلاثة أخ لاخرتك فلا تراع فيه إلا الإيمان (و) أخ لدينك فلا تراع فيه إلا حسن الخلق (و) أخ للناس فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وهو كلام جامع مفيد اه وبقائه التوفيق ثم أشار إلى الاجتماع وتبيجه فقال :

قد يرتجى الشفاء للسقيم مهما يكن ملازم الحكيم
(قلت) لأعظم شفاء لأمراض القلوب وعلاها من صحة العارفين والدخول تحت جناح تربيتهم وملازمة حضانتهم

صفاء ولا ماء ولا هوى ونور ولا نار وروح ولا جسم
تقدم كل الكائنات حديثها قديم ولا شكل هناك ولا رسم
فلو ظهرت الأسرار اللطيفة لتلاشت الكائنات الكثيفة إذ لا ظهور للكثيف إذا رجع لطيفاً وما مثال الكون
إلا كالتلجة ظاهرها جامد وباطنها مائع فإذا ذوبت التلجة رجعت إلى أصلها ماء ولم يبق للتلجة أثر فكذلك المكونات
الحسية إذا ظهرت أسرارها اللطيفة التي قامت بها ذابت ذواتها الكثيفة وتلاشت ورجعت لأصلها وإلى هذا المعنى أشار
صاحب العينية بقوله :

وما الكون في التمثال الا كتلجة وأنت لها الماء الذي هو تابع
فما التلج في تحقيقنا غير مائه وغير ان في حكم دعه الشرائع
ولكن بذوب الماء رفع حكمه ويوضع حكم الماء والأمر واقع
فن وقف مع ظاهر التلجة أنكر الماء الذي في باطنها وكان جاهلاً بحقيقتها ومن نفذ إلى باطنها عرف أصلها وفرعها
وكذلك الأكران ظاهرها غرة لم وقف مع كائناتها وباطنها عبرة لمن نفذ إلى أصلها وقدموا أيضاً الكون بصورة جبريل
حين كان يتصور في صورة دحية فن رآه كشيء قال دحية وأنكر أن يكون ملكاً ومن عرف أصله لم ينكره ولم يقف مع
ظاهره فإذا تالطف ورجع إلى أصله ذهب تلك الصورة واضمحلت فكذلك الكون إنما هو خيال فادام موجوداً في الحس
رأى وظهر فإذا رجع إلى أصله بظهور أسرارها التي قام بها اضمحل ولم يبق له أثر وقد أشار إلى هذا صاحب العينية أيضاً بقوله
تجليت بالتحقيق في كل صورة فني كل شيء من جمالي لواضع
فما الكون في التمثال إلا كدحية تصور روعي فيه شكل مخدع
ويسمون هذه الأسرار التي قامت بها الأكران مائى ويسمون الأكران أوائى حاملة للمعانى ظاهرة فلو ظهرت المعانى
لاضمحلت الأوائى ومن وقف مع حس الأوائى حجب عن أسرار المعانى وفى ذلك يقول الششتري رضى الله عنه
لا تنظر إلى الأوائى • وخض بحر المعانى • لعلك ترى

بالصدق والمحبة والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح وكان شيخنا رضى الله عنه يقول من لم يصحب الفحول يبق في
الوهم موحول وإنما اشترطت الملازمة ودوام الصحبة لأن بذلك يعرف صدقه في طلب دوائه ويظهر حاله في وجه الشفاء
من دائه لمعرفة وجه العلة وسببها الذى لا يعرف غالباً إلا بالملازمة وأيضاً بذلك يقع العطف عليه فينهضه بهمة ودعائه
وفى ذلك يقول الشيخ أبو مدين رضى الله عنه

وراقب الشيخ في أحواله فسى يرى عليك من استحصانه أثراً
ففي رضاه رضى البارى وطاعته يرضى عليك فكمن تركها حذراً
هكذا في بعض النسخ وفى بعضها ترك هذا البيت والمراد يا حكيم في كلام الناظم شيخ التربية لأنه طيب حكيم كما تقدم
ثم رد على من أنكر على الفقراء الاجتماع فقال

ومن ينازع قاطرح نزاعه فالدين مبنى على الجماعة
(قلت) يريد من نازع الفقراء وأنكر عليهم اجتماعهم فلا تسمع لقوله بل انبهه وراء ظهره فالدين مبنى على الجماعة
قال صلى الله عليه وسلم الجماعة رحمة والفرقة عذاب وقال عليه السلام يد الله مع الجماعة وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم من فارق

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

ولطف الأواني في الحقيقة تابع للطف المعاني والمعاني بها تسموا

فالأواني كلها لطيفة في الحقيقة تابعة للطف المعاني لأنها منها وإنما تكثفت في حق أهل الحجاب الذين وقفوا مع ظواهر الأشياء واشتغلوا بخدمة الحس قلباً وقالباً فطمع عليهم الحس وتوحيث دائرة حسهم وظل الحجاب في حقهم فبادتهم حسية وفكرتهم حسية وذلك لصحبتهم أهل الحس ولهم صحبوا أهل المعاني لاشتغلوا بخدمة المعاني حتى تلتطف لهم الأواني .

(قال) شيخ شيوخنا سيدى على الجمل رضى الله عنه سألت الشيخ يعنى سيدى العربى ابن عبد الله قلت يا سيدى كنت أظن أنه لا يشقى غليل الإنسان إلا الحس يعنى العبادة الحسية ولا ظننت قط أن فعل المعاني يشقى الغليل أبداً والآن وجدت نفسى بالعكس لا يشقى غليلها إلا المعاني فأجابنى بأن قال يا ولدى لما كانت هنك مشورة للحسيات أمدك الله فيها فصرت لا تقنع إلا بالحسيات والآن انعكس الأمر لما واقفت أهل المعاني أثرت معرفتهم فك تشوير هنك لبلاد المعاني ولما انقلبت هنك عن بلاد الحس وشورت لبلاد المعاني أمدك الله فيها فصرت تقطع بالمعاني كما كنت تقطع بالحسيات اه مختصراً فكل من صاحب أهل المعاني وانقلبت همته لبلاد المعاني حتى صارت عبادته باطنية معنوية تلتطف في حقه الأواني ولم ير إلا المعاني (قلت) وبما من الله على بصحة أهل المعاني أنى إذا نظرت إلى الكون بين بصيرتى من عرشه إلى فرشه ذاب وتلاشى ولم يبق له أثر والله ذو الفضل العظيم (تنبيه) سئل سيدى أحمد بن يوسف الملياني عن ذات الحق تعالى هل معنوية أو حسية فقال هى حسية لا تدرك قال سيدى عبد الله الهبطى وهذا مما يدل على تحقيق معرفته (قلت) ذات الحق تعالى موجودة لطيفة لا تدركها الأبصار ولا تكيفها العقول متصفة بصفات المعاني والمعنوية ولو كانت صفة أو معنى كما يزعمه النصارى لم تتصف بصفات المعاني ولا المعنوية لأن الصفة والمعنى لا يقوم بنفسه ولا بد أن يقوم بغيره والصفة لا تتصف بصفة أخرى وأما قول بعض المتأخرين المعنى لا يقبض إلا بالحس وقولهم أيضاً لا تنظر إلى الأواني وخضع بحر المعاني وقولهم الأكوان أواني حاملة للمعاني فاعلم أنه قد تقدم أنهم يطلقون على أسرار الذات وهى الخزرة الأزلية معاني

الجماعة قيد شهر مات ميتة جاهلية إلى غير ذلك من الأحداث المرغية في الاجتماع وقد تقدمت في أول الفصل نذرة سالحة منها (وقد) حرر ابن عرون في مقننه الخلاف في المسئلة ورجح القول بالاستحباب واستدل بأحاديث ووقائع فطالعه ان شئت وهذا أمر قد تواتر عند الصوفية فلا يحتاج إلى دليل وبالله التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق ثم أشار إلى الحكم الثالث وهو اللباس فقال (الحكم الثالث في حكم اللباس) أى ما يختاره القوم من اللباس وما يتركونه ولا يكون ذلك قدساً في طريقهم أصلاً ولا فعلاً (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مبتذل لا يبالى مالبس وهو كلام تام أى كل من يحب الخمول لا يبالى مالبس (وكان) عمر رضى الله عنه يقطع من كفيه ما جاوز الأصابع (وقال) بعض المشايخ الفقير الصادق أى شئ لبس يحسن عليه ويكون عليه الملاحاة والمهابة والثوب الخلق أى البالى أحب إليهم من الجديد لأنه أكثر بركة ويمتهدون في النظافة والظرافة (قال) صلى الله عليه وسلم النظافة من الإيمان ورأى على بعض الوفود ثوباً وسخاً فقال صلى الله عليه وسلم أما كان يجد هذا ماء ينسل به وقال هب ان الفقر من الله فما بال الوسخ وقال ان يفض الوسخ ويكرهون لبس الشهرة من الثياب ويتبركون بثياب المشايخ وقد كانت الصحابة يتبركون بثيابه صلى الله عليه وسلم وبشعره وريقه وعرقه وفضله وضوئه فقيه جواز التبرك بآثار الصالحين ثم ذكر الشيخ بعض أحكام

لحفاها ولطافتها فأشبهت للمعاني من هذا الوجه فنحصل أن الحس لا قيام له إلا بالمعنى وهو معانى أمرار الذات فصار قيام الأشياء كلها باقية ولا وجود لها معه وهو الذى أشار إليه بن الفارض بقوله

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجت عن كل من لالهفهم

أى قامت الأشياء كلها بالذات العلية أى بأسرارها اللطيفة الأزلية وقولهم أيضاً الذات عين الصفات والصفات عين الذات فاعلم أنه لما كان ظهور للذات لإلزام أنوار الصفات ولا قيام للصفات إلا بالذات والصفات لا تفارق الموصوف صار كأن هذا عين هذا فقطعوا بتلك العبارة تحويشاً للجمع وفراراً من الفرق وهو اصطلاح منهم سموها تكشف وظهر للحس صفات وما بطن من سر الروية ذاتا ومعنى الصفات لا تفارق الموصوف كما تقول فى التلجة ظاهرها تلج وباطنها ماء فالتلج صفات والماء ذات التلج حس والماء معنى للطاقة وخفائه صار كأنه معنى قال ابن عباس رضى الله عنه فى تفسيره قوله تعالى (سخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعاً منه) قال فى كل شيء اسم من أسمائه واسم كل شيء من اسمه فأنما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله باطنا بقدرته ظاهره بحكمته ظهر بصفاته وبطن بذاته حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالأفعال وكشف العلم بالارادة وأظهر الارادة بالحركات وأخفى الصنع فى الصنعة وأظهر الصنعة بالذوات فهو باطن فى غيبه وظاهر بحكمته وقدرته ليس كئله شيء وهو السميع البصير اه نقله شارح بداية السلوك هكذا عن ابن عباس رضى الله عنه فقوله حجب الذات بالصفات أى حجب أسرار الذات بأنوار الصفات وهى أثرها (وقوله) وحجب الصفات بالأفعال لأن الأفعال ظروف للصفات لأنها أثر من آثارها ومظاهرة لها (وقوله) وكشف العلم بالارادة أى أظهر ماسبق فى علمه بآرادته المخصصة لوقت إظهاره (قوله) وأظهر الارادة بالحركات أى أظهر ماسبق من إرادته بظهور الحركات الدالة على ما أراد (وقوله) وأخفى الصنع فى الصنعة أى أخفى الصانع فى صنعه (وقوله) وأظهر الصنعة بالذوات أى أظهر قدرته فى الاجرام وسائر الذوات والله تعالى أعلم وقول شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه فى كتابه فى تفسير الذات والصفات إن كل ما هو جلال فهو ذات وكل ما هو جمال فهو صفات فأنما ذلك على وجه التشبيه فإن تجلى الصفات كله جمال لأنه محل

لللباس فقال :

وقد أباحوا سائر الآثواب وتركها أقرب للصواب

(قلت) إنما أباحوا سائر الآثواب لقوله تعالى (يا بى آدم قد أنزلنا عليك لباساً يوارى سركم) فأطلق فيه وقال تعالى (يا بى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) (وقد) ليس صلى الله عليه وسلم جميع الألوان الأحمر والأصفر والأخضر والحجر والأسود والأبيض والقبامو الجبوة الكساء والقميص والعمامة الرادمو البدرق وغير ذلك واشترى السراويل وذكر البرنسى ولم يرد عنه لباس الأزرق ولا يكره لجميع الألوان مباحة للباس ويفضلها الأخضر لانه لباس أهل الجنة والأبيض لقوله عليه الصلاة والسلام أن من خير ثيابكم البياض ليلبسها أحباؤكم وكفى فيها أمواتكم واستحب الصوفية لبس الصوف لما فى الصوف من رمة القلب وخفة المؤنة ولأن سيدنا موسى عليه السلام يوم تاجى ربه كانت ثيابه كلها صوفاً وهذا ليس على سبيل التحجير بل على سبيل الزهد فقط ومخالفة النفس واقتداء بأهل الصفة (وفى) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك لبس ثوب لابس ثوباً عليه تواضعاً لله كساه الله حلة الكرامة وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم (ألا) تسمعون أن البذاذ من الإيعامو كرهها ثلاث مرات قال المنذرى والبذاذة بفتح الباء الموحدة وذالان معجمتين هو التواضع فى اللباس برثائه الهيئة (وقال) أيضاً صلى الله عليه وسلم انه يحب للمتبذل الذى لا يبالي ما لبس رواده الزمى (وقوله) وتركها

نزعة أرواح العارفين وبه يرتقي أهل الدليل إلى معرفة رب العالمين وهو الذى شبهه الشيخ ابن مشيش بالرياض فى قوله رياض الملكوت الخ وإيضاً هو الذى تمكن رؤيته وتحصل المعرفة به بخلاف تجلى الذات فإنه حلال محض إذ لو ظهر ذرة من نوره الأصلى بلا واسطة لاحترق الكون من أصله (وفى الحديث) حجاب النار ورواية التور لو كشف عنها لأحرقت سبجات وجهه كل شئ أدركه بصره فصار تجلى الصفات كله جمال وتجلي الذات كله جلال فأطلق وجه التشبيه أن كل ما يشق على النفس فهو ذات لأنه جلال كتجلي الذات وكل ما يخف على النفس فهو صفات لأنه جمال كتجلي الصفات والله تعالى أعلم وإنما أطلت الكلام فى هذه المسئلة لأنى لم أر من تكلم عليها ولا من شئ فيها الغليل وكنت كثير البحث عنها فلم أجد من يشغنى فيها وهذا وما ظهر لى فيها وما أنتجت فيها فكرت والله تعالى أعلم بالله التوفيق ثم استدلت على ظهوره فى المكونات بقوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن فأشار إلى تفسير الظاهر والباطن بقوله (أظهر كل شئ بأنه الباطن وطوى وجرد كل شئ بأنه الظاهر) قلت مضمته أن اسمه تعالى الباطن يقتضى ظهور الأشياء حساً ليكون باطناً بسبب ظهور حسها لأن الحس رداء أسرار المعانى واسمه الظاهر يقتضى بطون الأشياء أى هلاكها واضمحلالها ليكون ظاهراً بما ظهر منها هذا معنى قوله أظهر كل شئ بأنه الباطن أى بسبب أنه الباطن ليتحقق بطونه بها وطوى وجود كل شئ بسبب أنه الظاهر ليتحقق انفرادها بالظهور فيها والحاصل أن الحصر فى قوله تعالى هو الظاهر يدل على أنه لا ظاهر معه فأنطوى وجود الأشياء واضمحلت لها وقوله هو الباطن يدل على أنه لا باطن سواه فبطنت الأشياء كلها بعد ظهورها فدل كلامه سبحانه أن ما ظهر به هو الذى بطن فيه والذى بطن به هو الذى ظهر فيه وإلا لم يصح الحصر فإن قلت المتقابلان لا يجتمعان كالضدين وكيف جمعتما فى ذات واحدة قلت لم يتواردا على محل واحد بل ذلك باعتبارين فاسم الظاهر باعتبار الحس فى عالم الحكمة واسم الباطن باعتبار المعنى فى عالم القدرة فالحكمة ظاهرة والقدرة باطنة (أو تقول) ظاهر باعتبار مظاهر الربوبية باطن باعتبار قوالب العبودية أو تقول لظاهر باعتبار التعريف باطن باعتبار التكليف فالذات واحدة والاعتبارات مختلفة وذلك كثير فتحصل أن الحق سبحانه ظاهر فى بطنه باطن فى ظهوره ما ظهر به هو الذى بطن فيه وما بطن به هو

أقرب للصواب يعنى ترك الكثير منها والتأنيق فيها لا تركها بالكلية لأن الترى حرام ثم علل ذلك الترك فقال :

إذ فى لباس حلها الحساب أيضاً وفى حرامها العقاب

(قلت) فى بعض الأخيار اتقوا الدنيا فإن حلها حساب وحرامها عقاب لكنى لم أقف على من ذكره غير أن الزهد فى الدنيا مرغّب فيه بالاعتقان والذى ثبت فى الحديث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزول قدما ابن آدم يوم القيمة حتى يسئل عن خمس عن عمره فيما أفاءه وعن شبابها فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيه أنفقه وماذا عمل فيما علم رواه الترمذى وقال حديث غريب (و) قوله فى لباس حلها الحساب يعنى عن أصلها وقصدتها وبحث بعضهم فيه بأن ما أيسر لا يكون سبباً للحساب ويحاج بان الحساب يقع على قصد الزيادة على الحاجة هل قصد التجميل أو التفاخر أو اظهار نعمة الله (وسئل) أيضاً عن القيام بشكرها فإنه من النعم الذى يسئل عنه تعالى (ثم نسئل يومئذ عن النعم) (وأما) العقاب على الحرام فظاهر لأنه عصى الله بتناول ما حرم الله فهو من جملة المعاصى التى يستحق عليها العقاب إلا أن يتفضل الله بغيره (قال) أبو عبد الله السلى رضى الله عنه وآدابهم فى ذلك أى اللباس أن يكون مع الوقت يلبسون ما يجدون من غير تكلف ولا اختيار ويقتصرون على ما يؤدون به الفرض من ستر العورة وما يدفع به الحر والقر فهى

الذي ظهر فيه أي مظهر فيه بحكته هو الذي بطن فيه بقدر ما بطن فيه بقدر تمهوا الذي ظهر فيه بحكته هو الذي قصدته الشاعر بقوله
لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على آكه لا يصير القمر
لكن بطلت بما أظهرت محتجا وكيف يعرف من بالعمة استرا

والله تعالى أعلم (تنبيه) قد كنت سألت الشيخين أعني شيخنا وشيخه عن الحرة الأزلية قبل تخليلها هل تسمى ظاهرة
باطنة أو إنما تسمى باطنة فقط للطاقتها حيث أن ما كان هو الذي ظهر وليس الذي ظهر غير ما كان في الأزل كان الله
ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان يعني أن الذات العلية كما كانت متصفه بصفاتها وأسمائها في الأزل بقيت
كذلك فلم يزل فكان في الأزل ظاهراً باطناً وبقي بعد التجلي كذلك ظاهراً لنفسه باطناً عن خلقه ما تجلى به ظاهراً
هو فيه أيضاً باطن (وقال) القاشاني في شرح تآية ابن الفارض ما مضى بعد كلام وأظهر الحق تعالى سر ذاته وصفاته
في مظاهر أفعاله وما كان لحفاته عليه قبل ذلك كما حكاها عن المحبوبة بلسان الجمع في قوله

مظاهر لي فيها بدوت ولم أكن على بخاف قبل موطن برزة
ولكن ليتجلى باسمه الظاهر آخر كما كان متجلياً باسمه الباطن أولاً والعجب كل العجب أنه تعالى ما ظهر بشيء من
مظاهر أفعاله الا وقد احتجب به كما قال

بدت باحتجابوا خفت بمظاهر على صبح الأكوان في كل برزة

أما كلامه رضي الله عنه والتحقيق أن يقال الحق تعالى لم يزل متصفاً بأسمائه وصفاته في الأزل وفيها لا يزال لكن
ظهور آثارها وقع فيها لا يزال فكان متصفاً باسمه الظاهر والباطن في الأزل وظهر بعد ذلك آثارهما فيها لا يزال والله تعالى
أعلم ثم بين كيفية النظر والاعتبار في المكونات لتعرف ظهوره تعالى فيها قال (أباك لك أن تنظر في المكونات وما أذن
لك أن تقف مع ذوات المكونات قل انظروا ماذا في السموات والأرض فية قوله انظروا ماذا في السموات فتح لك باب
الافهام ولم يقل انظروا السموات لئلا يدل على وجود الاجرام) قلت إنما أبرز الله هذه المكونات وأظهر هذه العوالم

ما استثنى النبي صلى الله عليه وسلم من الدنيا وقيل لها ليست من الدنيا ويترأون من كثرة اللباس ويواسون بالفصل
(قال) صلى الله عليه وسلم ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل ثوبه فلم يكن له خلق أي ثوب باليتدل بهورجل
لم ينصب له على مستوق قدران ورجل دعا بشرا به فلم يقل أيهما تريد (وعن) عائشة رضي الله عنها قالت ما أعدد رسول
الله صلى الله عليه وسلم من شيء زوجين ثم ذكر فوائد المرقمة فقال

والقوم ما اختاروا المرقعات
أولها فيها أطراح الكبر
ومنها للبرد ثم الحر
وخفة التكليف ثم فيها
قلة طمع الطامعين فيها
وذلة النفس وتطويل العمر
والصبر ثم الاقتداء بعمر
ألا ترى لابسا كل شئ

المرقات جمع مرقمة وهي الثوب الملقق من رفاع كثيرة ملونة أو غير ملونة كانت من صوف أو شعر أو جلد وإنما
اختارها القوم على ما سواها من الثياب لوجه عشرة (أولها) طرح الكبر وفيه والتخلق بضد وهو التواضع إلا إذا قصد

ليعرف بها ويظهر فزوره فيها قال تعالى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لآعين ما خلقناهما إلا بالحق) وقال تعالى (أخسيت إنما خلقناكم عبثا) قال في لطائف المنن فأنصبت الكائنات لآرامها ولكن لآرى فيها مولاها فراد الحق منك أن آراها بعين من لا يرامها من حيث ظهوره فيها ولا آراها من حيث كونيها قال ولنا في هذا المعنى

ما أثبت لك العوالم إلا لآرامها بعين من لا يرامها
فارق عنها رقي من ليس يرضى حالة دون أن يرى مولاها

فأباح لك أيها الإنسان أن تنظر ماذا في السموات والأرض من النور اللطيف قامت به الأشياء وما أباح لك أن تقف مع ذوات المكونات تقف مع القشر وتحجب عن اللب وقد تقدم قوله الاكران ظاهرها غرة وباطنها عبرة فمن وقصم ظاهرها كان محجوباً ومن نفذ إلى باطنها كان عارفاً عبوياً ولأجل هذا السرا قال تعالى (قل انظروا ماذا في السموات) أى ما فيها من عظمتها ومعاني أسرار ذاتها وكمال قدرته وإرادته وسائر صفاته فقد فتح لك باب الافهام جمع فهم أى فتح لك باب الفهم لتدخل بها من ظاهر القشر إلى باطن اللب حتى تعرفه في كل شيء وتفهم عنه في كل شيء. ولو قال الحق تعالى (قل انظروا السموات) لذلك على الاجرام وسلك باب الاتهام وكيف يدلك على الاجرام وهى أغيار والاعيار مأمنة من الدخول إلى شهود الأنوار ومثال ذلك في التقريب لو قال لك قائل انظر هذا الثلجة لذلك على ظاهر جرمها ولو قال لك انظر ما في هذه الثلجة لفتح لك باب الفهم إلى نظر ما في باطنها من الماء دون الوقوف مع ظاهر جرمها (واعلم) أن الحق سبحانه تنب عباده إلى معرفة ذاته ودرجهم إليها شيئاً فشيئاً ففهمهم من قصر ومنهم من وصل فدرجهم أولاً إلى توحيد الافعال وأنه لا فاعل سواه فقال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويخار ان ربك فعال لما يريد والله خلقكم وما تعلبون ولو شاء الله ما اقتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال في فعل غير الأدنى (ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها) وفي شأن الطير (ما يمكن الا الرحمن) وقال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحه الا أم أمثالكم) أى في قهر قبضتنا وقدر آجالها مقسومة أرزاقها معدودة أنفاسها مخفوظة أجسامها معلومة أما كتبها ظاهرة أشباحها باطنة أنوارها (وقال) في توحيد الصفات

بذلك من حيث أنها شعار الصالحين فيحرم لباسها حينئذ أو يقصد بذلك التظاهر على من لم يلبسها من الفقراء أو يرى له مزبة بها على غيره فيقلب الأمر حينئذ (ثانيها) أنها تدفع الحرب من حيث تناسبها وبرودتها لاجتماع أجزائها دون تحليل وتدفع القرأى لكثافتها (وثالثها) خفة مؤنتها في تحصيلها فانها من الحرق الملقاة على المزابل التي لا يضر اعطاؤها من طلبت منه نعم ان كان يختار لها الرقاق الرفيعة قد خرجت عن حقيقتها وزالت ثمرتها لأنها صارت حينئذ من رفيع الثياب فهى وسائر اللباس سواء (ورابعها) أنه الطمع فيها الصبر السلاية وغيرهم من حيث ذاتها لا من حيث ما يحتوى عليها من الحرمة فإذا جذبها الفقير اليه واختبر ولم يكن لهم اللام أى توصل بها بل ردوها عليه واستغفروا من حقه كل هو مشاهد معلوم وليسها للاحترام جازر قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (وخامسها) ما في لبسها من دفع الشرور باعتبار الاحترام لشبه لباسها بأهل الخير وذلك جائز في الدفع لا في الجلب لقوله تعالى يدين عليهن من جلا يدين ذلك ادنى أن يعرفن فلا يؤذين وهذا داخل في قوله وقلة الطامعين فيها (وسادسها) ما فيها من ذلة النفس بين أبناء الجنس وفي ذلك موتها وفي موتها حياتها وفي ذلك قال المشتري متكلماً عن لسان الحق

ان ترد وصلنا فوئك شرط لا ينال الوصال من يفضله

وأنه لا سميع ولا بصير ولا تقدير ولا متكلم إلا الله أنه هو السميع البصير أى دون غيره فلا سميع ولا بصير إلا به سبحانه وقال تعالى (أنه هو الحكيم العليم) وقال تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) إلى غير ذلك من الآيات (وقال) تعالى فى توحيد الذات (وهو الله فى السموات وفى الأرض) الله نور السموات والأرض) على تفسير أهل الإشارة قوم أهل الباطن وقال (فأينما تولوا فثم وجه الله) وإذ قلنا لك أن ربك أحاط بالناس إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (وقال فى نحو الواسطة) فإذا قرأناه فاتبع قرأته أناس صابرون شققنا الأرض) أى بالحرث (شقاً) ويحتمل أن تكون منها أومن توحيد الأفعال وما رويت إذ رويت ولكن الله رعى ولكن ألف بينهم وقد يجمع الحق تعالى فى آية واحدة توحيد الصفات ويرقى إلى توحيد الذات كقوله تعالى (سترهم) آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) ثم رقام إلى الشهود بقوله (أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ألا أنهم فى مرة من لقاء ربهم ألا أنه بكل شيء محيط وقال تعالى (أن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) ثم رقام من النيب إلى الشهادة بقوله (وأسرأوا قولكم أو أجهروا به) أنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) فتحصل أن الأشياء كلها قائمة بالله أثبتنا يعرف بها ثم محابها بوحدايته كما أشار إلى ذلك بقوله (الأكوان ثابتة) بانياته محوطة بأحدية ذاته) قلت الأكوان هى ماظهر فى عالم الشهادة أو تقول ما دخل عالم التكوين وهى موجودة بوجود الحق قائمة به ثابتة بانياته يعرف بها محوطة بأحدية ذاته لا أفراد وجوده فن أثبتنا لنفسها قد جهل فيها وحجب بها عن شهود موجدتها ومن أثبتنا بالله فقد عرف فيها وشهد فيها مولاها فالتبثت للأكوان أمر عرضى والحق اللازم وهو وجود أحدية الحق تعالى والأحدية مبالغة فى الوحدة لا تتحقق إلا إذا كانت الوحدة بحيث لا يتمكن أن يكون أشد وأكمل منها فن مقتضى حقيقتها محو الأكوان وبطلانها بحيث لا توجد إذ لو وجدت لم تكن أحدية ولكن كان فى ذلك متعدداً واثنيتة كما قيل :

أرب وعبد ونبي ضد قلت له ليس ذاك عندي
فقال ما عندكم فقلنا وجود فقد وقد وجد
توحيد حتى بترك حتى وليس حتى سوى وحد

وفى ذل النفس أيضاً اسقاط المنزلة والجاه وهو شرط فى تحقيق مقام الإخلاص وفيه أيضاً حصول الخول الذى هو راحة لأن صاحبه لا يعرف بالتيقن ولا يدرك بالأمور العالية بل إذا غلب لا ينتظر وإذا حضر لا يستشار (و) فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه به أى لا يعبأ به لو أقسم على الله لأبره (وسابحها) ما فيها من رفع الهمة وقلة المبالاة بالخلق فان المعتقد لا يزيد اعتقاد الناس إلا اشرا والغالب على صاحبها عدم المبالاة بالخلق قد استوى عنده المعتقد والمعتقد (قال) بعض المشايخ لبعض الشباب إياكم وهذه المرفقات فانكم تكلمون لأجلها فقال الشاب إنما نكلم بها من أجل الله قال نعم قال حينما من تكلم من أجله أى ما أحبه إلينا فقال له بارك الله فىك وهذا السابغ داخل فى ذل النفس (وثانها) ما قيل فيها من طول العمر ومحل ذلك على البركة فيه بحيث يدرك فى سير منه مالا يدرك غيره فى سنين متطاوله كما قال ابن عطاء رضى الله عنه من يورك له فى عمره أدرك فى سير من الزمان مالا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة وعبادة العارفين كلها متضاعفة بأضعاف كثيرة (وقال) أيضاً فى حكمة مائل عمل برز من قلب زاهد ولاكثر عمل برز من قلب راغب (و) قيل إن ذلك يكون حقيقة وهو من باب الخاصية وإن من لبسها دل على طول عمره والله تعالى أعلم (وتاسعها) مفاصلة الصبر وتجرح مخالفة النفس وفى ذلك من الفضل مالا

ومعنى كلام الشاعر الإنكار على من أثبت الفرق بأن جعل العبودية محلاً مستقلاً منفصلاً عن أسرار معاني الربوبية قائماً بنفسه ولا شك أن العبودية تضاد أوصاف الربوبية على هذا الفرق وأنت تقول في توحيد الحق لأضله فقد نقضت كلامك ولذلك قال ونبي ضد قالوا بمعنى مع وهو داخل في الإنكار أى أوجد رب وعبد مستقل مع نبي الضد للربوبية والعبودية تضاد أوصاف الربوبية والحق أن الحق تعالى تجل بمظاهر الجمع في قوالب الفرق ظهر بظلمة الربوبية في إظهار قوالب العبودية فلا شيء معه وقوله في الجواب وجود فقد أى عندنا وجود فقد السوى وقد وجد النفس وقوله توحيد حق بترك حق أى توحيد حق الحق بترك حق الغير ولا غير ولذلك قال وليس حق موجود سوى وجودى وحدى تكلم على لسان الفناء والله تعالى أعلم وقال آخر :

سر سرى من جناب القدس أفانى لكن بذاك الفنى عنى قد أحيانى
ردنى للبقاء حتى أعبر عن جمال حضرته لكل هيمان
وصرت فى ملكوت من عجائبه لم ألف غيره وجود ماله ثانى

وأشد المواقف لنفسه فى لطائف المنن يوصى رجلاً من أخوانه اسمه حسن :

حسن بأن تدع الوجود بأسره حسن فلا يشغلك عنه شاغل
ولئن فهمت لتعلمن بأنه لا ترك إلا الذى هو حاصل
ومنى شهدت سواء فاعلم أنه من ومهلك الأذى وقلبك ذاهل
حسب الإله شهوده لوجوده والله يعلم ما يقول القائل
ولقد أشرت إلى الصريح من الهدى دلت عليه أن فهمت دلائل
وحديث كان وليس شيء دونه يقضى به الآن الليب العاقل
لاغرور إلا نسبة مشبوهة ليذم ذو ترك ويحمد فاعل

يجعل قال تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال تعالى (وبشر الصابرين وإن الله مع الصابرين) (وقال) بعض الصحابة رضوان الله عليهم الصبر من الدين كالرأس من الجسد والصبر مطية الإمامة والافتداء (قال) تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا) (وفها) أيضاً الوقاية من ارتكاب الكبائر المشهورة إذ يعاب على صاحبها ولا يمكن منها بحال فى عصمة من عظام الكبائر والصبر عليها كأنه صبر على القباح كلها (وعاشرها) الافتداء بأمر المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد قال عليه السلام أقدموا بالذين من بعدى أبى بكر رضى الله عنه والافتداء بهما أمثال لأمره عليه السلام وفها جمع الخاطر الذى لبسها لأجله عمر رضى الله عنه فإنه كانت له مرقعة بين كتفيه ثلاث عشرة رقعة أحدهما من جلد فلها طرحها يوم فتح بيت المقدس بإشارة المسلمين وليس غيرها قال أنكرت نفسى وعاد إليها وليس عرو رضى الله عنه الرقعة كان اختياراً منه وتواضعاً وليس ذلك ضرورة فقد كانت له أموال خاصة به قبل الخلافة وبعدها وبالله التوفيق (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فائدة تبني لمن وسع الله عليه فى الدنيا أن يظهر عليه أثر نعمة الله باستعمالها على وجه مباح لا يتخل بالحق ولا بالحقيقة بأن يلبس أحسن لباس جنسه أو وسطه ويتخذ مرقعة يجعلها عنده وأصل لباسه فإدام غنياعها استغنى وإلا فهى المرجع عنده كذا أشار علينا شيخنا أبو العباس أحمد بن عبد الله الجزيرى ثم الزواوى رضى الله عنه الحكم

(هذا آخر الباب) الرابع عشر وحاصلها تحوُّش العباد إلى الله وتحييه اليهم بذكر ما اشتمل عليه الحق سبحانه من الكرم والاحسان وغاية اللطف والمبرة والامتنان وذلك أنه سبحانه من علينا أولاً بالطاعة وتفضل علينا ثانياً بالقبول مع ما اشتمل عليه عملنا من النقص والخلل ثم إذا وقعت منا معصية أوزل عظامنا بستره بمغفرته لنا تفضلاً وإذا توجهنا إليه بقلوبنا سترنا منها وعصمتنا ليحطم قدرنا ويظهر شكرنا فتتخذة صاحباً وندع غيره جانباً حينئذ تشرق في قلوبنا أنوار اليقين وتزحل إلى الآخرة في أقرب حين ثم تشرق علينا أنوار الاحسان ؛ فتطوى لنا رؤية الأكران ، بشهود نور الملك الديان حينئذ ينشر محاسننا للعباد فيقبلون علينا بالثناء والمحبة والوداد ، كما أبا ن هذا بقوله في أول الباب الخامس عشر وقال رضى الله عنه (الناس يمدحونك بما يظنون فيك فكأن أنت ذاماً لنفسك بما تعلمه منها) قلت إذا مدحك الناس بشيء ليس هو موجوداً فيك فاعلم أن ذلك هوائك من الحق يهتفون بك ويمحسونك إلى الزيادة ويقولون لك الخير أمامك فلا تتعجب بذلك ولا تركز إلى ما هنالك بل ارجع نفسك باللوم ولا يفرئك ثناء القوم فإنهم لا يعلمون منك إلا الصوان الظاهر وأنت تعلم من نفسك اللب الباطن (قال) بعضهم من فرح بمدح الناس فقد مكن الشيطان من أن يدخل بطنه وكان بعضهم يقول اللهم اجعلنى خيراً مما يظنون ولا تؤاخذنى بما يقولون واغفر لنا ما لا يعلمون وإنا قلنا مدائح الناس هوائك الحق إذ ليس في الوجود إلا الحق ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فأهل الفهم عن الله يستمعون إلى الخطاب فإذا سمعوه مدحهم بشيء نظروا فإذا كان فهم علموا أنه تنبيه لهم على مقام الشكر وإن لم يمدحوا فهم علموا أنه تنبيه لهم على تحصيل ذلك المقام ولهذا لما سمع أبو حنيفة قوماً يمدحونه بقيام الليل كله وكان لا يقوم الا نصفه جعل يقوم الليل كله وقد قد الله قوماً أحبوا أن يمدحوا بما لم يفعلوا فقال ويحبون أن يمدحوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وقال المحاسب رضى الله عنه مثل الذى يفرح بمدح الباطل كن يقال له العذرة التي تخرج من جوفك لها رائحة المسك وهو يفرح بذلك ويرضى بالسخرية به اهـ :

ثم ان ذمك لنفسك اذا توجه الخلق اليك بالمدح إنا هو حياء من ربك حيث ستر عيوبك وأظهر محاسنك وهو الذى نبه عليه بقوله (المؤمن اذا مدح استحي من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه) قلت قد تقرر أن التحقيق

الرابع فى الأكل (ذكر فى هذه الترجمة حكم الأكل ومقداره وصفته وآدابه وآداب تحصيل المأكول والعمل فيه بعد حصوله وكيفية العمل فى صرف ما يتصرف منه ومن أولى بصرف ذلك إليه والتنبيه على أمور مهمة تتعلق بالأكل ثم بدأ بحكمه عند القوم فقال :

الأكل فيه تركه مشروط الا اضطرار قدر ما يحوط
وان يكن لحسن والا تركه عند الجوع أولاً

(قلت) الضمير من فيه يعود على طريق القوم والطريق بذكر ويؤنث يعنى أن الأكل فى طريق القوم تركه عندهم شرط أيضاً لأن من كانت همته فى بطنه كانت قيمته ما يخرج منها فلذلك لا يأكلون الا اضطرار بقدر ما سد الحاجة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فإذا كان ولا يد فلتك الطعام وثلاث للشراب وثلاث للنفس وحد الاحتياج للطعام أن يشتهى الانسان خبزه المعتاد وحد الاضطرار أن يشتهى كل خبز بل يأكل أى نوع كان (والجوع الكذب) أن يشتهى مع الخبز شهوة ما قال المشايخ وعلامة أخذ الحاجة من الطعام تغيير طعم الطعام فى الفم والاحتياج فى تسويته لشرب الماء بوجه لا يمكن دونه والاحساس بالثقل وانه تعالى أعلم

ما ثم الامساكة التوفيق ومن تمام نعمته عليك أن خلق فيك ونسب اليك فاذا أطلق الثناء عليك بشئ لا نسبة لك فيه وانما أنت محل لظهوره فاستحي منه تعالى أن يثني عليك بشئ تعلبه انه من فضل غيرك أو لم يظهر عليك شئ منه أصلاً فان مدحت بشئ زائد على ما ظهر فيك فاطلب منه القوة على المزيد فان ربك فقال لما يريد ولا يضرك مدحك بما تفعل ان لم تقصد التعرض للبدح (ففي الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أتدرون من المؤمن قالوا الله ورسوله أعلم قال الذي لا يموت حتى يملأ مسامحه بما يحب ولو أن رجلاً عمل بطاعة الله في جوف بيت إلى سبعين بيتاً على كل بيت باب من حديد لا لبسه الله رداء عمله حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدون قيل يا رسول الله كيف يزيدون قال المؤمن يحب ما زاد في عمله الحديث (وفي حديث) آخر قيل يا رسول الله الرجل يعمل العمل خفية ثم يتحدث الناس به فيفرح فقال عليه السلام له الاجر مرتين أجر العمل وأجر الفرح فان مدح بما ليس فيه واغتر بذلك فهو جاهل بربه كما أشار إليه بقوله (أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس) قلت اليقين الذي عنده هو عليه بما هو وخفا بغيره وما انطوت عليه سرائره من النقائص والتقصير وظن ما عند الناس هو ما يرون على ظاهره من الكمالات وأنوار الطاعات التي تصحبها العلل الباطنية والحظوظ النفسانية فيتوجهون إليه بالمدح والثناء فاذا قنع بذلك وفرح بما هنالك فهو أجهل الناس وأحق الناس اذ قد قنع بلم الخلق ولم يخف من مقت الحق والمطلوب من الفقير عكس هذا وهو أن ينقض عند المدح وينبسط عند الذم حتى يستويا عنده هذا ان كان المادح من أهل الدين والخير وأما ان كان جاهلاً أو فاسقاً فلا غباوة أعظم من الرضى بمدحهم والفرح به (قد روى) عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فيكي فقال له تلبذه أتبي وقد مدحك فقال له انه لم يمدحني حتى وافق بعض خلقي خلقه فلذلك بكيت (وقال) يحيى بن معاذ رضى الله عنه تزكية الاشرار مجنة لك وجهم لك عيب عليك وقيل لبعض الحكماء ان السامة يثون عليك فأظهر الوحشية من ذلك وقال لعلمهم رأوا مني شيئاً أعجبهم ولا خير في شئ يعجبهم ويسؤنى اه فينبغى للفقير ان يخفى محاسنه وأعماله التي يمدح عليها ويظهر ما يسقط به من أعينهم مما هو مباح كما تقدم في الخول وكان شيخنا مولاي العربي رضى الله عنه يقول فينبغى للفقير ان لا يكون صيته

قاله الشيخ زروق رضى الله عنه (و) قوله قدر ما يحوط يعني قدر ما يحفظ القوة ويمسك البدن اذ لا يجوز لاحد أن يجمع نفسه حتى تحتل قوته وتفسد فكرته بل خير الامور أو سطها كما أشار إليه البوصيرى رحمه الله بقوله :

واخش الدناس من جوع ومن شبع قرب مخمصة شر من التخم

(و) قوله وان يكن أى الاضطرار أى وان حصل الاضطرار فأكله حسن والاعتراك أولى عند كافة أهل الطريق (قال) أبو عبد الله السلى رضى الله عنه سئل بعض المشايخ عن الاكل الذى لا يضر فقال ان يأكل بتنفيذ القدرة لا بشاهد الشهوة أى ان تأكل بسبب تنفيذ القدرة مرادها من بقاء هذا البدن فيكون أكله لحفظ صحة هذا الجسم كما أمرك ربك لا بسبب شهوة بطئك (وروى) أن رجلاً تجشئ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاك فاكثركم شبعاً في الدنيا أكثركم جوعاً يوم القيامة (و) قال الحسن كان بلية آدم في أكلة أكلها وهى بليتهم إلى يوم القيامة (و) قال سهل رضى الله عنه لان أترك من عشائى لقمة أحب الى من قيام ليلة (و) قال يحيى بن معاذ لو كان الجوع يباع في الاسواق لما أمكن أن يشتروا غيره (و) قال لو تشفعت لنفسك بالملاتكة المقربين والانياء المرسلين في ترك شهوة لردهم أجمعين ولو تشفعت اليها بالجوع لانتقادت اليك وطاوعتك يعني لو خرقها به لتركت تلك الشهوة (و) قال

أكبر من قدمه بل يكون قدمه أكبر من صيته وقدره أكبر من دعواه اه فيكون جلال الظاهر جمالي الباطن فكل ما تظهره على ظاهرك من الجلال يدخل في باطنك قدره من الجمال وكل ما تظهره من الجمال يدخل قدره في باطنك من الجلال فتزين الظواهر بخرب البواطن وتخرب الظواهر بزين البواطن فبقدر ما تخرب في الظاهر يكون عازية في الباطن وبقدر ما تعمر في الظواهر يكون خراباً في الباطن وقد در شيخ شيوخنا المجنوب رضى الله عنه حيث قال في شأن الجهال

اتقوا على الدين تركوه تعاندوا في المال والكساوى
الثوب من فوق غسلوه وخطوا القلب غلوى

فإذا أظهرت الجلال وأخضيت الجمال ثم أطلق الثناء عليك الكبير المتعال بالست له أهلاً فائق عليه بما هو أهله كما أبان ذلك بقوله (إذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل فائق عليه بما هو أهله) قلت إذا أطلق تعالى الثناء عليك على السنة خلقه بما لا تعلمه من نفسك ولست بأهل له فائق على الله بما هو أهله أى بما يستحقه من التعظيم ليكون ذلك شكراً لنعمة إطلاق الألسنة بالثناء عليك وأيضاً فإنه هو الذى ستر عنهم مساويك وأظهر لهم محاسنك ولو أظهر لهم ذرة من مساويك لمقتوك وأبغضوك فإن العبد محل النقائص والحق تعالى محل الكمالات فكل ما ظهر عليك من الكمالات فإنما هى رشة من كالاته تعالى فالثناء فى الحقيقة إنما هو لله فإذا وقع عليك فردته أنت إلى أصله وفى الحقيقة ما وقع إلا فى أصله ولكن لما اختلف القصد اختلف الحكم أتى على بعض السادات وهو ساكت قليل له فى ذلك فقال وما على من ذلك ولست أغلظ فى نفسى بل لست فى الين والمجرى والمنشى هو الله تعالى اه هذه حالة أهل الجمع وكان بعض السادات يستعمل الفرق إذا سمع الثناء عليه أتى على رأسه التراب فى خلوته فالتاس فى حالة المدح والذم على ثلاثة أقسام قسم يفرحون بالمدح ويكرهون الذم لأن نفوسهم غالبية عليهم ولا شك أنها تفرح بالمدح والرفعة وتنقبض بالذم والضعفة وهم العوام الغافلون (وقسم) يكرهون المدح ويحبون الذم لأنهم فى مجاهدة نفوسهم فكل ما يؤلمها ويقتلها أقبلا عليه وكل ما يحبها ويقورها فروا منه وهم العباد والزهاد والسائرون من المريدين (وقسم) يفرحون بالمدح لشهوده من مولايم وينقبضون من الذم لشهودهم

مالك بن دينار لا تجعلوا بطونكم جرباً للشيطان يوع فيها ما أحب (و) قال صلى الله عليه وسلم من أحسن من نفسه نشاطاً فليؤدبها بالجوع والعطش يعنى نشاطاً للعصية أو اللهو (و) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى جالساً فقلت ما أصابك قال الجوع فبكيت فقال لى لا تبك ان شدة القيامة لا تصيب الجائع إذ احتسب ذلك ثم نه على آدابه فقال :

وأدب القوم لدى الطعام جم فنه ترك الاهتمام
وقلة الذكر له ان غاب لكونه عديم حجاب
بل أنزلوه منزل الدواء عند السيل بنية الشفاء

(قلت) أشار إلى أن آداب القوم يعنى الصوفية عند تناول الطعام أو قبله جم أى كثير (فنها) عدم اهتمامهم به قبل الحاجة إليه لأن الاهتمام به قبل الحاجة دليل الشره والحرص عليه وذلك من قوة الأوصاف البهيمية عليها وقد تقدم قول من قام من كان همه بطنه كانت قيمته ما يخرج منها (وحكى) عن روم رضى الله عنه أنه قال لم يحضر ذكر الطعام بيالى عشرين سنة حتى احتضر رحمه الله (ومنها) قلة ذكره قبل حضوره لأن ذكره دليل تعلق النفس به وتشوقها إليه ومن

جلال من تولاهم وهم العارفون وقد أشار إلى القسم الثاني والثالث بقوله (الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم التناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق) قلت أما العباد والزهاد فلا تهم محجوبون برؤية الخلق عن شهود الحق فإذا مدحوا شهدوا ذلك من النطق وحججوا عن الجمع بالفرق فانقبضوا وخافوا على نفوسهم أن تغتر بذلك أو تقف هناك وهم عاملون على ما تموت به نفوسهم ونحجي به قلوبهم ولا شك أن المدح لها فيه حظ وافر فربما تميل إلى ذلك فتعتقد المزية على الغير فيوجب لها التكبر والرضى وهما أصل كل معصية وأما التمدح فلا حظ لها فيه وإنما فيه موتها وفي موتها حياتها فذلك إذا مدحوا انقبضوا وإذا ذموا انبسطوا وسكت عنه الشيخ وكأنه يؤخذ بالمفهوم وأما العارفون الواصلون فلا تهم فانهم عن أنفسهم باقون برهم غائبون عن الخلق يشهود الملك الحق فإذا أتى عليهم رأوا السنة الخلق أقلام الحق وشهدوا الجمع في عين الفرق ففرحوا بمدح مولاهم وانبسطوا عند مدح مولاهم فزادوا من حبا وشوقا ويفنون فيه شغفا وعشقا وفي مثل هؤلاء ورد الحديث (إذا مدح المؤمن ربي الإيمان في قلبه ربوة) وإذا ذموا انقبضوا سكروا تحت قهريه الحق وأدباً مع جلالة وليس في هذا الاقباض دليل على كراهية التمدح من حيث نسبتها للخلق لأنهم يرون الخلق مصرفين بقدرة الحق وعلامة ذلك أنهم يسمعون لمن أجرى ذلك عليه بل يتعطفون عليه ويتوددون بالحجة إليه كما قال الشاعر :

رب رام لي بأحبار الأذى لم أجد بداً من العطف عليه

فسي يطلع الله على فرح القوم فيدينني إليه

وفي تعبير آخر الناس في المدح والذم على أربعة أقسام عوام جهال وعباد زهاد ومریدون سالكون وعارفون واصلون (وأما العوام) فنفسهم غالبية عليهم ودائرة الحق محطية بهم محط نظرهم الخلق غافلون عن طلب الحق إذا مدحوا وأقبل عليهم الخلق فرحوا وبطروا لنيل مرادهم وتحصيل أغراضهم والنفس الأمارة مجبولة على حب الامارة وإذا ذموا وأدبر عنهم الخلق انقبضوا وحزنوا لفوات ما أملوا ف هؤلاء قلوبهم خربة من التور وأما العباد والزهاد فهم مجتهدون في العبادة فارون من الخلق طالبون رضى الحق مسترحشون من الناس تحققوا منهم الإياس فإذا أقبلوا عليهم بالمدح والتناء انقبضوا

أحب شيئاً أكثر من ذكره ولأن ذكره يهيج الشهوة ويسلط النفس على الطلب فيؤدى للاهتمام أو يكون علامة عليه (قلت) وينبغي للعارف ألا يأكل إلا بإذن من الله بحيث يميل حتى يتيسر ذلك من غير سؤال فإذا دخل داره مثلاً فلا يطلب غذاء حتى يمرض عليه إلا لضرورة فادحة وإنما أهملوا ذكره قبل حصوله اهتماماً وسؤالاً لأن ذكره حجاب عن الحقائق باشتغال النفس له لولوعها به طلباً وذكرها ولو كانت فانية في الحق لأشغلتها ذلك عن الحظوظ (و) قوله بل أنزلوه منزل الدواء يعني أن القوم رضى الله عنهم أنزلوا الطعام والشراب منزلة الدواء لقيام هذا البدن فلا يتناولون منه إلا قدر شفاؤه وهو ما به قوامه ولا يذكرونه ولا يهتمون به أصلاً اشتغالا عنه بما هو أهم من ذكر أو فكر أو شهود أو معاملة ظاهرة وإذا تناولوه قصدوا به التقوى على الطاعة والقيام بحق البشرية التي هي معرفة السر وإليه أشار بقوله بغية الشفاء أى بقصد الشفاء لا بقصد المتعة والشهوة (قال) السلي رحمه الله قبل لبعض المشايخ كيف يتناول الطعام قال كنتناول الليل الدواء يرتجى الشفاء والله تعالى أعلم ثم ذكر ما يتعلق به قبل حصوله فقال :

ولم يكن مهمهم بمجمل وكسبه وفضله ومنه

(قلت) يعني أن القوم لم يكن مهمهم بالاشتغال بجمع الطعام واكتسابه ولا الاشتغال باعطاء فضله أى ما فضل عن

وغافروا أن يشغلهم عام فيه وإذا ذموا وأدبر عنهم الخلق فرحوا وانبطروا لتفرغهم حينئذ للعبادة وإقبالهم على ما هم عليه من المجاهدة (وأما المريدون) السالكون فهم عاملون على قتل نفوسهم وحياة قلوبهم فإذا ذموا وأدبر الخلق عنهم فرحوا لما في ذلك من موت نفوسهم وحياة قلوبهم وإذا مدحوا انقبضوا خوفاً على قوة نفوسهم وضعف قلوبهم إذ في موت النفس حياة القلوب وفي حياة القلوب موت النفوس (وأما العارفون) فقد ظفروا بنفوسهم ووصلوا إلى شهود معبودهم فهم يستأنسون بكل شيء لمعرفتهم في كل شيء يأخذون النصب من كل شيء ويفهمون عن الله كل شيء فإذا مدحوا انبطحوا بالله لشهودهم المدح من الله وإلى الله ولا شيء في الكون سواه وليس أحد أحب إليه المدح من الله كافي الحديث وإذا ذموا انقبضوا تأديباً مع جلال الله أو شفقة على عباد الله من عادي له ولياً فقد آذنته بالحرب فصار بسطهم بالله وقبضهم بالله واستنوا به عما سواه وهذا المعنى وهو الفناء على النفوس صح مدحهم لأنهم تخذلوا بما أنعم الله عليهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه والشاذلي والرمي والشيخ زروق وأشياهم رضي الله عنهم وذلك مشهور عنهم نظماً ونثراً ومن أجل ذلك أيضاً أقروا من مدحهم وأظهروا الانبساط عند مدحهم ولذلف رحمة الله قصائد في مدح شيخه أبي العباس وكان يقول له أيدك الله بروح القدس كما كان يقول عليه السلام لحسان بن ثابت رضي الله عنه حين مدحه عليه السلام ومدح الشيوخ من أعظم القربات وأقرب الوسائل إلى الوصول إذ هم باب الله الأعظم ويد الله الآخذة بيد الداخلين إلى الحضرة فمن مدحهم فقد مدح الله أن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ومن ذمهم فقد ذم الله وكذلك مدح الرسول صلى الله عليه وسلم هو باب عظيم في الوصول إلى حضرة الكريم فإن قلت قوله عليه السلام احثوا التراب في أوجهه المادحين يقتضي العموم فيصدق بمدح العارفين وغيرهم قلت هو محمول على المدح بالكذب على وجه الطمع كما يقع للبلوك وأرباب الأموال طمعاً فيما عندهم أو يحمل على من كان باقياً مع نفسه غائفاً عليها كالعباد والزهاد فإذا مدحهم أحد فينبغي أن يزرعوه ويحجوه في وجهه التراب قيل حقيقة وقيل كناية عن الخيبة والرد والنهي والجزر (وأما العارفون) المتحققون فقد عرفوا المدح والممدوح وغابوا عن شهود الوساطة في المادح والممدوح فنعنا الله بذكرهم وخرطنا في سلكهم آمين ثم من علامة الكمال تحقيق الاعتدال واستواء الاحوال في ثمانية خصال المدح والذم والامن والذل

الحاجة ومنه بل أنزلوه منزلة المهمل الذي لا تقوم له عليه إلا عند الضرورة أو ما يقرب منها فلا يهتمون بجمعه ولا باعطائه فضله ومنه لا اشتغالهم بما هو أهم (قال) السلي رضي الله عنه فمن آدابهم ترك الاهتمام بالرزق وقتة الاشتغال بطلبه وجمعه ومنه قال الله تعالى (وكان من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) أي لا تدخره (و) صرح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يدخر شيئاً لقد ومن أشغل منهم بشيء من الأسباب فأما ذلك قياساً برسم العبودية وإن حصل منها شيء كانوا فيه أمناً على وجه أنهم خزان المملكة يترصدون سد الخلل فيمسكون ما أمروا بإمساكه ويرسلون ما أمروا بإرساله .

(وقد) سئل النبي رضي الله عنه كم في خمس من فقال أما الواجب فشاءة وأما عندنا فكلها لله قليل له ذلك فقال أبو بكر رضي الله عنه حيث خرج عن ماله كله لله ولرسوله فمن خرج عن شيء فامامه أبو بكر ومن أعطى بعضاً وترك بعضاً فامامه عمر ومن أعطى لله ومنع لله فامامه عثمان ومن ترك الدنيا لأهلها فامامه علي وكل علم لا يدل على ترك الدنيا فليس بعلم (وكان أبو العباس الحضري رضي الله عنه يقول ليس الرجل الذي يعرف كيفية تفريق الدنيا ففرها وإنما الرجل الذي يعرف كيفية إمساكها فيمسكها) يعني أنه يعرف كيف يمسكها ولا يشغل قلبه بها بحيث يكون يأخذها بالله ومن الله ويدفعها بالله وإلى الله ولذلك قيل الدنيا كالخية وليس الشأن في قتل الخية إنما الشأن في إمساكها وحياتها وإمساكها حية

والقبض والبسط والمنع والعطاء وقد تقدم بعضها وأشار إلى الأخيرتين بقوله (ومهما كنت إذا أعطيت بسطك البسط وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقتك في عبوديتك) قلت الطفولية والتطفل هـ الدخول في قوم وليس منهم ولم يستأنهم والطفيل هو الذي يأتي للوليمة من غير دعوة وهو منسوب إلى رجل من أهل الكوفة من بني عبد الله بن عطفان كان يقول له طفيل الأعراس كان يأتي إلى الولائم من غير أن يدعى إليها فشبه المؤلف به من دخل مع القوم ولم يتحقق بما يتحققوا به من استواء الأحوال فإذا كنت أيها الفقير إذا أعطيت حظوظك ومنازل واتصلت بعوائدك وهواك من الغنى والعز والجاه والبسط والصحة والعافية وغير ذلك من الحظوظ والشهوات انبسطت وفرحت وإذا منعت من حظوظك وشهواتك وأبدلك الغنى بالفقر والعز بالذل والجاه بالخل والبسط بالقبض والصحة بالمرض والعافية بالبلية انقضت وجزعت فاستدل بذلك على ثبوت تطفلك على كلامهم ولا نسبة لك من مقامهم وإنما أنت طفيل الأعراس ما زلت في غفلة الناس واستدل بذلك أيضا على عدم صدقتك في عبوديتك إذا الصدق في العبودية يقتضى استواء النعمة والبلية كما قال الشاعر :

أحباي أتم أحسن البهائم أسا فكونوا كما شتمت أنا ذلك الخل

قال أبو عثمان الحيرى رضى الله عنه لا يكمل الرجل يستوى في قلبه أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل اه فإذا كان الفقير يرضع عند الجلال وينهم عند محلة الأبطال فاعلم أنه ضعيف الحال متطفل على مقامات الرجال (قال في التنوير) وقد ابتلى الله بحكمته وجوده الفقراء الذين ليسوا بصادقين باظهار ما كنتموا من الرغبة وأسرؤا من الشهوة فابتلوا أنفسهم لآبناء الدنيا مياستين لم ملايين لم موافقين لم على ملذذاتهم مدفوعين على أبوأبهم قترى الواحد منهم يتزين كما تزين العروس معتون باصلاح ظواهرهم غافلين عن اصلاح سرارهم ولقد وسّمهم الحق بسمه كشف بها عوارهم وأظهر أخبارهم (فيعد أن كانت نسبته ان لو صدق) مع الله أن يقال فيه عبد الكبير فخرج من هذه النسبة لعدم صدقه فصار يقال له شيخ الأمير أولئك الكاذبون على الله الصادقون العباد عن صحبة أولياء الله لأن ما يشهد العموم منهم

هو إمسأ كما بالله فانيا عنها وعن طلبها (وقال الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني فنعنا الله به لما سئل عن الدنيا فقال اخرجها من قلبك واجعلها في يدك فانها لا تصرف) وقال الشيخ أبو الدين رضى الله عنه الدنيا جراداة اذا قطع رأسها حلت ورأسها حيا (وقال) بعض أهل المعاني في تفسير قوله تعالى وما لك يمينك يا موسى يقال الفقير وما لك يمينك أيها الفقير قال هي ديناي أعتمد عليها في قيام بيتي وأفق منها على عيالي ولى فيها مآرب أخرى أتصدق منها وأفضل بها وأجوه الخير فيقال له ألقها من يدك أيها الفقير فآلقها فإذا هي حية تسمى كانت تلدغ في قلبه وتشغله عن شهود ربه قلبا فرمها وأيس من نفعها قبل له خدعا ولا تحف لأنك غنى بالله عنها فأخذها بالله لا بنفسك وتدفعها كذلك وبالله التوفيق ثم ذكر آدابها بعد حصوله فقال :

ولا استقلوه ولا عابوه ولم يكن قصدا فيطلبوه

(قلت) آداب القوم عند حصول الطعام ألا يستقلوه أى يصنرونه ولا يحتقرونه بل يعظمونه ويكبرونه ولو كان قليلا في الحس أو خشنا أو ردى الصنة فمن آدابهم أن يتلقوا القليل من صاحبه الذى أتى على يديه بالبسط والفرح والتعظيم والتكثير والتبريك ويتدون بأكله قبل غيره تطييبا لحاظه ورضا لقلبه وكذلك يفعلون في الطعام الخشين أو الردى.

يسحبونه على كل منسب لهم صادق فهم وغير صادق فهم حجب أهل التحقيق وسحب شمس أهل التوفيق ضربوا أطبوا لهم ونشروا أعلامهم ولبسوا دروعهم فاذا وقعت الحلة ولوا على أعقابهم ناكسين ألسنتهم مطلقة بالدعوى وقلوبهم خاوية من التقوى ألم يسمعا قوله تعالى (ليست الصادقين عن صدقهم) أترى إذا سأل الصادقين عن صدقهم أترك المدعين من غير سؤال ألم يسمعا قوله سبحانه (وقل أعمالوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) وسردون إلى عالم القيب والشهادة فيفتنكم بما كنتم تعملون) فهم في اظهار زى الصادقين وعملهم عمل المعرضين كما قال القائل

أما الخيام فانها كتيامهم وأرى نساء الحى غير نساها
لا والذى حجت قریش بيته مستقبلين الركن من بطحاتها
ما أبصرت عيني خيام قبيلة إلا بكيت أحبنى بغناها

(هذا آخر الباب) الخامس عشر وحاصلها آداب الريد في المدح والذم ومرجعها إلى خمسة (الأول) ذم النفس عند مدحها بما ليس فيها (الثاني) استحياؤه من الله أن يمدح بوصف لا يشهده من نفسه (الثالث) أن يرجع إلى يقين ما عنده فيقول عليه ولا يفتر بظن ما عند الناس فيعتمد عليه (الرابع) أن يكثر من الحمد والشكر لولاه حيث استرعى به وأظهر توفيقه وهذه (الخامس) أن يكون معتدل الحال سليم القلب فلا يحزن عند الذم ولا يفرح عند المدح قال بعض العارفين إذا قيل لك نعم الرجل أنت فكان أحب إليك من أن يقال لك بش الرجل أنت فأنت واقه بش الرجل اه وجاء رجل إلى شيخ شيخنا مولاي العربي رضى الله عنه فجعل يمدحه في وجهه فقال له يا هذا لا تفرق بقولك أنا أعرف نفسى حين أكون أفضل الوجود أو أقل الوجود فالوقت الذى تكون فيه ذا كرا الرى أنا أفضل الوجود والوقت الذى لا نذكر الله فيه أنا أقل الوجود أو كلام هذا معناه لكن هذا الأدب الخامس يختلف باختلاف الأحوال فالعباد يغلبون حب الذم على المدح والعارفون يغلبون حب المدح على الذم أو يعتدلون كما يعتدلون في حال المنع والنعاء والتبسط والبسط والذل والعز والفقر والغنى وغير ذلك من اختلاف الآثار وتقلبات الاطوار ومن جملة ذلك الخوف والرجاء بحيث إذا صدرت منهم طاعة

أو ما أشبه ذلك ويتلقون الكثير أو الرفيع عن ياق به بالغنى ورفع الهمة عنه شفقة على صاحب من دخول العجب أو الرياء واظهار الزهد والقناعة ليقنقى بهم غيرهم ومن آدلهم أيضاً لا يعبىوا طعاما ولا يقبحوه لأن ذلك يدل على الشره له والحرص عليه وقد تقدم وهم غافلون عنه غائبون عن شأنه حتى يأتيهم الله بما قسم لهم وهذا منهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط كان إذا اشتهاه أكله والا تركه

(و) قوله ولم يكن قصدا فيطلبوه يعنى أن الطعام عند القوم لم يكن مقصودا عندهم فلا يهتمون بشأنه قبل حصوله حتى يطلبوه بل كانوا غائبين عنه مشغولين بذكر مولاىهم لا يلتفتون اليه الا عند الاضطراب فيطلبون ما يتقوون به على عبادة ربهم دون حرص ولا استكثار ولا شهوة ولا اختيار روى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام ما بال الأقرباء ومناولة الشهوات إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلق أن القلوب المعلقة بالشهوات عقولها محجوبة عنى (وحكى) أن بشر الخافى رضى في السوق فسل عن ذلك فقال نفسى طالبنى بخيارة منذ شنين فنتعنا ورضيت الآن بالنظر اليها فأعطينيها (وقال) بعضهم ما هى فورة جوع لا أبالى بما سددتها (و) قال آخر ليس لها علينا إلا كفايتها فلا نبالى فيه بطيب ولا ردى. وهذا ما لم يكن حراما وسيأتى التنبه عليه وما لم يكن أيضا مضرا للبدن والأحرام تناوله وليس تركه قادحا في التوكل وإنما هو

لا يزيد رجائهم وإذا وقعت منهم زلة لا يعظم خوفهم ولا تنقص استقامتهم كما أشار إلى ذلك في أول الباب السادس عشر بقوله وقال رضى الله عنه (إذا وقع منك ذنب فلا يكن سبياً يؤسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك) قلت السائر الصديق أو الواصل إلى التحقيق كالراكب المغير جادا في المسير كاد من السرعة أن يطير فاذا وقعت منه كربة أو سقطه أو صدرت منه عثرة أو هفوة استوى على جواده واستمر على اغارته في طلب مراده فاذا سقط وجعل يترغ في سقطته كان ذلك دليلاً على قوته وعدم تحصيل طلبه فاذا وقع منك ايها الفقير ذنب فلا يكن سبياً في قطعك عن الله أو يؤسك من الاستقامة مع الله فيتضاعف عليك وبال المعصية وتعظم في حثك المعصية والبلية فقد يكون ذلك رحمة بك وتنبها لك من سلك كحصول ملل وفرة فاذا سقطت نهضت وإذا قت جددت وقد يكون ذلك آخر ذنب قدره الله عليك وتأمل ما وقع لكثير من الأكابر كانوا الصوصا فصاروا خصوصاً أكابرهم بن آدم والفضل وأن يعزى وغيرهم من الأعيى فليكن لك بهم أسوة في حسن الظن بالله قال تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقطعوا من رحمة الله) الآية وقال تعالى (ومن يقطع من رحمة ربه إلا الضالون) وقال تعالى (لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، وقال عليه السلام: إن الله يحب كل مفتن نواب، يعنى كثير الذنب كثير التوبة قال تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) فهذه الآيات تقوى رجاء العباد وتوجب الاعتدال والسادد وقد بين أصل الرجاء والخوف ومتشاهما فقال (إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه) قلت إذا أردت ايها الإنسان أن يتقوى رجائك في الكريم المنان فاشهد ما منه اليك من الاحسان واللفظ والمبرة والامتنان فهل عودك إلا حسناً وهل أسدى اليك إلا متناً عليك بسط مته ولك هياً جته أنعم عليك في هذه الدار بغاية الانعام وما فتح لك بذلك حتى أعدك دار السلام باقية مستمرة على الدوام ثم اتخلفك بالنظر إلى وجهه الكريم تماماً على سابق احسانه القديم (وإذا أردت) أن يفتح لك باب الحزن والخوف فاشهد ما منك اليه من الاساءة والتقصير في العبادة أو من موافقة الشهوة والاسترسال مع

من مقتضيات الحكمة وجرى مع سنة الله في خواص مخلوقاته وما وقع من الحكايات فذلك أمر خارق للعادة وصاحبه محمول على بساط الحال محفوظ في ذلك الوقت فلا يقتدى به والله تعالى أعلم ثم ذكر آدابهم في الادخال فقال :

والقوم لم يدخروا طعاما بل تركوا الحلال والحراما
إلا بسيراً أقدر ما تيسرا إذ الحلال المحض قد تمذرا

(قلت) أخبر رحمه الله القوم لم يكونوا يدخرون شيئاً لوقت آخر وإنما كانوا يأخذون قدر حاجتهم في الوقت ويتصدقون بالفضلة وهكذا كانت سيرته صلى الله عليه وسلم في جبل أوقاته (قال) ابن ليون التجيبي في الإنالة وأما ترك الادخار فقد صح عنه في الأحاديث أنه عليه السلام يدخر (وقال) أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لند (وعن) عائشة رضى الله عنها أنه عليه السلام قال لبلال أطعمنا يا بلال قال يا رسول الله ما عندى إلا صبر من تمر نجاة لك قال ما تخشى أن يخسف الله به في نار جهنم أففق يا بلال ولا تخف من ذى العرش إن قللاً والصبر جمع صبرة وهو ما كدس من التمر وغيره من غير وزن ولا ككيل وقد نظم الشريشي هذا المعنى في رأيته فقال :

ولا تلك بمن يفارق خبزه فدية جود الحق دائمة القطر

الغفلة فانك ان شهدت ذلك دام حزنك وقرى خوفك وربما كان سببا في سوء ظنك بربك قتل قدم بعد ثبوتها (وفي الحديث) لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم آخرون يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم فدل الحديث على أن شهود الكرم أفضل عند الله من شهود الاتقام (وخصلتان) ليس فوقهما شيء من الخير حسن الظن بالله وحسن الظن بعباد الله وخصلتان ليس فوقهما شيء من الشر سوء الظن بالله وسوء الظن بعباد الله كما في الحديث وبقيت مرتبة ثالثة وهي الغيبة عن الرجاء والخوف بشهود مامن الله إلى الله وهو مقام أهل الشهود فلذلك اعتدل أمرهم في جميع الأحوال نعمنا الله بذكرهم آمين ثم أن ثمرة الرجاء ونتيجته البسط وثمره الخوف ونتيجته القبض فلذلك ذكره بهما فقال (ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستغفه في إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) قلت القبض والبسط خالتان يتعاقبان على الإنسان كتعاقب الليل والنهار فالليل على السكون والقرار والنهار على التحرك والانتشار القبض لاحظ فيه للنفس والبسط تأخذ النفس حظها منه وما لا حظ فيه للناس أقرب للسلامة وأعظم للإفادة فالقبض كالليل والليل على المناجاة والمصافاة وملاقة الأحباب ورفع الحجاب وربما أفادك في ليل القبض من اغتناس النفس وذهاب الحس ومولاة الأنس ما لا يستفيدك في نهار البسط من تحصيل العلوم وتحقيق الفنون ومجالسة الأخيار ومخالطة الأبرار فالقبض له فوائد والبسط له فوائد والعبد لا يدري أيهما أقرب له نفعا فتعين الوقوف مع ما يواجهه من جهة الحق فيلتقاء بالقبول والأدب وقد تقدم آداب كل واحد منهما عند قوله بسطك كي لا تتركك مع القبض الخ فلا تطلب البسط ان واجهك بالقبض ولا تطلب القبض ان واجهك بالبسط فقد تستفيد من أحدهما ما لا تستفيد من الآخر فلا تدري أيهما أنفع ولا أيهما أضرب لذلك استدل بالآية التي نزلت في ميراث الأب من الابن فالبسط كالأب انه ناشئ من شهود ما منه إليك وهو فعل الحق الذي صدر منه كل موجود وهو الأصلي والقبض كالأب لانه ناشئ من شهود ما منك إليه وهو الفراغ إذ الفعل كله من القدرة وأما الحكمة فإنما هي تغطية وإذا كان العبد جاهلا بمنفعتهما كجهله بالانفع من الآباء والابناء تعين متابعة الحق باتباع مراده واتجاهه حاله من غير تحول ولا انتفاع ولا تشوف إلى غير ما هو فيه من ذلك الحال بذلك يتور قلبه ويظهر سره وليه

(قال) سيدي أحمد بن يوسف القاسمي رضي الله عنه في شرحها يقول والله أعلم فلا تكن أيها المريد من الذين همهم بطنهم الملازمين لحزبه وهو غيره من المطبوعات في كل وقت وأوان بل اقتدى بنبيك صلى الله عليه وسلم في كونه كان لا يدخر لغد وينهى عنه كما اقتدى بذلك فيه أقوياء أمته الذين أردت سلوك طريقهم والاهتداء بهدبهم ولا تنشط إلى ما نهى عنه فتشط من المزية إلى الرخصة ومن الورع إلى الإباحة ولا يحجى منك شيء ولا يدخلك أيها المريد حين العمل بهذا كونك ترى أنك لا تجد ما تقوى به إذا أعطيت ما يفضل عن غذائك في الحال لمن يستحقه فإن قطر عطاء الله وجوده وفضله دائم الانصاب والانسكاب قد عمت جميع الخلائق منه :

(قال) في العوارف ومن أخلاق الصوفية الاتفاق من غير اقتار وترك الادخل وذلك أن الصوفي يرى خزان فضل الحق فهو بمثابة من هو مقيم على شاطئ بحر والمقيم على شاطئ البحر لا يدخر الماء في قربه وروايته (روى) أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال مامن يوم إلا وملكان يناديان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا (وروى) أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر لغد شيئا (وروى) أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طيور فاطعم خادمه طيرا فلما كان الغد أتاه به فقال له رسول الله ألم أتلك أن تحبها

فتكشف عنه الحجب والاستار وينتهي لحل الأنوار والأسرار كما أبان ذلك بقوله (مطالع الأنوار القلوب والأسرار) قلت المطالع جمع مطلع وهو محل طلوع الشمس وغيرها والأنوار هنا الواردات والكشوفات التي تكشف الحجب وترفع رداء الصون عن مظاهر الكون وقد تقدم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر عند كثير من الصوفية شيء واحد وما هي إلا الروح تتطور بحسب التصفية والترقية فما دامت مشغولة بمحظوظها وشهواتها فهي نفس ونورها مكسوف فإذا انزجرت وعقلت بمقال الشرع إلا أنها تميل إلى المعاصي والذنوب فآخرة تمضي وتوب وقارة نحن وتوب سميت عقلا ونورها قليل لأنها محبوسة في سجن الإكوان معقولة بالدليل والبرهان فإذا سكنت عن المعاصي إلا أنها تنقلب بين الغفلة واليقظة وبين الاهتمام بالطاعة والمعصية سميت قلباً وهو أول مطالع الأنوار فشرق عليه أنوار التوجه فلا تزال تترادف عليه الواردات وهي أنوار التوجه حتى يسكن إلى الله ويطمئن بذكر الله حيث تسمى روحاً وهو أول مطالع أنوار المواجهة فهذه الأنوار ينكشف الحجاب ويفتح الباب وتدخل في حضرة الاحباب فإذا انصفت من غش الحس وتظهرت من كدر الاغيار سميت سرا وهو أول مطالع أنوار المشاهدة فإذا تزكت من لوث الأنوار وهو الوقوف مع المقامات أو الالتفات إلى الكرامات سميت سرا وهو أول مطالع أنوار المعانية والمكاملة ثم لا حال ولا مقام يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجموا (وأما الترقى) في العلوم والمعارف فلا نهاية له على الأبد فالقلوب مطامع ومشارق أنوار التوجه والأسرار مطالع ومشارق أنوار المواجهة والمشاهدة والمعانية والروح والسر قريب بعضها من بعض في المرتبة فلذلك سكنت الشيخ عن الأرواح لاندراجها في الأسرار (والحاصل) أن النفوس والعقول الظلمة غالبية عليهما لانها كما في الحس وفنائها في النفس والجنس فليستاً مطلعاً لشيء من النور لعدم توجههما إلى الكريم المتفوق وأما القلب والروح والسر فهي مطالع الأنوار أي محل طلوعها وإشراقها إلا أن القلب مطلع لأنوار التوجه والروح والسر مطلعان لأنوار المواجهة وقد تقدم تفسيرهما عند قوله اهتدى الراحلون الخ وقد سوى الشيخ بينهما ومراده ما ذكرناه والله تعالى أعلم ثم بين ابتداء مطلع هذا النور وهو القلب ثم يشرق على الروح ثم على السر فقال (نور مستودع في القلوب مدده النور الوارد من خزائن النيوب) قلت النور المستودع في القلوب هو نور اليقين ويكون أول اضئفا

شيئاً لعد فان الله يأتي برزقي غد (وروي) عن عيسى عليه السلام انه كان يأكل الشجر ويبيت حيث أمسى ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يجرب ولا ينجا شيئاً لعد فالصوفي كل خباياه في خزائن الله لصدق توكله وثقته بربه فالدين للصوفي كدار الغربة ليس له فيها ادخل ولا له منها استكنار (قال) عليه الصلاة والسلام لو توكلت على الله حق توكله لرقم كاتر في الطير تنمو نخاصاً وتروح بطائناً (ثم) قال وورد أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم انه نهى أم أيمن عن أن تدخر لعد شيئاً ونهى بلالا عن الإدخال في كسرة خبز ادخلها ليفطر عليها فقال أنفق يا بلال ولا تحف من ذي المرش إقلالا وقال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تنحيا

(وأما) ادخله صلى الله عليه وسلم فليأله وتشرباً وتبيناً للضعفاء من أمته كما أن ترك ادخله يعد تعليماً للأقوياء منهم حسبما ذكره الامام أبو حامد رضي الله عنه وقال بعضهم فعله صلى الله عليه وسلم دائر بين الاباحة والورع فادخله قوت سنة بيان للإباحة وعدم ادخله ورع وشأن أهل الطريق الاخذ بالعزائم دون الرخص التي لم يندب العمل بها أماماً نذب الاخذ به منها كالمقصر في السر ونحوه فاتهم يسارعون إليه ويحافظون على تحصيله على ان المعارف علم يصرفونه بحسب الأحوال والمعارض قد يغني على من ليس من أهله فقد كان بعضهم لا يقصر في سفره مقاتلاً للناس في ترك قصر الصلاة للفقراء نية حسنة يحجون اغتنام الصلاة خلفهم فلا يحرمهم من نيتهم ثم ان الشبهة تختلف باختلاف المقامات فمن كان من أهل

كنور النجوم وهو نور الإسلام ثم يزال يتقوى ويستمد من النور الوارد من خزان النيوب حتى يكون كنوز القمر وهو نور الإيمان ثم لا يزال ينمو بالطاعة والذكر والصحة حتى يكون كنوز الشمس وهو نور الإحسان وخزان النيوب هي أنوار الصفات وأسرار الذات فها تستمد أنوار الإسلام وأنوار الإيمان ثم تشرق أنوار الإحسان فينتعطي وجود الأكران (قال في التنوير) ولو أنهتك حجاب الوهم لوقع العيان على قد الأعيان ولا تشرق نور الإيقاظ قطي وجود الأكران اهـ .

(واعلم) أن وجه اصطلاح الصوفية رضى الله عنهم في ترتيب الاسلام أولا ثم الايمان ثم الاحسان ان العبد ما دام مشغولا بالعبادة الظاهرة الحسية سمي ذلك المقام مقام الاسلام فاذا انتقل العمل للقلب وهو اشتغاله بتصفية القلب بالتخليه والتخليه وتحقيق الاخلاص سمي ذلك مقام الايمان فاذا انتقل العمل للروح وللسر وهو الفكرة والنظرة سمي مقام الاحسان بخلاف الفقهاء فانهم يقدمون الايمان على الاسلام فيقولون لا يصح شئ دون الايمان ولا مشاحة في الاصطلاح قد علم كل أناس مشربهم :

(قال) بعض المحققين اعلم أن لعالم الملك وهو علم الشهادة أنوار ظاهرة ولعالم الملكوت وهو عالم الغيب أنوار باطنة وأشهر ما في عالم الملك ثلاثة أنوار نور الشمس ونور القمر ونور النجوم ويقالها من عالم الملكوت نور المعرفة ونور الفهم ونور العلم فيطالع نجم العلم في ليل الجهل تبدو الآخرة والأمور النبية ويطلوع قر الفهم في أفق التوحيد يشاهد قرب الحق ويطلوع شمس المعرفة في أفق التفريد يقوى اليقين ويبلوح وجه المشاهدة وأول نور يلج في الصدر نور الاسلام فاذا انشرف القلب به انقذف فيه نور الايمان فاذا تقوى فيه صار شهوداً اه المراد منه (قلت) وهذا النور وسع القلب معرفة الحق وهو الذي أشار اليه في الحديث القدسي ان يسعى أرضي ولا سائق ووسعى قلب عبدي المؤمن فانظر هذا القلب الذي وسع الرب سبحانه ما أعظمه وأجله فتجب يا أخى إلى أرباب هذه القلوب التي وسعت علام الغيوب حتى يوصلوك إلى ما وصلوا اليه من علم الغيوب وباقه التوفيق ثم ذكر ثمرة النور وهي الكشف عن حقائق الأشياء فقال (نور يكشف لك به عن آفاده ونور يكشف لك به عن أوصافه) قلب أصل النور من حيث هو الكشف فالنور الحسى يكشف عن المحسوسات والنور المعنوى يكشف عن المفهومات (أو تقول) نور الحس يكشف عن الآواني والنور المعنوى يكشف عن المعاني ولا عبرة برؤية

الحقيقة مثلاً وأتى اليه بشئ حلال ثم شاهد الخلق قبل الحق فأهل الظاهر لا يفتنون إلا بخلية وأهل الباطن يحكون بشبهه فيقع التورع عنه كما وقع للشيخ أبو مدين رضى الله عنه وكذلك الادخل من أصله وإن كان حلالاً من طريق الأحكام لكنه شبهة عند أهل الباطن ذوى انتهى والاحكام في حق من لم يكمل حاله ويستقيم بيقينه ويستوى عنده الوجد والفقد (وقال) الشيخ عبدالمعز المهدي رضى الله عنه الورع الا يخطر الرزق يبال ولا يكون ينك وبينه نسبة لا في التحصيل ولا عند المباشرة لأنه لا يدري أبأكله أم لا (وقال) الشيخ أبو طالب رضى الله عنه ويقال من اهتم برزق غد فهى خطيئة تكتب عليه سيئة (وقال) سفيان الثوري رضى الله عنه الصائم اذا اهتم في أول النهار بعشائه كتبت عليه خطيئة (وكان) سهل يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال أعرف بالبصرة مقبرة عظيمة يندى على موتاهم برزقهم من الجنة بكرة وعشية يرون منازلهم من الجنان وعليهم من النعوم والكروب ما لو قسم على أهل البصرة لما تروا أجمعين قيل ولما قال كانوا اذا تندوا قالوا بأى شئ تمشي وإذا تعشوا قالوا بأى شئ تغذى اه وقد وقع النهى منه صلى الله عليه وسلم ومن الذين من بعده عن الادخار في زمانهم الذي كان الحلال فيه كثيراً فكيف بزمانك الذي غلب فيه الحرام فالأولى أن تلزم الضرورة فلا تأخذ

الأواني خاوية عن المعاني ثم إن النور المعنوي ينقسم على ثلاثة أقسام باعتباره القوة والضعف فنور الاسلام الذي هو كالنجوم يكشف لك الحق تعالى به عن وجود آثاره فتستدل بها على صانعها ونور الإيمان الذي هو كالقمر يكشف لك به عن ثبوت أو صافه فلا يتحرك شيء أو يسكن إلا تراه بقدرته وإرادته وعلومه حياته إلى آخر صفاته ونور الاحسان يكشف لك به عن حقيقة ذاته فلا ترى شيئاً إلا رأيت صانعه فيه بواسطة تجلياته الله نور السموات والأرض، فنهاية كشف النور الاول الفناء في الافعال ونهاية كشف النور الثاني الفناء في الصفات ونهاية كشف النور الثالث التمكين في الفناء في الذات واستغنى الشيخ عن النور الثالث بذكر النور الثاني لأن الفناء في الصفات قريب من الفناء في الذات لأن الصفات لا تفارق الموصوف فمن كان يرى سمعه بالله وبصره بالله وحركته بالله يرى وجوده بالله ولذلك استغنى بعضهم بالفناء في الذات عن الفناء في الصفات لتقاربهما فهما تحقق أحدهما تحقق الآخر والله تعالى أعلم ويحتمل أن يريد بقوله قرر يكشف لك به عن آثاره النور الحسى المدرك بالبصر الحسى ونور يكشف لك به عن أوصاف نور البصيرة المعنوي وعليه أقصر الشيخ ابن عباد رضى الله عنه لكن نور البصر الحسى لا يستقل بإدراك الموثر في الاثر ما لم غده الانوار الباطنية العقلية فالمدار إنما هو على الانوار الباطنية وأما الحسية فمدركة اكل أحسنى البهائم فلا خصوصية لها والله التوفيق ثم المطلوب من العبد هو الترقى من نور شهود الاثر إلى نور الصفات ثم الى نور شهود الذات وقد تقف بعض القلوب مع النور الاول فتحب عن الثاني ومع الثاني فتحب عن الثالث كما أبان ذلك بقوله (ربما وقتت القلوب مع الانوار كما حجب النفوس بكثائف الاغيار) .

قلت قد تقف بعض القلوب مع أنوار المقامات دون الوصول الى النهايات فتحب عن الوصول كما حجب النفس بكثائف المحسوسات عن إدراك لطائف المعاني والفهمات وذلك اما لعدم شيخ التزكية أو لضعف الهمة عن الترقية فقد ينكشف لبعض القلوب عن سر توحيد الافعال فتفى في العمل وتذوق حلاوته فتقف معه وهوافق الحقيقة تاديبها الذي يطلبه اماما كما قد ينكشف لها عن سر توحيد الصفات وتلوح لها أنوار المقامات كتحقيق الزهد والورع وصحة التوكل والرضى والتسليم وحلاوة المحبة والاشتياق إلى غير ذلك فتقتنع بذلك وتقف هناك والمطلوب هو الكشف عن سر توحيد الذات وأنوار الصفات وان إلى

الافاقة وضرورة ولا تاكل إلا كذلك وقد كان شقيق البلخي رضى الله عنه يقول في سنة تسعين ومائة ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارات والصنائع شبهت كلها لا يحل الاستكثار منها لوجود النش وعدم النصح قال وإنما ينبغي في أن يدخل فيها ضرورة (و) قوله بل تركوا الحلال والحرام يعنى أن القوم تركوا الاكثار من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام فتركوا الحلال زهدا وتركوا اقصى وتركوا الحرام المتشابه ورعا (و) قيل الورع هو ترك الحرام والمتشابه وهم بطالبون أنفسهم بحقائق ذلك (وقد) روى عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ناجى موسى بمائة ألف وأربعين ألف كلمة في ثلاثة أيام فلما سمع موسى كلامه الآدميين مقبهم لما وقع في مسامعه من كلام الرب عز وجل فكان ما ناجاه ربه ان قال يا موسى أنه لم يصنع لى المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا ولم يتقرب الى المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم ولم يتعبد لى المتعبدون بمثل البكاء من خشية قال موسى يارب البرية كلها ويا ما لك يوم الدين وبأذى الجلال والاكرام فما أعددت لهم وماذا جزيتهم قال أما الزهاد في الدنيا فاني أبجتهم حتى يتبؤرن فيها حيث شاءوا وأما الورعون عما حرمت عليهم فانه إذا كان يوم القيامة لم يبق عبد إلا ناقشته الحساب وقشته إلا الورعون فاني أستحيهم وأجلهم وأكرمهم وأدخلهم الجنة بغير حساب وأما البكاهون من خشية فأولئك لم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه رواه الطبراني وغيره (وقوله) (اليسير الخ) يعنى أنهم يأخذون اليسير على وجه العاقبة والضرورة ويترون الزائد وسواء كان أخذهم

ربك المنتهى فالنور عبارة عن الخلاوة والقوة التي يجدها المريد في باطنه من مزيد إيمان وقوة إيقان خلاوة الخدعة لأهل
الفناء في الأضال وحلاوة الذكر الحسى اللسانى أو القلبى لأهل الفناء مع الصفات مع الحجاب وحلاوة الفكرة والنظرة لأهل
الفناء في الذات (وإن شئت) قلت ربما وقعت القلوب مع أنوار الأحوال فتجذب عن مقامات الرجال أو مع أنوار
المقامات فتجذب عن معرفة الذات ولذلك قال الشيخ ابن مشيش تلميذه أبى الحسن اشكو إلى الله من برد الرضى والتسليم
كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار عافى رضى الله عنه أن يجذب بحلاوة الرضى والتسليم عن شهود الذات (واعلم)
أن الوقوف مع الأحوال والمقامات إنما هو من عدم الوصول إلى الشيخ وأما من صحب الشيخ وأكثر الوصول إليه فلا بد
أن يرحله إلى المقصود إلا أن يرى همته ضعيفة لا تطيق أنوار الشهود فيتركه على ما هو عليه حتى تهبط همته إلى شهود
المعبود وشبه الشيخ رضى الله عنه حجب القلوب بالأنوار بحجب النفوس بالأغيار لاشتراكهما في الحجب عن الله لكن
حجب النفس بالأغيار أشد لأنها ظلمة والظلمة أشد حجاباً من النور فالقلوب نورانية حجبت بالنور والنفوس ظلمانية
حجبت بالظلمة وكثافت الأغيار هي مظهر من بهجة الدنيا وزخرفها وزهرتها وهي التي أشار إليها الحق تعالى بقوله
(زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطر المقنطرة) الخ الآية ويدخل فيها ما لا يهمنها من حب الجاه والرياستوجب
المدح والتعظيم وغير ذلك من شهواتها وعوائدها وهي التي حجبت جل الناس وساقطهم إلى الخيبة والافلاس نسأل الله
العصمة بمنه وكرمه ويدخل في الأغيار العلوم العقلية واللسانية فالاشتغال بها والوقوف مع حلاوتها من أشد الحجب عن
معرفة الله أعنى المعرفة الخاصة ويدخل فيها أيضاً الكرامات الحسية كالطيران في الهواء والمشي على الماء فالوقوف مع
ذلك من أشد الحجب أيضاً ولذلك قال بعضهم أشد حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد فسيحان من حجب العلماء
بعلهم عن معلومهم والعباد بعبادتهم عن معبودهم والصالحين بصلاحهم عن مصلهم والله من وراء ذلك كلوه في ذلك يقول
الششتري رحمه الله :

تقيدت بالأوهام لما تداخلت عليك ونور العقل أورتك السجنا
وهمت بانوار فهمنا أصولها ومنبعها من أين كان فاهمنا

لذلك بتكسب أو غيره لأن أخذ ذلك لا بد لهم منه لوجود الضرورة شرعاً ودخول التكلف ليس من شأن الفقير بل أموره
كلها على التيسير فلا يكلف ولا يتكلف لقوله عليه السلام أنا وأتقياء أمتي برآء من التكلف ولأن التكلف ينافي التوكل وترك
الاستيباب من غير إذن بنافي الأدب ولكن كما قال صلى الله عليه وسلم لو توكلت على الله حتى توكله لرزقتم كما ترزق الطير
تغدو خصاصاً وتروح بظاناً فلما توكلوا على الله كفاهم كل مؤنة لقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كفيه (وقوله)
إذا الحلال المحض قد تعذر الحلال المحض هو الخالص الذى لا شوب فيه ولا اختلاف وقد تقدم قول شقيق إن المكاسب
اليوم قد فسدت الخ كلامه (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فأما ما يجرى على اختلاف العلماء الزاجع المروجح فهو موجود
وقال العلماء إذا فقد رأساً أقيم من عشرة أشياء تجارة بصدق (و) اجارة بنصح (و) أعشاب الأرض غير مملوكة (و) هدية من أخ
صالح (و) صيد البر حيث يباح (و) صيد البحر (و) مهر النساء بطيب نفس (و) قسمة المقيم على وجه شرعى (و) الميراث على أصل
مجهول (و) السؤال عند الحاجة وكثيراً ما يجرى على ألسنة المتدينين أن الحلال ضلالة مفقودة أى معدوم هو أمر يجعلونه
عكازاً للإسترسال وأخذ كل ما والاهم بل الحلال موجود ولو لم يكن موجوداً في كل زمانا مكنتنا بطليبه ولا تقطع أولياء
الله سبحانه إذ هو قوتهم وذلك باطل وأيضاً إذا حرمت الكل حلت الكل وكل من يبدى شيء يتأفق فيه حكم الله

وقد تجب الأنوار الباطنية ما تبعد من الظلام نفس حوت ضفتنا

وحكمة وجود هذه الأنوار الحسية لأغيار الظلمانية تغطية وستر لأنوار السرائر الباطنية كما أبان ذلك بقوله (ستر أنوار السرائر بكتائف الظواهر اجلالها أن يتبدل بوجودها لظهور وان ينادى عليها بلسان الاشتهار) قلت أنوار السرائر هي العلوم الدنية والمعارف الربانية وبمجملها علم الروبية الذي يجب كتمه عن غير أهله ومن أباحه أبيع دمه وهو الذي قتل بسببه الحلاج وكتائف الظواهر هي البشرية الظاهرة (أو نقول) أنوار السرائر هي الحرية الباطنية وكتائف الظواهر هي العبودية الظاهرية (أو نقول) أنوار السرائر هي علم القنطرة الباطنية وكتائف الظواهر هي علم الحكمة الظاهرة فأنوار السرائر معان لطيفة رقيقة سترها الله تعالى بالكتائف الظاهرة ولذلك وقع الإنكار على أهلها قد بما وجدنا حتى قال الكفار ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وقالوا ما هذا إلا بشر مثلكم ووقع الإنكار على أولياء الله سببه ماضية وحكمة ذلك لإجلال وتعظيم لها أن يتبدل وتظهر بوجد الإظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشتهار فلا يبقى لها سر ولا عجز ولهذا طلب الأولياء بالخمول واستعمال الخراب والتليس قال الششتري رضي الله عنه

إذا رأيت الوجود قد لاح في ذاتك
هودس ولازم الجحود ذاتك صفاتك
واضرب بترسك لا عقود وألق عصاتك

والمهودس التحقق والترس ما يستر به الإنسان مواقع التبل والمراد بالعقود العلائق والشواغل أى اضرب بترسك عزيمتك وعزائمك والقاء المعنى كناية عن طرح كل ما يستند إليه أو يعتمد عليه من أمحباب أو أحباب أو أسباب أو حول أو قوة أو غير ذلك مما يقع الركون اليه ويحتل أن يريد بأنوار السرائر معاني الصفات السارية في الذات وكتائف الظواهر المحسوسات الظاهرة فلا ظهور الصفات إلا بالذوات الحسية ولا قيام للذوات إلا بالصفات فستر الله سبحانه صفاته الأزلية اللطيفة بظهور الذوات البشرية الكثيفة صوتاً لستر الروبية أن يتبدل بالإظهار أو ينادى عليه بلسان الاشتهار

من الآن (وقد) كان شيخنا البوزيدي يقول من بيده شيء لا يعرف فيه دخول حرام بالاصالة ولا معاملة قبيحة مقصودة فمن أين يحرم ماله وما غلب على الناس من الجهل ورقة البداية لا يحرم ما بأيديهم لأن الإنسان لا يخاطب إلا بما في عليه ثم قال إن الله خلق المال خللاً كما خلق الماء طهوراً فكما لا ينسج هذا إلا ما غيره ما يحرم هذا إلا ما غيره إلا أن السلف رضي الله عنهم لم يفهم بكتائف النفوس تساهلوا في الطهارة لحصرها وشدوا في باب الكسب لتساهل النفوس فيها حتى جرى في قواعدهم في باب الطهارة أن الأصل مقدم على الغالب وفي باب الحلال والحرام الغالب مقدم على الأصل وهي مسألة اختلاف وقد أهمل الناس في هذه الأزمنة باب الحلال والحرام لا سيما في بلاد المشرق فليكن الفقير من ذلك على بال ومن يصحب العلم فلا يضل ولا يضيق عليه الواسع بل لا يزال في فسحة مالم يتغير وأشار ابن الفكيهي إلى أنه ينبغي عدم التعرض للبحث في هذه الأزمنة والوقوف مع ظاهر الأحوال لأن البحث لا يجب حيث لا علامت وجوده لا يكشف عن خير وأكثر العلماء على أن الحلال ما جهل أصله والمحدثة الذي جعل في الأمور سعة انتهى كلامه مع بعض اختصار (وقال) الشيخ أبو الحسن أحل الحلال مالم يحظر لك على بال ولا سألت فيه أحداً من النساو الرجال أه ثم أشار الناظم إلى ما يفعل بالفضلة على الحاجة

(والحاصل) أن الأشياء كلها قائمة بين ذات وصفات بين حس ومعنى بين قدرة وحكمة فستر الحق سبحانه معاني أسرار الذات اللطيفة بظهور النوات الكثيفة وستر المعنى اللطيف بالحس الكثيف وستر القدرة بالحكمة والكل من الله وإلى الله ولا موجود سواه وهذه الكثائف الظاهرة هي أردية وقصر للمعاني اللطيفة (أو تقول) هي رداء الصون الذي نشر على الكون فإذا انتهك الرداء أو قطع بقى المعنى سالماً فالتصرفات القهرية إما تنجر الأردية والستور دون المعاني والنور فالحق منزّه ومقدس أن يلحقه ما يلحق العبيد فلتكف عن طلب المزيد والعجز عن الإدراك من وصف العبيد وقد مثلوا أيضاً كون المعاني اللطيفة في الأشباح الكثيفة بالحجوب اليابسة في الأغصان الرطبة فهي كمنة مسترة فإذا نزل المطر اخضرت الأشجار وأخرجت الثمار التي كانت كمنة فيها وإلى هذا المعنى أشار ابن البناء في مباحثه الأصلية حيث قال :

وهي من النفوس في كون كما يكون الحب في الفصوص
حتى إذا أرعدت الرعود وانسكب الماء ولان العود
وجال في أغصانها الرياح فتندما يرتقب اللقاح

(هذا آخر الباب السادس عشر) وحاصلها آداب السائر في حال سيره بحيث لا يقف مع معصية ولا يركن إلى طاعة ولا يثاب عليه خوف ولا رجاء ولا قبض ولا بسط بل يبرز من الغيب فيلتقط بالمعركة والرحب فإذا فعل ذلك أشرق عليه الأنوار فتخرج من رق الآثار حتى تقضي به إلى شهرة الملك القهار لكن لا بد للحسناء من تقابل الشمس من سحاب واليوافيت من صوان تخفيت الأنوار بكثافت الأغيار إجلالها أن تتبدل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الأشجار فمن أجل ذلك أثنى أوليائه في خلقه فلا يطلع عليهم إلا من أراد أن يخصه بما خصهم به من سره كما أبان ذلك في أول الباب السابع عشر بقوله رضى الله عنه (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه) قلت الدليل هو الموصل للطلب فإذا صار الحق تعالى بك إلى ولى عارف به وذلك عليه فقد سار بك إلى معرفته وذلك عليه فهما ذلك على وليه وأطلعك على سره فقد ذلك عليه قطعاً ووصلك إلى حضرته

(قلت) أشار بقوله بلا تكليف إلى أن ما يدخل على الفقير كله من باب التيسير بلا كلفة ولا تدير فإن كان من غير سبب فأمره ظاهر إلا أن ينبغي أن يسبق نظره في الأخذ إلى الحق دون الخلق فإن سبق نظره إلى الخلق فقتضى الورع عند الخصوص ألا ينيل نفسه شيئاً منه كما وقع للشيخ أبي مدين رضى الله عنه أنه حمل قمع فاذعته نفسه وقالت له ياترى من أين هذا فقال لها أنا أعرف من أين هذا يا عبدة الله فأمر به بعض أصحابه أن يرفعه لبعض الفقراء عقوبة لها لكونها رأت الخلق قبل رؤية الحق تعالى (و) ينبغي له أيضاً ألا يتشوف إليه قبل حصوله فإن تشوف لشيء منع نفسه منه كما وقع لأيوب الخليل مع أحمد بن حنبل في قصة الحيز وهي مروية (و) أما إن كان بسبب شرعى فينبى أن يكون ذلك خفياً غير شاغل عن ذكر الله وأن يكون مقصوداً به الأدب مع الحكمة غير ملتف له ولا ممتد عليه (قوله) ابتداءه بالجوار والضعيف أشار إلى كيفية تهريق الفاضل عن الحاجة وأنه يقدم الآم فالآم لحديث أبدأ بنفسك ثم عن تعول (قال) رجل يارسول الله عندى دينار قال انفق على نفسك قال عندى آخر قال انفق على عيالك قال عند آخر قال صل به ذوى رحمتك قال عندى آخر قال اصنع به ما شئت الحديث وحق الجار معلوم بالدين فيؤثرون على غيره بعد المراتب المذكورة ويؤثرون من الجيران أحوجهم فإن استوا فأقربهم إليك باباً وإن كان هنالك ضعيف لاجوار

سرياً لم يجعل الحق سبحانه الدلالة على أولياته والوصول إليهم إلا من جهة الدلالة عليه ولم يوصل أحد إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه فلاجل هذه الملازمة وعدم الانفكاك تعجب الشيخ من ذلك (وقال) شيخنا رضي الله عنه في قول المؤلف رضي الله عنه وصورك إلى الله وصورك إلى العلم به قال وصورك إليه وصورك إلى عارف به يعني مهما وصلك إلى عارف به وأطلعك عليه فقد وصلك إليه ومهما حجبتك عن العارفين به فقد حجبتك عنه فلا طريق إلى معرفة الله إلا من طريق معرفتهم ولا دليل على الله أغنى على معرفته الخاصة باليانة إلا من حيث الدليل عليهم وكما حجب الحق سبحانه ذاته المقدسة بعزته وقهرته كذلك حجب أوليائه بما ظهر عليهم من أوصاف البشرية فلا يعرفهم إلا من سبقت له العناية الربانية إذ لا يعرف الخواص إلا الخواص (قال) في لطائف المنن أهل الله من خاصة عباده أم عرائس الوجود والعرائس محجوبون عن المجرمين فهم أهل كيف الأيواء قليل من يعرفهم وقال الشيخ أبو العباس الرمسي رضي الله عنه معرفة الولي أصعب من معرفة الله فإن الله معروف بجماله وبجماله ومتى تعرف مخلوقاً مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ثم قال (وإذا) أراد أن يعرفك بولي من أولياته طوى عنك شهود بشريته وأشهدك وجرد خصوصيته اه وأيضاً فإن الولي لا يعرف بالصورة الظاهرة وإنما يعرف بالمعاني الباطنة لأن الله لا يعيا بالصور رب أشعت أغشى طمرين نواقم على الله لا يره في قسمه فن أراد معرفته بالصورة فلا يعرفه لأنه لا يرى إلا بشراً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فالعين لا ترى إلا الأجسام الكثيفة التي يطرأ عليها ما يطرأ على أهل الحجاب ولم يدرك ما انطوت عليه الصورة من المعاني اللطيفة والأسرار المنيفة فن أراد الله سعادته رزقه الاعتقاد والتصديق أولاً ثم الهداية والتوفيق ثانياً فالتصديق بأسرار الولاية أو المعرفة ولهذا قال الشيخ أبو الحسن (التصديق) بطريقتنا هذه ولاية وقال بعضهم ه رجال لا يعرفهم إلا الخاصة وهم رجال يعرفهم الخاصة والعامة وهم رجال لا يعرفهم إلا الخاصة والعامة وهم رجال أظهرهم في البداية وسترهم في النهاية وهم رجال سترهم في البداية وأظهرهم في النهاية وهم رجال لا يعرفهم سراً ولا يطلع على ما بينه وبينهم إلا الحفظة الكرام الذين وكلوا بحفظ السرائر وهم رجال اختص الله بمعرفتهم لا يظهر حقيقة ما بينه وبينهم إلا الحفظة فمن سواهم حتى يلقوه فهم شهداء للملكوت الأعلى

له والجيران أشياء قدموه لأن سد الخلل مقدم على الأبرار والاخوة في الله مقدمة على غيرها هذا كله في الفضلة والابتنار لا في باب الاضطراب بحيث إذا أعطاه هلك واختلت بنيت عن العبادة فذلك متنوع والابتنار ما يحتاج إلى الصبر عند اعطائه من غير اخلال في قوته ولا ضرر فادح يلحقه والفضل لا يلبثه منه شيء من ذلك والله تعالى أعلم ثم أشار إلى ورعهم وتحفظهم من الحرام والمتشابه فقال :

وجنبوا طعام أهل الظلم والبنى والنساذخ والاثم
بل أكلوا ما استبان حله غير الذي لا يعرفون أصله

(قلت) أهل الظلم هم ملوك الجور والعمال المضروب على أيديهم وأهل البنى هم السراق والمحاربون وأهل الفساد من يتعامل بالربا وبالمعاملة الفاسدة ولا يتحاشى من الحرام ويحتمل أن يكون أهل البنى والفساد شيئاً واحداً وهم اللصوص ومن يلحقهم عن لا يتقى الله في معاملته ولا يتحفظ من الحرام في ما كاله وما لبسه وغير ذلك ويدخل في أهل الظلم قضاة الجور الذين يقضون الأجرة على مجرد الحكم وكذلك العدول الذين لا يتحاشون من أموال المسلمين مهما قدروا عليها عصمتا الله من جميع ذلك (قال) الشيخ زروق رضي الله عنه وأما تجنبهم طعام الظلمة ونحوهم فلو جره (أحدها) مافى

ومالمقربون ومالذين يتولى الله قبض أرواحهم بيده ومالذين طابت أجسامهم من طيب أرواحهم فلا يعدو عنها الأثرى حتى يعيشون مشرقين بأنوار البقاء المجمول فيهم يبقا الأبد مع الباقي الاحدوم المحققون تحت حجاب الآس الغموسون في بحار المحبة والقدس فليس لهم مع غير قرار ولا عن أنفسهم أخبار تولى الله شأنهم ومن يتولى الله رسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون اهـ .

(قال) الشطبي وهذه الأسرار التي انطلت عليها أسرار الأولياء واحببت عن العامة هي أسرار الملكوت الغيبية التي أشار إليها بقوله (ربما أطلعك غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراق على أسرار العباد) قلت الملكوت مبالغة في الملك هذا باعتبار اللغة وأما باعتبار اصطلاح الصوفية فالعالم ثلاثه ملك وملكوت وجبروت فالملك ما يدرك بالحس والوهم والملكوت ما يدرك بالعلم والفهم والجبروت ما يدرك بالبصيرة والمعرفة وهذه العوالم كلها واحد وهو لوجود الأصلي والفرعي وإنما تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقى في المعرفة فالوجود عند المحققين من العارفين واحدهم لطيف غيب لم يدخل عالم التكوين وقسم كثيف دخل عالم التكوين فالأول يسمى عالم الغيب والثاني عالم الشهادة وما كان خفيا في عالم الغيب ظهر في عالم الشهادة فمن نظر إلى حس الأشياء الظاهرة سمى ملكا ويسمى أيضا عالم الحكمة وعالم الأشباح ومن نظر إلى أسرار المعاني القائمة بالألوان وهي أسرار الذات القائمة بأنوار الصفات سمى ملكوتاً ومن نظر إلى الأسرار الأزلية التي كانت حال الكثرة التي لم تدخل عالم التكوين سمى جبروتاً أو تحول ومن نظر إلى الكثيف الذي دخل التكوين ورآه مشتقاً بنفسه قائماً بقدرة الله سمي في حقه ملكاً وهو لأهل الحجاب من أهل الفرق ومن رآه نوراً فافاض من النور اللطيف متصلاً به إلا أنه تكثف بالقدرة وتترتب بالحكمة سمى ملكوتاً وسمى اللطيف الباقي على أصله الذي لم يدخل عالم التكوين الذي هو أول شيء وآخر كل شيء ومحيط بكل شيء جبروتاً فأنضم الفرع إلى أصله والكثيف إلى اللطيف سمي الجميع جبروتاً وهذه المعاني لا يفهمها إلا أهل الأذواق بصحبة أهل الأذواق وحسب من لم يبلغ لهذا المقام التسليم وإلا وقع في الإنكار على أولياء الله بما لم يحيط به علماً ولزج إلى كلام الشيخ رضي الله عنه فقوله ربما كشف الله عنك الحجاب وترقت إلى الدخول مع الاحباب فأخرجك من بين رؤية الأكوان إلى مشهد الملكوت ومن عالم الأشباح

أرضائهم من الموالاة التي لا تحل أي لانهم يفرحون بأكل طعامهم أهل الصلاح والخير مع ما هم عليه من الظلم مالم يحش الضرر الواضح (الثاني) ما فيه من تسلطهم على المتسعين اما بسوء الظن بالجهل لا عقادهم حرمة ما بأيديهم وان من يأكله لا أخلاق له فيستهنون بهذا الشخص بل بكل أهل جنسه يجعله حجة على غيره من لا يقدر أن يتوسع أو توسع أو ضيق حضيرة أي ضيق دائرة معرفته فيقول فلان أكبر منك أكل طعامي وما تكون أنت منه فيؤذي لذلك (الثالثة) ما فيه من إعانتهم على ما هم فيه إذ يرون أنفسهم حجتاً منهم من أهل الخير ويقولون لورأى منافلان ما يكره ما كل طعامنا لا سيما إن وجد له وجه في إباحة ذلك وتجراً على الله بنسبتها لأهل الله كما يفعل بعض من وهن الإيمان في قلبه والعباد بالله (الرابع) ما في ذلك من ميل النفس لهم ومحبتهم وقد قال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تجعل لمنافق على يدا فتجبه نفسي (وخك) أبو نعيم في حله أن ابن المبارك دخل على الخليفة فرعظه وذكره فأعطاه مالا فأشترى به عبداً فأعتقه فقال له محمد بن واسع في ذلك فقال له ذكرتهم بالله ووعظتهم وأخذت منهم مال الله وصرفته في وجهه فقال محمد بن واسع الله قسم قلبك الآن لم كما كان قال لا فاستغفر رحمة الله على الجميع (الخامس) ما في ذلك من تناول الشبهة من غير ضرورة فقد قال الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه من كان من قدام هذا الزمن مؤثراً للسلع أكل لا لأموال الظلمة فيه زعة

إلى عالم الأرواح فأطملك على غيب ملكوته فأبصرت الكون كله نوراً فائتداً من بحر الجبروت فألحقته بأصله ونفيت عن شهود الملك الذى هو عالم الفرق بشهود الملكوت الذى هو عالم الجمع الذى قال فيه ابن البناء :

مهما تعدت عن الأجسام أبصرت نور الحق ذا انقسام

وحجب عنك الاستشراف على أسرار العباد رحمة بك لأنك قد تحجب بذلك عن شهود الملكوت فلا عبرة عند المحققين بمكاشفة أسرار العباد فقد تكون عقوبة في حق صاحبها كما يأتي وقد يكون ذلك لمن لا استقامة له أصلاً كالكهنة والسحرة وغيرهم والغالب أن أهل شهود الملكوت يحبون عن مكاشفة أسرار العباد لاشتغالهم بما هو أعظم وأحظى عند الله وإنما تكون هذه المكاشفات عند العباد الزهاد وأهل الرياضات والمجاهدات ولا تنكر أن تكون عند العارفين فقد تجتمع لهم المكاشفة والكشف أى مكاشفة أسرار العباد وكشف الحجاب عن القواد إلا أن الغالب هو استغراق الروح في شهود نور الملكوت دون الاستشراف إلى أسرار العباد التي هي من عالم الملك وقد كان الشيخ أبو يعزى رضى الله عنه يطعم على سائر الناس ويفضضهم فكتب إليه شيخه أبو شعيب أيوب المعروف بالسارية من أزمور يخبر من ذلك وينهاه عن ذلك أسرار المسلمين فكتب له الشيخ أبو يعزى يحبه ليس هذا من قدرة البشر أن يسع أحد معرفة أسرار العباد وإخراج عيوبهم من عالم الغيب إلى عالم الشهادة وإنما هو شئ يلقى إلى ويقال في قل واسمع الخطاب أنت آية من آيات الله والمراد منك أن يتوب الخلق على يديك فتأخذ في غلبة وتستولى على ملكة لا أقدر معها عن الكف عن القول اه وكان الشيخ أبو عبد الله التاودي يقول ما فعله الشيخ أبو يعزى في ستة عشر سنة فعلته أنا في أربعين يوماً ولم يشم لطريقنا هذه غباراً والله تعالى أعلم وكلم أولياء الله نفعنا الله بذكرهم وليس قصدنا تقيص أحد منهم وإنما مرادنا أن طريق المكاشفة ليس هي النهاية بل قال بعضهم هي البداية وباقه التوفيق وقد تكون وبالا في حق المريد كما أبان ذلك بقوله (من أطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسيأى بحر النوبال إليه) قلت الاطلاع على أسرار العباد قبل التحمك في الشهود والتخلق بالخلق الملك المعبود فتنة عظيمة وبلية ومصيبة وذلك لأنه قبل التحمك في المعرفة قد يشتغل بذلك قلبه

يهودية قال الله تعالى ساعون للكذب أكلون للسحت اه باختصار (السادس) ما يلحقه بسبب ذلك من الذلة وتغيير الحال كما اتفق لكثير من الناس واتخذ بعضهم أى الكبراء سياسة فإذا رأى فقيراً استظهر عليهم بالقوة وخافوا دعوة أو غير هالوا الوه واحالوا عليه حتى يدخل في أيديهم فلا يمكنه التعرز عليهم وقد كان بعض مشايخ المغرب يقول الفقير لا يمشى بالليل ولا يهرب بالهتار إن رأى ما يخاف ولا يأكل طعام الظلمة (قلت) لأن هذه كلها تورث الذل (السابع) ما في ذلك من فتح باب التشويش باعتقاد الناس أن له عندهم جاهاً فيتوجهون له بطلب الشفاعة وذلك أمر لا يمكنه استيفاؤه وكل ما يتعلق به رجل فسل في ديابته والله تعالى أعلم وهذا كله مالم تكن ضرورة والمراء فقيه نفسه (وقد) ذكر الشيخ النوري رحمه الله إن السلطان أبا الحسن صنع طعاماً لجماعة من أهل الخير في وقته ودعاهم له فكان منهم من أكل ولم يتوقصوهم منهم من استظهر بالصوم ومنهم من أخرج خبزهم واتهم بإدام الملك ومنهم من أكل وقل ومنهم من قال أنا صائم ولكن هاتوا من طعام الملك على وجه التركة فسألم شيخهم عن ذلك فقال الأول طعام مستهلك تربيت القيمة في ذمة مستهلك هاتوا التصرف فيه وقد مكنته من طيب نفسه فأى وجه أركه (وقال) الثاني تجنبت حال الشهية بجميع وجهه (وقال) الثالث حملت على القول بإباحة القلة للناسيب (وقال) الرابع هو مال مجهول الأرباب يجب فيه التصرف بالقيمة فكنتم تأخذون تقدير

ويتشوش خاطره ولبه فيفتره عن الشهود ويفتته عن الرسوخ في معرفة الملك الودود وأيضاً ما دامت النفس حية ولم يقع الفناء عنها قد يعتقد بذلك المزية على الناس فيدخله الكبر والعجب وهما أصل المعاصي فكان اطلاعه حينئذ على أسرار العباد سبباً في جر هذا الوبال أى العقوبة إليه وهو التكبر على الناس واعتقاد المزية عليهم وهو سبب البعد عن الله بخلاف ما إذا تمكن في معرفة الحق وتحقق بأخلاقه وتحقق بمعاني صفاته وأسماؤه فانه يكون على خلق الرحمن فاذا اطلع على معاصي العباد ومساوئهم رحمهم وسترهم وحلم عليهم وقد قال عليه السلام الخلق عيال لله وأقربكم إلى الله أرحمكم بعباده وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء (وفي الإشارات) عن الله سبحانه عبيد ان استخلفتك شققت لك من الرحمانية شقاً فكنت أرحم من المرء بنفسه (وروى) أن إبراهيم عليه السلام حدث نفسه أنه أرحم الخلق فرضه الله حتى أشرف على أهل الأرض فأبصر أعماهم وما يفعلون فقال يارب دمر عليهم فقال له الله تعالى أنا أرحم بعبادى منك يا إبراهيم فلعلمهم يتوبون ويرجعون وفي بعض التفاسير أنه كان يعرض كل ليلة إلى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى إبراهيم منك يا إبراهيم ملكوت السموات والأرض فرج به ذات ليلة فاطلع على مذبح على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشي على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله تعالى فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فتودى كف عن عباده رويداً رويداً فاني طالما رأيتهم عاصين (وفي رواية) أخرى فأوحى الله إليه يا إبراهيم أين رحمتك للخلق أنا أرحم بعبادى منك اما يتوبون فاتوب عليهم ولما أن أخرج من أصلاهم من يسبحني ويدعوني ولما أن يعيشوا في مشيتي فاعفوا وأعاقب يا إبراهيم كفر ذنبك في دعوتك بدم قربان فحرق إبلا فتودى في الليلة الثانية كفر ذنبك بدم فذبح بقر أقتيل له في الثالثة فذبح غنماً فقتل في الرابعة كذلك فقتل من الانعام إلى الله ما بقي عنده فقتل له في الخامسة فقال يارب لم يبق لي شيء فقتل له إنما تكفر ذنبك بذبح ولذلك لأنك دعوت على العصاة فهلكوا فلما شمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدى وثمره فتودى وأحب الناس إلى فسمع هاتفاً يقول أما تذكر الليلة التي سألت أهلك عبادى أو ما تعلم أني رحيم بعبادى كأنك شفيق بولئك فإذا سألتك أهلك عبادى سألتك ذبح ولذك واحداً بواحد والبادى أظلم اه ولما كان الاطلاع

أى ليقومه بعد (وقال) الخامس طعام مستحق للسالكين: قدرت على استخلاص بعضه فاستخلصت ما قدرت عليه وخرجت به لأربابه فما ذكر عنه أنه غسل مزودة ما تعلق من الادم وشق عليه اخراج ما تعلق به من الزعفران فأرسلها مع النهر (و) من هذا النوع ما ذكر أن ابن عباد رحمه الله أعطاه السلطان كسوة وأعطى الشيخ الزكراكي كسوة وأعلمها أنه إنما عملها من الجزية ونحوها فقبلها ابن عباد وردها الزكراكي رضى الله عنهما فقبل لبعض أهل الوقت بمنزله بصيرة في ذلك فقال الورع مستحب واجتماع وجبر قلب الملك واجب واجتماع وأنتم ترون من وافق الصواب المتعلق بالواجب أو بالمستحب هذا ما وقع له في الأمر الظاهر ولما بعث له أى ابن عباد بدواء مسك يساوى ما لعلته كانت به صبه في المرحاض ولم يسمع به فأعرف هذه الجملة حقها فالرد آفات كالأخذ آفات كما لا يخفى والورع من ورعه الله وإنما يورعه إذا علم صدقه في ورعه اه كلام الشيخ زروق :

(قلت) وقد اضطرب العلماء في هدايا الملوك وأجازتهم فتنهم من قبلها ومنهم من ردها وقد ذكر الغزالي في الاحياء جماعة من قبلها ومن ردها فانظره ان شئت (وقوله) بل أكلوا ما استبان حله الخ يعني أن القوم لا يأكلون إلا ما ظهر حله وتحقق اباحته ولا يأكلون ما لا يعرفون أصله هل هو حلال أو حرام ولعن ذلك مع قيام الزينة والشك والله تعالى أعلم وقد استوفى الغزالي في الاحياء الكلام على الحلال والحرام فليكن به ثم ذكر الناظم بعض آداب الأكل فقال

على أسرار العباد قد يدرك بكثرة الطاعات والاجتهاد فقد تصد النفس بالطاعة هذا الحظ الذي وهو مرض خفي نبه عليه الشيخ بقوله (حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعة باطن خفي ومداداة ما خفي صعب علاجه) قلت حظ النفس في المعصية هي متعة البشيرة الظاهرة كالذرة والشرب والتكاح ومما هو غير ذلك مما هو أدنى من الحس التي هي محرمة وحظها في الطاعة هي طلب الكرامات وخوارق العادات والاطلاع على الغيبات وكعب الخصوصية والمنزلة عند الناس ومداداة هذا المرض الخفي أصعب من مداداة الأول الجلي لأن مداداة المرض الخفي أصعب من مداداة الجلي فكذلك المعنوي الباطني ما كان جلياً متعلقاً بالنفس أصعب مما كان خفياً متعلقاً بالروح فالأول يمكن دواؤه بالعزلة والفرار من مواطن الأشرار وبصحبة الأخيار وبكثرة الطاعة والاذكار بخلاف الثاني فلا تزيد الطاعة إلا كثرة وقرة إذا بها صارت تطلب حظها فلا يدأبها من هذا إلا خوف مريع أو شوق مقلق أو ولي عارف بحق يصحبه بالحجة والتصديق قال بعضهم من عسرت عليه نفسه فليسلمها إلى شيخ الترية قال تعالى (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) وان عسرت عليكم أنفسكم فسترضع له نفسه نفس أخرى حتى يكمل أو ان فطامها فإن لم يكن واحد من هذه مات وهو سقيم ولم يلق الله بسلام قالوا يجب على العبدانهم أنفسهم ومراقبة قلبه فإذا استحلّت النفس شيئاً من الطاعات وألفته أخرجهما إلى غيرها ولو كانت مفصلة في ظاهر أمرها وسيأتى لشيخ إذا التبس عليك أمران انظر أنقلهما على انفس فانه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً قال أبو محمد المرتضى حجج كذا وكذا حجة عن التبريد فإن لم يكن جميع ذلك كان مشوباً وذلك أن والدي سألني يوماً أن أسق لها جرة ماء فقتل ذلك على فعلت أن مطاوعة نفسي في الحج كانت لحظ وشوب اذ لو كانت نفس فانية لم يصعب عليها ما هو حق في الشرع وقال الشيخ أحمد ابن أرقر رضى الله عنه حدثني نفسي بالخروج إلى الغزو فقلت سبحان الله ان الله تعالى يقول (ان النفس لأمارة بالسوء) وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا أبداً ولكنها استوحشت تريد لقاء الناس فستروح اليهم ويتسامع الناس بها فيستقبلونها بالتعظيم فقلت لها لا أسلك العمران ولا أنزل على معرفة فأجابت فأسأت ظن بها وقلت الله أصدق قولاً فقلت لها أقاتل العدو حاسراً بالرأى من غير وقاية فسكرتني أول

ولم يكونوا كرهوا الكلام عليه لكن كرهوا الارغام

(قلت) الكلام على الطعام حسن لأن السكوت عليه يدل على الشره والهمة ويستحب أن يكون بطل أو بمكايات الصالحين ويكون الكلام بعد بلع الطعام لافي - ١ - مضغه لأنه ربما خرج شيء من فمه فيسقط في الطعام فيقذره على غيره فلا يتكلم إلا كل مادام الطعام في فيه وقد ذكر عن بعض المشايخ انه استحب أن يسمى عند كل لقمة ويحمده عند ابتلاعها قال ابن الحاج وهذا أمر حسن لكن السنة لم ترد به وهي أحسن من كل ما سواها فلم يكن القوم يكرهون الكلام في حال الطعام لكن كانوا يكرهون الارغام أى التحتم على الإخوان في الأكل لما في ذلك من التكلف المنهي عنه بل الأدب في ذلك تركه يفعل ما يشاء وقد يكون قولك له كل سبياً في رفع يده حياء فالواجب على صاحب الطعام أن يدفع الطعام ويقرب لهم الماء وينيب عنهم فهو في غاية الظرافة والله تعالى أعلم ثم ذكر وقت الأكل فقال:

ويكرهون الأكل مرتين في اليوم والمرة في اليومين

(قلت) انما كرهوا الأكل في اليوم مرتين لما فيه من قوّة شهوة الطعام وقد تقدم أنهم لا يكون الا عن فاقة وقد قيل لسهل رضى الله عنه أكلة في اليوم قال أكلة الصالحين قيل أكلتان قال أكلة المؤمنين قيل ثلاثة قال يا هذا مر

قبل فاجابت ثم عد أشياء كلها اجابت لما قتل يارب نبيها فاني لما متهم ولقولك مصدق فاعلمت كأنها تقول أنك تقتلني كل يوم مرات بمخالفتك إياي ومنع شهواتي ولا يشعر بي أحد فان قاتلت وقتلت كانت قلة واحدة فتجرت منك ويسامع الناس فيقولوا أستشهد أحمد فيكون شرفاً وذكر آ في الناس إلى قعدت ولم أخرج ذلك العام اه وقال الجنيد رضي الله عنه ضاقت على نفسي ليلة حتى لم أطق الصبر فخرجت ذاهبا على وجهي فاقبعت إلى رجل مطروح في المقابر منطى الرأس فلما أحس بي قال أبو القاسم قلت نعم قال متى يصير داء الفس دواؤها فقلت اذا خالفت هواها صار دواؤها فقال لنفسه اسمعي فقد أجبتك هذا مرارا وأنت تقول حتى أسمع ذلك من الجنيد قال الجنيد فاصبرفت وما عرفته اه ثم فر الشيخ ذلك الدواء الذي يكون خنيا في الطاعة يعض جزئياته وهو أعظمها فقال (ربما دخل الرياء عليك حيث لا ينظر الخلق إليك) قلت الرياء هو طلب الميزة عند الناس وقصد ذلك بعمل صالح سواء كان ذلك العمل ظاهرا للناس وهو الغالب أو خفياً عنهم وقد يكون الرياء في العمل الخفي فيدخل الرياء عليك حيث لا ينظر أحد إليك وهذا أصعب من الاول لأنه أخفى من ديب الخلق كما في الحديث وكان بعض العارفين يقول اجتهدت في إزالة الرياء من قلبي بكل حيلة فما أزلته من جهة حتى نبت من أخرى من حيث لا أظنه وقال بعضهم من أعظم الرياء من رأى العطاء والمنع والضرر والنفع من الخلق وقال بعضهم أقسام الرياء ثلاثة كلها علة في الدين (الاول) وهو أعظمها أن يتصد بعمله الخلق ولولا هم يعمل (الثاني) أن يعمل للندحة والثناء ولولم يعلمه الناس (الثالث) أن يعمل لله ويرجو على عمله الثواب ورفع العتاب وهذا النوع جيد من وجه مملول من وجه عند العارفين رياء. وعند عامة المسلمين أخلاص وقد قيل في قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعهم) هو السلام من الرياء ظاهرا وباطنا بحيث لا يريد عامله حظا دنيويا ولا آخرويا وللبرائي علامات لا تخفى منها نساظه في الجلوة وكسله في الخلوته أو اتقان العمل حيث يراه الناس وتسامحه حيث لا يراه إلا الله ومنها التماسه بقلبه توقيف الناس له وتنظيمه ومساعدتهم إلى قضاء حوائجه وإذا قصر أحد في حقه الذي يستحقه عند نفسه استبعد ذلك واستكبره ويجد تفرقة بين إكرامه وإكرام غيره وإهانة غيره من أقربائه حتى ربما يظهر بهن سخفاء

أهلك بينوا لك معلافا (و) المراد باليوم رياض النهار ومن الفجر إلى الغروب والغالب أن الأكل فيمترين بثقل الأعضاء وييطيء الحضم وينسد الطعام في المعدة وفيه قال ابن سينا عفا الله عنه .

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| توفي إذا ما شئت إدخال مطعم | على مطعم من قبل فعل المواضع |
| فكل طعام يعجز السن مضغه | فلا يتلعه فهو شر المطاعم |
| واجمل طعامك كل يوم مرة | واحذر طعاماً قبل هضم طاعم |
| ثلاثة هي أسباب النايأ | وداعية الجسوم إلى الحمام |
| نكاح يستدام وكثرة نوم | وإدخال الطعام على الطعام |

وقال آخر

وفهم من كلام الناظم أن الممدوح هو الأكل مرة في اليوم يعني مرة في النهار ومرة في الليل وهو الوسط وأن الأكل مرة في اليومين تفرط كما أن الثلاثة في اليوم افراط (قال) الشيخ زروق رضي الله عنه وهذا حكم من أعَدل رآه أو قرب فأما من انحرف إلى حد الافراط أو التفريط فلا ينبغي أن يحمل حكمه بل يعمل بما يصلحه من غير إخلال ولا بعد الحق فان الشبع المفرط الذي يفسد المعدة ويضيع الطعام من غير احتياج محرم والذي يثقل الأعضاء ولا يفسد شيئاً مكروه

القول ذلك على ألسنتهم فيترعدون من قصر في حقهم بمخالفة الله لهم بالعقوبة وإن الله تعالى لا يدعهم حتى يتنصر لهم ويأخذ ثأرهم فإن وجد الفقير هذه الأمارات في نفسه فليعلم أنه مرأى بعمله وإن أخاه أعين الناس :

(وقد روى عن علي كرم الله تعالى وجهه أن الله تعالى يقول للفقراء يوم القيامة ألم تكونوا ترخص عليكم الأسعار ألم تكونوا تبادرون بالسلام ألم تكونوا تضي لكم الحوائج (وفي) الحديث الآخر لا أجر لكم قد استوفيتم أجوركم وقال عبد الله بن المبارك روى عن وهب بن منبه رضى الله عنه أن رجلاً من العباد قال لأصحابه إنما فارقنا الأموال والأولاد غفلة الطغيان فتخاف أن يكون قد دخل علينا في أمرنا هذا من الطغيان أكثر مما دخل على أهل الأموال في أموالهم أن أحدنا إذا لقي أحب أن يعظم لمكان دينه وإن سأل حاجة أحب أن تعطى له لمكان دينه وإن اشترى شيئاً أحب أن يرخص عليه لمكان دينه فبلغ ذلك ملكهم فركب في موكب من الناس فإذا السبل والجبل قد امتلأ من الناس فقال السائح ما هذا قيل له الملك قد أطلق فقال للغلام أتقى بطعام فأناه ييقل وزيت وقلوب الشجرة فأقبل يشوشه ويأكل أكلًا عتيفاً فقال الملك أين صاحبكم قالوا هذا قالوا له كيف أنت قال كالناس (وفي) حديث آخر يخبر فقال الملك ما عند هذا من خير فانهصرف عنه فقال السائح الحمد لله الذى صرناك عني وأنت لى ذام ومن هذا النوع من الرياء غلب الكبار وعدوا أنفسهم من الأشرار كما روى عن الفضيل رضى الله عنه أنه قال من أراد أن ينظر إلى مرأى فليتنظر إلى هذا وسمع مالك بن دينار امرأة تقول له يامرائى فقال باهذه وجدت اسمى الذى أضله أهل البصرة إلى غير هذا ما روى عنهم في هذا المعنى ولا يعلم من الرياء الجلى والحقى إلا العارفون الموحدون لأن الله تعالى طهرهم من دقائق الشرك وغيب عن نظرم رؤىة الخلق بما أشرق على قلوبهم من أنوار اليقين والمعرفة فلم يرجو منهم حصول منفعة ولم يخافوا منهم وجود مضرة بأعمال هؤلاء خالصة وإن عاوموا بين أظهر الناس ومن لم يحظ بهذا شاهد الخلق وتوقع منهم حصول المنافع ودفع المضار فهو مرء بعمله وإن عبد الله تعالى في قته جبل بالنون أى أعلاه قاله الشيخ ابن عباد رضى الله عنه اه الخ (ومنها) أى ومن علامة الرياء الخفية أيضاً استشراف العبد وتطلعه أن يعلم الناس بخصوصيته كما أشار إليه بقوله (استشرافك أن يعلم الخافى بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبيدتك) قلت إذا خضعت لخلق تعالى

على خلاف فيه والأولى بالشخص ألا يأكل حتى يجوع جوعاً مترسطاً وهو الذى يشتبه ما به يوم به أوده أى قوامه من معتاد طعامه ولا يفرط إلى أن يشتبه كل خبز فانه مضر بالفكرة غلب بالقوة ولا يفرط بحيث يأكل بالتشهى وهو طلب الطعام مقروناً بالشهوة ثم ذكر استجاب الاجتماع على الطعام فقال

وفضلوا الجمع على الأفراد فيه لأجل كثرة الآباد

(قلت) إنما فضلوا الاجتماع على الأفراد فى الآكل لثلاثة أوجه (أحدها) ما فى ذلك من التماس البركة الحسية والمعنوية أما الحسية فلقوله عليه الصلاة والسلام اجتمعوا على الطعام يبارك لكم فيه وأما المعنوية فلقوله عليه السلام من أكل مع مغفور غفر له وبقدراً أكثر الجماعة تعظم البركة لأن مع كل إنسان ملكين أو أكثر فيكثر حضور الملائكة بقدر ما يحضر من الناس (و) كان الجنيد رضى الله عنه يقول المؤاكلة مرضعة فانظروا من تراكلوه (و) ثانياً ما فى ذلك من العفة والقناعة وعدم الحرص والشره لأن الإنسان وحده يدل على ندائه وبخله فى التدلة وحرصه بهمة والتدلة باللام بعد الدال هى الرذالة والخساسة ويخلفه أو حرصه ونهمته وفى الحديث شر الناس من أكل وحده وضرب عبده ومنع رقبته إلا لضرورة شرعية أو دعابة (وثالثها) ما فى ذلك من الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان عليه السلام

أبها الفقير بخصوصية من خصوصية خواصه كرهه أو ورع أو توكل أو رضى أو تسليم أو حبة أو يقين في القلب أو معرفة أو أظهر على يديك كرامة حسية أو معنوية أو استخرجت فكرتك حكماً أو مواهب كسبية أو لدنية ثم استشرت أى تعلقت وتثبتت أن يعلم الخلق بخصوصيتك بأن يطلعوا تلك الخصوصية التى خصك الله بها ذلك دليل على وجود الرياء الخفى فى باطنك ودليل على عدم صدقك فى عبادتك بل أنت كاذب فيها إذ لو كنت صادقاً فى عبادتك لا كفتت بعلم الله وقمت بمراقبة إياك واستنيت به عن رؤية غيره فالواجب على الفقير إذا خصه الله بخصوصية كتمها ووجدتها وسرها إلا عن شيخه فإن أظهرها فهو على خطر فقد يكون تمحداً وقد يكون تبجحاً وفى الكتان السلامة وقد تقدم قول الشيخ من رأته مجيئاً عن كل ما سئل ومعيراً عن كل ما شهد وذاكر أكل ما علم فاستدل على وجود جهله وفى هذا المعنى قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه :

احضر لسرك ودك فى الأرض سبعين قلماً وخل الخلاق يشكوا إلى يوم القيامة

وكان بعض إخواننا إذا سئل ما أدركم وما ذقم فى هذا الطريق يقول البرد والجوع فكان شيخ شيخنا يبعجه ذلك ويستحسنه لدلالته على صدق الإخلاص وما زالت أشيائنا وأشيائهم يستعملون الخراب فى ظواهرهم صوناً لما فى باطنهم ولأجل هذا فضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين درجة ضعفاً كما فى الحديث وقال سيدنا عيسى عليه السلام إذا كان يوم صوم أحدكم فليدعهن لحيته ويمسح شفتيه فإذا خرج إلى الناس رأوا أنه لم يمسح وإذا أعطى أحد فليعط يمينه ويخفيها عن شماله وإذا صلى أحدكم فليسدل عليه ستر بابه فإن الله يقسم السماء كما يقسم الرزق (وقال) الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه كل من لم يقنع فى أفعاله وأقواله بسمع الله ونظره دخل عليه الرياء لا محالة (وقال) بعضهم ما أخلص عبد قط إلا أحب أن يكون فى حب لا يعرف ولهذا كان إسقاط المنزلة شرطاً فى هذا الطريق فإن تحقق العبد بالمعرفة ومشاهدة الوحدة جازله الاخبار بالوحدة بأعماله والإظهار لمحاسن أحواله بناء على نفي النير وأداء الواجب من الشكر كان بعض السلف يصبح فيقول صليت كذا وكذا ركعة وتلوت كذا وكذا سورة فيقال له أما تخشى من الرياء فيقول

لا يأكل طعاماً إلا على ضعف أعنى كثرة الأيدي وكان سيدنا إبراهيم الخليل اتخذ ذبقة ينظر منها مد بصره من كل ناحية لأجل الضيفان وربما كان يمشى الإيمال فى طلب من يأكل معه وقوله لأجل كثرة الأيدي يصدق بالأوجه الثلاثة والأيدى جمع أيد وأيد جمع يد فهو جمع الجمع والله تعالى أعلم ثم ذكر آداباً آخر فقال :

ولم يلقم بعضهم بعض ولم يحل بصره بل بغض

(قلت) أشار رحمه الله إلى أن الصوفية لم يكن من عادتهم أن يلقم بعضهم بعض ويحمل ذلك إذا كان على وجه الانبساط والملاعبة لما فيه من قلة الاحتشام والتقير أو يحمل ذلك على تلقيم الخادم إذا أتاهم بالطعام وهو نص قول السلى وكره أكثرهم تلقيم من يخدمهم ما بين أيديهم لا سيما إذا كان ضعيفاً فإنه لا يجوز له التصرف فيما تقدم إليه فقال بعضهم يملكه الاحتشام بين يديه وقال بعضهم بالتناول وقال بعضهم بالوضع فى الفم وقال بعضهم باستيفاء الأكل وقال الجنيد رضى الله عنه تنزل الرحمة على الفقراء عند الطعام فإنهم لا يأكلون إلا بالإيثار انتهى كلام السلى فجعل التلقيم المكروه إنما هو للخادم لكن قول الناظم بعضهم بعض ظاهر فى تلقيم الفقراء فيحمل على ما تقدم من الانبساط وأما إذا كان على وجه التبرك من ترحم يركته فلا بأس وبالتأخير من المشايخ فيه أسانيد وطرق وقد يستدل به بحديث المرأة التى سألت رسول الله

ويحكم وهل رأيتم من يرأتى بفعل غير (والحاصل) من فنى عن نفسه وتحقق بشهود ربه فلا كلام عليه وقد قالوا من أحب الحق فهو عبد الحق ومن أحب الظهور فهو عبد الظهور ومن لم يرد غير ما أراد الله به فهو عبد الله حقاً ثم عليك الشيخ الدعاء في ترك الاستشراف إلى الخلق وهو الاكتفاء بنظر الحق فقال: (غيب نظراً لخلقك بنظر الله وغيب عن أقبالك عليك بشهود إقباله عليك) قلت الخلق في التحقيق عدم الوجود تماماً هو الله الواحد الأحد فوجود السوى كالحياة في الهواء أو كظلال الأشخاص إن قشته لم تجده شيئاً فغيب عك أيها الفقير بنظر الخلق إليك اكتفاء بنظر الحق إليك إذ لا نظر لسواه وغيب عن أقبالك عليك بالتعظيم والتكريم بشهود إقبال الملك الكريم فغيب عن الوهم بآبورت العلم بإقبالك على الخلق إقبالاً عن الحق وإدبارك عن الخلق إقبالاً على الحق ولا يجتمعان (وفي الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس أحفظ الله يحفظك أحفظ الله ينجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استسنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف وقال الشيخ أبو الحسن أيسر من نفع نفسي لنفسي فكيف لا أيسر مع نفع غيري لها ورجوت الله لغيري فكيف لا أرجوه لنفسي (و) قال في لطائف المنن أعلم أن مربي الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعبده والاعتناء بشهوده تال الله سبحانه ومن يتربك على الله فهو حسبه وقال سبحانه أليس الله بكاف عبده وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال أو يكف يربك أنه على كل شيء شهيد فسيب أمرك في بدايتهم القرار من الخلق والانفراد بالملك الحق وإخفاء الأعمال وكنتم الأحوال تحقيقاً لفنائهم وثباتاً لزهدهم وعملاً على سلامة قلوبهم حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالسرخ والتكئين وتحققوا بتحقيق الفناء وردوا إلى مجرد البقاء فهناك إن شاء الحق أظهرهم هادين إليه عباده وإن شاء سترهم فأقطعهم عن كل شيء إليه الخ كلامه .

(وقال) سهل بن عبد الله لا ينال العبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين حتى يسقط الناس من عينه فلا يرى الدارين إلا هو وخالفه فإن أحداً لا يقدر أن يضره ولا ينفعه وتسقط نفسه عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرويه أهوه در القائل :

صلى الله عليه وسلم أن يناولها ما يأكل فناولها من بين يديه فقالت لا أريد إلا من الذى في فيك فناولها وكانت قليلة الحياء فصارت بعد من أشد الناس حياء الحديث وقد جرى العمل بهذا بشرط إذا طلب ذلك من الشيخ أو من ترجى بركته ولا يكلف به من لا يطلبه وأشار أيضاً إلى أن الصوفية إذا كانوا في حالة الأكل لا يجيئون بصرم أى لا يدعونها إلى من يأكل معهم بل يفضون أبصارهم وينظرون أمامهم لما في أجالة البصر من أحجالهم وقلة المروءة معهم فإن هيئة الإنسان في حالة الأكل بشعة لا سيما إذا كان كبير السن وقد كان بعضهم ترك أكل الطعام الذى يحتاج للضغ حياء من الله أن يراه على تلك الهيئة (وقال) بعضهم استروا بادخلها كاسترون باخراجه فالواجب من جهة الأدب ألا ينظر أحد إلى الآكلين ولا يقف على رؤسهم بماء ولا غيره بل يضعه وينهب عنهم خلاف ما يفعله أرباب الدنيا في الولائم وغيرها والخير كله في الانبعاث والشركة في الابتداء (و) كان مالك رضى الله عنه كثيراً ما ينشد هذا البيت :

وخير أمر للناس ما كان سنة وشرا الأمور المحدثات البدائع

وأنه تعالى أعلم ثم أشار إلى أدب آخر وهو عدم انتظار الغائب إذا حضر الطعام فقال :

ولم يروا فيه بالانتظار فيذهب الوقت بلا تذكر

فلينك تحلو والحياة مريرة ولينك ترضى والآلام غضاب
وليت الذى بينى وبينك علمى وبينى وبين العالمين خراب
وليت شرابى من وددك صافياً وشربى من ماء المعين سراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذى فوق التراب تراب

واعلم أن رضى الخلق غاية لا تدرك وانظر قضية لقمان مع ابنه وهى مشهورة بدين لك أن رضى الخلق محال أو متعذر وأجهل الناس من طلب ما لا يدرك (وقال) بعضهم مالى وللناس كنت فى بطن امى وحدى وخرجت إلى الدنيا وحدى ونموت وحدى وتدخل قبرى وحدى ونسئل وحدى ونبعث من قبرى وحدى ونحاسب وحدى فان دخلت الجنة دخلت وحدى وإن دخلت النار دخلت وحدى ففى هذه المواطن لا ينبغي أحد قتالى وللناس اه (وقيل) أن الولي الصادق لا قدر له عند الخلق ولا قدر للخلق عنده فكلماء عظم أمره عند الله خفى أمره عند الناس ثم أنه لا تتحقق الغيبة عن نظر الخلق بنظر الحق إلا بعمرة الحق عند كل شئ وشهوده فى كل شئ كما أبان ذلك بقوله من (عرف الحق شهده فى كل شئ ومن قفى به غلب عن كل شئ ومن أحبه لم يؤثر عليه شيئاً) قلت معرفة الحق هى شهود ربوبية فى مظاهر عبوديته أو تقول هى الغيبة عن الغيبة بشهود الأحدية أو تقول هى الترقى من شهود عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح فيكون جسمك مع الأشباح وروحك مع الأرواح قال فى المباحث :

واستشعروا شيئاً سوى الأبدان يدعونه بالعالم الروحاني
ثم أقام العالم المعقول معارف تلفز بالمقول

والفناء هو أن تبدو لك العظمة فتسبك كل شئ تفيك عن كل شئ سوى الواحد الذى ليس ككله شئ وليس معه شئ أو تقول هو شهود حق بلا خالق كما أن البقاء هو شهود خلق حق والمحبة أخذ الحق قلب من أحب من عبادته فلا يكون له عن نفسه أخبار ولا مع غير محبوه قرار وقيل غير ذلك فن عرف الحق شهده فى كل شئ ولم ير معه شيئاً النفوذ

(قلت) أشار رحمه الله إلى أن مذهب الصوفية إذا حضر الطعام بادروا اليه بالأكل ولم يكن رأيهم فيه بالانتظار لمن كان غائباً منهم بل يمزلون حقه ويأكلون الباقي وذلك لما فى ذلك من التكلف للقائب وإهانة الطعام باتداله أى إهماله وشغل بال الجائع منهم به ولا سيما وبما يكون إلا عن احتياج ولأن الحاضر مقدم حقه على الغائب (قال) أبو عبد الرحمن السلى رضى الله عنه ويكره الانتظار عند حضور الطعام (وقد) قيل لقلب الأحرار لا تعمل الانتظار ويكره قنوت الوقت بالاشتغال بالأكل حتى حكي عن بعضهم أنه كان يهبط على حسوة يسحوها ويقول الوقت أعز من أن يشغل بالأكل اه (قلت) وإلى هذا الأخير أشار بقوله فيذهب الوقت بلا تذكر ولعله مرتب على مخوف تقديره لا يطلبون الجلوس عليها فيذهب الوقت بلا ذكر كما رتبته السلى والناظم فى هذا الباب ما نظم إلا ما ذكره السلى حرفاً غير أنه قدم وآخر ونبه تنبيه على ما كابى عليه السلف من الجد والاجتهاد ومحافظة على أوقاتهم وساعاتهم (وقال) الحسن البصرى رضى الله عنه أدركت أقواماً كانوا على ساعاتهم أسفنى منكم على دنائيركم ودرهمكم يقولون لا يخرج أحدكم ديناراً ولا درهماً إلا فيما يعود عليه فقهه فكذلك لا يجوزون أن يخرج ساعة من أعمارهم إلا فيما يعود عليهم فقهه (وقال) السرى السقطى خرجت يوماً من بغداد أريد الرباط بعناء أن أصوم رجب وشعبان فاتفق فى طريقى على الجرجاني وكان من الزهاد الكبار فذنا وقت

بصيرته من شهود عالم الأشباح إلى شهود عالم الأرواح ومن شهود عالم الملك إلى شهود فضاء الملكوت ومن في به وانجذب إلى حضرة غلب في شهود نوره عن كل شيء ولم يثبت مع الله شيئاً والفرق بين الغاني والعارف أن العارف يثبت الأشياء بالله والغاني لا يثبت شيئاً سوى الله (العارف) يقرر القدرة والحكمة والغاني لا يرى القدرة (العارف) يرى الحق في الحق كقول بعضهم ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله فيه والغاني لا يرى إلا الحق يقول ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله (العارف) في مقام البقاء والغاني يحب في مقام الفناء (الغاني) سائر والعارف متمكن وأصل ومن أحب الله لم يؤثر عليه شيئاً من حظوظه وهوى نفسه ولو كان فيه حنف أنه كما قال القائل :

قالت وقد سألت عن حال عاشقها بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

والكلام في المحبة طويل ذكر الشيخ في لطائف المنن منه جملة صالحة وكلام الشيخ رضى الله عنه من باب التذلل فالمعرفة أعلى المقامات وقبلها الفناء وقيل للفناء المحبة أى أولها فأول ما يقذف الله في قلب عبده الذى يريد أن يصطفيه لحضرة ويعرفه به محبة فلا يزال يلجج بذكره ويتعب جوارحه في خدمته ويتعشش إلى معرفته فلم يزل يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه الحق فإذا أحبه أفناه عن نفسه وغيبه عن حسه فكان سمه وبصره ويده وجملة ثم رده إليه وأقام به فرفقه في كل شيء ورآه قائماً بكل شيء ظاهره في كل شيء والله تعالى أعلم ولهذا الذى ذكره الشيخ علامات تدل على تحقيق تلك المقامات فمن وجدها في نفسه كانت دعواه تلك المقامات أو بعضها صحيحة ومن لم يجدها في نفسه كانت دعواه لها كاذبة وفضيحة فليعرف قدره ولا يتمد طوره والله التوفيق ولما كانت المعرفة تقتضى ظهور الحق في كل شيء حتى تراه ظاهراً في كل شيء بين وجه احتجابه وخفائه فقال (إنما حجب الحق عنك لشدة قربك منك إنما احتجب لشدة ظهوره وخفى عن الأبصار لعظم نوره) قلت ذكر في حكمة خفائه تعالى مع شدة ظهوره ثلاث حكم الحكمة الأولى شدة القرب ولا شك أن شدة القرب توجب الخفاء كسواد العين من الإنسان فإن الإنسان لا يدرك سواد عينه لشدة قرب به منه والله تعالى أقرب إليك من كل شيء.

افطاري وكان مملع مدقوق وأقراص فقال ملحق مدقوق ومعلك ألوان من الطعام أن تغلب ولن تدخل سنن المحبين فنظرت إلى مزود كان معه فيه سويق الشعير صف منه فقلت مادعك إلى هذا فقال انى حسب ما بين المصغ والسف سبعين تسبيحة فما مضت الحزب منذ أربعين سنة وفي الخبر ما من ساعة تأتي على العبد لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة أنظر تنبيه ابن عباد فقد أطال فيه ثم نبى عن كثرة الأكل فقال :

وكرهوا البطنة للإخوان فالبطن كالوعاء للشيطان

(قلت) البطنة بكسر الباء هى امتلاء البطن من الطعام فأخبر رحمه الله أن الصوفية كرهوا البطنة للإخوان وهى الشبع أو الزائد فوقه الى حد لا يعسر ولا يحرم وأشار بهذا إلى قول سيدنا عمر رضى الله عنه إياكم والبطنة فإنها تذهب الفطنة وتبطل بالجوارح عن الطاعة وأشار بقوله فالبطن كالوعاء للشيطان إلى قوله صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مسالكه بالجوع فالبطن إذا امتلأ كثر دم البدن فتسع بجواره للشيطان فيساقط عليه الكسل والثقل وسوء الخواطر والرساوس فيكون جسمه كالوعاء للشيطان يحشوا فيه ما شام (وقد قال لسانه لا به يابى إذ أملىء البطن نامت الفطنة وخرست الحكمة (وعن) ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت

قال تعالى (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) فشدته قربك منك موجب لاضمحلالك (قال) في لطائف المنن فظلم القرب هو الذي غيب عنك شهود القرب قال الشيخ أبو الحسن حقيقة القرب أن تنيب في القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو وكلما دنا منها تزايدت بها فلما دخل البيت الذي فيه المسك انقطعت رائحته عنه وأشد بعض العارفين :

كم ذا تموه بالشعيرين والعلم والأمر أوضح من نار على علم
أراك تسئل عن نجد وأنت بها وعن تهامة هذا فعل منهم

الحكمة الثانية في خفاءه تعالى شدة ظهوره ولا شك أن شدة الظهور موجب للخفاء كما قال صاحب الحمزية ومن شدة الظهور الخفاء ، وقد مثلوا ذلك بقرص الشمس حين يعظم شعاعه ويتقوى لإشراقه فإن الأبصار الضعيفة لا تقوى على مشاهدته مع شدة ظهوره فصار شدة الظهور موجباً للخفاء كما قال الشاعر :

وما احتجبت إلا برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تسر

فاحتجب عن الأبصار الضعيفة بلا حجاب (الحكمة الثالثة) شدة نوره ولا شك أن شدة النور موجب لعدم الإدراك فإن البصر لا يقاوم النور الباهر (وفي حديث مسلم) في قصة الأسراء قلنا يارسول الله هل رأيت ربك قال نوراني أراه بلفظ الاستفهام أى غلبني النور كيف أراه وفي رواية رأيت نوراً فيجعل على أنه أول مرة رأى نوراً ثم لم يطق مشاهدته بالبصر مع تحقق شهوده بالبصيرة وانظر أيضاً البرق الخاطف فإن البصر لا يليق رؤيته وأنشدوا :

بالنور يظهر ما ترى من صورة وبه وجود الكائنات بلا امترا
لكنه يخفى لفرط ظهوره حساً ويدركه البصير من الوري
فاذا نظرت بعين عقلك لم تجد شيئاً سواه على الدنوات مصورا
ولذا طلبت حقيقة من غيره فذبل جهلك لا تزال مشرا

السما من ملأ بطنه (وقيل) يارسول الله من أفضل الناس قال من قل طعمه وشحكه ورضي بما ستر به عورته (وقال) صلى الله عليه وسلم البسوا واثربوا وكلوا في انصاف بطونكم فإنه جزء من النبوة (وقال) صلى الله عليه وسلم لا يمتزقوا بكم بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزراع يموت إذا كثرت عليه الماء (وفي) حديث آخر أن الله يأمي للملائكة بمن قل طعامه في الدنيا فيقول انظروا إلى عبدى ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركما شهدوا يأملانكئى مامن أكلة يدعها إلا أبداته بها درجة في الجنة اه (وقد) ذكر في كتاب الاحياء الجرع عشروا (الأولى) صفاء القلب وانقاذ القرينة ونفوذ البصيرة فإن الشبح يورث البلادة ويقسى القلب ويكثر البخار في الدماغ كسبه السكر حتى يحتوى على مادن الفكر فيشتغل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار (الثانية) رقة القلب وصفاءه الذى يتأ به لادراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر فكمن ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب لا يلتد به حتى كان بينه وبين الذكر حجاب من قساوة القلب قال أبو سليمان أحلى ما تكون العبادة إذا لصق ظهري بطنى (وقال) الجنيد رضى الله عنه يحمل أحدكم بينه وبين الله غللاً من طعام ويريد أن يحصل حلاوة المناجاة (الثالثة) الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشتر الذى هو مبدأ العنفاء والنفقة عن الله تعالى ولا تكسر النفس ولا تذلل بشئ كما تذلل بالجوع فنتنه تسكن لربها وتخضع وتقف على عجزها وذلها (الرابعة) ألا ينسى بلاء

وهذا النور الذي تتكلم فيه ليس هو حسيّاً وإنما هو ما يبدو من معاني الصفات والأسماء التي تخرج من طائفة الجمل إلى معرفة أحوالهم وصفاته قاله الشيخ زروق (قلت) هو النور الأصلي الذي فاض من بحر الجبروت إلا أنه تستر بالحكمة والمهارة والقهرية مثل أبو القاسم النصري الذي عن قريحهم :

ويظهر في الهوى عز الموالى فيلزمى له ذل العبيد

فقال عز الموالى السر لأنه لو انتهك الحجاب لفطر الآليات (هذا آخر الباب السابع عشر) وحاصلها ثلاثة أمور (الأول) تلازم الدلالة على أولياء الله للدلالة على الله بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر في الغالب (الثاني) تفسير أسرار الولاية وهي الاطلاع على أسرار غيب الملكوت دون اشتراط الاطلاع على أسرار العباد لأن ذلك قد يكون فتنة في حقه وسيأى في عقوبته إذا لم يتمكن من معرفته مع ما فيه من حظ النفس فرما يقصده بطاعتها فيكون رياء في حقها وهو من الأمراض الباطنية التي يصعب علاجها كالاستشراف إلى اطلاع الناس على خصوصيته ودواؤه النية عنهم والاكتماء بنظر الله عن نظر غيره (الأمر الثالث) علامة وجود هذه الأسرار في العارف وهي شهود الحق في كل شيء وفناؤه عن كل شيء وإثبات محبة على كل شيء فان قلت كيف يشهده وهو غيب قلت بل هو ظاهر في كل شيء وإنما حجة بشدة قربه وشدة ظهوره وعظم نوره وإذا علمت أنه قريب وأنه أقرب إليك من روحك وقلبك اكتفيت بنظره واستغنيت بعلمه عن طلبه فان كان ولا بد من الدعاء فليكن عبودية ومناجاة وتعلقاً لاسياً لا حظاً كما أبان ذلك في أول الباب الثامن عشر بقوله وقال رضى الله عنه (لا يكن طلبك سبيلاً إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه ولكن طلبك لظهار العبودية وقياماً بحقوق الربوبية) قلت قد تقدم في أول الكتاب أن الطلب كله ملول عند ذوى الآليات فان كان ولا بد من الطلب فليكن اظهار العبودية وقياماً بحقوق الربوبية فلا يكن طلبك من الحق سبيلاً إلى العطاء منه فيقل فهمك عنه لأن الفهم عن الله يقتضى الاكتماء بعلمه والاستغناء بمعرفته فلا يحتاج إلى شيء ولا يتوقف على شيء ماذا فقد من وجدك فلا يكن يحط نظره إلا ما يبرز من عنصر القدرة ولا يشتهى إلا ما يقضيه عليه مولاه قيل لبعضهم ماذا تشتهى قال ما يقضى الله قال الشيخ أبو الحسن رضى الله

الله وعذابه ولا ينسى أهل البلاد فان الشبان بنى الجماعتين (قيل) ليوسف عليه السلام مالك تجرع وأنت على خزان الأرض قال أحاب أن أنسى الجماع والعبد الفاضل لا يشاهد بلاء إلا ويتذكر بلاء الآخرة فيتذكر بحجوه جوع أهل النار وبطشه عطش يوم القيامة (الخامسة) كسر شهوة المعاصي والاستيلاء على النفس فان منشأ المعاصي كلها الشهوات والقوى ومادتها من الأطعمة والأغذية فتقليهما يقطع كل شهوة وقوة (السادسة) دفع التروم ودوام السر فان شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نوم مولد ذلك قال بعض المشايخ معاشر المريدن لا تأكلوا كثيراً فاشربوا كثيراً وترقدوا كثيراً فاقصروا كثيراً وفي كثرة التروم تضعيف المعروفات التهجس ببلاد الطبع وقساوة القلب الذي هو أنف الجواهر ورأس مال العبد (السابعة) نيسر المراقبة على العباد فان الآكل يمنع من كثرة العبادة لأنه لا بد يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالآكل وربما يحتاج إلى علاجه ثم يكثر تردده إلى بيت الخلا والأوقات المصروفة إلى هذه صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لعظم ربحه وكثر خيره وما يتنرم مع كثرة الآكل دوام الوضوء وملازمة المسجد فانه يحتاج إلى الخروج لمرأته المأموغية ويتنرم أيضاً مع كثرة الآكل عبادة الصوم فانه ييسر لمن تعود الجوع دون غيره (الثامنة) صحة البدن ودفع الأمراض فان سبب الأمراض كثرة الآكل وحصول قسلة الاختلاط في المعدة ثم إن المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب

عنه لا يكن حظك من الدعاء الفرج بقضاء حاجتك ومن مناجاة محبوبك فتكون من المحبوبين وقال بعضهم فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه والا فالرب يفعل ما يشاء قيل ان سيدنا موسى عليه السلام قال يارب أطعني فاني جائع فأوحى الله إليه قد علمت ذلك قال يارب أطعني قال له حتى أريد وهذا مقام أهل النهايات وأما أهل البدايات فيرخص لهم في طلب الحاجات وفي كثرة الدعاء والتضرعات فالدعاء في حقهم واجب أو مندوب وفيهم ورد التزغيب في الدعاء والإلحاح فيه قال تعالى (أدعوني أستجب لكم) وقال (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) وورد في بعض الأخبار أن الله تعالى قال لسيدنا موسى عليه السلام سألني حتى ملح عجيتك تشربا للضعفاء لأن الأنبياء عليهم السلام بعثوا معلمين للضعفاء والأقوياء ويبنى أن يتأدب في الدعاء فلا يدعو بممنوع شرعا ولا بمنع عقلا ويكون بتلطف وانكسار وظهور فاقة واحتضار لا بانسباط وادلال فإن ذلك مقام الرجال أهل المكانة والكمال ومن ذلك قول الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه في حربه الكبير وليس من الكرم إلا تحسن إلا لمن أحسن إليك الخ وذكر في قوت القلوب أن بني إسرائيل قطعوا سبع سنين فخرج سيدنا موسى عليه السلام بسبعين ألفا من بني إسرائيل ليستسقى لهم فأوحى الله إليه كيف أستجب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم وسرازم خبيثة فدعوني على غير يقين وبأمنون مكرى ارجع إليهم فإن عبدا من عبادي يقال له برخ قل له يخرج حتى أستجيب له فسأله عن موسى فلا يعرفه أحد فبينما موسى عليه السلام يمشي في طريق فاذا بعد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من السجود وقد عقد شمة على عاتقه ففره موسى عليه السلام بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك قال برخ فقال له منذ حين وأنا أطلبك أخرج فاستسقى لنا فخرج فكان من خطابه لربه في دعائه ومناجاته ما هذا من فضلك وما هو من حكمك وما بذلك عرفت أنقصت عليك عيون مائت أم عادت الرياح عن طاعتك أم قد ماعدتك أم اشتد غضبك على اللذين أسأت كنت غفارا قبل خطأ الخاطئين خلقت الرحمة وأمرت بالعطية فتكون لما تأمر من المخالفين أم زينا أنك تمتنع تأمر تخشى القوت فتعجل بالعقوبة قال فما زال حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأبنت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الراكب قال فخرج برخ فاستقبله موسى عليه السلام وقال له ما هذا الخطاب الذي خاطبت به الحق فأوحى الله إليه دعه

ويمنع من الذكر والفكر وينقص العيش ولذلك قال صلى الله عليه وسلم المعدة بيت الداء والحمية رأس الداء وأصل كل داء البرودة (وفي رواية) البطنة أصل الداء والحمية أصل الدواء وسمع بعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قوله صلى الله عليه وسلم تلك طعام وتلك شراب وتلك نفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الأكل أجسن منه وأنه لكلام حكيم (وقال) ابن سالم من أكل خبز الخنطة بحثا بأدب لم يعتل إلا علة الموت قيل وما الأدب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع (و) في الخبر المشهور صرموا تصحرا (التاسعة) خفة المؤنة قال فمن تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما يأخذ بحتفه كل يوم فيقول ماذا تأكل اليوم فيحتاج إلى أن يدخل المداخل الرديئة فيكتسب الحرام فيعصى أو الحلال فيذل وربما يمد عينه إلى الطمع في الخلق وهو غاية الذل والمهانة والمؤمن ضعيف المؤنة لا يذل نفسه في شهوة بطنه (العاشرة) اتقن من الإبتار والتصدق فيعود بالفضلة على المساكين ويكون يوم القيامة في ظل صدقه كما ورد فأي كاهل غزاته الكنيف وما يتصدق به غزاته فضل الله فليس للبدن من ماله إلا ما تصدق فامضى أو أكل فأقنى ولبس فأبلى فالتصدق بفضلة الطعام أولى من التهمة والشبع .

(قال) الحسن لقد ادركتنا أقراما كان الرجل منهم يمشي وعنده من الطعام ما يكفي ولو شاء لأكله كله فيقول واه لا أجهل

فإن دعائه يصحكي فانظر هذه الحكاية كيف وقعت هذه على بساط المباشطة إلى لا يفهمها إلا أهل المكاثة والفكرين وحسب من لم يبلغ مقامات الرجال الأدب والحمية مع رب العالمين ثم بين وجه ما ذكره من كون الدعاء أنما يكون عبودية لاسيا في العطاء فقال (كيف يكون طلبك اللاحق سبياً في عطائه السابق جل حكم الأزل أن يضاف إلى العليل) قلت العطاء السابق هو ما تعلق به عليه القديم قبل أن تظهر تجليات الأكران ولا شك أن الله سبحانه قدر في الأزل لما كان وما يكون إلى أبد الأبد قد قسم الأرزاق الحسية والمعنوية وقدر الأجل قال تعالى (إنا كل شيء خلقناه بقدر) وقال تعالى (كل شيء عنده بمقدار) وقال (ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة) وقال (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) وقال تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتاباً مؤجلاً فإذا علمت أنها الإنسان أن القضاء والقدر قد سبق برزقك وأهلك وأنه قد سبقت قسمتك وجودك فإذا طلب وإذا طلبت فكيف يكون طلبك اللاحق سبياً في عطائه السابق إذ سبق منه العطاء قبل أن يكون منك الطلب جل أي عظم وتعالى حكم الأزل القديم أن يضاف إلى العليل والأسباب الحادثة إذ محال أن يتقدم الحادث على القديم لوجوده لاحقاً (قال) ذواتون المصري رضي الله عنه التوحيد أن يعلم أن قدرة الله في الأشياء بلا علاج وصنعه لها فلا مزاج وعلّة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وليس في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى مدير غير الله وكل ما يحيط بآلاك فافقه بخلاف لذلك أهوله وعلّة كل شيء الضمير في صنعه يعود على الحق تعالى أي وعلّة كل شيء صنع الحق له يعني أن سبب وجود الأشياء وظهورها هو صنع الحق لها وصنع الحق لا علة له و (قال) بعضهم ليس في الامكان أبدع مما كان أي باعتبار العلم والمشية لا باعتبار القدرة فالمراد بما كان القدرة والقضاء السابق فما كوته القدرة وأظهرته لا يمكن أن يكون أبدع منه من حيث تعلق القديم فلا يمكن تخلفه وإن كان العقل يجوز أن يخلق الله تعالى أبدع منه والقدرة صالحة ولكن لما سبق به العلم وتقديره القضاء لم يكن أبدع منه أو تقول ليس في عالم الامكان أبدع مما كان فظاهر في عالم الامكان وهو عالم الشهادة إلا ما كان في عالم الغيب من المعاني القديمة ولم يظهر أبدع منه ولن يظهر أبداً فانهم فالكلام صحيح على هذا الوجه والله تعالى أعلم وبما يدل على أن طلبك ليس

كله في بطن حتى أجعل بعضه لله تعالى فهذه عشر فوائد للجوع وتبعث من كل واحدة قواعد لا تحصر انتهى كلام النزالي باختصار وقد تقدم تنقيح الجوع بغير المفسد للفكرة أو الملوك للبشرية والله تعالى أعلم ثم ذكر أدبا وهو ألا يرفع يده قبل الناس إذا كان يقتدى به فقال (قالوا ولا يمسك يدا ماداموا في الأكل وليقيم متى ما قاموا) قلت من آداب الأكل مع الجماعة ألا يمسك يده قبلهم حتى يعلم أن القوم أخذوا حاجتهم من الطعام وهذا إذا كان كبيراً يقتدى به أو رب المنزل .

(وفي بعض) الآثار إن لم تأكل فأكل فإن رفع اليد قبل الجماعة ينجيهم ويمتص من الاسترسال في الأكل وقد يكون معهم من هو في الحاجة فيمنعه من الأكل فيضرر بسببه ولهذا قالوا من الأدب الجهر بالتسمية والأسرار بالحدثة لأن الجهر بها ينجي من ممة فيرفع يده قبل قضاء حاجته من الطعام (و) من آدابهم أيضاً لا يجلس إذا قام القوم عن الطعام بل يقوم معهم لأن جلوسه يدل على نكاته أي استأطنه وجهته وإن كان محتاجاً إلا في محل لا يدركه شيء من ذلك (قال) السلي رضي الله عنه وإذا كان مع جماعة فلا يمسك عن الأكل ماداموا يأكلون لاسيا إذا كان متقدمهم (روى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل مع جماعة كان آخرهم كلاً اه ولم يذكر السلي ما ذكر الناظم بقوله وليقيم متى ما قاموا لكنه ظاهر (قال) الشيخ ذروق رضي الله عنه ويبنى أن يراعى في كل موقف ما يليق

سياً في عطائه لك وجود عنايته بك قبل ظهورك الذي أشار إليه بقوله (عنايته فيك لالشيء منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في أزله اخلاص أعمال ولا جود أحوال بل لم يكن هناك الاخص الافضال وجود النوال) قلت بما تواترت به الأخبار والنقول ووافق المنقول المعقول إن ما شاء الله يكون وما لم يشأ لم يكن ومشيئته تعالى قديمة لأنها عين ارادته على وفقه عليه وعلمه قديم فكل ما يبرز في عالم الشهادة قائما هو ما قدره الحق في عالم الغيب جفت الأقلام وطويت الصحف قال تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها) أي نظهرها فلا سعادة ولا شقاء الا وقد سبق بهما القدر والقضاء السعيد من سعدني بطن أمه والشق من شقني بطن أمه وقد تقدم قوله ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يحضيه فاذا علمت ذلك أيها الانسان اكتفيت بعلمه السابق عن طلبك اللاحق وبقى طلبك عبودية وأدبا مع الربوبية والافضائات فيك سابقة على وجودك لالشيء منك تستحق به عنايته وأين كنت حين واجهتك عنايته في أزله حين سبق لك منه العناية وكتبك في جملة أهل الرعاية والهداية ثم لما استنطقت يوم الميثاق أقررت بربوبيته وأين كنت حين قابلتك رعايته وحفظه وأنت في ظلمة الاحشاء حين أجرى عليك رزقه من عرق الدم وحفظك في ذلك المستودع حتى اشتدت أعضاؤك وقويت أركانك فأخرجك الى رفقه وما يسر لك من رزقه لم يكن في أزله حين واجهتك عنايته ولا في مستودعك في الرحم حين قابلتك رعايته اخلاص أعمال ولا وجود أحوال تستحق بهما وجود النوال بل لم يكن في ذلك الوقت الاخص الافضال وعظيم النوال (قال) الواسطي رضى الله عنه أقسام قسمت ونورت أجريت كيف تستلج بمركلات أو تنال بمعاملات وقال الشاعر

فلا عمل مني اليه اكتسبته سوى محض فضل لا بشيء يطل

(وقال آخر)

وكنتم قديماً أطلب الوصل منهم فلما أتاني العلم وارتفع الجهل

علمت بأن العبد لا طلب له فان قربوا فضل وان بعدوا عدل

وان اظهروا لم يظهر واغبروصفهم وان ستروا فالستر من أجلهم يحلو

به طعام الفقراء يأخذ منه قدر حاجته سواء قلت أو كثرت (قلت) والمراد بالفقراء الاخوان ثم قال وطعام المتفضلة أى الاجنيون المتفضلون به يأخذ منه مقدار لا يخل بمروءته ولا يقدر عديم في ديارته لانه ان قلل قالوا امرأ متضع وان كثر قالوا انهم متوسع ومن رآني أكله فقد ستر نفسه كذا قال بعض المشايخ لم يره يأكل أكل عتياً فهاه قال كل من رآه في أكله فقد رآه في دينه وطعام العامة من المحبين والمتسبين يأخذ منه على قدر رشاده الحال (وقد) كان جديون القصار اذا دعى أصحابه الى وليمة أشبعهم قبل الاجابة ليتناولوا بالمرز (وكان) الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يفعل ذلك ويتنديم عنده بأطيب الطعام (ومن) آدابهم السخاء والايثار والتوسط في تناوله كما أبان ذلك بقوله

وأمرؤا فيه يفتح الباب وأكلوا بالقصد والآداب

وقضوا الباب لكل سار وأكلوا بالرفق والايثار

(قلت) ذكر من آداب القوم في الاكل خمسة أمور (أحدها) فتح باب المنزل الذي يأكلون فيه ليدخل عليهم كل من يحتاج الى الاكل وفيه دلالة على كرمهم وغنى قلوبهم لانهم لا يدفعون من يأتيهم بل يقابلونه ويفرحون به وربما رأوا له المنه عليهم في أكله معهم بل يعتقدون انه هدية من الله اليهم لا سيما ان كان من اخوانهم أو من ذوي الحاجة

(وقال آخر)

قد كنت أحسب أن وصلك بشتى بنفائس الأموال والأرباح
وظننت جهلاً أن حبك حين تنفى عليه كرائم الأرواح
حتى رأيتك تجتبي وتختص من تختاره بلطائف الامناح
فعلمت أنك لا تال بحيلة قلوب رأسي تحت طي جناحي
وجعلت في عش الغرام إقامتي فيه غوى دائماً ورواحي

ولهذا لم بلغت المعارف لحروف ولا رجاء ولم يبق له في نفس غير وجه الله حاجة فتحصل أن الولاية وهي سر العتبة لا تال بحيلة ولا تدرك بطلب لكن من سبقته له العناية يسر لما أريد منه قيل لذى النون بم عرفت ربك قال عرفت ربِّي ولولا ربِّي ما عرفت ربِّي اه وقيل لعل كرم الله وجهه هل عرفت الله بمحمد أو عرفت محمداً بالله قال لو عرفت الله بمحمد ما عديته ولكن محمد أوتق في من الله ولكن الله عرفني بنفسه فعرفت محمداً صلى الله عليه وسلم بالله وهنا انتهت معرفة المعارف أعني حين تحققوا بسابق التقدير غابوا عن أنفسهم في وجود معروفيهم فاستراحوا واستظلوا في ظل الرضى والتسليم وهب عليهم من جنات المعارف نسيم لكن اختلفت أحوالهم في حال نهايتهم الماء واحد والزهرا ألوان (فمنهم) من يطلب عليه الهدية والحياة قال بعضهم من ازدادت معرفته ازدادت هيئته له ومن كان بالله أعرف كان له أخوف وفيهم قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (ومنهم) من يطلب عليه الشوق والاشتياق قال بعضهم من عرف الله اتسم بالبقاء واشتاق إلى اللقاء وحاضق عليه الدنيا بمحذقها وقال السري أجل مقام المعارف الشوق يقول الله تبارك وتعالى إن لي عبادة من عبادي أحبهم ويحبوني وأشتاق إليهم ويشاقون إلي وأذكروني ويذكرونني وأنظر إليهم وينظرونني إلى من سلك طريقهم أحبه ومن عدل عنهم مقته قيل ياربنا وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشقيق غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها عند الغروب فإذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونهبت الأسرة وخلخل كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقتربوا إلى وجوههم وناجوني بكلامى وتلقوا إلى يانعى فمن

لقوله عليه الصلاة والسلام السائل على باب أحدكم هدية من الله تعالى أو كما قال (وكان) الشيخ الغوري رحمه الله يقول رأيت لبعض العلماء أنه قال يجب على الإنسان إذا وقف السائل وهو يأكل أن يناله (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه قلت له يجب قال نعم مثل الصلاة قال فاستتره وسألت عنه جماعة بالمشرق والمغرب فلم أجده عند أحد واستدل له بأن عائشة رضى الله عنها أعطته حبة عنب وذكرت حديث ردوا السائل ولو بشق تمره قال وفي الاستدلال على الوجوب نظير (قلت) إنما يظهر الوجوب إذا كان مضطراً أو حاملاً (ثانيها) الأكل بالقصد من غير إفراط ولا تفريط فلا يزيد على الشبع المعتاد بل يقصر عنه ولا يقلل جداً حتى يختل بدنه وخير الأمور أوسطها وكذلك لا يكبر اللقمة جداً ولا يصغرها جداً والوسط مطلوب في كل شيء (و) قال تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) الآية وقال (الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) (وقال) عليه السلام ما عال من اقصد إلى غير ذلك من الأخبار (ثالثها) الأكل بالآداب وهي كثيرة فمنها ما تطلب في أوله وهي التسمية جبراً (و) نية التقوى على الطاعة (و) الاعتبار في تيسيره بعد أن عمل فيه عوالم كثيرة وغسل البدان كان مستقذراً وإلا فلا ولا كل على السفرة دون الخوان المرتفع (و) الجلوس على إحدى رجليه وهي اليسرى ورفع الأخرى وإصاها يعطيه (و) التمشير عند الأكل قاله السلي (و) منها ما تطلب بعد

صارخ وبك ومن مأواه وشاك ومن قائم وقاعد، ومن راكم وساجد، بعيني ما يتحملون من أجل وبهمي ما يشكون من حبي، أول ما أعطيتهم ثلاثاً أذف في قلوبهم من نوري فتشعرون عني كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيهن من موازينهم لا استقلالها لهم والثالثة أقبل عليهم بوجهي أنرى من أقبلت عليه بوجهي يعلم أحد ما أريد أن أعطيه له.

وقال إبراهيم بن آدم رضي الله عنه غيبي الشوق يوماً فقلت يارب ان أعطيت أحداً من المحبين ما تسكن به قلوبهم قبل لقاءك فأعطيني ذلك فقد أضرني القلق فرأيت في النوم كأنه أوقفني بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييتني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيب فقلت يارب تهت فلم أدر ما أقول فافغفر لي وعلني ما أقول فقال قل اللهم رضي بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك (ومنهم) من تغلب عليه السكينة في القلب لأن العلم واليقين يوجبان السكون والطمانينة فمن ازدادت معرفته ازدادت سكينة قال تعالى (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (ومنهم) من يغلب عليه النعش والحيرة قال بعضهم أعرف الناس بأفة أشدم تحيراً فيه وفي الحديث اللهم زدني فيك تحيراً (ومنهم) من يغلب عليه التواضع والخضوع والذل والانكسار قال الجنيد العارف كالارض يطأها البارو والقار وكالسحاب يظل الأحمر والأبيض وكلطر يسقي الماشي والراشي (ومنهم) من تسع معرفته ويغوص بحار التوحيد فلا يكدره شيء ولا يسلط عليه شيء بل يأخذ التصيب من كل شيء ولا يأخذ من نصيبه شيء يأس بكل شيء ولا يستوحش من شيء قال أبو تراب العارف به صفو كدر كل شيء ولا يكدره شيء اه وقال أبو سليمان الداراني ان الله يفتح للعارف على فراشه ما لا فتح له وهو قائم يصلي وقال بعضهم العارف من أنس يذكر الله حتى استوحش من خلقه واقتصر على الله تبارك وتعالى فأغناه عن خلقه وذلل الى الله تبارك وتعالى فأعزه الله في خلقه (وفي) زبور داوود عليه السلام يا داوود بلغ أهل رضائي أني حبيب لمن أحبنى وجليس لمن جالسني وأنيس لمن أنس بذكرى وصاحب لمن صاحني وعشار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني بمنزلة حلفت ما أحبنى عبد أعلم ذلك يقيناً من قلبه الا قبله لنفسي وأحبيته أشد ما أحبنى ومن طابني وجنتي ومن طلب غيري لم يجدني فارضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها وهدوا إلى كرامتي ومصاحبي

الشروع فيه وهي الأكل بثلاثة أصابع بحيث يتأني ذلك (وقال) السلمي وليس من النظرة ان يغمس يده في الطعام بحيث يتلطف به اه (و) الأكل بما يليه (و) تصغير اللقمة (و) تجويد المضغ (و) ترك النظرة إلى لقمة صاحبه (و) ترك لقم الاصابع قبل تمامته يرد في القصة (و) ترك الانحناء على الطعام لئلا يسقط من فيه شيء فيقذره على غيره (و) ترك نفث اليد بما يفضل من لقمة في القصة فإن ذلك يقدر على الأكلين وهذا كثير أما يفعله من لا معرفة له بالآداب طيترز الفقير منه جهده فإن التصوف كله آداب كما يأتي إن شاء الله (و) ترك مسح يده في جوانب القصة (و) ترك الأكل من وسط القصة (وقد) قال صلى الله عليه وسلم كلوا من حواشيها ولا تأكلوا من وسطها فإن البركة في وسطها (و) الأكل باليد إلا ما كان مائتاً أو خفيفاً (وكره) بعضهم الأكل بهذه المعانيق إلا لضرورة (ومنها) ما تغلب بعد انتماء وهي الحمد سرأ ولقم الاصابع لقوله عليه السلام ان احكم لا يدري في أي طعمامة البركة ثم مسحها ثم غسلها (وقد) رمز بعضهم لهذا الترتيب بلفظ (لمع) فاللام للقم والميم للسهل والعين للفصل (ومنها) لقم ما سقط من الطعام يقال انه مهر الحور (و) بقي من الآداب التي تغلب عند الأكل باليمين بدلا من اليسار إلا أن يكون في هذه طعام وفي هذه ادم كما وقع لسيدنا علي كرم الله وجهه إذ كان في إحدى يديه خبز وفي أخرى شواو معدم القرآن في آخر مثلاً إلا أن يكون مع قوم

وَبِجَالِئِي وَأَنْسُوا بِذِكْرِي أَوْنَسْكُمْ فِي وَأَسْرِعُوا إِلَى عَجَّتِي أَسْرَعَ إِلَى عَجَّتِكُمْ فَإِنِ خَلَقْتَ طِينَةً أَحَبَّتِي مِنْ طِينَةِ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِي وَمُوسَى كَلِيمِي وَعِيسَى رُوحِي وَعَمَّادٌ صَفِي وَخَلَقْتَ قُلُوبَ الْمُشْتَاقِينَ مِنْ نُورِي وَنَعْمَتَا بَجَلَالِي وَجَمَالِي أِهْ وَلِمَا كَانَ الْإِعْتِدَادُ عَلَى السَّابِقَةِ يَقْتَضِي تَرْكَ الْعَمَلِ بَيْنَ سِرِّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (عَلِمَ أَنَّ الْعِبَادَ يَتَشَوَّفُونَ إِلَى ظُهُورِ سِرِّ الْعَنَاءَةِ فَقَالَ يَحْتَصِ بِرَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَوْ خَلَّامٌ ذَلِكَ لَتَرَكُوا الْعَمَلَ اعْتِمَادًا عَلَى الْإِزَالِ فَقَالَ إِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) فَلَمَّا أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ أَنَّ الْمَدَارَ إِنَّمَا هُوَ عَلَى السَّابِقَةِ فَتَنَسَّقَتْ لَهُ الْعَنَاءَةُ لَا تَقْضِرُهُ الْجَنَائِدُ تَشْوِيقَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ إِلَى ظُهُورِ سِرِّ هَذِهِ الْعَنَاءَةِ فَكُلُّ وَاحِدٍ يَنْظُرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا فَأَخْبِرَ الْحَقُّ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ السِّرَّ إِنَّمَا هُوَ الْبَعْضُ دُونَ الْبَعْضِ فَقَالَ يَحْتَصِ بِرَحْمَتِهِ مِنْ يَشَاءُ فَاسْتَدْنَا إِلَى مَشِيئَتِهِ دُونَ مَشِيئَتِهِمْ فَضَلُّوا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ الْبَعْضُ دُونَ الْكُلِّ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَطْمَعُ أَنَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَعْضِ فَرِمَا يَتْرَكُونَ الْعَمَلَ وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى سَابِقِ الْإِزَالِ فَأَخْبِرَ الْحَقُّ تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ السِّرَّ لَهُ عِلَامَاتٌ تَدُلُّ عَلَى مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ وَيَحْتَصِ بِهِ فَقَالَ إِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فَالرَّحْمَةُ هُنَا هِيَ الْعَنَاءَةُ السَّابِقَةُ وَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ وَأَحْسَنُوا إِلَى عِبَادِ رَبِّهِمْ فَتَحَصَّلَ أَنَّ سِرَّ الْعَنَاءَةِ إِنَّمَا تَظْهَرُ عَلَى الْمُحْسِنِينَ الْمُتَّقِينَ لِأَعْمَالِهِمُ الْمُخْلِصِينَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِمْ فَتَنَسَّقَتْ إِلَى الْحُكْمِ السَّابِقِ وَتَرَكَ الْعَمَلُ هُوَ مَغْرُورٌ أَوْ مَطْرُودٌ لَا يَبْطُلُهُ الْحِكْمَةُ وَمَنْ اسْتَدَنَّ إِلَى الْعَمَلِ دُونَ النَّظَرِ لِلْقُدْرَةِ وَالْمَشِيئَةِ السَّابِقَةِ هُوَ جَاهِلٌ يَبِيدُ عَنِ الْحَضَرَةِ غَافِلٌ وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا هُوَ عَاطِقٌ كَامِلٌ وَسِرُّ الْعَنَاءَةِ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاصِلٌ.

(قَالَ) أَبُو عَثَانَ الْمَغْرِبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلُوبَ الْعَارِفِينَ فَارْعَةً لِمُفَاجَأَةِ الْمَقْدُورِ وَقَالَ. بَعْضُهُمْ لَيْسَ كُلُّ مَنْ طَلَبَ نَالَ وَلَا كُلُّ مَنْ نَالَ وَصَلَ وَلَا كُلُّ مَنْ وَصَلَ أَدْرَكَ وَلَا كُلُّ مَنْ أَدْرَكَ وَجَدَ وَلَا كُلُّ مَنْ وَجَدَ سَعِدَ وَكَمْ مِنْ وَاحِدٍ حَرَمَ مِنَ الْخَيْرِ بِمَنْ وَكَمْ مِنْ وَاحِدٍ أَدْرَكَ مِنَ الْقَرِيبَاتِ غُرَفَاتٍ وَمَنْ أَيْدٍ بِالْتَرْفِيقِ وَصَلَ فِي لَحْظَةِ الْعَيْنِ إِلَى عَيْنِ الْقَبُولِ كَمَا حَكَى عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ أَنَّهُ رَأَى فِي مَنَامِهِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ ضَجَّ بِالصَّيْحَانِ وَالْعَوِيلِ فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جُنُودُهُ وَقَالُوا مَا لَكَ فَقَالَ لِمَ كُنْتُ أَطْمَعُ فِي فُلَانٍ مِنْذُ سَنِينَ قَدْ بَدَأَ أَسْتَوِي ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ وَسِرَّهُ وَعِلَانِيَتَهُ فَمَ أَجِدُ إِلَيْهِ سَبِيلًا تَحْمِلُ بِالصَّدَقِ فَامْتَنَعَ مِنِّي فِي مَقْعَدِ صَدَقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ أَمْ تَمَّ بَيْنَ مَا تَقْدِمُ مِنْ حُكْمِ الْمَشِيئَةِ فَقَالَ) إِلَى الْمَشِيئَةِ يَسْتَدَنَّ كُلُّ شَيْءٍ وَلَيْسَتْ تَسْتَدَنَّ أَطْمَعُهُمْ وَعَدَمُ جَوْلَانِ يَدِهِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَحَيْثُ يَبَاحُ لَهُ الْجَوْلَانُ (و) آدَابُ الْأَكْلِ كَثِيرَةٌ ذَكَرَ مِنْهَا فِي الْمُدْخَلِ بِنْتُهُ صَالِحَةٌ (و) رَابِعُهَا الْأَكْلُ بِالرَّفْقِ وَهُوَ التَّائِي فِي الْأَكْلِ بِحَيْثُ يَصْغُرُ اللَّقْمَةُ وَلَا يَرْفَعُ أُخْرَى حَتَّى يَتَلَعَّ مَا فِيهِ وَيَجْعِدُ الْمُضْغَ وَيُلَوِّكُ طَعَامَهُ إِلَى أَنْ يَنْعَمَ مَضْغًا وَلَا يَظْهَرُ الشَّرُّ وَالْحَرَصُ بَلْ يَظْهَرُ التَّنَاعَةُ وَالْفَنَى عَنْهُ (وَعَلَسَهَا) الْأَكْلُ بِالْإِتْيَارِ وَهُوَ أَنْ يَوْثِرَ غَيْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ إِنْ كَانَ الطَّعَامُ قَلِيلًا أَوْ كَانَ فِيهِ مَا يَشْتَهَى فَيَقْدِمُهُ نَغِيرَهُ كَلِمٌ جَيِّدٌ أَوْ غَيْرُهُ وَالْإِتْيَارُ مَا تَمَسَّ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ دُونَ ضَرَرٍ لَا حَقَّ فِي الْحَالِ وَالْمَالِ وَقَدْ مَرَّ أَنَّ أَهْلَ الْإِتْيَارِ يَقُولُ تَعَالَى (وَيَوْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (وَقَالَ) بَعْضُهُمُ الزُّهْدُ عِنْدُنَا إِذَا وَجَدْنَا آثَرَنَا وَإِذَا فَقَدْنَا شُكْرَنَا (و) قَوْلُهُ وَقَتَحُوا الْبَابَ الْخَلْجَ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ لَا يَلْتَزِمُ الْفَعْلُ ذَكَرَ أَوَّلًا الْأَمْرَ ثُمَّ صَرَحَ بِالْفَعْلِ أَوْ يَحْمِلُ الْأَوَّلُ عَلَى الْبَابِ الْخَارِجَةِ وَالتَّائِي عَلَى الْبَابِ الدَّاخِلَةِ إِنْ كَانَ لِلزُّلْ بَابَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، تَمَّ (قَالَ) أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَعْضُ مَشَائِخِ الصُّوفِيَةِ وَاجِبٌ عَلَى الْمُضَيِّفِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ وَعَلَى الضَّيْفِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ (فَأَمَّا) عَلَى الْمُضَيِّفِ بَأَنْ يَطْعِمَهُ مِنَ الْحَلَالِ وَيَحْفَظُ عَلَيْهِ مَوَاقِيتَ الصَّلَاةِ وَلَا يَجْبِسُ عَنْهُ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ (وَعَلَى) الضَّيْفِ أَنْ يَجْلِسَ حَيْثُ يَجْلِسُهُ وَأَنْ يَرْضَى بِمَا قَدَّمَ إِلَيْهِ وَلَا يَخْرُجَ إِلَّا بَعْدَ اسْتِئْذَانٍ (رَوَى) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَشِيعَ الضَّيْفُ إِلَى بَابِ الدَّلَالِ (قَالَ) وَإِنْ زَادَ فَهُوَ خَيْرٌ (و) يَذْكُرُ أَنَّ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ

هى إلى شيء) قلت المشيئة والارادة شيء واحد واليهما تستند الأشياء كلها قال تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ولو شاء ربك ما فعلوه) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سبق المشيئة لكل شيء. وأما هي فلا تستند إلى شيء. ولا توقف على شيء. فلا توقف على سؤال ولا على طالب فما شاء الله كان من غير سبب ولا سؤال وما لم يشاء ربنا ليسكن قريب من شاء بلا عمل وبعد من شاء بلا سبب لا يستل عما يفعل وهم يستلون قاعدة التحقيق ما ثم إلا سابقة التوفيق قال أبو بكر الواسطي رضى الله عنه (أن الله) لا يقرب فقيراً لأجل فقره ولا يبعد غنياً لأجل غناه وليس للأعراض عنده خطر حتى بها يوصل وبها يقطع ولو بذات الدنيا والآخرة ما أوصلك إليه بها ولو أخذتها كلها ما قطعك بها قرب من شاء بغير علة وتقطع من شاء من غير علة كما قال ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور فانظر إلى المشيئة حقيقة والنظر إلى السبب شرعة (أو تقول) النظر إلى المشيئة قدرة والنظر إلى الأسباب حكمة ولا بد من الجمع بينهما فالحقيقة معنية والشرعة مبدئية الشرعة حكمة والحقيقة قدرة والحقيقة حاكمة على الشرعة في الباطن والشرعة حاكمة على الحقيقة في الظاهر وليس حكمة القدرة بأولى من وصف الحكمة في عمله ولا بالعكس (قال) الشطبي واعلم أن للناس أربعة ناظر في السوابق لعلمه بأن الحكم الأزلى لا يتغير باكتساب العبد ناظر في العواقب لعلمه بأن الأعمال بخواتمها وناظر للوقت لا يشتغل بالسوابق ولا بالعواقب غير أداء ما كلف به من حكم الوقت عالم بأن المعارف ابن وقته لا يهتم بماض ولا مستقبل ولا يرى غير الوقت الذى فيه ونظرته وحده لعلمه بأن الماضى والمستقبل والحال متقلبون في قبضته متصرفون في حكمه والأوقات كلها قابلة للتغير وتبدل الحال فلا يراها وإنما يراقب من كل شيء يده وقد أراد بعضهم الخروج من بين يدي بعض المشايخ فقال له الشيخ أين تريد فقال ياسيدى لئلا أشغلك عن وقتك فقال له ليس عند الله وقت ولا مقت وإنما يرى رب الوقت لا الوقت ومن تمكنت فيه حالة الشهود غاب بالموجود عن الوجود وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود (حكى) أن رجلاً قال لابي يزيد أين أبو يزيد فقال له ليس هنا أبو يزيد (وقال) رجل للشبلى أين الشبلى قال مات لارحمه الله وإنما عنى الشبلى لارده الله لاحتاسه عن مشاهدته لربه ورأى أبو يزيد رجلاً في المسجد يستل عنه فقال له وأنا أطلبه منذ سنين فظن أنه مجنون فلما أعلم أنه هو قال

الخليل كان يشيع الضعف مسيرة ميل أو أكثر والله تعالى أعلم ثم أشار إلى الحكم الخامس من الأحكام التسمه فقال (والخامس ما يلزمهم من الآداب عند الاجتماع) وحاصل هذا الحكم الحض على الآداب ومواطنه وكيفيته فقال موطئاً للكلام عليه .

والل طريق ظاهر وباطن تعرف منه صحة البواطن

(قلت) المراد الطريق هو طريق السلوك إلى ملك الملوك وهى طريق الصوفية ولما ظاهر وباطن فظاهر ما يتعلق بإصلاح الجوارح الظاهرة وباطنها ما يتعلق بإصلاح العوالم الباطنية (و) أخبرنا أن استقامة الظواهر دليل تصوف منه استقامة البواطن وعبر عن الإستقامة بالصحة فصحة الظاهر عنان صحة البواطن (قال) ابن عطاء الله فى الحكم حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقيق بمقامات الأزال (و) قال أيضاً ما استودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظاهر إلا أن ما يتعلق بإصلاح الظواهر يسمى شرعية وما يتعلق بإصلاح البواطن يسمى طريقة ثم حقيقة ثم بين ما يخص باظهاره وما يخص بالباطن فقال :

ظاهر الآداب والأخلاق مع كل خلق ماله خلق
باطنه منازل الأحوال مع المقامات لذى الجلال

له يأسدي عليك أسئل ولك أطلب فقال له أبو يزيد الذي طلب قد ذهب في الزاهين في الله باقه لله فلا رده الله (هذا) آخر الباب الثامن عشر وحاصلها آداب السؤال والطلب وأنه ينبغي أن يكون عبودية لاسياف العلماء إذ قد سبقت قسمتك في الأول قبل أن يكون منك طلب فضائنه سابقة بمحض برحمته من يشاء لكن الحكمة تقتضي وجود العمل فوجود العمل أمانة على خصوصية الأزل مع توقف ذلك على المشيئة لأنها يستند إليها كل شيء ولا تستند هي لشيء فلم يسكن والادب حتى ترك الطلب كما بين ذلك في أول الباب التاسع عشر بقوله قال رضى الله عنه (ربما دلم الادب على ترك الطلب .

قلت الظاهر أن رب هذا التكثير لأن الغالب على العارفين وأهل الفناء السكوت والسكون تحت مجارى الأقدار فصدور الطلب منهم قليل لأن العارف فإن عن نفسه غائب عن حسه ليس له عن نفسه أخبار ولا مع غير الله قرار فلا يتصور منه سؤال ولا فوات مأمول من شغله ذكرى عن مسئلي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين الأشياء تشتاق إليه وهو غنى عنها اشتاقت الجنة إلى عمار وصوب وبلال كما في الحديث والحاصل أن العبد مادام غائباً عن نفسه فإن في شهود ربه منقطعاً عن حسه لا يتصور منه طلب أصلاً إذ الطلب يقتضي وجود الأثنية والفرض أنه غريق في بحر الوحدة فطلبه حيث نسوه أدب في حقه فإن رد إلى الشعور بنفسه وهو مقام البقاء قد يتصور منه السؤال على وجه العبودية لأعلى وجه الاقتضاء والطلب كما تقدم ثم بين مستند في ترك الطلب فقال (اعتدأ على قسمته واشغلا بذكره عن مسئله) قلت أما الاعتدأ على القسمة الأزائية فقد تقدم الكلام عليها في الحكمة قبل هذه وأما الاشتغال بالذكرى عن المسئلة فقد تقدم قريباً في الحديث من شغله ذكرى عن مسئلي .

(وقال) الراسطى رضى الله عنه ما جرى لك في الأول خير من معارضة الوقت يعنى باطلب للحظ وقال القشيري إذ وجد في قلبه إشارة إلى الدعاء دعا كما إذا وجد نشاطاً أو انبساطاً للدعاء فالدعاء أولى وإذا وجد في قلبه قبضاً فالسكوت أولى وقال بعضهم ما سألت الله تعالى بلساني شيئاً منذ خمسين سنة ولا أريد أن أذكر ولا أن يدعى لى اه وذلك لأن الله سبحانه ليس بغافل حتى يذكر بل هو عليم بغميات أمورك فيأتيك منها ما قسم لك كما بين ذلك بقوله (إنما يذكر من يجوز عليه الاغفال) وقد قال تعالى (وما الله بغافل عما تعملون أليس الله بكاف عبده) ولا يحتاج الى تنبيه

(قلت) لما أخبر أن الطريق لها ظاهر وهو ما يظهر على الجوارح من الآداب المرضية والأخلاق السنية والأعمال الزكية ولها باطن وهو ما يمكن في القلوب من الواردات الإلهية والأحوال الربانية والمقامات القيمة والعلوم الدينية والأسرار القدسية عين هنا ما يختص به الظاهر وما يختص به الباطن فآخبر أن ظاهر الطريق الآداب وحقيقة عند الصوفية حفظ الحراس وضبط الأنفاس أى الأوقات والحق أنه تهذيب الجوارح وتصريفها في أنواع المصالح (قال) السلى رضى الله عنه وعلى كل جراحة آداب تختص به قال الله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) (وقال) بعض المشايخ حسن الأدب مع الله تعالى لا تحرك جراحة من جوارحك في غير رضى الله عز وجل فأدب اللسان أن يكون رطباً يذكر الله وبذكر الآخرين بخير والدعاء لهم وبذل النصيحة والوعظ ولا يكلمهم بما يكرهون ولا يفتب ولا يمشى بالهيم ولا يشتم ولا يخرس فيما لا يبيحه وإذا كان في جماعة تكلم معهم ماداموا يتكلمون فيما بينهم فإذا أخذوا فيما لا ينهم تركهم وأمسك ويتكلم في كل مكان بما يوافق في الحال قد قيل لكل مقام مقال (وقيل) خلق الله اللسان رجلاً للماقل ومفتاحاً للخير والشر (و) قيل إذا طلبت صلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك والزم الصمت فاستمر للجاهل وزين للقلب (قال) صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على وجوههم أو مناخرهم الا حصلوا السستم (و) آداب السمع ألتسمع الفتحش

لأنه لا يملك فيها هو من قسمتك كما يئنه بقوله : (وإنما يئنه من يجوز عليه الاممال) والحق تعالى لا يجوز عليه الاممال لكامل قدرته وإحاطة علمه ولكن حكته اقتضت ارتباط الأسباب والعلل وتقديم الأشياء وتأخيرها قال تعالى (وكل شيء عنده بقدر) فمن كل يقينه اكتفى بتدبير الحق عن تدبيره واستغنى بعلم الله عن استعجاله ورضى بتصرف الحق فيما يفعل فيكون إبراهيمياً حقيقياً ولا شك أن من كان على ملة إبراهيم عليه السلام اقتدى به وقد كان بين السماء والأرض حين رى به فاستغنى بعلم الله عن سؤاله فكانت حالة سيدنا إبراهيم عليه السلام في ذلك الوقت الاستغراق في الحقيقة فلما رد للشرائع دعا فقال : (رب اغفر لي ولوالدي وللؤمنين رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين) وكذلك الأنبياء عليهم السلام أكثروا من الدعاء للتشريع والتعليم واظهار الفاقات التي هي مراسم وأعياد كما أبان ذلك بقوله (ورود الفاقات أعياد المردين) قلت الأعياد جمع عيد وهو ما يعود على الناس بالأفراح والمسرور فالعلوم فرحهم ومسرتهم بالحفظ والوعود الجسانية والخواص فرحهم بإقبال الملك عليهم ووجود قلوبهم وصفاء وقيمهم من كدورات الأغيار والغالب أن هذه المعاني إنما توجد عند الفاقة والحيرة والاضطرار حيث ينقطع حظ النفس فيها لأن النفس كما ضيقت عليها رحلت إلى عالم الملكوت وفي ذلك العالم راحتها وفرحها ومسرتها قال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى وهما جتان معجلة ومؤجلة فلجل هذا أثرت الصوفية الفقر على الفناء والشدة على الرخاء والنزاع على العز والمرضى على الصحة لما يحصل لهم بذلك من الرقة والحلاوة وكلما ازدادوا فاقة زادهم الله قرباً وولاء وكان بعضهم يطوف حول الكعبة ويقول

مؤتزر بشملي كما ترى وصية بأية كما نرى
وامراتي عريانة كما ترى بامن رى الذي بنا ولا يرى
أما ترى ما حل أما ترى

فسمه بعضهم فجمع له كسراً ودفنها اليه فقال له اليك غنى لو كان معي شيء لما أمكنني أن أقول هذا القول وقال أبو إسحق الهروي رضى الله عنه من أراد أن يبلغ الشرف كل الشرف فليختر سبعاً على سبع فإن الصالحين اختاروها حتى

والحناء والنفية والنجمة والمناكر وأنشدوا :

أحب الفتى بنى المناكر سمعه كان به عن كل فاحشة وقرا

يل يسمع الذكر والوعظ والحكمة وما يعود عليه بالفائدة ديناً ودنياً ويحسن الاصفاء الى مكلميه ويخطيه ملته بذلك (و) آداب البصر النض عن المحارم وعن عيوب الاخوان وعن المنكرات والمحرمات فإن الله تعالى يعلم خاتمة الاعين وما تخفى الصدور (و) قيل من طارعه طرفه تابع حفته أى موته وفي رواية من أرسل طرفه مات حفته وأنشدوا :

وأنتك مهماترسل الطرف راكداً لتلقك يوماً أتعبك المناظر
ترى ما الذى لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

ثم قال السلى وقيل من غص طرفه ثم ظفره وقيل من كثرت لحظاته دامت حسراته ويكون نظره بالاعتبار والاستدلال على قدرة الله تعالى وعظمته وجليل صنعه عارياً عن حظوظ النفس الامارة بالسوء (وحكى) عن بعضهم أنه قال نظرت إلى شخص نظره شر فأتيت في المنام قائلاً يقول لى الدنيا دارى والخلاق فيها عبيدى وإماتى فمن نظر إلى واحد منهم بغير حق فقد خاتى فاقته وآليت ألا أنظر إلى شخص بعد ذلك إلا على حد الأمانة (وحكى) عن أبي يعقوب النهرجورى

بلغوا سنام الخير اختاروا الفقر على الغنى والجوع على الشبع والعون على المرفع والذل على العز والتواضع على الكبر والحزن على الفرح والموت على الحياة اه وقال بعضهم ان الفقير الصادق يستحز من الغنى حذراً أن يدخله فيفسد عليه فقره كما تحز من الغنى من الفقر حذراً أن يفسد عليه غناه وأنشدوا في أعياد العارفين .

قالوا غدا العيماذا أنت لابسـه
قفر وصير هما ثوباي تحتها
أحرى الملايس أن تلقى الحبيبـه
الذهر لى مأثم إن غبت يا أملى
قلت خلة ساق حبه جرعا
قلب يرى إلفه الأعياد والجمعا
يوم الزوار فى الثوب الذى خلعا
والعيد ما كنت امرء لى ومستمعا
(وقال آخر)

قالت هذا العبد بالبشرى فقلت لها
الله يعلم أن الناس قد فرحوا
والعبد والبشرى عندي يوم لقاك
فيه وما فرحتي إلا بروباك

ثم بين وجه كون الثقة عيدا فقال (ربما وجدت من المزيد في الثقافات ما لاجده في الصوم والصلاة الثقافات بسط المواهب ان أردت بسط المواهب عليك صحح الفقر والثقة لديك إنما الصدقات للفقراء والمساكين قلت إنما كان الانسان يجد في الثقة من المزيد ما لا يجده في الصوم والصلاة لأن الثقة من أعمال القلوب والصوم والصلاة من أعمال الجوارح والندرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح الثقافات تقوت الروح والصوم والصلاة تقوت القلب والروح محل المشاهدة والقلب محل المراقبة وما بينهما معلوم قال بعضهم اعلم أن المدد الذي هو الفتح الرباني إنما يقع في القلوب الفارغة من العوائق . الثواغل وقد يوجد العبد كثير الصلاة والصيام وباب قلبه مسدود لاشتغاله بأمور دنياه وهم الأكثر من الناس وقد يوجد العبد قليل الصوم والصلاة وباب قلبه مفتوح للدعوات الدينية والتزلات الذميمة وهم الأقلون من الناس وكل العبادات يدخلها الرياء إلا الخوف لكونه لا حظ للنفس فيه أهو في بعض الاخيار يقول الله تبارك وتعالى لعبده سيكنك بالثقة نكون ذهاب الحديث قال في التوير اعلم أن في البلايا والثقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه

أنه قال رأيت في الطراف إنساناً بفردتين وهو يقول أعوذ بك منك قلت ما هذا الدعاء فقال اعلم أنى مجاور منذ خمسين سنة فرأيت يوماً شخصاً استجسسته فإذا لطمه وقت على عينى فسالت على خدى قلت آه فقيل لى لحظة بلطمة ولوزدت لوزدناك (و) قال صلى الله عليه وسلم لى رضى الله عنه إياك أن تتبع النظر فإن الأولى لك والثانية عليك وآداب القلب مراعاة الأحوال السنية المحمودة فى الخواطر الرضية المذمومة والتذكر فى آلاء الله ونعمائه وعجائب خلقه قال الله تعالى (وتفكرون فى خلق السموات والأرض) الآية (و) قال صلى الله عليه وسلم تفكر ساعة خير من عبادة سنة (قلت) وفى رواية خير من عبادة سبعين سنة فيحمل الأول على تفكر أهل الدليل والثانى على تفكر أهل الشهود ومن آداب القلب حسن الظن بالله وبجميع المسلمين وتطهيره من الغل والحسد والحياة وسوء الظن وسوء المعتد فانها من خباياها قال الله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) (و) قال النبى صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح بصلاحها سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهى القلب وقال سرى السقلى القلوب ثلاثة قلب كالجبل لا يحرکه شيء وقلب كالنحلة أصلها ثابت والريح يحمل بها يميناً وشمالاً وقلب كالريشة يذهب مع كل ريح ولا يثبت (وآداب) الدين البسط بالبر والاحسان وخدمة الاخران وألا يستعين بها على محبة الله تعالى (وآداب) الرجلين السعي بهما فى صلاح

إلا أولوا البصائر ولو لم يكن إلا تذلل النفس وتحقيرها وقطعها عن حظوظها لكان في ذلك غاية المطلوب منها وقد قيل حيثما وقعت اللذة وقت معها الصرة قال الله العظيم (ولقد نصركم الله وبدروا ثم اذله) ١ ه فان أردت أيها القمير بسط المواهب وورودها عليك فصحح الفقر والقناعة لديك فاذا صححت القناعة والفقر عندك فاستعد لك كتب المواهب فانها ترد عليك كالسحاب وقد قلت في هذا قصيدة سيأتي ذكرها قريبا إن شاء الله :

وان تردن بسط المواهب عاجلا في القناعة ربح المواهب ينشر

والمراد بالمواهب معارف وكشوفات وطمانينة وحكم وتلوم وأمرار ترد على القلوب من خزائن الغيوب حال صفائها وتصفيتها من الغيرية وأصنى ما يكون القلب حين تذهب النفس وذهب النفس إنما يكون بترك حظوظها ولا يتحقق ذلك في الغالب إلا في حال القناعة والفقر ولذلك كانوا يفرحون بالفقر ويمزنون من الغنى فتح على بعضهم شيء من الدنيا قال هذه عقوبة لم أدر ما سببها وقال المروى صفة مهجورة وهو الذم ما يناله المعارف لكونها تدخله على التقوى تجلسه بين يديه وهو أعم المقامات حكما لقطع العوائق والتجرد من العلائق واشتغال القلب بآفة قبل الفقير الصادق لا يملك ولا يملك ولا يملك لسهل رضى الله عنه متى يستريح الفقير قال إذا لم ير في وقت غير ربه (وقال) الشبلي الفقير لا يستغنى بشيء دون الله (وقال) السهروردي في عوارف المعارف الفقر أساس التصوف وبه قوامه ويلزم من وجود التصوف وجود الفقر لأن التصوف اسم جامع لمعانى الفقر والزهد مع زيادة أحوال لا بد منها للصوفي وان كان فقيرا زاهدا (وقال) بعضهم نهاية الفقر بداية التصوف لأن التصوف اسم جامع لكل خلق سوى الخروج عن كل خلق دني لكنهم اتفقوا أن لا دخول على الله إلا من باب الفقر ومن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بشيء مما أشار إليه القوم والتحقيق بالفقر هو الاستئناس به والاعتباط بحصوله والاستقرار معه حتى يكون عنده أحلى من العسل ويكون المال عنده أمر من الحنظل فيختد تروادف عليه المواهب وتتسع له المعارف حتى يكون أغنى الأغنياء (قال) بعض الصالحين كان لي بعض مال فرايت فقيرا في الحرم جالسا منذ أيام ولا يأكل ولا يشرب وعليه أطمار رثة فقلت أغنيه بهذا المال فألقيته في حجره وقلت استغن بهذا على دنياك ففرض بها

نفسه واخوانه ولا يبعثي همام حأولا يخال ولا يبختر ولا يزهو فانها بما يفيضه الله تعالى ولا تستعين بهما على المعاصي ١ ه (و) أما الأخلاق فالمراد بها حسن الخلق مع كل مخلوق ومرجعها إلى الحلم والعفو والصبر أو تقول مرجعها إلى أن تعامل الخلق بما تحب أن تعامل به أو تقول مرجعها إلى كفاف الذي وبذل النداء والانصاف فيما ظهر وما بدا وحمل الجفا وشهود الصفا ورى الدنيا بالقفا (وقال) الغزالي هو ملك النفس عند الشهوة والغضب ويرجع إلى ما تقدم (وقوله) مع كل خلق ماله خلق معناه أن تحسن أخلاقك مع من لا أخلاق له أى لا نصيب له عند الله أملك أن تحسن أخلاقك مع من لا قدر له لأنه هو الذى يحتاج إلى تحسين الأخلاق وأيضا التأدب وحسن الخلق مع من لا أخلاق له يتضمن التأدب مع غيره بالاحورية ومرجع ذلك لقوله تعالى (وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (قال) عليه الصلاة والسلام أمرني ربي أن أعطي من حرمني وأعفو عن ظلمي وأصل من ظفني وقال تعالى (ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) ومعناه أن تحسن إلى من أساء إليك (وقوله) باطنه منازل الأحوال مع المقامات يعنى أن باطن الطريق هو محل تنزل الأحوال والمقامات وهى القلوب والأسرار لأنها باطنية لا يطلعها إلا الله والفرق بين الحال والمقام أن الحال يتحول فيذهب ويحجى بخلاف المقام فإنه رسوخ وتمكين (قال) في العوارف كثر الاشتباه بين الحال والمقام واختلفت إشارات

في الحياء وقال لي اشتريت هذه الجلسة مع ربي بما ملكت وأنت تصدها علي ثم انصرف وتركني انقطعا فراقه ما رأيت أعز منه لما بددها ولا أذل مني لما كنت انقطعا وهذا هو تصحيح الفقر والفاقة ظاهر أو باطناً وكان بعضهم إذا أصبح عنده شيء أصبح حزياً وإذا لم يصبح عنده شيء أصبح فرحاً مسروراً فقيل له انما الناس يمسكون هذا فقال لي انما المصيح عندي شيء فلي برسول الله أسوة حسنة وإذا أصبح عندي شيء لم يكن لي برسول الله أسوة حسنة (قلت) وهذه حالة أشياخنا رضى الله عنهم حبسوا استزناهم من حالهم وقد بلغني أن شيخ شيخنا مولاي العربي رضى الله عنه كان يشعل الفتيلة وينظر في نواحي البيت إذا وجد شيئاً أخرجه يصدق به ويبيت على الفتيلة هكذا كان حاله في حال تجرده رضى الله عنه هذا واستشهد المؤلف رضى الله عنه بالآية الكريمة (انما الصدقات للفقراء والمساكين) إشارة إلى أن ما يهبه الله تعالى من المواعب والمعارف إنما هي صدقة ومنه لا جزاء على الأعمال والأحوال لأن الصدقة لا تكون في مقابلة عمل (وإن الله لفي عن العالمين) ثم التحقيق بالفقر بمجموعة التحقق بأوصاف البيودية وهي الذل والعجز والضعف كما بين ذلك بقوله (تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه تحقق بذلك يمدك بعزه تحقق بعجزك يمدك بقدرته تحقق بضعفك يمدك بحوله وقوته) قلت أوصاف البيودية أربعة يقابلها من أوصاف الربوبية أربعة :

(أولها) (من العبد الفقر ومن الله الغنى .

(الثاني) (من العبد الذل ومن الله العز .

(الثالث) (من العبد العجز ومن الله القدرة .

(الرابع) (من العبد الضعف ومن الله القوة) والتحقيق بالوصف هو التجلي والانصاف به قلباً وقالوا يكون ذلك بادياً بين خلقه فلا يتحقق للذل لله حتى يظهر ذلك بين عباده فمن أراد أن يمد الله بالثني به عما سواه فليتحقق بالفقر عما سواه كما قال الشيخ أبو الحسن في حزه الكبير : ذلك الفقر مما سواك والثني بك حتى لا تشهد إلا بياك ومن أراد أن يمد الله بالعز الذي لا يفتي فليتحقق بالذل لله والتواضع بين خلقه فمن تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره ومن أراد أن يمد الله بالقدره الخارقة للعوائد فليتحقق بعجزه ويترك حوله وقوته ومن أراد أن يمد الله بالقوة طاعة مولاه وبمجاهدة نفسه وهواه فليتحقق بضعفه ويسند أمره إلى سيده فقدر ما تعلى تأخذ وبقدر ما تنخس تسحق وبقدر ما تتحق بوصفك يمدك بوصفه وقد كنت قلت في ذلك أحياناً وهي هذه :

المشاخ في ذلك ووجود الاشتباه لمكان تشابههما في نفسيهما وتداخلهما فترايا البعض الشيء حالاً وترايا البعض مقاماً وكلا الروايتين صحيح لوجود تداخلهما ولا بد من ذكر ضابط يفرق بينهما على أن اللفظ والعبارة عنهما تشرع بالفرق (فالحال) سمي حالاً لتحوله والمقام مقاماً لثبوته واستقراره وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقاماً مثل أن يبعث من باطن العبد داعية المحاسبة ثم تزول الداعية بقلبة صفات النفس ثم تعود ثم تزول فلا يزال العبد حال المحاسبة تعامده الحال ثم يحول الحال بظهور صفات النفس إلى أن تداركه المعونة من الله الكريم ويطلب حال المحاسبة فتتغير النفس وتضبط وتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطناً ومستقره ومقامه ثم يتنازله حال المراقبة فمن كانت المحاسبة مقامه تصير له المراقبة حالاً ثم يحول عنه حال المراقبة لتناوب السهو والغفلة في باطن العبد إلى أن يتشعق شباب السهو والغفلة ويتدارك الله عبده بالمعونة فتصير المراقبة مقاماً بعد أن كانت حالاً ولا يستقر مقام المحاسبة قراره إلا بإزال حال المراقبة ولا يستقر مقام المراقبة إلا بانزال حال المحاسبة فإذا منح العبد نازل حال المحاسبة استقرت مراقبته وصارت مقامه ونازل للملاحظة أيضاً يكون حالاً ويحول بالاستتار ويظهر بالتجلي ثم يصير مقاماً وتتخلص شمس من كسوف الاستتار ثم في مقام الملاحظة أحوال وزيايدات وزيادات من حال إلى حال أعلى منه كالتحقق بالثني والتخلص إلى البقاء والترقي من عين اليقين إلى حق اليقين وسحق اليقين

تحقق بوصف للفقر في كل لحظة فما أسرع التقى إذا صحح الفقر
وإن تردن بسط الموهب عاجلاً ففي القاعة ربح المواهب ينشر
وإن تردن عزاً منيعاً مزيداً ففي الذل يخفى العز بل ثم يظهر
وإن تردن رضاً لقدرك عالياً ففي وضعك النفس الدنية يحضر
وإن ترد العرفان فافزعن الورى وعن كل مطلوب سوى الحق تظفر
ترى الحق في الأشياء حين تلتطف ففي كل موجود حيي ظاهر

قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه وتصحيح الجودية بملازمة الفقر والضعف والذل لله تعالى وأضدادها أوصاف الربوبية فالله ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه وقل من بساط الفقر الحقيقي ياغي من الفقير سواك ؛ ومن بساط الضعف الحقيقي يا قوي من للضعيف سواك ، ومن بساط العجز الحقيقي يا قادر من للعاجز سواك ، ومن بساط الذل الحقيقي يا عزيز من للذليل سواك ، تجد الاجابة كأنها طوع يدك واستميتوا بالله واصبروا إن الله مع الصابرين ولا يصح التحقيق بالوصف حتى يتعلق بأضدادها من مولاه فلا يلتجى في فقره ولا عجزه ولا ضعفه إلى أحد سواه (روى) أن بعض الملوك قال لبعض الفقراء ما يكون لك من حاجة فارفضها إلى فقال له الفقير قد رفعت حوائجي لمن هو أقدر منك فأعطاني منها رضيت به وما منعتي منها رضيت عنه فقال له ولا لك حاجة عندي قال بلى قال وماهي قال لا ترائني ولا تراك وأنشدوا :

ملككت نفسي وكنت عبداً فزال رقي وطاب عيشي
أصبحت أرضي بحكم ربي ان لم أكن راضياً فأبشي

فهذا هو التعلق بوصف الربوبية والتعزز بالله الذي لا يفنى عزه قال الله تعالى (وقه العزة ولرسوله وللؤمنين) ومن تعزز بالله ذل له كل شيء وقد حج شيان الراعي مع سفيان الثوري فلما كانا في البرية عرض لهما سبع فأخذ سفيان خارج الطريق ومضى إليه شيان ثم عرك أذنه فلم يزد أن حرك ذنبه وبصص وانصرف فقال له سفيان ما هذا يا شيان فقال له

اليقين نازل يخرق شفاف القلب وذلك أعلى فروع المشاهدة اهـ (وكذلك) التوبة والورع والزهد والتوكل والرضى والتسليم تكون أحوالاً ثم تصير مقامات فما دامت مجاهدة فهي أحوال فإذا كانت ذوقاً فهي مقامات (و) قد قالوا الأحوال مواهب لأنها موهبة من الله جزء على الأعمال والمقامات مكاسب لأن الفسكين منها مكتسب بدوام الأعمال (و) في التحقيق كلها مواهب (و) قول سيدنا علي كرم الله وجهه سلوني عن طرق السموات فاني أعرف بها من طرق الأرض أشار إليه إلى مقامات الأحوال فإن السالك بصير قلبه سهوياً فهي طرق السموات ومستزل البركات قاله الهروردي (وقوله) لذى الجلال يتعلق بمحنوف أى يستقر بها عند ذى الجلال أو في حضرة ذى الجلال وهو الحق تعالى ذو الجلال والإكرام والله تعالى أعلم .

(و) لما كان بين الظاهر والباطن تلازم ما كن في هذا ظهر في هذا أشار إلى ذلك بقوله :

والأدب الظاهر للعيان دلالة الباطن في الإنسان

(قلت) هذا داخل فيما تقدم من أن حجة الظواهر تدل على حجة البواطن فاستودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر (و) في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم من سر سريرة أبيه الله رداً لها فأحوال الظاهر تابعة لأحوال الباطن فالأسرة تدل على السريرة وما فيك ظهر على فيك وكل إناه بالذي فيه يرشح وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثر يلوح

لو شئت أن أركبه إلى مكة لفعلت وكانت عجزت تأتي كل يوم ليت السرى السقطى فكفست يته وتسوق له بعض القوت فسل من هي فقال الدنيا سخرها الله لي لما زهدت فيها وفي هذا المعنى ورد الحديث يقول الله تعالى للدنيا يا دنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدك وقال إبراهيم بن آدم من طلب الفقر استقبله الغنى ومن طلب الغنى استقبله الفقر والغنى هو الغنى بالله وقال سهل رضى الله عنه لم يشم رائحة اليقين من ركن لغير الله وقال أبو تراب رأيت شابا في البادية يمشى بلا زاد فقلت في هذا الموضع بلا زاد قال لست أرى غير الله فقلت اذهب الآن حيث شئت وقال إبراهيم الخواص لبيت فقيرا في البادية قلت له إلى أين فقال إلى مكة قلت بلا زاد ولا راحلة فقال لا إلى يسلك السموات والأرضين ويحفظها لا يسجزه قوتي بلا سب ولا علاقة فقلت صدقت ثم رأيت بعد ذلك في مكة وهو يطوف ويقول :

يا عين سحى أبدا يا نفس مرق كدأ
ولا تحبى أحدا إلا الإله الصمد

فلما رآنى قال لي مازلت على ضعف قبيلك فقلت لا بل أعلم أن الله على كل شيء قدير اهـ (هذا آخر الباب) التاسع عشر وحاصلها أن العارفين ربما دلم الأب على ترك الطلب اكتفاء بعلم الله إذ لا يذكر إلا النافل ولا ينبه إلا السامى وتعالى الله عن الأمرين علوا كبيرا فإذا نزلت بهم فاقه أو شدة لم يسألوا رفعها بل فرحوا بها وجعلوها مواسم وأعيادا لما يمدون فيها من المزيد وما يجب على قلوبهم من نسيم التوحيد والتزويد وهى المواعب الربانية والعلوم اللدنية فتحققوا بأوصافهم وأمدم بأوصافه فصاروا في الظاهر عبيدا وفى الباطن أحرارا فى الظاهر فقراء ضعفاء أذلاء وفى الباطن أغنياء أقوياء أعزاء وهذه هى الكرامة العظمى دون الكرامة الحسية كما أشار إلى ذلك فى أول الباب الموفى عشرين فقال رضى الله عنه (ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة) قلت الكرامة الحسية هى خرق الحس العادى كاللشى على الماء والطيران فى الهواء وطى الأرض ونبع الماء وجلب الطعام والاحلاخ على المغنيات وغير ذلك من خوارق العادات والكرامة المعنوية هى استقامة العبد مع ربه فى الظاهر والباطن وكشف الحجاب عن قلبه حتى عرف مولاه والظفر بنفسه فتهذيب الجوارح يدل على تهذيب القلوب آداب الظاهر يدل على آداب الباطن (حكي) أن الجنيد دخل على أبى حفص النيسابورى فرأى أصحابه واقفين عند رأسه كاصحاب الملك فقال الجنيد أدبت أصحابك يا أبا حفص ادب الملوك فقال لا يا أبا التماس ولكن أدب الظاهر عنان أدب الباطن وهو الذى ذكر الناظم هنا واه تعالى أعلم ثم ذكر فضيلته فقال :

وهو أيضا للفقر سند وللقى زينة وسؤدد
وقيل من يحرم سلطان الآداب فهو بعيد ما تدانا واقترب
وقيل من تحبب الآداب فأتما تطلته الآداب

(قلت) المراد بالفقر هنا من لا مال له بدليل مقابلته باللقى وإنما كان الأدب سندا للفقر أى معتمدا عليه ويرتفع إلى مقام الأكبر دينيا أو دنيا لأن القلوب مجبولة على حب أهل الاحسان والتواضع والحلم فان أراد اللحق بأكابر الدين كان أدبه معهم سببا فى التحاين بهم وإن أراد اللحق بأكابر الدنيا كان أدبه أيضا سببا فى لحقهم بهم لأن القلوب مجبولة على حب أهل الاحسان كما تقدم (و) إنما كان للقى زينة وسؤددا أى شرفا لأن اللقى محبوب بالطبع فإذا كان أدبيا متادبا زاد عدم شرفه (و) من آداب اللقى التواضع والكرم فإذا خلا من هذين فليس بأديب وإذا خلا اللقى من الآداب

ومخالفة هواه وقوة يقينه وسكونه وطمأنينته بالله والمعتبر عند المحققين هي هذه الكرامة ، وأما الكرامة الحسية فلا يطلبونها ولا يلتفتون إليها إذ قد تظهر على يد من لم تكن استقامته بل قد تظهر على يد من لا استقامة له أصلاً كالسحرة والكهان وقد تظهر على أيدي الرهبان وليست بكرامة إنما هي استدراج :

(وقال) الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان بمزيد الايمان وشهود العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة وبجانية الدعوى والمخادعة فمن أعطيها ثم جعل يشاق إلى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى فجعل يشاق إلى سياسة الدواب وخلق المرضى قال وكل كرامة لا يصحبها الرضى عن الله ومن الله فضاحبها مستدرج مغرور أو ناخس أو هالك أو مشور (وقال) الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكأو غير هامن البلدان إنما الشأن من تطوى له صفات نفسه فإذا هو عند ربه :

(قلت) والكرامة الحقيقية هي الاستقامة على الدين وحصول كمال اليقين وأما خوارق العادات الحسية فإن صحبتها الاستقامة ظاهر أو باطن واجب تعظيم صاحبها لأنها شاهدة بالكمال عما هو فيه وإن تصحبها استقامة فلا عبرة بها والغالب أن أهل الباطن كرامتهم باطنية ككشف الحجب ومزيد الايمان ومعرفة الشهود واليان وكذلك عقوبة من آذاهم جلها باطنية لا يتفتنون لها كقساوة القلب والانهماك في الذنوب والغفلة عن الله والبعد عن حضرته ولكن لا يشعرون وهي أعظم من العقوبة في الحس والحاصل أن أهل الاستقامة الظاهرية كرامتهم ظاهرة حسية وأهل الاستقامة الباطنية كرامتهم باطنية معنوية أهل الظاهر من آذاهم عوقب في الظاهر وأهل الباطن من آذاهم عوقب في الباطن وقد لا يعاقب لأنهم رحمة كل من قرب منهم شملته الرحمة كان قربه تسليماً أو انكاراً هم قوم لا يشقى جلسهم على قدم النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وكل ولي أراد الله تعالى أن ينفع الناس على يده لا يعاجل بالعقوبة من آذاه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خيره ملك الجبال فلم صلى الله عليه وسلم وعفا وقال لعل الله أن يخرج من أصلاهم من يقول لا إله إلا الله والله تعالى أعلم وأعظم الكرامة الفهم عن الله والرضى بقضاء الله وترك التدبير والاختيار مع الله وإقامة الحديث أقامه

التحقيق بالاراذل وانخرط في سلك الاندال ولذلك قيل خير ما أعطى الإنسان عقل يزجره فان لم يكن لحياه بمنه فان لم يكن قال يستره فان لم يكن فصاعقه تحرقه يستريح منه البلاد والعباد (و) الآداب أيضاً من موجبات القرب والواصل ولذلك قيل من يحرم سلطان الأدب أى يمنع منه ولم يوجد فيه شيء منه فهو بعيداً مانداً في زعمه واقترب في وهمه فاما مصدريه وتدانا واقترب من عطف التفسير والمرادف أى فهو بعيد مدة كونه متدانياً قريباً في ظنه (و) أشار هذا القول إلى أن حفص رضي الله عنه التصوف كله أدب وكل وقت أدب وكل حال أدب وكل مقام أدب فمن لم آداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث بطن القرب مردود من حيث بطن القبول (و) قال ابن عطاء الله من جهل المرید أن يسمى الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب العباد فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا منع المزيد وقد يقال مقام البعد من حيث لا يدري ولو لم يكن إلا أن يغلبه وما يريدون إنما سمي الناظم الأدب سلطاناً لأنه حاكم على الشخص في نفسه فلا يتركه يميل إلى جهة التقاص والردائل (و) من فضيلة الأدب أنها تلحق من لا نسب له بنوى الانساب وتصير الوضيع شريفاً والذليل رفيعاً ولذلك قيل من نجسه الانساب الدينية تطلقه الآداب المرصية أى من نجسه عن الارتفاع مع الكبراء نسبة الوضيع طلاقاً إلى طلب العلو أدبه الرفيع (قيل) لبعض

الله كما أبان ذلك بقوله (من علامة إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج) قلت إذا أقام الحق تعالى عبده في حالة لا يستقيحها الشرع ولا ينهما سليم الطبع فلا ينبغي له الانتقال عنها بنفسه حتى يكون الحق تعالى الذي أدخله فيها هو الذي يتولى إخراجها منها وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق فإلدخل الصدق أن تدخل في الشيء بالله لا بنفسك والخروج الصدق أن تخرج منه بالله لا بنفسك فإذا أقامك الحق تعالى في الأسباب فلا تخرج منها بنفسك فتسبب فأمك حتى يخرجك الحق تعالى بإشارة صريحة من شيتك أو من هاتق من عند ربك وقد تقدم هذا في أول الكتاب ومن علامة إقامة الله تعالى لك في ذلك الشيء الذي أنت فيه إدامة الحق إياك في ذلك الشيء مع حصول النتائج وسلامة الدين والمراد بالنتائج ما يرتب عليه من إعطاء حقه الواجب والمستحب كدأء الزكاة وإطعام الجائع وسر المريان وإغاثة اللهفان وغير ذلك من أنواع الاحسان وإذا أقامه الحق تعالى في نشر العلم الظاهر فعلمة إقامة الحق فيه تسليمه لله ونفع عباد الله والزهدي في الدنيا والرغبة فيما عند الله والتواضع والصبر على جفاء المتعلمين وهكذا سائر الحرف إذا كان فيها على المنهج الشرعي فلا يقتل عنها بنفسه وإذا أقامك الحق تعالى في التجريد فالزم الباب وتحل بالآداب حتى يفتح لك الباب فعلمة إقامته إياك فيه حصول نتائجه وهي الترقى في الأحوال والمقامات حتى تبلغ النهايات والمقامات هي التوبة والتقوى والاستقامة والزهدي والورع والخوف والرجاء والرضي والتسليم والاخلاص والصدق والطمأنينة والمراقبة والمشاهدة والمعرفة وكل مقام له علم وعمل وحال فأوله علم وثانيه عمل وثالثه حال ثم مقام فإذا لمع إلى مقام المعرفة وتمكن فيها انقطعت المقامات (قال) بعضهم في بحر التوحيد غاصت الأحوال واظلمت المقامات وإن إلى ربك المنتهى فحينئذ ينمى في بحر الإحسان فإذا عبر من بساط احسان الله لم يصمت إذا أساء كما أبان ذلك بقوله (من عبر من بساط احسانه أصمته الاساءة ومن عبر من بساط احسان الله إليه لم يصمت إذا أساء) قلت أهل التعمير وهم أهل التذكير الذين يذكرون عباد الله ويعبرون عما منحهم الله به من العلوم والمواهب والفتوحات والكرامات على قسمين علماء وعارفون أو تقول أهل الحجاب وأهل الفتح فأهل الحجاب يعبرون من بساط احسان أنفسهم فيقولون فعلنا كذا وأربنا كذا وقنع علينا في كذا وافعلوا أيها الناس كذا واتركوا كذا

الملوك في بعض الكتاب أنه ليس بصيب أى من قوم لهم حسب فأسلم الملك فقال للملك أنا حسب لا ولادى أى يصير أولادى من ذوى الاحساب بسبي وهكذا قال بعضهم نحن بنات المجد لغيرنا أى نحن تؤسس المجدو بنيه لغيرنا ولا نستظل ببناء مجد غيرنا وفي ذلك قيل :

كن حليما ودع فلان ابن من كان حليما واجمع إلى الحلم علما
لا تكن سكرأ فيا كلك الناس س ولا حظلا مذاق وترى

ثم تم فضيله وشرفه فقال .

فالقوم بالآداب حقنا سادوا منه استفاد القوم استفادوا

(قلت) السؤدد هو الشرف أى مساد القوم وشرفوا الا بالآداب مع الله ومع رسوله صلى الله عليه وسلم ومع أشياخهم ومع سائر المسلمين فالأدب مع الله بامتثال أمره واجتناب نهيه والاستسلام لقهره (و) قال الشيخ زروق رضى الله عنه في شرح الحكم هو حفظ الحدود والوفاء بالعهد والتعلق بالملك أو دود الرضى بالوجود بذل الطاعة والمجهرود (والأدب) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وإثار محبته والاهتداء بهديقر التخلق باخلاصه (و) الأدب مع الأشياخ بحفظ الحرمة وحسن الخدمة وصدق المحبة (و) الآب مع المسلمين أن تحب لهم ما تحب لنفسك أو أكثر وتنفعت آداب الجوارح فلا

فإذا وقعوا في ذلة أو هفوة سكتوا حياة من الله وخوفاً أن يأمروا بما لم يفعلوا لأنهم يقولون مع نفوسهم محبون عن ربهم فإذا فعلوا طاعة فرحوا بها واعتمدوا عليها وإذا فعلوا زلة خزنوا وجزعوا وسقط في أيديهم فلبسوا عبوراً من بساط احسان نفوسهم أصمتهم الاساءة وأهل الفتح من العارفين يعبرون من بساط احسان الحق غائبين عن شهود الخلق قانون عن أنفسهم بالقول ربهم فضولاً إذا عبروا عما منحهم الله من المعارف والأسرار والعلوم والأنوار والكرامات والفتوحات والمواهب وذكروا فأفروا ونهوا دام تعبيرهم وقع تذكيرهم فإذا أساموا لم تصمتهم إسامتهم لأن أساءتهم من أنفسهم وتعبيهم من بساط إحسان الله إليهم وإحسانه لا يكدسه شيء وقولنا من أنفسهم أعني أدباً فقط لا يمشدون إلا تصرف الحق فيهم فذلك لم تصمتهم إسامتهم لأنهم مغموسون في بحر اللذة لا يشهدون في الكون سواء وأيضاً من عبر من بساط نفسه نادته مساويه أسكت أما تذكر فضلك القبيح ووصفك النعيم فيسكت خجلاً ومن عبر من بساط احسان الله غابت عنه مساويه لغيبته في محاسن مولاه فلا يشهد إلا بإياه فإذا أراد أن يعبر سبق نور معرفته إلى قلوب عباد عيسى فيهم التعبير ويأخذ بقلوبهم التذكير كما إبان ذلك بقوله (تسبق أنوار الحكمة أفرأهم خفيها صار التنوير وصل التعبير) قلت الحكمة هم العارفون بالله الذين يتكلمون بالله ويصمتون بالله غائبون عن أنفسهم يشهدون ما من الله إلى الله فإذا أرادوا أن يعبروا عما منحهم مولا من العلوم والمعارف سبق نور شهودهم إلى القلوب المستمعة فصرى فيهم على قدر صدقهم فمنهم من يدخل النور سريداً قلبه ومنهم من يقف النور على ظاهر قلبه ومنهم من يشرق النور على طرف قلبه فإذا عبر العارف عن المقامات والأحوال وصل التعبير على قدر سريان النور فمن وصل النور إلى سريداً قلبه نهض من ساعته إلى ربه ومن وصل ظاهر قلبه خضع وخضع وعزم على البر والتقوى ومن وصل إلى طرف قلبه عرف الحق وصدق خفيها صار التنوير وصل التعبير وقولنا في تفسير الحكمة هم العارفون مأخذنا فيه وقوله عليه السلام رأس الحكمة مخافة الله اه وأعرف الناس بالله أشدهم له خشية وفيهم قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)

(وسئل) مالك عن الحكمة فقال ما زهد عبد وانتى إلا أطلقه الله بالحكمة ثم قال من أراد أن يفتح الله عين قلبه فيمكن عمله في العلانية لأن عمل السر منبع الاخلاص والاخلاص منبع الحكمة

بد منها وكذلك آداب الأوقات وهي تعبيرها بالطاعات فأوقات العبد أربعة كما قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه وقت الطاعة ووقت المعصية ووقت النعمة ووقت البلية فوقت الطاعة مقتضى الحق منك شهيد اللذة ووقت المعصية مقتضى الحق منك تحقيق التوبة ووقت النعمة مقتضى الحق منك الشكر ووقت البلية مقتضى الحق منك الصبر فإذا قام العبد بهذه الآداب كلها حصل له الشرف التام والمنزلة الكبرى عند الخاص والعام (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وكل نسبة لأدب فيها فصاحبها كذاب لأن عنوان الصدق وجود المراقبة وإن كانت الغفلة مع حفظ الأصل غير قاذفة فقد قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه كل سوء أدب يشر أدباً فليس بأساءة أدب يعنى من حيث الواقع لا من حيث القصد فأما ذلك وبالله تعالى التوفيق (وقوله) منه استفاد القوم ما استفادوا يعنى من العلوم والمعارف والأنوار والأسرار والكرامات الحسية والمعنوية والله تعالى أعلم (ثم) ذكر بعض تفاصيل الأدب فقال :

إذا فصحو الأحداث والأصاغر وحفظوا السادات والأكابر

(قلت) ذكر هنا أربعة أصناف من الناس ينشأ أدب معهم إذا اجتمعوا معه أولهم الأحداث جمع حدث (قال الشيخ زروق رضى الله عنه هو من لا نبات له وهم ثلاث الحدث سنا وهو الصغير الذى يميز حقائق الأمور لله ولوع بكل ما يراه

(وسئل) مرة أخرى عن الحكمة أيضاً فقال نور يقذفه الله في قلب العبد المؤمن من فحة الملك اه فأهل التنوير هم الحكماء وهم العارفين باقة وقه در القاتل في وصفهم حيث قال

هينون لينون إيسار بنو تسر سواس مكسرة أبناء إيسار
لا ينطقون بغير الحق إن نطقوا ولا يمارون إن ماروا باكثر
من تاق منهم قل لايت سيدم مثل النجوم التي يسرى بها السارى

وقولنا في وصفهم يشهدون مامن الله إلى الله يعني أنهم غائبون عن أنفسهم لا يرون إلا تصريف الحق في مظاهر أنواره قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه الناس على ثلاثة عبد يشهد مامن الله إلى الله وعبد يشهد مامن الله اليه وعبد يشهد مامن الله الى الله الأول ذو حزن وأشجان والثاني ذو فرح وامتنان والثالث لم يشغل عن الله خوف نار ولا موى جنان الأول ذو كد وتكليف والثاني ذو عناية وتعريف والثالث مشاهد للولى اللطيف ثم قال وقيل العمل مع شهود المنة خير من كثيره مع رؤية التقصير من النفس اه مختصرا ثم ذكر علامة التعبير الذى يسبقه التنوير هو تأثيره في القلوب وتهيجها الأرواح وتشويقه الأسرار فإذا سمعه الناقل تنبه وإذا سمعه العاصى انزجر وإذا سمعه الطائع زاد نشاطه وعظم مشوقه وإذا سمعه السائر طوى عنه تب سيره وإذا سمعه الواصل تمكن من حاله فالكلام صفة المتكلم فإذا كان المتكلم ذا تمرير وقع في قلوب السامعين وإذا كان ذا تكدير حد كلامه أذان المستمعين فكل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه يبرز ولذلك قال سيدنا على كرم الله وجهه من تكلم عرفناه من ساعته ومن لم يتكلم عرفناه من يومه (وقيل) الناس حوانيت مغلقة فإذا تكلموا فقد فتحوا هناك يتبين اليطار من المطار (وقالوا) أيضاً الكلام إذا خرج من القلب وقع في القلب وإذا خرج من اللسان حده الأذان وانهاض الحال أكثر من اللقال وإذا اجتمع الحال المقال فهو البحر الطام والنجم الثاقب التام (وقال) بعد العارفين من كان قلبه روحانياً كان كلامه معنويًا ينزل من القلوب في أوسع ساحاتها ومن كان قلبه

أو سمعه من مستحسن فلا يؤمن غائلته في الانقلاب ثم النفوس ولوع به من حيث الجمال الصورى أو من حيث التعلق الروحاني وقد يكون ذلك لا بشعر به الشخص وقد يكون من حيث شعره ولصحبته آفات حاضرة من حيث شغل البال وحفظه ثم من حيث اشتغال النفس بالليل له ثم من حيث كون الضرر في النفس بصحبته فلا خير فيها ولا بد من نصحه عند إقباله بتعريف الأصول وترك الفضول (قلت) الأصل في صحبته الجواز إنما يمنع هذه العوارض التي ذكرها فنحقق سلامته منها فلا يعترض عليه وقد ذكره التجيبي وأستدل للجواز بخمسة أنس بن مالك رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان عليه السلام معصوماً فالأصل فيما يفعله الاقتداء حتى يرد ما يخصه به (القسم) الثاني من أقسام الحديث عقلا وهو الذى لا يثبت على حقيقة ولا يتج على طريقة ينبع كل نافع ويتنم كل ناشق هذا أعظم ضرر امن الذى قبله لفقدان الحقيقة فيه وانتفاء قابليتها منه ونصحه بتعريف الوجه الذى يقصده ويبان الحق بوجه واضح حتى تقوم الحاجة وتظهر المحجة وأكثر ما يوجد هذا في الفقراء البادية (قلت) إن كان في الفطرة سهلا علاجه وقربت هدايته (القسم) الثالث الحديث ديناً وهو مع كل قوم بما هم عليه يميل مع كل ربح ويسمى الإمامة بكسر الهمزة وشد الميم ونصحه بدعواه إلى أفراد الوجهة وتذكيره بما في ذلك من الضرر (فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل واد من قلب ابن آدم شعب

نفساً كان كلامه حسيماً يعني لا يتكلم إلا في الحس ولا يعرض إلا فيه ومن طمس أذن قلبه حجب الدنيا فلا يسمع ولا يسمع وقد يكون من الناس من هو عالم اللسان جاهل القلب وعلامته ترجيح حديث الدنيا على حديث الآخرة أو حديث الحس على حديث المعنى ومن مثل هذا الحذر الحذر لأن قلبه ميت فكلامه كله على الميتة والميتة هي الجيفة (قال) صلى الله عليه وسلم الدنيا جيفة وطلابها كلاب فمن تكلم على الدنيا فثله كالكلب ولا خير في كلب ولو كان عالماً قاله الشطيبي ثم إن هذه الكسوة التي تبرز على الكلام إنما هي من تأنج الإذن من الله فيه وأما إذا لم يكن أذن فيه فلا كسوة عليه كما أبان ذلك بقوله (من أذن له في التعبير حسن في مسامع الخلق عبارته وجلبت اليهم اشارته) قلت الأذن في التعبير إنما يكون على يد الشيخ الكامل العارف الذي أهله الله للترية ونصبه للتوصل والترقية فإذا رأى على تليذه أهلية التذكير أذن له في التعبير فإذا عبر أخذ بمجامع القلوب وقاض من لسانه أسرار غم الغيوب فتحسن في مسامع الخلق عبارته وتجلى اليهم لإشارته ذي تظهر وقته ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام واعرابه ولا خطأ في رفه ونصبه من صوابه وإنما العبرة بالمعاني أو القوال والأواقي :

(يحكي) أن بعض النحويين دخل مجلس الحسن بن سمعون ليسمع كلامه فوجده يلحن فانصرف دأماً له فبلغ ذلك الحسن فكتب له إنك من كثرة الإعجاب رضيت بالوقوف دون الباب فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفضالك وإنك قد تهت بين خفض ورفع ونصب وجزم فانتطعت عن المقصود هل لا رعت إلى الله جميع الحاجات وخفضت كل المنكرات وجزمت عن الشهوات ونصبت بين عينيك الممات واقه يا أخى ما يقال للعبد لم تكن معرباً وإنما يقال له لم كنت مذنباً ليس المراد فصاحة المقال وإنما المراد فصاحة الفعال ولو كان الفضل في فصاحة اللسان لكان سيدنا هارون أولى بالرسالة من سيدنا موسى حيث يقول وأخى هارون هو أفصح مني لساناً أه وما ينسب للخليل رحمه الله أو لسيويته :

لسان فصيح معرب في كلامه فيألتيه من وقفة العرض يسلم
ولا خير في عبد إذا لم يكن تقى وما ضر ذا يقوى لسان معجم

فمن تتبع تلك الشعب لم يبال الله في أي واد أهلته (الثاني) الأصاغر والمراد بهم صفار السن الذين لم يلبثوا سن الحداثة والمكن فيها ونصحهم بفرس الخير في قلوبهم كما قال ابن أبي زيد في رسالته وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر إليها (وقال) السلي رضي الله عنه الصعبة الأصاغر بالشفقة والارشاد والتأديب والجل على ما يوجه حكم المذهب ويدلهم على ما يوجه حكم المذهب ويدلهم على ما فيه صلاحهم لا على ما فيه مرادهم وعلى ما يقدم لا على ما يجونه ويزجرهم عما لا يعينهم (الثالث) السادات والمراد بهم العباد والزهاد والصالحون والعلماء العاملون والمريدون السالكون الذين لم يلبثوا مرتبة المشيخة ونصح الأول بدلالته على الإخلاص وإسقاط الحظوظ النفسانية والروحانية ونصح الثاني بتصحح النية وإفراد الوجهة مع ما نصح به الأول ونصح الثالث بتحقيق التوبة والاستقامة ونصح الرابع بتحقيق الإخلاص وتوفير الصبر والجل والتواضع ونصح الخامس بالغية عن السوى أو باسقاط الهوى وبجبة المولى وحفظهم بالتعظيم والتوقير والاحتشام وباعطاء الرتبة حقها من كل وجه ولا يستحق أحداً أقامه الله في مقام من المقامات كيفاً كان (قال) في الحكم إذا رأيت عبداً أقامه الله يبرجود الأوراد وأدامه عليه مع طول الأمداد فلا تستعز من ماله مولاه لأنك لم تر عليه سبياً العارفين ولا هجة المحيين فلو لا وارد ما كان ورد (و) تال أيضاً قوم أقمهم الحق لحنمته وقوم اخضعهم بمحبته كاند هؤلاء (٣٣ - إيقاظ ثاني)

(وقال آخر)

منحرف بالفعال وذو زلل وإن تكلم في جداله وزنه
قال وقد كتبت لفظه تها وعجبا أخطأ ما لحنه
وإنما أخطأ من قام غدا ولا يرى في كتابه حسنه

وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه إذا ذكر من تقدم له في العربية يقول له أنت أترك شيئا من عربيتك وأنا أترك شيئا من جيليتى يعنى من اللغة الجبلية وثلثت الطريق والحاصل أن من اجتمع فيه الحال وفصاحة المقال فهو كمال الكمال وذلك لأنه ينتفع بكلامه بعد موته كالغزالي والششتري والشاذلى والمرسي والشيخ رضى الله عنهم فقد عظم النفع بكلامهم وأعظمهم المؤلف رضى الله عنه فقد حاز قصب السبق في التعبير ونسخت كتبه كتب القوم وقد شهد له شيخه بهذا المعنى فقال والله لا يموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو إلى الله وقال له والله ليكون لك شأن عظيم وقال فيه أيضاً حين نسخ له كتاب التهذيب والله لأجعلنك عيناً من عيون الله يقتدى بك في علم الظاهر والباطن وقال فيه أيضاً والله ما أرى له بمجلسه جده ولكن بزيادة التصوف وكان جده فقيهاً شرح المدونة اسمه عبد الكريم وكلام الشيخ رضى الله عنه يدل على مقامه وما تخلص التصوف ولا تهذب إلا على يديه فقد قرب للمدارك وبين المسالك في أحسن عبارة وأوجز لفظ وإشارة جزاه الله عن المسلمين خيراً ثم بين رضى الله عنه الكلام الذى لم يؤذن لصاحبه في التعبير عنه فقال (ربما برزت الحقائق مكسوفة الانوار إذا لم يؤذن لك فيها بالانظار) قلت قد يتكلم الانسان بحكم وحقائق مع فصاحة وبلاغة وشقاشق لكنها مكسوفة الانوار مطموسة الاسرار ليس فيها حلاوة ولا عليها طلاوة منبذ ذلك عدم الأذن فيها إذ لو أذن له المير لظهر عليها كسوة التوير (قال) في لطائف المنن من أجل مواهب الله لاوليائه وجود العبارة قال وسمعت شيخنا أبا العباس يقول الولي يكون مشحوناً بالمعارف والعلوم والحقائق لديه مشهورة حتى إذا أعطى العبارة كان ذلك كاذن من الله في الكلام وقال وسمعت أبا العباس يقول كلام المأذون له يخرج كسوة وطلاوة وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوف الانوار حتى أن الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر اه (قلت)

وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً (الرابع) الاكابر والمراد بهم المشايخ وحفظهم بثلاثة أمور اتباع مرسومه وإن لم يفهم معناه فقد نالوا خطا الشيخ أحسن من صواب المرید فان بان غيه توقف من غير اعتراض حتى يظهر أمره (الثاني) عدم البحث عما جاؤا به إلا من حيث التفهم فان من قال لاستاذه لا يفلع أبداً (الثالث) مولاة من والام ومعاداة من عاداه ما لم يكن له مانع شرعى أو يحجره إلى منكر (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه آداب الفقير المتجرد أربعة الحرمة للأكابر والرحمة للأصاغر والانصاف من نفسه وعدم الانتصار لها اه ثم ذكر آدابهم في الكلام فقال : واجتنبوا ما يؤلم القلوب

قلت (هذا عام مع جميع المسلمين فلا يتكلم مع مسلم بما يوجعه في قلبه ولو كان نصحا فقد قال الله تعالى (قولوا له قولا لينا لعله يتذكر) أو يخشى فالواظ على ما لا ينفذ إذا كان على وجه الملاطفة والساقية كدترك ما يؤلم مع الزوجة والاهل وكذلك مع الاخوان لان جبر القلوب في جبر القلوب وكسر القلوب في كسر القلوب فن جبر قلب عبد بادخال السرور عليه أو هداية اليه جبر الله قلبه ومن كسر قلب عبد بادخال الحزن عليه أو تغيير كسر الله قلبه ومن أراد جبر قلوب عباد الله فليخض

عن مساوهم وليست عن عيوبهم ويرحم الله القتال :

إذا شئت ان تحيا ودينك سالم وجاهك موفور وعرضك صين

ويبغى لأهل التعبير أن يخاطبوا الناس بقدر ما يفهمون فليس التعبير لأهل البداية كأهل النهاية وفي الحديث خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون نعم إن ضاق الوقت على التفريق جمع الكل وذكر في البداية والوسط والنهاية وكل واحد بأخذ نصيبه ويشرب من منله قد علم كل أناس مشربهم وهذه كانت طريقة الجنيد رضى الله عنه يلقى الحقائق على رؤوس الأشهاد فقليل له في ذلك فقال علينا محفوظ أن يأخذه غير أهله أو ما هذا مناه ثم عبارتهم بعد الاذن لا تكون إلا لحكمة بينها الشيخ بقوله (عبارتهم إما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد) قلت ما اشتملت عليه قلوب العارفين من المعارف وأسرار التوحيد وغوامض العلوم التي لا تطبقها جل المفهوم هو سر من أسرار الله وهم أمناه الله عليها فلا يطلعون عليها إلا من رأوه أهلا لها إلا من كان مغلوباً على حاله لا يقدر على إمساكها وهو من لم يتمكن من حاله فيها فبإبصارهم إذاً إما لفيضان وجد غلبه فلم يقدر على إمساكها أو لأجل هداية مريد وإرشاده وترقيته إلى مقام استحق الاطلاع عليه وإلا فلا يظهرون من تلك الأسرار قليلاً ولا كثيراً وقد تقدم قول بعضهم :

قلوب الأحرار قبور الأسرار
(وقال آخر)

لا يكتم السر إلا كل ذي ثقة فالسر عند خيار الناس مكتوم

ثم بين حال الفريقين ومقام الرجلين فقال (الأول حال السالكين) وهم المتشرفون من السائرین حققوا ولم يتمكنوا فهم ملوكون من يد الأحوال إذا غلب عليهم الوجد فاضوا ولم يشعروا وإذا رجعوا إلى أنفسهم نعموا واستغفروا ثم بين حال الثاني فقال (والثاني حال أرباب المكنة والمتحقيقين) وهم الراسخون المتمكنون فلا يعرفون عن تلك الأسرار إلا لأجل هداية المريدين وتربية السالكين وتربية السائرین وأما لغیر هؤلاء فلا فان عبر عنها السالك لا عن غلبة وجد كان في ذلك نوع من الدعوى وإن عبر عنها المتمكن عن غير قصد هداية كان في ذلك انشاء لأسرار الربوبية وهي عندهم أعز من الكبريت الأحمر وقد كان الرجل يخدمهم سنين فلا يظهرون له منها قليلاً ولا كثيراً حتى إذا رأوه أعطى نفسه وقلسه وبذل روحه بالسكينة أشاروا إليه إشارة خفية فقد ذكر شيخ شيوخنا سيدي علي في كتابه أن طائفة من المريدين خدموا

لسانك لا تذكر بمعورة امرئ فعدك عورات وللناس ألسن

وإن أبصرت عينك عيا فقل لها أيا عين لا تنظر فلتناس أعين

وعاشر بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن

(قال) الشيخ زروق فهذه الآيات جامعة لجميع ما يؤلم القلوب بطريق الاجتناب فن عمل عليها ننم من هذه الآفات التي أصلها كل التجسس عن أخبار الناس وسوء الظن بهم وقد قال عليه السلام ثلاثة لا ينجو منها ابن آدم الحسد والطيرة والظن فإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق وإذا طيرت فامض (ومن) خلقه عليه السلام انه كان لا يواجه أحداً بما يكره إلا أن تنتهك حرمت الله ثم ذكر آدابهم في العمل فقال

وابتدروا الواجب والمنسوب

قلت أشار بذلك إلى كمال عبوديتهم وأنهم يتبادرون إلى حقوق مولاهم واجبة كانت أو مندوبة امتثالاً لقوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) على اختلاف تقدم فهم من يقصد الثواب والنجاة من العقاب عاجلاً وأجلاً وهم العوام منهم (و) منهم من يقصد تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية وهم الخواص أو خواص الخواص والله تعالى أعلم ثم ذكر آدابهم مع الأشياخ والاخوان فقال :

شيخنا ثلاثين سنة ثم قالوا له يا سيدنا أردنا أن نعرفنا برتبة قال لهم نعم غذا اتوني لداري فلما أتوه أخرج لهم صيداً صغيراً فوجه إليهم ثم دخل فأنظر هذه الإشارة ما ألقطها وأخفاها ثم من الله على أهل هذا الزمان رجال كرام من صميمهم بالصدق منحور من الأسرار في يسير من الزمان ما لم يدركه المتقدمون في الأزمنة الطويلة جزاءهم الله عن الأمة المحمدية خير أوقد تكلم الشيخ أبو الحسن على حال السالكين والواصلين بكلام طويل ذكره في لطائف المنن ونقله الشطيبي فقال إن الله عبداً حتى أضالم بأضاله وأوصافهم بأوصافه وذاتهم بذاته وحلمهم من أوصافه ما يعجز عن سماعه عامة الخلق فهم مفرقون في بحر الذات وتيار الصفات فترا عن أضالمهم ثم فتوا عن صفاتهم ثم فتوا عن ذاتهم وبقوا بذات الله تعالى ولم يبق لهم منهم شيء. ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه ومن صح فئاؤه صح بقاؤه ثم قالوا علم أن الفناء يوجب الغيبة عما سوى الله قلت وهو مقام السالكين والبقاء يوجب إيجاد كل شيء مع الله يعني بالله فصاحب الفناء يقوم الله عنه وصاحب البقاء يقوم بالله عن الله وهما ولايتان فولى يتولى الله ورسوله والذين آمنوا وولى يتولاه الله وهو يتولى الصالحين قال الشيخ أبو الحسن وعلامة الولاية الأولى الرضى بالقضاء والصبر على البلاء والقرار إلى الله عند الشدائد الرجوع إليه عند التواب فمن أعطى هذه الأربعة من خزائن الأعمال والمجاهدة فقد صحت ولايته لله ورسوله وللمؤمنين ومن أعطاهم من خزانة المنن والمواددة فقد تمت ولايته الله له فالولاية الأولى ولاية صغرى والولاية الثانية ولاية كبرى قيل له كيف يتولى الله ورسوله والذين آمنوا قال يتولى الله بالمجاهدة لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ويتولى الرسول بالم تابعة قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله من يطع الرسول فقد أطاع الله ويتولى المؤمنون بالإقتداء بهم وهى علامات من غاض بحر الولاية وأما الذين تولاهم الله فهم الذين صلحوا لحضرته وغابوا عن خلقه فلا يرون في الوجود إلا الله، الأولى تسمى ولاية إيمان وهذه ولاية إيمان قليلة وما الفرق بين الإيمان والايقان قال كل يقين إيمان وليس كل إيمان إيقاناً فالإيمان ربما تدخله الغفلة والايقان لا تدخله الغفلة المؤمن يتجلى له الحق دون كل شيء. والمؤمن يتجلى له الحق في كل شيء المؤمن فان عن كل شيء فلم يشهد مع الله شيئاً والمؤمن باق في كل شيء فهو يشهد الله في كل شيء. اهـ ثم بين المؤلف رضى الله عنه فائدة

وخدموا الشيوخ والاخوانا وبنلوا الغروس والآبانا

(قلت) خدمة الشيوخ قرينة عظيمة ومتينة جسيمة وهى سبب الفوز بالوصول إلى معرفة الحق تعالى ونيل درجات المقربين بين السابقين (و) في ذلك يقول سيدى عبد الوارث رضى الله عنه خدمة الرجال سبب الوصول إلى مولى الموالى (و) قال سيدى عبد الله الهبطى رضى الله عنه ، أن الخديم ظنه جميل ، دل على فلاحه دليل ، أهل نفسه لخدمة الرجال ، لكن ينال من حبيبه الوصول غيره دل المحبة في طلب القرب عن عز عند أهل الحب (وقال) أبو عبد الرحمن السلى رضى الله عنه الصعبة مع الاستاذ باباع أمره ونهيه ، وهى في الحقيقة خدمة لاصحة قيل لاذنصور المغربى كم صحبت أبا عثمان فقال خدمته وما صحبت بهنى صعبة الصغير الكبير تسمى خدمة لاصحة ثم قال والقيام بخدمة أستاذة واجب والصبر تحت حكمه وترك عظامته ظاهراً وباطناً وقبول قوله والرجوع إليه في جميع ما يمرض له والتبرك به واستماع كلامه وتنظيم حرمته ومجانبة الإنكار عليه ، فى شيء من أموره ، سرّاً وجهراً ، قال الله تعالى (ولا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية سأل بعض أصحاب الجنيد عن مسئلة فأجابها فأرضه في ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا فاعتزلوا ويكون فى صحبتك كالصحابة رضى الله عنهم مع النبي صلى الله عليه وسلم تأديبهم بأداب القرآن في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا

التحير وثمره العبارة فقال (العبارة قوت لعائلة قلوب المسمنين وليس لك منها إلا ما أنت له آكل) قلت المائل هو الفقير والعائلة جمع له فبارة العارفين قوت لقلوب الفقراء الطالبين لزيادة إيقان قلوبهم ومشاهدة محبهم فلا يزالون في حضارة الشيوخ وعيالهم حتى يكمل إيقانهم وترشد أحوالهم فينتد يستقلون بأنفسهم وعلامة رشدهم أنهم يأخذون التصيب عن كل شيء ولا ينقص من حالهم شيء يفهمون عن الله في كل شيء ويعرفون في كل شيء ويشربون من كل شيء فإذا كانوا كذلك فقد استقلوا بأنفسهم وتأهلو لإرشاد غيرهم .

(قال) بعض الحكماء من لم يفهم سرير الباب ولا طنين الذباب ولا نفيح الكلاب فليس من ذوى الآلالب وأما من لم يبلغ هذا المقام فلا بد أن يلزم العش في حضارة من يرزقه ويطعمه فإذا طار من البش قبل تربية الجناح اصطادته الكلاب والبيزان ولبت به النساء والصبيان فإذا كان في عش الشيخ وكان يطعمه مع غيره فليس له من القوت إلا ما يقدر أن يأكله وإلا قتله فليس طعام الصبي الصغير كطعام الرجل الكبير وكذلك عبارة الشيوخ للبردين كل واحد يأخذ ما يليق بحاله فالشيوخ يذكرون في الخلة فيذكرون أحوال البدايات والنهايات والوسط وكل واحد يأخذ ما يليق به قد علم كل أناس مشربهم فلا يتعلق المبتدى بمذاكرة المنتهى فيفسد كما إذا أكل الطفل الصغير طعام الكبير يقف في حلقه وإذا أكل الكبير طعام لا يشبعه هذا معنى قول الشيخ وليس لك منها إلا ما أنت آكل أى ليس لك من قوت العبارة إلا ما أنت قادر على أكله وإلا غصصت به والله تعالى أعلم وقد سألني بعض الاخوان عن قوت الروحانية والشرية فقلت قوت البشرية معلوم وقوت الروحانية على وزن قوت البشرية فالصبر لا يطبق الطعام الحشن حتى يكبر كذلك الروح تربي شيئاً فشيئاً فتعلم أولاً ذكر اللسان فقط ثم ذكر القلب مع اللسان ثم ذكر القلب فقط ثم ذكر الروح وهو الفكرة ثم ذكر السر وهو النظرة ثم تأكل كل شيء وتشرب من كل شيء حتى تسرط الكون بأسره فلو أعطيتها الفكرة أو النظرة الذى هو طعام الرجال أول مرة وهى في مقام الأطفال للفظته وطرحته فإذا بلغت الروح أن تأكل كل شيء وتشرب من كل شيء فقد صحت لها أن تطير في الملكوت الأعلى وتذهب حيث تشاء وقد يختلف الشرب لجماعة من آتية واحدة لاختلاف مقامهم كقضية الرجال الذين سمعوا قائلاً يقول يا سمر

بين يدى الله ورسوله وقوله تعالى (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) الآية وقوله تعالى (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) وما أشبه ذلك (وقد) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيخ في قومه كالنبي في أمته اه (قلت) والحديث قال ابن الجوزى أنه موضوع والله تعالى أعلم (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه خدمة الشيوخ أمر زائد على تعظيمه اه (وأما) خدمة الأخوان فهى إعانة على ما يعرض له من أمور دينية أو دنيوية بنفسه أو بماله أو بمجاهه أو بما يقدر عليه (قال) السلى رضى الله عنه أيت جدى لإسماعيل في التوم يقول لى ألت تعلم شيئاً من العلوم فقلت ربما أعلم شيئاً فقال أليس سئلت أوس عن الاعتقاد في خدمة الفقراء فقلت نعم فقال كتبت ما كتبت ولست بحاجة إليه إنما هى ثلاث كلمات وهى أن نخم من فوقك بالحرم مقوأفراكك بالنصيحتون من دونك بالشفقة واتهت اه (وقال) في آداب صحبته ما نصه والصحة مع الأفران بالبشر والانساط والمواقفة بذي المعروف والإحسان والكون معهم على حكم الوقت (حكى) أن أبا العباس بن عطاء مـ درجليه بين أحبابه وقال ترك الأدب مع أهل الأدب أدب (وقال) الجنيد رضى الله عنه إذا صحت المودة سقطت شروط الأدب (روى) عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان عنده أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فدخل عثمان فخطى ركبته وقال ألا أستحي من تستحي منه الملائكة فحشمه عثمان وإن عظمت

برى وذلك أن رجلا في الصفا بمكة صاح ياسعترى برى لرجل آخر كان اسمه ذلك فسمعه الثلاثة فكل واحد تعلق بذهنه ما يليق بحاله فسمع أحدهم الساعة ترى برى (وسمع) الآخر اسمع ترى برى (وسمع) الثالث ما أوضع برى فالأول كان مستشرقا والثاني مبتدئا والثالث كان واصلا وكذلك قضية ابن الجوزى كان يقرأ ببنداد اثني عشر علما فخرج يوم لبيض شؤنه فسمع قائلا يقول

إذ العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلاك بالهاتر
ولا تشرب بأقداح صغار قدضاق الزمان على الصغار

فخرج هاتما على وجهه إلى مكة فلم يزل بعيد الله بها حتى مات رحمه الله ففهم من الشاعر انصراف العمر وضيق زمان الدنيا كله قال في لطائف المئين واعلم أن هذه المفهومات المعنوية الخارجة عن الفهم الظاهر ليست باحالة اللفظ عن مفهومه بل هو فهم زائد على الفهم العام يه الله لهذه الطائفة من أرباب القلوب وهو من باطن الحكم المندرج في ظاهره اندراج الثبات في الحبة وذلك أن المدد التوراني والفتح الرباني يتصل ببعضه بعض إلى الطرف الظاهر حيث انتهت القوة انتهى الإدراك فربما فهموا ما يوافق ظاهر المعنى الباطنية وربما خالفه من جهة ما وربما كان الفهم بعكس ظاهره وقد كان الشيخ مكين الدين بن الأسمر رضى الله عنه ممن يشهد له الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه بالولاية الكبرى والمكاشفة العظمى فأنشد انسان في مجلسه

لو كان لي مسعد بالراح يستعنى لما انتظرت لشرب الراح اضفارا
الراح شيء شريف أنت شاربه فاشرب ولو حلتك الراح أوزارا
يا من يلوم على صباه صافية خذ الجنان ودعنى أسكن النارا

فقال بعض فقهاء الظاهر لا يجوز قراءة هذه الآيات فقال الشيخ مكين الدين قل دعه فانه رجل محبوب يعنى انه لا يفهم إلا الشراب الحسى دون المعنوى وهو جود والله تعالى أعلم ثم إن العبارة لا تدل على حال المعبر فقد يكون فوق

فالحالة التي بينه صلى الله عليه وسلم وبينهما يعنى أبا بكر وعمر أصنى ثم قال ولا يداهنهم فيما يخالف المذهب (وقد) قال روم مازالت الصوفية يغير ما تافروا فاذا صطحوا فلا خير فيهم ويضضع عند الحق لقائه بالقبول (روى) أن عمر رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان من دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعه بيده فقال اذن لا يردده إلى مكانه غيرك ولا يكون السلم غير عاتق عمر فقام على عاتقه فردده إلى موضعه رضى الله عنهما انتهى (و) قوله وبذلوا النفوس الخ وبذل هو الخدمة والمهنة يقال ثوب مبتذل أى مهان بالخدمة يعنى إنهم بذلوا نفوسهم وأهانوها في خدمة الشيوخ والأخوان فلما اغاية العرفان وحازوا أقصى مقام الاحسان نفعا الله بهم وخرطنا في سلكهم آمين ثم ذكر آدابهم في العلم فقال

وأضتوا عند المذاكرات واحترموا الماضى معا والآت
وسالوا الشيخ عما جهلوا ووقفوا من دون ما لم يصلوا
وعملوا بكل ما قد علوا وآثروا واعتفروا واحتشموا

(قلت) أما الانصات عند المذاكرة فلأنه يدل على كمال العقل والزانة فقد قالوا من كل عقله قل كلامه ومن قل

ما يقول وقد يكون دون ما يقول كما أشار إلى بيان ذلك بقوله (ربما عبر عن المقام من استشراف عليه وربما عبر عنه من وصل اليه وذلك ملتبس إلا على صاحب بصيرة) قلت العبارة لا تدل على نهاية المعبر ولا وصوله إلى ما عبر عنه فقد يعبر عن المقام من لم يصل اليه ولكن استشراف عليه وقد يعبر عنه من وصل اليه وربما عبر عن المقام وقدمه فوق ما عبر عنه وذلك ملتبس إذ لا يعرف المستشراف من الواصل إلا ذو بصيرة نافذة يعنى من فتح عليه في المعرفة فكل من فتح عليه في معرفة الله ورفع عنه الحجاب عرف كلام الواصل من المستشراف فليس من غلط البلد ووصفها ثم نعتها كن استشراف عليها ولم يدخلها ثم جعل ينعتها قال بعضهم : وقد يعرف المستشراف بطول التعبير والواصل باختصاره فالمستشراف يطول العبارة ويكررها والواصل من أول مرة يدركها وقد قالوا العارف بالضرب لا يكثُر الهني والعارف بالمفاصل لا يكثُر الحني

(قلت) وهذه القاعدة ليست كاية إذ كثير من العارفين الواصلين تطول عبارتهم لمعرفتهم بمفاصل الخطاب ومن المستشرفين من تقصر عبارتهم قال المؤلف رضى الله عنه الاستشراف والوصول ليس إلا مراتب الترجه للتحقق بالعجز فن وصل لمعرفة العجز عن الوصول فهو الواصل لكن العجز لا يكون إلا بعد الاتصاف به حقيقة لا مجازاً وذلك أن ان الجاهل بعجزه حالى قهرى والعارف جلالى رحمانى

(قلت) المراد بالعجز في حقه الخيرة والدمش أولاً ثم العجز عن الاحاطة والكنه ثانياً قال يشهد لذلك أن الجاهل متى تحرك وقع في الحظوظ والعارف لا يتحقق الا بالحقوق والجاهل نصيبه الوهم والعارف نصيبه الفهم الجاهل طالب للعلم والعارف طالب للعلوم الجاهل تابع بنظره للصور الحسية والعارف غائص يصيرته مع الأرواح المعنوية وجميع المراتب والمقامات مراحل بين الحس والمعنى وانتقال من الهياكل الجسمية للعوالم القلبية ثم من العوالم القلبية الى الحقائق الروحانية ثم من الحقائق الروحانية الى الاسرار الربانية ثم من الاسرار الربانية الى المعارف التوحيدية ثم لا ينبغي للسالك أن يعبر عن هذه الاسرار اذا واجهته في طريق السلوك كما أبان ذلك بقوله (لا ينبغي للسالك أن يعبر عن وارداته فان ذلك مما يقتل عملها في قلبه ويتمتع وجود الصديق فيها مع ربه) قلت المريد في حال سيره مأمور بالكتيان لعلمه وعمله وحال وارداته فافشاؤه لعمله من قلة اخلاصه وإفشاؤه لأحواله من قلة صدقه مع ربو أيضاً لأحوال

عقله كثر كلامه وأيضاً الكلام إنما يفهم بتمامه فاذا تم الكلام تكلم بما عنده من غير ملاجئة ولا خصام ولا ينبغي السكوت بالكلية اذ لا يعرف الشيخ حاله ولا مقامه إلا بكلامه (وقال) شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه تعلم المذاكرة كتعلم الرماية فلا بد أن يرموا الإشارة قارة أمامها وتارة قدامها حتى يصادفها أو كلام هذا معناه (و) أما احترام الماضى فالمراد من تقدم من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين والعلماء العاملين واحترامهم ألا يذكر والاباحسان وأن يلتبس لم أحسن المذاهب ويرحم الله النووى لما سئل عن ابن العربي الحائمي فقال الكلام كلام صوفي (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبت ولا تسئلون عما كانوا يعملون) ومن احترامهم الاستغفار والترضى عنهم قال تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) (و) اما احترام الآتى فمعناه لا يقطع المادة ويحجر فيقول انقطعت الأولياء ولم يبق أحد وانقطعت التزية ولم يبق من يصلح لها أو كان الناس وليس هذا زماتهم أو نحو ذلك من سوء الظن بالله وبعياده (وأما) سؤال الشيوخ عما جهلوا فلأن طلب العلم واجب على كل مسلم وهو معلوم من الدين بالضرورة ووقع الاجماع على أنه لا يحل لامرئ أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وانما يستلون عما يحتاجون اليه في الحال من عمل أو حال أو مقام دين ما يتعلق بالمستقبل من المقامات وهو معنى قوله ووقفوا من دور ما لم يصلوا يعنى دون الذي لم يدركوه

تأتى من حشرة قهار تزعج القلوب خوفاً وتقلقها شوقاً فإذا أفضى ذلك كان يريد ألقاء إطفاء لنورها كن علت قدر تهضب فيها الماء البارد فيطول عليه غليانها ثانياً ولو قلل نارها وحركها لاستفاد إدامها كذلك الواردات الإلهية تضج القلوب لتحركها إلى النهوض إلى مولائها فإذا أفضاها وذكرها للناس قل عملها في قلبه ودل على صدقه فيها مع ربه (قلت) ومن ذلك استتال الأحوال التي تمت النفوس لا يبغي إفضاؤها فلتنفس حظ في ذلك لانها بجولة على حب المدح والذكر الحسن ولو من الإخوان كثيراً ما ترى بعض الفقراء يذكرونها ويبجحون بها وهو غير صواب نعم إن كان يقتدى به فيذكرها للاقتداء ولانهاض الفقراء فذلك حسن مع نية حسنة وكثيراً ما تستعمل هذه الأحوال في حال السؤال فلذلك ذكره بأثره أو نقول لما كان التعبير عن الواردات الإلهية بما يوجب الأقبال والتعظيم فيؤدى ذلك إلى العطاء فيحتاج إلى آداب التقبض بين ذلك بقوله (لا تمد يدك إلى الآخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك فإن كنت كذلك غداً ما وافقت العلم) قلت مد اليد إلى الآخذ من الخلائق على قسمين إما أن يكون من غير سؤال أو بعد السؤال ولكل واحد منها أحكام أما الآخذ من غير سؤال فشرطه أمران أحدهما على آخر والاخر صوفي أما العلوي فلا يأخذ من كسبه حرام ولا غلظ ولا محجور عليه كالصبي والمجنون والعبد وأما الصوفي فلا يقبض حتى يعرف بمن يقبض عبداً وحالاً فإن اتسعت معرفته وتحقق فتاؤه بحيث لم يبق له نظر للواسطة أصلاً فربما يسلم له التقبض مطلقاً لأنه يقبض من الله ويدفع باقه ولكن الكمال هو الجمع بين الحقيقة والشرعية وقد كان كثير من الصوفية الحقيقيين يقبضون جوائز السلطان ثم يدفعونها على أيديهم (وأما) التقبض بعد السؤال فالكلام عليه من وجهين الأول في جواز السؤال ومنه والثاني فيما يقبضه بعد أخذه أما حكم السؤال فاصله الجواز قال الله تعالى (وأما السائل فلا تهر) فلو كان ممنوعاً ما نهى الله عن نهره ثم تعتبه الأقسام الخمسة يكون واجباً ومندوباً ومباحاً ومكروها وحراماً (فأما) الواجب فهو ما يكون لسد الرمي بحيث إذا ترك السؤال مات فهذا واجب عليه فلو تركه حتى مات مات عاصياً فأوجبه الشارع خوفاً على فوات حياة البشرية والحسية وأوجبه الصوفية أيضاً على من غاف فوات حياة الروحانية بحيث منتهى الرئاسة من حظ بالمنازلة والدوق فلا يستلون عنه لأنه لا تذكره عقولهم وإن أدركته اتصلت به على غير وجه التحقق فكان ضرره أكثر من نفعه (وأما) عملهم بكل ما عملوا فلأن العمل نتيجة العلم فعمل بلا عمل وسيلة بلا غاية وعمل بلا علم جناية (و) في الحديث مثل العالم الذي لا يعمل كالشمعة تحرق نفسها وتضيء على غيرها ولأن العلم يهتف بالعمل فإن وجده وإلا ارتحل ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم فالعلم إذا أيد بالعمل نهض ثم أنتج نوراً فأما ينتج ذلك النور حكمة فيكون كل شيء من صاحبه علماً وحكمة (و) قوله وآثروا يعني أنهم آثروا على أنفسهم في الكلام فيقدمون أكبرهم علماً أو سنوؤثرون أيضاً على أنفسهم في صدور المجالس والمحافل وكل ما فيه تعظيم (قوله) وأغفروا أى ساعوا وغفروا عن جفوة الإخوان الذين لم يتهذبوا وصبروا على غلظتهم في المذاكرة وغيرها (و) قوله واحشوا أى تركوا المنازعة والمخاصمة والملاجة بالنصب لأن ذلك يؤدى إلى الشرور والعداوة والحقد فتخرج المذاكرة حيثئذ إلى المجادلة والمراء (و) قد قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بى له بيت في أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بى له بيت في أسفل الجنة ثم ذكر آدابهم في المعاشرة قال :

واحتكوا بالعدل والانصاف فورد وأكل معين صاف

(قلت) أشار رحمه الله إلى أن الفقراء لا يداهن بعضهم بعضاً في الحق ولا يناقش بعضهم بعضاً بل يأمرون بينهم بالمعروف

رأسه وذبح نفسه فقد نقل التسطليق في شرح البخاري عن ابن العربي المعافى أنه قال هو واجب على المريد في البداية
تحصل أنه واجب حيث يخاف فوات حياة البشرية أو الروحانية وأليه أشار ابن البناء بقوله :

وما على السائل من تأويل لأجل قهر النفس والتذليل
فمن أولى الأدواق والأحوال من كان راضٍ النفس بالسؤال
قالوا ولا خير إذا في العبد ما لم يكن قد ذاق طعم الرد

وبالجملة فهو لرياضة النفس واجب أو مندوب وكان إبراهيم الخواص تعرض عليه الألوف فلا يقبلها وربما سأل من
يعرف من الناس الدرهم والدرهمين لا يزيد على ذلك (وأما) المندوب فهو أن يسأل لغيره فهو من التعاون على البر فيسأل
الطعام ليطعمه من يستحي أو يسأل اللباس أو غير ذلك وقد سأل النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين قدموا عليه عراة
ويدخل في المندوب ما كان لرياضة النفوس حيث لم يخف عليه كما تقدم (وأما) المكروه فهو أن يسأل لقوت البشرية مع
القدرة على الاستغناء عنه بسبب من الأسباب وهذا مالم ينقطع العبادة ويتجرد إلى الذكر وأما المنقطع إلى الله فلا بأس
به وقد فعله كثير من العارفين المحققين فقد كان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل بابا أو باين أو ثلاثا بين
العشائين فكانت العامة تعجب منه أولاً ثم عرف بذلك فكان لا يعبه عليه العامة ولا الخاصة مع جلالة قدره وعلو
معرفة ربه وكان الشيخ أبو سعيد الخراز إذا اشتدت به الفاقة يمد يده ويقول من عنده شيء لله (وكان) إبراهيم بن
أدم مكتفياً بجامع البصرة ولا يفطر إلا من ثلاثة أيام إلى ثلاثة أيام يخرج بعد صلاة المغرب يطلب على الأبواب فطره
(وكان) سفيان الثوري رضى الله عنه يسأل الطعام لله فإن فتح بكثير أخذ كفايته وترك الآخر وأكثر الرجال على
هذه الحال فطعموا الدنيا القانية لتأثيرهم الأخرى الباقية وكل ذلك لا يقدم بشرية ولا حقيقة ولا يطنى نور المعرفة وقد
أشار ابن البناء إلى هذين القسمين أعنى المندوب والمكروه فقال :

وكرهوا سؤاله نفسه ثم أباحوه لأجل جنسه

ويتأهون عن المنكر فيحكمون بالعدل على بعضهم بعضاً وعلى أنفسهم ومن توجه عليه حق من الحقوق أنصفوا ذنبهم وانقاد
للحق ولا يتعصب ولا يتحصى حمية الجاهلية وحقيقة العدل هو تنفيذ الحق عن غير زيادة عليه ولا نقصان منه والانصاف هو
الاعتراف به من غير توقف ويقال الانصاف من شيم الأشراف (وقال) أبو العباس بن العريف رحمه الله لا بد لطالب
الملم الحقيقي من معرفة الانصاف ولزمه بالأوصاف (قلت) ولا بد أيضاً للعالم من التحقق بالانصاف ليرجع للحق أينما ظهر
(وقد) قالوا إذا أخطأ العالم لا أصيبت مقالته (و) كان الشيخ عبد العزيز المهدي رحمه الله إذا سئل عن شيء لا يدرى يقول
لا أدري وإذا سئل عن شيء يدرى يقول أحب أن أسمعه من غيري (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه ومن صحيح ما سمع
في ذلك أن ابن الحاج حكى في مدخله أنه لما طلب شيخه بن أبي جرة رضى الله عنه في أن يقرأ عليه قال له وتترك
القضاة والأكابر الذين كنت تقرأ عليهم وتقرأ على فقال عزمت قال استخر الله قال استخرت ثم جئت من الغد فقال
عزمت قلت نعم قال لا يخطر على بالك أنك جلست بين يدي عالم ولا إلى عالم وأنت متعلم ولكننا قوم اجتمعنا لطلب أحكام
الله فان وجدنا الحق على لسان صبي من صبيان المكتب اتبعناه (قلت) فهذا الأمر الذي كان عليه سلف هذه الأمة
والأما صح مخالفة متأخرهم لمقتداهم والله أعلم ثم المنصف هو الذي يبالى كان شيخاً أو تلميذاً أو علماً أو متعلماً ظهر الحق
(٣٤ - إيقاظ ثاني)

ولم يعدوه من السؤال لكن من العون على الأعمال
إذ كان خير الخلق في أثره يسأل أحياناً إلى أصحابه

(وأما) المباح فهو أن يسأل الحاجة الغير ضرورية كسؤاله لقضاء دينه أو ما يزيد على ستر عورته وسد رمقه أو غير ذلك مما ليس بضرورة لكنه حاجي أى محتاج إليه (وأما) المحرم فهو أن يسأل تكثيراً أو زيادة على ما يكفيه (وفى) الحديث من له أربعون درهما فالسؤال عليه حرام وفيه ورد الحديث أنه يبعث يوم القيامة وليس في وجهه زرع علم ومن المحرم أيضاً ما فيه إلحاح وإضرار بالمسئول قال تعالى (لا يستلون الناس إلخافاً) (قلت) وأما ما يفعله بعض أصحابنا من صورة الإلحاح بتأنيهاً قد صدح بذلك قتل نفوسهم بما يسمعون من المسئول في جانبهم ولا يفعلونه إلا مع من يعرف عندهم بالإلحاح فيستخرجون منه الجلال اختياراً لأنفسهم وقد يقصدون بذلك تحقيق الإخلاص وسترا للحال فيظهرون الرغبة وهم من أزهت الناس تحقيقاً للاكتفاء بعلم الله وما كان ذلك إلا في حال قوتهم وجذبهم فالسكر غالب عليهم هذا ما حققته منهم وقد انقطع ذلك كله اليوم فابق إلا أهل الصفاء وأهل الوفاء وسب دخول السؤال في هذه الطائفة أن شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل العمراني رضي الله عنه كان له جاه ووزارة ورياسة في فاس فلبادخل في يد الشيخ ورأى صدقه وجده قال له أرى لك خمرة لم يقدر عليها أحد قبلك ولولا ما رأيت فيك من الصدق والجد ما دلتك عليها قال وما هي يا سيدي فقال السوق للسؤال هكذا سمعته من بعض الإخوان والذي رأيته في كتابه أنه قال له يا ولدي أراك تطلب هذا العلم ولا تنال منه ما تريد إلا بالذل فدخل فيه وسكن إلى مائة فلما ذاق سره ورأى ما فيه من الأسرار وما يقطع به المرید في سيره من المغاوزه والقفار سير أصحابه عليه ودلهم على استعماله فكان أصل مشروعيته قتل النفوس لا قبض الفلوس فن استعمله لقتل النفوس ولج حضرة القدوس إذ ما حجبنا عنها إلا حياة النفوس ومن استعمله لقبض الفلوس نال الشقاء والبؤس وينبغي أن يكون في حال السؤال به مشيرة إلى الخلق وقلبه معلق بالحق قال في المباحث :

وآداب الصوفي عند المسئلة أن يدخل السوق إليه يستله

على لسانه أو لسان غيره لأنه مقصوده دون ما سواه وقليل ما هم (قوله) فوردوا كل معين صافي الورود هو الشرب والمعين هو الماء الجاري والصافي لا تسيير فيه يعنى أن الصوفية لما حكموا بالعدلوا انصفوا بالانصاف شربوا من العلوم أعذبها وأصفها لأن القلوب إذا صفت وتزكت وتطهرت من الدعوى والمكبرة أشرقت فيها أنوار العلوم ولاحت فيها أسرار العلوم فأخنت من العلوم أصفها ومن الأنوار أبهاها ومن الأسرار أسناها وأوفاهها فنصني له ومن كدر كدر عليه فالعلم المكدر هو علم التقليد أو علم الدليل والعلم الصافي هو علم الأدواق أو علم الشهود (وفى) هذا المعنى قال القطب ابن مشيش رضي الله عنه وانشأني من أحوال التوحيد وأغرقتني في عين بحر الوحدة والله تعالى أعلم ثم ذكر شروط الاخوة وآدابها فقال :

وبعضهم كان لبعض عونا يلتقى لديه دعة وأما
ينصره في الحق حيث كانا فان أسا قارضه احسانا

قلت أشار رحمه الله إلى أن الصوفية رضي الله عنهم أعنى الفقراء كانوا يتعاونون على البر والتقوى لأن ذلك لمقصد جمهم فبين أخاه بنفسه وماله وجهه عليه وعلمه ومهنته وحاله ومناجحته ومودته ومصادقاته إلى غير ذلك وما كان اجتماعهم إلا ليتعاونوا على ذكر الله وسائر أبواب الخير (قال) تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وبذلك التعاون يصير كل واحد منهم

لسانه يشير نحو الخلق وقلبه معلق بالحق

وقد ذكر ابن ليون النجيبى السؤاليين أصله وذكر مسألة الزنيل وكيفيته أن يتوضأ الرجل ويصلي ركعتين يأخذ الزنيل يعنى وعاء يديه اليمنى ويخرج إلى السوق ومعه رجل آخر يذكر الله ويذكر الناس والناس يعطونه فى ذلك الزنيل حتى يجمع ما تيسر من الطعام ويصبه بين الفقراء فيأكلون طعاماً حلالاً بلا تكلف ولا كلفة هذا ما تيسر لنا فى حكم السؤال والذي يظهر لنا فى تركه اليوم أحسن من استعماله إذ زالت هيئته وصار حرفة من الحرف فصارت نفس كثير من الفقراء تبتش إلى ما ذلك إلا لما فيه من الحظ عنده والله تعالى أعلم (وأما) ما يأخذه من السؤال فإن كان فقيراً إليه أخذه وإن كان غنياً عنه تصدق به خفية بالليل مثلاً وكان شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول كان قصدنا من السؤال قوت الأرواح فلما خرج منه قوت الأشباح تبارك الله يعنى يأخذه من اضطر إليه وباقه التوفيق وهذه الحكمة التى ذكرها الشيخ هى من أعظم المهمات التى يحتاج إليها أهل التجريد وليس مقصوده الكلام على السؤال إنما مقصوده الدلالة على تربية اليقين وعدم التشوف إلى المخلوقين فلا يعلق قلبه بالمخلوق فإن تشوف إليه فينبغى ألا يقبض ما يعطاه ولا يمد يده إلى الأخذ منه حتى يرى أن المعطى هو الله ويكون ذوقاً وحالاً قلت وهذا الشرط إنما هو فيما يأخذه بغير سؤال وأما فى حال السؤال فلا يشترط بل يكون علماً ومجاهدة حتى يصير حالاً وذوقاً وأما ما يأخذه بغير سؤال فلا بد من هذه المعرفة وقال شيخ شيخنا لا تشترط هذه المعرفة بل يكفيه العلم فيها وهو الأصح مالم تشوف نفسه إلى الخلق فإن تشوفت نفسه فليتكف عن القبض من الخلق وليكتف بضمان الملك الحق قال تعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) قيل لبعضهم كيف خرجت من الدنيا بعد أن كانت فى يدك قال نظرت منصفاً فى معنى قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) فرأيت جميع الخلق من البعوضة إلى القمل تكفل الله لهم الرزق فحسنت أسمى إليه واشتغلت بالعبادة وقال عيسى عليه السلام لا تهتموا بالرزق فإن الذرة على صفرها توفى كل يوم رزقها الحديث وقال أيضاً عليه السلام عجبت لمن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بلا عمل ولا يعمل للآخرة وهو لا يرزق فيها إلا بالعمل وقال صلى الله عليه وسلم

فى راحة وأمن من حاجته وهذا معنى قوله يلقى لديه دعة وأما أى يلقى عنده راحة فيها يعاينه عند توجه أخيه لذلك الأمر أو عند ما يعاينه عليه وأما من فوات مقاصده بسببه ولذلك قال عليه السلام مثل الآخرين كمثل اليمين تغفل إحداهما الأخرى وكمثل البنيان يشد بعضه بعضاً وفى معناه قيل :

إن أهلك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا رب الزمان صدحك بددك فك شمله ليجمعك

(قوله) ينصره فى الحق الخ أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم انصرأخاك ظالماً أو مظلوماً قالوا يا رسول الله فإذا تنصره مظلوماً فكيف تنصره ظالماً قال تأخذ على يديه فترده عن ظلمه وإنما كان رده عن الظلم نصراً لأن نفسه ظالمة له وهو مغلوب فى يديها فإذا رددته عن ظلمه فقد نصرته عليها وإذا تركته يظلم فقد خذلته وقد تقدم قول حمدون القصار لا يزال الصوفية يخبر ما تافروا فإذا اصطالحوا قل دينهم (وقوله) فإن أساء قارضه إحساناً القرض هو السلف أطلقته هنا على مطلق المعطى أى فإن أساء فقير إلى أخيه فى قول أو فعل ساعده وبذل إحساناً وعفوا وامتناله لقوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام ولئن يقتدى به (ادفع بالى) أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها

من كان همه الآخرة جعل الله غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كان همه الدنيا جعل الله فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له وأن الرزق ليطالب العبد كما يطلبه وكان يحيى بن معاذ يقول قسم أنه لا تسكن الحكمة قلباً فيه ثلاث خصال هم الرزق وحسد الخلق وحب الجاه وكان حبيب العجمي يخدم الحسن البصري فصنع حبيب طعاماً لإظهارهما وإذا بسائل فأعطاه جميعه فقال الحسن يا حبيب إنك كثير اليقين قليل العلم فهلا أعطيتك النصف وتتقوت بالنصف فقال يا سيدي ثوابه لك وأنا أستغفر الله فلما جن الليل وإذا بقارع على الباب فخرج حبيب فوجد عبداً معه طعام كثير والشتاء ينزل والظلام يبيك فقال له ما هذا قال طعام قال لي سيدي إن قلبه منك الحسن البصري فأنت حر لوجه الله وقد طال على الرق فقال حبيب لا إله إلا الله عتق رقبة وإطعام جائع ثم دخل به على الحسن وقال يا سيدي إنك كثير العلم قليل اليقين فقال يا حبيب تقدمناك وسبقنا اه

(قلت) ولشيخ شيخنا مثل هذه الحكاية ذكرها لي بعض أصحابه ثم سأله عنها فقال هي صحيحة وذلك أهله صنعوا طعاماً جيداً فلما وضعوه بين أيديهم وإذا بسائل يسأل فأخرجهم له الشيخ كله وبنى أولاده بغير عشاء فلما كان بعد صلاة العشاء وإذا برجل يدق الباب فخرج الشيخ فوجد رجلاً معه مائة فيها ألوان من الطعام فدخلها ليعالها رضى الله عنه وقال بعض الأغنياء كنت نائماً وإذا بانسان قد وقف على في عالم النوم وزجرني وقال لي أجب الملهوف فأنتهت وأنا مذعور ولم أدر ما أصنع فأوقع الله في قلبي أن أخذت صرة فيها مائة دينار وركبت دابة وأطلقت زمامها فخرجت بي من العمران إلى مسجد خرب ووقت فنزلت ودخلت المسجد فوجدت مسكيناً وهو يتضرع إلى الله ويسأله من فضله فسأله عن حاله فقال أنا صاحب عيال ولى بيتان منذ ثلاث ما طعموا فأنا أسأل الله من فضله فدفعت له المائة وقلت له إذا ففنت فاسأل عني فأنا فلان واتنى فقال لا والله ما أسأل غير الله ثم انصرفت وأنا متعجب من ثقته بالله تعالى فهذه حكاية جنود من جنود الله تعالى تقوى اليقين وتوجب الثقة رب العالمين فيستحي العبد من الله أن يرفع حاجته إليه فأولى أن يرفضها إلى غيره كما بين ذلك بقوله (ربما استحي العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحي أن يرفضها إلى خليفته) قلت العارف هو الذي بلغ من التقرب والقرب حتى امتحق نفسه بالكلية

إلا ذو حظ عظيم أى ادفع السيئة بالتي هي أحسن وقد تقدم قوله عليه السلام في تفسير قوله تعالى (خذ العفو) الآية أن الله أمرني أن أعفو عن ظلمي وأصل من قطعني وأعطى من حرمني (قلت) وقد رأيت للنزالي كلاماً حسناً في آداب الأخوة وشروطها ذكره في الأحياء فرأيت أن أذكره على وجه الاختصار لما فيه من الفوائد الغزار قال رضى الله عنه اعلم أن عقدا الإخرا ن رابطة بين الشخصين كمقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضى النكاح حقوراً يجب الوفاء بها فكذلك عقد الأخوة فلا تخلف عليك حق في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب وبالعفو وبالدعاء ثم قال وذلك يجمعه ثمانية حقوق الحق الأول في المال بالمواساة وذلك على ثلاث مرات أداها ن أن تزله منزلة عبدك وغادلك فتقوم بحاجته بفضلة مالك فإذا سئمت له حاجة وعندك فضلة أعطيته ابتداء فإن أحوجته إلى سؤال فهو في غاية التقصير (الثانية) أن تزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك فتسمح له في مشارطته (الثالثة) وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وهي رتبة الصديقين ومتى درجة المتحابين (ومنها) الإيتار بالنفس أيضاً كما روى أنسعى بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء وهو المتوكل فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسن النورى فيادر إلى السيف ليكون أول مقتول فقبل له في ذلك فقال أحبيت أن أؤثر لإخواني بالحياة في هذه اللحظة فكان سبب نجاتهم جميعهم في حكاية طويلة (الحق)

وزالت عنه الأبنية والغيرية بحيث لم يبق له عن نفسه أخبار ولا مع غير مولاه فإذا أراد أن يسأل عبودية استحي من مولاه أن يثبت معه سواء اكتفاء بمشيئته وتحقيقاً لأحدثه فإذا كان يستحي من مولاه أن يرفع حوائجه إليه فكيف لا يستحي منه أن يرفضه إلى غيره فلا جرم أن الحق سبحانه يعطيه أفضل ما يعطى السائلين ويؤوه في مقعد صدق مع التبيين والصديةين وقد تقدم الحديث من شغله ذكرى الخ وقال سهل بن عبد الله ما من وقت إلا وأهله تعالى مطمئنين على قلوب عباده فأى قلبه أى فيه حاجة إلى سواء ساطع عليه الشيطان وحجبه عنه أهـ وقبل الواسطى لم لا تسأل الله شيئاً فقال أخشى أن يقال لى إن سألنا الذى لك عندنا قد انهمنا وإن سألنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الأدب معنا وإن سلبت الأمر لنا ونظرت بنظرنا أجرينا لك الأمور على مقتضى المواقفة أهـ (هذا آخر الباب الموفى عشرين) وحاصلها الكلام على الكرامات وما ينشأ عنها من العبارات لأن الكرامات الحقيقية هى الاستقامة على العبودية ومشاهدة أنوار الربوبية فإذا تحقق ذلك فى الولي فاض بالحكم وأذن له فى التعبير فيكثّر بما يقبل عليه الخلق بالعطاء فإذا عرف فهم مولاه حل له الأخذ من أيديهم وإلا فلا .

(وأما) السؤال منهم لقوت البشرية فلا يتصور من المارفين استحياء من الله واكتفاء بعله ومشيئته هذا مقام الواصلين وأما السارون فهم عاملون على مجاهدة نفوسهم فإن ثقل عليها السؤال قدموها إليه وإن ثقل عليها الفاقة والصبر والاكتفاء بالمشيئة والعلم قدموه كما بين ذلك الشيخ رضى الله عنه فى أول الباب الحادى والعشرين بقوله وقال رضى الله عنه (إذا التبس عليك أمران فانظر أثقلهما على النفس فاتبه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً) قلت هذا ميزان صحيح فى حق السائرين المشتغلين بالمجاهد الأكبر قال تعالى (وجاهدوا فى الله حتى تجهادوا) وقال (والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبيلاً) فكل ما يثقل على نفس المريد وتفر منه فهو حق فالواجب على المريد اتباعه وكل ما يخفف عليها فهو باطل وفيه حظها فالواجب عليه اجتنابه وهذا الأمر يختلف اختلافاً كثيراً قرب نفس يثقل عليها غير ما يثقل على الأخرى فيعضها يثقل عليها الصمت وبعضها يثقل عليها الكلام كما إذا تروى فى الصمت وبعضها يثقل عليها العزلة وبعضها يثقل عليها الخلطة وبعضها يثقل عليها الصيام وبعضها الفطر وبعضها يثقل عليها السؤال وتموت منه فى ساعة واحدة وبعضها يخفف عليها كما إذا تمودته

الثانى الاعانة بالنفس فى قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال وتقديمها على الحاجة الخاصة وهذه أيضاً لها درجات كالمواساة فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال ولكن مع البشاشة والاستبشار وأظهار الفرح وأوسطها أن تجعل حاجته كحاجتك فتكون متفقداً لحاجته غير غافل عن أحواله كما لا تنفل عن أحوال نفسك وتقنيه عن السؤال وأعلاها أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك وتؤثره على نفسك وأقربائك وأولادك كان الحسن يقول اخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا لأن أهلنا يذكرونا الدنيا واخواننا يذكروننا بالآخرة (الحق) الثالث على الإنسان بالسكوت فيسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله وإذا رآه فى طريقه فلا يسأله عن غرضه وحاجته وربما يثقل عليه أو يحتاج إلى أن يكذب ويسكت عن أسرارته التى بثها إليه فلا يبينها إلى غيره ولا إلى أخصاصه ولا يكشف شيئاً منها ولو بعد القطيعة ويسكت عن عمارته ومداغمته فى كلامه (الحق) الرابع على اللسان بالتعلق فيتودد إليه بلسانه ويتفقد فى أحواله التى يجب أن يتفقد فيها كالسؤال عن عارض له وأظهر شغل القلب بسنيه فينبى أن يظهر له بلسانه كراهتها والأحوال التى يسر بها فينبى أن يظهر بلسانه مشاركتها فى السرور بها فعنى الاخوة المساهمة فى السراء والضراء ويدعوه بأحب أسمائه فى حضوره ومغيبه ويشئ عليه بما يعرف من محاسن أحواله عند من يريد هو الثناء عنده وكذا على أولاده وأهله حتى على

قبل الأمر به وقس على ذلك فليكن العبد على نفسه بصيرة ويصير معها على عكس مرادها هكذا يستمر معها يخالفها فيما تأمره ويتهمها فيما تستحسنه فإذا تركت وتطهرت من الحس ولم يبق فيها بقية فحينئذ يجب عليه موافقتها إذ لا يتجلى فيها حينئذ إلا الحق فقد جاء الحق وزهق الباطل فصبير أمر العارف معكوساً مع السائر فالسائر يضره التدبير والاختيار والعارف بنفعه والسائر يضره الخلطة والعارف يتفقه السائر يضره الكلام والعارف يتفقه السائر يضره الدنيا ويهرب منها والعارف غائب عنها لا تضره وربما تفقهه والحاصل أن الواصل معكوس مع السائر في أموره كلها وبالله التوفيق ويجب على من أراد جهاد نفسه أن يلقيها إلى شيخ الترية إذ قد يلتبس عليه أمرها وعلى فرض علمه بما يثقل عليها لا قدرة له على مجاهدتها إلا بهمة الشيخ هذه سنة الله في عبادِهِ فإن النفس لا تريد أن تخرج عن رأيها ومرادها أبداً فالواجب إسلامها إلى من يبينه عليها وانظر التكليف الشرعية تجدها مخالفة لهوى النفس ومن لا يلقي قيادة الشرع فهو كافر وما كفر من كفر إلا بتبع الأهواء والله تعالى أعلم وها هنا ميزان آخر تعرف به العمل الذي فيه حظ النفس وهواها وما لا حظ لها فيه هو أن تعرض عليها الموت وأنت في ذلك العمل فإن رضيت بالموت وهى في ذلك العمل فالعمل صحيح وإن لم ترض بالموت وهى في ذلك العمل فالعمل باطل فكل عمل لا تهزمه الموت فهو صحيح وكل عمل يهزمه الموت فهو باطل يعنى فيه الهوى والحظ وكذلك الإنسان يزن نفسه بهذا الميزان ليعرف هل رحل من هذا العالم أو هو باقى فيعرض الموت على نفسه في حال عافية وجمال فإذا قبلت الموت ولم تفر منه فليعلم أنه رحل من هذا العالم وإن لم تقبل نفسه الموت وطلبت البقاء فقيه ببقية بقدر ما تقرر منها وبالله التوفيق ثم ذكر الشيخ ميزاناً آخر يعرف به اتباع الهوى من الحق فقال .

(من علامة اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات) قلت هذا ميزان آخر وإن شئت قلت هو داخل في الميزان الأول إذ من شأن النفس أن يثقل عليها الواجب لمشاركة الناس لها فيه إذ جل الناس يفعلونه فلا يظهر لها فيه مزية على غيرها وهى أبداً تحت الخصوصية بخلاف النوافل فانها تبطش إليها وتحب أن تنفرد بها إما لطلب المدح والثناء وإما لطلب الأجور من القصور والحدود وهذا كله عند المحققين من الحظوظ الجلية

وشعره وتصفيفه وجميع ما يفرح به من غير كذب ولا إفراط ويبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به ويؤذبه عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض بجره بكلام صريح أو تعرض بتعليقه بما عليك الله وتصحه (الحق) الخامس العفو عن الزلات والمفوات فإن كانت زلته في الدين بارتكاب معصية فليتلطف في نصحه فإن بقي مصرأ فقد اختلف الصحابة في ذلك فذهب أبو ذر إلى مقاطعته وقال إذا انقلب أخوك عما كان عليه فابغضه من حيث أحببته وذهب أبو البرداء وجماعة إلى خلاف ذلك وقال أبو البرداء إذا تغير أخوك عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك فإن أخاك يعوجج حرة ويستقيم أخرى وهذه ألطف والله وذلك لما في الطريق من الرق والاسمالة والتعطف للمغضى إلى الرجوع والتوبة وأيضاً للأخرة عقد ينزل منزلة القرابة فإذا انعقدت وجب الوفاء بها ومن الوفاء ألا يهمله أيام حاجته وقدمه فقر الدين أشد من فقر المال ثم قال والفاجر إذا صحب تقياً وهو ينظر إلى خوفه رجوع عن قريب ويستحي من الأصرار بل الكسلان يصحب الحريص في العمل فيحرص حياء منه وإن كانت زلته في حقه فلا خلاف أن العفو والاحتمال هو المطلوب (الحق) السادس الدعاء له في حياته وعماه بكل ما يجب لنفسه وأمله (الحق) السابع الوفاء والإخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وإدامته إلى الممات معه وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه (الحق) الثامن التخفيف وترك التكليف والتكلف فلا

أو الخفية فالمسارعة إلى نوافل الخيرات، وفنائيل الطاعات مع التكاسل عن الفروض الواجبات علامة الهوى فيجب على الإنسان أن يقدم الفرض الواجب ولا يقدم عليه إلا ما هو من كماله كالنوافل قبله وبعده إعانة على المحذور فيعان حصل المحذور استغنى عن الوسيلة والنافذة الكبرى عندنا هو الاستغراق في مشاهدة مولاه بين فكرة ونظرة أو ما يوصل إلى هذا المقام من مذاكرة أو ذكر ومن رضى الدنيا بخذافرها وغاب عن نفسه وجنسه قد جمع القرائض والنوافل كلها ولو بات نائماً وظل مفطراً (وفى) بعض أخبار سيدنا داود عليه السلام قال يارب أين أجذك فقال له اترك نفسك وتعال أى غلبها تجدى أقرب اليك منها وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه عليك بورد واحد وهو اسقاط الهوى ومحبة المولى وبالله التوفيق ولما كان من شأن النفس الأمانة التكاسل عن الطاعات قيدها الحق تعالى بأعيان الأوقات كما أبان ذلك بقوله (قيد) الطاعات بأعيان الأوقات لتلا يمتك عنها وجود التسويف ووسع عليك الوقت ليعنى لك حصة الاختيار قلت من شأن النفس تسويف العمل وتطويل الأمل فلوتركت مع اختيارها ما توجهت قط إلى ربه ولما علم الحق سبحانه أن من عباده من لا تهتبه المحبة ولا يسوقه إليه مجرد الرغبة وإنما تسوقه إليه سلاسل الامتحان بتخويف النيران أو شبهة الطمع بنعيم الجنان أو وعد من حاد عن طاعته بالعذاب الأليم ووعد من أطاعه وتقرب إليه بالنعيم المقيم ثم فرض عليهم ما تظهر فيه طاعته من الاحكام والقرائض وعين لها أوقاتاً مخصوصة إذلو ترك ذلك لاختيار عباده ما أقبل عليه بها إلا القليل من أهل محبته ووداده ومن رحمته تعالى أن وسع عليهم في تلك الأوقات فيبقى لهم في ذلك ضرب من الاختيار فوسع الظهر مثلاً إلى العصر والعصر إلى الاصفرار والمغرب إلى العشاء والعشاء إلى نصف الليل والصبح إلى قرب الطلوع فقد قيد لك أيها العبد الطاعات التي أوجبها عليك بأعيان الأوقات لتلا يمتك التسويف من فعلها فيؤدى ذلك بك إلى تركها ووسع عليك الوقت ليعنى لك حصة أى ضرباً ونصييماً من الاختيار إذ لو ضيق عليك الوقت لكان ذلك في غاية الحرج والاضطرار فالخذقه على مته وسعة رحمته وقد قيل إن الله سبحانه يقول لعبده ألم أخرجك من العدم إلى الوجود وأمدك بأمداد الفضل والجود جعلت لك نوراً في بصرك لتدرك به أدلة قدرتي وعظيم آياتي وجعلت لك نوراً في بصيرتك

تكلف أخاك ما يشق عليه بل تروح سره عن مهماتك وحاجاتك وترفضه عن أن تحمله شيئاً من أعبائك ولا تستمد منه من مال وجاه ولا تكلفه التواضع لك والتنفذ والقيام بحقوقك بل ما تقصد بمحبته إلا الله تعالى انتهى المراد منه ببعض اختصار ثم ذكر بعض ما يجنب فعله فقال

وليس حظ الرأس من آذابه بل الصواب كان في اجتنابه
بل هو مبنى على القصاص لمن أراد حسيه الخلاص
وليس في قيام الاستغفار أصل صحيح واصطلاح جار

(قلت) أما حظ الرأس فهو أن الفقير إذا أساء الأدب مع أحسن الفقراء أو غيرهم يأتي إليه ويحيط رأسه بين يديه ليؤدبه أو يقتصر منه أو يسمح له بهذا أمر لم يرد في الشريعة ولا جرى به عمل في الطريقة فالصواب اجتنابه لأن ذلك كان عند من قال مبني على القصاص ليتخلص الجنى عليه من الجاني فهو من باب التمكن من القصاص وهو يتأتى بغير حظ الرأس فلا حاجة إلى ابتداء هذا الحظ وقد مكن عليه السلام عكاشة من القصاص ولم يكن فيه شيء مزائد على التمكن من القصاص لمن أراد أن يحسب نفسه بخلاص نفسه في الدنيا قبل الآخرة (وأما) قيام الاستغفار فهو أن الفقير إذا أساء في حق الفقراء

لتنعم به خطابي وتتق بالطاعة عقابي وترجو ثوابي فودعك الثواب على الطاعة وأودعك العقاب على المخالفة ثم كافئك من العمل ما تطيق ووسعت عليك في الأوقات كل ضيق فلو أنك قضيت ما أوجبت عليك في أول عمرك في آخره لقبته منك فمن ذا الذي منعك من الامتثال ولم يكن بك عذر غير التواني والضلال اه (وقد) قيل في المثل من طلب جابون من هاب غلب وانظر قرن الله الهداية بالمجاهدة وأوجب سبحانه على نفسه ما لم يجب عليه فقال سبحانه وهو أصدق القائلين (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لم يحم المحسنين) وأنشدوا في هذا المعنى

لوصح منك الهوى أرشدت للجيل والصديق سيف ينزل غاية الأمل
فكن أخاهمة تسمو بصاحبها ولا تكن بالتواني محبط العمل

وكان الربيع بن خيثم يردد هذه الآية ويبكي قوله تعالى (أم حسب الذين اجتروا السيئات أن يجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وكان يصيح ليت شعري من أي الفريقين أنت يا نفسى وهذه الآية تسمى مبكية العابدين وقال سهل رضى الله عنه في معنى هذه الآية ليس أهل الموافقة كاهل المخالفة أهل الموافقة في مقعد صدق عند مليك مقتدر وأهل المخالفة في عذاب السعير اه ولما ذكر حكمة توقيت الطاعة ذكر حكمة إيجابها على عباده فقال (علم قلة تهوض العباد إلى معاملته فأوجب عليهم وجود طاعته فاسأهم إليه بسلاسل الإيجاب عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل أوجب عليك وجود طاعته وما أوجب عليك الإدخول جنته) قلت هذه حكمة التشريع لكه ما ذكر الاحكام أهل الظاهر وحاصلها أن الحق سبحانه من حكمته لما علم من عباده قلة التهوض إلى معاملته لانه قال وقيل من عبادى الشكور وقال أيضاً وقيل ما هم فلما علم ذلك أوجب عليهم طاعته وأوعدهم على تركها بالعقوبة فاسأهم إليه بسلاسل الإيجاب ثم ذكر الشيخ حديثاً ورد في شأن الاسارى إشارة إلى أن العبد لا اختيار له فهو أسير في يد قدرة القدير والحديث مشهور وهو قوله عليه السلام عجب ربك من يساقون إلى الجنة بالسلاسل لانه عليه السلام كان يدعو إلى الله وإلى دخول حضرته فمن وافقه نجما ومن خالفه جعل له السلسلة في عنقه وسأله إلى حضرة ربه ولفظ الحديث عجب الله من قوم يساقون إلى

أول غيرهم وأراد التوبة والاستغفار قام على رؤس الفقراء معترفاً بذنبه ومظهراً للاستغفار ومعتزلاً عما صنع وهذه الحالة لم يجربها عمل المغرب ولا مستند لها من السنة فتركها أولى إلا لضرورة وهذا خلاف ما ذكره أبو مدين بقوله :

وحط رأسك واستغفر بلا سبب وقم على قدم الإنصاف معتزلاً

فلعله لم يصحبه عمل بعده وأراد به المبالغة في الاعتذار وانه تعالى أعلم ثم أجمل ما بقى من الآداب بقوله :

(واقصد من هذا الطريق الأدب في كل حال منه هذا المذهب)

(قلت) أشار رحمه الله إلى أن الطريق مبنية على الآداب فمن لا أدب له لا طريق له ومن أساء الأدب مع الاحباب طرد إلى الباب ومن أساء الأدب في الباب طرد إلى سياسة الدواب (وقال) اجعل علك ملحا وأدبك دقيقا وقد تقدم قول أبي حفص التصوف كله آداب الخ (وقال) الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه أربعة آداب اذا خلا الفقير للنسب منها فلا تبيان به وإن كان أعلم البرية بجانية الظلمة وإثارة أهل الآخرة ومواساة ذوى الفاقة ومواظبة الخس في الجماعة (واربعة) آداب اذا خلا الفقير للمجرد منها فاجعلوه والتراب شواء الرحمة للاصاغر والحرمة للاكابر والإنصاف من نفسه وترك الاتصاف لها (وقال) محي الدين بن العربي رضى الله عنه أربعة من حازها فقد حاز الخير كله تعظيم حرمانات

إلى الجنة بالسلاسل (قال) بعض العلماء يجوز أن يكون معنى التعجب المنسوب إلى الله إظهار عجب هذا الأمر لحلقه لأنه بديع الشأن وهو أن الجنة التي أخبر الله بها فيها من التيمم المقيم والخلود في العيش الرغد الدائم ومن حكم من سمع بها من ذوى العقل أن يسارع إليها ويدل جهده فيها ويحتمل المكارة والمشقات لينالها وهؤلاء يفرّون منها ويرغبون عنها حتى يقادوا إليها بالسلاسل كما يقاد إلى المكارة العظيمة التي تنفر منها الطباع اه ثم إن الحق سبحانه غنى عن الانتفاع بالمنافع فما أملك هذا ونهاك عن هذا إلا لما لك فيه من جلب المنافع ودفع المضار أوجب عليك وجود طاعته وما أوجب عليك إلا دخول جنته .

(قال) بعض الحكماء واعلم أن في الطاعات تفاوتاً ودرجات وفي المخالفة كبراً ودرجات فالرسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة ليرتاضون القرف من فوقهم كما يرى أهل الأرض الكوكب الدرّى في أفق السماء قيل يا رسول الله تلك منازل الأنبياء قال والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال آخر الناس ثلاثة عبد أطاع الله عبودية وشكراً وامتثالاً وتيامماً بحق الخدمة فزاده الوجوب شرفاً وعلو درجة وعبد أطاع الله تعظيماً للوجوب فالوجوب في حقه تنبيه وإظهار للحكمة وعبد أطاع الله خوفاً من عذابه ورجاء في ثوابه ولولا ذلك ماعبدته فالوجوب في حقه لطيف به وفي الكل خير وشتان ما بينهما اه (قلت) والحق يقال إنما هو قسبان قسم أطاع على التكليف وهم أهل التكليف وقسم أصاع على التعظيم وهم أهل التعلم والتعريف أهل الحجاب أطاعوا خوفاً وطعماً وأهل العيان أطاعوا حباً وشكراً وهو مقام الأنبياء وخوفاً الأولياء قال عليه السلام أفلا أكون عبداً شكوراً فالحكمة عند أهل الباطن في وجوب الخدمة إنما هي إظهار لستر سر الربوبية التي هي في مظاهر البودية فالربوبية بلا عبودية نقص يلزم عليه إبطال حكمته والعبودية بلا ربوبية محال لا يتصور وجوده .

من لا وجد لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال

المسلمين وخدمة الفقراء والانصاف من نفسه وترك الاتصال لها (و) باب الأدب باب كبير قد استوفى جملة السلي والفرز إلى في الأحباء وبداية الهداية ومداره على ما تقدم (و) الضمير في منه يعود على الطريق أى والقصد من هذا الطريق الأدب في كل حال من أحواله هنا هو منهجهم الذى تمسكوا به فوصلوا وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم ذكر الحكم السادس فقال (السابع في حكم السماع) هو استماع الأشعار بالنغم والموسيقى وتكلم هنا على حكمه وأحكامه وآدابه وفوائده وبدأ بالحكم فقال :

والأنام في السماع خوض لكن لهذا الحزب فيه روض
قال العراقيون بالتحريم قال الحجازيون بالتسليم

(قلت) الخوض في الأصل هو الدخول في الماء ولما كان الغالب على الماء التنفر بالخوض فيه صار يطلق على الدخول في الأمور المشككة الملتبسة لكثرة الخوض فيها والروض معلوم يجمع على رياض وهو مكان النزهة والفرجة (يقول) رحمه الله للناس في السماع خوض كبير في منعه وجوازه لكن لهذا الحزب وهي جماعة الصوفية التي هي حزب الله نزهة وخمرة يجذبونها في قلوبهم وأسرارهم ولذلك لما سئل الجنيّد عن السماع قال كل ما يجمع القلب بالله فهو جائز وما هذا معناه . (ثم) ذكر الخلاف فأخبر أن العراقيين قالوا بالتحريم والمراد بهم الحنفية ومن تبعهم وأهل الحجاز قالوا بالتسليم أى الاباحة أو الوقت والمراد بهم مالك والشافعى ومن تبعهما فقد روى أبو معصب أن مالكا سئل عن السماع فقال لم يبلغني فيه شيء إلا أن أهل العلم يلبّدنا لا ينكرونه ولا يقرّعون عنه ولا ينكروه الا غبي جاهل أو ناسك عراقي غليظ

ولأجل هذا المعنى كان العارفون إذا تحققوا هذا السر وهو أن العبودية لا وجود لها من ذاتها وإنما حكمة وجودها صور سر الربوبية بإظهار أحكام العبودية وعرفوا ذلك حالاً وذوقاً كانت عبادتهم شكراً وكانوا فيها محولين غير حاملين علمهم بالله فله فعبادة هؤلاء كثيرة عظيمة في المعنى وإن كانت قليلة في الحس ولا تملأ أبداً إذ تصرفاتهم كلها عبادة نومهم عبادة وأكلهم عبادة ومشهم عبادة وفي مثل هؤلاء ورد الحديث نوم العالم عبادة وقال أيضاً رجال يدخلون الجنة على الفرش المهدية قيل من هم يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيراً أو كما قال عليه السلام ذكره المنذرى وقال أبو سلمان قد يدرك العارف على فراشه ما لا يدركه في صلاته ولا يستغرب العبد من نفسه بلوع هذا المقام فإن فضل الله لا ينال بسبب وقدره الله صالحه لندرك كل مطلب كما أبان ذلك بقوله (من استغرب أن ينقله الله من شهوته وأن يخرج من وجود غفله فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على شيء مقتدراً).

قلت لاشك أن الحق تعالى لا يصجزه شيء هو الغالب على أمره وقلوب عباده بيده يصرفها كيف شاء ويقلبها حيث شاء فمن كان منهما في النفلة مستغرقاً في بحار الشهوة فلا يستغرب أن ينقله الله من غفله وأن يخرج من وجود شهوته فإن ذلك فتح في إيمانه وكيف يستغرب ذلك وربنا تعالى يقول (وكان الله على كل شيء مقتدراً) وأنت من ذلك الشيء. وقال تعالى في حق العصاة (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) وقال تعالى (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) إلى غير ذلك من الآيات وقال عليه السلام لو أدبتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم يتم ثواب الله عليكم وليتذكر من تقدم قلبه من أهل النفلة والعصيان ثم صار من أهل المشاهدة واليمان كانوا لصواً فصاروا خصوصاً كإبراهيم بن آدم والفضل بن عياض وأبي يعزى وكثير ممن يعتز بحصره وقد ذكر القشيري في أول رسالته منهم رجالاً فقمهم أولاً بقوة لرجاء المذنبين

الطبع (قلت) لا يشك عاقل أن الأصل في السماع هو الجواز بدليل قضية الجواز التي كن ينفين ويضربن بالدف يوم العيد والرسول عليه السلام حاضر وهي في البخاري وغيره (و) قال أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه (وروى) عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت كانت عندي جارية تسمعي فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي على حالها ثم دخل عمر ففرت فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يضحكك يا رسول الله فحدثته فقال لا أخرج حتى أسمع ما سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرها فأسمعت :

(قلت) وذكره التجيبي أيضاً بهذا اللفظ ثم قال السلمي (وسئل) ذو النون عن السماع فقال وارد حتى يزجج القلوب إلى الحق فمن أصغى إليه بحق تحقق ومن أصغى إليه بنفس تزدق (وقال) السري تطرب قلوب المحبين إلى السماع وتخاف قلوب النائيين وتكاف قلوب المشتاقين وقيل مثل السماع مثل النيث إذا وقع على الأرض المجدبة فتصبح مخضرة كذلك القلوب الزكية تظهر مكنون فرائدها عند السماع وقيل يحرك ما ينشأ على القلب من السرور والحزن والرجاء والشرق وربما يخرج إلى البكاء وربما يخرج إلى الطرب (و) قيل السماع فيه حظ لكل عضو فربما يبكي وربما يصرف وربما يرقص وربما ينمي عليه (و) قيل أهل السماع ثلاثة ثابت وصادق ومستقيم وقيل المستمعون ثلاثة مستمع بهو مستمع بقلبه ومستمع بنفسه وقيل يحتاج المستمع إلى ثلاثة دفقورة وحرقة مع فناء الطبع ودخول الحقائق ولا يصح السماع إلا لمن قنيت حظوظه وبقيت حقوقه وخذت بشرته ثم قال فكذلك السماع يؤثر على مقدار صفاء الباطن وقوة الإرادة (قال) بعض المشايخ لا يصح السماع إلا لمن كان قلبه حياً ورفسه ميتة فأما من كان نفسه حية وقلبه ميتاً فلا (حكى) عن بعض الأبدال أنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قلت ما تقول في السماع الذي عليه أصحابنا فقال هو الصفاء الذي لا يثبت

وليدكر الرجل الذى قتل تسعا وتسعين نفساً ثم سأل راحيا عن التوبة فقال له لا توبة لك فكل به المائة ثم سأل عما فعله على التوبة وأمره بالذهاب إلى قريه فيها قوم يعبدون الله فقصدهم فأتى بالطريق فأخذته ملائكة الرحمة والحديث فى البخارى مطولا وكذلك الرجل الذى كان لصا فسأل عابداً هل له من توبة فاستزأ به وأخذ عرجواً يسأوا وقال له خذ هذا العرجون فاذا اخضر فقد سحت توبتك فأخذه بالنية وجعل بعد الله وينظر اليه فأصبح ذات يوم مسلجاً أخضر (قلت) وقد أدركت أقواماً كانوا مغرورين فى الغفلة وترك الصلاة لا يعرفون من الدين المشهور قليلا ولا كثيراً فضلاً عن طريق الخصوص فانقلبوا وصاروا خصرصاً عارفين وقد أدركت أقواماً كانوا منهمكين فى الذنوب مغرورين فى المعاصي وظلم العباد فصاروا من أعظم الصالحين وقد رأيت نصارى بشر سبعة حضروا خلف حلقة الذكر فانجذبوا وتبعونا حتى خرجنا الحد الذى بيننا وبينهم ولو وجدوا سيلاً لأسلوا سريعاً وقد كان بعض إخواننا يقول فى شأن نفسه تعجباً من خروجه من غفلة هذا مدفع النخاس المدير من عنده شيء فليخرجه فلقد رأيت مجنوباً عارياً رأسه حافياً رجله فهو اليوم من خواص الأولياء والغالب أنما يتفق هذا لمن سقط على صخرة العارفين الذين عندكم الاكسیر وهم موجودون فى كل أوان وهذا أمر شهير لا يحتاج إلى دليل ومن شك فليشاهد فيا عجباً عن ينكر ضربه الشمس بعد طلوعها ونور القمر بعد ظميره ولكن كما قال صاحب البردة

قد تنكر العين ضربه الشمس من رمد وينكر النعم طعم الماء من سقم

ومن بضل الله فلن يجد له سيلاً وأعجب منه من ينكر وجود شيخ التوبة ويقر بانقطاع أهل الخصوصية فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور أعنى تعمى عن طريق أهل الخصوص وتبصر طريق أهل العموم عليه إلا أقدم العلماء انتهى المراد منه (وقد) أشبه الكلام فيه ابن ليون التجيبي فى الإنالة قال فيها فاستأج الشعر لا ينكره إلا جاهل بالسنة ثم قال وقال صالح بن أحمد بن حنبل أنه رأى أباه يستمع من جاره غناء كان فى بعض ديار جيرانه ثم قال وعن أنس كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزل عليه جبريل فقال يا رسول الله أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسةائة عام وهر نصف يوم ففرح فقال أفيكم من يتشدنا فقال بدرى نعم يا رسول الله فقال هات فأنشد البدرى يقول

قد سمعت حبة الهوى كبدى فلا طيب لها ولا راق

إلا الحبيب الذى قد شغفت به فعنده رقيبى وترى

فتواجد عليه السلام وتواجد أصحابه معه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه فقال معاوية ما أحسن لعبيك يا رسول الله فقال ممعه يامعاوية ليس بكرم من لم يهتز عند ذكر الحبيب ثم أقدم رداؤه من حضرهم بأربعةائة قطعة وذكره للمقسمى والمهرودى وتكلم الناس فى هذا الحديث (قلت) التحقيق فى السماع هو التفصيل فأما أهل الحقائق فلا شك فى جوازهم أو استحبابه على ما أتى ومستندهم أقدم وأما أهل الشرائع فإن خلا المكان من النساء والصبيان فهو مباح للتائب مكروه لغيره وأما أن حضر النساء أو الشبان فهو حرام سد الذريعة والله تعالى أعلم وإلى هذا التفصيل أشار بقوله فقال

وان للشيخ فيه فنا إذ جعلوه للطريق ركنا

وإنما أبيع للزهاد ونديه إلى الشيوخ باد

وهو على العوام كالكرم عند الشيوخ الجلة الأعلام

كحال الخفاش يصير في الظلمة ولا يصير في النور فهو عند الناس معنور لفقده ما عند الأقرباء من النور وقد يسأله الله على عباده الانهماك في الشهوات ويحبسه في سجن الغفلات ثم يمن عليه بالثوبة واليقظ من النغلة ويدخله مع أحيائه مداخل الحضرة يعرف قدر ما أظهر الله عليه من المنة كما أبان ذلك بقوله (ربما وردت الظلم عليك ليرفك قدر ما من به عليك) قلت لاشك أن نيل الشيء بعد الطلب ألد وأعز من المساق بغير تعب والمحبة بعد القطيعة أحلى من المحبة بلا قطيعة والصفاء بعد الجفاء أصنى من الصفاء بلا جفاء وضام النفس عن مألوفاتها وعوائدها أشد معالجة من النفس السلسة المتفاداة غير تب فيكون الأجر أو القدر على قد التعب فهذه حكمة تقديم ورود النغلة والشهوة على العبد ثم ينقذه منها ليعلم قدر هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه فربما أورد عليك أنها الإنسان الحق تعالى الظلم جمع الظلمة وهي الأغيار والأكدار وحب الشهوات والعوائد فتفرق في بحارها وتسجن في سجون ظلماتها ثم ينقذك منها في ساعة واحدة وذلك لتعرف بعد الفتح قدر ما من الله به عليك فتزداد محبة وشكراً ويعظم السر عندك عملاً وقدراً تعرف حقه وتصوره عن لا يستحقه ولأجل هذا جعل الله الجنة محفوفة بالمكاره ليعرف العباد بعد دخولها قدر النعمة التي من الله بها عليهم وكذلك الجنة العارف محفوفة بالمكاره ليعرف العارف قدر السر الذي كشف به والخير الذي منحه الله إياه (واعلم) أن هذا الظلم التي ترد على القلوب فتصجبه عن علام الغيوب هي ناشئة بحكمة الله من الدنيا والنفس والشيطان فنزهد في الدنيا وغاب عن نفسه وأطلق يده منها وذكر الله حتى احترق الشيطان وذاب دخل مع الأحباب وفتح له عن علم الغيوب الباب قال بعض الحكماء واعلم أن الصانع البديع سبحانه لما خلق القلب جعله خزنة أسرار ومعدن أنوار وموضع نظره من عبده ولم يخلق الله في الوجود أشرف منه ثم رى على باب القلب أخس الأشياء وأقذرها لتقضى حكمته اجتماع الاضداد التي لا قدرة لغيره على ذلك

قلت أشار رحمه الله إلى أن السماع فيه للشيخ العارفين فنون وزيادات ومواجيد وأحوال وواردات فذلك جعلوه ركناً يأوون إليه ويعتمدون عليه لأنه رخصة الصغفاء منهم كما يأتي وأما الأقرباء فلا يحتاجون إليه وقد سئل الجنيد رضى الله عنه عن السماع أمباح هو فقال كل ما يجمع العبد على ربه فهو مباح وقد تقدم والتحرير هو التفصيل كما ذكره الناظم فقسم مباح وقسم مذنب وقسم حرام فهو للزهاد مباح لأن نفوسهم ماتت عن الشهوات المستلذات فلا ضرر لهم فيه حتى يحرم ولا نفع لهم فيه حتى يندب إذ لم يلغوا رتبة التحقيق والدق والشيوخ العارفين مندوب لأنه يثير فيهم الوجد والوداد حتى يشد ذلك في عوالم الاجساد وتسع ميادين الحضرة فيكون للحضرة نصيب لأن من تحقق بحالة لم يخل حاضره منها وكل ما أفضى إلى الكمال فهو كامل وعلى العوام حرام أو كالحرام لأنه ينشر فيهم الشهوات والمعاصي ويمرّك عليهم الطباع الرديئة والعوائد الدنية فإذا اتفت هذه الملل كان مباحاً إلا لأن حضرة أهل التمسك فيمنع مطلقاً سد الذرائع وإلما حرم على العوام لأن الفناء مرقاة الزنا وأنه بنيت التفاق في القلب (وقالوا) أيضاً السماع راح تشربه الأرواح بكؤوس الآذان على معاني الألحان ولكل امرئ ما نوى ما زعم لما شرب له، وهذا واضح له؛ (وقالوا) أيضاً من سمع بزندق تزندق، ومن سمع بتحقيق تحقق وإذا ذكر الهوى فكل امرئ، وما نوى (وكان) بعضهم يقول أتم غوا كما تحبون ونحن نسمع كما نحجب وبالله التوفيق ثم ذكر نتائج السنية والدنية فقال

وفيه كان يلقى الأحوال كما بين سافل وعال

(قلت) الملقى في اللغة هو السرعة وفرس ملق أي سريع قاله في القاموس يعني أن السماع سرعة ظهور الأحوال الزكية أو الدنية فن كان قلبه مع ربه حركة سريعاً إلى حضرة قدمه ومن كان قلبه مع حظه وهواه حركة إلى حظوظه

فطرح على باب القلب جيفة وكبا ينهش فيها وهما الدنيا والشيطان فن أراد الدخول لخزانة سر الله لا بد له من تغميض عينه عن هذه القدرة واعراضه عن الكلب لأنه لاسيل له على من أعرض عنه وعن جيفته وكل من التفت إليها سلب النور الذى أراد الله به الدخول ليبت قلبه وكان له ذلك كالطلسم على الكثر منعه منه لأعالة اه (وقيل) أن الدنيا بنت الشيطان وطالب الدنيا صهر إبليس والأدب لا ينفعك عن بته أبداً مادامت البنت فى عصمة الصهر (وقال) رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً زهده فى الدنيا ورغبه فى الآخرة وبصره بعيرب نفسه قيل يا رسول الله أى الناس شر قال الأغنياء يعنى البخلاء ثم قال عليه السلام ومن عظم غنيا لأجل غناه كان عند الله كهابذ وثن ومن أسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة اه (وأوحى) الله إلى موسى عليه السلام ما أحبني من أحب المال وما أحبني من أحب الدنيا فانه لا يسح فى قلب واحد حبي وحبها أبداً يا موسى ما غافني من غاف الخلق وما توكل على من غاف فوات الرزق وعزتي وجلالى ما توكل على عبد إلا كفيته ويدي مفتح الملك والملكوت وما اعتصم في عبد إلا دخلته الجنة وكفيته كل مهمة ومن اعتصم بعيرى قطعت عنه الأسباب من فوقه وأسخت الأرض من تحته ولا أبالي كيف أهلكتك يا موسى خمس كلمات ختمت لك بها التوراة ان علمت بهن تفعلك العلم كله وإلا لم ينفعك شيء منه (الاولى) كن واثقا برزقي المضمون لك مادامت خزاتي مملوءة وخزاتي لا تنفذ أبداً (والثانية) لا تخافن ذا سلطان مادام سلطانى وسلطانى دائماً لا يزول أبداً (الثالثة) لا ترى عيب غيرك مادام فيك عيب والعبد لا يخلو من عيب أبداً (الرابعة) لا تدع محاربة الشيطان مادام روحك فى جسدك فانه لا يدع محاربتك أبداً (الخامسة) لا تأمن مكرى حتى ترى نفسك فى الجنة وفى الجنة أصاب آدم ما أصاب فلا تأمن مكرى أبداً اه (قلت) وهذا كله تشريع لغيره والانبياء كلهم مطهرون معصومون وكل ماورد فيهم

ومناه لأجل ذلك يظهر من سقط فى أسفل سافلين ومن أرتفع فى أعلى عليين ثم أشار إلى نتيجة أخرى فقال .

وهو صراط عديم محدود يعبره الواجد والفقيد

(قلت) السماع عند الصوفية طريق محدود أى معلوم محدود ورسومه يعبره أى يسلكه الواجد الحالموهو الذى حجب بالجمع عن الفرق أو الذى لم يحجبه جمعه عن فرقه ولا فرقه عن جمعه ويسلكه أيضاً الفاعل لخاله وهو الذى حجب بالفرق عن الجمع فيظهر على كل واحد ماكن فى سره فالواجد يزيد فى حضرة الحق عشقا ووجدا والفاعل يزيد عن به طردا وبعداً فكل إناء بالذى فيه يرشح (قال) الجنيد رضى الله عنه كل مريد رأيته يميل الى السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة (وقال) أيضاً السماع صراط محدود يعبره صاحب يقين ووجود وصاحب شك ووجود أما أن يرفع سالكا إلى أعلى عليين أو يكبكه فى أسفل سافلين فكبكوا فيها هم والتاؤون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون وإلى هذا أشار الناظم بقوله .

فما بر يحمله عليين وآخر يحمله فى سجين

قلت فالعالم الذى يحمله فى عليين هو من تخمق بالوحدة وفهم الإشارة وذاق حلاوة الخرة فلا يزال يسمع بالله ومن الله حتى يغيب عن حسه ويفرق فى حضرة قسمة فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والآخر الذين يحمله فى سجين هو الذى يسمع بنفسه ويتذكر حظوظه وهواه الذى كان مشغولا به سره ونجواه فلا يزال يعجز الشيطان حتى يلقبه فى بحر الوادى والهوان فينهض فى طلب المعاصى والطغيان فأولئك الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الرحمن أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون فيكتب مع الفجار كلا أن كتاب الفجار لفى سجين

من التعليم والترية فالمراد به غيرهم وبالله التوفيق ثم من الله عليه فأخرجه من أسر نفسه وأطلقه من شجن غفلة فلم يعرف هذه النعمة سلبها من ساعته كما أشار إلى ذلك بقوله (من لم يعرف قدر النعم ووجدانها عرفها بوجود فقدانها) قلت هذا الذى ذكره الشيخ مجرب صحيح وذلك أن العبد قد مترادف عليه النعم والعوائى فلا يعرف قدرها ولا تعظم عنده كل التعظيم فإذا سلبها وحرب بالبلاء والأجوع والمصاب فحينئذ يعرف قدر العافية وكذلك الفقير يكون مصحوباً بالحضور والفكرة والنظرة فلا يعظم عنده قدرها فإذا أصابته النقلة ورجع إلى الحس وفقد قلبه عرف قدر ما كان عنده فإذا التجأ واضطر إلى الله رد إليه ما سلبه قيل أن الله تعالى يقول لجبريل يا جبريل انسخ حلوة محبتي من قلب عبدى اختبره فينسخ جبريل حلوة المحبة من قلب ذلك العبد فإذا هو اضطرب وتضرع والتجأ وبكى يقول الله تعالى لجبريل رد عليه حلوة محبتي فقد وجدته صادقا وإذا نسخ حلوة المحبة من قلب العبد فلم يتبهل ولم يتضرع لم يرد إليه شيئا وسلبه تلك الحلوة والعياذ بالله من السلب بعد العطاء ويستعين العبد على معرفة قدر النعم بالتفكير فيها وبالتفكير في حال نفسه قبل وجودها فينظر إذا كان غنيا إلى حال فقره المتقدم حسا أو معنى وينظر إذا كان صحيحا إلى حال مرضه وينظر إذا كان طائعا في حال عصيانه وينظر إذا كان ذا كرا إلى وقت غفلة وينظر إذا كان عالما إلى وقت جهله وينظر إذا كان مصاحبا لشيخ عارف إلى وقت ضلالته وينظر إذا كان عارفا إلى وقت جهالته وهكذا كل نعمة ينظر إلى وجوده والذى كان موجودا فيه قبل ذلك فلا شك أنه يعرف قدرها فيشكرها فتقدم عليه (وأما) من لم يتفكر في حال النعم فلا يعرف قدرها فيغفل عن شكرها فيسلب منها وهو لا يشعر قال بعضهم شكر الله تعالى باللسان هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع وشكر الله باليد هو الاتصاف بالخدمة على وجه الأخلاص وشكر الله بالقلب هو مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال الجنيد رضى

نسئل الله العصمة بمنه آمين ثم ذكر نتيجة أخرى فقال .

وهو سرور ساعة يزول نعم وسم ساعة قبول

قلت السماع إنما هو فرح ساعة ثم يذهب فمن كان فرحه بالله أجتى ثمرته وجناه وفاز بمعرفة ربه ورضاه ومن كان فرحه بهواه فقد باء بغضب من الله وهو أيضاً سم قاتل لمن حركة إلى الهوى والباطن قال السلى رحمه الله بلغنى أن أبا عمرو ابن نجيد قال لأبي القاسم النصر آبادى بلغنى أنك مولع بالسماع قال نعم هو خير من أن تقع دفنتاب فقال هيأت يا أبا القاسم زلة في السماع شر من كذا وكذا سنة تنفاب قلت ولعله من جهة الاقتداء به والله تعالى أعلم ثم ذكر نتيجة أخرى من نتائج السماع فقال :

وهو قياس نقاش القلوب إذ ينزل الحبل به ثم يؤدب

(قلت) السماع معيار المعقول في الخير والشر فيعرف به الكامل في الخير من الناقص فيه والكامل في الشر من المتوسط فيه أما الكامل في الخير فهو المتكمن في المعرفة الراسخ فيها فهذا كالجبل لا يجره سماع ولا تهزه ريح وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (قيل) للجنيد مالك كنت تتحرك في السماع والآن لا يظهر عليك شيء قمر الآية وترى الجبال إلى آخرها (و) أما الناقص في الخير فهو السائر فهذا إذا سمع تحرك وتواجدورقص وشطع فهذا مغلوب الحال لكنه في أثر الرجال فمن دام سيره ظهر خيره ووصل إلى ما وصل إليه غيره (وأما) الكامل في الشر فهو المنهمك في النقلة إذا سمع حاج شره وغلته نفسه ويطشت في الحين إلى ما تقدر عليه من الفساد (و) أما المتوسط في الشر فهو تحركه نفسه وبغلبها في الوقت فإذا قامت جمحت إلى طلب ما تحركت إليه إلا أن يعصمه الله بحفظه (و) هو أيضاً أى السماع نقاش القلوب فيخرج ما فيها من خير وشر كمن ينقش على الماء فيخرجه أن كان صافيا شرب وإن كان مغيرا طرح (و) قوله إذ ينزل الحال

الله عنه ألا ترى نفسك أهلاً للنعمة وألاً تعصى الله بنعمته اه فإن قلت كيف أقوم بشكر النعم وهي لا تحصى (قلت) القيام بها هو الاعتراف بها للنعم وحده وإلى هذا المعنى أشار الشيخ بقوله (لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحق شكرك فإن ذلك مما يحيط من وجود قدرك) قلت يتفكر الإنسان في نفسه وما به من النعم فيجد نفسه مغموساً في النعم حسية ومعنوية الرجلين في نعمة الصحة والعافية في نعمة الكفاية في نعمة الأهل في نعمة الأولاد ثم في نعمة الهداية إلى الإسلام ثم في نعمة الإيمان ثم في نعمة الطاعة ثم في نعمة العلم ثم في نعمة من يستعين به من الإخوان ثم في النعمة الكبرى نعمة الشيخ فيما أعد الله له بعد الموت الذي لا نهاية له فإذا وجد نفسه مغموراً في النعم فلا يدesh منها ويتحرق في نفسه عن القيام بشكرها فإن الاعتراف بها ومعرفتها والاقرار بها أنها من الله بلا واسطة هو شكرها وقوله (الحمد لله رب العالمين) كاف في شكر اللسان ألا ترى أن الجنة هي أعظم النعم فكان شكر أهل الجنة فيها (الحمد لله رب العالمين) قال تعالى (وآخر دعوانم أن الحمد لله رب العالمين) (وقد جاء في بعض الأخبار أن داود عليه السلام قال يا رب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة من نعمك ونعمتك توجب على الشكر والشكر نعمة يوجب الشكر أيضاً وهكذا وأنشد بعضهم في هذا المعنى :

إذا كان شكر الله للعبد نعمة عليها من الله له يجب الشكر
فكيف له بالشكر والشكر نعمة ولروايت الأحباب واتصل العمر
وقال آخر : لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعم قولك لك الحمد
فلا حمد إلا أن تمن بنعمة فسبحانك لا يقوى على حمدك العبد

به ثم يؤوب هو تصوير النقش المذكور لأن السماع ينقش عن ما في القلب فيخرج ما فيه من الحال أما رباني أو شيطاني أو نفساني والجميع يزول ويذهب فإن كان ربانياً بقي أثره من الخشوع والطمأنينة والتواضع والزهد وحسن الخلق وإن كان شيطانياً أو نفسانياً لم يبق بعده إلا القسوة والغلظة والحرص والطمع وغير ذلك من الأخلاق المذمومة (و) في الحكم لابن عطاء الله لا تزكينا واردة لا تعرف ثمرته فليس المراد من السحابة الأمطار وإنما المراد منها وجود الأثمار وهذا مراد من قال لم يؤثر فيه السماع زيادة ما عنده فهو نقص في حقه لأن الواردات لا تزداد لذاتها وإنما تزداد ثمراتها والله تعالى أعلم ثم شبه الحال الرباني بالمطر النازل في أصول الشجر كما تقدم في الحكم فقال :

(وآثاره في عرصات القلب كالزبد في النصن القويم الرطب)

(قلت) العرصات جمع عرصة وهو المكان الواسع الذي تفرس فيه الأشجار كني به هنا عن سعة القلوب الفارغة من الشواغل والشواغل وأراد أن السماع يترك آثاره في قلوب العارفين المطهرة من دنس الهوى الفارغة من حب السوى كما يترك المطر الغزير آثاره في النصن القويم الرطب وهو الزهر أولاً والعقد ثانياً والثمار ثالثاً فليس المراد من المطر نزوله وإنما المراد ما ينشأ عنه من الثمار والله تعالى أعلم ثم ذكر آدابه في الجملة فقال :

ولا يجوز عنده التكلم ولا التلاهي ولا التيسم

(قلت) إنما لا يجوز التكلم عنده لأنه عند العارفين محل الوجد والخرقة والكلام يشوش القلب ويبعده من الحضرة ويتلف عن الحقيقة فالواجب تركه لمن أراد جبر قلبه وعند غير العارفين رخصة لأنه قريب من رتبة الباطل فأقل شيء

فأوحى الله إليه إذا عرفت أن النعم كلهم منى فقد شكرتني وقد رضى منك بذلك وفى رواية أخرى قال داود عليه السلام إلهي إن ابن آدم ليس فيه شعرة إلا وتحبها نعمة وفرتها نعمة فمن أين بكاتبها فأوحى الله تعالى إليه يا داود انى أعطى الكثير وأرضى باليسير وإن شكر ذلك أن تعلم أن ما بك من نعمة فمنى وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إليه أنى بأرض ونقد كثرت فيها النعم ولقد أشققت على قلبى ضعف الشكر فكتب إليه عمر انى كنت أراك أعلم بالله ما أراك أن الله تعالى لم ينم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمته لو كنت لا تعرف ذلك إلا فى كتاب الله المنزل قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) وقال تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) ثم قال (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) وأى نعمة أعظم من دخول الجنة اه ولما كان أعظم النعم وأشرفها هو دواء القلب وشفاؤه من مرض الهوى الذى قيده من بجن الغفلة وعرضه لغضب المولى نبه الشيخ على ذلك ليعرف العبد قدر هذه النعمة إذا كان شفاه الله أو يطلب من الله إخراجا من تلك النعمة إذا لم يكن شفاه الله فقال (تمسكن حلوة الهوى من القلب هو الداء المضال) قلت حلوة الهوى على قسمين هوى النفس وهوى القلب فهوى النفس يرجع لشهواتها الجسدية كحلوة المآكل والمشرب والملابس والمراكب والمناكح والمسكن وهوى القلب هو شهواته المعنوية كحب الجاه والرياسة والعز والمدح والخصوصية والكرامات وحلاوة الطاعات الحسية كذم العباد والزهد وحلاوة علم الحروف والرسوم فأما علاج هوى النفس فأمره قريب يمكن علاجه بالفرار من أوطان ذلك والزهد ومحبة الأخيار وأما علاج هوى القلب إذا تمكن فهو صعب وهو الداء المضال الذى أعطل الأطباء أى أعجزهم وحسبهم عن علاجه فلا يبرده الدواء إلا تمكنوا أو لا يغيرجه وورد إلهى بعبادة سابقة بواسطة أو بغير واسطة كما أشار إلى ذلك بقوله

يرده إليه (قال) السلى رضى الله عنه والسكون مع حضور القلب وجمع الهم والوقوف على أحوال المنشدين أولى من المداخلة لأنه محل الاستكانة والتمكين والهدو والانصات من آداب المستمعين قال الله تعالى (فلما حضروه قالوا أنصتوا) الآية وقال (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا) اه

(وأما) التلاهي عنه فانه يقتضى أنه لا أرب له فيه من جهة قلبه وإنما مراده راحة نفسه والفرجة والتلاهي يكون بالانكفاء عنه بقلبه أو بدنه شغلا بغيره (و) أما التيسر فيه فان فيه إساءة الأدب فان غلبه خرج وإلا أخرج وزجر (قال) السلى رحمه الله ولا يحضر مجلس السماع من يتيسر أو يتلاهي (يحكى) عن الشيخ أبى عبد الله بن خفيف أنه قال حضرت مع شيخى أحمد بن يحيى السماع ببشران اسم موضع فيها فاتفق سماع أمم بموضع فظالم وقت الشيخ وتواجدوا وكان فى ضفة بمذاطنا قوم من أبناء الدنيا قبيح واحد منهم فأخذ الشيخ منارة كبيرة كانت هناك فرماه بها فأصاب الجدار فأنفست أرجلها الثلاث فى الحائط وكان قد صلى ثلاثين سنة الصبح بوضوء العشاء اه ثم نهى عن حضور الاحداث فقال :

ويمنع الاحداث من حضوره وان يكن ذلك فى ظهوره

(قلت) بما يتأكد فى مجلس السماع منع الاحداث من حضوره اما حدث السن واما حدث الدين أو العقل وقد تقدم تفسيرهم أما حدث السن فلما تحرك مشاهدتهم من الفتنة لاسيما مع دواعى ذلك من الشعر والاوزان والترنم بالأصوات الحسان والنفس لها فى هذا الميدان مجال عظيم ومكر كبير (و) أما حدث الدين أو العقل فان حضور غير الجنس يمنع من المدد وذلك مجرب فى الذكر والمذاكرة والسماع عند الصوفية ذكر قلبى فإن ألجأت الضرورة إلى حضورهم فليكونوا صفاء

(لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج أو شوق مقان) قلت الشهوة إذا تمكنت من القلب صعب علاجها فلا يمكن خروجها في العادة إلا بوارد قهري جلالى أو جمالى فالوارد الجلالى هو خوف مزعج فيزجك عن شهوتك ويخرجك عن وطنك وأهلك والوارد الجمالى هو شوق مقان فيقلبك عن مرادك وحظوظك فينسيك نفسك ويؤنسك بربك ولأجل صعوبة هذا المرض كان أشد حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد لأن هذه الشهوة خفية لأن صاحبها أضله الله على علم الآية فهم يحسبون أنهم يحسنون صنأ أى أضلهم عن طريق الخصوص ويقوا في طريق العموم أما العلماء الظاهريون فهم يعتقدون أنه لا فضيلة فوق علمهم حتى انى سمعت من بعضهم يقول إن مقام الإحسان هو مقامهم الذى هم فيه من العمل بظاهر الكتاب والسنة ولا مقام فوق ذلك فكيف يمكن إخراج هذا إلا بناية سابقة (وأما العباد والزهاد فهم يقولون أيضاً هذه غاية المحبة والطاعة ويزيدهم بعداً لا يرونه من الكرامات الحسية فيزدادون حجاباً وتمكناً في حالهم (وأما العوام وأهل التفلة فهم أقرب الناس إلى الانقياد والتفوذ إلى ربهم (وفى) الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال أكثر أهل الجنة البله أى المخفلون وبما يدل أن الشهوة القلبية أكثر من الشهوة النفسانية قصة آدم والشيطان فإن آدم عليه السلام كانت شهوته في بطنه فتداركه الله بنياته والشيطان كانت شهوته في قلبه قال أنا خير منه فطرد إلى يوم القيامة ثم اعلم أن الخوف على قسمين خرف العوام وخوف الخواص خرف العوام من العقاب والذئاب وخوف الخواص من القطيعية والحجاب والشوق أيضاً على قسمين شوق العوام للحرور والقصور وشوق الخواص للشهود والحضور وشوق العوام لنعيم الأشباح وشوق الخواص لنعيم الأزواج شوق العوام ناشئ عن قوله تعالى (أعد الله للمؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن) وشوق الخواص ناشئ عن قوله تعالى (ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم من خلف الناس خاضعين أصواتهم وهذا معنى قوله وان يكن ذلك فن ظهوره أى وإن يكن ذلك الحضور ولم يكن التبرز منهم بوجه فليكن حضورهم من ظهور السماع أى من وراء ظهور المستمعين والله تعالى أعلم (قال) السلى رحمه الله ولا رخصة للأحداث في القيام والحرك أصلاً وأكثر المشايخ يكرهون حضورهم مجلس السماع ولا يرخسون لهم فيه (سمعت) والذى رحمه الله يقول دخلت بغداد زائراً لجعفر الخليلي فوجدت أبا العباس الهاندي عنده وهو حدث فكلما حضرنا دعوة فيها سماع أمر أبا العباس بالانصراف ولم يأمره أن يقعد في مجلس السماع ثم نهى عن الرقص والحرك فيه لغير المغلوب فقال :

والرقص فيه دون هجم الحال ليس على طريقة الرجال
وان يكن يقوى على السكون فانه أسلم للطنون

(قلت) الرقص والرقص هو الارتفاع والانخفاض يعنى أن الرقص في السماع والتحرك دون غلبة الحال ليس هو طريق الكمال بل الكمال هو السكون والوقار وخفض الصوت والاستماع فانه أسلم لسوء الطنون بمن يفعل ذلك وان كان صادقاً اذا لا سلامة من الخلق ثم اعلم أن الرقص وقع فيه اضطراب كبير بين الصوفية وعلماء الشريعة والتحرير في المسئلة أن نقول الأصل في الرقص هو الإباحة اذ لم يرد نص عن الشارع فيه بتحريم ولا إباحة بل ظواهر النصوص تقتضى الإباحة وسيأتى ذكرها إن شاء الله وأيضاً الأصل في الأشياء هي الإباحة وقيل الوقف حتى يأتى التطرول لم يرد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقتضى التحريم وانما حرمة الأئمة لما قالوا نعمن تعاطى أهل الفساد بجميع النساء والشبان وآله اللهو والعاله تدور مع المولود وجوداً وعدماً فيحصل في الرقص انه على ثلاثة أقسام قسم حرام وقسم مباح وقسم مطلوب (فاما القسم) (٣٦ - إيقاظ ثانى)

جعلنا الله من أعظمهم قدراً وأكملهم محلاً وفضلاً آمين بنموكرمه فاذا دخل الخوف أو الشوق إلى القلب أخرج كل ما فيه من الأغيار وملى بالمعارف والأنوار فحينئذ تخلص الأعمال وتزكو الأحوال ويبقى عليم ذوو العظم والجلال كما أبان ذلك بقوله (كما لا يحب العمل المشترك لا يحب القلب المشترك العمل لا يقبله القلب المشترك لا يقبل عليه) قلت العمل المشترك هو الذى تصحبه الحظوظ النفسانية دنيوية أو أخروية والقلب المشترك هو الذى يكون فى حب السوى فالعمل الذى تصحبه الحظوظ مدخول والمُدخول غير مقبول يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه والقلب الذى فيه حب شئ من السوى ملطخ بالهوى لا يليق لحضرة المولى قال تعالى (وطهراً بينى للطائفتين) ياداً وودطهرلى بيتاً أسكنه وقه در الشترى حيث يقول :

لى حبيب إنما هو غيور يظل فى القلب كطير حذو

إذا رأى شيئاً امتع أن يزور

فن حصن أعماله بالإخلاص استحق القبول وكان من الخواص ومن حصن قلبه من الإغيار امتلاً بالعلوم والأنوار ونبتت منه المعارف والأسرار واعلم أن العمل المشترك هو الذى يدخله ثلاث علل أما رياء أو عجب أو طلب عرض أما الرياء فهو الشرك الأصغر وقد تقدم الحديث من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشريكه (وفى حديث) مسلم ثلاثة أول من تسع بهم جهنم يوم القيامة فذكر القارى لغير الله والشجاع الذى يقاتل لغير الله والغنى الذى يتصدق لغير الله (وأما) العجب فهو رؤية النفس وإسناد العمل إليها ورؤية المزية لها على النفس قال تعالى (فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى) قيل معناه إذا عملت عملاً فلا تقل عملت ولا تظهره عند من يعطيك لأجل عليه بذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه (قال) زيد بن أسلم معنى لا تزكوا أنفسكم

الذى هو حرام فهو رقص العوام بمحض النساء والشبان فهذا حرام لما يؤدى إليه من الفساد وما يهيج من الطباع الدنية والنفوس الشيطانية ويأتى به ما خلا من ذلك لكن قصد به التصنع والرياء وإظهار الحال والتظاهر بما ليس فيه حقيقة فهو حرام أيضاً لما دأخله من الرياء والتليس وعلى هذين القسمين يحمل كلام من أطلق التحريم كصاحب الميعار والنصيحة الكافية وغيرهما (وأما) القسم المباح فهو الذى يفعله الصالحون وأهل النسبة من غير وجد ولا تواجد وإنما يفعلونه راحة لنفوسهم وتنشيطاً لقلوبهم بشرط الزمان والمكان والإخوان خالياً من حضور ما تقدم من النساء والشبان فهذا مباح إذا لموجب للتحريم فيه إذ علة التحريم هو ما تقدم وهو خال من ذلك وأما ما يقال أنه من فعل السامرية حين عبدوا العجل فعلى تقدير صحته فأنما حرم فعلهم لفساد قصدهم لأنهم قصدوا بذلك تعظيم العجل أو الفرح به وهذا كفر ولو كان رقصهم خالياً من ذلك ما حرم عليهم (وقد) ثبت أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه رقص بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال رسول الله أشبهت خلقى وخلقى وذكره الشيخ السنوسى فى نصرته الفقير وغيره (وقال) ابن ليون التجيبى مانصه وأما الرقص فى المسجد فى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت جاء جيش من الحبشة يزفون يوم عيد فى المسجد فدنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضعت كنى على منكبيه فجلت أنظر إلى لعبهم قال ابن عينة والزنف الرقص فثبت أن الرقص فى أصله مباح ولو كان حراماً لذات ما فصل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما) القسم المطلوب فهو رقص الصوفية أهل الذوق والحال أما وجداً أو تواجداً وسواء كان ذلك فى حضرة الذكر أو السماع ولا شك أن دواء القلوب من التفلة وجمعها بالله مطلوب بأى وجه أمكن ما لم يكن بحرم يجمع على تحريمه فلا دواء فيه وقد تقدم قول الجنيد لما سئل عن السماع قال

لا تمتدوا أنها بارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تذنبوا الحشيت عليكم ما هو أكبر من الذنوب العجب قال (بعض) السلف لأن أبيات قائما وأصبح نادما أحب إلى من أن أبيات قائما وأصبح معجبا وقيل لما نشأه رضى الله عنه لما كان يكون الرجل مسينا قالت إذا ظن أنه محسن (قيل) والمعجب أعمى عن آفات نفسه وعمله والعمل إذا لم يتفقد ضاع وإنما يتفقد عمله من غلب عليه خوف الله وخوف ذنوبه ولا يريد التناء على نفسه وحدها وتزكيتها ورعا أعجب برأيه وعقله فيستكف عن سؤال غيره ولا يسمع نصيح ناصح لنظرة من سواه بنظر الاستحقار نسئل الله السلامة والعافية (وأما) طلب العوض والجزاء فقد تقدم مرارا الزجر عنه وانك إن طالبته بالجزاء طالبك بسر الاخلاص ويكنى الرب وجدان السلامة فكل عمل فيه بعض هذه الآفات فإن الله لا يقبله يقول الخواص (وأما) القلب المشترك فهو الذى يدخله ثلاث أياض الدنيا أوجب الخصوصية أو النعم الأخروية وكلها قاذحة فى الاخلاص خرجة عن درجة التوحيد الخاص وبالله التوفيق (هذا) آخر الباب الحادى والعشرين وحاصلها ذكر ميزان الاحمال والاحوال الصحيحة والسقيمة وحاصل هذا الميزان كل ما ينقل عن النفس فهو صحيح وكل ما يخف عليها فهو سقيم ومن جملة ما ينقل عليها القيام بالفرض الواجب دون التواكل قائما تخف عليها فلما علم الحق سبحانه ذلك منها قيد الفرائض بأوقات معلومة كي لا يمنعه التسويف لأن جل النفوس يقل نهوضها إلى حضرة القدوس وليس للحق سبحانه غرض فيها فرض وإنما ساقهم إلى جنته بسلاسل امتحانه فن غلبت نفسه على النهوض إلى الطاعة وأسرته شهوته عن الحقوق بالسباق فلا يستغرب أن ينفذه الله منها فإن قدرة القادر كليح البصر أو أقرب وربما تكون تلك الشهوة أو الغفلة فى حقك نعمة وذلك لتعرف منه الله عليك حين ينقذك منها فإن كثيرا ممن أنعم الله عليهم لم يعرفوا قدرها فسلبوا منها فإذا أنعم عليك باقتادك من نفسك والحقاك بخواص جنتك فأنعمت فى النعم فلا تدهش

كل ما يجمع العبد على ربه فهو مباح (وقال) القاسمى فى شرح الحصن عن شيخ الاسلام السيوطى رحمه الله ما نصه أقول وكيف ينكر قائما وقد قال تعالى (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) (وقالت) عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وإن انضاف إلى هذا القيام رقص ونحوه فلا إنكار عليهم فذلك من لذة الشهود والمواجيد (وقد) روى فى الحديث رقص جعفر بن أبي طالب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال له أشبهت خلقى وخلقى وذلك من لذة هذا الخطاب ولم ينكر ذلك عليه النبي عليه السلام فكان أصلا فى رقص الصوفية لما يذكرونه من لذة المواجيد (وقد) صح القيام والرقص فى مجالس الذكر والسماع عن جماعة من أكابر الأئمة منهم شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام اه وهو نحر مافى الاحياء وزاد فيه حديث نظر عائشة رضى الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة وهم رقصون وقوله لما أتيت أن تنظرى إلى رقص الحبشة والرقص الرقص اه وذكره ابن زكري فى شرح النصيحة .

(قلت) وقد تواتر النقل عن الصوفية قديما وحديثا شرقا وغربا أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله ويقدمون ويرقصون ولم يلبثنا عن أحد من العلماء المعبرين أنه أنكر عليهم (وقد) رأيت بفاس برواية العقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب مع توفر العلماء فلم ينكر أحد عليهم وقد بلغنى أن شيخنا شيخ الجماعة سيدى التاودى بن سوده كان يحضر معهم فى بعض الاحيان فلا ينكر على الفقراء الرقص فى حال ذكرهم إلا مقلد جامد أو معاند جامد رحم الله الشيخ زروق رضى الله عنه فى بعض شروحه على مقطعات الششتى لما تكلم على هذا المعنى قال وإنما أطلت الكلام هنا لوجهين أحدهما مخافة أن يغتر الغواة بمن لا خلق له بهؤلاء السادات فيمتاطونه فى غير محله فيقع فى المقت ثم قال

عن شكرها قافرا ركنك بالمنعم قيام بشكرها فإذا رأيت من حستة نفسه وتمكن داء الهوى من قلبه فاعلم أن ذلك هو الداء العضال فلا يخرج منه إلا خوف مزيج أو شوق ملقأ فإذا أزعجه الحرف أو الشوق نزع قلبه وخلص عمله فيقبل الله عليه فإذا أقبل عليه ملاه بالأنوار فمنها ما يصل إلى سويده قلبه ومنها ما يقف على ظاهر قلبه كما أبان ذلك بقوله في أول الباب الثاني والعشرين وقال رضى الله عنه (أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول) قلت أما الأنوار التي أذن لها في الوصول فهي أنوار الإيمان وهي لأهل الدليل والبرهان لأن قلوبهم لم تنفرغ من الأغيار ولم تمنع منها صور الآثار فلما جاءت وجبت داخل القلب علوماً بصور الآثار فوقعت في ظاهر القلب (وأما) الأنوار التي أذن لها في الدخول فهي أنوار الاحسان من الشهود والبيان وذلك لأنهم فرغوا قلوبهم سوى ربهم دخلتها الأنوار فوجدت منسما فسكنت سويده قلوبهم وعلامة النور الواصل والداخل أن صاحب النور الواصل للظاهر فقط تراه مع الدنيا وتارة مع الآخرة تارة مع حظ نفسه وتارة في حق ربه تارة مع الغفلة وتارة مع اليقظة وصاحب النور الداخل لسويده القلوب لا تراه إلا مع ربه لا يشغله عنه حظوظ الدنيا ولا حظوظ الآخرة غائبا عن نفسه حاضرا مع ربه (قال) بعض الحكماء إن الإيمان إذا كان في ظاهر القلب كان العبد محبا لآخرته ودينه فيكون صاحبه تارة مع ربه وتارة مع نفسه وبقدرة تمكن النور في القلب ودخوله إليه يكون بغض العبد لدنيا وتركه لواه (وفي) هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل فهل له من علامة يارسل الله قال نعم التجافي عن دار الغرور والاقابة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور اه ثم اعلم أن الأنوار التي أذن لها في الوصول عامة لجميع المؤمنين وقد تقدم قول أبي الحسن لو كشف عن نور المؤمن العاصي لطبق ما بين السماء والأرض (وأما) الأنوار التي أذن لها في الدخول فهي خاصة

والآخر أن يتبع قول للمحدين أهل العقول الواهية والافتدة الخاوية في جملة طريقة أتباعها الصالحون من أولياء الله وظهرت تدبجها في كثير من عباد الله واشتملت نسبتها على رجال قاموا بأحكام الشريعة وآداب الحقيقة وتعلقوا بأسماء رب العالمين وتعلقوا بأخلاق سيد المرسلين آثارهم حميدة وملاقاتهم سعيدة ترغب الملائكة في خاتمتهم واشتاق الانبياء والرسل إلى رؤيتهم كتاب الله مطرز بالثناء عليهم وبشارت السنة كلها تشير إليهم عند ذكرهم تنزل الرحمة وبسبب وجودهم تدفع النعمة رغب في اللحوق بمسكرم خليل رب العالمين حيث قال فيما أخبر الله عنه في كتابه المبين (ربهم لي حكا والحقني بالصالحين) وتبعه الصديق الأمين في ذلك حيث قال توفي مسلما وألحقني بالصالحين واستشهدا في معرض الولاية بهاتين الآيتين اللتين سيقنا في مقام النبوة إنما اقتبسنا الدليل على ذلك وهذا من باب تناول الأعلى إلى الأدنى بالثناء عليه ليعرف غيره ببعض شراذم فضيلته كما في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احبني مسكينا واحشرف في زمرة المساكين أى واجعل المساكين هم قرايتي المحذوفون في يوم المحشر فقد عرف صلى الله عليه وسلم بفضيلة المساكين وعظم جاههم عند الله ورسوله بطلبه من الله أن يكونوا في كفالاته لا انه في كفالتهم فكذلك عرف الصديق بفضيلة أمة الاسلام وخصوصا الصالحين منهم لا انه طلب من الله اللحوق بمسكرم لقصوره عن إدراك مقامهم لكن مبالغة في التعريف بعظيم جاههم عند خالقهم فعرف أولا بفضيلة الاسلام عموما وعرف ثانيا بفضيلة الصالحين منهم خصوصا ملائكة قلوبنا من محبتهم وسلك بنا سبيل سيرتهم وحشرنا في زمرة المؤمنين آمين اه كلامه رضى الله عنه ثم أشار إلى أن السماع إنما هو رخصة للضعفاء فقال :

وليس يحتاج إلى السماع إلا الخواضع الضعفاء لتصدير الباع

بالخواص أهل الفراغ من الأغيار ولوث الأنوار فأما من كان قلبه محشوا بصور آثارها فلا يطعم في نيل أسرارها كما أبان ذلك بقوله (ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محشوا بصور الآثار فار تحلت من حيث جاءت) قلت رب هنا للتكثير أى كثيراً ما ترد عليك أنوار عالم الغيب لتفنيك عن عالم الشهادة فتجد قلبك محشوا بصور عالم الشهادة فترحل عنك وترتك محبوساً في يدها أو تقول كثيراً ما ترد عليك أنوار المعاني لتخرجك من سجن الآواني فتجد قلبك ملوئاً بها فتترك في وسطها محبوساً بها أو تقول كثيراً ما ترد عليك أنوار الملكوت فتجد قلبك محشوا بظلمة الملك فتترك في ظلمة الكون أو تقول قدرت عليك أنوار الجبروت فتجد قلبك محشوا بأنوار الملكوت فرحاً بها قائماً بهجهتها فتترك واقفاً معها وتنادى عليك القناعة من الله حرمان الذى تطلب أمامك ولو كان العلم يتنهي إلى حد محدود لم يقل الله تعالى لسيد العارفين وقل رب زدنى علماً (قال) عليه الصلاة والسلام كل يوم لا أزداد فيه علماً إلا بورك لى في طلوع شمس ذلك اليوم أو كما قال عليه السلام فالمانع للقلب من دخول الأنوار هو موجود الأغيار كما أشار الى ذلك بقوله (فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار) قلت الفراغ هو الخلو من الشئ والتطهير منه والأغيار جمع غير بكسر التين وفتح الياء ويصح أن يكون بفتح التين وسكون الياء وهو اليق والمراد به حيثئذ سوى وإنما جمعه لتعدد أنواعه كما قالوا في جمع المالمين يقول رضى الله عنه فرغ قلبك أيها الفقير من الأغيار وهو ما سوى الله بحيث لا يتعلق قلبك بشئ من الكون علوياً أو سفلياً دنوياً أو أعلوياً حسياً أو معنوياً كحب الخصوصية وغيرها من الحظوظ فإذا رحل قلبك من هذا العالم بالكلية ولم يبق فيه إلا محبة مولاه فإنه يملأ بالمعارف بحث يكشف عنك حجاب الوهم ويذهب عنك ظلمة الحس فتشاهد الأشياء كلها أنواراً ملكوتية مشاهدة ذوقية تمكينية ويملاها أيضاً بالأسرار وهى أسرار الجبروت فتغيب بالجمع عن الفرق وبشهود الجبروت عن شهود الملكوت

قلت أشار إلى أن السماع لا يحتاجه ويزيد به إلا من كان ضعيف الحال قصير الباع في المعرفة والشهود وأما القوى المتمكن فلا يحتاج إليه قال السلى رضى الله عنه وقيل يحتاج إلى السماع من كان ضعيف الحال فاما القوى فلا يحتاج إلى ذلك وقال المحصرى ما أدون حال من يحتاج إلى مزج بجزءه ولعمري ما تحتاج التكليل بالملكة إلى نائمة والتكلى هي التي مات ولدها وقيل هو أى السماع لقوم كالغذاء ولقوم كاللواء ولقوم مروحة كما قال تعالى (قل هو الذى أنزل الهدى وشفاه) الآية وقال في موضع آخر وسل بعض الشيوخ عن شرب القلوب من السماع وشرب الأرواح والنفس تقول شرب القلوب الحكم وشرب الأرواح النعم وشرب النفوس ما يوافق طبعها من الحظوظ ونعت الحسن والجمال ثم أشار إلى علامة الضعف فقال :

والزغقات فيه والتزريق ضعف وهز الرأس والتصفيق

(قلت) الزغق هو الصياح والتزريق هو تخريق الثياب وهز الرأس تحريكه والتصفيق الضرب بالكف يعنى أن الصراخ في البعاع وتمزق الثياب وتخريك الرأس والتصفيق باليد إنما يصدر من ضعيف الحال الذى هو مغلوب للأحوال وأما القوى المالك للأحوال فلا يصدر منه شئ من ذلك (قال) السلى رضى الله عنه وليس من الأدب استدعاء الحال والتكليف للقيام إلا من غلبه حال فيه فيزعج أو يكون على سبيل مساعدة لصادق أو مطاوعة لحاطر من غير تساهل ولا اظهار حال وترك ذلك أولى (روى) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحضض رجلاً من جانب المسجد فقال من هذا اللابس علينا دبتنا أن كان صادقاً فقد شهر بنفسه وأن كان كاذباً محقه الله ثم قال (حكى) أن شاباً كان يحمى الجنيد وكلما سمع شيئاً زعق وتغير فقال إن ظهر فيك شئ بعد هذا فلا تصحني فكان يضبط نفسه وربما كان يقطر من كل شعرة منه قطرة عرق

وتكاشف بأسرار القدر فهب عليك نسيم برد الرضى والتسليم وأنت في حضرة النسيم المقيم عند الملك الكريم فالأسرار على هذا بلغ من المعارف فالمعارف أنوار الملكوت والأسرار أنوار الجبروت لأن السائر قد يكشف له عن نور الملكوت فيشهد الكون كله نور لكنه مفتقر إلى تلك الأنوار ليرتقى بها إلى التمكين في شهود الذات كافتقار القارىء إلى النظر في الرسول فإذا حفظ القارىء المعنى وتمكن منه عي الرسول ولم يفتقر إليها كذلك السالك يكشف له أولاً عن نور الكون فيغيب في النور عن غلبة الحس ثم لا يزال في السير حتى يقبض المعنى ويتمكن منه فلا يحتاج إلى مشاهدة فيستغنى عن نور الملكوت بنور الجبروت وقد تقدم هذا المعنى عند قول المؤلف اهتدى الراحلون الخ الحكمة فيمتحن السوى عن عين قلبه بالسكينة وينيب عن نفسه وحسه بشهود الأحدية وقد در قول الشاعر :

ان تلاشي الكون عن عين قلبي شاهد السر غيبه في بيان
فاطرح الكون عن عيناك واع نقطة النين أن أردت ترائي

ويحتمل أن يريد بالمعارف علوم العرفان وبالأسرار الأدواق الوجدان فتكون المعارف هي علوم المعرفة بحيث يعرف في كل شيء ولا ينكر شيئاً والأسرار أدواق تلك العلوم فإن المعرفة تكون أولاً علماً وآخر ذوقاً ويحتمل أن يكون من عطف التفسير فتكون الأسرار هي المعارف والله تعالى أعلم ومن أراد سرعة السير إلى هذا المقام فليفرغ قلبه وينظفه على المقام فبقدر التخلية تكون الترقية ولاجل هذا نحو السائر عن التزوج وعن التفلق بالأسباب إذ لا يخلو من علة فإذا تمكن من المعنى لم يبق له مراد إلا مراد معروفه صار كل ما يبرز من عند مولاه تلقاه بالقبول فإن طال بالمريد السفر وتأخذ عنه الفتح والظفر فلم يدرك هذه الأسرار ولم يكشف له عن تلك الأنوار فلا يستطيع من ربه حتى كان يوماً من الأيام زعق زعقة خرجت منها روحه والزعقة من وجهين أحدهما التوجع والآخرى للتطلع زعقة التوجع من حيث الخوف والحزن وهي نظيرة صيحة المصاب وزعقة متطلع من المحبة والشرق والرجاء هي نظيرة صيحة المتعطلين للإهلاك إذا تحققوا ذلك وهذا لا يكون إلا عند وجود غائب أو فقدان حاضر ومثلها كمثل العطسة لا يدري كيف تجيء (قلت) أما التمايل يميناً وشمالاً فلا يدل على الضعف وقد رأيت شيخنا يفعل عند السماع وهو من لذة التواجد فلا يدل على الضعف والله تعالى أعلم (وقد) ذكر ابن عريضون في مقننه أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا إذا ذكروا الله مال بعضهم على بعض كالشجرة في يوم الريح العاصف أو ما هذا معناه ثم أشار إلى أن السماع لم يكن عندهم مقصوداً للاجتماع بل حيث ما تيسر فقال :

ولم يكن لأجله اجتماع ولا لدى غيبته انصداع

(قلت) الانصداع هو الاقتراق يعنى أن القوم لم يمكن إجتماعهم مقصوداً للسمع بحيث إذا وجدوا اجتمعوا وإذا غابوا افتراقوا بل كانوا إذا اتفق إجتماعهم لأمر من الأمور أو دعاهم أحد إلى لمة أو سرور استعملوه لانهم أغنياء عنه بجلاوة الذكر والمعرفة والله تعالى أعلم ثم ذكر أنه لم يكن فيه آله الله فقال :

ولم يكن فيه مرا سنوياً ولا طائر ومسموعنا
وليس أيضاً كان فيه طائر ولا مزار ولا تقار
والشمع والفرش والتكالف أحلف مكانت يمين حالف

(قلت) المراسنون يفتح الميم هي الطائفة التي تجيب القوال بالدندنة ونغم الموسيقى بحيث إذا فرغ القوال من الشعر

النوال فانه جو اذكرىم ولكن يستطى. منه وجود الاقبال وإلى ذلك أشار بقوله (لاستطى. النوال ولكن استطى من نفسك وجود الاقبال) قالت الحق سبحانه جو اذكرىم حلیم رحیم من قرب اليه شبراً قرب منه ذراعاً ومن قرب منه ذراعاً قرب منه باعاً ومن آناه يمضى آناه هرولة كما في الحديث فان توجهت اليه بقلبك ثم تأخر الفتح من قبله فلا تستطى. منه النوال أى العطاء وهو كشف الحجاب ولكن استطى. من نفسك وجود الاقبال فعمل إقبالك عليه لم يكن بكليتك فان الله سبحانه يقول بلسان الحال وليس يدرك وصالى كل من فيه بقية أو كان بحرف أو خط وأما لو زالت أغيارك لاشرقت أنوارك ولو ظهرت من جنابة الغفلة لاستحققت الدخول إلى مسجد الحضرة وقد بكل إقبالك ويفوتك الأدب مع سيدك وهو استبطاؤك النوال ولو صرح منك الاقبال (قال) بعضهم هب أن السيد الكريم أهل لكل فضل وكرم أفترى العبد يقبل الأدب بين يدي سيده ويكشف جلباب الحياء عن وجهه فان فعل ذلك فهو بالعقوبة أولى من الكرم وقد قال أرباب المعرفة لأن تكون صاحب استقامة خير من أن تكون صاحب كرامة له ومن باع نفسه و كان عبداً ملوكاً لمولاه فأى شئ يستحق على مولاه .

(حكى) عن ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه رأى رجلاً قد اشترى داراً وأراد أن يكتب عقدها فقال له ذى النون يا أخى إن قبلت وصيتى أو صيتك فقال نعم قل يا سيدى فقال له لا تشتر داراً فنى وتدع داراً تبقى فقال له من لى بها فقال له هلا اشتريت من الله داراً دار السلام ومجاورة الكرام لتال فيها الأمان وتنعم بنعم لا يدرك بالأمان دار لها أربع حدود الاول منازل الخائفين الثانى منازل العارفين الثالث منازل المشتاقين الرابع رياض المحبين دار سقفا عرش الرحمن وبابها باب الرضوان مكتوب على بابها بالخط الازلى .

دار تقى ورضى عليها أسست ونعم دار المتقين

أجابه بكلام اللهور والنعم المستندة وهو من شأن أهل اللهور فالتشبه بهم هجنة والطائير جمع طيور وهو شبه بالعود فى صورته وقيل هو بنفسه والمسمعون هم المرصود للثناء فى الولايم يسمعون الناس غناءهم ولهم الطار معلوم وهو ذو الشراشر والمزهر هو المجلد من جبهتين والتنقار هو فعل النقر ويكون فى نقر الاوتار المعلومة (يقول) رحمه الله ان سماع القوم لم يكن فيه شئ. مما ذكرناهم من آلات اللهور يلتحق بما ذكر الباب والشبابة والبندير والزماره وغير ذلك مما يستعمله أهل اللهور فينبغي للفقير أن يجتنبها وهذه مسألة خلافية فقد رجح الغزالي فى الاحياء جواز سماع هذه الاشياء بشرط خلو المكان والاخوان والزمان قيل وهو مذهب الشافعى ورده بعضهم (والحاصل) أن العارف المحقق الذى غرق فى عين بحر الوحدة حتى كان سمعه بالله ومن الله وبصره بالله إلى الله ووجدانه بالله ومن الله لا يكدره شئ. فلا ينكر عليه شئ. (وقد) قالوا إذا ثبتت عدالة المرء فليترك وما فعل وهذه مسألة خلافية لم يرد فيها نص من الشارع والاصل فى الاشياء الاباحة حتى يرد الحظر وما حرم السماع حتى أخذه أهل اللهور وتقولوه إلى لهم وقارنوه مع شرب الخمر والزنا فحرم حيث سد للذرية والله تعالى أعلم

(وقد) كان بعض علماء الحديث من أهل الحفظ والضبط يستعمل ضرب العود فيب عليه خلف لا يحدث بحديث حتى يضرب العود فأخبر به السلطان قيل هارون الرشيد فأرسل اليه وقال له حدثني بحديث الخزومية فقال أحضر العود فقال الملك عود البخور فقال بل عود الطرب فضحك الملك ثم قال من يحرم السماع من الفقهاء فقال له من طبع الله على قلبه ثم قال له ذلك العالم (ولقد) حضرت ولية بالمدينة وفيها علواؤها حتى سقط البيت لم يبق معنى بالمدينة وأصرهم مالك بن أنس فقتلوا وهو بمنزلة فقتلوا وأشدوا أه ذكره ابن عرفة فى باب النكاح نقلته بالمعنى (وقوله) الشمع والقرش الخ

ثم نادى الحق من أرجائها ادخلوها بسلام آمين

فان أردت عقد شرائها قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة هذا ما اشترى العبد الثواب من الملك الوهاب بثمن قيمته الخروج من ذل العاصي إلى عز الطاعة ومن تب الحرص والصلح إلى راحة الزهد والورع شهد بذلك عدول القلب واللسان وصحح منازل من القرآن وبتاريخ حل عقدة الاصرار من وقت الانابة ومن أوفى بعهده من الله قال له نعم ثم تصدق بحاله وخرج معه إلى الله أهم ثم من صح إقباله على الله لم يضيع شيئاً من الاوقات في غير طاعة مولاه كما به على ذلك بقوله (حقوق في الاوقات يمكن قضائها وحقوق الاوقات لا يمكن قضائها) قلت أما الحقوق التي في الاوقات فهي الطاعة التي عين الله تعالى لها وقتاً محدوداً كالصلوات الخمس والسنن المؤكدة وكذلك الزكاة والصيام لها وقت محدود في العام فإذا خرج وقتها أمكن قضائها وإن كان يسمى مفرطاً لكن بعض الشر أهون من بعض وأما حقوق الاوقات بأنفسها فهي مراقبة الحق أو مشاهدته كل واحد على قدر وسعه لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها وهذه الحقوق إذا فات وقتها لا يمكن قضائها إذ الوقت الثاني له حق مختص لا يسع غيره فاما لحظة إلا ويجب عليك فيها تكون عاملاً لا مشتغلاً فيها بما يوصلك إلى قربه ورضاه وهذا معنى قوله (إذا ما من وقت يرد إلا والله عليك فيه حتى جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حتى غيره وأنت لم تقض حق الله فيه) قلت ما من وقت أو لحظة ترد عليك أيها العبد إلا والله عليك فيها حتى جديد من ذكر أو فكرة أو نظرة أو من مرافقة أو مشاهدة أو من خدمة حسنة أو معنوية قد علم كل أناس مشربهم وأمر أكيد من التحقيق بالعبودية والقيام بوظائف البرية فان غفلت عن الحق الجديد أو الامر الاكيد في وقت ما ودخل الوقت الثاني فقد فاقك القضاء وندمت على ما مضى

يعنى أنهم لم يتكفوا بالسباع حتى يحضروا الشموع الموقدة والفرش الممهدة والوسائد المزوقة وإنما كانوا يحضرون له على حالة الفاقة والابتدال على ما يصادف الوقت والحال وليس مراده أنها محرمة وإنما مراده أن طريق القوم عدم التكلف فان صادف الحال أنها أعدت فلا يتمتعون منها لأن الصوفي استعد دائرة فلا يختار شيئاً ولا يتمتع من شيء بل ما أعطاه سيده أخذه بالقبول إلا ما حرمة الشريعة المطهرة بنص صريح لا تأويل فيه فهو حيثئذ أولى بالادب من غيره والله تعالى أعلم ثم قال :

وأمرؤا فيه بطلق الباب وإنما ذلك للاجتناب

(قلت) وإنما أمرؤا في حال السماع بفتح الباب لئلا يحضر معهم من يجنب حضوره من الاحداث والعوام والنساء وغير ذلك مما لا يليق حضوره لأن مجلس السماع إذا كان ربانياً هو كجلس الذكر والمذاكرة ومجلس الذكر والمذاكرة غذاء الارواح ورضاع القلوب فهي ترضع بعضها بعضاً فإذا حضر صاحب التخييض رضعته بعض القلوب ذلك التخييض فرما يسرى ذلك في الجماعة فلا يجدون حلاوة الرجوع لآلئ الخمرة ولذلك قال الجنيد رضى الله عنه الموالاة رضاء فانظروا من تواكلوه فيصدق بالحس والمعنى (وقد) عقد بعض الشيوخ حلقة الذكر في بيت مظلم فوجدوا قلوبهم فقال لهم الشيخ اتقوا بالصباح فلما أتوا به وجدوا معهم طالباً من طلبة المدرسة فأخرجوه فحيث وجدوا قلوبهم (وحكى) عن بعض أشيائنا وأظنه سيدى محمد بن عبد الله أنه كان في مجلس المذاكرة يجلس معهم رجل عاى فأزال الشيخ عنه ثوباً وقال له قم بع السوق فلما خرج قال له خذ ثمنه ولا تند وسد الزاوية (والحاصل) أن حضور غير الجنس مشوش مانع من زيادة المدد والله تعالى أعلم ثم حرر الخلاف في السماع فقال :

وليس للقاتل ما يقول في الشعر اذ سمعه الرسول

فكيف يمكن أن تقضى في الوقت الثاني حق غيره وهو أيضاً له حق يجب عليك أن تؤديه فيه فلا يمكنك أن تقضى حق الوقت الأول في الوقت الثاني وأنت لم تقض حق الله فيه أى في الوقت الثاني (والحاصل) أن كل وقت له حق فإن فات فلا قضاء له ولذلك قالوا في الآداب التصوف هو ضبط الأنفاس وحفظ الحواس والأنفاس هي دقائق الساعات وضبطها هي عمارتها بأنواع الطاعات فإذا ضيع حقوق الساعات خرج عن أدب التصوف والله تعالى أعلم قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه أوقات العبد أربعة لأخلص لها نعمة أو بولية طاعة أو محبة وله على عبده في كل وقت منها حق في النعمة والشكر وفي البولية الصبر وفي الطاعة شهود المنة وفي المحبة اللجوء الإناقة وطلب الإقالة بالمعنى وفي هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام من أعطى فشكر وأبلى فصبر وظلم ففقر وأذنب فاستغفر ثم سكت عليه السلام فقالوا بالله يا رسول الله قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون أى لهم الأمن يوم القيامة وهم مهتدون في الدنيا وقيل لهم الأمن في الدارين وهم مهتدون إلى حضرته في الكونين واعلم أن القيام بحقوق الأوقات على التمام يكاد أن يكون معتدراً في حق البشر قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره أى ما عبدهوه حق عبادته وما عرفوه حق معرفته فلماذا كانت حقوق الأوقات لا يمكن قضائها لأنها راجعة لحفظ الأنفاس والخطرات وقد أعيا الرجال حفظها في حال الصلاة فكيف في كل وقت لكن قد يختص برحمته من يشاء وقال بعضهم منذ عشرين سنة ما خطر على قلبي شيء سوى الله تعالى وقال الشيخ أبو الحسن من أحب الله لم يستعمل جوراً حه الأنيابوافق محبوه بأفئاسه كلها محفوظة بالطاعة ولو حيل بينه وبين الخدمة لفارق الدنيا من ساعته لأن الطاعة قد صارت غذاءً وأرواحهم فإن فاروقها ماتوا فنعنا الله بهم آمين ثم في تضييع حقوق الأوقات تضييع العمر الذي هو أعر من الكبريت الأحمر وهو الذي نبه عليه بقوله (ما فات من عمرك لا عرض له وما حصل لك منه لا قيمة له) قلت عمر المؤمن هو رأس ماله

(قلت) سماع الشعر من غير ألحان ولا موسيقى لازراع فيه لأنه سمي عليه الصلاة والسلام وأجاز عليه ودعا لقائه وإنما النزاع في الترتيم به (و) قوله بالحنان وموسيقى فن كان طبعه جامداً لا يحركه شيء لا لخير ولا لشر كان في حقه مكروها إن شغله عن ذكر الله أو مباحاً أن يشغله ومن كان طبعه مائلاً للهوى وحب الدنيا وعلم أنه يحركه للفساد حرم عليه ومن كان قلبه معموراً بمحبة مولاه قائماً عما سواه كلما سمع زاده إلى مولاه فهذا يستحب في حقه السماع هذا حاصل ما ذكره في حل الرموز حين تكلم على السماع (فقال) السماع ينقسم إلى ثلاثة أقسام منه ما هو حرام محض وهو لاكثر الناس من الشبان ومن غلبت عليهم شهواتهم وملكهم حب الدنيا وتكدت بواطنهم وفسدت مقاصدهم فلا يحرك السماع منهم إلا ما هو الغالب عليهم من الصفات المذمومة سيما في زماننا هذا (و) القسم الثاني منه مباح وهو من لاحظ له منه إلا التلذذ بالصوت الحسن واستدعاء السرور والفرح (و) القسم الثالث مندوب وهو من غلب عليه حب الله تعالى والشوق إليه فلا يحرك السماع منه إلا الصفات الحمودة وتضاعف الشوق إلى الله واستدعاء الأحوال الشريفة والمقامات العلية والكرامات السنية والمواهب الإلهية .

(قال) الشيخ ابن زكري رحمه الله قتين من هذا أنه لا نص فيه من الشارع والذي تقتضيه قواعد الشريعة انقسامه إلى ما ذكره ثم ذكر أصل استعمال السماع فقال :

وإنما كان السماع قسماً
وجاء هذا ثم جاء هذا
فبت كل ما به قد جاء
فصد المريد الشيخ يشكو السقا
حتى استقلوا عنده أفذاذا
فوضوا من دأهم دواء

فيه ربحه وخسرانه فن شد يده عليه كان من الفائزين ومن ضيعه في البطالة والتقصير كان من الخاسرين فافات منه في غير طاعة ربه لا عوض له إذا ما ذهب لا يرجع أبداً وما حصل لك منه لا قيمة له تقي بقدره إذ لو اشتريت ساعة منه بملء الأرض ذهباً لمكان نزرأ في حقه لأن ساعة منه تذكر الله فيها تال بذلك ملكاً كبيراً ونعمياً مقبلاً لو بيعت الدنيا بمخاضها ما بلغت منه عشر العشر ولا أجل هذا المعنى اشتدت عافضة السلف الصالح على الأوقات وبذلوا مجهودهم في اغتنام الساعات ولم يقتنوا من أنفسهم إلا بالجد والتشجير ولم يسمحوا لها في الراحة والبطالة بقليل ولا كثير (وقى) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه عسرة يوم القيامة وقال كرم الله وجهه بقية عمر العبد ما لها من يدرك بها ما فات وتحيي بها ما مات وقال الجنيد رضى الله عنه الوقت إذا فات لا يستدرك وليس شيء أعز من الوقت وفي معناه قيل :

السابق السابق قولاً وفعلًا حذر النفس حسرة المسبوق

وقال الحسن البصري رضى الله عنه أدركت أفراماً كانوا على أنفسهم وأوقاتهم أشد حفظاً وأحرص شفقة منكم على دنائيركم ودراهمكم كما لا يخرج أحدكم درهمه ولا ديناره إلا في ورود منفعة واستجلال فائدة كذلك كانوا لا يضعون نفساً من أنفسهم في غير طاعة أبداً كان سيدنا على رضى الله عنه يقول لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صنعت طعاماً فبعه أى اجليه ماثماً خفيفاً فان بين المانع واليابس خمسين تسبيحة وقال أبو على الجرجاني ما مضت الخبز منذ أربعين سنة وإنما أسف السويق وأعود لذكر الله تعالى قال وقد كنت عدت ما بين المصغ والبيع ستين تسبيحة وقيل ان ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة تمت يوم القيامة خزائن مصفوفة بأربع وعشرين خزانة فمن كان عمره ما في الدنيا بطاعة

| | |
|-----------------------|--------------------------|
| فند ما تشطت النفوس | وزال عنها كسل وبوس |
| وطابت القلوب بالأسرار | واستعملت نتائج الأفكار |
| ترنم الحادى بيت شعر | فاكتفت غلصات الفكر |
| كل له ما استفاد شرب | هذا له قشر وهذا لب |
| فان تهادى وأتم الشعرا | أبدوا من الشرح عليه سفرا |
| فهكذا كان سماع الناس | فهل ترى به كذا من باس |

(قلت) القدم بكسر القاف معناه القديم وهو ظرف أى فى القديم والسقم المرض والافتاد الجماعة المتفرقة جمع فذ وهو المنفرد بوشكواه أو دعواه أو خبرها أو النشاط خفة الأعضاء والكسل ضده البأس هو الضر والداء والأسرار الأدواق والأحوال وتأتج الأفكار العلوم والترنم التثني (و) الحمادى القوال واكتفت الشيء أحاط به بفصار فى كنفه (و) الغامض الخفى والشرب بكسر الشين النصيب من الماء والقشر ظاهر الشيء واللب باطنه (يقول) رضى الله عنه وإنما كان استعمال السباع فى الزمان المتقدم عند قصد المربد الشيخ يشكو اليه سقمه ومرضه الذى أصاب قلبه من غفلة أو قرة أو قسوة أو كسل أو طغيان أو غير ذلك من العيوب التى لا تحصى ثم تولى المجيء إلى الشيخ هذا بعد هذا حتى استقل عنده جماعة من الفقراء فشكى كل واحداهم لأنه طبيب ماهر وقد يداوى بالهمة أو بالنظرة فند ما أحسوا بالشفاء ونشطت نفوسهم وذهب داؤم فشكى كل واحداهم بالادواق وامتلت قلوبهم بالأنوار وأشرفت فيها شموس المعارف والأسرار واستعملت نتائج

الله رأها خزائن معمورة بالنعيم ومن كان ضيعها رأها خزائن فارغة خلوية فيتحصر عليها ويندم وجاء في الخبر أن أهل الجنة ينعمون في نعيمهم إذ سطع لهم نور من فوق اصنامته منه منازلهم كما قضى الشمس لأهل الدنيا فينظرون إلى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الندى في أفق السماء وقد فضلو عليهم في الأنوار والجمال والنعيم كما فضل القمر على سائر النجوم فينظرون إليهم يسرون على نجب ترحب بهم في الهواء يزورون ذا الجلال والاكرام فينادي هؤلاء يا إخوتانا ما أنصقتمونا كننا نصلي كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذي فضلم به علينا فاذا النداء من قبل الله عز وجل انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويضطشون حين تروون ويمرون حين تنكسون ويذكرون حين تنسون ويكونون حين تصحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون بذلك فضلو عليكم اليوم فذلك قوله تعالى (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) اه وما يعين على حفظ الأوقات واتصال الطاعات الزهد في السوى وعبة المولى فان من أحب شيئا أكثر من ذكره وخضع له وخضع له وكان عبدا حقيقة له كما أشار إلى ذلك بقوله (ما أحيت شيئا إلا كنت له عبدا وهو لا يحب أن تكون لغيره عبدا) قلت القلب إذا أحب شيئا أقبل إليه وخضع له وأطاعه في كل ما يأمره أن المحب لمن يحب مطيع وهذه حقيقة العبودية الخضوع والطاعة وليس للقلب إلى وجه واحد وليس للانسان إلا قلب واحد قال تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) وإذا كان للقلب وجه واحد فهما أقبل بهما على مولاه أعرض عما سواه وكان عبدا له حقيقة وإذا أقبل على هواه أعرض قطعاً عن مولاه وكان عبداً لسواه والحق سبحانه لا يرضى لعبده ان يكون عبد الغيرة قال تعالى في ذم من كان عبداً لهواه (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقبلة وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) فالآية نص في ذم من أحب هواه واتخذ ربا من دون مولاه وأما تفسير أهل الباطن فهو إشارة لتفسير معنى وفي الحديث أن القرآن ظاهره وباطنه وحده ومطلعا فقد ورد عن شيخ شيو خنا

فكارهم فأبدت من العلوم ما يليق بسعة صفاتها ترجم الحادى بالنزل الرقيق، واستعمل من الشعر ما بالجانب يليق فاذا سمعت دقائق أفكارهم الصافية وغوامض فهمهم العلية أحاطت بمعاني تلك الأشعار، واستخرجت ما فيها من علوم وأسرار كل واحد على قدر نصيبه وشربه مما استفاد من شيخه بمحبه وصدقته وعلى قدر مجاهدته وسيره فنتهم من يكون حظه معاني الكلام الظاهرة (و) منهم من يخوضون بفكره إلى المعاني الباطنة وقد يقع في أسماعهم من كلام واحد ما يليق بحال كل واحد على حسب مقامه كالنفر الثلاثة الذين سمعوا قاتلا يقول باستمرارى فبعضهم سمع واسع ترى برى وبعضهم سمع الساع ترى برى وبعضهم سمع ما أوسع يرى فالأول حاله بداية والثاني الاستشراف على النهاية والثالث حاله واصل إلى الغاية (و) في هذا المعنى قال ابن عطاء الله العبارة قوت العائلة المستمعين وليس لك منها إلا ما أنت له أكل فان تهادى الحادى على شمره حتى آتته تكلوا فيه واستخرجوا ما عندهم فيمن العلوم كل على قدر وسعه لينفق ذو سعة من سعته الواصلون ومن قدر عليه رزقه الساترون فأظهروا من علومهم ما يملؤا سفرا أو أكثر فهكذا كان سماع الناس في الزمان المتقدم قبل ترى أيها المنكر لهذا الفعل من بأس وأنت من الحال والوجد من أهل الافلاس (قلت) وليس مراد الشيخ المحصر في هذه الكيفية حتى يصح السماع إلا إذا كان هكذا بل كل من وجد في نفسه كسلا أو قسوا استعمل ما يزيل به كسله أو مرضه ثم اعلم ان اعتراض أهل الظاهر على الصوفية لا ينقطع أبدا سنة ماضية وخصوصاً في السماع والرقص وهم معذرون لأنهم لا يشاهدون إلا ذواتا ترقص وتشطح ولا يدرون ما في باطنها من المواجه والافراح فيحملون ذلك على خفة العقل والطيش فيقعون فيهم إلا من عصمه الله بالتسليم ولذلك كان التصديق بطريقة القوم ولأية والاعتراض جنابة إلا من سحت نيته

سيدى محمد بن عبد الله فى اشارة هذه الآيه انه يمكن أن يكون مدحاً ومعناه حيث أن أفرأيت من اتخذ إلهه اتذى خلقه هو اه لا يجب سواء وأصله على محبة على علم وبيئة من ربه وختم على سمعه وقلبه بمحبته وجعل على بصره غشاوة منعه من النظر لما سواء فن يهده هذه الهداية العظمى من بعد الله لا هادى له سواء وهذا فى ظاهر العبارة خارج عن سياق ظاهر الآيه لكنه باطنها ولا يصح تفسير الآيه به واعلم أن تفسير هذه الطائفة لكلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير المعنى المعهود ليس هو عندهم عين المعنى المراد ولكنهم يقررون الآيه والحديث على ما يعطيه اللفظ ثم يفهمون اشارات ودقائق وأسراراً خارجة عن مقتضى الظاهر خصهم الله بها لصفاء أسرارهم هكذا ذكر المؤلف فى طائفتهم رجع إلى ما كنا فيه من طلب العبدية لله والخربة مما سواء قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة زاد فى رواية والزوجة تعس واتكس وإذا شيك فلا اتش وقيل للجديد من العبد قال من بقى فى قلبه أدنى علاقة غير الله لأن المكاتب عبد ما بقى عليه درهم قيل له ومن الحر قال من تخلص من رق طبعه واستنقذ قلبه من شهوات نفسه وكان للشئلى تلميذ فكساه رجل يوماً جبة وكان على رأس الشئلى قلنسوة غطر على قلب التلميذ محبة القلنسوة ليجمعها مع الجبة فكاشفه الشيخ فأزال له الجبة وجمعها مع القلنسوة ورمى بها فى النار وقال له لا تبق فى قلبك التفافاً لغير الله وأنكر عليه بعض أهل الظاهر المتجمدين على ظاهر الشريعة جهلاً بالمقصود لأن أعمال الصوفية مبنية على العبادة القلبية لأن الأعمال الظاهرة ان لم يوافها القلب كانت أشباحاً خاوية وبالله التوفيق واعلم أن من تخلص من رق طبعه واستنقذ من أسر نفسه تحقق محبة ربه والمحبة لها بداية ووسط ونهاية فأول المحبة وبدايتها ملازمة امتثال الأمر واجتناب النهى قال تعالى قل ان كنتم

وحملته النيرة فهو مأجور من جهة محروم من جهة (وقد) رأيت للطرطوشى اعتراضاً كبيراً على الصوفية فى الرقص حتى قال فيه انه ضلالة وجمالة وذلك قلنا قال تعالى (بل كذبوا بهالم يحيطوا بعلمه ولما يأنهم تأويله) (وكان) الشيخ ابن عياد رضى الله عنه يقول لا تجملوا لأهل الظاهر حجة على أهل الباطن أى لأنهم لم يدركوا ما أدركه أهل الباطن فلا تقوم الحجة عليهم بمجرد سوء الظن والله در أبى مدين حيث يقول :

إذالم تذق ماذاقت الناس فى الهوى فقه يا خالى الحشا لا تمنعنا

إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى القفا نعم ترقص الاشباح يا جاهل المعنى

إلى آخر كلامه وبالله التوفيق ثم أشار إلى مسئلة الخلع وهى خلع الثوب عنه وإلقاؤه للفقراء فرحا وتواجداً كما فعله عليه السلام فقال :

وكرهوا الخلع على المساعدة لأن فيه كلفة المعاندة

ومن يكن يخلع عند الحال فلا يجوز رده بحال

إذا كان كل عائد فى هديه كالكلب ظل عائداً فى قيته

(قلت) الخلع بفتح الحاء وسكون اللام وهو نزع الثوب عند السماع وهو على ثلاثة أقسام إما أن يكون مساعدة لغيره أو لثلبه حال عليه أو سقط بنفسه الأول مكروه لما فيه من التكلف والمعاندة أعنى المنافسة لانه رأى غيره خلع ثوبه وجداد أو حالاً خلع هو ثوبه مساعدة له ومنافسة فيما فعل وهذا لا يجوز من دياه وتصنع وإليه أشار بقوله لو كره الخلع التواضع ان يكون ثلبه حال عليه فزع عفوياً أو شكراً لما هو به الله من سنى الأحوال فهذا يأخذه الفقراء ولا يجوز له الرجوع فيه

نحبون الله فاتبوني يحبك الله ووسطها لمح اللسان بالذكر وتعلق القلب بشهود المحبوب ونهايتا لا تترك بالعبارة ولا تلحقها الإشارة وفي هذا المعنى قيل :

فلم يبق إلا الله لا رب غيره حبيب لقلب غلب عن كل مقصد
هنيئاً لمن قد نال حب حبيبه وخاض بترك النير اكرم مورد
نعيم بلا حد لديه مجدد على عدد الانفاس في كل مشهد

روى أن أبا يزيد رضى الله عنه كان بجذاء المنبر فقرأ الخطيب (واقفوا الله حتى قدره) فصر نفسه حتى طار الدم من عينه فهذه المعاني لا تتركها العامة ولا الخاصة وإنما ينوقها خاصة الخاصة وأنشدوا :

وحقك لو أفيت قلبي صباية لكنت على هذا حبيباً إلى قلبي
أريد على عدل اللعول تشوقاً ووجداً على وجد وحباً إلى حب
أنى القلب إلا أنت في كل حالة حبيباً ولو دارت عليه يد الكرب
فلا تبليه بالعباد فإنما تلذذ أغناس المحبين بالقرب

ومعنى عجة الله لعبده حين يقبل عليه هو تفريره لحضرة وهدايته لمحبه من غير نفع له في ذلك إذ لا تنفع طاعة من أقبل عليه ولا تضره معصية من أدر عنه إذ هو غنى عن الكل كأشار إلى ذلك بقوله (لا تنفع طاعتك ولا تضر معصيتك وإنما أمرك بهذا ونهاك عن هذا لما يعود إليك لا يزيد في عزه إقبال من أقبل عليه ولا ينقص من قدره وإدبار من أدر عنه) قلت الحق سبحانه غنى عن كل شيء مفقراً إليه كل شيء لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين وسيأتي

بحال لأن فيه الرجوع في الصدقة (و) قد قال عليه السلام المائد في صدقة كالكلب يعود في قيته وإلى هذا أشار بقوله ومن يكن يطلع عند الحال الخ (وقال) السلى وأكثر المشايخ يكرهون طرح الخرقة على سبيل المساعدة لما فيه من التكلف المخالف للحقيقة وما كان من معارضة حال أو وقت فلا يجوز فيه الرد لأن ذلك شبهة وهدية وقال صلى الله عليه وسلم المائد في صدقة كالكلب يعود في قيته وقيل من رجع في هبته بالغ في خسته اه ثم أشار إلى حكمه فقال :

وحكمه في أفضل الأحكام رأى العراق ليس رأى الشام

(قلت) ظاهر كلامه أن الضمير في حكمه يعود على الخلع الذي هو أقرب مذكور لكن لم يذكر السلى الذي يستمده الناظم في هذا النظم هذا الخلاف وكذلك التجبي في الاقالة مع أنه أطال فيه الكلام ويحتمل أن يرجع الضمير إلى السماع من أصله ويكون استدراكاً لترجيح أحد القولين المتقدمين في قوله قال أهل العراق بالتحريم وقال الحجازيون بالتسليم لكنه بعيد لأن أهل الحجاز غير أهل الشام وأيضاً السياق يأباه ولعل الناظم اطلع على خلاف بين أهل العراق وأهل الشام في الخلع بالجواز والمنع (وجنح) الشيخ زروق إلى المنع فقال (تنبيه) الذي ينبغي الجزم في هذا الزمان منع الخرق أى خلعهما وأخذها والدخول عليها لما عليه الناس من الشحة والاعتلال اه (قلت) بل الظاهر الجواز وليس في طريق الصوفية صوفى شحيح بل هو من أفعب القبيح ومن كان شحيحاً تلم السخاء هذا وينيره ثم أشار إلى ما يفعل بها ومن يستحقها فقال :

وحكوا الوارد في الخروق للأنس والخبرة بالطريق

(قلت) إذا اختلف الفقهاء في الخرق التي تطلع في مجلس السماع والذكر هل ترد لصاحبها أو تقطع وتفرق بينهم أو

في المناجاة إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني أنت الغني بذاتك أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنيا عن إله فلا تنفعه أيها العبد طاعتك فيكون محتاجاً إليها تعالى الله عن ذلك ولا تضرم مصيبتك فيكون مقهوراً بها وهو القاهر فوق عباده فإما أمرك بالطاعة ليقربك إليه إن رحمة الله قريب من المحسنين وإعانة لك عن المعاصي لما جعل فيها من علامة البعد عن حضرة فإما أمرك الله بشيء إلا وفيه تقريب وآداب للحضرة وما نهى الله عن شيء إلا وفيه ضرر وإبعاد عن الحضرة لما فيه من سوء الأدب والتحقيق أنه لا يستل عما يفعل وهم يستلون لا يزيد في عمره أقبال من أقبل عليه لأن عزته أزلية قديمة ولا ينتقص من عمره أدبار من أدبر عنه لأنه غني عن العالمين وفي الحديث القديم لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ومن أسمائه تعالى القدوس قال بعضهم معناه أنه منزعه عن كل كمال لا يليق بذاته ولا يقال أنه منزعه عن النقائص إذ لا تصح نسبتها إليه حتى ينزه عنها إذ لا ينفي عن الشيء إلا ما يصح إثباته له فإن نفيته ما لا يصح إثباته فربما يكون نقصاً كما يقال السلطان ليس بجزار ومن أجاز ذلك فإما مراده التعميم وكال التقديس والتزويه قال بعضهم لو أراد الخلق تزويه الخالق إلا بلسان العجز ما استطاعوا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك إله ثم قال ذلك البعض أن صفات البارئ وأسماء كلها كليات والمخلوق جزء والجزء لا يحيط بالكل ولا يدرك حقيقته فليتحرز من التأويلات المخرجة عن المعنى اللائق بمجانب الحق مسلماً أن لا يعرف الله إلا الله وأنشدوا :

لا يعلم الله إلا الله فاتدوا والدين دينان وإيمان وإشراك

تعلى للأخرج منهم حكوا أول وورد عليهم فما حكم به اتبعوه وإنما فعلوا ذلك للأنس الذي يحصل بينهم في ذلك الحكم بحيث لا يتغير قلب أحد و(قيل) يمكن من كان أهل الخبرة بطريق القوم وهذا ما لم يحضر الشيخ وأما إن حضر فالحكم له وإذا خلمت على القول له لقوله عليه السلام من قتل قتيلاً فله سلبه (و) قيل إن كان من جملة الفقراء فهو كأحدهم وإن كان محباً فقط فهي له وإن كان بأجرة فلا شيء له ثم ذكر ما يسقط بنفسه من غير أن يظلمه صاحبه فقال :

والسقط مردود بلا خلاف وقد هذا في السباع كاف

(قلت) السقط بالكسر بمعنى المسقوط يعني ما سقط من غير اختيار صاحبه فهو مردود عليه ولو كان من غلبة حال ووجد إذ الخلع المتقدم إنما هو ما كان باختيار صاحبه فرحاً بالوجد أو الحال أو شكراً ما سقط بتغير اختياره فلا يخل أخذه إذ لا يخل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه (تسميم) قال ابن ليون التجيبي ومن أشار بيده أن يخلع بأن عنه ما عليه ومن دخل الطابق أي الحلقة بفرجة غير مضرورة بانت عنه يعني لتفريطه وعدم حزمه ومن خلع ما على رأسه بان عنه كل ما عليه فإن الخرق تابعة للتاج (قلت) ولعل هذا حيث جرى به عرف أو عمل وإلا فالظاهر اختصاصه بما خلع ثم قال (ومن رقص) ويده تحته بانت عنه خرقه ومن عثر في ثوبه أو داسه أي وطئ عليه برجله أو أطفأ به السراج أو أذى به أحد أو شبه ذلك بان عنه الثوب وكذلك الإشارة بالكم فإن الفقير يحفظ والسقط بان عنه فيبين عنه ثوبه بأقل شيء بخلاف المحب فإنه لا يبين عنه ثوبه إلا باختياره والباطل القاحش في السباع يطالب صاحبه فإن انفصل ولا استغفر أو كذلك الوقف الكثير في الطابق أي الحلقة ما لم تشهد له البراثن بالصدق ولا يزاحم محترم محترماً في طابقه ولا يدخل

والقول جود لا تجاوزها والعجز عن درك الإدراك إدراك

فهذا أوائل المعرفة وأما وسطها فهو اغتراف من بحر الحقيقة واستشراق على غوامض الطريقة ولا تسعه كل عقول العامة وإنما يحوز فيه الخاصة فإن ما تقدم كان فيه استدلال بالاسم على المسمى وهذه مرتبة تسقط التفرقة بين الاسم والمسمى وبين الصفة والموصوف ثم قال ولهذا قالوا لجمع سقوط التفرقة وليس بعد هذا إلا جمع الجميع وهو غاية المعرفة فأول المعرفة دلالة الصنعة على الصانع ووسطها دلالة الصانع على الصنعة وغايتها تلاشي كل ما دون الحق كل من عليها فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام اه قاله الشاطبي مختصراً (هذا) آخر الباب الثاني والعشرين وحاصلها الترغيب في تحصيل الأنوار بالتفرغ من الأكدار فإذا فرغت قلبك وتأخر الفتح عليك فلا تسبطن منه وجود النوال ولكن استبطن من نفسك وجود الإقبال ولا يكمل إقبال العبد على ربه حتى يستغرق الاوقات كلها في طلبه فكل وقت من العمر لا ثمّن له ولا يمكنه التفرغ لحفظ الاوقات حتى يتحرر من رق الكائنات فإذا تحرر عما سواه كان غيدا حقيقة لمولاه فحينئذ اجتنبه وحضرته اصطفاؤه من غير منفعة له فيه ولا ضرر وإنما يعود نفعه له وضرره عليه إذا ليزيد في عزه وإقبال من أقبل وإدبار من أدبر وإنما وصل من وصل ومحض فضله وأبعد من أبعد ومحض عدله ومعنى وصول العبد إلى مولاه عليه بنور عظمة ربّه وسناه كما أبان ذلك في أول الباب الثالث والعشرين بقوله وقال رضى الله عنه وصولك إليه (وصولك إلى العلم به وإلا لجل ربنا أن يتصل بشيء أو يتصل هو بشيء)

قلت قد ذكر أهل الفن في هذا المقام اصطلاحات وألفاظ تداولوها بينهم تقريباً لفهم المعاني فيها السير والرحيل وذكر المنازل والمناهل والمقامات ومنها الرجوع والوقوف وكل ذلك كناية عن مجاهدة النفوس ومخاربتها وقطع العوائق والعلائق عنها أو الوقوف مع شيء منها وسيأتي للوقوف لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين ومنها الوصول

الطابق غير فقير لانه لا يدرى مشرب القوم ويحبسه الخادم في موضعه أن غلب عليه واراد انتهى وهذا القدر كاف في السماع لمن له صدق واستماع وبقائه التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق ثم أشار إلى الحكم السابع من أحكام الترجمة التسعة فقال (السابع في حكم السفر والقعود على المشايخ) علم أن للسفر آداباً تطلب قبل الشروع فيه وآداباً حال الشروع وآداباً بعده فاما التي تطلب قبل الشروع ففها الاستخارة لقوله عليه السلام ما غاب من استخار ولا ندم من استشار (وروى البخارى) عن جابر رضى الله عنه قال كان رسول يعلى الاستخارة كما يعلى الفاتحة يقول إذا هم أحدكم بأمر فليركع ركعتين ثم يقول (اللهم) انى أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأستلكن من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو قال عاجل أمرى واجله فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى أو عاجل أمرى واجله فأصرفه عنى وأصرنى عنه وأقدرلى الخير حيث كان ثم رضنى به اه والركعتان بالكافرون والاخلاص ويقتصر على هذه الاستخارة دون غيرها بما فيها نوم أو غيره ويكرها ثلاثاً أو سبعاً أن كان أمرهما (ومنها) الاستشارة فإن كان له شيخ فليستشره مولا يسافر بغير إذنهم إن لم يكن له شيخ فليستشر مع من اشتهر بالصلاح والخير من العلماء العاملين وكذلك الوالدين ومنها التبة الصالحة فلا يسافر بقصد الدنيا والزهو وسياق الكلام على هذا عند قول الناظم ولم تكن أسفارهم تزهأ لى كان فيها نحو التوجهات وبقدر ما بعدد من الثبات يحصل له من الخيرات وقد قال الشيخ القطب ابن مشيش لآلى الحسن لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثوابه اقول لا تجلس الا حيث تأمن غالباً من محبة اقول لا تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطف لنفسك

والفكرين والسكون والطمانينة ومنها المشاهدة والمكاملة والمجاسة والمساورة وغير ذلك وكل ذلك كناية عما أدركته أرواحهم وذائقته أسرارهم من عظمة الحق وجلاله وسياق تفسير شيء من ذلك في محله إن شاء الله ومعنى الوصول عندهم تحقيق العلم بوجوده وحده فوصولك إليه هو شعورك بعلمك حتى يكون علمك عندك ضرورياً وعلمك بوجوده كذلك وهذا الأمر كان حاصلاً لك في نفس الأمر لكن لم تشعر به وفي هذا المعنى قال بعضهم وبعضه للشعري .

بين طلوع وزول • تخيل الغزول • أفن من لم يكن • يبق من لم يزول • جول كي تزول • أوامش زرع الفحول فالزوال هو المعرفة وهو معنى الوصول وسببها جولان الفكرة ولذلك أمره بها وقال شيخ شيوخنا سيدي علي الناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون وسمعت شيخنا يقول الناس كلهم في البحر أي في بحر الوحدانية لا يشعرون فوصول العبد إلى الله هو تحقيق العلم بوجوده والغنية عن نفسه وعن كل ما سواه وإلا تكن كذلك بأن تعتقد أن الوصول يكون حسياً بل ربنا أي تعالى وترفع أن يتصل به شيء للزوم تميزه أو يتصل هو بشيء للزوم اعتقاده وحصره تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وأعلم أن هذا العلم بالله يكون كسبياً ثم لا يزال ينيب عن نفسه وحسه سكرة بعد سكرة وحيرة بعد حيرة حتى يصحو وينجلي عنه ضباب الحس وسحاب الجهل وظلمة النفس فتشرق عليه شمس النهار وتبجلي عنه ظلمة الأغيار وفي ذلك قبل :

ليلي بوجهك مشرق وظلامه في الناس سار

الناس في سدف وظلام ونحن في ضوء النهار

أي ليل وجودي صار مشرقاً مضيئاً بسبب شهود ذاتك وظلام ليل القلبية سار في جل الناس في جوف ظلمة الأكوان ونحن في ضوء شمس العرفان ثم لا يزال تربية الشيخ ونحت حضائمه ومدده سار إليه بقدر صدقه حتى يسلم

إلا من تزداد به يقيناً وقيل مام ومنها التماس صاحب وفي بعض الآثار انقسموا الرقيق قبل الطريق وقد نهى عليه السلام عن السفر وحده وقال الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب اه ولا يسافر مع غير جنسه ولا يصحب إلا من يريد به إلى دبه (و) في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم حين قالوا له من يجالس بارئاً لله قال من ذكر كرم الله رؤيته وزاد في علمك منطلقه وذكر كرم بالآخرة علمه والمواد بالمجاسة مطلق المصاحبة قصدك بالسفر وبغيره (ومنها) قضاء الديون ورد الودائع فإن لم تحل وتمتد تسجيلها فليترك وكلا يؤدي عنه وإن كانت عليه مظالم تحلل منها لأنه لا بد من رجوع أم لا (و) منها استعداده لحل الماء فيستحب قربة أو ركة يتوضأ منها قال السلي رضي الله عنه ويجب على المسافر استصحاب ركة أو كوز لطهارة والركوة أولى والركوة إناء من جلد وقال في القاموس زق صغير ثم قال سمعت والدي رحمه الله يقول كان بعض المشايخ إذا صافحه المسافر تفقد أثر حمله الركوة من كفه وأصابه فإن وجهه أي أثر الركوة أحسن قبوله وإلا ازداده (وقال) بعضهم إذا رأيت الصوفي وليس معه ركة ولا كوز فاعلم أنه عزيم على ترك الصلاة وكشف العورة شاء أم أبي ويستحب للمسافر استصحاب العصا والابرة والخيوط والمقص والموسى ونحوها فإن ذلك ما يستعين به على أداء الفرائض كما يجب وإذا أراد أن يسافر فن الأدب أن يطوف على إخوانه ويعرفهم بسفره ويودعهم ويستحب لمن هو في صحبتهم تشيعة كذلك كان أدب المشايخ انتهى وأما التي تطلب حين الشروع في السفر (فهي) صلاة أربع ركعات (فقد) روى الدليلي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً صلى أربع ركعات يقرأ في كل ركة بفاحة الكتاب والاخلاص فإذا سلم قال اللهم إني أقرب بين إليك فأجعلني خليفتي في أهلي ومالي فإذا نهض للسفر من جلوسه قال اللهم بك انتشرت

له خصم الفرق الظلماتي وينفرد النوراني ويمس ذلك من نفسه فيحتج بقول بلسان الحال أقر الخصم فارفع النزاع فاذا انفرد الخصم النوراني استمد من كل شيء وشرب من كل شيء. وأخذ النصب من كل شيء فبيق وصوله إلى الواسطة شكرا وإحساناً أن اشكر لي ولوالديك وينشد حيثك بلسان حاله ومقاله :

الحمد لله لا تحي عماده والحمد لله في الآصال والبركر
من يمهده الله أضحي عالماً فاطناً باقه في كل ما يبدو من الصور
باطالب الوصل جد بالنفس ملتفتاً عنها إلى منزل الأشياء بالقدر
فان ظفرت فانت الفرد والمعلم منعت بالحسن والحسن لذى نظر

ومنها أى من اصطلاحاتهم ذكر القلوب والاستشراف والمراقبة وفسر الشيخ معنى القرب فقال (قربك منه أن تكون مشاهد القربه وإلا فن أين أنت ووجود قربه) قلت إذا حققت أن الأكوان ثابتة بإثباته محو بأحدية ذاته علمت علم يقين أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها وأن الحق كما كان وجوده وحده ولا أين ولا مكان في كذلك لا أين ولا مكان ولا زمان نور أحديته محي وجود الأكوان فأتق بوجوده الزمان والمكان ولم يبق إلا الواحد المنان وفي البخارى عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر يدي الليل والنهار فالوجود الحقيقي إنما هو لذاته وأثر صفاته تجلى واستر واختفى فيها ظهر فاذا علمت هذا علمت أنه تعالى قريب من كل شيء محيط بكل شيء ولا شيء إلا الذى ليس كئله شيء. لكن حكمة الحكيم أثبت الحادث والتقديم فن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده فأبصر الحق محيطاً به وما حياً لوجوده ومن طمس الله عين بصيرته لم ير إلا الفرق ولم يدرك إلا العبد فاذا أراد الله أن

واليك توجهت وبك اعتصمت اللهم أنت تقوى ورجأتى اللهم اكفنى ما أحمى وما لا أهتم به وما أنت أعلم بهمنى وزودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير حيث ما توجهت ثم يقرأ الكافرون والإخلاص والمعوذتين (و) منها توديعه أهله وجيرانه وأصحابه يقول أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه ويقول له زدك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيث ما كنت (و) منها قراءة ورد السفر وهو أستغفر الله عشر اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً عشرا حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عشرا هكذا تلقيناه من أشيائنا زاد شيخنا البسلة عشرا قال ينبغي أن تكون بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الورد حفيظة وحصن يقال في كل سفر ولو قرب وينبغي تقديمه على التوديع وإذا كان له مركوب قال إذا جعل رحله في الفرز بسم الله وإذا استوى على ظهره الحمد لله سبحانه الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرين وإنا إلى ربنا لمنقلبون سبحانه انى ظلمت نفسى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت هكذا روى الترمذى زاد غيره الحمد لله الذى حملنا في البر والبحر ورزقنا من الطيبات وفضلنا على كثير من خلقنا تفضيلاً اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت صاحب السفر والخليفة في الأهل اللهم انى أعوذ بك من وعاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في المال والأهل (و) يكبر ويسبح ويحمد ثلاثاً وثلاثين وهلال مرة (وأما) التى تطلب بعد الشروع فاشتغاله بذكر الله والتفكير والاعتبار في عظمة الله وكل ما رأى شيئاً عرف فيه صانعه ومولاه وإذا علا على شرف كبير وإذا هبط في واد أو مكان منخفض سبح وإذا انفلت دابته قال يا عباد الله احبوا وإذا رأى قرية أو مدينة قال اللهم رب السموات السبع وما أظن

يقربه اليه فتح شعاع بصيرته فيبصر الحق قريباً منه محيطاً به روى أن الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه قال يوماً بين يدي أستاذه اللهم اغفر لي يوم لقائك فقال له شيخه هو أقرب من إليك من ليك ونهارك ولكن الظلم أوجب الظلام وسبق القضاء حكم بالزوال عن درجات الأنس ومنازل الوصال والظالم يوم لا يرتاب فيه ولا يحتمل والسابق قد وصل في الحال أسمعهم وأبصر يوم يأتونا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين اه كلامه رضى الله عنه فعني قربك من الحق أن تكون مشاهداً لقربه منك قرب وجود وإحاطة وذلك بعد أن تطلقت عراياك وفيت دائرة حرك وحيتك يتحقق قربك منه قال تعالى (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) وقال تعالى (أولم يكف يربك أنه على كل شيء شهيد) الآية وأن لا تعتقد هذا واعتقدت وجود نفسك وثبوت حرك الوهمي فلا تشاهد إلا العبد فنأين ووجود قربك الحسى من نوره الطيف حتى تراه بعين الحس فادمت في عالم الأشباح فأنت بعيد من عالم الأرواح في حال قربك منه كما قال القائل :

ومن عجب أنى أحسن اليهم واسأل شوقاً عنهم وعم معي
وتسكينهم عيني وهم بسوادها ويشكو التوى قلبي وهم بين أضلعي

سبحان من بعد قوما في حال قربهم وقرب قوما من غير بعدم وراجع ما تقدم لنا في الشرح عند قوله شعاع البصيرة تفهم المسألة على أصلها وحق هذه الحكمة أن تقدم على التي قلبها لأن القرب سابق على الوصول لما ترتب على ذكر الوصول من ذكر الواردات والأمر قريب والله تعالى أعلم (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه في شرح هذه الحكمة القرب في الخلقة على ثلاثة أوجه أحدها قرب الكرامة وهو تقريب الحق عبده حتى يكون مشاهداً لقربه منه فيتولد دون ما سواه (الثاني) قرب الإحاطة إحاطة العلم والقدرة والإرادة وعموم التصرف وهذا قرب الحق من عبده (الثالث) قرب المناسبة والمسافة

ورب الأرضين السبع وما أقلن ورب الشياطين وأما ضلن ورب الرياح وما ذرين أسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونفوذك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها وإذا وصل وضع يده على سورها ويقرأ الإيلاف قريش ثلاثاً فإذا فعل ذلك لم يزل صحيحاً جسمه فيها حتى يخرج وإذا دخلها قال اللهم بارك لنا فيها ثلاثاً اللهم ارزقنا جناها وأعدنا من وبأها وحبنا إلى أهلها وحب صالح أهلها بنا وسيأتى بقية الأدب والآداب التي تطلب حين يصل عند الناظم إن شاء الله (و) ينبغي للفقير أن يشد يده على هذه الأدب النبوية فانها دليل المحبة قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) والله تعالى أعلم ثم قدم الحكمة في سفرهم وما المقصود به فقال :

مذهبهم في جولة البلدان زيارة الشيوخ والاخوان
ثم اقتباس العلم والآثار أو رد ظلم أو للاعتبار
أو للخمول أو لنفي الجاه أو للرسول أو لبيت الله

(قلت) من سنة الفقراء في بدايتهم الجولان في البلدان وعدم التقرر في الأوطان وذكر الناظم في حكمة ذلك عشرة أوجه (أولها) زيارة الشيوخ وهي أعظمها بعد الحج وزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك لما فيها من زيادة فيض الامداد واكتساب الأوصاف المحمودة والتخلص من الأوصاف المنعومة مع اقتباس العلم والحال وفي ذلك من الخير ما لا يعلمه إلا الله وسيأتى بعض ذلك إن شاء الله وعن أبي رزين رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زر في الله فإن من زار في الله شيعه سبعون ألف ملك يقولون اللهم صل على هذا فيك وناداه مناد أن طبت وطاب ممشاك وتبرأت من الجنة مقعداً (قلت) وهذا الذي ذكره الناظم زيارة الأحياء (وأما) زيارة الأموات فنظر بشيخ الترية فلا يحتاج إلى

ولا يصح في جانب الربوبية لاستحالة المسافة عليه ونفي مناسبة العبد للرب فتقدير الكلام قربك منه على وجه الكرامة أن تكون مشاهداً لقربه منك على وجه الاحاطة ولا فن أين أنت ووجود قربه على وجه تناسب والمسافة اه وإعانتته لعلنى أن الكتاب يطالعهم من يحسن العوم ومن لا يحسنه فاذا خاف من البحر وجد جزيرة بأوى إليها وبالله التوفيق ومن حصل على مقام القرب والوصول ترد عليه الحقائق العرفانية والأسرار الربانية والعلوم الدنيئة تارة ترد بحملة ثم يقع التفصيل وتارة مفصلة وهو غالب واردات أهل التمكن والغالب أن هذه الواردات إما تترد بعد الفتح والوصول ولذلك قلنا لأحسن لو قدم الشيخ مقام القرب ثم يذكر مقام الوصول لتصل بهذه الحكمة التي تكلم فيها على الواردات حيث قال الحقائق ترد في حال التجلي بحملة وبعد الوعى يكون البيان فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه (قلت الحقائق هي ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف فتارة تكون علوماً وتارة تكون حكوماً ومعارف وتارة تكون كشفاً بفسب كان أو سيكون وحكمة ذلك الروح إذا تخلصت وتصف من غش الحس كان غالب ما يتجلى فيها حقاً ثم إن هذه الحقائق قد ترد في حال التجلي بحملة فيقيدها الانسان كما تجلب ثم يتفكر فيها فينتبين معناها فيمد الوعى وهو الحفظ يكون البيان ثم استدل بآية الوحي لأن الوحي على أربعة أقسام وحي الهام ووحى منام ووحى أعلام ووحى أحكام فشاركنا الأولياء الأنبياء في ثلاثة وحي الهام ووحى منام ووحى أعلام وهو الفهم عن الله وافتردت الأنبياء ووحى الأحكام فالأولياء لهم ووحى الهام ويكون أولاً بمحلا في القلب فإذا قرأه وأظهر تبعه وبينه قال تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) كما قرأناه عليك ثم علينا بيانه حتى نفهمه وتبينه للناس كان عليه السلام يبالغ من التنزيل شدة مخافة أن يفساه فلما نزلت الآية كان يستمع لجبريل فإذا فرغ قرأه كما أنزل فالوحي الذي هو وحى أحكام مصون فلا ينس بخلاف وحي الهام فذلك ينبغي للولى أن يقيد تلك الواردات

زيارة غيره حيا كان أو ميتا (وقد) قال التجيبي ان زيارة الأموات ليست من طريق القوم (قلت) وهو كذلك لأن القوم قد أغنام بالأحياء فلا يزورون الأموات إلا للدعاء لهم والترحم عليهم وأما من لم يظفر بشيخ التزية فينبغي له الاكثار من زيارتهم فإن غاية نفع الميت أن يدلّه على الحق وفي ذلك يقول الشيخ الصالح أو اسحاق سيدى إبراهيم التازي دفين وهو ان

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| زيارة أرباب التقي مرم يبرى | ومفتاح أبواب الهداية والخير |
| وتحدث في الصدر الخلى لإرادة | وتشرح صدر أخصاق من سعة الوزر |
| وتصر مظلوما وترفع خللا | وتكسب معلوما وتغير ذا كسر |
| فكم خلصت من لجة الإنهم فانكا | فالقته في بحر الإنابة والبر |
| وكم من مريد أظفرته بمرشد | خير بصير بالبلاء وما يبرى |
| فألقى عليه حلة يمنية | مطرزة بالفتح واليمن والنصر |
| عليك بها فالقوم باحوا بسرهما | وصوابها يا صاح في السر والجهر |
| فرد وتادب بعد تصحيح نية | تأدب ملوك مع المالك الحر |
| ولا فرق في أحكامهما بين سالك | مرب و مجنوب وحي وذى قبر |
| وذى الزهد والعباد فالكل منعم | عليه ولكن ليس الشمس كالبرد |

(ثانها) زيادة الإخوان ولا شك أن السفر لزيارة الإخوان قرية عظيمة ومتعبة جسة وهي من أفضل السياحة

قريباً فإن الحكمة في حال التجلي تكون كالجليل فإذا غفل عنها ترجع كالجلل فإذا غفل عنها بعد رجعت كالنور ثم كالكبش ثم كالبيضة ثم تنيب ولذلك كان شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه لا تهارقه الدواة والقلم والقرطاس ليقيد المواهب وكذلك كان أسيادنا وكانوا يأمرؤن بذلك (قلت) وجل هذا الشرح الذي تقيده إنما هو مواهب لأن أكتب الحكمة ولا أدري ما أكتب فأقف مفتقراً إلى ما عند الله فإذا ورد شيء من عنده كتبت به أولاً ثم أنظر في كتب القوم إن وجدت نقلاً غريباً موافقاً لما أفاض الله على كتبه وإلا تركته واكتفيت بما أتى الله وكثيراً ما نكتب الكلام ثم نطالبه ونستغرب أني كتبت به أو صدر مني وذلك كله يبركه صحة أسيادنا فجزاهم الله عنا أحسن جزاءه ولقد كنت في حال الرياضة والمجاهدة إذا أردت أن تتكلم في التفسير أو غيره نشرع في الكلام ثم نغيب فكنت نحس بالكلام يخرج مني من غير اختبار كأنه السحاب قصير مني علوم وحكم فإذا سكنت لم يبق منها إلا القليلة (ولقد) حضر معنا ذات يوم رجل صالح كبير السن فسمع ذلك فقال والله لقد حضرت مجالس العلماء والصالحين والله ما رأيت مثل هذه الجواهر واليوافيت التي تخرج من سيدي فلان فبقيت كذلك مدة غير أني لم تكن نقيد شيئاً ثم انتقل ذلك حال التقيد فصار القلم عندي أفصح من عبارة اللسان (وكان) بعض العارفين يقول لأصحابه إذا كنت أتكلم عليكم أكون أستفيد من نفسي ما يجريه الله على لساني كما تستفيدون أتم مني وفي ذلك يقول ابن الفارض رضي الله عنه :

ولأنك بمن طيشه طروسه بحيث استنخت عقلوا استغفرت
ثم وراء الثقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة
تلقته مني وعنى أخذته ونفسي كانت من طعاني وعمدتي

قال الله تعالى ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون فالمراد بالذين آمنوا هم أنصار الدين الذين ينصرون عباد الله تعالى الله وهم الفقراء المتوجهون إلى الله فإن كل من لقيهم نصحه وذكره بالله (وقال) عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى وجبت محبة للبتحايين في المتجالسين في المتزاورين في المتبازلين رواه مالك (وقال) صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعددها الله للبتحايين فيه والمتزاورين فيه والمتبازلين منه رواه الطبراني (وعن أبي) هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً زار أخاه في قرية فأرصد الله تعالى له على مدرجته ملكاً فلما أتى عليه قال أين تريد قال أريد أخاً لي في هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله قال فإني رسول الله إليك إن الله قد أحبك كما أحببته فيه اه رواه مسلم المدرجة الطريق (وقال) صلى الله عليه وسلم من عاد مرضاً أو زار أخاه في الله ناداه مناد إن طبت وطابت لك الجنة وقال الله في ملكوت عرشه عبدني زارني وعلى قراه فلم يرض له ثواب دون الجنة (وقال) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأصحابه حين قدموا عليه هل تجالسون قال لا تترك ذلك قال فهل تزاورون قالوا نعم يا أبا عبد الرحمن إن الرجل منّا ليفقد أعماه فيمشي على رجله إلى آخر الكوفة حتى يلقاه قال أنتم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك اه (ثالثها) اقتباس العلم النافع ولا شك أن السفر لطلب العلم فرض فقد قال عليه السلام طلب العلم فرض على كل مسلم وقال أيضاً اطلبوا العلم ولو بالعين ذكره في القوت وقال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقاً يلتمس بها علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ما من غلج خرج من بيته في طلب العلم الا وضعت

وكان الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه إذا استغرق في الكلام وقاضت عليه العلوم يقول هلا رجل يقيد عنا هذه الأسرار هلموا إلى رجل صيره الله بحر العلوم أو كلما نحوه وكان يحضر مجلسه أكابر وقته كمر الدين بن عبد السلام وابن الحاجب وابن عصفور وابن دقيق العيد وعبد العظيم المنذر وكان عز الدين بن عبد السلام إذا سمع كلامه يقول هذا كلام قريب عهد بالله :

(وكان) الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد يقول والله ما رأيت أعرف بالله من أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه وكان في كل سنة يطلع إلى القاهرة ويجتمع عليه مشايخ القاهرة ومصر ومن تلك الناحية فيفيض عليهم بالعلوم والمواهب الربانية والأسرار الدنية فلما مات رضى الله عنه واستخلفه أبو العباس الرضى جعل يطلع إلى القاهرة كما كان يفعل شيخه فاجتمع إليه جماعة من أكابر مصر وعلمائها وقالوا يا شيخ كان الشيخ أبو الحسن إذا جاء إلى هذا الموضع يجيء عندنا وتبرك بقدمه وما نسمع منه من مواهب الله تعالى وأنت قد أقامك الله مقامه فتحب أن تبرك بكلامه فقال لهم إذا كان صبيحة غد نجى اليكم إن شاء الله فلما كان صبيحة غد أمر أصحابه بالمسير إلى مصر وأمر بحمل رسالة التشيरी رضى الله عنه قال ابن الصباغ حملتها وصلنا إلى جامع عمرو بن العاص فوجدناه قد امتلأ بأكابر أهل مصر وعلمائها فقال لي متقد ومعتقد قال فجلسنا بشرى الجامع فقال أخرج رسالة التشيरी فأخرجتها فقال اقرأ فقلت وما أقرأ قال الذى يظهر لك ففتحتنا الكتاب فوجدنا باب الفراسة فقرأت أول الباب فلما فرغت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي أغلق الكتاب ثم قال الفراسة تنقسم إلى أربعة أقسام فراسة للمؤمنين وفراسة الموقنين وفراسة الأولياء وفراسة الصديقين فأما فراسة المؤمنين فالحال كذا ومددها من كذا ثم تكلم بكلام عظيم ثم انتقل إلى فراسة الموقنين فيكلم بعبارة أعلى ثم قال وأما فراسة الأولياء فمددها من كذا وحالها من كذا وتكلم في ذلك بكلام موهوب غير مكسوب أذهل عقول

الملائكة له أجنحتها رضى بما صنع وعن قبيصة رضى الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال باقبيصة ما جاء بك قلت كبرت سنن ورق عظمى فأنتيك لتعلمنى ما ينفعنى الله به قال يا قبيصة ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لك الحديث وقال صلى الله عليه وسلم من غدا يريد العلم يتعلمه الله فتح له بابا إلى الجنة وفرشت له الملائكة أكتافها وصلت عليه ملائكة السموات وحياتان البحر والعالم من الفضل على العابد كما لقمرة ليلة البدر على أصفر كوكب في السماء والعلماء ورثة الأنبياء إن الأنبياء لم يورثوا ذرهما ولا ديناراً ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلة لا تسد وهو نجم طمس موت قبيلة أيسر من موت عالم والمراد بالعلم في الحديث العلم النافع فيصدق به علم ذات الله وصفاته وأحكامه والمراد بالعابد الذى فضل عليه العالم العابد الحاصل بما يلزمه من أداء فرضه فلا شك أن عبادة الجاهل في حجرة والعالم شامل للعلم بالله وهو الرولى والعالم بأحكام الله وهو العالم العامل المخلص والله تعالى أعلم (رابهما) اقتباس الأثر وهو حديث النبي صلى الله عليه وسلم وفضل السفر إليه كفضل السفر إلى العلم لأنه عين العلم وقال صلى الله عليه وسلم فضر الله امرأ سمع منا شيئاً فلينه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع ومعنى فضر بهج وحسن (خامسها) رد المظالم والسفر لذلك فرض كما إذا كان على التقدير دين أو قصاص أو حق من حقوق العباد فيسافر إليه ليبره أو يتحلل منه هكذا ذكره السلى ونفسه ثم طلب العلم ثم زيارة الإخوان والمشايخ إلى أن قال ثم رد المظالم والاستحلال ثم طلب الآثار والاعتبار ثم لرياضة النفوس وخول الذكر اه وهذا نص ما ذكره الشيخ في هذه الآيات وقد تردد الشيخ زروق في تفسيره فحمله أولاً على رد ظلم العباد بعضهم عن بعض وجملة من تغيير المنكر وقال هذا على من يمكنه ذلك من غير نقص في دينه

الحاضرين واستغرق بذلك إلى أذان الظهر والناس يكون ورأيت العرق ينحد من جبينه حتى ينحد على لحيته وكانت لحيته كبيرة اه وقال في لطائف المنن وكنت أنا لأمره من المنكرين وعليه من المعترضين لا شيء سمعته متولاً لشيء صح نقله عنه حتى جرت مقالة بيني وبين بعض أصحابه وذلك قبل صحبتي إياه وقلت لذلك الرجل ليس إلا أهل العلم الظاهر وهؤلاء القوم يدعون أمورا عظاما وظاهر الشرع يأبأها فقال لي ذلك الرجل بعد أن صحبت الشيخ قدرى ما قال لي الشيخ يوم ما تخاصمنا قلت لا قال دخلت عليه فأقول ما قال لي هؤلاء كالخبر ما أخطأك منه خيراً ما أصابك فعلت أن الشيخ كوشف بنا قال ولعمري لقد صحبت الشيخ اثني عشر عاماً فما سمعت منه شيئاً ينكره ظاهر العلم من الذي كان ينقله عنه من يقصد الأذى وكان سبب اجتماعي به ان قلت في نفسي بعد أن جرت المخاصمة بيني وبين ذلك الرجل دعوى أذهب فأرى هذا الرجل فصاحب الحق له أمانة لا ينبغي شأنها فأنتيت إلى مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها فقال الأول اسلام والثاني إيمان والثالث احسان (وان شئت) قلت الاول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة (وان شئت) قلت الاول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق أو نحو هذا فزال يقول وان شئت قلت وان شئت قلت إلى أن أهر عقلى وعلت أن الرجل انما يعرف من فيض بحر إلهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي إلى آخر كلامه فهذه الحقائق التي يفيضها الحق تعالى على قلوب أوليائه فينطقون بها تكون أولاً بحجة فإذا حفظت وتقيدت تبين معناها فمنها ما تدركه العقول ويطلق المتقول ومنها ما لا تفهمها العقول فتكلمها إلى أربابها ولا تنقدها عليهم بحجج دسماها وانظر قول ابن الفارض رضي الله عنه :

فم وراء الثقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة
ومع هذا كان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يقول إذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة فاعمل بالكتاب

كما هو معلوم في باب تغيير المنكر (قلت) ولو حمل على رده بالشفاعة و الاصلاح لكان أقرب ويكون في حق الكاملين منهم وحله ثانياً على ما قلنا من رد المظالم ثم قال وقد يريد الفرار من الظلم فان المؤمن لا يذل نفسه وقد قال تعالى (يا عبادي الذين آمنوا ان أرضي واسعة فإياي فاعبدون) وقال تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقد يريد الفرار من الخلل الذي يجري فيه الظلم على يديه كفرار ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه من أرضه وغيره وكما في حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم كل المائة بالعابد فلما دل على التوبة قال له اخرج من أرضك انها أرض سوء الحديث اه وهذه كلها احتمالات يقبلها اللفظ وأما المقصد فهو الاول لان عادة الناظم محاذاة ما للسلي وإقائه تعالى أعلم (سادساً) الاعتبار بما يرى في سفر من جبال وأنهار وعيون وبحار وأشجار وثمار وأصناف المخلوقات وضروب الكائنات وقد تقدم انه ينوى هذا في أول سفره (سابعاً) قصد الخول ونفي الجاه إذا لا يتحقق الاخلاص حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ولا شك أنه إذا تقرب في البلدان لا يعرفه أحد فياً من من الظهور الذي هو قاصم الظهور والخلول مقصود عند القوم في البدايات وملحوظ في النهايات (ثامناً) نفي الجاه وهو قريب من الخول ويفرق بينهما بأن قصد الخول هو الذي لم يكن له جاه فأراد أن يبتغي عن خوله ونفي الجاه هو الذي كان له جاه وأراد تقيموه والفاء اذا سافر إلى موضع لا يعرفه أحد فالغالب تحقيق خوله وبنيى له أن يكتم اسمه ويخفي حاله حتى لا يعرف لانه إذا عرف رجع إليه ماهرب منه والمراد بالجاه المضر أو الجبارى على غير وجه مستقيم او الذي يخشى منه تقوا أو شغلا أو الذي تميل إليه النفس وتركيز إليه فان الركون إلى ظل العز قاطع كبير (تاسعاً) لزيارة الرسول صلى الله عليه وسلم وهي من أكبر القربات وأعلى الدرجات فقد قال عليه السلام

والسنة ودع الكشف وقل لنفسك ان الله تعالى ضمنى المصمة في الكتاب والسنة ولم يضمنها لى جانب الكشف والالهام
ومثل هذا أيضاً قول الجنيد أن النكتة لتقع في قلبى من جهة الكشف فلا أقبلها إلا بشاهدى عدل الكتاب والسنة ولا
يلزم من عدم العمل بها انتقادها على أهلها فإن العلم واسع له ظاهر وباطن ومسائل الالهامات تارة ترد على حسب العلم
الظاهر وتارة ترد على حسب العلم الباطن فإذا لم تفهم فسلم ودع ما تعرف لما لا تعرف وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى
رضى الله عنه يقول من آداب مجالسة الصديقين أن تقارق ما تمل لتظهر بالسر المكنون اه يعنى ان أردت أن تظهر بما
عندهم من السر المكنون فاسقط عنهم الميزان في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وأما مادمت تزن عليهم بمن أن عليك فلا تسم
رائحة من سرهم .

(وكان) شيخ شيوخنا سيدى على رضى الله عنه يقول طريقتنا لا ينال منها شيئاً إلا من يصدق بالحال فإن أردت بأخى
أن يهب عليك نسيم أسرارهم ونفحات مواهبهم فضع ما تعرف إلى ما لا تعرف واغسل من عليك وعملك حتى تبقى فقير إلى
ما عندهم كما فعل شيخ طريقتنا الشاذلى رضى الله عنه .

(ولقد) حدثني من أتى به أن الشيخ أباً الحسن رضى الله عنه طلع إلى الشيخ ابن ميثيق رضى الله عنه بالميزان فلم
يشم رائحة الولاية فرجع ثم طلع ثانياً كذلك فرجع كما طلع فلما أسقط الميزان واغسل من عليه وعلمو طلع فقيراً أغناه الله
قال له الشيخ ابن ميثيق يا أبا الحسن طلعت إلينا فقيراً من عليك وعملك فأخذت منا غنى الدارين اه نعمنا الله به ذكره ونفع علينا
ما نفع عليهم حتى نستقي بهم غنى لا فقر معه أبداً آمين ثم إن هذه الواردات التى تتجلى بالحقائق والعلوم إلانهاى وواردات أهل النهاية
وأما واردات أهل البداية فإنها تأتي قوة قهارية أما يخوف مزج أو شوق مقلق لترحله عن شوا أنوعه أو اندموى الذى ذكرها
الشيخ بقوله) متى وردت الواردات الالهية اليك هدمت العوائد عليك إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها قلت الواردات الالهية
هو قوة شوق أو اشتياق أو حجة يخلطها الله في قلب العبد وقد نشأ عن قوة خوف أو هبة أو جلال فترجعه تلك القوة

من زارنى في المدينة وجبت له شفاعتى أو كما قال وقال صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام
ومسجدى هذا والمسجد الأقصى اه عاشرها زيارة بيت الله الحرام والوقوف بعرفة وهو فرض للمستطيع مستحب لغيره
إذا سلم من تضيق واجب قال صلى الله عليه وسلم من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه اه
(تنبيه) قال الشيخ زروق رضى الله عنه كل هذه الوجوه تحتاج لتصحیح التيقن تحقيق القصد فإن النفس خادعة وللأمو
آفات واعتبر هذا بحكاية أحمد بن أرم حيث جحنت نفسه لطلب الجهاد فتعجب منها وقال نفس تأمر بالخير هذا عجب
ثم سأل الله تعالى قائلاً اللهم إني مصدق بقولك أن النفس لأماراة بالسوء ولها مكذب فأطلعتني على حقيقة هذا الأمر قالت
يا أحمد أنك تقتلني كل يوم كذا وكذا قلته ولا يشعر بي أحد فأردت موة واحدة ويقال مات شهيداً (قال) الامام أبو حامد
رحمه الله فنظر كيف رضيت بالرياء بعد الموت انتهى بمعناه (قلت) يوتى من فوائد السفر صحة البدن والقلب فقد قال عليه
السلام سافروا تصحوا وتمنوا وكذلك قصد موت الغربة فقد قال أيضاً عليه السلام الغريب شهيد ويفسح له في قبره
كعبه من أهله ثم ذكر مفهوم ما تقدم فقال :

ولم تكن أسفارهم تنزهها بل كان لله فيها نحوه التوجه
ولم تكن أيضاً بلا استئذان للشيخ والآباء والاخوان
ولم يكن ذلك للفتوح أو لامرئ مبتذل ممدوح

(قلت) لا نعلم تكن أسفارهم تنزه في البلدان أو لكروب الاوطان بل في رضا الرحمن لأن مقاصد دائرة على الجدة

إلى النهوض إلى مولاه فيخرج عن عوائده وشهوته وهواه ويرحل إلى معرفة ربه ورضاه وقد ترداف عليه أنوار تلك المحبة والشوق فتنبه عن حسه بالكلية وهو الجذب وإنما جمع الواردات باعتبار تلك المحبة والشوق فانها لا تهتم عوائدها إلا أن كثرت وتزايدت وتسمى أيضاً هذه الواردات فضحات قال عليه السلام إن لله فضحات فترضوا لنفحاته فمن لم ترد عليه الواردات اختياراً فليترض لها بصحبة العارفين أهل الاكسير الذي يقبل الاعيان فإن صحبهم ولم ترد عليه فليخرق عوائده نفسه من الطاهر فانها تدخل منه إلى الباطن فتى وودعت عليك حينئذ تلك الواردات الإلهية هدمت العوائد عليك وأفسدتها لديك فترد عزك ذلاً وغناك فقراً وجاهك خمولاً ورياستك تواضعاً وخوراً وكلامك صمتاً ولذيقاً طعامك خشيةً وشبعاً وجوعاً وكثرة كلامك صمتاً وقرارك في وطنك سياحةً وسفرأ هكذا شأن الوارد الإلهي يخرّب العوائد ويهدمها فهو كلك جبار ذى جيش طغاة دخل قرية أو مدينة فافسد بناهاً وغير عرائدها قال تعالى أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها أى نزعوها وخرّبوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى رؤسائها أنبياءاً مروّسين وكذلك يفعلون أى هذا شأنهم والاستشهاد بالأية في غاية الحسن والمناسبة ثم ذكر الشيخ علة هدم الوارد عوائد الانسان فقال (الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصاد منه شيء إلا دفعه بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق)

(قلت إنما كان الوارد الذي يرد على قلوب السائرين أو الطالبين قوياً شديداً لأنه يأتي من حضرة اسمه تعالى ليدغم بقهره كل ما وجد في النفس أو القلب من الاغيار وإنما قلنا من حضرة اسمه القهار لأن الحق تعالى له حضرات بعدد أسماؤه فاسمه تعالى القهار يتجلى من حضرة قهره واسمه جميل يتجلى من حضرة جماله واسمه جليل يتجلى من حضرة جلاله واسمه رحيم يتجلى من حضرة رحمته واسمه الخليم يتجلى من حضرة حله واسمه الكريم يتجلى من حضرة كرمه وهكذا فكل اسم يخرج تجليه والتحقيق والمناقشة والتدقيق لا يقولون أهدامهم إلا حيث يرجون رضاه الله ولا تنزل منهم العالية إلا على الله غابون عما سواه لا يتوجهون بهمهم إلا نحو الحبيب ولا يسافرون بقلوبهم إلا إلى حضرة القريب المجيب بخلاف العامة أنفسهم غالباً عليهم وشهواتهم حاكمة عليهم أن يحركوا للطاعة خوشتها عليهم فأفسدت عليهم نياتهم وأزعجتهم في هوى أنفسهم تظهر لهم الطاعة وتخفى لهم الخديعة :

(روى) أن رجلاً جاء يودع بشراً الخافى رضى الله عنه عند مشية للحج وقال قد عزمت على الحج أنا أمر بشيء فقال له بشركم أعددت للفتنة فقال أئني درهم فقال له بشر أى شيء يتبنى ببجك زهرة أو أشياء إلى البيت وابتغاء مرضاة الله قال ابتغاء مرضاة الله قال فان أصبت مرضاه الله تعالى وأنت في منزلك وتتفق أئني درهم وتكون على يقين من مرضاة الله أففضل ذلك قال نعم قال أذهب فأعطها عشرة أنفس مدينا يقضى دينه وفقيراً يرم شعثه وميلاً يحير عياله ومربى يقيم بفرحه وان قوى قلبك أن تعطيه لواحد فأفضل فان ادخلك السرور على قلب امرئ مسلم وإغاثة لفلان وكشف ضر محتاج وإغاثة رجل ضعيف اليقين أفضل من مائة حبة بعد حجة الاسلام قم فأخرجها كما أمرناك والا قل لنا ما في قلبك قال يا أبا نصر سغرى أقوى في قلبي فتبسم بشرى وأقبل عليه وقال له المال إذا جمع من وسخ الشبهات والتجارات اقتضت النفس أن تقضى به وطراً تسرع إليه بظاهر الاعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه لا يقبل إلا العمل المتقين اه (قال) الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه إذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه وجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جرى ما قدر له لا يلتفت إليها كأنه في معزل عنها وإذا أهان الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر عنه غيوب ديتة فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله عنه

على وفق حضرة قال تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) ولو كان هذا الوارد الذي على قلوب أهل البداية من حضر الرحيم أو الحليم أو الخبير ما أمكن أن يدفع بحكمة الله مصادمه من الباطل وشبه الشيخ الباطل وهو كل ماسوى الله بحجوان له دماغ فإذا ضرب دماغه وتشتت مات كذلك الباطل إذا صادمه الحق أهل مكة وتشتت دماغه فالوارد الإلهي محض حتى إذا صادم الباطل دماغه وقته ولذلك أتى بالآية التي نزلت في شأن القرآن مع الكفر فإن الكفر تشتت واضمحل حين نزل القرآن كذلك السوى إذا تجلى الحق بظهره نوره تشتت واضمحل وكان الشيخ أبو العباس رضى الله عنه كثيراً ما ينشد هذه الآيات في هذا المعنى :

فلو عاينت عينك يوم تزلزل أرض النفوس ودكت الأجبال
لأريت شمس الحق تسطع نورها عند التزلزل والرجال رجال

قال والارض أرض النفوس والجبال جبال العقل يعنى أن الوارد الإلهي إذا ورد قوياً من حضرة قهاريته تعالى ذلك وجود النفس وتكدككت منه جبال العقول فيكشف له حيث عن أسرار خارجه عن مدارك العقول غير مدركة بعبارة القول فيصير صاحب هذا الوارد كله حقاً لا يصادم شيئاً إلا دمنه وهذا المعنى قصد شيخ شيو خا القطب ابن مشيش بقوله واقتد في على الباطل فأدغمه طلب أن يكون حقاً محضاً يقذف به السوى فيدمغه فإذا ذهب السوى واضمحل بقى الحق الذي لا يفتى ظاهراً لا يخفى كما أبان ذلك الشيخ فله دره ما أدق نظره في مناسبة الكلام وحسن التخصيص لكل مقام حيث قال (كيف يحتجب الحق بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر) قلت قد كرر الشيخ هذا المعنى في كتابه مراراً تحريضا على الجمع وتحذيراً من الفرق فقد قرر أن الحق تعالى ليس محجوباً بشيء ولا يصح أن يحتجب

بعمول وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر قال وهذا باب من الولاية والإهانة (وأما الصديقية) العظمى والولاية الكبرى فالخطوط والحقوق كلها سواء عند ذوى البصيرة لأنه بالله فيها يأخذ ويترك له (و) إنما لم تكن أسفارهم بلا استئذان الشيخ والآباء لأن السفر من غير إذن الشيخ لا بركة فيه ولا سير إلى الله فيه بل فيه نقض للعهد الذى أخذ عنه ألا يتحرك إلا بأذنهم وقد يكون له نظر في أقاته وكانت الفقراء فى الزمان السالف يستأذنون فيما هو أقل من هذا وقد وجد بعض الفقراء بأقلا أى فلا تأتي به إلى الشيخ قال ياسيدى ما أفضل هذه الباقلا قال له أفضل عليها فقال بعض الحاضرين يا سيدى يشاورك حتى في الباطل فقال نعم لو خالفنى في شيء لم يفلح أو ما هذا معناه وهذا كان إذا السفر بعيداً وأما القريب الذى لا يستغنى عنه فأمره قريب (و) أما استئذان الآباء فهو أيضاً من الأمور المؤكدة (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه فإن حق الوالدين واجب شرعاً إلا في واجب لا عيده ولا تراخى فيه كطلب علم حاله والجهاد عند تعينه والحج عند ضيق وقته إذا توفر شرطه (و) قال السلبى ولا يسافر بغير رضى الوالدين والأساتذ وبغير إذنهم حتى لا يكون عاقاً في سفره فلا يجد بركة أسفاره (قالت) هذا إن تحقق أنهم لا يمنعون من زيارة الشيخ وأما إن تحقق أنهم يمنعون من زيارة شيخ التربية أو من محبته فلا فائدة في استئذانهم ويسقط عنه استئذانهم حسبما ذكره البلالى في اختصار الأحياء ونصه في باب حقيقة علم الباطن ويسافر إليه ولو منع أبواه في فرضه (وذكر) الشيخ السنوسى في شرح الجزيرى أن النفس إذا غلبت كانت كالعدو إذا لجأ فتجب مجاهدتها والنهوض إليها بقواه العلمية والعملية وفى مثل هذا يستط استئذان الأبوين وغيرهما الخ كلامه الطويل في المسألة (وقد) يرجع هذا قوله تعالى (وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك على فلا تطعهما)

بشيء إذ لو احتجب بشيء وجودى لكان ذلك من أثر قدرته وقدرته لا تفارق ذاته فالصفة لا تفارق الموصوف فما ظهر شيء من بحر الجبروت إلا كان نوراً من أنواره وأثرأ من أثر صفاته وقد قال صاحب العينية :
فأوصافه والاسم والأثر الذى هو الكون عين الذات واثق جامع

فذلك تعجب الشيخ من تصور الحجاب في حقه تعالى مع أن كل ما يبرز عن عنصر القدرة كله نور من نور ملكوته فأقضا متدفقا من بحر جبروته فتحققت الوحدة واتق الحجاب بالكلية فكل موجود نور الحق فيه حاضر موجود ثم ان الواردات هي الاموال والاحوال نتائج الاعمال في الغالب فذلك ذكر الشيخ العمل وأمر أن لا تركه حيث لم تذق حلاوته والعمل منه ما يجد العامل ثمرته وهو الحال والحلاوة ومنه ما لا يجد ثمرته عاجلا فلا ينبغي تركه ولا يئس من ثمرته ولا من قبوله كما أبان ذلك بقوله (لا يئس من قبول عمل لا تجد فيه وجود الحضور فرما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا) قلت قد تقدم قوله من وجد ثمرته وعلمه عاجلا فهو دليل على وجود القبول ولا يقتضى المفهوم أنه إن لم يجد ثمرته فليس بمقبول بل هو مسكوت عنه فإن توفرت فيه شروط القبول من جهة الشريعة إن صحح الاخلاص والتقوى والاتقان الشرعى فهو مقبول عند الله إن شاء الله سواء وجد ثمرته أم لا قال الله تعالى إنما يتقبل الله من المتقين وقال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله من سمع ولا مراة فان كنت متقيا لله في ظاهرك وباطنك على قدر استطاعتك ومخلصا لله في أعمالك ثم لم تجد حلاوة العمل ولا حضور قلبك فيه ولم تجد ثمرته من أحوال الواجدين وأذواق المارفين فلا يئس من قبوله عند الله فليس وجود الحال ولا الحلاوة شرطاً في العمل إنما هي علامة والعلامة لا يلزم طردها فرما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلا فيعطيك ثوابه عاجلا فلا ينبغي لك أن تستحقر عملك فتتركه لعدم حضورك فيه أو لعدم وجدان حلاوته بل يجب عليك أن تدوم

فان الشراك على قسمين أكبر وأصغر وما من أفاظ العموم والشرك الأصغر لا ينجو منه في الغالب الا بصحبة من تخلص منه بشيخ كامل والقرآن بحر واسع يعرف منه كل أحد على قدر وسعه (و) بما يناسب ما قلناه من مخالفة الأيوين في صفة الشيخ قول الشاعر :

ولا أصغى إل من قد نهاني ولى أذنت عن العذال صما
أخاطر بالخواطر فى هواكم وأترك فى رضاكم أبأ وأما

ولقد سمعت من أشياخنا وغيرهم أن شابا كان يحضر مجلس شيخ شيوخنا سيدى يوسف القاسمى وكان أبوه ينهيه عن ذلك ويذره حتى كان ربما يأتى لمجلس الشيخ ويقول أترك لى ولدى فكان الشيخ يقول للشباب يا ولدى أطعم أباك في كل شيء الا في القدوم إلنا وحضور مجلسنا وكأنه تمسك بقول الغزالي أن أخذ علم التصوف فرض عين والله تعالى أعلم (وقول) السلى لثلا يكون عاقا لو لديه (اعلم) ان عقوق الوالدين لا يكون بمجرد مخالفتهم فان الوالدين على ثلاثة أقسام (قسم) يكونان وافرى العقل واسعى الصدر لا يفضيان بشيء (و) قسم يكونون ضعيفي العقل ضيق الصدر يفضيان بأقل شيء وقد يفضيان بلا شيء (و) قسم يكونان معتدلى الحال فأما القسم الاول فقد يعقهما ولو لم يفضيا وأما القسم الثانى فقد لا يكون عاقا لهما ولو غضبا والمرجع في ذلك لعرف أهل العقول الكاملة بحيث يشهدون في ذلك ويقولون انه عقوق سواء ظهر غضب أولا وأما الثالث فنفضهما عقوق كذا سمعت هذا التفصيل من بعض العلماء الفاسيين وهو صحيح حسن نقله بعض شراح الشمايل والله تعالى أعلم (و) أما استئذان الاخوان فهو حسن لعله ينهض حالهم للزيارة معه (وأما) كون سفرهم لم يكن للفتوح وهو ما يقبضه من الهدايا والصدقات فقد تقدم أن سفرهم إنما كان لرضى الرحمن أو لتذكير الاخوان أو لرياضة النفوس

عليه حتى تجني ثمرة فن قرع الباب بوشك أن يفتح له واسمع قول الشاعر :

أطلب ولا تضجرن من مطلب فأقاه الطالب أن يضجر
أما ترى الجبل بتكراره في الصخرة الصماء قد أثرا

واذكر قضية العابد الذي بقى في مكة أربعين سنة وهو يقول ليك اللهم ليك والهاق يقول لاليك ولاسعديك وحجت مردود عليك وهو ملازم لم يرجع عن مرضعه ولم يرجع عمله فجاء إليه رجل يزوره فلما قال الرجل العابد ليك فقال له الهاق لاليك فقام الزائر منصرفا عنه وقال في نفسه هذا رجل مطرود فناداه العابد مالك فقال ياسيدي أنت قلت ليك والهاق قال لك لاليك فقال له يا هذا لي أربعون سنة أسمع هذا الخطاب وهل ثم أبواب أخرى تأتي منها أنا واقف ببابه ولو طردني ألف مرة ما رجحت عن بابه فقبله الحق تعالى فلما قال ليك قال له الحق تعالى ليك وسعديك أو كما قال فانظر من لازم الباب كيف التحق بالاحباب وفتح في وجهه الباب ولذلك قال عليه السلام أحب العمل إلى الله أدومها وإن قل وقال إن الله لا يعمل حتى تتلوا فالمراد من العمل القيام برسم العبودية وتعظم جانب الربوبية وليس المراد منها طلب الأحوال والمقامات فإن ذلك قدح في الإخلاص عند أهل التوحيد الخاص وقد يكون الحال سببا في الحجاب لمن وقف معه واستحلاه ولذلك قال بعضهم اتقوا حلالة الطاعة فاتها سموم قاتلة أي لمن وقف معها ولم ينفذ لشهود المعجود بها فلا تكن عبد الحال وكن عبد المحول كما نبه على ذلك المؤلف بقوله (لا تركزين واردة لا تعلم ثم تغفلس المراد من السحابة الأمطار وإنما المراد منها وجود الآثار) قلت ثمرة الوارد هو هدم العوائدوا كتب القوائد التحلية من الرذائل والتحلية بالفضائل (وإن شئت) قلت ثمرة الوارد المصادق هو ما ينشأ عنه من الذل والانكسار والخشوع والسكينة والوقار والحلم والزهد والسخاء

ولم تكن أسفارهم لقصد الدنيا فإن ذلك من الهمة الدنيوية وكل من كان سفره للدنيا فلا قيمة له عند الله ومن كانت همته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منها وجلس من كانت هذه همته في بيته أفضل له نعم إن تخلصت النية ثم أعطاه الله قوتها أخذ به نية الشيخ أو صرفه فيما يضطر إليه وكذلك السفر لمن كان مشهورا بالسخاء والعطاء فهو من قبيل السفر للدنيا إذ لا يخلو من طمع فيه وما أقبح الطمع وما أحسن الورع دخل سيدنا على كرم الله وجهه البصرة فوجد الناس يقصون في المسجد فأقامهم حتى وقف على الحسن البصري فرأى عليه سمنا وهديا فقال له إني سائلك فإن أجبتني تركتك وإن لم تجبني أقتك كما أقت أصحابك فقال له سل عما بدالك فقال له ما فساد الدين قال الطمع قال وما صلاح الدين قال الورع قال له اجلس فتلك يتكلم على الناس اه وإلى هذا أشار بقوله أو لا مرى مبتذل ممدوح والمبتذل اسم فاعل من ابتذل طعامه أعطاه وأصل ما ذكره الناظم قول السلي رحمة الله ولا يسافر للزينة والبطر وراء الناس والجولان في البلدان لطلب الدنيا والندب على متابعة الهوى (قال) أبو تراب النخشي رضى الله عنه ليس شيء أضر على المريد من أسفارهم على متابعة هوائهم وما فسد من المريد إلا بالأسفار البطالة (قال) الله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا رآه الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان يبيع أغنياء أمته للزينة أو سطهم للتجارة وقرأهم للرياء وقرأهم للسلطة وقال أيضا قال أبو حمص النسيابوري ينبغي للمسافر ثلاثة أشياء ترك تدبير الزاد وتقدير الطريق ويعلم أن الله حافظه ثم ذكر آداب الوصول فقال :

فيح ما حلو بلدا فيالحرا أن يقصدوا الشيخ وبعد الفقرا

(قلت) من آداب الفقراء إذا حلو بلدا من البلدان سواء كانت التي فيها شيخهم أولا أن يقصدوا شيخها وكبرأئهم

والإيثار والتخلص من رق الشهوات الجسدية والعوائد النفسانية والخروج من بين الأكوان والترقى إلى فضاء الشهود والعيان والتحرر من يد الأغيار والتخلص إلى تحقيق المعارف والاسرار وكل هذا قد تقدم المؤلف مفرقا قار في أول الكتاب أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارد أورد عليك الوارد ليسلك من يد الأغيار وليحرك من رق الآثار أورد عليك الوارد ليخرجك من بين وجودك إلى فضاء شهودك وقال فيها تقدم قريأمتي وردت الواردات الإلهية إليك هدمت العوائد عليك وقال أيضاً الوارد يأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصاحبه شيء إلا دمه فاذا ورد عليك واردا ولم يترك فيك هذه الخصال فلا تركه وانهم وانهم نفسك فيه لئلا يكون شيطانياً فإن الوارد الإلهي تعبه يروقه وسكون وزهد وطاعة بينة وفرة والوارد الشيطاني تعبه حرارة وقساوة وتكبر وصوله ورؤية نفس فليس المراد من الحال فرح وخفت وشطحة إنما المراد منه ثمرته فهو كسحابه الأمطار فليس المراد منها وجود الأمطار وإنما المراد ما ينشأ عنها من وجود الآثار فلا تطلب بقاء الحال فقد يكون بقاءه ضرراً لك فإن دوام الأمطار يعود فنعما حضراً وإلى ذلك أشار بقوله (لا تطلب بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء وليس ينبغي عنه شيء) قلت طلب الشيء يدل على محبته وعبة الشيء عبودية له والحق تعالى لا يجب أن تكون عبداً لغيره فلا تطلب معه حالاً ولا مقاماً فإن وردت عليك الأحوال وهي الواردات الإلهية ثم انقشعت وانصرفت فلا تطلب بقاءها بعد أن بسطت في قلبك أنوارها فأخرجت منه ظلمة الأغيار وصور الآثار وأودعت أسرارها من مزيد الايقان وشهود العيان أو تقول لا تطلب بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها من هدم عوائد نفسك عليك فخرجت من رق الشهوات الجسدية والعوائد النفسانية وتخلت عن الرذائل وتخلت بالفضائل فهذه آثار أنوار الواردات وبعد أن أودعت أسرارها في قلبك من اليقين والطمأنينة والمعرفة أو من

أولاً ثم يقصدوا فقراءها لأن التقديم تعظيم والتعظيم على قدر المقام ومن لا يعظم لا يعظم وإذا قصدوا شيواً فلا يدخلون عليهم إلا معتمدين كمال ولايتهم ولا يدخلون متعجبين فيحرمون بركتهم فكل من قصد الأولياء بالميزان فلا يتأثر إلا الحرمان ومن أتاهم بالتعظيم وحسن الاعتقاد قال من الله كمال المحبة وحسن الوداد وينبغي أن ينزل من علوه وعمله وحاله كما يفعل مع شيخه وكذلك يفعل مع الفقراء فلا يدخل عليهم إلا معتقداً كالمهم وينزل أيضاً عن علوه وعمله فيرجع إلى عملهم فيما يشيرون إليه ولا يدعي علماً ولا إلهاء في حضرتهم بل يرى عليهم أكل من علوه وأنه مقترا اليهم وإن كان أعلى منهم في الظاهر ويرى علمهم أوفى من علوه وإن كان أوفى منهم فيه لأن ذلك معتبر بالحقائق وهي باطنية فلية فيحملها على أكل الوجوه وأنها فيشرب منهم على قدر اعتقاده وبأخذ من يمدد على قدر صدقه وهذا الترتيب الذي ذكرناه مع الاختيار فإن تعذر لقاء المشايخ أولاً قدم الفقراء (وقوله) فبالحرأى أي بالأحرورية والأولوية أن يقدموا الشيخ ثم بعد ذلك الفقراء إن أمكن كما قلناه والله تعالى أعلم ثم ذكر آداب لقاء الأشياخ والجلوس معهم ومكالمهم فقال :

وان للقوم هنا آداباً إذ جعلوا كلامهم جواباً
فإن تعاطى الشيخ منهم قولاً قالوا وإلا فالكسوت أولاً

(قلت) للقوم في لقاء المشايخ آداب (منها) أنهم إذا قربوا المنزل رفعوا أصواتهم بالهيلة والذكر فلا يزالون كذلك حتى يصلوا إلى الزاوية فهو من تعظيم النسبة يفعلون ذلك عند قربهم للنداء لما فيمن تنبيه الغافلين الشياطين ومنها انتظار خروج الشيخ من غير نداء عليه ولا رسول إليه قال الله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

الزهد والرضى والتسليم أو من الخشوع والتواضع والذلة والانكسار فهذه علامة صدق الوارد وحصول نتيجة فإذا حصلت النتيجة فلا حاجة للشيخ لشيء فلك الله غنى عن كل شيء فلا تفتقر إلى شيء وليس يتنكب عنه شيء وسيأتي للشيخ ماذا فقد من وجدك وما الذى وجد من فقدك وقال الشاعر :

لكل شيء إذا فارقه عرض وليس لله أن فارقت من عرض

وفى الإشارة عن الله تعالى لا تركزن إلى شيء دوني فانه وبال عليك وقا تل لك فان ركنت إلى العلم تتبعناه عليك وإن آويت إلى العمل رددناه إليك وإن وثقت بالحال وقتناك معه وإن آنست بالوجد استدرجتناك فيه وإن لحظت الخلق وكلناك إليهم وإن اغتررت بالمعرفة نكرناها عليك فأى حيلة لك وأى قوة معك فارضنا لك رباحي نرضاك لنا عبدا اه (وسئل) أبو سليمان الداراني عن أفضل ما يتقرب به إلى الله فقال أقرب ما يتقرب به إلى الله أن يطلع على قلبك وهو لا يريد من الدنيا والآخرة سواه وفى ذلك قيل :

من عرف الله فلم تنه معرفة الله فذاك الشقى

ما يصنع العبد بمرئى والعز كل المرئى للفقير

فإذا حصل لك التقى بالله استغنيت عن كل ما سواه فلا تطلع إلى بقاء حال ولا وارد ولا مقام سوى شهود الملك العلامة قطلعلك إلى بقاء حال أو وارد دليل على عدم غناك به كما أبان ذلك بقوله (تطلعك إلى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له) قلت إذ لو وجدته ما طلبت شيئا ولا افتقرت إلى شيء أصلا فكل من يفرح بالوارد والحال فهو غير متحقق بالوصول وكل من يفقر لغير الله فليس بعارف بالله وكل من يحتاج إلى شيء أو يركن إلى شيء فليس من الله فى شيء.

(و) منها تقبيل يد الشيخ ثم رجليه ان جرت بذلك عادة الفقراء فهو من أحسن التعظيم وهو من تربية الآداب والمهابة وفى ذلك قال الشاعر :

يا من يريد خمرة المحبة خنوها عني هي حلال

ومن يريد يسقى منها غيا خد يضع لاقدام الرجال

رأسى حططك لكل شيخ هم الموالى سقوى زلال

ومنها جلوسهم بين يديه على نعت السكينة والوقار خاضعين أصواتهم ناكسين رؤسهم خاضعين أبصارهم فلا يكلمونه حتى يبدؤهم بالكلام (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه ثم ان طلب أحدهم بالكلام فان كان الكلام عاديا أتى به منخفضا وإن كان فى العلوم والحقائق نظر فان حضرته نفسه ترك ولا تكلم بأقل ما يمكنه الكلام فى ذلك لأن الكلام فى حضرة الأستاذ مقت (ثم) قال ومن أعجب ما شهدته فى بعض الناس أنهم يدخلون على رجال من أهل الكمال لقصد الاتقاء بهم ثم يسيطون استفتهم بالكلام فى وجوه من صور الحقائق ويرون أنهم بذلك مقربون لقلوبهم ومتحبيون لهم ولا أدري هل ذلك لظنهم خلوص عما يألونه أو لرؤيتهم ان ذلك مما يقربهم إليهم أو ليروم أنهم يهفون ويدورون هذه كلها جهالات أعاذنا الله منها انتهى كلامه (قلت) أما فى حال المذكرة فلا بأس أن يتكلم بما عندهم من العلم اعانة للشيخ بانخفاض وتواضع ولا يمارضه فى كلامه فان لم يفهم كلام الشيخ أو رآه مخالفا لرأيه أو لما عنده غيره يقول باسدى هذا ما فهمته وقد ظهر لى كذا وكذا وقال فلان كذا وكذا على وجه الاستفهام لا على وجه التعارض فان ظهر خلاف ما ظهر للشيخ فليسكت وإن وقعت معارضة بين الشيخ وبعض الفقراء أو غيرهم فليعشر الشيخ ما استطاع فان ذلك مما يجب المودة من الشيخ ثم ان تعاطى الشيخ

وليس على شيء وكثيرا ما كنت تقول للفقراء كل من تزوه يزور غير الشيخ بعد قبض الورد فهو باق من العوام ولم يدخل بلاد الخصوص لقله صدقه ولو دخل بلاد الخصوص لاجتمعت همه واجتمع قلبه واستغنى عن ماء غيره فخطشه إلى غير شيخه دليل على أنه لم يشرب من مائه وفيه در القائل ويقال أنه التزالي حيث قال :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستمعت مذراتك العين أهوائى
فصار يحسدنى من كنت أحسده وصرت مولى الوردى مذصرت مولائى
تركت للناس دينهم ودينام شغلا بذكرك يا دينى ودينائى

ومن علامة التقى به أيضا الانس به والوحشة من غيره فانه يقضى عن كل شيء ولا يقضى عنه شيء فاذا فقد حالا أو مقاما سوى شهود ربه ثم استوحش منه فهو بعيد من الحضرة كما أن ذلك بقوله (استحاشك بفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به) قلت استحاشك بفقدان الأحوال والواردات دليل على عدم وصلتك إذ لو وصلت إليه لم تستوحش من فقدان شيء وفى الحقيقة ما فقدت شيئا وهذه علامة التقى بالله أنه إذا فقد شيئا ما هو فى العادة يؤلم فقدته كالولد مثلا أو قريبا أو فاته عبادة حسية مثلا أو غير ذلك فانه يرجع للبرقة فانه يقضى عن كل شيء وهو المقصود من العبد قال الله تعالى لى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قال فى التور اعلم أن الله سبحانه إنما يدخلك فى الحال لتنال منها لا لينال منك وإنما جاءت لتحمل هدية التعريف من الله إليك فيها تخرجه إليها باسمه المبدى فأبداها وأبقاها حتى إذا وصلت إليك ما كان لك فيها فلما أدت الامانة توجه إليها باسمه المغيث فأرجعها وتوفاها فلا تطلب بقاء رسول بعد أن بلغ رسالته ولا بقاء أمين بعد أن بلغ أمانته وإنما يفترض للدعوى بزوال الأحوال بعزلهم عن مراتب الانزال هنالك يبدو العوار وتهتك

من الفقراء كلاما أو من أحدم كلمة بخفض وتواضع وإلا فالسكوت أولى (وقد) أشرت إلى هذه الآداب مع زيادة فى قصيدتى العينية التى وضعتها فى الآداب قلت بعد كلام :

مع الشيخ آداب إذا لم تكن له فانه فى واد القطيعة رائع
خضوع وهية وصدق عجة وعقل كال فيه أنه جامع
فلا ترفض صوتا إذ كان حاضرا ولا تضحكن فالضحك فيه لجائع
ولا تعترض أصلا عليه فانه بنو شهود البصيرة تابع
ولا ترمين عينا إلى ماء غيره فترى كسير فى المعاطش ضائع
ولا تخرج من غش تربية غدت تملك بالأنوار منها تابع
إلى أن ترى الترديد قد حان وقته وصرت من التمكن أمرك شائع
تبد من الأنوار من كل وجهة وتسقى من الأنام من هو تابع

ثم أشار إلى أدب المقدم عليهم فى حق القادمين فقال :

وواجب على أولى الأقامة فقد الوارد بالكرامة
وهو يزور القوم فى الحرام وإنما ذلك للاحترام
ويبدؤا الوارد بالسلام وبالطعام ثم بالاكرام

الاستار فك من مدح الفنى بالله وانما غناه بطاعته أو بنوره أو فتحه وك من العز بالله وانما اعزازه بمنزله وصولته على الخلق معتمدا على ما ثبت عندهم من معرفته فك عبد الله لا عبد الملوك وكان لك رباً ولا علة فك عبد له ولا علة لتكون له كما كان لك اه (هذا آخر) الباب الثالث والعشرين وحاصلها الكلام على القرب والوصال وما ينشأ عن ذلك من مقامات الازال وتأتج الاحوال والفنى بالله عنها في كل حال فهذا هو التعميم على الدوام والاتصال الذى فتح به الباب الرابع والعشرين فقال رضى الله عنه (التعميم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقراره والذباب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابيه فسيب العذاب وجود الحجاب واتمام التعميم بالنظر الى وجهه الكريم) قلت تعميم الزوج وعذابها انما هو بشهود ربها واحتجابها وذلك بعد تخلصها من عالم الاشباح وترقيتها الى عالم الارواح فيكون حينئذ نعيمها روح الوصال وريحان الجمال وعذابها احتجابها عن شهود ذلك الجمال وبعدها عن الكبير المتعال وهذا الامر حاصل في دار الدوام لجميع الانام لانه تميز الحق من الباطل وعرف كل واحد منهم ومستقره فاهل الجنان أحسوا بالرضى والرضوان فهم عالون ويقرب الحق منهم ورضاه عنهم لكنهم متفاوتون في العلم فهم من يعلم من وراء الداء منهم من يعرف داخل الداء (وفى البخارى) وما بين الناس وبين أن ينظر الى ربهم الارداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن ولا يفهم هذا الداء الا اهل الآذواق وأما اهل النار فأحسوا بالبعد من الواحد القهار فضاعف عذابهم في دار البرار ولوان الحق تعالى يحلى لهم بصفة جماله لانه اسم ذلك اليوم عذابوا لانه تعالى احتجب عن اهل الجنة لصناق عليهم فسيح الجنان ولا قلب نعيمهم نعمة وعذابا أما من كان في دار الدنيا عارفا فلا يتجرب الحق تعالى عنه كما شهده هنا بوساطة أنواره يشهده ثم بطلائف أسرارها بل ثم أولى غلبة المعنى على الحس والقدرة على الحكمة وأما من كان هنا محجوبا فهو ثم أيضاً محجوب قال تعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وللآخرة تفسيران ظاهره وبان لكن في دار

وكلوه بعدها تكليما تاسيلاً بفعل ابراهيم

وكرر هو أسؤال هذا الوارد الا عن الشيخ أو التلامذ

(قلت) ذكر في هذه الايات ستة آداب في حق المقدم عليهم (أولها) تفقد الوارد بالكرامة وهو الذهاب إلى لقائه واظهار المبرة في وجهه والفرح به وراحته من شؤونهم وتلقائه وانزله في محل يظهر به التعظيم كمدار أو زاوية والدار أبلغ في تنظيمه فان نزل في محل قدم عليه من لم يكن خرج للقائه فالوارد أحق أن يزار في محله الا أن يكون بمكة فان عليه أن يزور المجاورين لبيت الله الحرام لحرمته بيت الله الحرام فلا يخرجون منه الى غيره وهذا معنى واجب على أولى الاقامة الخ وقوله وهو يزور القوم الخ على ما بعض النسخ (ثانيها) ابتدأه بالسلام تأنيلاً لقوله عليه السلام لكل داخل دهنه فابدؤه بالسلام ولكل طاعم وحشة فابدؤه باليمن واليه أشار بقوله ويبدوا الوارد اه (ثالثها) مبادرته بالطعام ويسمى هذا الطعام القرى والمراد ما تيسر ووجد من غير تكلف وهذه من المسائل التي تطلب المبادرة بها وقد نظمها بعضهم فقال

بادر بتوبة قرى والذفن نكاح بكر وصلاة دين

(رابعها) اظهار كرامته بما يقدر عليه من الطعام من غير تكلف مفرط ولا تقريط فالصوفى لا يتكلف ولا يكلف فان كان موسعا عليه بالغ في اكرامه من غير صرف قال السلى ولما ورد أبو حفص على الجنيذ تكلف في خدمته فانكر عليه فقال لو دخلت خراسان علمت كيف الفتوة فقيل له في ذلك فقال صيرت أصحابي غنائيت تقدم اليهم أن اوان الطعام والطيبات كل يوم ولما الفتوة عندنا ترك التكلف ثم قال له إذا حضرك الفقراء فأخضعهم بلا تكلف حتى إذا جعت جاعوا معك

البقاء رِق الحجاب لِرقة الابدان ولطافتها فلذلك صار نعيمهم لا يكمل إلا بشهود القرب فإذا قدوه تنفس نعيمهم لأن في تلك الدار صار الحكم للأرواح وفي هذه الدار الحكم للأشباح إلا من ترقى هنا إلا ألم الأرواح فهو من أهل الجنة فنعيمه نعيم الأرواح وهو روح الوصال وشهود الكمال فنعيمه بشهود اقترابه ورضوانه فلو زال عنهم شهود القرب أو انقطع عنهم مدد الرضوان لصاق عليهم فسيح الجنان وأما نعيم الأشباح وعذابها أعنى من كان محجوباً بها قائماً بمواظقة ما يلائم طبعه أو مخالفتها فإذا جاء ما يلائمه من صحة وعافية وجمال حتى فهو في حقه نعيم وإذا جاء ما يخالف طبعه من وجع أو فقد أو منع أو فتنة فهو عذاب في حقه إذ لا حظ له في لذة القرب ومرارة البعد قائماً بحظه من النعيم نعيم البهائم نعم لو قدرنا أن المادة تحرق له ويتجلى الحق تعالى له في حال عذابه الحسى بصفة جماله لنسى ذلك العذاب والحاصل أن كلام الشيخ إنما هو في حق أهل القرب أو الشهود بحيث يجد لذة القرب وحلاوة الشهود ويعس بمראה البعد وضيق الحجاب في هذه الدار وفي تلك الدار هذا ما ظهر لى وهذا الذى ذكره الشيخ مذوق عند أرباب العشق فكأن من عاشق ضرب بمحضر محبوه فلم يحس بالمشرب فلما غاب عنه تصرع واستغاث فليل له في ذلك فقال لما حضر من كنت أضرب من أجله غبت عن ألم المشرب فلما غاب عني وجدت ألمه

(قلت) ولهذا المعنى استلذ العارفون الفاقات وأنواع التعرفات وضروب البليات لما ذاقوا في ذلك من اتبال محبوبيهم ورضى مشهودهم كان بعض الصحابة رضى الله عنهم يقول ألا حياء المكروهات الثلاث الفقر والمريض والموت أى ما أحبهم لى وأعزهم وكانت زوجة بلال تصبح عند موته واكرهه فيقول هو واطرباه غدا ألنى الأحبة محمدا وحزبه ولما ضرب عامر بن خزيمة بالرمح ونفذ من ظهره إلى صدره قال فزت ورب الصعبة وكان بعض الاولياء مجذوما وهو يدعو للرضى فيبرأون من حينهم فقيل له لو دعوت الله أن يخفف عنك فقال رأيت رب العزقة في النوم وهو

وإذا شيعت شعبوا معك وحتى يكون مقامهم وخروجهم من عندك واحدا غلبنا تكلمه تكليما خفيفا كما فعل ابراهيم عليه السلام حيث بدأ بالسلام ثم أتى بالطعام ثم تكلم معهم قال تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم الآية قال فما خطبك أيها المرسلون فهذا هو الكلام واليه أشار الناظم بقوله وكلوه الخ والتأشى هو الاقتداء (سادسها) ترك سؤاله عن أحوال الدنيا وأحاديثها فان ذلك مما لا يبنى ويقسى القلب واليه أشار بقوله وكره الخ واصل ما ذكره الناظم قول السلى رضى الله عنه وعلى المقيمين أن يسلموا عليه أى على الوارد حتى القادام أن زار الا أن يكون بمكة فان عليه زيارة المجاورين لحرمة بيت الله الحرام ثم يقدم اليه ما حضر من الطعام من غير تكلف فقد قيل الادب مع الضيف أن يبدأ بالسلام ثم بالآكرام كصنع الخليل عليه السلام إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام فما ليث أن جاء بعجل حنيذ وقد قال عز وجل قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ولا يستل عن أحاديث الدنيا لما لا يبنى بل عن أخبار المشايخ والاصحاب والاخوان المتعاونين على أعمال الخير ثم أشار إلى ملازمة الورد في حال السفر فقال

وكرهوا تضييعه أوراده كيف وقد جاء إلى الزيادة

قلت أوراد الانسان ما كان وظفه عليه شيخه أو وظفه على نفسه والمراد هنا ما كان يعمل في حضره فإذا سافر بقي على ما كان عليه لقوله عليه السلام أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل وذلك بقدر الاستطاعة والا فالسفر محل التعب والنصب فقد يشق عليه ما لا يشق عليه في حال حضره مع ان أجره جار عليه ولو لم يفعل في الحديث إذا مرض الانسان أو سافر أجرى عليه ما كان يعمل مقيما صحيحا أو كما قال عليه السلام نعم الفكر فوالله نظر فإن كان من أهلها لا يتركها وكذلك

يقول لي أترى أن أبتليك ليلة أرفع لك بها أعلى الدرجات قلت نعم فأصبح مجنونا فأنظر هؤلاء السادات لما رجوا من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح لم يبق لهم نعيم ولا عذاب إلا نعيم الأرواح أو عذابها وأما عذاب الأشباح فقد غابوا عنه فكان نعيم هؤلاء وقوت أرواحهم هو ذكر ربهم وشهود نوره أو اقترابه حتى صار لهم غذاء لا يقاء لهم إلا به ولا غنى لهم عنه ولو قدموه لفارقت أرواحهم وأشباحهم وفي ذلك قيل :

بالقوت أحياء الجسوم وذكره تحيا به الآلآب والأرواح
هو عيشهم ووجودهم وحياتهم حقاً وروح نفوسهم والراح
وقد قلت في قصيدة لي عينية :

ولي لوعة بالراح اذ فيه راحتي وروحي وريحاني وخيره واسع
سكرنا فهنا في بهاء جماله فتبنا عن الأحاساس والنور ساطع
تبعت لنا شمس النهار وأشرقت فلم يبق ضوء النجوم والشمس طالع

والحاصل ان نعيم الأرواح التي تشاهد محبوبها لا ينقطع عنها نعيم العارفين لا ينقطع لأن قرب الحق لا ينقطع فن بعدت نفسه أحسن بالعذاب ولزمه المهوم والأحزان والنصب كما أبان ذلك بقوله (ما تجده القلوب من المهوم والأحزان فلاجل ممانته من وجوده العيان) قلت إنما كان سبب المهوم هو فقد الشهود لأن الحق تعالى قريب على الدوام رقيب على الدوام فن كان قريباً من الحبيب فكيف يحس بفراق شيء أو فواته نظر الحبيب ينسحب عن كل بعيد وقريب وأيضاً كل ما ينزل من عند الحبيب فهو حبيب فلا يلحقه شيء مكروه عنده حتى يتم به ولا يفوته محبوب سوى محبوبه حتى يحزن عليه في محبوبه اجتمعت المحاسن كما قال القائل :

المذاكرة وكيف يترك أوراده بالكيفية وهو إنما سافر لطلب الزيادة الباطنية كان بعض المشايخ يقول عليك بالذكر عند البسط وبالفكر عند القبض والحمد على كل حال وردك لا تتركه فان فاتك بالليل استدركه بالنهار وإن سافرت فاجعل وردك كله في الذكر أو تركه على حاله إلى آخر كلامه ثم قال :

ومن يسافر في هوى النفوس قائما يؤمر بالجلوس

(قلت) ما قاله ظاهر وقد تقدم هذا المعنى مراراً وتقدم صابط أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه قريباً والغالب على من لم يظهر بشيخ الترية هذا الوصف إلا التادر إذ لا يخرج من حظوظ النفس إلا بصحبة من خرج منها والله تعالى أعلم (تمة) بني آداب تتعلق بالسفر ذكرها السلي (منها) أنه إذا دخل بلادها زوايا قصد أعظمها وأكثرها قراء (قلت) هذا ان كانوا كلهم من طريقته والا نزل على من هو متفق معه في النسبة (ومنها) أنه ينبغي أن ينزل على الموضع الذي فيه المياه الجارية والمطهر النقية (قال) وسمعت أبا طاهر الأشقر يقول كان يصحني فقير مليح كان زلماً نزلنا في موضع الطهارة فإن وجده نظيفاً طيباً استطاب المكان وتناول ما قدم اليه من الطعام وإن لم يكن ذلك لم يتناول الطعام وقال هذه بلية ليس فيها كسيف (ومنها) أنه إذا دخل بلد ليس فيها قراء نزل على أكثرهم محبة لهذه الطائفة وأحسنهم إيماناً بهم وميلاً إليهم فإذا دخل ديرة تنحى ناحية ونزع خفيه يبدأ باليسرى في النزوع وباليمنى في اللبس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل أحدكم قليداً باليمن وإذا نزع قليداً باليسرى ثم قصد موضع الطهارة فتيوضاً ويصلي ركعتين فإن كان هناك شيخ قصد زيارته وقبل رأسه إلا أن يكون الزائر حدثاً فيقبل يديه اهـ (ومنها) أنه ينبغي لمن أراد السفر أن يتم أحكامه

تذلل له تحطى برؤيا جماله في وجه من تهوى الفرائض والنفل
وفي هذا المعنى أيضاً قال صاحب العينية :

تذلل الآلام إذ كنت مسقى وإن تحترق فهو عندى صنائع
وبالجملة من كان نظره إلى محبوه ومشاهدات نوره وجماله لم يبق له هم ولا غم كما قال ابن الفارض في شهود الحزرة .
فأسكنت والهم يوماً بموضع كذلك لم يسكن مع النعم الغم
(وقال أيضاً)

ولو خطرت يوماً على خاطر امرئ أقامت به الأفراح وارتحل الهم

وعما أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يادود لا تخرج من غيرى بقلبك فتتقص منه حلاوة الروحانيين يادود أنا
مصباح قلوب الروحانيين ومن كنت مصباح قلبه لم يغم أبداً يادود إنما مرادى من خلق أن يكونوا روحانيين أهو بالجملة
من كان عبداً لله غائباً عما سواه لم يبق له شئ من الهم لأنه قد حصلت له اللعبة التي توجب النصر والظفر بكل ما يريد
الآ ترى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر لا تحزن إن الله معنا حين أحرق به المشركون فكان عليه الصلاة
والسلام في محل العيان فلم يهجمه شئ. ولم تقرب من ساحته الأحرار وكان أبو بكر في ذلك الوقت موقفاً غير مشاهد فدلّه
عليه السلام على مقام الكمال لأن الشهود فوق الإيقان وأنشدوا :

كبر العيان على حتى أنه صار اليقين من العيان توها

ومن جملة ما وقع من الاهتمام به لمن لم يكمل يقينه أمر الرزق وخوف الخلق حتى قال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه من
ضمنها لي ضمنت له الولاية أشار الشيخ إلى الأول بقوله (من تمام النعمة عليك أن رزقك ما بكفيك ويمتلك ما بطنك)

كأحكام قصر الصلاة والتيمم والقبلة وغير ذلك مما يتوقف عليه في السفر (قال) الشيخ أبو يعقوب السوسى رحمه الله يحتاج
المسافر إلى أربعة أشياء في سفره وإلا فلا يسافر علم يسوسه وورع يحجزه موخلق يصونه ويقين ويحمّله (مثل) أبو رويم عن
أدب المسافر فقال ألا تسبق حمة خطواته موحيث ما وقف كان منزله (ومنها) أنهم إذا كانوا جماعة وليس فيهم مقدم ولا
شيخ أن يتفقوا على مقدم يرجعون إليه في أمرهم ففي بعض الآثار لا خير في قوم ليس فيهم من يعظم الله ومعناه ثابت
في الحديث عند المنذرى غير أنى لم أستحضره (وقال) السلى في آداب الصحة ومن آدابهم إذا اجتمعوا أن يقدموا أحدهم
لتكون مراجعتهم إليه واعتمادهم عليه ويكون أرجحهم عقلا ثم أكبرهم همة ثم أعلام حالاً ثم أعلمهم بالمذهب ثم أسنهم (قال)
النبي صلى الله عليه وسلم يؤم القوم أقرأهم لكتاب الله فان استروا فافقههم في الدين فان استروا فأسنهم فان استروا فافقههم
هجرة ثم أحسنهم خلقاً ثم أنتم أديبا ثم أسبقهم بقاء المشايخ اه المراد منه (وقال) أيضاً ومن آدابهم ألا يجرى بينهم في
حديثهم هذا ولا هذا لك ولو كان كذا لم يكن كذا ولعل وعسى ولم فقلت ولم تفعل وما يجرى جراحا فانها من أخلاق
العوام ثم قال ولا يجرى بينهم الإعارة والاستعارة (قال) بعضهم الصبر لا يبرروا يستعروا ولا تجرى بينهم المخاصمة ولا المجادلة
ولا الاستهزاء ولا الازدراء ولا المراجعة ولا المغالبة ولا الغلبة والقبضة لا تكون بينهم بل يكون كل واحد منهم الكبير
كالاين والصغير كالآب وللظنير كالآخ وللا دين والاستاذين كالمملوك (وهذا) ليس خاصاً بالسفر وإنما هو من آدابهم في
الصحة على الدوام وفي السفر أكثرهم لأن السفر يسفر عن المعاييب ولا يبقى على حاله في حال السفر إلا الصديق (ومنها)
أنه إذا أقبل وقرب إلى بلده قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له للملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيون تائبون

قلت من تمام نعمة الله على عبده أن يوجه همه إليه ويفرغ قلبه من التعلق بغيره كائناً ما كان فيرزه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو التقي بالله إذ لا نعمة أعظم من التقي بالله والنية عما سواه ويكفيه كل ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه فإذا رزقك الحق تعالى ما يكفيك لقيام بشرتك أكلاً ولباساً ومسكناً ولقيام روحانيتك علماً وعملاً وذوقاً ومعرفة ومنعك ما يطفئك ويشغلك عن حضورك مع ربك فقد آتم نعمته عليك فاشكره على ما أسدى إليك وتوجه إليه وحده فيما تعذر عليك وادفع وبشغل قلبك من النهوض إليه أن الله يدافع عن الذين آمنوا أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد استعاذ عليه السلام بما يشغل القلب وينسى الرب قراً أو غي فكان يتعوذ من الفقر المنسى والتقي المطفئ وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقال عليه السلام خير الذكر الخفي أي في القلب وهو الفكرة وخير الرزق ما يكنى وقال عليه السلام ما طلعت شمس إلا وبجناحيها ملكان يسمعان الخلائق غير الثقلين أيها الناس هلموا إلى ربكم ما قل وكفى خير مما كثر وألهمي وقال عليه السلام ليس التقي بكثرة العرض إنما التقي غنى النفس وفي ذلك قيل :

غنى النفس ما يكفيك عن سد خلعة فان زدت شيئاً عاد ذلك التقي قفراً

وقال عبد الواحد بن زيد رضى الله عنه سمعت أن جارية مجنونة في خراب الالة تنطق بالحكم فكنت أطلبها حتى وجدتها وهي مخلوقة الرأس وعليها جبة صوف فلما رأيته قلت مرحبا بك يا عبد الواحد فصجبت من معرفتها لي ولم ترني فقلت لها ربح الله بك ثم قالت ما جاء بك قلت تعطيني قالت واعجباً لواعظ يوعظ يا عبد الواحد اعلم أن العبد إذا كان في كفاية ومال إلى شيء من الدنيا سلبه الله حلوة الزهد وظل حيران ولما فإن كان له عند الله نصيب عاقبه وحياف سره فيقول له عبيد أردت رفع قدرك عند ملائكتي وأجعلك دليلاً لأولياي ومرشداً لأهل طاعتي قلت إلى عرض الدنيا

عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا يزال يقولها حتى يدخل البلد فإذا دخلها قال اللهم اجعل لنا بها قراراً وارزقنا حسناً فإذا دخل على أهله (قال أوبا أوبا) لربنا توباً لا يغادر علينا نحوياً (ومنها) أنه ينبغي أن يستصحب هدية لأهله وأقاربه وجيرانه على قدر وسعه (ومنها) أنه ينبغي أن يدخل أول النهار ولا يدخل ليلاً فان تعذر أرسل رسولاً يعلم به وقد نهى عليه السلام أن يطرق أهله ليلاً والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ثم أشار إلى الحكم الثامن من الأحكام التسعة وهو السؤال فقال (الثامن في السؤال) أي الطلب (قلت) ذكر في هذه الترجمة حكمه وآدابه ومواطنه فبدأ بحكمه فقال :

حكم السؤال عندهم مشروع طورا وطورا عندهم ممنوع

(قلت) اعلم أن السؤال أصله في الشريعة الجواز قال تعالى (وأما السائل فلا تهر) وقال عليه السلام اعط السائل ولو على فرسه ثم تعتبره الأحكام الخمسة يكون واجبا ومندوباً ومباحاً ومكروهاً وحراماً (فأما) الواجب فهو سؤال الاضطرار خوفاً على البشرية أو الروحانية وذلك إذا غلبته نفسه للرياسة والكبر (وقد) نص ابن العربي على وجوبه على المريد في بدايته حسبما ذكره القسطلاني في شرح البخاري في باب الزكاة (و) أما المندوب فهو إذا سأل لغيره عند حاجته أو لتهديب نفسه عند الأمن عليها وأما المباح فهو ما إذا سأل اختياراً لنفسه هل تقدر عليه أم لا وإذا طال عهده باختيارها هل رجعت لأصلها أو هي باقية على موتها وأما المكروه فهو سؤاله لنفسه عند الحاجة قبل الضرورة وقيل مباح على ماسياق (وأما) الحرام فهو السؤال تكثراً أو إلحاحاً وسيأتي الكلام على هذه الأقسام في شرح كلام الناظم إن شاء الله ثم أشار إلى القسم الواجب

وتركتني فأورثك ذلك الوحشة بعد الأنس والذل بعد العز والفقر بعد الغنى أرجع إلى ما كنت عليه أرجع إليك ما كنت تعرفه من نفسك ثم انصرفت عني وتركتني وبيت حسرتها في قلبي وفي بعض الكتب المنزلة أن هون ما أصنع بالعالم إذا مال إلى الدنيا أن أسليه حلاوة مناجاتي اه وإنا كانت الكفاية نعمة والزيادة عليها نقمة كما قال الشيخ لأن النفوس مجبولة على حب الصلاه وكرهية الفقد فإذا أعطاهما فرحت وإذا أزال عنها حررت فمن أراد أن يدوم فرحاً فلا يأخذ فوق كفايتهما يحزن على فقده كما أبان ذلك بقوله (ليقل ما تضرع به يقل ما تحزن عليه) قلت فإذا أراد أن يدوم سرورك فلا تملك شيئاً تحزن على فقده لأن حزنك على فقده دليل محبتك له فإذا اقتصر على الضرورة والحاجة من مال أو جاه أو عز أو غير ذلك فلا تجرد ما تفقده حتى تحزن عليه قيل لبعضهم لم لا تنتم قال لأنني لأأقنى ما يغني وفي ذلك قيل :
ومن سره أن لا يرى ما يسؤه فلا يتخذ شيئاً يخاف فقدا
فإن صلاح المرء يرجع كله فساد إذا الإنسان جاز به الحداد

(يحكي) أنه رفع لبعض الملوك قرح من فيروزج مرضاً بالجواهر لم ير له نظير فقرر به الملك فرحاً شديداً فقال لبعض الحكماء عنده كيف ترى هذا فقال أراه مصيبة وقرأ فقال كيف ذلك فقال ان انكسر كان مصيبة لا صبر لها وإن سرق صرت فقيراً إليه ولم تجده مثله وقد كنت قبل أن يحمل إليك في أمن المصيبة والفقر فاتفق انكسار القدر ف عظمت مصيبة الملك به فقال صدق الحكميم ليته لم يحمل اليها اه وهنا ميزان آخر أحسن من هذا وهو أنك إذا أطلقت من نفسك وجعلتها غرضاً لسهام أقدار ربك لا تمارضه فيها يفعل بك لاشك أنك تستريح ويوم فرحك لأنك حينئذ منتظر ما يبرز من عند الحبيب فتلقاه بالرضا والترحيب وهذه حلاوة برد الرضا والتسليم فإن صحبها شهود الفاعل المختار فهو النعيم المقيم وهذه أول المندوب فقال :

وما على السائل من تأويل لأجل قهر النفس والتذليل
فمن أولى الأدواق والأحوال من كان رض النفس بالسؤال
قالوا ولا خير إذن في العبد ما لم يكن قد ذاق طعم الرد

(قلت) السؤال لأجل قهر النفس يصدق قالوا يجب والمندوب قالوا يجب ما إذا كانت نفسه غالبية عليه وفيها تخففة وكبر ورئاسة ولا يمكن دواؤها إلا به لقوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال خردق من كبر والمندوب ما إذا كانت مأمونة من ذلك لكن تقل عليها وجحت منه وهو في محل الرياضة فهذا مستحب في حقه إذ لا يثقل عليها ما يثقلها ولا شيء أسرع في قتلها منه فتقرب عليه المسافة وهذا ما لم يأمر به شيخه والاعتين عليه وصار من قبيل الواجب (وقيده) الشيخ زروق بما إذا لم يوصله إلى ضرر في دينه ودنياه (قلت) مثل الضرر في الدين ما إذا كان ينكشف في الديار على محارم الناس لأن عادة النساء لا يسترن من الفقراء في السؤال ومثل ضرر الدنيا إذا خاف أن يقبض ويؤخذ منه (ثم قال) الشيخ زروق ولا يجعله الشيخ منهاجاً وقاعدة كلية يعرف بها قراءته فذلك يؤدي إلى نقص المقصود ولا سيما مع هيئة مقصودة وكيفية معلومة تصير صاحبها علماً فيما توجه له فزيده تميزاً وفساداً ولذلك قل ما ينبج من استعمله إلا أن يكون ذلك كما كان يفعله بعض الفقراء من أهل مصر لأنه كان إذا أتاه أحد من أبناء الدنيا ألزمه بذلك من غير شهوة حتى يأتي على آخر المدينة ثم يتصدق به فقد يكون له وجه انتهى (قلت) وما ذكره الشيخ زروق محمول على ما يفعله بعض الفقراء يأخذون علماً أو راية ويقصدون المداثر والحم وهذا حرام وأما ما يفعله أصحابنا فآثامهم لقتل النفوس وقوت الأرواح إذ لا يتم له

هي الولاية الكبرى من قلعتها لا يعزل عنها أبدا كما أشار إلى ذلك بقوله (إن أردت أن لا تمزل فلا تتولى ولاية لا تدوم لك) قلت الولاية التي لا تدوم هي الولاية التي تأتي من جهة الفرقوى ولاية الخلق كحكمة السلطنة والقضاء والقيادة وغير ذلك من الخطط التي قلعتها الله بعض عياده يدخل فيها أيضاً ولاية المال إذا كان يعظم من أجله أو النسب إذا كان عالياً عن التقوى أو العلم إذا كان عالياً عن العمل وغير ذلك من رئاسة الدنيا فإنها تفتى وتقطع وبمقابلة وقهر والولاية التي تدوم هي الولاية التي تأتي من جهة الجمع وهي العز باقه والتقى بمعرفة له والنية عما سواه فلا شك أن هذه ولاية لا تقطع وشرف لا ينفذ وزع لا يبد.

(يجي) إن سيدى عبد الله بن المبارك وكان من تابع التابعين ومن العلماء العاملين الزاهدين قدم على هارون الرشيد فلما دخل السكرك انكب عليه المسكر لزيارته فوقع من الازدحام ضجه كبيرة حتى قطعت النعال وارتفعت الغيرة فأشرفت أم ولد هارون من قصر الخشب فلما رأت كثرة الناس وازدحامهم قالت ما هذا قالوا لها هذا عالم خراسان فقالت هذا والله هو الملك والمز لا ملك هارون الذى يجمع الناس بالسوط والمعص وأيضاً الولاية التي تدوم تسحب عليه وعلى ذريته ثم تدوم فيهم على قدر جاهه عند الله وعظيم ولايته فكل من عظمت ولايته ذامت على أولاده وأتباعه بقدر تلك الولاية وهو معنى قوله تعالى على بعض التفسير (وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خلفوا عليهم) الآية وليخش الذين خلفوا على أولادهم فإن الله يحفظه فيهم وقيل في قوله تعالى وكان أبوما صالحاً أنه كان جدم السابح لحفظ الله كثر البنى ببركة صلاح الجد والله تعالى أعلم وأما إن توليت الولاية التي لا تدوم فكأن فيها على حذر ولا تقترب بجلالة بدايتها فان نهايتها مرارة كما أبان ذلك بقوله (إن رغبتك البدايات زهدتك النهايات) قلت الولاية التي لا تدوم كمر بمال أو جاه أو عشيرة أو غير ذلك من عز الدنيا أولها حلول لئمة النفس ووجود حظها فيها وآخرها

الفقر حين يؤمر به إلا بعد جهد جهيد وجهاد شديد بحيث تمنى النفس الموت الحسى اختياراً ورضى أن توت مراراً ولا تقدم له إلا أن الصدق وممة الشيخ تحمله على الامتثال فلا شك أنه يقرب مسافة بعيدة ويقتل النفس ويجهد عليها في مرة واحدة وأصل دخوله في هذه الطائفة على هذا الوجه أن شيخ شيخنا سيدى على العمراى كان له جاه ووزارة ورئاسة في فاس فلما دخل في يد الشيخ ورأى صدقه وعنده قال له لك خيرة لم يقدر عليها أحد قبلك ولولا ما رأيت فيك من الصدق والجد ما دلتك عليها قال وما هي يا سيدى قال السوق للسؤال فتقدم اليه (ورأيت) في كتابه أنه قال له يا ولدى انك تطلب هذا العلم ولا تبال منه ما زبد إلا بالذل فدخل فيه وسكن إلى ما نرضى الله عنه (قوله) فمن أولى الأدواق الخ يعنى أن بعض أهل الأدواق والأحوال كان راض نفسه أى رضىها وهنأ بالسؤال (قال) السلى رضى الله عنه وقد رخص بعضهم في السؤال لمن يقصد بذلك تذليل النفس (وقال) عبد الله بن منازل لا خير فيمن لم يثق طعم إجابة الرد وكان بعض المشايخ يأكل من السؤال فسل عن ذلك فقال اخترته لكرهته نفسى (وقال) الأستاذ أبو القاسم القشبرى ولا يزال الفقير يغير مادامت خبزه كسراً فإذا دارت الخبزة بين يديه دار الشر على رأسه وما أحسن حال السائل يقف بكل باب يسمع يفتح الله انتهى وكان إبراهيم الخواص تعرض عليه الآلاف فلا يقبلها وربما سأل من يعرف من الناس الدرهم والدرهمين لا يزيد على ذلك وكان أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجنيد يسأل باباً أو بابين أو ثلاثاً بين المشايخ فكانت العامة تتعجب منه أولاً ثم عرف بذلك فكان لا يبيعه عليه العامة ولا الخاصة مع جلالة قدره وعلو معرفته بربه (و) كان إبراهيم ابن آدم مكتكاً بجامع البصرة ولا يفطر إلا من ثلاثة أيام يخرج بعد صلاة المغرب يطلب على الأبواب

مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت ولما يعقبه من الذل والموان ولذلك قال عليه السلام نعمت الموضة وبست الفاطمة فان رغبتك في هذه الولاية التي تنق حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة نهايتها فان غرتك بظاهر هيجتها فاعتبر بباطن حسرتها إن رغبتك فيها حلاوة إقبالها زهدتك فيها مرارة إدبارها قال الشيخ أبو علي التقي رضي الله عنه أف لأشغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حسرتها إذا أدبرت والعاطل لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان قتته وإذا أدبر كان حسرة وأنشدوا في ذلك :

ومن يحمد الدنيا شيء يسره فسوف لعمرى عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا همومها

(وكتب على) كرم الله وجهه إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه مثل الدنيا كتل الحية بين لمسا قاتل سمها فاعرض عن كل ما يصحبك فيها لقله ما يصحبك منها ودع عنك همومها لما تيقنت من فراقها وكن أسرما تكون فيها أحزن ما تكون منها فإن صاحب الدنيا كلما أطمأن إلى سرورها أشخص إلى مكروها وقيل الدنيا أحلام منام وسرورها ظل غمام أحداثها سهام وقتتها طوام أي أمواج وسمها الله بالوحشة وقرنها بالفجائع والذهشة ثم أوحى لما يادنيا تشددى على أوليائى وتوسى على أعدائى فنظر الدنيا بين الإنصاف كفاه منها أقل الأوصاف إذ ليس فيها شيء محمود إلا وقابه شيء مذموم كالمال بالإنصراف والذهب بالشباب بالمهرم والصحة بالسقم والفرح بالحزن والعز بالذل والحياة بالموت (قلت) حكى عن الولي الصالح سيدي قاسم بن صبيح من قبيلة بني سعيد أنه قصد إذابته بعض الحكام ففر إلى سيدي النزالى بترعة جلس عند ضريحه مشتكيا بلسان حاله فدله من القبر بمود الريحان كاعدا مكتوبا لم يخف مداده فيه هذان البيتان :

إذا ما رماك الدهر يوما بنكة فبئس له صبرا ووسع له صدرا

فطره (وعن) راض نفسه بالسؤال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن المجنوب وكذلك الشيخ العارف أبو الحسن الششتري وفضله أيضا في أول بدايته أبو الحسن البردعي بأمر شيخه أبي عبد الله التاودي وغيرهم عن لا يعرف (وقوله) ولا خير إذن في العبد الخ يعني أن الفقير إذا لم يذق طعم الرذخى يكون الرد عنه أحلى من العطاء فلا خير فيه لأن نفسه لم تمت حيث استحسنت العطاء وثقل عليها المنع قالوا يجب عليه الدوام عليه حتى يذوق سره وذوق سره أن يكون المنع أحب اليها من العطاء والله تعالى أعلم ثم أشار إلى القسم المنوع فقال :

ومنوا السؤال للتكاثر بل حكوا عليه بالهجر
والقوم لما يسألوا الخافا ولا تكأرا ولا جزافا
بل ذاك كان منهم اضطرابا فيسألون القوت والإطرابا

(قلت) هذا من القسم المنوع وهو أن يسأل لقوت البشرية من غير اضطراب واختلف العلماء في القدر الذي تحرم منه المسألة فقيل أربعون درهما وقيل قوت يوم ويلة وهو أقرب والسؤال للتكاثر هو لاكتساب المال والتكاثر منه ولو صحبه نية قبل نفسه فلا ينفع لأن الخيت يتلب الطبيب لكثرة (أخرج) البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مزعة لحم والمزعة القطعة (و) قال أيضا صلى الله عليه وسلم إنما المسائل كدوح يكسح بها الرجل وجهه فنشأ أنبي على وجهه ومن شاء ترك إلا أن يسأل ذا سلطان في أمر لا يجد منه بدا اه والكدوح الخوخ (وقال) صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى

لأن تصارييف الزمان كثيرة فيوماً ترى عسراً ويوماً ترى يسراً

فن وقف مع ظاهر الدنيا نادته هواتف باطنها إنما نحن غرة فلا تتفر وهذا معنى قوله (إن دكك اليا ظاهر نهاك عنها باطن) قلت ظاهرها خضرة حلوة وباطنها خيفة مرة قال عليه السلام الدنيا خضرة حلوة وإن عما يبيت الربيع يقتل أو يلمحطاً الحديث فأخبره عليه السلام أن ظاهرها الدنيا خضرة حلوة وباطنها سم قاتل وقد شبه بعض الحكماء الدنيا بسبعة أشياء شبيها بالماء المالح يفرق ولا يروى ويضر ولا ينفع قلت وكذلك الدنيا تفرق صاحبها في حبها ويموت عطشاً ناء منها (وشبهها) بظل النعام يفر ويخذل قلت وهو الذي يغطى بعض المواضع فإذا أشرقت الشمس تشع عنه (وشبهها) بالبرق الخاطف يعني في سرعة الذهاب والاضطراب وبسحاب الصيف يضر ولا ينفع وبزهر الربيع يفر بزهرته ثم يصفر قتره هشياً وبأحلام النائم يرى السرور في منامه فإذا استيقظ لم يجد في يده شيئاً إلا الحسرة وبالصعل المشوب بالسلم الزعاف يفر ويقتل اه قال حفيده فأملت هذه الحروف السبعة سبعين سنة ثم زدت فيها حرفاً واحداً فشبها بالفرق التي تهلك من اجابها وتركها اه نقلها ابن عباد رضى الله عنه فأنظره ثم علل ككون الدنيا عللاً لهذه الأكدار والأغيار فقال (إنما جعلها محلاً للأغيار ومعدناً لوجود الأكدار تهيداً لك فيها) (إنما وسم الله الدنيا بهذه الأوصاف من كونها محلاً للأغيار والأحزان ومعدناً لوجود الأكدار والفتن تهيداً لك فيها) فتقبل بكليتك عليه وتوجه بهمتك اليه أو تعرض عن الدنيا وتقبل على الآخرة قال بعضهم إنما مثل الدنيا كالبهر الهائل المحيط بالبحر من وراء ذلك البحر ولا ينكشف الحجاب عن عين القلب بالنظرة إلى الدار الآخرة إلا بعد الجواز على ذلك البحر في سفن الصبر والرضى لأنه بحر لحي يشاه موج من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض يشاه موج الشهوات من فوقه موج الغفلات من فوقه سحب الكائنات وأيضاً لو بسطت لك الدنيا لكرهت لقاء الله فيكره الله لقاءك

يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه اه (وعن) على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل مسئلة عن ظهر غنى استكثر بها من رضى جهنم قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة (قلت) وهذا يرجع القول الثانى في القدر الذى يحرم معه السؤال وهذا كله مبنى على القصد والنية فمن كان مراده قوت الروحانية فلا كلام معه ومن كان مراده قوت البشرية خسر وغاب قل كل يعمل على شاكلته ومن عادة القوم اذا عرفوا أحداً يسأل لشهوة نفسه هجره ولا موه حتى يتوب ومن عادتهم أنهم لا يهتمون بالناس إلحافاً أى بحرص وإلحاح حتى يؤذى المسئول (قلت) وقد كان يفعل بعض الاخوان عفا الله عنهم فان كان لجذب غلب عليهم فيسلم ولا فقير صواب والله تعالى أعلم (وقيل) الإلحاف السؤال دون احتياج قال عليه الصلاة والسلام من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحف ويجمع بين مفهوم هذا والحديث المتقدم عن عن على كرم الله وجهه بأن المتقدم فى حق من عرف بالزهد والتوكل واشتهر بسبب الفقر وهذا فى حق العوام الذين لم يعرفوا بذلك كما قال عليه السلام فى فقير وجد عنه دينار فقال كية من نار وقد وجد عند غيره أكثر من ذلك فلم يقل فيه ذلك والله تعالى أعلم .

(و) السؤال جزافاً بكسر الجيم وفتح الزاى هو من يتخذ حرقه بصطاد به أموال الناس وذكر فى القاموس أن الجزاف بفتح الجيم وشد الزاى هو الصياد والمجرفة بكسر الميم شبكة بصطاد بها (قال) بندار بن الحسن رضى الله عنه من سأل وله ما يغنيه خفت أن يخاصه فقراء المسلمين يوم القيامة ويقولون أخذت ما جعل لنا من المال ولم تصكنا مناه (و) إنما كان سؤال القوم عند الفاقة والاضطرار دون السعة والاختيار والله تعالى أعلم ثم ذكر الآداب التي تكون

ولو بسطت لك المواقف والنعم لو كنت إلى هذا العالم تفتق دائماً في عالم الأشباح والمقصود منك هو الرحيل إلى عالم الأرواح ضيق الحق تعالى عليك هذا العالم السفلي لترحل منه بهمتك إلى العالم العلوي فهو منه سبحانه إنعام وإحسان لكنها في قالب الإمتحان فلا ينوقها إلا أولوا البصائر الحسان فهذا ما أشار إليه بقوله : (اعلم أنك لا تقبل النصح المجرد القول فنوذك من ذوقها) ما سهل عليك فراقتها قد علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقبل النصح بمجرد فلا يزهدي في الدنيا بمجرد سماع الوعظ إذ كثير من أهل العلم والقيم يسمعون القرآن يقرعون عليها ويحذرهم من غرورها وهم غائبون عن ذلك من التذكير مشغولون بما يوجب لقلوبهم التذكير فلما أراد سبحانه أن يصطفي لحضرته من شاء من عباده فنصبا عليهم وشدد عليهم البلاء والمحن وأجرى على ظاهريهم مواقع الفتن كل ذلك غناية ربهم لينوقوا مرارة باطنها فلا يفتروا بجلالة زخرف ظاهرها (سئل عليه السلام من أوليائه الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؟ قال الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها واهتموا بأجلها حين اهتم الناس بما جلها الحديث وقد تقدم عند قوله الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة فكل ما ينزل بالولي من هذه التعريفات الجلالية التي تنير النفس وتقرها فهو خير كثير في حقته فقد قالوا الامتحان بقدر الامكان وكل محنة تزيد مكنة واختيار الباقي يقطع التباقي فقد بقي في القلب بقية من حب شيء من هذا العالم أو ركون لشيء من الدنيا فيسقط عليه من يشوشه عليه وينغصه لديه كل ذلك غناية به ليرحل من هذا العالم إلى عالم الملكوت فإذا تحقق رحيله استوى عنده الخلو والمروءة والذلوالفنى والفقر لأنه تحقق أن كلا من عند الله وما في الوجود سواه وهذا هو العلم الحقيقي الذي هو العلم النافع واليه أشار بقوله (العلم النافع هو الذى ييسر في الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه) قلت العلم النافع هو علم القلوب بمرجه إلى تصفية القلوب

عند السؤال فقال :

(وأدب الصوفى عند المسئلة أن يدخل السوق إليه يستله)

(لسانه يشير نحو الخلق وقلبه حلق بالحق)

(قلت) السؤال الذى يكون لقوت الروحانية له آداب إذا دافعا استحق بذلك فتح الباب ورفع الحجاب وإن لم يفعلها لم يفتح له فيه الباب وربما كان زيادة في الحجاب (الأول) أن يكون قصده قوت الروحانية فقط أو قوت الفقراء أو من تعلق به مع الاضطراب وأما أن كان قصده قوت بشريته أو شهواته أو شهواته فضرره أكبر من نفعه (الثاني) أن يكون باذن من الشيخ فإن لم يكن إذن فقد خسر فيه وكل من تبطش نفسه فلا نفع له فيه إذ لا تموت النفس إلا بما يتقل عليها (الثالث) أن يكون متعلماً بجملة العبد الفقير يطلب المدد من العلى الكبير فيكون حافى الرجل عارى الرأس فقيراً ذليلاً ينادى سيده متاع الله قه ويحضر قلبه المعرفة حين يقول قه (الرابع) أن يكشف عن يده إلى الذراع ويمدها إلى نحو المسئول وينظر إلى وجهه لأن ذلك أشد على النفس وأسرع في موته إذا الحياء جله في العين والمراد منه إناؤه موت النفوس وحياة الأرواح (الخامس) أن يكون عارفاً أو مستشرفاً تكون يد مولاه يشير إلى أن الخلق حكمة وقلبه معلق بالملك الحق قال في الحكم لا يمد يد إلى الأخذ من الخلق إلا أن ترى أن المعطى فيهم مولاك فإن كنت كذلك فخذ ما وافقتك العلم (وقيل) من علامة الفقير الصادق أن يأخذ الصدقة بمن يطيله لا بمن جرت الصدقة على يده وعلامته أن لا يمد يده مائماً ولا يمدح معطياً ومن لم يكن عنده هذا العلم تعلمه قبل الخروج إلى السؤال فإن كثرت عليه العطاء فينبغي أن يقصر في السؤال لأن النفس مجبولة على حب العطاء وأما أن ظهر عليه المنع فينبغي أن يزيد فيه لأن ذلك حيث تدهض

من الرزائل وتعلتها بالفضائل أو تقول مرجعه إلى التخليق والتحقية فيبحث أولاً عن عيوب النفس وعيوب القلب وعيوب الروح وعيوب السرفيطر كل واحد من عيوبه فإذا تطهر من الجميع تحلى بصفات الكمال كالإيمان والإيقان والطمانينة والمراقبة والمشاهدة وتحلى أيضاً بالحلم والرفقة والسخاء والكرم والإيثار وسائر الأخلاق الحسنة فشعاع العلم الذي ينبسط في الصدر هو تلج اليقين ويرد الرضى والتسليم وحلاوة الإيمان ومواجيد العرفان وينشأ عن ذلك غفلة الله وهيبته والحياء من السكون والعلمانية وغير ذلك مما تقدم من الأخلاق الحسنة والقناع الذي ينكشف به عن القلب هو الغفلة وسبب الغفلة هو الرضى عن النفس وسبب الرضى عن النفس هو حب الدنيا الذي هو أصل كل خطيئة فمن حب الدنيا ينشأ الحسد والكبر والحقد والنصب والشح والبخل وحب الرياسة والقساوة والفظاظة والقلق وغير ذلك من العيوب فإذا انكشف هذه الأمور عن القلب انبسط فيه شعاع العلم الذي هو تلج اليقين ويرد الرضى وما تقدم ذكره لأن العلم باق نور في القلب وينبعث منه شعاع تبسط في الصدر فتكسبه الزهد في الدنيا فإذا زهد في الدنيا اتسع صدره باليقين والرضى والتسليم وغير ذلك من المحاسن فكشف القناع مقدم على بسط الشعاع فلو قدمه لكان أولى لأن التخليق مقدمة فلو قال هو الذي ينكشف عن القلب قناعه وينبسط في الصدر شعاعه ويحتمل أن يريد بانبساط الشعاع في الصدر نور الإسلام والإيمان وهي أنوار التوجه وبكشف القناع عن القلب كشف حجاب الحس وظلمة الكون فتبدو أنوار المواجهة وهي أنوار الإحسان وأسرار العرفان وعلى هذا يكون ترتيب كلام الشيخ حسن والله تعالى أعلم والحاصل أن العلم الذي يوجب الخشية هو العلم النافع وغيره ليس بنافع وإليه أشار بقوله (خير علم ما كانت الخشية معه) فإن لم تكن خشية فلا خير فيه لأن محبة على صاحبه وإليه أشار بقوله (العلم ان قارته الخشية فلك وإلا عليك) قلت لأن العلم الذي تصحبه الخشية يمنع صاحبه من الغفلة

لحياة الروح فان قبض شيئاً ولم يجد أحداً من الإخوان فليصدق بذلك ليلا بحيث لا يشعر به أحد أو يرميها في موضع خال والأحسن أن ينزل ذلك في موضع ينفع به الناس ولا يشعر به (السادس) ألا يستل من النساء ولا من الصبيان وهومن لم يحزن ولا من أهل الذمة ولا من لا يتحاشى من الحرام وهذا إن كان معه شيء من السلوك فان كان مجنباً محضاً فلا كلام عليه وهذا معنى قوله في الحكم غداً ما وافقك العلم وقد حرر المسئلة الشيخ ابن عباد علماً وتصوراً وذكرنا من ذلك في الشرح نبرة صالحة فلينظر ذلك من أرادته والله تعالى أعلم ثم ذكر القسم المكروه والمباح والمندوب فقال :

وكرهوا سؤاله نفسه ثم أباحوه لأهل جنسه
ولم يعدوه من السؤال لكن من العون على الأعمال
إذ كان خير الخلق في أتباعه يستل أحياناً إلى أصحابه

(قلت) اتفقت الصوفية على كراهية سؤال الفقير لقوت بشرته عند الحاجة مع ما يبلغ حالة الاضطراب وحالة الاضطراب أن يصف عن العمل أو تضعف فكرته أو ان كان مسافراً ضعف قوته على السير فهذا يباح له أو يندب فان خاف على نفسه وجب فان لم يبلغ الفقير إلى الحال الذي وصفنا فالأفضل في حقه الصبر والاكتفاء بطلب الله حتى يأتيه الله برزقه ان الله يرزق من يشاء بغير حساب ويعطى بلا أسباب (قد قيل) ما نزلت فاقه بمؤمن فأنزلها بالله فدامت عليه أكثر من ثلاثة أيام قط (وفي) حكاية بشر الخافي رضى الله عنه قال رأيت على بن أبي طالب رضى الله عنه في النوم فقلت بالأمير المؤمنين ما أحسن عطف الاغنياء على الفقراء طلباً للثواب فقال رضى الله عنه وأحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء فقه (٤١ - ايقاظ ثاني)

وأسيابها ويزهده في كل ما يشغل عن العمل به ويرغبه في كل ما يقربه إلى ربه فيكون عوناً له على الوصول إلى معرفة الله والقرب من ساحة رضائه فإن لم تقارن الخشية كلزوبالاً عليه لأنه يحثك حجة عليه لأن المعصية مع العلم أقبح من المعصية مع الجهل وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال ويل للجاهل مرة وويل للعالم إذا لم يعمل عشر مرات ذكره الغزالي ومثله قول الشيخ أبي الحسن رضي الله عنه في حربه الكبير قالويل لمن يعرفك بل الويل ثم الويل لمن أقر بوجدانيتك ولم يرض بأحكامك فإن قلت قد ورد في بعض الأحاديث أن ينظر للعالم أربعين ذنباً قبل أن ينظر للجاهل ذنباً واحداً قلت قد يجاب بأن الحديث الأول ورد في من مات مصراً من العالم والجاهل فإن عذاب العالم أكثر لأنه قد ورد أنه يجر قصبة في النار وينور في رحي جهنم بخلاف الجاهل لم يرد فيه ، هذا والحديث الثاني فيمن تحققت توبته منهما فإن العالم بيده مصباح العلم يستدرك بهما فأت أكثر من الجاهل إذا تاب فقد يجبر العالم من الخلل في شهر ما لا يجبره الجاهل في سنة أو أكثر والحاصل أن الأول في العالم والجاهل إذا ماتا مصرين والثاني فهما إذا تابا وأصلحا والله تعالى أعلم وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي العلم كالدنانير والبرام إن شاء الله فعملك بها وإن شاء ضرك بها وقال في لطائف المثنى شاهد العلم الذي هو مطلوب الله تعالى من عباده الخشية لله وشاهد الخشية موافقة الأمر أما علم أن تكون معه الرغبة في العلم والتخلق لأربابها وصرف الهمة لاكتسابها والجمع والادخل والمباحاة والاستكبار وطول الأمل ونسيان الآخرة فإبعد من هذا علمه من أن يكون من ورثة الأنبياء عليهم السلام وهل يتقل الشيء الموروث إلى الوارث إلا بالصفة التي كان بها عند الموروث ومثل من هذه الأوصاف أو صاف من العلماء كمثل الشمعة تضيء على غيرها وهي تحرق نفسها جعل الله العلم الذي علمه من هذا وصفه حجة عليه وسياً في تكثير العقوبة لديه اه قال الشيخ زروق رضي الله عنه وفيه أشعار بأن العالم

بالله والله در القاتل :

إذا مددت الكف ألقى النقي إلى غير من قال أسألوني فقلت

سأصبر جهدي في صيانة عزتي وأرضى بدنياي وإن هي قلت

(وقال) بعض الحكماء عز التزاهة أشرف من سرور القائمة (وفي) الحكماء بما استجيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاه اكتفاء بمشيئته فكيف لا يستحي أن يرضها لخلقته (وقوله) ثم أباحوه لأهل جنسه يعني أنهم أباحوا السؤال لاخوانه المحتاجين وهم أهل جنسه لأن الفقراء جنس والعوام جنس وهذا مندوب ولم يعدوا هذا من السؤال وإنما هو من التعاون على البر والتقوى وقد فعله عليه الصلاة والسلام لأصحابه حين قدموا عليه عراة غطيت في الناس وقال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الآية ثم قال صدق زجل من ديار من درهم من صاع بره ثم من صاع تمره اتقوا النار ولو بشق تمره وكقوله للنساء يامعشر النساء تصدقن ولو من حليكن والكحل منه عليه السلام للتشريع وتحصيل الخير السائل والمعطي وليس على معنى المسئلة قاله الشيخ زروق رضي الله عنه وإليه أشار بقوله إذا كان خير الخلق في أثرابه والارتاب بالثناء المتناه من فوق الأقران فإن أراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فلهما اطلاع على نقل وإن الأنبياء كانوا يسألون لأصحابهم وإن أراد به غير ذلك فلا تحمله اللمة إذ الارتاب لا يطلق إلا على الأقران والأقران هم المشاركون في الوصف والله تعالى أعلم ثم ذكر منابض صحة السؤال فقال :

ولا تصف بصحة السؤال من يؤثر الأخذ على الإبدال

(قلت) لا يسلم حال السؤال للفقير ويوصف بصحة قصده فيه حتى يكون البذلوا لاخراج من يده أحسن عنده من

غير المتقى ليس بوارث وفيه نظر لأن إفساد الموروث والعمل به في غير حق لا يخرج عن كون الوارث وارثاً والعقوب لا يبنى النسب لكن يقال فيه وارث سوء وقد أثبت الله العلم لمن يحشاه ومافاه عن من لم يحشاه اه
(قلت) وقد يقال الموروث عن الأنبياء هو غاية العلم وثمرته وهي الحشية والعرقه به لا مجرد الرسوم لأن ذلك واسطه فإذا لم يحصل المتوسط فلا عبرة بالواسطه فإذا لاوارثه لاسالم الرسوم إذ ليست مقصودة بالذات وقد كان الشيخ الولي الكبير ابن أبي حمزة يقول في علماء وقته إنما هم معلون يعني أنهم محترفون بحرقه العلم فهم صناع وليسوا بعلماء والله تعالى أعلم .

(وقد) أشيع الشيخ ابن عباد الكلام في هذا الموضوع فليطالع من أراد تخطيط نفسه من حجة العلم والله تعالى التوفيق ومن علامة العلم النافع القناعة بعلم الله والاكتفاء بنظره وثمرة القناعة عدم المبالاة بذي الناس ومدحهم وإقبالهم وإدبارهم اكتفاء بعلم الله ونظره كما إبان ذلك بقوله (مضى أملك عدم إقبال الناس عليك أو توجيههم بالذم اليك فارجع إلى علم الله فيك فان كان لا يقنعك عليه فيك فصيتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيتك بوجود الأذى منهم) قلت إذ سلب الله عليك خلقه ليختبرك هل أنت غني به أو يخلقه فأدبروا عنك أو اشتغلوا بذمك وشتك ثم توجهت من ذلك فارجع إلى علم الله فيك وإطلاعه عليك إذ لا ينبغي عليه شيء من أمرك فان كفك ذلك وقنعت به وأنست بذكره أو شهوده استوى عندك ذمهم ومدحهم وإقبالهم وإدبارهم بل ربما أثرت إدبارهم إذ فيه راحتك وتفرغ قلبك مع ربك فان لم تقنع بعلم الله ولم تكف بنظره وتأسفت على إدبارهم أو نالت من أذام فصيتك بضعف إيمانك وذهاب يقينك أشد من مصية ذم الناس وإدبارهم عنك لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه وسقوطك من عين محبه وأما اذاية الخلق وبعدهم عنك فرحمة بك وأيضاً إذا اشتغل الناس بذمك واضرارك فانظر أنت مقامك مع ربك فان كنت مع ربك صافياً فلا يكيدك شيء.

القبض من الناس (قال) الجنيد رضي الله عنه لا يصح السؤال إلا لمن العطاء أحب إليه من الأخذاه وكذلك السلف الصالح كان العدم أحب إليهم من التحصيل والمنع أحب إليهم من العطاء إذا أقبلت الدنيا قالوا ذنب عجلت عقوبته وإذا أقبل الفقر قالوا مرحباً بشعار العالحين إلى غير ذلك من حكاياتهم رضي الله عنهم ثم ختم الباب بمسئلة التجريد فقال :

والشغل دون الكسب بالعبادة محض التوكل ورأى السادة

ثم السؤال آخر المسكاسب وهو بشرط الاضطرار واجد

(قلت) الاشتغال بالعبادة والتجريد عن الأسباب من أعظم القرب عند ذوي الأبواب إذ لا يصفوا الباطن من الأغيار ويعلم بالمعارف والأسرار إلا إذا تخلص الظاهر من كثرة الأكدار ولا يتخلص من الأكدار إلا إذا تجرد من الأسباب واتكل على الملك الوهاب قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تتدو خصاصاً وتروح بطاناً فصفاء الباطن من صفاء الظاهر وتنشأ الباطن من تنشأ الظاهر فالاشتغال بالعبادة دون الاكتساب هو محض التوكل على مسبب الأسباب عند السادات أولى الأبواب (وقد) تكلم الناس على درجات التوكل وأحسن ما في ذلك ما قاله أبو حامد الغزالي رضي الله عنه قال في الأحياء التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أي فوضه إليه واعتمد عليه ويسمى الموكل إليه وكلياً ثم قال فاتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده ثم قال فان ثبت في نفسك بكشف أو اعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية

ولا يضرك شيء كما قال شيخنا المحبوب رضي الله عنه :

الناس قالوا لي بدعي وأنا طريق منجوراً

إذا صغيت مع ربي العبد مامنه ضروراً

وقال إبراهيم التيمي رضي الله عنه لبعض أصحابه ما يقول الناس في قال يقولون إنك مرأى قال الآن طالب العيش قال بشر الخافى حين بلغه كلام التيمي اكتفى والله يعلم الله لم يجب أن يدخل مع علم غيره وقال أيضاً سكوت القلب إلى قبول المدح لها أشد فيها من المعاصي (وقال) أحمد بن الحواري رضي الله عنه من أحب أن يعرف بشيء من الخير أو يذكرك به فقد أشرك مع الله في عبادته لأن من عمل على المحبة لا يجب أن يرى عمله غير محبوبه (وقال) الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه لا تنشر عليك ليعصدقك الناس وانتشر عليك ليعصدقك الله وإن كان لام العلة موجوداً فلة تكون بينك وبين الله من حيث أمرك خير من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك ولعله تردك إلى الله خير لك من علة تقطعك عن الله فلاجل ذلك لم يعلموا بالثواب إذ لا يخاف ولا يرجي إلا من قبل الله وكفى بالله صادقا ومصداقاً وكفى بالله علماً ومعلماً وكفى بالله هادياً ونصيراً أوولياً هادياً يهدي بك ويهدي إليك ونصيراً ينصر بك ولا ينصر عليك وولياً يوالى بك ولا يوالى عليك اه ثم ذكر حكمة وجود الآذنى من الخلق لأولياء الله فقال (إنما أجرى الآذنى عليهم كي لا تكون ساكناً اليهم أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشغلك عنه شيء) قلت الروح إذا ركنت إلى هذا العالم السفلى وسكنت فيه وأجبت عافيه تذرقلها إلى عالم الملكوت الذى هو العالم الروحاني لما ألفت من حب الأهل والأولاد والأصحاب والعشائر فن حكمة الله تعالى ولطفه وإبراره بوليه أن يحرك عليه ماركنت نفسه وألفته روحه الأحب فالأحب فأول من ينكره أهله وأولادهم جيرانه وأحباه ثم ينكره العالم بأسره فإذا رأت الروح

والرحمة بمجمله العباد وأنه ليس وراء قدرته قدرة لا وراء منتهى علمه ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة انكل لأحالة قلبك عليه وحده ولم يلفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فانه لا حول ولا قوة إلا بالله فان الحول عبارة عن القدرة فان كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيبها أحد أمرين إما ضعف اليقين وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجن عليه ثم قال وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلت الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات (الأولى) ما ذكرناه وان يكون حاله في حق الله تعالى والثقة بكفالاته وعنايته كحاله بالثقة بالوكيل (الدرجة الثانية) وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع إلى سواها ولا يعتمد إلا إياها فان رآها تعلق بكل حال بذيلها وإن نابه أمر في غيبتها كان أول سابق إلى لسانه يا أماه وأول خطر يخطر على قلبه أمه فانها مفزعة لانه قد وثق بكفالاتها وشفقتها ثقة منه إنها ليست بتاركة ثم قال الفرق بين هذا وبين الأول ان هذا قد في توكله عن توكله إذ ليس يلفت فيه إلى التوكل وحقيقته بل إلى التوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير التوكل عليه وأما الأول فتوكل بالتكلف والكسب وليس قانبا عن توكله ثم قال (الدرجة الثالثة) وهي أعلاها أن يكون بين يدى الله تعالى مثل الميت بين يدى الناس لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسياً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد الغاسل الميت وهو الذى يرى يقينه بأنه يجرى الحركة والقدرة والإرادتوسائر الصفات فيكون عندا انتظار لما يجرى عليه كالميت ويفارق الصبي بأن الصبي يفزع إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويدخل خلفها صباحاً وهذا المقام في التوكل يصح منه ترك

أن هذا العالم أنكرها وضاق عليها رحلت إلى مولاها ولم يبق لها تشوف إلى هذا العالم أصلاً حينئذ بكل وصلها ويتحقق فناؤها بقاؤها فلو بقيت النفس على ما هي عليه من السكون تحت ظل الجاه والمزما رحلت من هذا العالم أصلاً وكما توفى على الأولياء الأذى دل على علو مقامهم عند المولى فأنما أجرى الحق سبحانه الأذى على أيدى الخلق اليك إذ هو أجرى والمنفى فلا فاعل غيره كي لا تكون ساكناً بقلبك وروحك إليهم فيعولك ذلك عن العروج إلى الملكوت أودا الحق تعالى أن يزجلك عن كل شيء من هذا العالم حتى لا تترك إلى شيء ولا يشغلك عن شهوده شيء إذ محال أن تشبهه وتشهد معه سواء أو تحبه وتحب معه سواء أبت المحبة أن تشهد غير محبها فإذا تمكنت المحبة وكل الشهود درهم إن شاء إلى عباده مرشدين إليهم بالله قال في لطائف المizan أعل أن أولياء الله تعالى حكمهم في بدايتهم أن يسلط الخلق عليهم ليظهروا من البقايا وتكمل فهم للمزايا وكى لا يساكنوا هذا الخلق باعتد أو يعيلا إليهم باستناد ومن آذاك قد أعقك من رق احسانه ومن أحسن اليك فقد استرقت بوجود امتنانه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم كسر وفاك فكونوه فان لم تقدرُوا فادعوا له لكل ذلك ليتخلص القلب من رق احسان الخلق ويتعلق بالملك الحق ثم قال وقال الشيخ أبو الحسن اهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرم فان خيرهم يصيبك في قلبك وشرم يصيبك في بدنك ولان تصاب في بدنك خير من أن تصاب في قلبك ولعدو تصل به إلى الله خير من حبيب يقطعك عن الله وعد اقبالهم عليك ليلا وادبارهم عنك نهارا ألا تراهم إذا أقبلوا فتوا قال وتسلط الخلق على أولياء الله في مبدأ طريقهم سنة الله في أجهاته وأصفياته قال الشيخ أبو الحسن في حربه اللهم ان القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا ثم قال وما يملك على أن هذه سنة الله في أجهاته وأصفياته قوله تعالى (وزلزلوا حتى يقول الرسول) الآية وغير ذلك من الآيات الدالة على

الدعاء والسؤال ثقة منه بكرمه وعنايته فانه يعطى ابتداء أفضل مما يستل والمقام الثاني لا يقتضى ترك الدعاء والسؤال انما يقتضى ترك السؤال من غيره (فان قلت) هل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالاسباب في هذه الاحوال (فاعلم) أن المقام الثالث بنى التدبير رأسا ما دامت الحالة باقية بل يكون صاحبها كالميت والمقام الثاني بنى كل تدبير إلا من حيث الفرع إلى الله لكن بالدعاء والابتهاج كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط والمقام الاول لا ينشأ أصل التدبير والاختيار ولكن ينشأ بعض التدبيرات كاللثوق على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهة غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذى أشار اليه وكيله به أو التدبير الذى عرفه من عادته وسنته دون صريح اشارته اه المقصود منه مختصرا واختصارا في مسئلة التجريد ما أشار اليه ابن عطاء الله بقوله ارادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الاسباب من الشهوة الخفية و ارادتك الاسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحصاط عن الهمة العلية وقال في موضع آخر من علامة إقامة الله إياك في الشيء تيسره لك مع حصول النتائج اه وهذا كله مع عدم الشيخ وأما من ظفر بالشيخ فهو الذى يقوم به تجريدا وأسبابا (وقوله) ثم السؤال الخ أشار به إلى الحديث والمسئلة آخر كسب الرجل وقال أيضاً صلى الله عليه وسلم في ذم كثرة السؤال إن الله ينهكم عن وأد البنات وعقوق الامهات وضع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال اه وهذا آخر الفصل الثامن وهذه الفصول الثمانية كلها مقدمة لما يذكره في هذا الفصل التاسع الذى أشار اليه بقوله (التاسع) في حكم المريدين ومعنى الارادة وفائدة الشيخ وتدرج المريد أن يصير شيخا (قال الشيخ زروق رضى الله عنه) هذا الفصل هو لباب الكتاب وسر الطريق ومدارها وكل ما قبله أو بعده دائر عليه وذكره في أربعة مواقف لكل موقف معادل ومعاهد بطول شرحها (قلت) أما حكم المريد فالمراد ما يلزمه في بدايته من العلم الضروري ثم المجاهدة في الاعمال الظاهرة

هذا المعنى اهـ (وقال) بعض العارفين ويجب أن تعلم أن النفوس شأنها استحلاء الإقامة في موطن العز والرفعة فلو تركها الحق سبحانه لمكبت فأزعجها عن ذلك بما سلط عليها من أذى المؤذين ومعارضة الجاحدين وفي هذا المعنى قيل :

عدائي لهم فضل على ومئة فلا أبعد الرحمن عن الأعداء
فهم يحثوا عن زئي فأجسبتها وهم نافسون فارتكبت المماليا

وقال بعضهم النصيحة من العدو سوط من الله يرد بها القلوب إذا سكنت إلى غيره وإلا رقد القلب في ظل العز والجاه وهو حجاب عن الله تعالى عظيم وقال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه أذاني إنسان مرة فضقت ذرعا بذلك فتمت فرأيت يقال لى من علامة الصديقية كثرة أعدائها ثم لا يبالي بهم اهـ إذا تقرر هذا علمت أن اذابة الخلق للولى سنة ماضية يعنى سنة أنبياء الله ورسله فلن نجد لسنة الله تبديلا وانظر أحوال نبيينا عليه الصلاة والسلام ما رأى مع قريش وبنى وائل مكث معهم بعد النبوة التي هي محل الأذى من الخلق ثلاثة عشرة سنة كلها جلال وشدة وبلاء وحين انتقل إلى المدينة لم تكن له راحة بين جهاد وتعليم ومعاونة أبحار يهود بالأذابة والتضييق حتى لقي الله صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم وكذلك أصحابه معه وبعده لم تكن لهم راحة وجلهم ماتوا مقتولين فقدمت الصديق مسموما ومات الفاروق مقتولا وعثمان مذبوحا وسيدنا على مضروبا بالسهم مسموما حتى مات والحسن مسموما والحسين مقتولا حتى لعبوا برأسه بالشام ثم دفن بمصر فداء بعض الملوك ودفنه بمصر وهو مزاراة الحسين المشهورة عندهم ثم مالا يحصى وقد سعى بالجنيد وأصحابه للسلطان وأتى بهم للسيف ثم لطف الله بهم (وقصتهم) ان فقهاء بغداد قالوا للتوكل ان الجنيد قد تزندق هو وأصحابه فقال لهم الملك وكان يميل إلى الجنيد يا أعداء الله ما أردتم إلا أن تقتلوا أولياء من الأرض واحدا بعد واحد قتلتم الخلاج وأتم

والاستقامة الكاملة وما يلزمه في وسطه من الرياضات الباطنية ومقاساة الأحوال السنية ثم ما يلزمه في نهايته من الاستفراق في الشهود والفناء في ذات المعبود ثم الرجوع إلى البقاء بنظره إلى الحكمة والقدرة وسيأتي تفسير المريد ولماذا سمي المريد مريدا (وأما) معنى الإرادة فهو طلب السلوك إلى ملك الملوك أو تقول هي صدق الوجهة إلى الله بأفراد القصد إلى حضرة مولاه فالمرید سالك والمراد بمحبوب المريد محبوب المراد محبوب (وأما) فائدة الشيخ فهو جمع القلوب لحضرة الرب أو رفع حجاب الوهم بتحصيل حقيقة العلم أو تدرج المريد في مقامات الانزال وتبعيده عن القواطع والاشغال (وأما) تدرج المريد فهو نقله من شهود الحكمة إلى شهود القدرة ومن شهود القدرة إلى شهود الحضرة وهي شهود الذات أو تقول تدرجه هو نقله من شهود الأسماء إلى شهود الصفات ومن شهود الصفات إلى شهود الذات ثم من شهود الذات يرد إلى أثر الصفات هذه طريقة السلوك (وأما) طريق الجذب فهو شهود الذات أولا ثم شهود الصفات ثم شهود الحكمة في عين القدرة والله تعالى أعلم (ثم) اعلم أن الناس على ثلاثة أقسام طالبون ومريدون ومرادون فالطالبون هم الذين يطلبون الشيخ ويتعطلون إليه أو هم الذين يطلبون الطريق إلى علم التحقيق ولا يعرف الطريق إلا من سلكها فإن علم الله صدهم وصلهم إليه والمريدون هم الذين اتصلوا بالشيخ واشتغلوا بالسير وهو السلوك المرادون هم الذين اجتذبوا إلى الحضرة أما بعد السلوك وهم الكل أو قبله فأشار الناظم إلى القسم الأول وهو الطالب فقال :

فإن أتى القوم أخوتون وقال يا قوم أتعلمون
تقبلوه صادقا أو كاذبا إذ كان محتوما عليهم واجبا

ترونها كل يوم عبارة ولا تزدجرون وهذا الجنيد لاسبيل لكم اليه حتى تنظروا بالحجة فاجمعوا له الفقهاء واعلموا له مجلسا فان
أتم غلبتموه وشهد الناس بأنكم غالبون عليه قتلته وإن هو عليكم واقع لأمسين عليكم بالسيف حتى لا نبقى منكم أحدا على
الأرض قالوا نعم فاجمعوا له الفقهاء من الشام واليمن والمراة والامصار فلما اجتمع الفقهاء في ذلك حتى لم يبق في الجوانب
الاربعة من يعرف مسئلة في دينه إلا حضر فلما اجتمع الفقهاء في المجلس بعث الملك اليه قائي هو وأصحابه الى باب القصر
فدخل الجنيد وترك أصحابه وأدى حتى الخليفة يعنى من التعظيم وقد قدام اليه أحد الفقهاء يسئله في مسئلة فسمع القاضى
على بن أبى ثور فقال لهم تسألون الجنيد فقالوا نعم فقال لهم أفدكم من هو الله منه فقالوا لا فقال يا عجباً هو الله منكم في
عليكم وقد تفقه في علم تنكروا له عليه يعنى ولا تعرفونه فكيف تستلون رجلا لا تدرون ما يقول فبعت القوم وسكتوا زماناً ثم
قالوا ما العمل يا قاضى المسلمين فأشربنا شئت فصنع فأمره مطاع قال فرد القاضى وجهه الى الأمير وقال له أترك الجنيد
وأخرج إلى أصحابه صاحب سيفك وهو الوليد بن ربيعة بنادى فيهم من يقوم الى السيف فأول من يقوم اليه ناله فقال
الملك يرحمك الله ذلك زرع القوم ولم تطهر لكم حجة لا تحمل لنا ذلك فقال القاضى يا أمير المؤمنين إن الصوفية يحبون
الأيثار على أنفسهم حتى بأنفسهم فأذن من ينادى أيكم يقوم للسيف فالرجل الذى يقوم مبادراً الى السيف هو أكثر
الناس جهلاً وأكثرهم صداقة عز وجل فيقوم يؤثر أصحابه بالعيش بعده فإذا قدم أجهلهم علينا جعل الفقهاء ينظرونه
فيما يطلبونه منه فإن الفقهاء لا يطلبونه ولا يتلهم فيقع الصلح بيننا وبينهم فانها قد نزلت مصيبة عظيمة لا ندرى لمن وقع النجاة
منها فانه ان قتل الجنيد نزلت داهية في الاسلام فانه قلب الايمان في عصرنا وإن قتل العلماء والفقهاء فهي مصيبة عظيمة
فقال له الأمير قد درك لقد أصبت ثم عطف على الوليد وقال افضل ما فعل لك القاضى فخرج الوليد وهو مقل سيفه فوقف

(قلت) الفتون جمع فتنة وهي ما يقطع عن الله ويشغل القلب عن الحضور مع مولاه وأخوها هو الملتبس بها
والمنهمك فيها سواء كانت هذه الفتون ذنوباً أو عيوباً أو أشغالاتاً أو أموالاً أو أضيافاً أو أكداراً فإذا أراد الله أن يخلصه
من تلك الفتن سواء كانت ظاهرة أو باطنة التي في قلبه الاضطراب الى الله وحسن الظن بعباد الله فإذا أطلعه على سر ولى
من أوليائه وأتى اليه وقال له جئتك لتقبلني وتأخذ يدي وجب عليه قبوله والأخذ بيده لأن رده نوع من كتم العلم وقد
قال الله تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا) الآية (وأيضاً) رده الى ما كان عليه فيه اعانة له على الدوام فياهو فيه والاعانة
على المعصية معصية هذا إن كان صادقا في ارادته وإما إن كان كاذبا فلما فيه من تقليل المغاسد وتعميقه لنفحة رحمة الله
بالوقوف يابها وغالطة أوليائه وهم قوم لا يشق جليسهم ولعل الله أن يفتح عليه بمثل ما فتح عليهم اذكل من تحلى بحالة
لا يخلو حاضروه منها فمن جالس المطار طالب بطييه وقه رجال من نظر اليهم نظرة سعد سعادة لا يشق بعدها أبداً
وقه رجال إذا نظروا أغنوا غنى لا فقر بعده أبداً رضى الله عنهم وخرطنا في سلكهم آمين ثم ذكر ما يؤمر به بعد
الدخول فقال

وحذوه من ركوب الاثم وأمره باقتباس العلم
وأمره بلزوم الطلعة والماء والقبلة والجماعة
وقررُوا فيه شروط التوبة وأمره بلزوم الصحة
ثم أمدوه بعلم ظاهر حتى استقامت عنده السرائر

(قلت) إذا أتى الفقير الى الشيخ ليأخذ بيده فأول ما يلقنه الورد فإن التلقين فيه بركة عظيمة وقبل أن ينهض الإنسان

على المريدین وهم مائتان وسبعون رجلاً قعوداً ناكسين رؤسهم وهم يذكرون الله فنادى فيهم أفيكم من يقوم إلى السيف فقام إليه رجل يقال له أبو الحسن الثوري فقال الوليد ما رأيت طائراً أسرع منه فقاماً بين يدي فصبحت من سرعة قيامه قتلته يا هذا أعلمت لما قتلت فقال نعم ألم يقتل أفيكم من يقوم للسيف قتلته له نعم فقال ولم تقت قال علمت أن الدنيا بين المؤمن فأحببت أن أخرج إلى دار الفوز وأن أوثر أصحابي على البئس ولو ساعة ولعل أقتل فيطفي الشرف فيسلم جميعهم ولا يقتل أحد غيري قال صاحب فصبحت من فصاحته قتلته أجب القاضي فقير لونه وسالت عبرته على خده فقال أو دعاني القاضي قلت نعم دعاك قال فحقاً على إجابته فدخلت وهو معي فأخبرت الملك والقاضي بقصته فتعجباً منه وسأله القاضي عن مسألة غريبة فقال من أنت ولم خلقت وما أراد الله بخلقك وابن هو ربك منك فقال ومن أنت الذي تسألني فقال أنا قاضي القضاة فقال له إذا لأرب غيرك ولا معبود سواك أنت قاضي القضاة وهذا يوم الفصل والتضاء والناس قد حشروا ضحى فابن النفخة في الصور التي قال الله فيها (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) أنا من صعق أم أنا من شاء الله الذي لم أشهد النفخ فبهت القاضي زماناً وقال يا هذا أوجلت مني إلهاً قال معاذ الله بل أنت تأملت حيث سميت بقاضي القضاة وليس قاضي القضاة إلا القاضي الذي يقضي ولا يقضي عليه أضاعت عليك الأسماء أما فكيفك قاضي المسلمين أو أحد الفقهاء أم أحد من عباد الله حتى سميت بقاضي القضاة إذا استكبر أن تقول أنا على ابن أبي ثور فأزال بقرعه حتى بكى القاضي وهم أن تزهق نفسه وبكى الملك لبكائه وبكى الجنيد فقال لتليذه أقصر من عتابك للقاضي فقد قتله غفل سبيله فلما أفاق القاضي قال يا أبا الحسن أجبني عن مسئلتى وأنا أتوب إلى الله بين يديك فقال اذكر مسألتك فاني نسيتها فأعاد عليه مسألته فنظر عن يمينه وقال أتجاوبه ثم قال حسبي الله ثم فعل عن يساره مثل

قبل التلقين والتلقين سلسلة مروية عن السادات إلى سيدنا على كرم الله وجهه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يأمره بالتوبة ورد المغالمة ونهض الدين بقدر الاستطاعة ويحذره من الرجوع إلى ما كان عليه (ثم) يعلمه ما يلزمه في دينه من طهارة وصلاة وما يتعلق بذلك أن كان جاهلاً وما تيسر من علم التوحيد خالياً عن الدليل فإن كان الشيخ ليس من شأنه ذلك دفعه إلى من يعلمه (ثم) يأمر بلزوم الطاعة من صلاة وصيام وذكر وغير ذلك كل واحد ما يليق به لأن الشيخ تقدم أنه يكون طيباً ماهراً ثم يأمر بالصحة ولزوم مجالسة الشيخ والاجتماع مع الأخوان فطريق التزوية ليست طريق الانفراد وإنما هي طريق الاجتماع والاستماع والانباغ فبها انفرد المريد عن الأخوان لم يكن منه شيء فإن تعذر إقامته مع الشيخ أمره بالزيارة والوصول فقد الشيخ جاز إلى المريد كالساقية أو القادوس فإن كان يتعاهدها ويغنى معها بقى الماء جارياً وإن غفل عنها غرم الماء وانقلب مع غيره (و) أيضاً الوصول إلى الشيخ يدل على المحبة والانقطاع يدل على تقصها كما قال المجنوب رضى الله عنه .

لا يحب إلا بوصول ولا وصول إلا غلى لا شراب إلا بخوم ولا مقام إلا على

(ثم) يذكره أولاً بما يصلح جوارحه الظاهرة وهي التقوى والاستقامة فإذا صلحت جوارحه الظاهرة أمره بالمولدة والصمت والجوع المتوسط و فراغ القلب والفناء في الاسم المفرد فإذا رآه تحقق فأنموكثر تطهارة فحق له شيان علم الحقائق وأمره بالتفرغ التام و قطع العلائق والزهدي الكونين فإذا رآه أخذته حيرة أو دهشة دفعه إلى الحقيقة وأمره بتقليل ذكر اللسان وعمل الجوارح وشغله بالفكرة فإذا رآه لم يقدر على الحقيقة أو رآه قنع بالعلم دون الذوق أمره بتخريب الظاهر والتجريد التام فإذا تمكن من الحقيقة ورسخ فيه ذوقاً وتحقيقاً أمره بإرشاد الناس أن رآه اهلهذا الذي أخذنا به وفقهناه

ذلك ثم نظر أمامه وقال أتجاوبه ثم قال الحمد لله ثم رفع رأسه إلى القاضي وقال له أما قولك يرحمك الله من أنت فانا عبد الله لقوله تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) وأما قولك لماذا خلقت فكان الله كثرأ لا يعرف تخلفي لمعرفته ، قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ، أى ليعرفون كذا قال ابن عباس وغيره وأما قولك ما أراد الله بخلقى فما أرادى إلا كرامتى قال تعالى (ولقد كرنا بنى آدم) وأما قولك أين ربك منك فهو منى حيث أنا منه لقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم) فقال أخبرنى كيف هو ملك ومعنا فى قوله وهو معكم أينما كنتم قال هو معنا كيف ما كنا معه فان كنا معه بالطاعة كان معنا بالعون والهدى آتية ، وإن كنا معه بالغفلة كان معنا بالمشية ، وإن كنا بالعصية كان معنا بالمهلكة ، وإن كنا بالتوبة كان معنا بالقبول وإن كنا بالترك كان معنا بالعقاب ، قال صدقت فأخبرنى أين هو منى ؟ فقال أخبرنى أين أنت منه أعلمت أين هو منك قال صدقت يا على فيما قلت ولكن أخبرنى بمسئلة ثانية ، قال وما هى ؟ قال لم ملت عن يمينك حين سألتك ، قال أعر الله الفقيه إن المسئلة التى سألتى عنها لم يكن عندى فيها جواب لأننى ما سلت فيها قط ولا سمعتها فلما سألتى عنها لم يكن عندى ما أخبرك به فيها فسألت الملك الكريم الذى يكتب فى العيين فقلت له أتجاوبه أنت فقال لى لأعلمى فقلت حسبي الله وفوضت أمري إلى الله فقال وعن شما لك فقال كذلك فقال وأمامك فقال سألت قلبى فقال عن سره عن ربه وما أجبتك به فقلت الحمد لله شاكرأ على الهداية ومقرأ له بالعجز عن إدراك النهاية فقال له يا هذا أنكلمك الملائكة ؟ فقال له ويحك أما ترى رب الملائكة كلنى حين هدانى لحجى وكنت لا أعرفها ، فقال له يا هذا الآن قد صحت عندى حمك وثبت عندى كفرك وزندقت ، فأتريد أن أفضل بك وبأى قتلة تريد أن أقتلك ، فقال له وما الذى تريد أن تفعل بى وأنت قاضى القضاة ، إن كنت تقضى ولا يقضى عليك فأقض بما شئت ، وأى فضل لك فقال له أنا القاضى بما يقضى به أو تقضى بما يقضى به فقال له أوفضت من طريق أشياءنا والناظم رحمه الله قدم وأخر فى هذا الترتيب فذكر أنه أول ما يأمره بترك الآثام ويحذرهم من ركوب الجرائم وهذا هو المقصود من محبة المشايخ وأخذ العهد عنهم إذ لم يتحى لصحة الأشياخ إلا بقصد الحفظ بركة صاحبهم وذلك محقق بفضل الله لمن صدقه وقويت نوراية شيخه .

(وأصل) هذا العهد من السنة حديث عبادة بن الصامت قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ربيعة العقبة بايعونى على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرفوا ولا تنزوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا يهتان تفرونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تصونى فى معروف الحديث (ثم) يأمره باقتباس العلم فان كان هو معلماً أمره بلزوم صحبته ليعلمه وإلا دفعه إلى غيره كما تقدم فلا بد للريد بعد عقد التوبة من طلب العلم إذ لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه لقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) وقال تعالى (فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) ولا يجب عليه التوسع فى العلم لما فوق حاله لأن ذلك فرض كفاية ومتى نزلت به نازلة لزمه طلب علمها (ثم) يأمره بلزوم الطاعة والقبلة والجماعة يعنى الصلاة مع الجماعة لأن الأمر الخاص لا يصلح إلا بعد أحكام الأمر العام لأن من لا يصلح أن يكون من عوام المتقين لا يصلح أن يكون من خواص المقرين فالشريعة باب الحقيقة دخول مع الأجاب قال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) (ثم) يأمره بالتوبة وتحقيق شروطها (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه شروط التوبة ثلاثة أقسام شروط صحة وهى ثلاثة (الندم) على ما فات والانتفاع فى الحال والنية ألا يعود أبداً (وشروط) تحقيق وهى ثلاثة تصميم القصد لأن التوبة وإن صحت من بعض الذنوب مع البقاء على ذنب آخر فصاحبها ناقص وقل أن يسلم من العودة لما عتد من أصل الخفاة وأداء الحقوق الواجبة لمن الصلاة والصيام والزكاة والكفارات وغيرها ورد المظالم المالية باقاً والعرضية على المشهور (وشروط) كمال وهى ثلاثة التشمير فى (٤٢ - ليقاظ ثانى)

خطاب عن القاضي الذي يقضى ولا يقضى عليه قال له وما هو قال قوله تعالى (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) فقال له وما تريد أنت اقض بما شئت الآن طبت وطابت نفسي على لقاء ربى فند ذلك رد القاضي رأسه إلى المتوكل وقال له يا أمير المؤمنين اترك هؤلاء فان كان هؤلاء زنادقة فليس على وجه الأرض مسلم ، هؤلاء مصابيح الدين ودعائم الاسلام وهؤلاء المؤمنون حقاً عباد الله المخلصون فند ذلك عطف الملك على الجنيد وقال يا بالقسام هؤلاء الفقهاء ما جمعوا لك هذا المجلس العظيم واستعدوا لمناظرتك إلا ليقنوك لو غيرك والآن أنت الغالب عليهم وأنا آليت على نفسي ان أنت غلبتهم أن أمشي عليهم السيف فيما أن تغف عنهم واما ان يموتوا فقال العياذ بالله يا سيدي أن يموت أحدهم بسبب عفا الله عنا وعنهم ولا أخذ عليهم في أنكارهم علينا لانهم ماساقهم لذلك إلا الجهل وقلة العلم بما طلبوا عفا الله عنا وعنهم فاعل المجلس على سلام ولم يمت فيه أحدوا الحمد لله ثم عطف القاضي على الثوري وقال له يا علي أعجبتني حالك والله شيداني أحبك ولكن أسألك سؤال رجل مسترشد يرحمك الله فقال سل عما بد لك فان كان عندي جواب أخبرتك وإلا قلت لك لا علم لي ولا يعظم ذلك على ثم سأله عن مسائل عديدة قد تقدم بعضها عند قوله بما عجباً كيف يظهر الوجود في العدم فاجمعاً ان شئت وتركت الباقي لكثرة التصحيف في النسخة التي وقعت بأيدينا والله تعالى أعلم فهدى عنه الصوفية التي وقعت في زمن الجنيد وهذه سنة الله في أولياته وأنياته هم أشد الناس بلاء وانظر أيضاً قضية القطب الشهير شيخ أشيا خا الشيخ ابن مشيش فقدمت مقتولا كما هو معلوم وكذلك قضية تليذه من القاضي ابن البراء حيث أخرجه مع تونس وكتب به إلى عامل مصر وعمل به بينة أنه مشوش وأنه يطلب الملك فاتصر الله له كما هو شأنه سبحانه من انتصاره لأوليائه (وكذلك) قضية النزواني لما

المستأف بدلا من التقصير في السالف والفرار من موارد الفتن بكل وجه أمكن والحرص على تحصيل الكمال له بأى وجه كان فن فاتته شروط الصحة فلا توبة له ومن فاتته شروط التحقيق فهو عاص وقل أن يسلم من آفات الانقلاب ومن فاتته شروط الكمال لم يجد لتوبته لذة ولا يدرك لها نتيجة وكل واحدة لا تصح إلا بعد تحقيق ما قبلها (وقوله) وقرروا فيه شروط التوبة المراد بالتقرير هو الأمر بها والحض عليها المرة بعد المرة والتنبه عليها تفصيلاً وإجمالاً (ثم) يأمره بلزوم الصحة يعني ان تأتى له ذلك والا أمره بالوصول المرة بعد المرة كما تقدم وفائدة الصحة ثلاثة أمور :

(أحدها) أنها حصن من الانقلاب والرجوع فان رؤية الشيخ والجلوس معه تزيق مجرب فلا تميل نفسه الى الفضول أبداً ما دام مع الشيخ وقال شيوخنا سيدي على رضى الله عنه الجلوس مع العارفين أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام والجلوس مع العوام أفضل من الجلوس مع المتفجرة الجاهلين (قلت) والجلوس مع علماء الظاهر أقيح في حق الفقير من جميع ما تقدم والله ما رأيت فقيراً صحيحاً فاطلع في طريق القوم أبداً فلا قاطع أعظم منهم الا من عرف بالتسليم لأهل النسبة وقليل مأم .

(الثاني) ان علم القلوب انما يقوى مدده بالصحة فن تحقق بحالة لا يحظر حاضره والطبع يسرق من مطيع من حيث لا يلزم والمرء على دين خليله والمؤمن امرأة أخيه وما كان في المرأة انطبع في المرأة المقابلة لها .

(الثالث) ان الانسان مبتلى بنفسه فإذا انفرد وحده ظهر له أبه على شيء وليس كذلك وقد تقدم هذا في فائدة الاجتماع وربما ظفر به الشيطان لأن الشاة المنفردة من سهم الذئاب وفي الحديث الشيطان بهم بالواحد والاثنين ولا بهم بالجماعة وكما قال عليه السلام فلا بد من صحبة أخ صالح أو شيخ فاضل لتحصل السلامة من الرعونات وغيرها ولا يتأدب الفقير

كلت تربيته وظهر رشده أرسله شيخه الشيخ التابع يعمر بلده فسكن بني زكار جواد ضريح الشيخ ابن ميثيق فلما عمر سوقه وانكبت عليه المخزقات سعى به إلى السلطان المربني فأرسل إليه الحرس وأطعموه مكبلاً إلى العرايش لأن السلطان كان ثم نازلاً ثم أرسل به إلى قاس فسجن أربعة أشهر أو ستة حتى قدم السلطان إلى قاس فأطلقه وشرط عليه السكنى معه بقاس فسكن معه فلما قرب انقراض مدة المربنيين خرج إلى مراکش وقال ذهبت دولة بني مربني وبقي بمراكش حتى توفي رضي الله عنه (وذكر) التجبي أن الشيلي رفع إلى السلطان وأخرج أبو زيد من مدينة بسطام مراراً وهذا أمر شنيع .

(قال) بعض الحكماء إذا أراد الله ظهور الحق جعل من خلقه من يعانده ويريد إخماده فيكون ذلك سبباً لظهوره وإيضاحه ولذلك سلط الله على كل نبي عدواً من المجرمين وعلى الأولياء كذلك وأنشدوا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حصود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

وإنما أطلعنا هنا النفس لأن الحال اقتضى هنا ذلك لأن وقت التأليف صادف عنفوان الجلال والله يرزقنا التأييد ونحن وأحبائنا ومن تعاقب بنا بجاه المصطفى وآله وعلامة التأييد هو حفظ التوحيد في أوقات الشدة بحيث يكون إبراهيمياً فإذا رمى في نار الجلال وتعرض له الكون يقول ألك حاجة يقول له العارف أما إليك فلا وأما إلى الله فلي خيئ يقول الله لنار الجلال يا نار كوني برداً وسلاماً على وليي فينقلب حرها برداً وسلاماً قال سيدنا إبراهيم الخليل ما رأيت نعياناً قط مثل تلك الأيام التي كنت فيها في النار (قلت) وكذلك نار الجلال ليس يشبهها نعيم حين تنقلب برداً وسلاماً برد الرضى وسلام التسليم فيكمل النعيم واعلم ان اذابة الخلق هي إحدى القواطع التي قطعت الناس عن الولاية لا يصبر عليها الا

وحده أبداً وإنما يتأذب إذا محب أهل الأدب فإن محهم تأذب أحب أم كره وأيضاً النفس الحية لا تموت ما دامت مع الأحياء وإنما تموت إذا صحبت الأموات كما قال شيخنا الزبيدي رضي الله عنه (ثم) يمد العلم الظاهر ومعناه أنه يذكره بعلم الشريعة وعلم الطريقة دون علم الحقيقة حتى إذا تهذب ظاهره وباطنه صلح لعم الحقائق ولا بد من الترتيب فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته ومن لا بداية له لا نهاية له (وقد) قالوا من قدم الباطن على الظاهر فانه الباطن والظاهر ومن طلب الباطن بالظاهر حصل له الباطن والظاهر ومن طلب الباطن والظاهر تبحر في الباطن والظاهر والظاهر رأس مال وما عداه ربح ولذلك أمر به أئمة العلم والدين بمجرد (وقد) قال عليه السلام لمن سأله أن يعلمه من غرائب العلم ما فعلت في كذا وفي كذا في أمور في أحكام الظواهر ثم قال عليه الصلاة والسلام اذهب فاحكم ما هنالك وتعال أعليك غرائب العلم ثم من اصبح ظاهره على لسان الصدق فتح الله بصيرته برؤية الحق اه قال الشيخ زروق رضي الله عنه ولما ذكر ما يتعلق بالبداية ذكر ما يتعلق بالوسط من المجاهدات والرياضات فقال :

حتى إذا انتقاد مع الإفاضة وكاد أن يصلح للإرادة
إذ للريد عندهم حدود لأجلها قيل له مرید
فتمتدحها رد الى الاوراد كالصمت والصوم مع السهاد
وعاملوه بالمعاملات اذ علوا مختلف العلل

(قلت) أما الانتقاد إلى طلب الإفاضة فيكون بثلاثة أمور بالزهد في نفسه وقسوه وجنسه فالزهد في النفس بالإطلاق

الصديقون فذكر الشيخ حكمة ذلك وسره من القواطع أيضاً الشيطان والنفس فأشار الشيخ إلى كيفية دفع إزابة الشيطان بقوله (إذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك فلا تغفل أنت عن ناصيتك يده) قلت أعلم أن الحق تعالى يجعل بحكمته الشيطان والنفس والناس حراس الحضرة فلا يدخل الحضرة حتى يخرج فيهم ويجوز عنهم لأنهم واقفون بالباب وكلهم آفة ياب حضرة وقال لم لا تتركوا أحداً يدخل إلا من ينلحكم فوقوا بالباب فإذا جامعن يريد الدخول تعرض له الحق فيعييبن له الطريق وينكرون من يعرفها فإذا غلبهم جاءه الشيطان يطول عليه مدة الفتح ويخرفه من الفقر ويقول له متى يفتح الله عليك قيل يكون وقيل لا يكون فإذا غلبه وزاد تعرضت له النفس تقول له كيف ترك دينك وجاهك وعزك إلى شيء يكون أو لا يكون فإذا غلبها قال له الحق تعالى مرحباً بك وأهلاً ولكن القواطع لا يزول طمعها عنه حتى يسكن في الحضرة ولذلك قالوا والله ما رجعت من رجعت إلا من الطريق وأما من وصل فلا يرجع وقال آخر ، والله ما تشكر خليع ، وإن ثمل وإن حمى ، حتى يقطع في القطيع ، ويدور دور الرعى ، وإن ثبت يسر سريع ، وإن شرب حتى امتحى فإذا علمت أيها الفقير أو الإنسان أن الشيطان لا يغفل عنك ساعة لأن له بيتاً في صدرك من جهة شمالك فإذا غفلت عن ذكر الله وسوس وإذا ذكرت الله انخس فإذا علمت ذلك فلا تغفل أنت عن ناصيتك وناصيته يده وهو الحق تعالى فإذا اشتغلت بالله رده عنك وكفأك أمره قال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً) وقد حذر الله تعالى منه في كتابه قال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) ففهم قوم أن الشيطان لم يعدو فاشتغلوا بمحاربه فهاهم بحجة الحبيب وفهم قوم أن الشيطان لكم عدو وأنا لكم حبيب فاشتغلوا بحجة الحبيب فكفاهم عداوة العدو كما قال الشيخ أبو العباس وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه عداوة العدو حقاً هي اشتغالك بحجة الحبيب حقاً فإذا اشتغلت بعداوة العدو فانتكح حجة الحبيب

منها والنية عنها وإسلامها إسلاماً كلياً حتى يكون كلمت بين يدي الغافل والزهد في الغافل بالبدل والاثار في الحاصل وعدم التشوف إلى غير الحاصل والزهد في الجنس بالانكار لمن يعرف وعدم التعرف لمن لا يعرف فإذا حصل هذه الثلاث استحق الأفادة وصلح للإرادة والمراد بالأفادة إفادة العلوم الباطنية والأسرار الربانية لكن بعد تحقيق التخلية والتحلية وسيأتي عند قوله ألقى إليها من صفات النفس الخ .

(وأما) حدود المريد ثلاثة مجاهدة ثم مكابدة ثم مشاهدة فالمجاهدة في تقديم الظاهر والمكابدة في تقديم الباطن والمشاهدة ثمرة المكابدة (أو تقول) حدود الإرادة قطع العلائق وخرق العوائد واكتساب الفوائد فإذا تحققت فيه هذه الأمور سمى مريداً لتحقيق إرادته بمعرفة سيده لأنه لما حصر الإرادة في إرادة واحدة ولم يبق له مراد إلا بحجة سيده سمى لذلك مريداً وقيل غير ذلك فجواب إذا الذي هو عامل فيها هو قوله رد إلى الأوراد وما بينهما معترض والتقدير إذا صلح للإفادة والإراد قد رد عند ذلك إلى الأوراد وباعتبار السبب رد وقت صلاحته للإفادة إلى الأوراد ثم فر تلك الأوراد التي رد إليها بعد إصلاح ظاهره فقال كالصمت وفيه سبعة آلاف حكمة جمعت في سبعة عبادات من غير تعب حصن من غير حائط هبة من غير سلطان راحة الكرام الكائنين ستر للجاهل زين للعالم قلة الاعتذار (ومن) خواصه أنه يلقح الفكرة ويغلب الحكمة إذا كان مع الفكرة وإلا فهو كما قال بعضهم كل كلام بغير ذكر فهو لغو وكل صمت بغير فكر فهو سهو وكل نظير بغير عبرة فهو لغو فأصمت الذي صحبه الخواطر والسواس هو بمنزلة الكلام أما الصوم فهو بين على الجوع وقد تقدم فوائد الجوع وأساره إلا أنه لا ينبغي الإفراط فيه فيغير الأمور أو سطها (والسهاد) هو السهر والمراد قلة النوم حتى لا يزيد على القدر المحتاج (قال) أحمد بن عمر رضي الله عنه أعداؤك أربعة الشيطان وسلاحه الشيخ

ونال عدوك مراده منك (وكتب) الشعراى إلى شيخه له بالمغرب يشكو له إذا به الخلق فكتب له الشيخ لا تشتغل بمن يؤذيكَ قط واشتغل بالله يردك عنك وقد غلط في هذا الأمر خلق كثير واشتغلوا بمن آذاهم فقال الأذى مع الأثم ولو أنهم رجعوا إلى الله لكفاهم أمرهم ولرדם عنهم والسلام هكذا سمعت هذه الحكاية من الشيخ

(وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه وإنما يندفع الشيطان بالتوكل والإيمان قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) وقيل الشيطان كاذب إن اشتغلت بمقاومته مرق الاهاب وقطع الثياب وإن رجعت إلى ربك صرفه عنك برفق وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه إن كان هورانا من حيث لا نراه فاقه يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه اه

(قلت) ومن عرف الله ذاب الشيطان من نوره فلم يبق يعرف إلا الله ولذلك قال بعضهم نحن قوم لا نعرف الشيطان قبل له أو ليس قد ذكره الله في كتابه قال أجل ولكن اشتغلنا بالله فكفنا أمره حتى نسيناه وبالله التوفيق ثم ذكر حكمة وجوده فقال (جعله لك عدواً ليحوشك به إليه) قلت لم يخلق الله شيئاً عبثاً قال تعالى (ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه) في إيجاد الشيطان له حكم أولها انمياش عبادته إليه لأن العبد الضعيف إذا رأى عدواً يطلبه هرب إلى سيده والتجأ إلى حصنه فيكفيه أمره (الثانية) قيام الحججة على عبادته فإذا عالفوا أمره قال لم اتبعتم عدوى وعصيتم أمرى قال تعالى (قل فقه الحججة البالغة) (الثالثة) كونه منديلاً للعار تسمح فيه أوساخ الاذذار وكذلك النفس والدنيا (الرابعة) ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربتة فهذه حكم في تسلط الشيطان على الإنسان والله غالب على أمره وهو العليم الحكيم (حكاية) روى أن الشيطان تعرض لسهل بن عبد الله النسترى وهو يصطحك فقال له سهل بما ضحكك يا لعين وقد أبليت ويشت من رحمة الله فقال يا سهل أنا شيء والله تعالى يقول (ورحمتى وسعت كل شيء) فقال سهل انه يقول فساكتها للذين يتقون فأين أنت من التقوى فقال

وبجته الجوع والهوى وسلاحه الكلام وبجته الصمت والدنيا وسلاحها لقاء الخلق وبجتها الخلوة والنفس وسلاحها القوم وبجتها السهر (ثم) المطلوب من هذه الاربعة الوسط والاخذ بالأهم فمن كان الجوع أحب إليه من الشبع لم يأكل فوق حاجته ومن كان الصمت أهم إليه من الكلام لم يتكلم إلا فيما يعنيه ومن كان الخلوة أهم إليه من الخلطة لم يرتح للقاء الناس بل يستوحش منهم ومن كان السهر أحب إليه من النوم لم ينام فوق الحاجة ولا فراط مضرب كل شيء فمن الجوع مضرب الفكرة ومن الصمت مضرب بالحكمة ومن السهر يؤدى إلى الحق ومن الخلوة يؤدى إلى الملل قاله الشيخ زروق رضى الله عنه وقوله وعاملوه بالمعاملات أى بالمعاملات التى فيها دواؤه فمن تليق به العزلة عاملوه بها ودلوها عليها ومن تليق به الخلطة دلوها عليها وهكذا إذ ليست معاملة أهل البداية كمعاملة أهل النهاية وليست معاملة الساترين كمعاملة الواصلين (وقوله) إذ علوا الخ يعنى أنهم إنما عاملوا المريدين بمعاملات مختلفة لأجل ما علوا فيهم من العلات المختلفة فعاملوا كل واحد بما فيه دواؤه (وفى) بعض النسخ كقرب نفسه العلات وهو إشارة إلى العزلة (وفى) الحكيم ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة وقد أشبعنا الكلام عليها في شرح الحكيم والله تعالى أعلم ثم ذكر سر دلالة على الأعمال دون الحقائق فقال :

ولم يحلوه على الحقيقة إذ لم يكن مستوفى الطريقة
لكن أحالوه على الأعمال لأجل ما فيها من التوال
إذ الطريق الملم ثم العمل ثم هبات بعدها تؤمل

(قلت) الحقيقة شهود القدس وإنما لم يحلوه على الحقيقة أى يطلوه عليها قبل استيفاء الطريقة لأن الحقيقة أمرها

التقوى صفة العبد والرحمة صفة الرب وابن الغاني من الباقي فلم يجد سهلاً جواباً (قلت) وقد يجاب بأن هذه الشبهة مبنية على النظر للفرق وأما على الجمع فالرحمة وصفه والتقوى فعله وفعله يقيده وصفه والكل منه وإليه لا يستل حياً يفعل وهم يستلون ثم ذكر حكمة ظهور النفس فقال (وحرك عليك النفس ليدم إقبالك عليه) قلت إنما حرك الحق تعالى عليك النفس ليدوم إقبالك إليه لأن النفس لما غلبت عليها البشرية جرت بها إليها فهي دائماً تهوى بك إلى أرض الشهوات وأنت دائماً تريد أن تخرج إلى سماء الحقوق والواجبات هي تريد أن تترك إلى أصلها من عالم الصلصال والطين وأنت تريد أن تردها إلى أصل روحانيتها في أعلى عليين هي تريد السكون في عالم الأشياخ وأنت تريد أن ترتقيها إلى عالم الأرواح فهي دائماً تريد التسفل وأنت دائماً تريد الترقى فهذا معنى دوام إقبالك عليه وسياق لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائرين فالنفس والشيطان نعمتان في الباطن إذ لولاهما ما تحركت إليه ولا تحقق سيرك إليه ولذلك كان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه إذا اشتكى إليه أحد بالنفس يقول أما أنا فجرا الله عن خير ما عالج إلا فضل الله وفضلها والله ما ننسى جميلها يشير لهذا المعنى الذي ذكرناه وهما نعمتان في الظاهر لمن وقف معهما وحجب بهما (والخلاصة) أن النفس والشيطان والدنيا والناس قواطع لمن قطعوا به الطريق موصلات للحضرة لمن وقف للتحقيق وسبق له من الله التوفيق والنفس أصعب من الشيطان لأنه عدو متصل وأنت به شقيق فهي أقبح من سبعين شيطانا في قطع الطريق (وذكر) ابن القسطلاني عن أحمد بن سهل رحمه الله أنه قال أعداؤك أربعة أولها الدنيا وسلاحها لقاء الخلق وبهجتها الخلوة (الثاني) الهوى وسلاحه الكلام وبهجته الصمت (الثالث) الشيطان وسلاحه الشيع وسجنه الجوع (الرابع) النفس وسلاحها النوم وسجنها السهر وقد نظم بعضهم هذه القواطع فقال :

هائل لا ينالها إلا الشجاع الصائل وفي ذلك يقول الشيخ الجليلي كذا في عينه :

وإياك جزعا لا يهولك أمرها فإنا لها إلا الشجاع المقارع

فلا تطلق إلا بعد موت النفوس وخط الرؤوس وتصفية البواطن من الاغيار وتحليتها بالانوار فمن اطلع عليها قبل ذلك خيف عليه التزندق لأن الحقيقة لا تدرك بالعلم وإنما هي أذواق ووجدان ثم قد تكون علماً ثم تصير ذوقاً لمن راض نفسه بالشرعة وعظم صدقه فانه يأخذها علماً وتصير ذوقاً (وأيضاً) اطلاعاً على الحقيقة قبل كمال الطريقة توجب له التقصير في الأعمال والتفتت في الخدمة فان الحقيقة حلوة قد يشتغل بها ويهمل الشريعة ولذلك قيل من تصوف ولم يتشعر فقد تزندق لتعريف الحقيقة عن الشريعة وهذا معنى قوله ولم يميلوه على الحقيقة إذ لم يكن أى حيث لم يكن مستوفياً لعمل الطريقة لكن أحواله على الأعمال والمراد بالأعمال هنا العمل الظاهر كالصلاة والصوم والصمت والزهة وذكر الله ويكون ذكر واحداً وهو الاسم المفرد الذي هو اسم الله الأعظم وسلطان الأسماء هذه طريقة الشاذلية وسياق لناظم التنبيه عليه وإنما أحواله على الأعمال لما فيها من النوال أى العطاء والمراد به نتائجه فكل ذكر له نتيجة وثمرة تخصه كما ذكره ابن جزى في تفسيره عند قوله تعالى (فاذكروني أذكركم) قال واسم الجلالة وهو الله جامع لتلك الثمرات كلها وفي بعض النسخ لأجل ما فيها من المثال أى نيل ما يقصده الذكر ويتمناه ثم ذكر علة تقديم العمل على علم التحقيق فقال إذ الطريق العلم ثم العمل ثم هبات وهوى مواعب الأسرار فيبعد العلم العمل ثم النوق ثم الشرب ثم الرى ثم الرى ثم السكر ثم الصحو ثم شهود وعيان والعمل حينئذ فكرة ونظرة وآداب مع الحضرة والله تعالى أعلم ثم ذكر كيفية انتقال العمل إلى الباطن فقال :

أني بليت بأربع يرميني بالنبل عن قوس له توير
إليس والدنيا ونفى الهوى يارب أنت على الخلاص قدير

وقد ذكر هذه القواطع الشيخ فذكر أولاً الدنيا ثم الناس ثم الشيطان ثم النفس لكن ذكرها على وجه توحيدى لم يذكرها على أنها سوى أوقواطع وإنما ذكر أسرارها وحكم وجودها فقه درهماً أشد معرقته بالتوحيد وأسرار التفريد نفعا الله بذكره وخرطنا في سلكه آمين (هذا آخر الباب الرابع والعشرين) وحاصلها ذكر غاية النعم وهو شهود نور وجهه الكريم فنحقق به فلا تعثر به أحزان ولا هموم ثم ذكر القواطع التي تقطع عنه وهي الدنيا وما يتعلق بها من رئاسة علم غير نافع وجاء وغيره والخلق وما يتعلق بأذايتهم والشيطان والنفس لكن ذكرهم على وجه التحقيق لا على وجه التشريع فإذا تخلص من هذه القواطع في الحس أفضى إلى شهود نور عظمت به في تجلياته فيتواضع مع الأشياء كلها لمعرفته فيها كما أشار إلى ذلك الباب الخامس والعشرين بقوله وقال رضى الله عنه (من أثبت لنفسه تواضعاً فهو المتكبر حقاً إذ ليس التواضع إلا عن رغبة فتي أثبت لنفسك تواضعاً فأنت المتكبر) قلت التواضع هو مجاهدة النفس في وضعا وسقوطها فهي تريد الرقة وأنت تريد السقوط فإذا حققت وفطرت بين فكرتك ووجدت الأشياء كلها مستوية معك في الحلقة والتجلي من الغلة إلى الفيل فالتجلي في الغلة هو المتجلي في الفيلة فأنت والكلب في حقيقة الخلقة سواء وإنما وقع التفضيل في التشريع والحكمة عند أهل الفرق فأهل الفرق يرون المزية لأنفسهم عما سواهم فإذا تساوا بأنفسهم مع الأشياء رأوا أنهم قد تواضعوا وفي الحقيقة إنما تكبروا لأنهم أثبتوا المزية لأنفسهم ورفضوا ما أثبتوا لها التواضع فهم المتكبرون على خلق الله حقاً والعارفون بالله لم يثبتوا لأنفسهم مزية قطروا الأشياء كلها سواء خلقاً أو نوراً أو أحداً أو لا أحداً لم يثبتوا لأنفسهم رفصاً ولا وضعا فهم متواضعون

حتى إذا أحكم علم الظاهر وأبصروا القبول فيه ظاهراً
ألقوا إليه من صفات النفس ما كان فيها قبل ذا من لبس
وهي إذا أنكرتها فلتعرف إحدي وتسعين وقيل نصف

(قلت) ثم لا يزال الشيخ يأمر المريء بعمل الظاهر كصلاة وصيام وعزلة وصمت وذكر لسان حتى إذا رآه أنقى علم الظاهر وذائق سره وحلاوته فيكون قد ذاق حلاوة الصلاة والصيام وحلاوة العزلة والصمت حتى تكون الميزة عنده أشهى من الخلطة والصمت عنده أحلى من السلام وذكر الله قد امتزج معه حتى لو أراد أن يسكت ما سكت فهذا علامة اتقان أحكام الظاهر وصار قبوله لعم الباطن ظاهراً خيئاً يلقى إليه من صفات نفسه ما كان ملتبساً عليه كحب الجاه أو الرئاسة أو حب المال أو الغضب أو القلق أو غير ذلك من أوصاف النفس التي يتعذر حصرها حتى قال بعضهم للنفس من النقائص مائة من الكمالات وقال الناطق أنها تزيد على تسعين بتقديم التاء (وقد) ذكر السلي نبذة صالحة فلنذكرها بنصها لأن عادة الناطق النسيج على منواله فقال رضى الله عنه (وأما) أخلاق النفس فيها الكبر والعجب والفخر والخلاعة والغفل والنش والبغض والحرس والأمل والخذل والحدو والحدو والجزع والمطعم والجمع والانع والجن والجهل والكسل والبذاء والجفاء واتباع الهوى والازدراء والاستهزاء والفتى والترفع والحدو والسقوط الطيش والراء والتحكم والظلم والعداوة والمنازعة والمعاودة والمخالفة والمغالبة والمزاحمة والفتية والبهتان والكذب والقيمة والتهوى وسوء الفن والمهاجرة واللؤم والوقاحة والتدروا الحياتة والفجور والتهامة إلى غير ذلك مما يكثر تعداده فيجب على المريء معرفتها ومجانبتها والمجاهدة في تبدلها

من أول مرة فتواضعهم حتى أصلى فن أثبت لنفسه تواضعا ورأى أنها تواضعت دون قدرها فهو المتكبر حقا حيث جعل لها قدرا زائدا على خلق الله إذ ليس التواضع وإثباته للنفس إلا عن رغبة لها أولا فتى أثبت لنفسك أيها الفقير تواضعا فانت المتكبر حقا ولا تكون متواضعا حتى ترى الأشياء كلها مثلك أو أحسن منك إن عصيت ربك (قال) أبو يزيد مادام العبد يرى في الخلق أثر منه فهو متكبر ولا يكون متواضعا حتى لم يثبت لنفسه حال ولا مقالا (وقال) بعضهم من رأى لنفسه قيمة على الكلب فهو متكبر بمقوت عند الله وإنما يتضع العبد بقدر تحققه بعلو قدر سيده والنفس إن لم تنصف بالذل والهوان حقيقة فهي غير مشاهدة لعظمة الله لأن أصل نشأة النفس الضعف والذل والهوان والاصلاح إلا في الرجوع لأصلها وتبريها من رؤية العز والجاه ومن تبريها من ذلك وقال الجنيد رضى الله عنه من رأى نفسه قد تواضعت فهو يحتاج إلى تواضع ولو تبرأ منها ومن تواضعها لكان متواضعا اه (وفى) الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الكرم التقوى وإنما الشرف التواضع وإنما الفنى اليقين والمتواضعون فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة إذا تواضع العبد رغبة الله إلى السبيل السابعة ولا يزيد التواضع للعبد إلا رغبة فتواضعوا ليرضكم الله وإذا رأيت المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم وإذا رأيتم المتكبرين من أمتي فتكبروا عليهم فان ذلك مثلة لهم وصغار بهم اه وأوحى الله إلى موسى عليه السلام إنما أنبل ظل من تواضع لعظمى ولم يتكبر على خلقى وأزيم قلبه خوفاً وقطع النهار بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجل اه ثم فر التواضع الكامل فقال (ليس المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه فوق ماضع ولكن المتواضع الذى إذا تواضع رأى أنه دون ماضع) قلت التواضع الحقيقى هو الذى ينشأ عن يشاهد الأشياء كلها منه فاذا تواضع معمار رأى أنها تستحق أكثر من ذلك التعظيم وإن نفسه فى الدنائة والذل دون أى أسفل عما صنع من التواضع وليس المتواضع الذى يرى لنفسه مزية

بأحسن منها فن لم يعرف ذلك لم يزد مع مرور الأيام إلا ديار فيبدل الكبر بالتواضع والحدة بالتؤدة والكذب بالصدق وبالله التوفيق اه (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه وأصول الأخلاق للمذمومة ثلاثة الرضى عن النفس وخوف الخلق وهم الرزق فيتولد من الأول الشهوة والغفلة والمعصية (و) من الثانى الغضب والحدت والحد (و) من الثالث الحرص والطمع والبخل ثم قال لكن التزام أصل واحد ينشأ جميعها وهو عدم الرضى عن النفس فى جميع الأحوال والحذر منها فى كل الأوقات (قال) فى الحكم أصل كل معصية وشهوة وغفلة الرضى عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وغفلة عدم الرضى منك عنها ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسك خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه فأى علم لالم يرضى عن نفسه وأى جبل لجاهل لا يرضى عن نفسه اه (قوله) حتى إذا أحكم علم الظاهر هو على حذف مضاف أى اتقن عمل علم الظاهر لأن الاتقان إنما هو العمل إذ هو الذى أمره به وهى فائدة صحة الشيخ كما تقدم فى الاجتماع والله تعالى أعلم ثم ذكر كيفية موت النفس فقال :

فجرعها أكوس المنون وهى تنادى كيف تقتلون

(قلت) التجرع هو تكلف الشرب يعنى أن المرید إذا أراد الشيخ أن يقتلهم إلى عمل الباطن أمرهم بقتل نفوسهم ليكون ذلك سببا فى حياة أدواهم كما قال ابن الفارض الموت فيه حياتى وفى حياتى قتل فجرعها أى سقوها كرها أكوس المنون جمع كأس على وزن أفضل والمنون الموت يعنى أنهم تجرعوا فى قتل نفوسهم مرارة الموت وذلك بخرق عوائدها وردّها عن شهواتها وأعظم الموائد العز والجاه فلا تنقل إلى الذل والهوان والحوال إلا بعد جهد جهيد وقتل شديد فاذا صار عدها الذل والعز والحوال والظهور سوا مقدر تحقق موتها (قال) محمد بن خفيف رضى الله عنه لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه

على الأشياء فإذا تواضع معها رأى أن نفسه فوق وأفضل مما صنع من التواضع فهذا هو المنكسر لأنه أثبت لنفسه تواضعا مما تستحقه وهذه الحكمة كأنها بيان وتنبيه لما قبلها .

(يحكى) عن أبي الحسن بن الكرنبي أستاذ الجنيد رضى الله عنهما أن رجلا دعاه ثلاث مرات إلى طعامه ثم رده فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله داره في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيعود ويرى له عظم فيجيب ولو رددتني خسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبتك قال أبو طالب رضى الله عنه وحدث عن بعض الصوفية أنه وقف على رجل يأكل فديده وقال إن كان ثم شيء لله تعالى فقال اجلس فكل فقال اعطى في كفي فأعطاه في كفه فقام في مكانه يأكل فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال إن حالى مع الله تعالى الذل فكبرته أن أفارق حلى .

(وقال) الهروردي رأيت شيخنا ضياء الدين أبا التجيب وكنت معه في سفره إلى الشام وقد بعث له بعض أبناء الدنيا طعاما على رؤوس الأسارى من الأفرنج وهم في قيدهم فذلت السفرة وقال للخدام احضر الأسارى مع الفقراء لجاء بهم وأضدم على السفرة صفاء واحدا وقام الشيخ من سجاده ومشى إليهم وقعد معهم كل واحد منهم وأكل وأكلوا وظهر لنا على وجه ما نزل باطنه من التواضع لله والانكسار في نفسه وانسلاخه عن التكبر عليهم (وكان) الشيخ الفقيه عبد الرحمن ابن سعيد من الفقهاء والعلماء العاملين بينا هو يوما يمضى في يرمشات كثير الطين فاستقبله كلب يمضى على الطريق التي كان عليها قال من رآه رأيت الشيخ قد لصق بالخائط وعمل للكلب طريقا ووقف ينتظره ليجوز فلياقرب منه الكلب ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل وترك الكلب يمضى فوه قال فلما جازوه الكلب وصالت إليه فوجدته وعليه كآبة فقالت له يا سيدي رأيتك الآن صنعت شيئا استغربه كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمضى في الموضع التي فقال لى بعد أن علمت

في أربعة أشياء من المنع والطعام والزوال والذل (وقال) الشيخ أبو مدين من لم يمت لم ير الحق تعالى (وقال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه لا دخول على الله إلا من باين إما الفناء الأكبر الذي هو الموت الطبيعي أو بالفناء الأصغر الذي تعنيه هذه الطائفة (وقال) بعضهم لا يدخل على الله حتى يموت أربع مرات الموت الأحمر وهو مخالفة النفس والموت الأسود وهو احتمال الأذى من الخلق والموت الأبيض وهو الجوع والموت الأخضر وهو ليس المرقمات وفي رواية وهو طرح الرقع بعضها على بعض (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه موت النفس لا يكون إلا ثلاث عز لها من عزها بحيث لا يتحرك ولا يمكن إلا بتدقيق نية توافق العلم من غير هوى ثم الأعراض عن كل ما تلذ به في عالم الأجسام والطباع والعلوم والأعمال والمعاني والمباني والحقائق ثم ترك الإنسان ما تميل إليه من ذلك أو من غيره ولذلك قال الشيخ أبو العباس رضى الله عنه ولن يصل الولي إلى الله تعالى حتى تنقطع عن نفسه شهوة الوصول يعني انقطاع أدب واستسلام لانقطاع ملل كذا قال ابن عطاء الله رحمه الله ومن هذا القبيل دعاء الشيخ أبي محمد عبد السلام بن ميثيق حيث قال اللهم انى أعوذ بك من يرد الرضى والتسليم كما يستعيز بك أنوم من حر المعصية والتدبير (ومنه) قول الواسطي رحمه الله استحلوا الطاعة سم قال (وقوله) وهي تنادى الخ نداؤها بلسان حالها القريب من لسان المقال وقد يسمع ذلك الإنسان من باطن النفس كأنه حصى مقال وقد تمنى الموت الحسى اختيارا فلا تزال كذلك حتى ترأض وتذهب وهي علامة موتها والله تعالى أعلم ثم أشار إلى عمل أهل الاستشراق فقال :

فندم ما مالت إلى الزوال ادخل في غلوة الاعتزال
وقيل قل على الدوام الله واحذر كطرف العين أن تنفاه

له طريقاً تفكرت وقلت ترفعت على الكلب وجعلت نفسى أرفع منه بل هو واقف أرفع منى وأولى بالكرامة لأن عصيت الله تعالى وأنا كثير الذنوب والكلب لا ذنب له فقلت له عن موسى وتركته يمشى عليه وأنا الآن أخاف من الله ألا يعفو عني لأنى رفعت نفسى على من هو خير منى اه نقله الشيخ ابن عباد رضى الله عنه ثم إن التواضع منه ما يكون بمجاهدة وتقصراً وهو بمجاهدة أهل العيين من الساترين ومنه ما يكون اختارياً حقيقياً وهو تواضع العارفين لأنه ناشئ عن شهود عظمة المعبود فلا يتخلف إلا في وقت الغفلة وهو قليل وهو الذى أبانه بقوله (التواضع الحقيقى هو ما كان ناشئاً عن شهود عظمته وتجلي صفته) قلت التواضع الحقيقى هو تواضع العارفين لأنه ناشئ عن شهود عظمة الحق وتجلي ذاته وصفاته وهو عطف التفسير لأن تجلى الصفات هو عين عظمة الذات وذلك أن الحق تعالى كان فى أزله القديم متصفاً بصفاته ومتمسكاً بأسمائه فى خفاء ولطف لم يعرفه أحد فلما أراد أن يعرف أظهر بقدرته وإرادته عظمة ذاته المقدسة متصفاً بصفاته الأزلية فتجلت القدرة لعظمة الذات فشهود عظمة الذات هو شهود تجلى الصفات واليه أشار صاحب العينية بقوله :

فأوصافه والاسم والآثر الذى هو الكون عين الذات جامع

فالتواضع الحقيقى هو الذى ينشأ عن شهود عظمة الذات ونور الصفات فذلك ترى العارفين يتواضعون مع الحجر والمر وكل شئ ملحق بهم فى كل شئ فان ذواتهم المصرى رضى الله عنه من أراد التواضع فليوجه نفسه إلى عظمة الله فان تنوب وتصغر ومن نظر إلى سلطان الله تعالى ذهب عنه سلطان نفسه لأن النفوس كلها محقورة عندهيته ومن أشرف التواضع ألا ينظر إلى نفسه دون الله تعالى اه (والحاصل) ان التواضع الحقيقى إنما هو للعارفين لأنهم حين شهدوا عظمة الحق خرجت عنهم أوهاف نفوسهم إذ لا يخرج عن الوصف الا شهود الوصف كما ذكره بقوله (لا يخرجك عن الوصف

(قلت) ميل النفس إلى الزوال هو إعطاؤها الطوع من نفسها بحيث تصرف فيها صاحبها بلا نزاع منها فهى حينئذ قريبة للبول مستشرقة على الزوال فعند ذلك يدخله الخلوة أى يأمره بها ويحضنه على ذكر الاسم المفرد حتى لا يفتزعنه ساعة (قلت) وهذا التدرج الذى ذكره الناظم ليس بلازم لكل الشيوخ ولا لكل المريدين أن يسلكوه بل من الشيوخ من يلقن الاسم من أول مرة إذا رأى الفقير أهلاً له ويأمره بقتل نفسه مع ذكر ربه بحيث يجعل له وقتاً يذكر فيه ربه ووقتاً يقتل فيه نفسه وهذا الذى أدر كناعليه أشياء ختاً يأمر الفقير بالخلوة فى أول النهار إلى وقت العصر ثم يخرج إلى السوق ويعمل من الأحوال الصافية ماتوت به نفسه فيكمل فناؤه فى الاسم مع موت نفسه فيقرب وقت فتحه ومن المريدين من لا يحتاج إلى خلوة بل يأمره بالخلطة من أول مرة والناس معادن وطبائع والمطل متفاوتة والقسم من الله من غير توقف على الأسباب إلا أن الحكمة جارية مع القدرة والله تعالى أعلم (قال) الشيخ أبو حامد التزلى رضى الله عنه ولقد أردت فى بداية أمرى سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة فلما علم الله صدق نيتي قبض لى لى من أولياته قال لى يابى اقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده واخل بنفسك واجمع همك (وقل الله الله الله) ولا تزد على ما فرض الله عليك شيئاً الا الزواجب وقل هذا الاسم بلسانك وقلبك وسرك واحضر قلبك واجمع خاطرك ومهما قالت نفسك ما معنى هذا فقل لها لست مطلوباً بمعناه وإنما قال تعالى (واذكر اسم ربك وقبلى به تبتلاً) ثم ذكر ما يفعل فى حال خلوته مع الذكر فقال

وكل الشيخ به خديماً يلقي إليه القول والتلميحاً

وقيل ان تكتم من الأحوال شيئاً سلكت سبل الضلال

إلى شهود الوصف) فلا يخرجك عن أوصاف نفسك النعمة الا شهود أوصاف ربك العظيمة فلا يخرجك عن ذنابة نفسك الا شهود كرم ربك فلا يخرجك عن شهود أوصافك الحادثة الا شهود أوصاف ربك القديمة فيخرجك عن شهود فعلك شهود فعله وعن شهود صفاتك شهود صفاته وعن شهود ذاك شهود ذاته (وقد سئل) شيخ أسياسنا القطب ابن ميثيق عن حقيقة المحبة سأله تلميذه أبو الحسن رضى الله عنهما فقال المحبة أخذ القلب وخطفه عند كشف نور جمال وقدس الجلال والشراب مزج الأوصاف بالأوصاف والاخلاق بالاخلاق والانوار بالانوار والاهاء بالاسماء والنعوت بالنعوت والافعال بالافعال الخ فما دام البعد لم يشاهد أوصاف ربك العظيمة لا يمكنه أن يخرج عن أوصاف نفسه اللطيفة خروجا كلياً وإنما يكون ذلك مجاهدة تارة له وتارة عليه بين طلوع ونزول بخلاف ما اذا شاهد أوصاف ربك فإنه ينيب عن نفسه قد تولاها بحبوه فكان يسمعه وبصره وبده ورجله موثداً له فلا يتصرف الا بالله ومن يتمتع بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واشتدوا

اذا حزت الفجاء فلا تبال بنقص في الجملة أو كمال

فا التائب في اسم الشمس نقص ولا التذكري غفر للهِلال

يشير الى انه إذا تحقق الفناء في الذات والبقاء بالله فلا نقص للنفس ولا كمال وإنما الكمال للكثير المتعال فله الحمد والثناء على كل حال قال الشيخ رضى الله عنه (المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكراً وتغفله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكراً) قلت النفس عند تحقق الفناء لا وجود لها حتى تذكر ولا فعل حتى تشكر فليس للعارف عن نفسه أخبار حتى يخبر عنها بفعل شيء فضلاً عن أن يشكر لها وصفاً قد استغرقه شهود فعل الحق عن فعله وشهود وصف الحق عن شهود وصفه وشهود نور ذات الحق عن شهود ذاته فيشغله الثناء على الائتمات الى ما سواه إذ

فليس عند القوم بالليب من لم يصف شكواه للطبيب

(قلت) أما توكل الشيخ بالفقيه الخديم فله كان في الزمان القديم فكان الشيخ إذا أتى اليه الفقير وعليه ما يلزمه في حال نفسه أدخله الخلو وأمره بالذكر ووكل به الخديم يلقي اليه القول الذي يأمر به الشيخ من الأذكار التي تليق به ويعلمه ما يحتاج اليه في سيره ويشترط في الخديم أن يكون أعلى منه علماً وحالاً وذوقاً (قلت) وهذه الكيفية قد انقطعت اليوم ولعلها هي التي قصد الشيخ الحضري نعم بقى اليوم عوض الخديم تذكير الفقراء بعضهم بعضاً فيأمر الشيخ من يراه أهلاً للتذكير فيدور على الفقراء أينما كانوا يذكرهم وينبهم ويزيد بهم الى الله كما يزيدون به ولذلك كانت السياحة للفقير في بدايته أمر كبيراً وزيارة الشيوخ سبب في التمكن والرسوخ فهذه الحالة اليوم أغت عن الخديم والخلوة ولا ينبغي للفقير أن يكتم شيئاً من أحواله عن الشيخ قلت أو جلت لان الشيء البديهي يورث الشيء الكثير فليس بالليب من لم يصف داءه للطبيب فان تذكر عليه الوصول الى الشيخ وقد عرض له مرض أو أمر فليخص شيخه بين عينيه بصفته ومرضه ويشكو له فانه يبرأ منه باذن الله وان كان مع جماعة واستجيا فليشتك اليه في قلبه وان كتب ذلك فهو حسن والله تعالى أعلم ثم ذكر نتائج الذكر ونهايته فقال

فلم يزل مستعملاً للذكر فصمت اللسان وهو يجري

وقد مات جوهر اللسان بالاسم يستبته الجنان

ثم جرى معناه في القواد جرى الفناء في جملة الاجساد

فصنعا حاذى مرات القلب لوح النيوب وهو غير غيب

لا يشهد في الكون إلا إياه وتشفة حقوق الحق عن الالتفات الى حظوظ النفس إذ لا نفس مع الفناء فلا يبقى إلا حقوق العالم الآسنى فتقلب الحظوظ في حقه حقوقاً لأنهم اذا نزلوا من عرش الحضرة الى أرض الحظوظ نزلوا بالاذن والتكفين والرسوخ في اليقين نزلوا بالله ومن الله والى الله فليس لهم فطر إلى سواء قد تخلصت أرواحهم من طلب الحظوظ معجزة أو مؤجلة نفسانية أو روحانية إن صدر منهم عمل رأوه منه من الله فيستحيون أن يطلبوا عليه عوضاً أو غرضاً كما أبان ذلك بقوله (ليس المحب الذي يرجو من محبوبه عوضاً ويطلب منه غرضاً) قلت لا شك أن المحبة التي تكون على الحروف والحظوظ ليست بمحبة وانما هي مصادنة لقضاء الحاجة فن أحب أحداً ليعطيه أو ليدفع عنه فاعلمنا أحب نفسه إذ لو لا غرض نفسه فيه ما أحبه قال أبو محمد رويتم رضى الله عنه من أحب العوض فنص العوض اليه محبوبه وأيضاً فطالب العوض انما هو بائع يريد ان يعطى لينال والمحبة مقتول في محبة سيده لا يرجع على سواء مرضاته وفي معنى ذلك قيل :

بني الحب على الجور فلو انصف المحبوب فيه لسمع

ليس يستحسن في حكم الهوى عاشق يطلب تأليف المحب

وعلا يستحسن أيضاً في حكم المحبة والهوى اظهار الحزن أو الكآبة من أجل الجفاء من المحبوب أو الشكوى بذلك بل الواجب هو التجلد والتصبر على جفاء المحبوب حتى يظفر بالمطلوب وفي ذلك قيل :

ان شكوت الهوى فإنت منا احمل الصد والجفا يامعنا

تدعى مذهب الهوى ثم تشكو أى دعواك في الهوى قل لي أينا

لو وجدناك صابراً لهوانا لأعطيناك كل ماتمنا

فادرك المعلوم والمجهولاً حيث اقضى لتركها قبولاً

(قلت) فإذا دخل الفقير الخلوة فيبني أن يستعمل معها العزلة وهي عزلة القلب فالخلوة للاشباح والعزلة للقلوب فلا بد فيها من التفرغ الكلى والالام بتفجع بها (و) في الحكم ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة فالقصود من الخلوة هو دواء القلب ولا يشق القلب الا اذا تفرغ من الاخلاط الردية فان القلب كالمعدة كلما كثر عليه الاخلاط مرض وهي الخواطر والشواغب فإذا تفرغ القلب نفعه الذكر والافلا ثم لا يزال مستعملاً للذكر لهجابه حتى يصمت اللسان ويبقى الجنان ذاكرة وينبغي أن يستتبت الجنان ما يذكره اللسان فان ذكر اللسان بلا جنان قليل التهوى إلى حضرة العيان ثم لا يزال يذكر بلسانه ويستتبه بجنانته حتى يجرى معناه في فؤاده ويتمكن نوره في قلبه ثم يجرى ذلك في جميع أعضائه كما يجرى الدم في سائر جسده وكما يجرى الماء في الاغصان الرطبة فيكون البدن كله يتحرك بذكر الله (ولقد) سمعت شيخ شيوخنا مولاي العربي رضى الله عنه يقول بقيت أربع سنين تذكر الاسم المفرد حتى كان البدن كله يتحرك بالذكر فكنت إذا وضعت يدي على غدى لنسكنه تحرك الفخذ الآخر وإذا وضعت يدي على الفخذ الآخر تحرك الفخذ الآخر اه (فإذا) صفت امرأة القلب ونجهرت ففند ذلك بمجاذبها لواقع الغيوب وهي أنوار المواجهة مقدمة لأنوار المشاهدة لان المشاهدة تكون لواقع ثم طالع ثم تشرق شمس الرقافان فالها غروب عن العيان ففند ذلك يكشف بحقائق الاشياء فيدرك سر كل موجود ويعلم حقيقة كل معلوم وكل مجهول يعني ما كان مجهولاً صار عنده معلوماً وما كان معلوماً أدرك سره وحكمتها وهنا طالع على سر التشابهات وحقائق المشكلات فتتسع عليه دائرة العلوم وتغرق له مخازن الفهوم ويخرج الى فضاء الشهود

(وقال آخر)

الحب ديني فلا أبني به بدلا والحسن ملك مطاع جار أم عدلا
والفس عزت ولكن فك أبنها والذل مر ولكن في رضاك حلا
يامن عذابي عذب في محبة لا أشكى منك لاصدوا ملا

وان شئت قلت المحبة هي أخذ الرب بقلب العبد بحيث لا يلبث إلى غيره أو أخذ جمال المحبوب بمحبة التلب حتى لا يجد مساعدا للالتفات لدوى المحبوب فتى وقع الالتفات تاهى الحب على قدره قال بعض الناس لا مرأى أحيك قالت وكيف خلقتك من هو خير منى قالت قالت قبلك الله من عجب تدعى المحبة وتلفت للغير وكذلك العبد إذا ادعى محبة سيده ثم أحب شيئا أو استحسن شيئا من الروى أو اشكى شيئا أو خاف شيئا سوى محبوه فهو ناقص المحبة أو مدعيها ومن ادعى ما ليس فيه فضحته شرهه الامتحان ثم علل الشيخ كون المحبة على العوض مدخولة فقال (فان الحب من يذل لك ليس المحب من يذل له) قالت المحب في الشيء هو الذى يذل نفسه فيه وطله ويزهد في جنسه من أجله ولا يصح ذلك على التمام إلا في جانب الذى أسبغ عليك سوانح الإنعام أنعم عليك أو لا بالإيجاد وثانيا بالامداد أعطاك كل ما تريد وملكك الكون كله تصرف فيه كما تريد قال تعالى (وأنكم من كل ما سألتموه) وقال (خلق لكم ما فى الأرض جميعا) فهذا سبب محبة العوام وأما محبة الخواص فهي ناشئة عن شهود جماله وبهائه فتأبوا فى شهود جماله وتأهوا فى حضرة بهائه وأنشدوا:

ياساقى القوم من شذاه الكل لما سقت ناهوا

غابوا وبالسرك فبك طابوا وصرخوا بالهوى وقاهوا

فهؤلاء باعوا أرواحهم فى طلب مولا لم ثم استقلوا ما باعوا واستحيوا بما بذلوا لقلة ما أعطوا فى جانب ما طلبوا وفى ذلك

ويعبر حاكما بسره على الوجود فلا قلبه أرض ولا تظله سماء قد فتحت له ميادين النيوب وتظهر من جميع المساوى والنيوب (فلا تمل نفس ما اخفى لهم من قرعة عين جزاء ما كانوا يعملون) (قوله) فيصمت اللسان وهو يجرى يعنى انه ينطبع الذكر فى القلب انطباعا كايما حتى يجرى الذكر على القلب ولو سكنت اللسان وهذا هو المقصود من الذكر وقوله وقدر ما تجوهر الخ يحتمل أن يكون انشاء ومعناه الأمر باستتبات القلب عند ذكر اللسان أى ويستتبت الجنان ما ذكر اللسان فيكون بقدر ما تجوهر اللسان يستتبه ويحتمل أن يكون أخبارا ومعناه ويقدر ما تجوهر اللسان بالذكر يدخل فى القلب فيستتبه فيكون فيه الخفى على ذكر اللسان لعله يدخل الجنان والاحتفال الأول فيه الخفى على الحضور عند ذكر اللسان وهو أولى لأن ذكر اللسان إذا لم تصحبه بمجاهدة لا يفضى إلى القلب ولو كثرت (وقوله) ثم جرى معناه فى الفؤاد يعنى أنه ينصبغ القلب بمعنى الذكر حتى لا ينفك عنه وهى الطمانينة بذكر الله (وقوله) فتدما حاذى مرآة القلب أى فتد انصبغ القلب بالذكر وطمانينته به يحاذى مرآة قلبه الصافية المجلوة أنوار النيوب وهو الذى أراد بقوله لوح النيوب وتسمى اللوائح وإنما قصره للوزن فاذا اطلعت له لوائح النيوب ظهر ما كان محتبئا أى خفيا من أنوار الشهود فاطلوى عند ذلك وجود كل موجود وفى ذلك يقول الششتري:

لقد تجلى ما كان مخفى والكون كل طوى طى

من على دابوت كؤسى من بعد موتى ترائى حى

وفى بعض النسخ فتدما حاذى أمير القلب أى وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف أى فتد جرى الذكر فى الفؤاد حاذى القلب الذى هو سلطان الجسد لوائح النيوب وفى بعض النسخ بلفظ ما المصدرية بعد عنده العامل فى الظرف

يقول سلطان المشاق ابن القارض رضى الله عنه :

لو أن روى في يدى ووهبتا لمشرى . بقدمكم لم أنصف
مالى سوى روى وباذل روى . فى حب من يواه ليس بمصرف
فائن رضىت بها . فقد أسعفتنى يا خية المسعى إذا لم تسعف

قال الشيخ أبو عبد الله القرشى رضى الله عنه حقيقة المحبة أن تهب كالك لمن أحبته حتى لا يبقى لك منه شيء . وقال أبو يعقوب السومى حقيقة المحبة أن ينسى حظه من الله وينسى حوائجه إليه (وقال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه المحب على الحقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوه ولا مشيئة له مع مشيئته وقيل أول ما يقول الله للعبد اطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذلك فان قال لا ما أريد إلا أنت قال له من دخل فى هذا معى فأنما يدخل باسقاط الحفظ وورفع الحدوث وثبات القدم وذلك يوجب له العدم وفى معنى ذلك قيل :

من لم يكن بك فاناً عن حظه ' وعن التنا والانس بالاحباب
فلأنه بين المنازل واقف لمثال حظ أو لحسن مأب

وبالجملة فأمر المحبة كبيراً وبجوها خطير وفى ذلك قالوا ما غاضوا بحر الرباح حتى غاضوا بحر الخسارة لا تنال إلا بذيغ النفوس وترك الفلوس :

ان ترد وصلنا فوئك شرط لا ينال الوصال من فضله

فا تحقق سير السائرین ورحيلهم إلى المحبوب إلا بمحاربة النفوس ومجاهدتها وقتلها كما أبان ذلك بقوله (لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرین) قلت الميادين جمع ميدان بكسر الميم وبفتحها وبه صدر فى القاموس وهو مجال الخيل ثم

فادرك أى فادرك عند محاذاة لوح الثيوب سلطان القاب المعلوم والمجهول (وقوله) فادرك المعلوم والمجهول يعنى أنه لما طلعت عليه شمس المعارف أدرك سر ما كان مجهولاً حيث عرف سر وجوده وغاب عن شهود بشهوده معبوده (وقوله) حيث اتقى لدركه قبولاً يعنى أنه لا يدرك سر المعلومات والمجهولات إلا إذا اتقى أى ادخر لذلك قوة باستعداده لذلك وهو الفراغ التام فبقدر تفرغه من الأشياء يكشف له عن حقائق الأشياء فيقدر ما تغيب عن الأكوآن يكشف لك عن شهود المكون أنت مع الأكوآن ما لم تشهد المكون فاذا شاهده كانت الأكوآن منك ومعال أن ترتبط مع الأكوآن وتطلع على أسرار مكوئها فيها والله تعالى أعلم ثم ذكر مخاطبات الحق له على السنة الموائف فقال :

حتى إذا جاء بطور القلب خوطب إذ ذاك بكل خطب
فقبل لو عرفتى بكونى قيل إذن فاطلع نعال الكون

(قلت) إذا وصل الثور من ناحية المذكور إلى جبل الطور وهو قلب المستور بحجاب هية المذكور رفع عنه الستور وغطاه حينئذ بكل أمر جميل فلا تعلم نفس ما خصص به من المساواة والمصافاة والمكاملة والمناجاة فيناديه لسان الملكوت مترجماً عن عالم الجبروت يا أيها العبد الشائق إلى حضرة لتعابن سر قدرى هلا عرفتى بكونى وقمت بذلك منى فيقول العبد المشتاق إلى حضرة التلاق لا أريد إلا وجهك الكريم ومشاهدة شرك العظيم فيقول له الحق جل جلاله ان أردت هذا الخطب الجسم والأمر العظيم فاطلع عنك نعال الكونين وتخط بقدم همتك نعيم الدارين فإذا خلعت عنك الحفظ والهوى فأت بالوادى المقدس طوى وآشدوا :

استميز هنا لمحاربة النفوس ومجاهدتها فهي تارة تكرر عليه فتظفر به وتارة يكرر عليها فيظفر بها وفي هذا المعنى قال شيخ
شيوخنا المجتوب رضى الله عنه :

سأيس من النفس جهنك وصبح ومس عليها
لعلها تدخل بينك تعود تصطاد بها

فقد بين رضى الله عنه كيفية مجاهدتها وعليك الحيلة في أخذها وذلك أن تدخل معها شيئاً فشيئاً فتعلمها الصمت وحده
ثم العزلة ثم تقدمها للخراب شيئاً فشيئاً تقدمها للقتل فإذا استأنست به زدها شيئاً آخر وهكذا فأحب الأعمال إلى الله أدومها
وإن قل ولا يعلمها البطالة فورده من العمل الذى تموت به لا يتركه وقد كنت فى حالة المجاهدة إذا هممت بترك وردى
من السؤال وقد سمعت مراراً متعددة حين نستعمل خراباً زد على بك وتارة يقول زد صف سيكتك وتارة نسجع بأعصاب
حين يسرقنى شيء من الخس وهكذا وكانت مجاهدتى لنفسى كلها سياسة لم أحملها من المرة الأولى إلا ما تطقه حتى تستأنس
به ثم تزيد بها حتى كنت تفعل بها ما نشاء قال بعض العارفين اه سير الطالبين إلى الظفر بنفوسهم فإن ظفروا بها وصلوا
وما ذكرته من السياسة للنفس والاحتياط عليها هو الصواب قال فى المباحث :

واحتمل على النفس قرب حيله انقع فى النصر من قبله

وأما ان حملها من أول مرة مالا تطقه فانها تسقط وتمل وربما ترجع بالكلية قال صلى الله عليه وسلم اكفوا من العمل
ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا وقال لا يكن أحدكم كالنبت لأرضاً قطع ولا ظهراً أبقي والمبت هو المنقطع وحاصل
ما ذكره الشيخ فى هذه الحكمة ان الناس على قسمين قسم لا سير لم إذ لا توجه لهم إلى الله فهم واقفون مع ظاهر الشرية

واخلع النملين ان جئت إلى ذلك الحى فيه قدسنا

وعن الكوفين كن متخطماً وأزل ما بيننا من بيننا

وإذا قيل لمن تهوى قفل أنا من أهوى ومن أهوى أنا

فهذه مسامرة كلام الناظم ولترجع إلى تفسير ألفاظه فتقول حتى إذا جاء ذلك الالغ الذى عبر عنه بلوح الغيوب وهو
النور الذى أتمزه الذكر حاذى مرآة القلب أى وصل لطور القلب الذى هو عل المناجاة ومعدن المصافاة فهو كجبل الطور
الذى وقعت عليه مناجاة الكليم عليه السلام فاذا وصل إليه ذلك النور ورفضت عنه الحجب والستور خوطب إذ ذاك أى
حين وصل النور إلى القلب بكل خطب له أمر جليل وهذه الخطابات تكون هواتف من ناحية القلب فيجب تصديقها
حيث انقطعت الخواطر الرديئة عنه وتكون أيضاً مخاطبات على ألسنة الهواتف الكونية فيسمع العارف منها كل ما يحتاج
إليه وهذا أمر محرب لمن ذاق الفهم وفى ذلك يقول الششتري :

أنا بالله انطق ومن الله أسمع

وقال أيضاً : أسمع كلامى وانهم ، ان كنت تفهم ، لأن كنزك قد عرى ، عن كل طلمس ، من هو المكم الكليم عن طور الافهام
والحاصل أن هذه الخطابات الهوائية والكونية لا تكون إلا لمن صفت مرآة قلبه من الإغيار والمجاهد إلا الأوار والأسرار
لحينئذ يخاطب من كل ناحية ويسمع التأييدات من كل جانب (ولقد) كنا فى بعض أسفارنا لا ناسر من مرضع إلا ياذن
من الله ولا نقيم إلا كذلك وما ذاك إلا ببركة محبة العارفين بالله (وقوله) قليل لو عرفنى بكونى يعنى ان السالك إذا
أشرقت عليه ألوان الوصول وهب عليه نسيم القبول وجد فى طلب بلوغ المأمول يقول الحق تعالى اختبار الصدقة يا عبدي

كلما أباحت الشهية أخذوه كان ثقيلاً على النفس أو خفيفاً بل لا يأخذون إلا الخفيف لأنهم يقصدون رخص الشريعة وتسهيلها بما يوافق هوائهم فلم يبرأوا من عوائدهم وشهواتهم شيئاً فزعموا فر وجاههم باق وديانهم في الزيادة وهو لا يعلم المسلمين وقسم شاققت نفوسهم إلى حضرة الملك وعظيم الشوق فوجهوا إلى حضرته واشتغلوا بمجاهدة نفوسهم ومحاسبتها فكل ما ينقل عليها أدخلوها فيه وهي تموت وكل ما يخفف عليها جنبوها منه وهي تبيك هكذا يدومون عليها حتى ترانض وتلين وحينئذ تطلبونهم فيها يريدون فأول ما يجاهد المرید في ترك الدنيا أو التخفيف حتى لا يبقى ما يشغله عن ربه ثم في ترك الناس والفرار منهم يتسكن لمن يعرف ولا يتعرف لمن يعرف ثم إسقاط المنزلة والجاه حتى يسقط من عين الناس ويسقط الناس من عينه ثم في الذل والانكسار طبعاً وقالباً بالمشي بالحفاوة ترفيقه الرأس وغير ذلك فإذا تحققت بالذل والتواضع والخمول والفقر وسكنت في ذلك واستحلته فقد تمكن منها وملكها بل ملك الكون كله

ونفسك تحوى بالحقيقة كلها أشرت بمجد القول ما أنا خادع

فكل من ملك نفسه فقد ملك الوجود بأسره فلو لا مجاهدة النفوس ومحاربتها في هذه الميادين ما تحقق سير السائرين إذ لا يتحقق السائر من القاعد إلا بمخالفة الهوى وخرق العوائد فن خرق عوائد نفسه حتى استوى عنده العز والذل والفقر والغنى وغير ذلك من مكروهات النفوس فقد تحقق سيره ووصوله ومن لم يقدر على تغيير شجرة من نفسه فلا سير له ولا وصول قال أبو عثمان الجيرى لا يكمل الرجل حتى يستوى قلبه في أربعة أشياء في المنع والعطاء والعز والذل يعني أنه يكون عنده الدل كالز والمانع كالطاء لا ينتهز منها وقال محمد بن خفيف رضى الله عنه قدم علينا بعض أصحابنا فاعتل وكان به علة البطن فكنت أخدمه وأخذ منه الطلعت طول الليل قال فقوت مرة فقال لي نعمت الله لك الله قليل له كيف

هلا قمت بمعرفة الدليل فعرفني بنظرك لكوني فيقول العبد يارب لا أريد إلا معرفة ذلك فإذا قال له ذلك يقول له الحق جل جلاله ان أردت ذلك فاخلع عنك تملأ الكرين وتحقق بالزهد في الدارين تحصل لك مناقرة العين (قال) بعض العارفين قيل أول ما يقول الله العبد اطلب العافية والجنة والأعمال وغير ذلك فان قال لا ما أريد إلا انت قال له من دخل هذا مسمى فاعلم يدخل بإسقاط الحفظ ورفع الحدوث واثبات القدم وذلك يوجب لك العدم وأنشدوا :

من لم يكن فيك فانيا عن حظه وعن الفنا والانس بالأحباب

فلأنه بين المنازل واقف لئال حظ أو لحسن مآب

واقفه تعالى أعلم ثم ذكر ثمرة الزهد وخلق النعل فقال :

ثم قى عن رؤية العوالم ولم يرى في الكون غير العالم

ثم انتهى لفلك الحقيقة فقيل هذا غاية الطريقة

(قلت) إذا تحقق زهد المرید في الكونين وغاب عن حظه في الدارين أشرق عليه نور الايقان فقط وجسود الأكران فما حجب العباد عن الله إلا تعلق القلب بالحفظ والعمل على الحروف فلو تحرروا من ريق الحفظ وظلوا على نعت العبودية والقيام بوظائف الربوبية لأشرفت عليهم الأنوار وغابوا عن شهود الآثار فعلق القلب بالحفظ والتفانية يمنع من مقام المراقبة وتعلقه بالحروف الروحية يمنع من مقام المشاهدة فالحروف الظلمانية تمنع القرب القريب والحروف الروحية تمنع شهود الحبيب فالحروف الظلمانية هي التهورات الحسية والحروف الروحية هي الشهوات المعنوية كطلب

وجدت قدسك عند قوله لعنك الله قال كقوله رحمك الله (وحكى) عن إبراهيم بن آدم رضى الله عنه أنه قال ما سررت في الإسلام إلا ثلاث مرات معدودات كنت في مركب يوما وكان به رجل يحكى الحكايات فيضحك منه الناس وكان يقول رأيت وقتا في معركة أترك عليا ويقول هكذا وكان يأخذ بليحتي ويمد يده على حلقى والناس يضحكون منه ولم يكن في ذلك المركب عنده أحد أصغر منى ولا أحقر فسررت بذلك ويوما آخر كنت جالسا بجاء إنسان فصفاني ويوما آخر كنت جالسا بجاء إنسان وبال على وقال بعضهم حقيقة زوال الهوى من القاب حب لقاء الله في كل نفس من غير اختيار حالة يكون عليها فإذا وجد المرید هذه العلامات في نفسه قد خرج من عالم جنسه ووصل إلى حضرة قدسه وكان كما قال الشاعر :

لك الدهر طوعا والآنم عید فش كل يوم من أيامك عید
وكما قال سیدی أبو العباس بن العریف رضى الله عنه في هذا المعنى :

بدأ لك سر طال عنك اكتنامه ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القاب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فان غبت عنه حل فيه وطنيت على مركب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه شفى إلينا ثره ونظامه
إذا سمعته النفس طاب نعيمها وزال عن القلب المعنى غرامه

فان لم يجد المرید هذه العلامات فليستمر على سيره ولا يمل ولا يفتر فن عرف ما قصد هان عليه ما ترك وهذا الكلام إنما هو مع من أسعده الله فوصله إلى شيخ التربية وأما من لم يصل إليه فلا يقطع في السير أبدا ولو جمع العلوم كلها ومحب

الخصوصية والكرامة والمعرفة فلا تدرك المقامات إلا بالزهد فيها (قال) الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه ولن يصل الولي إلى الله ومعه شهوة من شهواته أو تدير من تديراته أو اختيار من اختياراته وتقدم قول الشيخ أبي العباس رضى الله عنه لن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول أى حتى يزهد فيه أدبا واكتفاء بلم الله (واعلم) ان هذه الحظوظ القاطعة عن الله هي التي يسميها شعراء الصوفية في تملزاتهم عراذل ورقباء كما قال الششتري رضى الله عنه :

يا أخى انن تشهد كل سر عجيب وتجولى المشاهد حين قرب الحبيب
حيث لا ثم حاسد أو عنول أو رقيب

(قوله) ثم فنى عن رؤية العوالم أى ثم بعد تلبية الخالق عن الكونين فننى عن رؤية العوالم حين تلتطف وتسير معانى أو تقول حين تغلب أنوار ملكوتية بعد أن كانت ظلمات ملكية فإذا غابت العوالم بقى الخير العالم أو تقول فإذا غابت الألوان بقيت المعانى أو تقول فإذا غاب الكون وفى ذلك يقول الششتري رضى الله عنه :

جمع العوالم رفعت عنى وضوء قلبى قد استفاق
ترانى غائبا عن كل أين كلس للمعانى حلو المذاق

(وقوله) ثم انتهى لفلک الحقيقة هو مرتب على ما قبله فهما غاب عن العوالم انتهى لفلک الحقيقة والحقيقة هي شهود المنظمة بالعملة أو شهود حق بحق وتقدم قريانا تفسيرها أيضا بتفسير آخر وطلبها أنوارها المحيطة بالأكوان المنية لها (قال) في الحكم محقق الآثار بالأثار ومحوت الاغيار بمحيطات أفلاك الأنوار وظلک الحقيقة هو عالم الجبروت الأصلى فإذا (٤٤ - إيقاظ ثانى)

الطوائف كلها وهذا أمر ذوق لا أفلفه أحداً قد صليتنا كثيراً وحننا كثيراً واعتزلنا كثيراً وذكرنا كثيراً وقرأنا القرآن كثيراً واهه ما عرفنا قلوبنا ولا ذقنا حلاوة الممانى حتى حببنا الرجال أهل الممانى فأخرجونا من التعب إلى الراحة ومن التخطيط إلى الصفا ومن الانكار إلى المعرفة (فإن قلت) فقال الحضري قد انقطعت التربة وما بقي إلا الهمة والحال فليكن بالكتاب والسنة (قلت) لم يقصد الحضري انقطاعها على الأبد وحاشا الحضري أن يتحكم على الله ويعجز قدرة الله وإنما أراد أن في زمانه مدعين كثيرين فحذر أهل زمانه منهم ومعرفة الحضري وزروق رضى الله عنهما تافى هذا القصد على تقدير صدورهما منهما فليسا بمحصومين فكل كلام يرد ويقبل إلا كلام صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم (قد) وجد بعد الحضري رجال كانوا من أهل التربة النبوية بالحال والمقال والهمة لا يمكن عدم وهم موجودون في زماننا هذا مشهورون كئنا على علم قد هدى الله على أيديهم خلقاً كثيراً وخرج على أيديهم من الأولياء ما لا يعلم إلا من من عليهم بمعرفتهم قال في لطائف المنن إنما يكون الاقتداء بولى ذلك الله عليه وأطملك على ما يؤدعه من الخصوصية لديه فطوى عنك شهود بشرية وعرفك وجود خصوصيته فألقيت إليه القياد فذلك لك سبل الرشاد يرفك برعونات نفسك ودقاتها وكأنتها ودقاتها ويدلك على الجمع على الله ويدلك القرار بما سوى الله ويسارك في طريقك حتى تصل إلى الله يوفقك على إساءة نفسك ويعرفك بإحسان الله اليك فتفيدك معرفة إساءة نفسك الحرب منها وعدم الركون إليها ويفيدك العلم بإحسان الله اليك الإقبال عليه والقيام بالشكر إليه والدوام على بر الساعات بين يديه قال فإن قلت فأين من هذا وصفه لقد دلتني على أغرب من عنقاء مغرب فاعلم أنه لا يعوزك وجدان الدالين وإنما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم جديداً بعد مرشداً وتجذبك في كتاب الله قال تعالى (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) وقال (قلو صدقوا الله لكان خيراً لكم) (قلوا اضطرت إلى من يوصلك انتهى المراد إلى ذلك وتمكن فيه فقد انتهى سيره وذلك غاية العاريق إلى عين التحقيق قال تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) وبالله التوفيق ثم ذكر مقام الشهود فقال :

ثم امتحنى في غيبة الشهود فأطلق القول أنا معبودى
حي إذا رد عليه منه أثبت فرقا حيث لم يكن

(قلت) العبد في حال غفلة يكون مبنياً برؤية نفسه واقفاً مع شهود حسه مسجوراً بمحيطاته محصوراً في هيكل ذاته فإذا أراد الله تعالى أن يرفع عنه الحجاب ويدخله في - غيرة الأجباب ألقاه إلى ولى من أولياته وعرفه سر خصوصيته واصطفاه فلا يزال يسير بمواظبه ويحرق غايه حوائد نفسه ، ويغيب عنها ويذهب في نفسه وجنسه فإذا رآه الشيخ قد فرق في حقه الحجاب ، واستحق الانخراط في سلك الأجباب . فتح له الباب وقال له ها أنت وربك فاذا جاز في حضرة النور ورفضت عنه الستور أنكروا الوجود بأسره وأنكر وجود نفسه فامتحن وجوده في وجود محبوبه ، وانطوى شهوده في شهود معبوده ، فأنتأ يقول أنا من أهوى ومن أهوى أنا . أنا المحب والمحبوب ، ليس ثم ثاني فإذا تمكن في الشهود وتحقق برؤية نور الملك المعبود ، رد عليه محوره ، ورجع إليه سلوكه . فأنبت فرقة في عين الجمع قياماً بوظائف الحكمة في عين شهود القدرة فيكون الجمع في باطنه مشهوداً والفرق على ظاهره موجوداً فرقا لفظياً لاحقياً أدباً مع الربوبية وقياماً بوظائف العبودية فلا تتهيج رياض الملكوت إلا بزهر جمال الثريفة المحمدية (وقد قلت) في قصيدة سأريت بها تلبية ابن ميثيق رضى الله عنه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

رياض بساتين المعارف بهجت بزهر جمال من شريعة أحمد

إلى الله اضطرار الظمان إلى الماء والخائف إلى الامن لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك ولو اضطرت إلى الله اضطرار الأم لولدها إذ قدته لوجبت الحق منك قريباً ولك مجيئاً ولوجبت الوصول غير متعذر عليك ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك اه (قال الشيخ) ابن عباد رضى الله عنه وفي كلامه تنبيه على أن الشيخ من منح الله وهداياه للعبد المرید إذا صدق في إرادته وبذل جهده في مناصحة مولاه لا على ما يزعمه من لا علم عنده من كونه لا يشترط ثم قال وعند ذلك يوفقه الله تعالى لاستعمال الأدب معه لما أشهدته من على مرتبته ورفع درجته اه (وقال أيضاً) في لطائف اللين وليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه وليس شيخك من واجهتك عبارة إنما شيخك من سرت فيك اشارته وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك من رفع يذك وبينه الحجاب وليس شيخك من واجهك مقالة إنما شيخك من نهض بك حاله شيخك هو الذي أخرجك من بين الهوى ودخل بك على المولى شيخك هو الذي ما زال يحلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار ربك نهض بك إلى الله فهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه لالزال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فخرج بك في نور الحضرة وقال ها أنت وربك اه والسير هنا إلى الله تعالى مجازي عبارة عن قطع العلائق والموائق وإلا فالأمر كما قال الشيخ (لا مسافة بينك وبينه حتى تطربها ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك) قلت هذا سؤال عن بحث مقدر كان قائلاً قال له هل بيننا وبينه مسافة حتى يتحقق سير السائرین إليه فقال لا مسافة بينك وبينه إلا حجاب النفس الكثيفة وعلائق القلب الكونية غرق عوائدها وقطع شهواتها وقطع العلائق والموائق هو السير إلى الله فنخرج عوائده نفسه زالت عنه الحجب الظلمانية ومن قطع علائق القلب فاضت عليه العلوم الربانية وأشرقت عليه الشمس العرفانية وهذا هو الوصول فلا مسافة بينك وبينه حسية حتى تطوهار حلتك ولا قطعة بينك وبينه أى لا حاجز بينك وبينه حتى

كذلك بحار الجود تدفقت بأنواره في كل غيب ومشهد (قوله) ثم انمحي في غيبة الشهود أى انمحي وجوده في وجود الحق (قال في الحكم) الاكوان ثابتة بإثباته مجرة بأحدية ذاته وقال أيضاً في الكلام على الإشارة بل العارف من الإشارة له لقائته في وجوده وانطوائته في شهوده (وقوله) فأطلق القول أنا لمعبودى اطلاق هذا القول لا يسلّم له إلا في حالة القوة والجذب وإلا فقد علت ما وقع للحلاج وهوولى الله حقاً وفي معنى ذلك قيل :

ومن شهد الحقيقة فليهنأ وإلا سوف يقتل بالسنان
كحلاج المحبة إذ تبنت له شمس الحقيقة بالتداني
(وقال آخر)

بالسر إن باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائسين تباح
(قال ابن خلدون) قتل الحلاج بفتوى أهل الظاهر وأهل الباطن أهل الشريعة وأهل الحقيقة لأنه باح بالسر فوجب عقوبته اه ومن أفتى بقتله الجند والشيلى غيرة على السر أن يفتى لغير اهله فالواجب كتم الأسرار وإظهار شريعة النبي المختار والله در الششترى حيث يقول :

شق ثوب الوم شقه ترفع عنك المشقه
ان منك اليوم شوق فافق عن ذلك رقى

فإذا حققت ذاك ، وانتهى يادى صفائك ، قف على طور سينائك ، واجعل الوجد حياتك ، وافق بهمتي تكن إياك
أن تقول انا ، واحذر أن تكون سواء (وقوله) حتى إذا رد عليه منه هو على حذف المضاف أى حتى إذا رد عليه من

تحجوها وصلتك قال تعالى (واتد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من قريب الوريد) فاحال بيننا وبينه إلا توهم وجود نفوسنا قلو غيبنا عنها لوجدنا أنفسنا في الحضرة ولا يمكن الغيبة عنها إلا بموتها وموتها في مخالفة عوائدها (قال الشيخ) أبو مدين من لم يمت لم ير الحق وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه لا دخول على الله إلا ما بين إما بالفناء الأكبر الذى هو الموت الطبيعى أو بالفناء الأصغر الذى تعنيه هذه الطائفة وقال بعضهم لا يدخل على الله حتى يموت أربع موات الموت الأحمر وهو مخالفة النفس والموت الأسود هو احتمال الأذى من الخلق والموت الأبيض وهو الجوع والموت الأخضر وهو ليس المرقعات قال الشطبي رضى الله عنه واعلم أن طريق الحق تعالى ليس فيها مفازة ولا متاهة بل هى منازل وأحوال قد جعل الله جميعها أعواناً وأنصاراً وهو سبحانه يصدق وعد وينصر عبده ويهزم الأحزاب وحده وإنما المقارن والمساكنات فى الركون إلى المألوفات واتباع العادات وفى مسامحة النفس والوقوف مع الحس والحسن وعند كشف الفناء يتبين ذلك كما قال صاحب المباحث الأصلية :

وإنما القوم مسافرون لحضرة الحق وظاعنون

فاقتروا فيها إلى دليل ذى بصير بالسير والمقيل

قد سلك الطريق ثم عاد ليخبر القوم بما استفاد

إلى آخر كلامه اه وقال أيضاً ومن الناس من تعجبه المجاهدة عن المشاهدة فسطوا عليه الأحوال فتحول بينه وبين النفاة القصوى ومناجى الخلق متفاوتة لا تجرى على منهاج واحد قال الله العظيم (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً وكل وجهه هو موليا فاستبقوا الخيرات) وكل شخص إنما يعبر عن وجهته التى خصه بها ولذلك كان النظر فى الكتب يضاعف

شهود نفسه أى بره تخيئذ أثبت فرقا لظهور العبودية فى مظهر الربوبية سبحانه من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية وظهور عظمة الربوبية فى مظاهر العبودية ربوبية بلا عبودية تهن وعبودية بلا ربوبية محال وبهذا الفرق ثبت التكليف .

(قال) شيخ شيوخنا سيدى العمرانى رضى الله عنه فى كتابه اعلم أن الكلف صفة من أوصاف الفرق وعدم الكلف صفة من أوصاف الجمع والفرق عبودية وهو محق والجمع ربوبية وهو محق أيضاً صار الحق هو القائل وهو المستمع لما قال لأجل هذا المعنى تجمد هؤلاء المتوجين إلى الله تعالى من غاب عليه شهود الجمع تجمده فى غاية البط والراحة من الكلف ومن غلب عليه شهود الفرق تجمده فى غاية التضر والتعب والكلف ويرحم الله القائل :

الرب حق والعبد حق باليت شعرى من المكلف

ان قيل عبد فاليد ميت أو قيل رب أنى يكلف

(وقد أجابه) سيدى عبد الرحمن الفاسى فنعنا الله بالجميع بقوله :

نعم بمحق اثبات عبد بنعت فرق به يكلف

والعبد ميت بغير رب لمرعون منه يكلف

(وقوله) أدرك فرقا حيث لم يكن ومعه أى ادرك فرقا حيث لم يكن فرقاً وإنما أثبتته الحكمة فوجب اثباته بالله فالشرية أدب متايلو الطر بقسير منه إليه والحقيقة وصول منه إليه وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه (سمع) بعض العارفين هاتف الحق يقول أنا الله سبحانه ما أعظم شأنى ظهرت لحفاؤها صفاتى وخفيت لظهورها ذاتى شهدت صفاتى بوحداية ذاتى

المساك لتشعبها وكثرتها عند اختلاف المهمل لاسيما من جبلت طبيعته على علم الظاهر فانه أبعد الناس عن الطريق مالم يداركه الله بفتح منه لأن التشريع كل حكمة تحتها حكم من لم يفهما فبستانه مزر غير مشر ومن هنا وقع الانكار حتى امتحن الله كثيرا من الصوفية على أبدي علماء الظاهر عندما نسبوا للكفر والزندقة والبذعة والضللال وسر الخصوصية يقتضى ذلك لا محالة سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وما هلك الأمم السابقة إلا بقولهم إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون فتحصل أن الإنسان إذا جال مع النفس في ميدانها لمجاهدتها حتى هزبها وظهرها من الأوصاف الحاجة لما رجعت نفسه حيث تد إلى أصلها وهي الحضرة التي كانت فيها إذ لم تكن بينها وبين الحضرة إلا الحجب الظلمانية فلما تخلصت منها رجعت إلى أصلها نوراً مشرقاً في قالب ظلماني فصارت عنده باقوة مكتونة تطوى عليها أصداف المكنونات كما بان ذلك بقوله (جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين غلوقاته وإنك جوهره تطوى عليها أصداف مكنوناته) قلت قد عظم الله سبحانه هذا الإنسان وجعله نعمة الأكوان اجتمع فيه مالم يجمع في غيره فيملك وملكوت ونور وظلمة وغيب وشهادة وعالم علوى وسفلى وقدره وحكمة وحس ومعنى فقد جعلك الله أيها الإنسان ناشئاً في العالم المتوسط بين ملكه وهو بشرتك وملكوته وهو روحانيتك أو تقول بين ملكه وهو عالم الأشباح وملكوته هو عالم الأرواح قلت أيها الإنسان ملكاً فقط فكون كالبهائم والجمادات ولا ملكوتياً فقط فتكون كاللائكة ولكن جعلك مركباً من ملك وملكوت لتظهر ميزتك بالمجاهدة والمشاهدة ولذلك خصصت بالخلافة وقدمت لحل الأمانة ثم تمتع بالنعيم والنظر إلى وجهه الكريم ثم انقسمت الناس على قسمين فمنهم من غلبت بشرتهم على روحانيتهم وملكهم على ملكوتهم وظلّتهم على نورهم فيقوا في ظلمة الأكوان ومنهم من الشهود والميانونم وأحاطت ذاتي بجميع صفاتي فأضمحت الصفات في الذات وغابت الذات في الصفات فنزلت إلى قربي تزيهاً وتقديراً عن مثلي لا إله إلا أنا الملك الحق المين كل شيء هالك إلا وجهي (ألم يهيم طسم حم عسق) لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والله تعالى أعلم ثم أشار إلى مقام البقاء فقال :

فرد نحو عالم التحويل وعبروا عن ذلك بالنزول

ورده بالحق نحو الخلق كما يؤدى واجبات الرق

(قلت) إذا تمكن المريد في الجذب وتحقق من شهود الرب وأتقن صناعة السباحة في البحر رد إلى شهود جزيرة البر ليكون ماشياً بين بر وبحر وهو مقام الكمال كما قال ابن عطاء الله بعد الكلام على مقام الجذب والخمرة وأكمل منه عبد شرب فازداد سحوراً وغاب فازداد حضوراً فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه يعطى كل ذي حق حقه ويوفى كل ذي قسط قسطه انتهى ويسمى هذا مقام البقاء لأنه أبقي ما كان فناء أول مرة في حالة جذبه قلباً صفاً من سكر توحيد ما كان فناءً باقياً على حاله وإنما بقي الوجود فقط وفي ذلك يقول الجيلي في عينيه :

فانفتحتها حتى فتت وهي لم تكن ولكنني بالوهم كنت أظالم

وقال الششتري :

أف من لم يكن يبقى من لم يزل

فمقام البقاء مقام شريف وحال منيف وهو مقام الرسل عليهم الصلوات والسلام وهو معنى قول الشيخ أبي يزيد خضنا بحراً وقتت الأنبياء بساحله لأن الأنبياء عليهم السلام لما غلضوا البحر من التقدم الأول رجعوا إلى ساحل البحر ليسيروا والناس في البر والبحر ولو بقوا في البحر ما أمكنهم أن يسيروا أحداً في البر فيعطل حكمة الأله في إرساله لهم لعل الشيخ أبي يزيد

عوام المسلمين ومنهم من غلبت روحانيتهم على بشرتهم ونورهم على ظلماتهم وملكوهم على ملكهم وهم الخواص العارفون السائرون اليه بمجاهدة نفوسهم في ميدان الحرب وهو مجال الفرسان فهم السابق المقرب ومنهم اللاحق المحب كل واحد على قدر صدقه في محبة سيده وظاهر كلام الشيخ ان الانسان شيء زائد على البشرية والروحانية لانه قال جعلك الله في العالم المتوسط بين الملك وهو البشرية والملوكوت وهو الروحانية فيقتضى أنه شيء ثابت بينهما والتحقيق أن الإنسان هو المجموع من الجسد والروح فهو بنفسه عالم متوسط أى مركب من ملك وملكوته فلو قال جعلك عالماً متوسطاً بين ملكك وملكوته لأفهم المراد بسهولة أى لست ملكاً فقط ولا ملكوتاً فقط بل جعلك متوسطاً بينهما أى مركباً منهما كقوله عليه السلام كنت نبياً وأدم بين الماء والعين أى مركباً منهما دون روح ولكن عبارة الشيخ فيها الغاى وتدقيق إشارة وعلمنا كله إشارة وإنما جعلك بين ملك وملكوته ليعلك جلالة قدرك وغاية أمرك قال تعالى ولقد كرما بنى آدم وقال لقد خطبنا الإنسان في أحسن تقويم وليعلك أيضاً أنك جوهره نفيسة مصونة في صدف نفيس وهو الكون بأسره فخطرى عليك أصداف مكوثه من عرشه إلى فرشه فانت أيها الإنسان كاليافوثة في صدف الأرض ثقلك والساء تظلك والجهات تكنتك والخيرات تخدمك وتنفك والجمادات تهف عنك وأنت في وسط الجميع فالأفلاك دائرة بك والشمس والقمر منيران لما أنت فيه فانت جوهره الصدف ولباب الكون ومداره عليك (قال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه ألا كون كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة (وقد) ورد في بعض الكتب يا ابن آدم أنا بك اللازم فالزم بك (وفى بعض) الآثار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى فلا تشغل بما هو لك عن أنت له وقد قالوا فى عجائب الإنسان ان الوجود كله منطوق فيه فهو نسخة من العالم الأكبر وبما ينسب لأبي العباس المرسى رضى الله عنه

قال هذه المقالة قبل رجوعه لبقاء السكر غالب عليه (قوله فرد أى رده الشيخ نحو عالم التحويل بالحاج الملهمة أى التصديق وهو محل ظهور تصرفات الاسماء والصفات وهو عالم الخلق وقد كان فى حالة الجذب فى عالم الأمر (وفى) بعض النسخ بالمعجمة أى محل ظهور انعام الله على خلقه وما حولهم به من كرمه وجوده (وقوله) وغيره وان ذلك بالنزول لأن الحرية ارتفاع والعبودية نزول (وقال) فى الحكم بعد ما تكلم على الحضرة فان نزولاً إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فالأذن والتمكين والرسوخ فى اليقين (وقوله) ورد به بالحق نحو الخلق أى رده الله نحو عالم الخلق لأجل أن يؤدى ماوجب عليه من حقوق الرق وهى العبودية وهى عند الله أشرف المقامات وأسنى الكرامات وماخطب الله أنبياءه ورسله إلا بالعبودية قال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً وقال تعالى واذكر عبادنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب واذكر عبدنا أيوب إلى غير ذلك (وقد) قلت فى قصيدتى العينية فى هذا المعنى :

تمسك بمنهاج الشريعة أنها أمان من كل هول للظهر قاطع
فشد لها يد الضنين فتسوى كمال الكمال منك هو الشرائع

(وقال) سيدى على رضى الله عنه فى كتابه اعلم أن مقام البقاء هو مقام الملك باق وهو مقام خاصة الخاصة وهو مقام الراحة بعد الشقاء والرجع بعد الحسران وهو مقام العبودية لله بلا علة والنظر إليه بلا واسطة وهو مقام التفريق بعد الاجتماع والتواضع بعد الارتفاع والعجز بعد القدرة والأدب لله بالله بعد التمكين فى الحضرة الإلهية صاحب هذا المقام راسخ فى العلم والعمل رافع فى شهود الحق فى الجلال والجمال لتحقيق المقامات والأحوال (قال) أبو المواهب الترنسى فى قوانينه من وصل

يأتينا في مهمة عن سره أنظر تجد فيك الوجود بأسره
أنت الكمال طريقة وحقيقة يا جامعا سر الإله بأسره

وقال في المباحث :

ياسابقاً في موكب الابداع ولاحقاً في جيش الاختراع
اعقل فأنت نسخة الوجود لله ما أعلاك من موجود
أليس فيك العرش والكرسي والعالم العلوي والسفلي
ما الكون إلا رجل كبير وأنت كون مثله صغير

(قلت) إنما يكون الانسان نسخة من العالم أو كونا صغيراً مالم تغلب روحانيته على بشرته ومعناه على حسه وتوره
على ظليته وأما إن غلبت روحانيته على بشرته ومعناه على حسه فقد صار حيثما ملكوتيا جبروتيا قد استولى على الكون
بأسره وصار هو العالم الأكبر والكون نسخة منه وفي ذلك يقول ابن الفارض رضى الله عنه :

وإذ وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوق

إذ الروح لم يسمعها أرض ولا سماه كما بين ذلك بقوله (وسمك الكون من حيث جئنا نيك ولم يسمعك من حيث ثبوت
روحانيتك) قلت الروح إذا اتصفت وتطهرت من كدورات الحسن عرجت إلى عالم الجبروت فلم يحجبها عن الله أرض ولا
سماه ولا ظلك ولا عرش ولا كرسي بل يصير ذلك في جوفها كشمس تافه وهذا أمر مفقود عند العارفين إذا نظروا إلى الكون
بأسره ذاب ورجع ماء فإذا شربوه صار في قلوبهم كنقطة وهم متفاوتون في إحاطتهم بالكون ففهم من يصير عنده كالبيئة
(ومنها) من يصير عنده كالخردلة وذلك بحسب اتساع النظرة وضيقها فكلما جالت الروح في بحر الجبروت صغر الكون

البقاء أمن الشقاء ثم أشار إلى ما يفعل بعد ترشيده وإطلاق يده من التجبير فقال :

فكلم الناس بكل رمز وألفز التعبير أى لفز
وعندما أسلك المسالك أقامه شيخنا لكل سالك

(قلت) الفقير إذا كان في مقام الاستشراق ولم يتمكن من علم التحقيق تجده يعبر عن الحقيقة بعبارة واضحة عارية
من الكسوة وذلك اضيق عطوهم عدم فروسيته فإذا تمكن في العرفان ورشح في الشهود والبيان استحق حينئذ دخول الميدان
وجال مع النيران فإذا جال بفرسه بين الناس لا يسبق ولا يضر أحداً من الخلق (أو قول) كل من لم يتحقق بالوصول
لا يقدر أن يرقى النزول وقه در الفز إلى حيث قال :

غزلت لم غز لا ريقاً فلم أجد لفزلى نسا جفا فكرت مغزلى

فإذا رد المرید إلى مقام البقاء وسلك تلك المسالك المتقدمة من جذب وفناء وتخليه وتخليه أمره الشيخ بن عبد الكريم الناس
وإرشادهم إلى ربهم فاستحق أن يكون شيخاً مرياً وهذا حاصل اليتيم والرمز أدق وأخفى من اللفز لأن الرمز إشارات
وتلميحات واللفز كلام يراد به غير ظاهره ففهمه من عرف اصطلاحه أو قرينه وكان حق الناظم أن يقدم البيت الثاني
على الأول لأن تعبير المرید ناشئ عن تذكريه وتذكيره ناشئ عن تقديمه ولذلك فقد ديه هو إقامته للشيخوخة فإذا أقامه
لذلك أمكن أن يأتي بالرمز أو باللفز والأمري في ذلك قريب والله تعالى أعلم ثم أشار إلى أن هذا العلم ليس هو أمراً
بالسان وإنما هو أدواق بالجنان فقال :

فهذه أحوال خي الأحوال تترك بالانصال لا الأقوال

عندها حتى لا نحس به ولذلك قال بعضهم لو كان العرش في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به وقال آخر العرش والكرسي منطبعان في ترسي وقال شيخنا شيخنا ملاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه العرش والكرسي في طي قبضتي ثم يتلاشي الكون ويضمحل ويصل عالم الملكوت بعالم الجبروت فلا بقاء إلا للحي الذي لا يموت وهذا لا يفهمه إلا العارفون الذين غلبت روحانيتهم على بشرتهم فصاروا روحانيين ملكوتين أشباحهم مع الخلق وأرواحهم مع الحق فقدوسمك أيها الإنسان الكون وحسرك من حيث جثايتك وبشرتك وهيكلك المحصور ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لأن روحك متصلة بعالم الجبروت المحيط فلما تكثفت وانحصرت في هذا الهيكل لزمها القهرية فانهجبت بالحكمة وتقيدت بالقدره فادامت البشرية كثيفة بحب الشهوات والعوائد فهي محجوبة فإذا تلطفت بذكر الله وانخرق عنها حجاب الحس رجعت إلى أصلها فانصلت يجرها فصار الملكوت والملك في طي قبضتها فلم يسعها حيث تذا أرض ولا سماء ولا يصحها عرش ولا فرش ولذلك قيل الصوفي لا تقله الأرض ولا تقله السماء (وفي) الحديث القدسي يقول الله تعالى لم تسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن أي الكامل وهو العارف والله تعالى أعلم فالجبروت هو المعاني اللطيفة القديمة التي لم تدخل عالم التكوين والملكوت ما دخل عالم التكوين باعتبار جمعه ولحوقه بأصله والملك ما دخل التكوين واعتدفيه للفرق وأهل الجمع لا ملك عندهم وإنما عندهم الملكوت والجبروت فما داموا يفرقون بين النور اللطيف والنور الكثيف فعندهم الملكوت والجبروت فإذا ضموا كل شيء إلى أصله لم يبق إلا الجبروت وأهل الفرق أنبتوا الملك بوجههم وحبوا به الله والله غالب على أمره فادام العبد مسجوناً بالكون محصوراً في بشرته فهو في سجن الأكران فإن فذنت بصيرتو عرجت روحه إلى الملكوت خرج من السجن إلى القضاء كما بين ذلك بقوله الكائن في الكون ولم تفتح له ميادين القيوب مسجوناً بمحيطاته

(قلت الإشارة تعود إلى ما قعنه من أول الباب إلى هنا وإن تدرج السالك في هذه الأحوال والمقامات هي أحوال أهل الأدواق والوجدان من أرباب الأحوال وهي إنما تدرك بالأعمال مجاهدة ومكيدة ثم مشاهدة (قال الجنيد) رضي الله عنه ما أخذنا التصوف عن القليل والقال والمرء والجidal وإنما أخذناه عن الجرع والهر وكثرة الأعمال وأنشدوا في معنى ذلك :

يا من يريد منازل الابدال من غير قصد منه الأعمال
لا تطعن فيها طلست من أهلها ما لم تراهم على الأعمال
بيت الولاية قسمت أركانه ساداتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دائم والجرع والهر التزبد المال

ثم بين أن ما ذكره هو طريق السلف المتقدمين من الجهادية المتشككين وأنه لا يزال الحرام في وجودها أبداً فقال :

فهكذا كان طريق القوم ولم يزل يخضم كل خضم

(قلت) الانكار على الأولياء سنة ماضية ولن تجد لسنة الله تبديلاً قال تعالى (وكن ذلك جوداً لكل ذي عدوان من الجرمين) وما قيل في النبي يقال في الولي لأنه على قدمه لكن حجة الأنبياء غالية واحتجوا بالمنكرين عليهم راية داحضة وكذلك حجة الأولياء على الأغوياء لا تزال قائمة غالباً لأنها هي الطائفة الظاهرة إلى يوم القيامة وهذا من قوله ولم يزل يخضم كل خضم أي يبلب كل ما يخاضه والله متم نوره ولو كره الكافرون (نتيجه) قوله هكذا الإشارة تعود إلى تدرج المريد وتربيته بالكيفية التي تهتم وهل هذه التربية تجري في كل زمان أو لكل زمان تربية مخصوصة الظاهر أن كل زمان تحدث له

محصور في هيكل ذاته (قلت ميادين التوب هي ما أدركته الروح حين خرجت من ضيق الأشباح إلى عالم الأرواح ومن فضاء الشهود إلى معرفة الملك المعبود فإدام الإنسان في الكون بحيث لا يشهد إلا الكون ولا يدرك إلا الحس ولم تفتح له ميادين التوب أي لم يخرج إلى فضاء الشهود فهو مسجون بحيطاته أي بالأكون المحيطة به كالسموات والأفلاك الدائرة به فهو في سجن الأكون محصور أيضاً في هيكل ذاته أي في شكل بشرته وكثافت جسمه فإذا غلبت روحانيته على بشرته فقد خرجت من حصر الهيكل وإذا تطلعت بصيرته إلى فضاء الملوكوت أو بحار الجبروت فقد خرجت من سجن الأكون إلى شهود المكون حيث تزداد من رق الأكون وتغطي بنعيم الشهود والعيان وأما مادام محصوراً في الهيكل مسجوناً في الأكون فهو محجوب عن الله ولو كان عالماً بالعلوم الرسمية متبحراً فيها إذ لا يزيد التغلغل فيها إلا حباً بالله وقد قال الشيخ أبو الحسن التغلغل في علم الظاهر يضرب بصاحبه في علم الخصوص أو ما هذا معناه وقال في قوت القلوب كل من لم يفتح له في هذا العلم علم الباطن فهو من أهل العيين وكل من فتح له في علم الباطن فهو من المقربين السابقين اهـ وهو ظاهر لأن علم الرسوم لا يخرج من سجن الأكون فهو مع الأكون على الدوام وإذا كان مع الأكون فإنه شهود المكون كما قال الشيخ رضي الله عنه (أنت مع الأكون مالم تشهد للمكون فإذا شهدت كانت الأكون معك) قلت مادام العبد مقيداً في سجن الأكون ومحصوراً في هيكل جسمه فالأكون حاكمة عليه فهو يحجبها وبسحقها وهي تبغضه وتبعد عنه وهو يفترق عنها وهي غنية عنه وهو يميل إليها ويحرص عليها وهي تفر منه وهو يخاف منها ويهابها وهي تخوفه وترعبه فإذا شهد مكنونها وغلب عنها وتحرر من رقها كانت حيث تخدمه خادمته وهو حاكم عليها وهي تحبه وتمسقه وهو مشغوف بحب خالقتها وهي تفتقر إليه وهو غني عنها وهي تحرص عليه وهو زاهد فيها وهي تخاف منه وتهابه وهو في أمن منها فالجنة تشناق

تربة مخصوصة لأن الأولياء على قدم الرسل فكأن الحق تعالى لم يكتب برسول واحد لجميع بني آدم لاختلاف المصالح والعوائد فكل زمان بعث الله فيه رسولا يخرج أهله من عوائدهم التي حجبهم عن الله وكذلك الأولياء يبعثهم الله في كل زمان بخرق عوائده (وقد قال) عمر بن عبد العزيز تحدث للناس أقضيه بقدر ما أحدثوا من الفجور ويقال في قياسه تحدث للناس تربة بقدر ما تعودوا من الأمر والله تعالى أعلم (ثم) إن هذه الطريق ميراث نبوي أخذه وارث عن وارث إلى خير وارث وهي مستمرة حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وإلى ذلك أشار بقوله :

وهي إذا ما حققت موارث عن خير مبعوث وخير وارث

(قلت) هذه الطريقة مروية أخذها عارف عن عارف إلى سيد العارفين صلى الله عليه وسلم (ولنذكر) سلسلتنا تيركا واقدهاء بن ذكر ذلك فقول أخذنا الطريق وعلم التحقيق عن شيخنا الواصل المحقق الكامل مربى السالكين ومرشد الطالبين سيدي محمد البوزيدي الحسني (عن) شيخه القطب العارف شيخ المشايخ مولاي العربي الدراقوي الحسني (عن) شيخه سيدي علي (عن) شيخه سيدي العربي (عن) شيخه سيدي أحمد بن عبد الله (عن) شيخه سيدي قاسم الخاصصي (عن) شيخه سيدي محمد بن عبد الله الكبير (عن) شيخه سيدي عبد الرحمن الفاسي (عن) شيخه سيدي يوسف الفاسي (عن) شيخه سيدي عبد الرحمن المنجوب (عن) شيخه سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدار (عن) شيخه سيدي إبراهيم أظام (عن) شيخه سيدي أحمد زروق (عن) شيخه سيدي أحمد بن عقبة الحضري (عن) شيخه سيدي يحيى القادري (عن) شيخه سيدي علي بن وفا (عن) أبيه سيدي محمد بحر الصفا (عن) شيخه سيدي داود الباخلي (عن) شيخه سيدي أحمد (٤٥ - إقفاظ ثاني)

اليه وهو غنى عنها (وفي الحديث) اشتاقت الجنة إلى علي وصهيب وبلال كانوا من أهل الصفة والنار تنابه وهو في غيبة عنها وقد ورد في الحديث أنها تقول يوم القيامة جزيا مؤمن فقد أطلقا نورك لحي أو كما قال عليه الصلاة والسلام فأنت أهما الانسان محبوس مع الأكوأن في عالم الأشباح مقيد في قيودها فهي حينئذ تصرف فيك كيف شامت حين تكون تنهما وتحرص عليهما وتشتاق إليهما كاتمة ما كانت شهادة أو غيبة مالم تشهد للمكون وتمرره فإذا شهدت المكون وعرفته كانت الأكوأن معك لأنك تكون حراً عنها وهي ملوكة لك لتحب منها شيئاً من حيث كونيتها ولا تخاف منها شيئاً كذلك لأنك قد رحلت عنها إلى عالم الارواح فحينئذ تكون في قبضتك تصرف فيها كيف شئت لأنك حينئذ تصير خليفة الله في أرضه الكون كله في قبضتك وعند همتك لأنك علقك همتك باقه فصور الأشياء عند همتك (وفي بعض الآثار) المروية عن الله عز وجل يقول عبيد اجعلني مكان همتك أكفك كل همتك ما كنت بك فأنت في محل البعد وما كنت في فأنت في محل القرب فاختر لنفسك وقال بعض الاشياخ اني لادخل السوق والأشياء كلها تشتاق إلى وأنا غني عنها وقال ابن الجلاح رحمه الله من علت همته عن الأكوأن وصل إلى مكانها ومن وقف بهمة على شيء دون الخلق فقد حجب بعنه لأنه أعز من أن يرضى معه بشريك اه فمن رفع همته عن الأكوأن ومتع بشهود المكون فقد ثبت له الخصوصية الكبرى والولاية العظمى ولا يلزم من رفع الهمة عن الأكوأن استغناؤه عما يحتاج إليه البشرية بما يقوم به وصفها اللازم لها واليه أشار بقوله (لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وصف البشرية) المراد بالوصف البشري ما جعله الله محتاجاً إليه بحكمته في قوام بدن الانسان من أكل وشرب ولباس ومسكن وما فطره عليه من شهوة مباحة كتنكاح وشهوة غير محرمة فهذه الأوصاف لا ينافي وجودها وجود الخصوصية فقد قال تعالى في الرسل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في

ابن عطاء الله (عن) شيخه سيدي أبي العباس الرمسي (عن) شيخه سيدي أبي الحسن الشاذلي (عن) شيخه القطب سيدي عبد السلام بن مشيش (عن) شيخه سيدي عبد الرحمن المدني (عن) شيخه القطب تقي الدين الفقير بالتصغير فيهما (عن) شيخه القطب غفر الدين (عن) شيخه القطب نور الدين (عن) شيخه القطب تاج الدين (عن) شيخه القطب شمس الدين (عن) شيخه القطب زين الدين القزويني (عن) شيخه القطب سيدي إبراهيم البصري (عن) شيخه القطب سيدي أحمد المرواني (عن) شيخه القطب سيدي سعيد سعيد الغزواني (عن) شيخه القطب سيدي سعد (عن) شيخه القطب قبح السمود (عن) شيخه القطب سيدي سعيد سعيد الغزواني (عن) شيخه القطب أبي محمد جابر (عن) أول الاقطاب سيدنا الحسن بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن) والده أمير المؤمنين سيدنا علي ككرم الله وجهه الذي هو باب مدينة العلم (عن نخبة الوجود) ومادة عين الرحمة والجود سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا محمد (ع) رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن) سيدنا جبريل (عن) الرب الجليل جل جلاله وتقدست صفاته وأسماءه (قال الشيخ) أبو الحسن الشاذلي طريقنا هذه مروية سلسلة قطب عن قطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن لم يكن له سلسلة أشياخه فهو مقطوع لاصح الاقتداء به والله تعالى أعلم ثم ذكر أن ماسلكه التليذ المتقدم من المقامات والأحوال هكذا يكون سلكها شيخه فقال :

وهكذا الشيخ على التحقيق إذ كان مثل سالك الطريق

(قلت) الإشارة تعود إلى التزوية المتقدمة يعني أن الشيخ المحقق كان سلك الطريق مثل ماسلكها المريد وهذا أخبار بمعلوم اذ لو لم يسلكها شيخه قبله ماسلكها هو وقد تقدم في شروط الشيخ ذلك كله والله تعالى أعلم (ثم) قال :

الاسواق وقال تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية) ثم وصف البشرية في حق أهل الخصوصية ليس هو كثيرهم لأن أهل الخصوصية أمرهم كله بالله انقلب حظوظهم حقوقاً بخلاف غيرهم أنفسهم غالباً عليهم فتقلياتهم كلها في حظوظ أنفسهم فاذا قرر هذا علمت أنه لا يلزم من ثبوت الخصوصية وهي الولاية والمعرفة أو الحرية ومعناها واحد عدم وصف البشرية بالخصوصية علها الباطن ووصف البشرية علها الظاهر ولذلك اختلفت الأولياء والأنبياء والرسل عن الناس لظهور أوصاف البشرية عليهم فكيف تعرف رجلاً يأكل كائناً كل ويشرب كائناً يشرب وينام ويتزوج النساء فلا يعرفهم إلا من أراد الله سعادته وما وقع الإنكار على الأنبياء والأولياء إلا لاعتقادهم أن أوصاف البشرية تنافي ثبوت الخصوصية فقد قال الكفار في حتمه عليه السلام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فرد الله تعالى عليهم بعدم تنافيهما فقال (وما أرسلنا قبلك من المرسلين) الآية فهذه الأوصاف التي ذكرنا لا ينفك الطبع البشري عنها وهي موجودة مع خصوصية النبوة والولاية وأما الأوصاف التي هي منعمو كالخس والكبر والبغض والعجب والرياء والغضب والقلق وخوف الفقر وهم الرزوق والتدبير والاختيار وغير ذلك فهذه لا بد من التطهير منها في خصوصية النبوة والولاية وقد تقدم قوله اخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف سناقص لعبوديتك لتكون لنداء الحق يحيا ومن حضرته قريباً أما في حق النبي فطهره منها واجب لأنه معصوم من جميع النقائص وأما في حق الولي فليس بواجب لكنه يحفظ فقد يصدر منه شيء من هذه الأوصاف المذمومة على سبيل المحفوة والزلة ولا تنافي وجود خصيصته لكنه لا يصير عليها ولا يدوم فيها فقد يصدر من الولي الغضب مثلاً والقلق والتدبير والاختيار وغير ذلك لكنه كالريح يضرب ويسرح قال في النصيحة الكافية وقد تكون للولي هفوات وزلات ولكن لا يصير عليها وقيل للجنيذ أيزن العارف فسكت ثم قال وكان

فن يكن هذه الأوصاف شيخنا وتليذا من انصاف

قلت يريد أن من انصف هذه الأوصاف المتقدمة بأن كان جامعاً بين حقيقة وشريعة بين جذب وسلوك إزاءها في الدنيا رافعاً همته عن الأكوان بأمرها فهو مستحق بأن يكون شيخاً ومن كان على قدمه من أتباعه استحق أن يكون تليذا على نعت الحق والانصاف والا فلا (م) ختم الفصل بذلك ليس تحتها حكم يتعلق بالنفن قال

فهذه لوازم الاحكام جتنا بها ترى على نظام

وما ذكرنا فهو كالقليل اذا اختصرنا خشية التطويل

قلت يعني أن هذه الاحكام التي ذكرها في هذا الفصل من تدريج المريد الى أن يصير شيخاً هي الاحكام التي تزم المريد الذي يطلب الوصول ولوازم الاحكام من إضافة الصفة الى الموصوف أي فهذه الاحكام الوازم أي اللازمة للمريد الصديق جتنا بها ترى أي يتبع بعضها بعضاً وإنما ذكر القليل دون الكثير لأن كثرة التطويل موجب للبلل ومقابل للحصول (وقد قالوا) الخبر مفتاح التحير وكان الزهرى يقول اذا طال المجلس حضره الشيطان لانه موجب لكثرة الكلام فيوقع في الخير والله تعالى أعلم (عامة) قال الشيخ زروق رضي الله عنه فان قلت هل يصح دخول الخلوقة والسلوك على هذا الأسلوب بغير شيخ فلنا نعم ولكن يتعذر النجاح لقوة العوارض وكثرتها فلذلك قيل ان الشيخ واجب في هذه المجاهدة دون مجاهدة التقوى والاستقامة وقد تقوى همة مريد في ذلك ولا يجد شيخنا فيهم على ذلك ويتوقف في الثبات والترك على رأى أخ صالح ذي بصيرة سليمة ثم يقوم مستعيناً بالله فان الله سبحانه يمنحه على قدر همته بفضلهم وأما الرياض والخلوات

أمر الله قدراً مقدوراً قال ابن عطاء الله ليت شعري لو قيل له أأنكون همه العارف مع غير الله لقال لا أه ثم ضرب مثلاً لنور الخصوصية مع ظلمة البشرية الحسية فقال (إنما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه تارة تشرق شمس أو صافه على ليل وجودك وتارة يقبض ذلك عنك فيردك إلى حدودك فانهار ليس منك اليك ولكنه وارد عليك) قلت مثل الربوبية الذي أشرقه الله في قلوب أوليائه وستره بظهور البشرية كمثل نور الشمس إذا أشرق على الأفق وهو الفناء الذي بين السواء والأرض فإن الفناء قبل ظهور الشمس مظلم ليس فيه نور فإذا أشرقت عليه الشمس رجع نوراً صافياً فورا نيته ليست من ذاته وإنما هي من الشمس كذلك نور الربوبية هو مستودع في باطن البشرية فإذا أراد الله تعالى أن يظهر خصوصية عبده أشرق ذلك النور على ظاهر بشرية فستولى روحانيته على بشرية فلا يبقى البشرية أثر فصيّر البشرية كلها نوراً فنور البشرية ليس منها ولكنه وارد عليها فتارة تشرق شمس أو صافه وهي الوجود والقدم والبقاء وسائر أوصافه السلبية والوجودية والمعاني والمعنوية على ليل وجودك الظلاني الكثيف فذهب أوصافك الحادثة العدمية بظهور أوصافه القديمة الأزلية فيتحقق الوصال ويذهب الانفصال وتارة يقبض ذلك النور ويغيبه عنك ويرده إلى باطنك فترجع إلى شهود عبوديتك ويردك إلى حدودك وهذا حال الوارد الإلهي إذا قاض على الإنسان غيبه عن نفسه واقتطعه عن حسه فلا يرى إلا أوصاف ربه وينكر وجود نفسه من أصله فاذا سكن الوارد رجع إلى شهود نفسه بربه ورجع ذلك النور إلى باطنه فيكون باطنه نوراً على البوم وظاهره تارة يتلب عليه ذلك النور وتارة تغلب عليه الظلمة أي العبودية فنور الوارد ليس من الإنسان من حيث بشرية ولكن وارد عليه من حيث روحانيته كأن نور الأفق ليس هو من ذات الأفق لكنه وارد عليه من إشراق شمس النهار عليه وما هنا مثال آخر وهو الحديد والفحمة إذا جمعتما في

الاصطلاحية التي يذكرها أبو العباس البوني وغيره فأسلبها ما يتعلق بالذكر المجرد وقد قرره في كتابه القبس وذكره من غير تقييد بأكل ولا صوم ولا كيفية ولا سبب فاعمل به إن شئت بعد تحقيق علم وبالله التوفيق انتهى (قلت) طريقة الاسماء لا تخلو من حروف وحظوظ الفتح فيها بعيد والاخلاص فيها معدوم وطريق الذكر المجرد إن كان بالشيخ نهض من ساعته وإن كان بنير شيخ فإن كان مراده الأجور أخذه وأفر وإن كان مراده الوصول فناية ما يصل إليه الفناء في الصفات وأما الفناء في الذات فلا يمكن بغيره شيخ هذا ما جرت به العادة وإن خرقت العادة في فرد فلا يقاس عليه والله تعالى أعلم وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثم) شرع في الفصل الرابع فقال :

الفصل الرابع في الرد على من رده وليس يدري شأنه وقصده

(قلت) مضمّن هذا الفصل تقييد من أنكر هذا الطريق وتوبيخ من رد على أهلها وتزييف رأيه وتغيير شأنه حيث أنكر ما لم يحط به علماً لم يدرك له شأنًا ولا تصدأ إذ لو عرف شأنه لعظمه ولو أدرك المقصود منه سارع اليهود لكن كما قال القائل من جهل شيئاً عاداه وقال تعالى وإذ لم يهتدوا به فيقولون هذا إنك قديم وقال الشاعر :

وكم عائب ليلي ولم ير وجهها فقال له الحرمان حبك ما فات

(وقد تقدم) أول الكتاب فصل الاجتناع على ترجيح مذهب الصوفية على غيرهم وذكر هنا الاحتجاج على ترجيح علومهم على علوم غيرهم ومن أين نشأ الإنكار عليهم وذم المنكر عليهم فأشار إلى الأول بقوله هذا الطريق من أجل الطرق فانهم هديت واقتده بتعلق

النار ونفخت عليها فانهما يرجعان من جنس النار وتكسو النار الحديد كله والنفحة كلها فاذا بردا رجعا الحديد حديد والنفحة نفحة كذلك البشرية إذا استولت عليها الروحانية صارت كلها روحانية معنوية فلا ترى إلا المعاني ولا تحس إلا أياها واعلم أن الناس في هذا التور على ثلاثة أقسام قسم نورهم هذه الباطن ولم يصد من شعاعه شيء لظواهره وهم العوام وقسم استولى نورهم على ظواهرهم وباطنهم وهم المجنوبون في حضرة الله وقسم امتلأ بباطنهم نورا وصعد شعاعه على ظواهرهم فاستولى على الظاهر على الدوام وهم السالكون بعد الجنب الراسخون في المعرفة و الله تعالى أعلم ثم ذكر الطريقة الموصلة إلى الخصوصية فقال (دل بوجود آثاره على وجود أسمائه وبيروت أوصافه ووجود أوصافه على وجود ذاته إذ حال أن يقوم الوصف بنفسه) قلت هذه طريقة الترقى فوجود الأثر يدل على وجود القادر والمريد والعلم والحق مثلا فالقادر يدل على قيام القدرة به بحيث لا تنافق إذ حال أن يقوم الوصف بنفسه فظن من وجود الأثر وجود المؤثر وهنا افترق أهل الظاهر من أهل الباطن فأهل الظاهر أثبتوا من وجود الأثر وجود الأسماء والصفات ولم يقدروا على شهود الذات عليهم الحس عن شهود المعنى والوهم عن ثبوت العلم وشهود الحكمة عن شهود القدرة وأهل الباطن لما فرغوا قلوبهم من الأغيار وباعوا نفوسهم للراحد القهار فتح الله عين بصيرتهم وأظلمهم على مكنون سره فأفردوا الحق بالوجود واتقوا عن بصيرتهم فظنهم كل موجود إذ حال أن يفارق الصفة موصوفا أو تقوم بنفسها فظن من وجود الصفات وجود الذات وهذا هو سر الخصوصية الذي خص الله بها أوليائه ولم يشاركهم فيه غيرهم ثم بين أهل الجنب من أهل السلوك وأهل التدن من أهل الترقى فقال (فأهل الجنب يكشف لهم عن كمال ذاته ثم يردهم إلى شهود صفاته ثم يردهم إلى التعلق بأسمائه ثم يردهم إلى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فنهاية السالكين بدابة المجنوبين لكن لا بمعنى واحد فرما التقيا في الطريق هذا في ترقبه وهذا

(قلت) إنما كان من أجل الطرق لأنه يدل على الله من أول قدم وخصوصا طريق الشاذلية بخلاف غيره من الطرق فان منها ما تدل على العمل ومنها ما تدل على العلم بالأحكام (وقد قال) الشيخ القطب ابن مشيش من ذلك على العمل فقد أتبعك ومن ذلك على الدنيا فقد غشك ومن ذلك على الله فقد نصحك والدلالة على الله هي الفناء فيه بالنية عما سواه (ولقد سمعت) شيخ شيخنا رضى الله عنه يقول صاحبنا أول قدم ندخل في الفناء في الذات ولا يحتاج إلى مجاهدة عمل إذا صدق في صحبتة وإن شئت قلت إنما كان من أجل الطرق لأن شرف العلم على قدر شرف متعلقه ومتعلق هذا العلم أشرف المتعلقات لأن مبدأه صدق التوجه إلى الله ومتناه أفراد القلب والغالب إلى الله على وجه تحقيق اليقين حتى يصير في معدن الشهود والعيان أو تقول أوله داع إلى محبة الله وأوسطه داع إلى السير إلى الله ونهايته الوصول إلى معرفة الله وقالوا في شأن المحبة أولها جنون وأوسطها فنون وآخرها سكون (وقال الجنيدي) رضى الله عنه لو أعلم أن آدم السماء أشرف من هذا العلم الذي تكلم فيه مع أصحابنا لسعيت إليه (وقال الشيخ) الصقلي رضى الله عنه كل من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة وكل من فهمه فهو من خاصة الخاصة وكل من عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك والبحر الذي لا ينزف (وقوله) فانهم هديت الخ الجملة دعائية معترضة بين المعطوفين أى فافهم واقتد بما نقول لك هداية الله لطريق الحق وأبان لك معالم التحقيق وأثبت هاهنا السكت في الوصول على حد قوله تعالى (فهداهم اقتده) فبين قرا بها (ثم ذكر) وجه ترجيحها على سائر الطرق فقال :

ان العلوم كلها المعلومة فتونها في هذه متهومة
قلت (إنما كان العلوم المعلومة عند الناس فتونها أى فروعها في جانب هذه الطريقة متهومة أى مشكولة لان غايتها

في تدليه) قلت عباد الله المخصوصون بسر الخصوصية هم في سيرهم على قسمين منهم من يبدأ بالجانب ثم يرد الى السلوك ومنهم من يبدأ بالسلوك ثم يدركه الجانب ثم يصح فأرياب الجانب يكشف لهم أولاً من غير مجاهدة عن شهود الذات فيسكن بشهود نورها فينكر الواسطة أصلاً وينكر الشرائع إلا أنه مطلوب ثم يرد من شهود الذات إلى شهود الصفات فلا يرى إلا صفات الحق تكشف وتظهر وينكر الأثر ثم إذا شهد الصفات تعلق بالأسماء اللازمة لها ثم يرجع الى شهود آثاره فيقوم بأحكام عبوديتهما السالكون على عكس هذا فيستولون بوجود آثاره على وجود أسمائه وبوجود أسمائه على وجود صفاته وبوجود صفاته على وجود ذاته كما تقدم فتباه السالكين وهي شهود الذات بداية المجنوبين ونهاية المجنوبين وهي شهود الأثر بداية السالكين ولكن ليس بمعنى واحد بل أحدهما نازل يشهد الأشياء باقية والآخر صاعد يشهد الأشياء بنفسه فلهذا التباين في الطريق كشهود الصفات والتعلق بالأسماء مثلاً هذا في ترقية وهذا في تدليه فاذا وصلنا اجتماعاً لأن المرتقى يرجع للأثر الذي انتهى اليه المجنوب بعد شهود الذات ويكون رجوعه بالله فيجتمعان معاً في مقام البقاء والمترقى أكل من التسلق في الترية لأنه قاسى شدائد الطريق وأهوالها بخلاف المجنوب فإنه كان محملاً وهو نادر إذ غالب على الناس السلوك ثم الجانب والطريق الشاذلية الغالب عليها الجميع بين الجانب والسلوك من أول قدم ومعنى الجانب هو اختطاف الروح من شهود الكون الى شهود المكون (واعلم) أن الناس في الجملة على أربعة أقسام سالكون فقط مجنوبون فقط سالكون ثم مجنوبون ومجنوبون ثم سالكون فالاولان لا يصلحان للترية والإرشاد أما السالك فقط فلا يظهرون بعض فلا نور له في باطنه يجذب به وأما المجنوب فقط فلا سلوك عنده يسير به والآخرون يصلحان للترية مع أفضلية الاول واعلم أيضاً أن حقيقة السلوك الاول هو شهود خلق بلا حق وحقيقة الجانب هو شهود حق بلا خلق وحقيقة السلوك الثاني هو شهود

لا يحصل الا غالب الظن للراجع وقد يحصل الجزم المطابق عن دليل لكن لا يسلم من اختلاج الوم لعدم الجزم بصحة الدليل (فقد قال) بعضهم إيمان أهل علم الكلام كالخيوط الملتقى في الهواء يميل مع كل ريح أو كريحة تتقلب مع كل ريح بخلاف علم التصوف فإن غايته الطمأنينة والتحقيق ذوقاً وكشفاً وشهوداً فالعلوم كلها تحصل علم اليقين والتصوف يحصل عين اليقين وحق اليقين (العلوم) كلها استدلالية وبرهانية وعلوم القوم ذوقية وعيانية (قال الشيخ) أبو الحسن رضي الله عنه أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان (وقال الشبل) رضي الله عنه ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة يعني أن في معدن العيان وغيره في عمل التهمة إذ لا يخفى صاحبه من خاطر رب وتهمة إذ لا ينقطع الخواطر عن القلب إلا إذا حصلت فيه الطمأنينة بالله ولا تحصل الطمأنينة إلا بصحة أهل الطمأنينة (وفي) بعض الاحاديث تعلوا اليقين بمجالسة أهل اليقين والله ما أظفح من أظفح إلا بصحة من أظفح (قلت) وعما يرجح أيضاً ما قاله الناظم أن طالب العلم الظاهر لا يتجدد قصده إلا معولاً إذ غالب طلبة العلم فساد قصدهم فيه يطلب الحظوظ والحروف بخلاف طالب علم الباطن فلا يتجدد نيته إلا بصحة لا تمنى على قتل النفوس وطرح الحظوظ فلا ينال منه شيئاً إلا من ترك حظوظه وشهواته (ثم بين الشيخ) وجد دخول التهمة في العلوم الرسمية قتال

إذ العلوم في مقام البحث وإن هذا في مقام الارث

(قلت) العلوم الرسمية كلها كسبية تدرك بالبحث عليها بالدلائل والبراهين فتبها الظن القوي وهذا شأن الفروع الفقهية لأن جلها ظنية وأما أصول الدين فتبها الجزم المطابق عن دليل فتبها الايمان بالغيب بخلاف علوم القوم فاتها مواهب وأسرار وكشوفات وأذواق تورث عن أربابها بالصحة والحجة والخمعة حتى يسرى ما في باطن الشيخ الى باطن التلميذ

خلق بحق الله تعالى أعلم ثم ما يدركه الاصل من أنوار الشهود والعيان وليست هي حسية يدركها كل إنسان وإنما هي معاني قلبية وأسرار باطنية ملكوتية كما أن ذلك بقوله (لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار إلا في غيب الملكوت كما لا تظهر أنوار السناء إلا في شهادة الملك) قلت اعلم أن الناس كلهم عديم النور في قلوبهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة أى على أصل النشأة الأولية وهى القبضة النورية قال تعالى (الله نور السموات والأرض) قال أهل تفسير الظاهر أى نور أهل السموات والأرض وهو عام في كل موجود فهما فقد تحقق إن النور سار في الجميع فمن الناس من حجب عن هذا النور وعى عنه وهو من وقف مع ظاهر الملك وهو قشر الكون وحسه الظاهر ويسمى عالم الاشباح ولم ينفذ إلى باطنه وهو الملكوت ويسمى عالم الارواح فهذا محجوب عن نوره الباطنى لا يرى إلا النور الحسى لأنه مسجون في سجن الاكوان محصور في ظلمة الحس والوهم ومن الناس من نفذت بصيرته إلى شهود النور الباطنى فيه ولم يقف مع القشر بل نفذ إلى شهود اللب وهو نور الملكوت وأسرار الجبروت وهو الذى أشار اليه في الباحث بقوله :

مهما تعدت عن الاجسام أبصرت نور الحق ذا انقسام

وهذا النور أبضا هو الذى تراه قلوب العارفين كما أشار اليه الخلاج بقوله

قلوب العارفين لها عيون ترى مالا يرى للناظرين

فاذا تحققت هذا علمت أنه لا يعلم بالبناء المفعول أى لا يظهر قدر أنوار القلوب النقية وشرفها وأنوار الاسرار القدسية وكما لا الا في غيب الملكوت والجبروت فأنوار القلوب لا يعلم قدرها الا في غيب الملكوت وهى الأنوار المتدفقة من بحار الجبروت فمن لم ينفذ إلى شهود الملكوت لم يعلم قدرها بل لم يعرفها أصلا وأنوار الاسرار لا يعلم قدرها الا في غيب الجبروت

فيتنور الباطن بنور اليقين ثم يغيب في شهود رب العالمين حتى يصير ما كان غيباً شهادة وما كان علماً ذوقاً وحالاً وما كان دليلاً مدلولاً وما كان نظرياً ضرورياً كما قال شيخ شيوخنا المجذوب رضى الله عنه

طلع النهار على قلبى حتى نظرت بعينا

أنت دليلى ياربى أنت أولى منى فىا

غيت نظر فى نظرى وأقنيت عن كل قانى

حققت ما وجدت غير وأمسيت فى الحال هانى

وفرق كبير بين من يكون مع الاحياء داخل الحجاب وبين من يكون يأخذ أجرته من وراء الباب (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) قوم أقامهم لحديثه وقوم اختصهم بحجته كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك حظوراً (وفى نوازل المعيار) سئل ابن رشد رحمه الله عن قول الامام أبى حامد الغزالي فى الاحياء لما ذكر مرة الله تعالى والملم به قالوا الرتبة العليا فى ذلك للأتقياء ثم للأولياء العارفين ثم للملأء الراستخين ثم الصالحين تقدم الأولياء على الملأء وفضلهم عليهم (وقال) الاستاذ القشيري فى أول رسالته فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه ففضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأتقيائه فهل هذا نحو قول أبى حامد وهل هذا المذهب صحيح أم لا فقد قال بعض الناس لا يفضل الولي على العالم لأن تفضيل الشخص على الآخر إنما هو برفع درجاته عليه لكثرة ثوابه المرتب على عمله فلا فضل إلا بتفاوت الأعمال وقد ثبت أن الملم أفضل العمل لأنه متمد بالعمل قاصر والمتعدي خير من القاصر قواه أكثر وصاحبه

وهي الأنوار الأصلية الأزلية وهو عالم يدخل عالم التكوين فن كان عجوباً في عالم الملك لا يعلم قدر أنوار الملكوت ولا يحس بهال ينكرها كما شهدناه من يدعي الخصوصية فهو بعيد عنها ومن كان واقفاً مع أنوار الملكوت لا يعلم قدر أنوار الجبروت ومن نفذ منهما شهد الجميع وكما لا تظهر الأنوار الغيبية إلا في غيب الملكوت أو الجبروت كذلك لا تظهر أنوار الملك وهي الأنوار الحسية إلا في عالم الشهادة وهو عالم الحس ويسمى عالم الملك والحاصل أن أنوار القلوب هي أنوار الملكوت وأنوار الأسرار هي أنوار الجبروت وهي غيبية لا يعلم قدرها إلا من ترقى إلى عالم الملكوت أو الجبروت حينئذ يدركها ويعلم قدرها علماً وحالاً والله تعالى أعلم .

(تنبيه) قد رأيت كثيراً من شرح هذا الكتاب غلط في تفسير الملك والملكوت والجبروت فزعموا أن الملك هو عالم الدنيا والملكوت هو عالم الآخرة والجبروت مالا يعلمه أحد وهذا غلط اذ لو كان كما زعموا ماصح الترقى من ملك إلى ملكوت وإلى جبروت اذ يلزم على تفسيرهم أن الملك لا يرجع ملكوتاً والملكوت لا يصير جبروتاً وهو غير سديد اذ قد نص كثير من المحققين أن أهل الملكوت لا يرون الملك أصلاً وأهل الجبروت يحجبون عن الملكوت هكذا ذكره النقشبندی في شرح الهاتية والصواب أن المحل واحد وهو الوجود الأصلي والفرعي فالم يدخل عالم التكوين من عظمة الباري تعالى فهو عالم الجبروت وما دخل التكوين فن ألحقه بأصله وجمع فيه فهو في حقه ملكوت ومن فرقه وحجب به فهو في حقه ملك فتحصل أن المحل واحد والأمر إناهما اعتباري تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقى في المعرفة فن وقف مع الكون كان في حقه ملكاً ومن نفذ إلى شهود النور الفائض من الجبروت إلا أنه رآه كثيفاً نورانياً ولم يضمه إلى أصله في الطاقة سمى في حقه ملكوتاً ومن ضمه إلى أصله ولم يفرق بين النور الكثيف سمى جبروتاً وقد جفت ذلك في قصيدتي الثانية وتقدم بعضها وكذلك في شرح اتصليّة المشيشية والله تعالى

فضل (فاجاب) أما تفضيل العارفين بالله على العارفين بأحكام الله يقول الاستاذ وأبي حامد فيه متفق ولا يشك عاقل أن العارفين بما يجب لله من أوصاف الجلال ونعوت الكمال وبما يستحيل عليه من العيب والنقصان أفضل من العارفين بالأحكام بل العارفين بالله أفضل من أهل الأصول والفروع لأن العلم يشرف بشرف المعلوم وثمراته فالعلم بالله وصفاته أشرف من العلم بكل معلوم من جهة أن متعلقه أشرف المعلومات . أكملها لأن ثمراته أفضل الثمرات ثم قال بعد ذكر ثمرات المعرفة بالله من الانصاف بالاخلاق السنية بعد التطهير من الاوصاف الدنيا ولا شك أن معرفة الاحكام لا تورث شيئاً من هذه الاحوال ويدل على ذلك الوقوع فان الفسق فاش في كثير علماء الاحكام بل أكثرهم بجانبون للطاعة والاستقامة بل قد اشتغل بعضهم بأقوال الفلاسفة في النبوات والإلهيات ومنهم من خرج عن الدين ومنهم من شك فتارة يترجح عنده الشك وتارة يترجح عنده البطلان ثم قال فكيف يساوى بين العارفين وبين الفقهاء والعارفين أفضل الخلق وانقام لله سبحانه وتعالى والله سبحانه يقول (ان أكرم عند الله أتقاكم) (وأما قوله تعالى) (بما نحشى الله من عباده العلماء فانما أراد العارفين به وبصفاته وافضاله دون العارفين بأحكامه ولا يجوز حمله على علماء الاحكام لان الغالب عليهم عدم الخشية وكلام الله صدق فلا يحمل الا على من عرفه وخشيه (وقد روى) هذا عن ابن عباس رضي الله عنه وهو ترجمان القرآن فان كان عالماً بالله تعالى وبأحكامه فهذا من السعداء وان كان من أهل الاحوال العارفين بالله فهذا من أفضل العارفين اذ قد حاز ما جازوا وفضل عليهم بمعرفة الاحكام (وأما قول) من قال ان العمل المتدنى خير من القاصر فانه جاهل بأحكام الله تعالى بل للعمل القاصر أحوال احداها ان يكون أفضل من المتدنى كالتوحيد والاسلام والايمان وكذلك التسبيح عقب الصلوات

أعلم ولا بد لمن أراد أن تكشف له هذه الأنوار ويدرك هذه المقامات من وجود أعمال ومقاسات أحوال فإذا عمل عملاً وذاق حلواته فليستبشر بالفتح الذي هو جزء السائرين وهو الذي أشار إليه بقوله (وجدان ثمرات الطاعة عاجلاً وبشائر العاملين بوجود الجزاء عليها أجلاً) قلت من وجد في بدايته حلواته فليستبشر بوجود مشاهدته ومن لم يجدها فلا يئأس من روح الله فإن قه فتحات تهب على القلوب فتصبح عند علام النيوب أو تقول من وجد ثمرة عمله في الدنيا فليستبشر بوجود الجزاء أجلاً في الآخرة وقد تقدم هذا للشيخ مراراً وهذا الجزاء الذي يستبشر به لا ينبغي قصده ولا طلبه لئلا يكون ذلك قدحاً في الإخلاص كما أبان ذلك بقوله (كيف تطلب العوض على عمل وهو مصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديك إليك) قلت البعد إنما هو آله مسخرة فإذا سخره ربه تحرك وإلا فلا وإذا كان كذلك فلا نسبة لك في العمل إلا ظهوره عليك فكيف تطلب العوض على عمل هو مصدق به عليك وإذا من عليك بصدق في العبودية وهو سر الإخلاص فكيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديك وعبر في جهة العمل بالصدقة التي تكون للمحتاجين وفي جهة الصدق بالهدية التي تكون للمحجوبين لأن العمل الناس مشتركون فيه أذجل الناس في العمل والإخلاص قليل وأهل أقل من القليل وهم الخواص أو خواص الخواص قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه في قوله عليه الصلاة والسلام إنما أنا نعمة مهداة الأنبياء لأمنهم عطية ونيينا لنا هدية والعطية للمحتاجين والهدية للمحجوبين وقال الواسطي رضي الله عنه مطالبة الأعراض على الطاعة من نسيان الفضل وقال أبو العباس بن عطاء أقرب الأشياء إلى مقت الله رؤية النفس وأفضلها وأشد من ذلك مطالبة الأعراض على أفضلها وأعظم الأعمال التي توجد ثمرتها عاجلاً وأجلاً هو ذكر الله وثمرته هو النور الذي يشرق في القلب فيضمل به كل باطل والناس في هذا النور على قسمين قسم سكن

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضله على التصديق ثم قال فإن كانت مصلحة القاصر أفضل من مصلحة المتعدى قدمت على المتعدى وإن كانت مصلحة المتعدى أرجح قدمت على القاصر فثارة تقف على الرجحان فتقدم الرجح وتارة ينص الشارع على تفضيل أحد معلمي فتقدمه وإن لم تقف على رجحانه وتارة لا تقف على الرجحان ولا تجد نصاً يدل على التفضيل فليس لنا أن نجعل القاصر أفضل من المتعدى ولا المتعدى أفضل من القاصر لأن ذلك موقوف على الأدلة الشرعية فإذا لم يظهر شيء من الأدلة الشرعية لم يجز أن نقول على ما لا نعلمه أو نظنه فلا أدلة شرعية ثم ذكر قوله صلى الله عليه وسلم في أبي بكر ما سبقكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره أنظر بقية كلامه ذكره في الجنائز والتفضيل عند المحققين إنما هو بقوة اليقين فمن قوى يقينه أكثر كان عند الله أكبر وهو الذي وقر في صدر أبي بكر فسبق به والله تعالى أعلم ثم ذكر المنكر لهذا العلم ومنها أنكاره فأشار إلى الأول بقوله :

وأنكروه ملا عوام لم يفهموا مقصوده فهموا

(قلت) الملا في أصل اللغة هم أشرف القوم وعظماؤهم لأنهم تملأ العين بالنظر إليهم ثم صار يطلق على مطلق الجماعة والعوام ضد الخواص فالعوام هم أهل البين والخواص هم السابقون من المقرين فكل من حجب بسحب الآثار عن رؤية الأعمال فهو من العوام وكل من نفذ إلى شهود الآثار قبل الكون أو معه أو عنده فهو من خواص المقرين وكل عارف له عوام وخواص فيه يعني أن جماعة من العوام أنكروا علم الباطن وقالوا ليس العلم الشريعة الذي هو العلم الظاهر وأما علم الباطن فلم ينزل به كتاب ولا سنة (قلنا) يرد عليهم بقوله تعالى في قضية سيدنا موسى مع الخضر عليهما السلام آتيانه رحمة

النور قلوبهم فهم ذاكرون على النوام وقسم يطلبون وجوده بأذكارهم وطلى هذا أشار بقوله (قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم) قلت أما القوم الذين تسبق أنوارهم أذكارهم فهم الواصلون وأما الذين تسبق أذكارهم أنوارهم فهم الساترون الأولون لم أنوار المواجهة لا تقارهم فهم ذاكرون على النوام فاذا أرادوا أن يذكر باللسان سبقت إلى قلوبهم الأنوار فكانت هي الحاملة لم على وجود الأذكار وأما الآخرون ظلم أنوار التوجه وهم طالبون لها محتاجون إليها فهم يجاهدون أنفسهم في طلب تلك الأنوار ثم بين حال الفريقين فقال (ذاكر ذكر ليستير قلبه وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرة) قلت فالذى ذكر ليستير قلبه هو الذى يسبق ذكره نوره فهو من القوم الذين تسبق أذكارهم أنوارهم والذى استنار قلبه فكان ذاكرة هو الذى يسبق نوره ذكره فهو من القوم الذين تسبق أنوارهم أذكارهم وهم العارفون بالله لا يخدم إلا في حضرة الله بين ذكر أو فكرة أو نظرة أو إرشاد إلى الحضرة فقلوبهم ممتلئة بالأنوار وأرواحهم دائماً في حضرة الأسرار ثم ان وجود الذكر في الظاهر عنوان وجود الشهود في الباطن إذ لولا وارد ما كان ورد وهو الذى أبانه بقوله (ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود أو فكر) قلت إذا كان الظاهر مشتغلاً بذكر الله فهم علامة وجود محبة الله في الباطن إذ من أحب شيئاً أكثر من ذكره ولا تكون المحبة إلا عن ذوق ومعرفة فلا يكون ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود أى شهود كان وإن كان لا يشعر بشهوده فا ذكرت الروح حتى فئت ولا فئت حتى شهدت فكل من فئ في ذكر الله فإن روحه شهدت جمال الحضرة أو تفكرت في جمال المذكور وبهاته أو في حسن ثوابه وجزائه فتحصل أن وجود الذكر في الظاهر ناشئ إمام شهود في الباطن وهو حال المرئيين أو العارفين أو ناشئ عن فكرة وهو حال الطالبين للجزاء فإن الناس في الذكر على ثلاثة أقسام قسم يطلبون الأجور وقسم يطلبون المحذور وقسم وصلوا ورفضوا السور ثم بين وجه كون ذكر الظاهر ناشئاً عن

من عندنا وعلمناه من لدنا علماً فالعلم اللدني هو العلم الموهوب وهو على قسمين قسم يكشف عن سر الوجود ومعرفة الملك المعبود وقسم يكشف عن سر القدر وما يقع من الحوادث والمعتبر عند المحققين هو القسم الأول (وقد فسر) النبي صلى الله عليه وسلم مقام الإحسان بقوله أن تعبد الله كأنك تراه ولا يمكن أن يعبد الله كأنه يرى وهو محبوب بظلة الآثار .

(وقال) أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه كنت أدخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو وأبو بكر يتكلمان في علم التوحيد فجلس بينهما كأنى زنجى لا علم ما يقولان فهنا التوحيد الذى يتكلم فيه النبي صلى الله عليه وسلم مع الصديق هو التوحيد الخاص وهو غوامضه وأسراره التى لا نقضى إلا لأهله وهو المسمى عندنا بعلم الباطن ويسمى أيضاً بعلم الحقيقة وسيأتى زيادة بيان لهذا الأمر عند قوله هل ظاهر الشرع مع الحقيقة إلا كاصل الفرع في الحقيقة (قوله) ومنكروه ملا هو على حد قوله وأسروا التجوى الذين ظلموا (وقوله) فهاموا أى تحيروا أو تلفوا وصلوا عن سلوك طريق التحقيق وبالله التوفيق ثم بين منشأ الانكار وسببه فقال :

| | |
|------------------------|----------------------------|
| وكل من أنكر منه شيئاً | فإنما ذاك لسبح أشيا |
| لجهله لنفسه الشريفة | وكونها بغير أرضها خليفة |
| وجهلها بالعالم المعقول | وشغلها بظاهر المنقول |
| وسهوه عن عمل القلوب | والخوض في المكروه والمنسوب |
| والجهل بالخلال والحرام | والليل عن مواهب الإلهام |

شهود الباطن فقال (أشهدك من قبل أن أستشهدك فنقطت بالوحيته الظواهر وتحققت بأحدثه القلوب والسرائر) قلت الروح في أصل ظهورها في غاية الطهارة والصفاغين أبرزها الله تعالى في عالم النركات عالمة دراكة فأشهدا الله تعالى عظمت وجلاله وبهاء وكآل وحدانيته فقال لما حيزت ألت بركم قالوا لي فكلمها أقرت بالربوبية فلما ركها في هذا القالب فنها من أقرت بذلك الهد ومنها من جعلت وأنكرت فقد أشهدك الحق تعالى حين كنت في عالم الأرواح ربييته ووحدانيته فعلمتها وحققها من قبل أن يستشهدك أى يطلب منك تلك الشهادة فحين طلبها منك وجد روحك عالمة فنقطت بالاهيته التي عرفها في عالم النكر أسنة الظواهر وتحققت بأحدثه التي شهدتها قبل التركيب القلوب والسرائر فكل ماظهر من الإقرار بالربوبية في عالم الشهادة فهو فرع الأشهاد المتقدم في عالم الغيب وكل ماظهر من التحقق بالأحادية للقلوب فهو فرع العلم السابق في علم النيوب قالوا يجب على العبد أن يكون جامعاً بين إقرار الظاهر وتوحيد الباطن فالأول فرق والثاني جمع وإلى هذا المعنى أشار الجنييد رضى الله عنه بقوله :

قد تحققت بىرى حين فاجاك لسان فاجتمعنا لمعان واقرقنا لمعان
أن يكن غيبك التعظيم م عن لحظ عيان . فلقده صورك الوج د من الاحشاء داني

ثم بين كرامات الذكر المتقدم فقال (أكرمك كرامات ثلاثاً جعلك ذاكرا له ولو لا فضله لم تكن أهلاً لجرى ان ذكره عليك وجعلك مذكوراً به إذ حقق نسبته لديك وجعلك مذكوراً عنده فتم نعمته عليك) قلت لقد أكرمك الحق تعالى أيها الإنسان كرامات كثيرة وأسم عليك نماغيزة قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) وأجل الكرامات وأعظمها كرامات الذكر (وفي) الحديث ما من يوم الا وفيه نعم ينعم الله بها على عباده وما أنعم الله على عبد أفضل من أن يلهمه ذكره

(قلت) ذكر سبعة أشياء هي الموجبة لانكار العوام على الخواص وهم أهل الباطن (الاول) جهلهم بحقيقة نفسهم وشرفها وهو الروح في أصل نشأتها فلما حجب وتظلمت سميت نفساً ولا شك أن الروح التي قامت بهذا البدن أصلها الطيفة نورانية ملكوتية عالمة بما كان وما يكون وما حجبها عن هذا العلم الا شغلها بتدبير البدن وتحصيل أغراضه وشهواته فكل من جاهدتها وخرق عوائدها رجعت إلى أصلها فأدرت العلوم الدنية والاسرار الربانية وهو علم الباطن فطوعم الانسان أصل نفسه وشرفها وعرف السبب الذي حجبها عن أصلها لاحتال عليها حتى ردها لأصلها لكن جهله بأصله ترك محجراً بأبحاثه أنكر خصوصيتها ولذلك قال يحيى بن معاذ الرازي من عرف نفسه عرف ربه قيل من عرف نفسه كيف كانت فاحتال عليها حتى ردها لأصلها فقد عرف ربه وقيل معناه من عرف حقيقة نفسه فقد عرف ربه لانه حصل مقام الجمع وحجب به عن الفرق والله تعالى أعلم

(الامر الثاني) جهل كون نفسه خليفة عن الله في أرضه قال تعالى في شأن آدم (اني جاعل في الأرض خليفة) ولا شك أن الحق سبحانه ركب هذا الروح اللطيف في هذا المظهر الانساني الكثيف وجعله يتصرف في الكون كيف شاء قال تعالى (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) وقال تعالى (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) وقال في الحكم جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخزقاته وانك جوهره تطوى عليك أصداف مكوفاته وسلك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسلك من حيث ثبوت روحانيتك فالانسان في أصل نشأته خليفة الله في وجوده من عرشه الى فرشه لكن الانسان لما جهل نفسه أشغلها بحكمة الاكوان فسقطت عن

أو كما قال عليه السلام ذكره المنذرى ومرجع هذه الكرامات إلى ثلاثة أمور (الكرامة الأولى) جعلك ذا كرامة له ومن أين لعبد دليل أن يذكر سيذا جليلا ولو فضله عليك لم تكن أهلا لجربان ذكره على لسانك (الكرامة الثانية) جعلك مذكورا به حيث ذكرك بنفسه حين ذكرته قال تعالى فأذكروني أذكركم وإذا كنت مذكورا بسبب ذكره لك فقد ثبت خصوصيتك عنده فأى كرامة أعظم من هذه فقد حقق نسبته لديك حيث أثبت لك الخصوصية وقال لك يا ولبي يا صفى فمن أين أنت وهذه النسبة لولا أن الله تفضل عليك قال بعضهم فى تفسير قوله تعالى ولذكر الله أكبر أى ولذكر الله لعبد أكبر من ذكر العبد لله (الكرامة الثالثة) حيث جعلك مذكورا عنده فى الملائكة المقرين (ففى) حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسه وإن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير من ملكه وإن تقرب منى شبرا تقرب منه ذراعا وإن تقرب منى ذراعا تقرب منه باعا وإن أتانى يمشى آيته هرولة اه وفى حديث آخر ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه إلا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وكان يحيى بن معاذ رضى الله عنه يقول يا غفول يا جهول لو سمعت صرير القلم حين يجرى فى اللوح المحفوظ بذكرك لم تطربأ أه فإذا عمرت أوقائك بذكر الله فعمرك طويل وإن قلت أيامه كما أبان ذلك بقوله (رب عمر اتسعت أماده وقلت أماده ورب عمر قليلة أماده كثيرة أماده) قلت رب هنا للتكثير فى الموضوعين فكثير من الأعمار اتسعت أماده جمع أمد وهو الزمان أى كثير من الناس طالت أعمارهم واتسعت أزمتهن وقلت أمدادم أى فواتدم فلم يحصلوا على شئ حيث اشتغلوا بالباطل والتقصير حتى مضت تلك الأيام كطيف المنام وأضغاث أحلام وكثير من الأعمار قلت أمدادم أى أزمتهن وكثرت أمدادم أى فواتدم فأدركوا من فوائد العلم والأعمال.

رنية الخلافة حين صارت مملوكة فى أيدي المالك ولا يصلح للخلافة إلا من كان حرا عن الملوك والممالك (قال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه الاكوان كلها عبيد مسخرة وأنت عبد الحضرة (وفى) بعض الاخبار المروية عن الله عز وجل يا ابن آدم خلقت الاشياء من أجلك وخلفتك من أجل فلا تشغل بما هو لك عن أنت له فكل من تحرر من ريق الاكوان ورفع همه عنها ملكها بأسرها واستولت روحه على الوجود بأسره فصار خليفة الله فى كونه وأما من بقى ملوكا فى بعدها فلا خلافة له (الامر الثالث) جهل النفس بالعالم المعقول والمراد به العالم الروحاني وهو عالم المعاني لانه لا يدرك بالثقل وإنما يدرك بتصفية العقل وجوهرية حتى يصير سرا من أسرار الله بحيث يدرك عالم المعاني وينيب عن عالم الاواذ وهو عالم الحس (فتحصل) أن من اشتغل بعالم الاشباح وهو عالم الحس وعالم الحكمة لا يدرك عالم الارواح وهو عالم المعاني وعالم القدرة وأنكر على من ادعى إدراك شئ من ذلك وهو معذور كمن أنكر طلوع الشمس وهو أرمدا كما قال البوصيرى :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طعم الماء من سقم

وسبب حجابهم عن عالم المعاني وهو عالم القدرة اشتغالهم بعلم عالم الحس وهو عالم الحكمة فاشتغلوا بعلم المنقول والاطلاع على الأقوال الغريبة وتحرير المسائل الفروعية والتغافل فيها وهو سبب حجاب علماء الظاهر فحجبوا على ظاهر الشريعة وادعوا الاحاطة بها وأنكروا على أهل علم الحقيقة فضلو أو أضلو عن طريق الحصر وقد قال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولو تأملوا فى سر الشريعة لوجدوها تدل على الطريقة والطريقة توصل الى الحقيقة ولكن سنة الله لا تنخرم فلا بد من قوم يتجردون لعلم الشريعة ويعملون لوائه وإلا ضاعت الطريقة والحقيقة اذلو ذاقوا هذا العلم لزهوا فى سائر العلوم ولن تجد لسنة الله تبديلا (الامر الرابع) الاشتغال بعمل الجوارح الظاهرة والتعمق فيه والغفلة عن عمل القلوب وتصفيتها وهو

والمعارف والأسرار في زمن قليل مالم يدركه غيرهم في الزمن الكثير ومثال ذلك أهل الجذب مع السالك وأهل السلوك وحده فإن أهل الجذب المواقفين للسالكين في الأعمال يطوفون في ساعة واحدة من مسافة القرب مالم يدركه أهل السلوك في سنين وذلك أهل الفكرة مع أهل الخنعة فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة وفي ذلك قال الشاعر

كل وقت من حبي قدره كالف حبه

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضي الله عنه أوقاتنا كلها ليلة القدر أي كل وقت عندنا أفضل من ألف شهر عند غيرنا قال القاضي أبو بكر بن العربي المعافى تليذ الغزالي لم الشيخ أبا حامد على انقطاعه واعتزاله عن الخلق وقطع اتفاعهم بما وهبه الله من العلم الظاهر والباطن فقال متمثلاً

قد تيممت بالصعيد زماناً وأنا الآن قد ظفرت زماناً

من سرى مطبق الجفون وأضحي قاتحاً لا يرد لها العلماء

أي من كان يمشي مسدود العينين وأضحي أي صار قاتحاً لعينه لا يرجع للعلماء قلت يا سيدي الاشتغال بالعلم نفع عام وهو من أفضل العبادات وقد قال صلى الله عليه وسلم لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس فقال لما طلع قر السعادة في أفق الإرادة وأشرقت شمس الوصول في أرض الأصول :

ترك هوى سعدى وليلى بمعزلى وصرت إلى علياء أول منزل

فنادتني الأكوان من كل جانب ألا أيها الساعي رويدك فأمهل

غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لغزلي ناسجاً فكسرت مغزلي

سبب حجاب العباد والزهاد وجبستهم حلوة عبادتهم عن شهود معبودهم وحلاوة زهدهم عن معرفة خالقهم فاسترحشوا من كل شيء لتبنيهم عن الله في كل شيء فهم ينكرون الخصوصية لغيرهم ويبتونها نفوسهم وهو الجبل المركب وهذا مع قلبه أشد الحجاب عن الله ولذلك قال بعضهم أشد حجاباً عن الله العلماء ثم العباد ثم الزهاد (الأمر الخامس) الخوض فيما يحسنه العقل ويقبحه فما استحسنه العقل أحبه واعتقدوه وما قبحه العقل كرهوه وأنكروه فوقفوا مع عقولهم فأنقلوا عن مراتب الكمال وحجروا عن مدارك الرجال فالعقل معقول لا يدرك من أمر التوحيد إلا افتقار الصنعة إلى صانعتها وأما أسرار التوحيد وغوامضه فهو خارج عن دائرته كما قال ابن الفارض رضي الله عنه

فم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

وهذا سبب حجاب أهل علم الكلام وقفوا مع الدليل وحججوا عن اللدول ارتباطاً مع الدليل والبرهان وأنكروا والشهود والبيان هذا معنى قوله والخوض في المكروه والمحجوب ويحتمل أن يريد الخوض في الدنيا بالاشتغال في تحصيل محبوباتها كللهم والجاه والمال والبعد عن مكروهاها كالذل والفقر وغير ذلك مما تكره النفوس فإن الاشتغال بذلك حجاب عظيم سر التوحيد والله تعالى أعلم (الأمر السادس) جبل الانسان بما يحل له الخوض فيه وما يحرم عليه إذ لو تحقق ذلك وعلم ما فيه من العقوبة لانتزج وانكشف عن الخوض فيما لا علم له به وأشغله عيه عن عيوب غيره لكن لما جبل ما يضره وما ينفعه أطلق لسانه في الإنكار على أولياء الله من غير احترام ولا احتشام فلا جرم أنه ان لم يتاركة اللطف يخاف عليه سوء الخاتمة (وفي) الحديث القدسي من عادى لي ولياً فقد آذنتي بالحرب أو كما قال (وفي) حديث آخر من حسن اسلام المرء تركه مالا يعتنيه ولا منتز بمن يدعى مرتبة العلم ثم يطلق لسانه في أولياء الله فانه جاهل على الحقيقة لأن ذلك سيه الرضى عن نفسه

فانظر من أطلعه الله على بركة عمره وأزاه ثمرة وقته كيف اختار الأكد فالأكد والاول فالاول ليذكر ما تلحه من الفوائد ومحيط بالخصائص والزوائد اه قال الشطي رحمه الله قال أحمد بن أبي الحارثي لأبي سليمان الدارقي رضي الله عنهما قد غبطت بني إسرائيل قال بأى شيء قلت بثمنا ثمانية عام حتى يصير كالنشان البالية وكالحنايا والأوتار فقال ما ظننت إلا وقد جئت بشيء والله ما يريد الله منا أن تيسر جلودنا على عظامنا وما يريد منا إلا صدق التبة فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما ناله الآخر في أعمارهم الطويلة اه وقال في القوت فان البركة في العمر أن تدرك في عمر القصير يقطعك ما فات غيرك في عمره الطويل بفعله فيرتفع لك في السنة ما يرتفع له في عشرين سنة وللخصوص من المقيمين في مقامك للقراب عند التجلي بصفات الرب الخالق برفع الدرجات وتدارك لما فات عند أذكركم وأعمال قلوبهم السيرة في هذه الأوقات فكل ذرة من ذكر تسييح أو تهليل أو حمد أو تدبر وتبصرة أو تفكر وتذكرة لمشاهدة قرب ووجد رب رب ونظرة إلى حبيب ودنو من قريب أفضل من أمثال الجبال من أعمال النافذين الذين هم لنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون ومثال العارفين فيما ذكرناه من فائهم بشهادتهم ورعايتهم لأماهم وعهدهم في وقت قربهم وحضورهم مثل العامل في ليلة القدر العمل فيها لمن واقعها خير من ألف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر اه منه فالبركة في العمر هي ادراك الامداد العظيمة في الامداد القليلة كما تقدم وكما بينه بقوله (من يورك له في عمره أدرك في يسير من الزمان من الله تعالى مالا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة) قلت ليست البركة في العمر بكثرة أيامه وطول أزمائه وإنما البركة في العمر أن تصحبه العناية وتهب عليه ريح الهداية فيدرك في يسير من الزمان من الله تعالى أى من علومه ومعارفه وأسراره مالا يدخل تحت دوائر العبارة لأن ما أدركه أوسع من ضيق العبارة إذ قال تعالى أعددت لعبادي الصالحين

وأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه عصمنا الله من ذلك بمنه وكرمه (الامر السابع) الميل عن الموابب الالهامية والعلوم الدينية وعدم التعرّيج عليها والتصديق بها ولا شك من لم يرجع عليها لا يصدق بوجودها لا يتشوف إليها ولا يطلبها وعلم الباطن كله موابب وكسوفات فمن لم يصدق به لا يناله أبداً مادام منكراً له وقد قالوا أول الطريق تصديق ووسطه توفيق وآخره تحقيق فمن لا تصديق له ومن لا توفيق له ومن لا توفيق لا وصول له لعين التحقيق ولذلك قالوا التصديق بطريقتنا ولاية أى لأنها سبب الوالاية والله تعالى أعلم (هذا آخر) الأسباب الموجبة للانكار على طريق الخصوص فمن سلم من هذه الأسباب فتح له الباب ورفع عنه الحجاب ومنع بمشاهدة الاحباب بمنه الكريم الوهاب وإلا بقي مع عصة الجهال في الحيرة والضلال كما أبان ذلك بقوله :

واعلم بأن عصة الجهال بهائم في صورة الرجال

(قلت) إنما كان الجهال بهائم في صور الرجال لأن المزية التي شرف بها الانسان على البهائم هو العقل والعقل نور يميز به صاحبه ما يضره وما ينفعه فإذا صار الانسان يتعاطى أموراً تضره في دينه وتجهج عن ربه ويترك أموراً تقربه إلى ربه وتوصله إلى حضرة قدسه فقد انطمس نور عقله وصار كالبيهمة أو أضل قال تعالى في شأن الكفار انهم لا كالانعام بل هم أضل سبيلاً (وقال) بعض الحكماء من غلب عقله على شهوته كان كاللائكة أو أفضل ومن غلبت شهوته على عقله كان كالبيهائم أو أضل والمراد بالجهل في كلام الناظم الجهل بالنفس وشرافها ومن جهل نفسه جهل ربه ومن جهل ربه كان كالبيهمة فهو راجع إلى السبب الأول من الأسباب السبعة (ثم) أشار إلى تقرير السبب الثاني وهو جهله بكونها خليفة

ملا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فقد يدرك العارف من دقائق الأسرار ما تعجز عنه عبارة اللسان كل ذلك في أقل زمان وغالب هذا يحصل من ملاقة الرجال وصحبهم فإن المدة الذي يحصل للإنسان في ساعة واحدة معهم لا يحصل في أزمنة طويلة مع غيرهم ولو كثرت صلاحهم وصيانتهم إذ ليس العبرة بكثرة الأوراد إنما العبرة بكثرة الأمداد إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أحوالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ذكره في الجامع والذرة من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والعمل مع المعرفة ليس كالعمل مع الجهل وذلك معلوم قال الشيخ الحضري في بعض وصاياه من كان يستمد من عبدة الجمع فهو يكتب ما يكون وما لا يكون ، طويل طويل طويل ، قصير قصير قصير شيء شيء شيء . ماشى . ماشى . ماشى . عدم عدم عدم . وجود وجود وجوداه ، فالعنى طويل طويل طويل ، قصير قصير قصير الموجود القديم شيء ثابت وما سواه ليس بشيء . والسوى عدم والواحد التهار وجود فالذى يكتب من عبدة الجمع أى يستمد من حضرة الجمع يكتب الأشياء كلها ويستمد من الأشياء كلها لمعرفة فى الأشياء كلها كانت قصيرة أو طويلة وجودة أو عدمية وبالله التوفيق وسبب البركة فى العمر هو التفرغ من الشواغل والشواغل فى كثرت شواغله وشواغله لا بركة له فى عمره لأنه منع من تصريفه فى طاعة مولاه بتابعة شهواته وتحصيل منافع من تفرغ من الشواغل ولم يقبل على مولاه فهو مخنول مصروف عن طريق استقامته وهذه كما أبان ذلك بقوله (الخذلان كل الخذلان أن تفرغ من الشواغل ثم لا توجه إليه وتقل عوائقك ثم لا ترحل إليه) قلت إذا قلت شواغلك فى الظاهر وعوائقك فى الباطن ثم لم توجه إليه فى ظاهره ولم ترحل إليه فى باطنك فهو علامة غاية الخذلان الكبير لأن جل الناس ما حبسهم عن التوجه إلى الله إلا كثرة أشغالهم الحسية فاشتغلت جوارحهم بخدمة الدنيا فى الليالى والأيام والشهور والأعوام حتى انقضى العمر كله فى البطالة والتقصير

ولا تكون خليفة حتى تحرر من رق الهوى فقال :

ومن أباح النفس ما تنهوا فإنما معبوده هواه

(قلت) أصل الروح فى أول نشأتها الطهارة والنزاهة لأنها من عالم القدس فنعيمها إنما هو ذكر ربها وشهوده والقرب من حضرة قدسه فلما ركبت فى هذا القالب اظهارا لقدرته وحكمته مال بها إلى أصله الطينى فأنقلب نعيمها إلى التعمم الجسائى وهو الشهوات الجسائية الحسية فانحجبت بذلك عن أصلها فن أراد الله سعادته وقته لخالفها وبجاهدتها فى قطع مألوفاتها وهواها حتى ترجع إلى أصلها فصير نعيمها فى ذكر مولاه وشهوده فيعظم قدرها ويشرف عليها فحينئذ تستحق الخلافة وتحقق بالنبوة فتحكم بهمتها على الكون وتصرف فى الوجود بأسره أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدت المكون كانت الاكوان معك (ومن) أراد الله خذلانه وهوانه بعينه أشغله بشهواته الفانية ومألوفاته الجسائية فانخذل الله هواه وحجب بذلك عن مشاهدة مولاه فسقط فى أسفل سافلين وطرد عن ساحة رب العالمين فن أباح نفسه وأعطاهما كل ما تنهوا فإنما محبوه ومعبوده هواه وضل بذلك عن طريق الوصول إلى مولاه قال تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فن يهدى به من بعد الله) فأتباع الهوى يصدعن سبيل الهدى قال تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ويحمد نور السريرة ويطمس شعاع البصيرة قال الشاعر :

إنارة العقل مكسوف يطوع هوى وعقل عاصى الهوى يزداد توراً

هو أيضاً سبب الذل والهوان والاتحاق بحزب الشيطان

فهذا هو الخذلان الكبير ومن الناس من قلت شواغلهم الظاهرة لوجود من قام لهم بها لكن كثرت علاقتهم في الباطن ما تعلق بهم من الشواغل فهم مغرورون في التدبير والاختيار والاهتمام بأمر من تعلق بهم من الأنام لا سيما من كان له جاه ورياسة وخطه أو سياسية فهذا باعتبار العادة بعيد من الاغتيال على مولاه إلا أن سبقت له سابقة ناية فتجره إلى رحمة ربه ورضاه والحاصل أن الخير كله في التخليص من الشواغل والعلاقات فن تفرغ منهما فهو قريب من الحضرة وأما من كثرت شواغله وعزائقه فأمره بعيد لأن فكرته مشغولة بالعلاقات والمخاطف فهما م بالسير جذبه المخاطف إليها بقي مرهوناً معها وهو الذي أشار إليه بقوله (الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار) فن لا تفرغ له لا فكرة له ومن لا فكرة له لا سير له ومن لا سير له لا وصول له فالفكرة هي سير القلب إلى حضرة الرب وذلك السير في ميادين الأغيار أى في مجال شهود الأغيار ليستدل بها على وجود الأنوار فهذه فكرة أهل الحجاب وفكرة أهل الشهود سير الروح في ميادين الأنوار أو سير السر في ميادين الأسرار فتكلم الشيخ على بداية الفكرة ولم يتكلم على نهايتها ولو تكلم عليهما معا لكان أحسن كما فعل فيما يأتي حيث قال الفكرة فكرتان الخ وقال الشيخ زروق رضى الله عنه الفكرة نبات القوة الإدراكية في عالم الغيب والشهادة ليدرك حقيقة الأشياء على ما هي عليه ومن وجد ذلك فهو عارف اه وقيل إنما عبر الشيخ بالأغيار وهي المخلوقات لقوله عليه السلام وقد رأى قوم يتفكرون فقال لهم تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تدرون الله حق قدره اه (تلت) إنما نهى عليه السلام عن التفكير في كنه الذات وإدراك الحقيقة وأما التفكير في عظمة الذات وقدمها وبناها وواحدانيتها وتجلياتها في ظهورها وبطونها فهذا لا ينهى عنه لأنه سبب المعرفة مع العجز عن إدراك الكنه والتحقيق أن أهل الحجاب لا يحل لهم التفكير إلا في المصنوعات وأما أهل العرفان فلا يتفكرون إلا في عظمة الذات أى في عظمة الصانع وتوحيده

قال الشاعر :

لا تتبع النفس في هواها إن اتباع الهوى هوان
(وقال) بعضهم الهوى شرك الردى أى شبكته ومصيدهه وبقائه التوفيق (ثم) أشار إلى تقرير السبب الثالث وهو الجهل بالعالم المعقول فقال :

ناقه ما يحمل بالليب جهل البعيد منه والقريب

(قلت) الليب هو الكامل العقل والبعيد منه هو ظلة الحس والقريب منه هو نور المعاني الذي هو أصله واصله أو تقول البعيد من الإنسان هو ظلة الأواني والقريب منه هو نور المعاني المغنية للأواني أو تقول البعيد منه التجليات المنفصلة عنه في الحس كالمسماوات والأرضين وما بينهما والقريب منه جسمه المتصل به والكل متصل في المعنى كما قال الشافعي متحد المعنى في كل حي فينبى أن يعرف في الجميع فلا يحمل أى يحسن بالليب أن يحمل ما هو بعيد منه من ظلة الحس وما هو قريب منه من نور المعاني فنور روحك أقرب إليك من ظلة حيك لكن لما انطلمت البصيرة اشتغلت الروح بتدبير هذا الجسم وتحصيل شهواته وأغراضه فسقطت في أسفل سافلين وبعدت من حضرة رب العالمين فتركت ما هو قريب من نور حضرة الحبيب واشتغلت بما هو بعيد من ظلة الجسم في تحصيل أغراضه وتوفير شهواته فارتبطت في عالم الأشباح ولم ترجع إلى عالم الأرواح وهو عالم المعاني بل أنكرت بالكلية ولو انفتحت البصيرة كشاهدت الأنوار الحاجة للماحة للأغيار أقرب إليها من كل قريب قال في الحكم شعاع البصيرة يشهدك قرب الحق منك وهين البصيرة يشهدك عذمتك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عذمتك ولا وجودك كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان وراجع الشرح فقيه تفسير هذه المعاني وانه تعالى أعلم (ثم) ذكر تقرير السبب الرابع وهو الغفلة عن عمل القلوب فقال

وقدمه وبقائه وظهوره واحتجابه وفي النية عن الحس وشهود المعنى أوفى النية عن الكون بشهود المكون أوفى النية عن الظلمة بشهود النور وهو سراج القلب الذي أشار إليه بقوله (الفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له) قلت الفكرة في عظمة البارئ وتوحيده نور فإذا كان القلب مشغولاً بالفكرة في عظمة الحق فهو منور بنور الحق وإذا اخلت الفكرة في الحق دخلته الفكرة في الاغيار وهي ظلمة ولا تجتمع الظلمة والنور أبداً فالفكرة سراج القلب فإذا ذهبت الفكرة في الحق انطفأ نوره بدخول ظلمة الكون فلا إضاءة له ولذلك قال الجنيد رضي الله عنه أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الله في ميدان الفكرة على بساط التوحيد

(وقال) الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه أربعة من حاز من فهو من الصديقين المقربين ومن حاز من ثلاثه فهو من أولياء الله المقربين ومن حاز من اثنين فهو من الشهداء المؤمنين ومن حاز من واحد فهو من عبياد الله الصالحين (أولها) الذكر وبساطه العمل الصالح وثمرته النور (الثاني) الفكرة وبساطه الصبر وثمرته العلم (الثالث) الفقر وبساطه الشكر وثمرته المزيد منه (الرابع) الحب وبساطه بغض الدنيا وأهلها وثمرته الوصول إلى المحبوب ثم بين فكرة البداية والنهاية فقال (الفكرة فكرتان فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان) قلت فكرة أهل التصديق والإيمان هي سير القلب في ميادين الاغيار فهم يتفكرون في المصنوعات ليتوصلوا إلى معرفة الصانع وقدرته وعلمه وحياته وغير ذلك من سائر صفاته وهم الذين قال الله فهم يؤمنون بالغيب وفكرة أهل الشهود والعيان هي سير الروح ميادين الأنوار قد انقلب الاغيار في حقهم أنواراً والدلائل مدلولات والغيب شهادتهم الذين أعلمهم الله على سر قوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) ثم بين حال الفريقين فقال (فالأولى لأرباب الاعتبار) قلت الفكرة الأولى وهي فكرة تصديق وإيمان لأصحاب الاعتبار وهم أهل الاستدلال يستدلون بالصنعة على الصانع وهم السارون إلى الله بأنوار التوجه (والثانية

كيف يرى في جملة السباق من حظه مع الحظوظ باق
(قلت) السباق جمع سابق والحظوظ هي الشؤون والشواغل جمع حظ (اعلم) أن الناس على قسمين أهل اليقين والسابقون فأهل اليقين هم المشتغلون بإصلاح الظواهر وتبديده شؤونها وما يصلح بها جلباً ودفعاً عاجلاً وأجلاً والسابقون هم المشتغلون بإصلاح القلوب والسراير وهم المقربون الغائبون عن رؤية أنفسهم الباقون بشهود ربهم فكل من اغتنى بإصلاح ظاهره بأنه إصلاح باطنه وكان من أهل اليقين وكل من اغتنى بإصلاح باطنه كان من السباق وحشر في ذمرة المقربين (وقال) الشيخ أبو الحسن غيب عن إصلاح ظاهره أن أردت فتح باطنك فكيف يرى الإنسان ويظهر في جملة السباق ويلتحق بأهل الجدل والاستباق وحظه منصرف لتحصيل حظوظه وشؤون ظاهره الحسية ومهمته واقعة مع عوائده وشهواته الوهمية كيف تحرق لك الموائد وأنت لم تحرق من نفسك الموائد (ولابد) من محبة شيخ عارف يتفكك من العمل الظاهر إلى عمل الباطن ولا يثبت مع عوام المسلمين من أصحاب اليقين تكرر مقامات المقربين (وبين) عمل القلوب وعمل الجوارح ما بين عمل السر والعلاية (وقال) بعضهم النذر من أعمال القلوب أفضل من أمثال الجبال من عمل الجوارح والله تعالى أعلم (ثم) قرر السبب الخامس وهو الخوض في المكروه والمحجوب فقال:

مضى يجد جواهر المعاني من قلبه على الدوام عاني

(قلت) المعاني هو الاسير وفي الحديث فكوا المعاني وأطعموا الجائع وجواهر المعاني أسرار الذات في أنوار الصفات (أو) تقول هي أسرار الجبروت وأنوار الملكوت (أو) تقول هي المعاني اللطيفة القائمة بالأواني الكثيفة فإذا ظهرت المعاني (٤٧ - إقفاطى)

لأرباب الشهود والاستبصار) قلت الفكرة الثانية وهي فكرة شهود وعيان هي لأرباب الشهود والاستبصار لأنهم تركوا من شهود الدليل إلى المدلول ومن الأثر إلى المؤثر ومن الأغيار إلى شهود الأنوار ومن الفرق إلى الجمع ومن الملك إلى الملكوت فما يشهدون إلا أنوار الملكوت تدفق وأنصبت من بحار الجبروت فهم غرق في بحار الأنوار مطموس عنهم وجود الآثار فان ردوا إليه رأوه قائماً بالله ومن الله وإلى الله فأعظم قدم عند الله وفي مثلهم قال القائل

هم الرجال ونحن أن يقال لمن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل

حققتنا الله بما حققهم به أمين (هذا آخر) الباب الخامس والعشرين وبها ختمت الأبواب وما بقي إلا المراسلات والمناجاة وحاصل المراسلات ثلاثة كتب وجواب فأول الكتب رسالة في السلوك إلى حضرة ملك الملوك بدايتها ونهايتها ونصها وقال رضى الله عنه مما كتب به لبعض اخوانه (أما بعد فإن البدايات مجلدة النهايات) قلت البدايات ما يظهر على المريد في أول دخوله من مجاهدة ومكابدة وصدق وتصديق وهو مظهر ومجلدة للنهايات أى يتجلى فيها ما يكون في النهايات فن أشرفت بدايته أشرفت نهايته فن رأيتاه جادا في طلب الحق باذلاً نفسه وقلسه وروحه وعزه وجاهه ابتغاء الوصول إلى التحقق بالعبودية والقيام بوظائف الربوبية علينا اشراق نهايته بالوصول إلى محبوه وإذناً بأنهم قصر في ذلك علينا قصوره عما هنالك وأنشدوا

بعد الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلى سهر الليالي

تريد العز ثم تمام ليلاً ينوص البحر من طلب الثالث

وبالجملة من رأيت صادق العزم في البداية فاعلم أنه من أهل العناية ومن كان في سلوكه مستعداً على الله ومفوضاً أمره

نلطفت الآوانى وفي ذلك يقول ابن الفارض رضى الله عنه

ولطف الآوانى في الحقيقة تابع للطف المعانى والمعانى بها تسوا

(وقال) في الحكم لولا ظهوره في المكنونات ما وقع عليها وجود أبصار لو ظهرت صفاته اضمحطت مكوناته فالصفات معانى والأكوان أوانى، لا تنظر إلى الآوانى، وخض بحر المعانى، لملك ترائي (وقال أيضاً) أباح لك أن تنظر في المكنونات وما أذن لك أن تتفهم ذات المكنونات قل انظروا ماذا في السموات فتح لك باب الانعام ولم يقل انظروا السموات لتلا يدلك على وجود الاجرام فالاجرام كالصدف ليواقيت المعانى فن وقف مع الصدف الظاهر حجب عن جمال اليواقيت الباطنة فن كان قلبه مصروفاً إلى ظواهر الاجرام مشغولاً بمجها أسيراً في يدها معموراً بصور خيالها لا يطمع أن يتوق حلالة المعانى ولا تشرق عليه أنوارها كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يدخل إلى الله وهو مكبل بشهراته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يقب من هوانه فتى يجد في قلبه بهجة جواهر المعانى من قلبه على اللوام عانى أى أسير في قيد هواه الجسماني متعوب في خيمة الآوانى يقرب هذا ويعد هذا يجب هذا ويغض هذا يقيح هذا ويحسن هذا ويصغر هذا ويكبر هذا فادام هذا شأنه لا يطمع أن يطلع على بهجة المعانى ولا يترقى إلى العالم الروحاني وإنما وطنه العالم الجسماني منكر اعى أهل المعانى الآن يتداركه الله بلطف رباني فينهض بخوف مزعج أو شوق معلق وما ذلك على الله بعزيز (ثم) قرر السبب السادس من أسباب الانكار وعنه ينشأ تضييع العمر والاشتغال بالفضول فقال :

إلى الله كانت غاية سلوكه الوصول إلى الله كما نبه عليه بقوله (ومن كانت باقة بدايته كانت إليه نهايته) قلت البداية باقة هي أن لا يرى لنفسه حولا ولا قوة ولا في عمل ولا في حال ولا في مجاهدة ولا مكابدة بل ما يبرز منها من الأعمال أو من الأحوال رآه منه من الله وهداية اليه كان هكذا قد سمحت باقة بدايته وإليه تكون نهايته وما يتأكد النظر إليه في البداية تصحيح ما يفتقر إليه في سلوكه من علم الشريعة وعلم الطريقة فالعمل بلا علم جنابة والعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية وفي ذلك قيل ذلك :

إذا كنت ذا عمل ولم تكن عالما فأنت كذبي رجل وليس له نعل
وإن كنت ذا علم ولم تكن عاملا فأنت كذبي فعل وليس له رجل
جوادك مسبوق إلى كل غاية وهل زوجوا حردى يسبقه البعل

وقد ذيلتها بيت تكميلا للأقسام فقلت

وإن كنت ذا علم وحال وهمة جوادك سابق يصح له الوصول

فإذا حصل المريد ما يحتاج إليه في بدايته من إتقان طهارته وصلاته وصومه فليشتغل بطاعة ربه وبموضوع عما يشغله عنه كما أبان ذلك بقوله (والاشتغل به هو الذي أحبطه وسارعت إليه والاشتغل عنه هو المؤثر عليه) قلت أل موصولة في الموضوعين أي الذي تشتغل به في جميع أوقائك وتصرف إليه بكليتك هو الحبيب الذي تسارع إليه وأفضل أشغالك ذكره ولكن ذكر أ واحداً وقصداً واحداً تبلغ مرادك إن شاء الله والذي تشتغل عنه أي تنقب عنه هو المؤثر عليه بفتح التاء أي هو الذي تركته وأثرت حب الله عليه والحاصل أن الذي تشتغل به وتقصده هو الذي أحبطه وسارعت إليه والذي تنقب عنه هو الذي تركته وأثرت حب الله عليه فلا جرم أن الله يهلك ما تريد أن الله يرزق العبد على قدر همته وأنشدوا

إذا العبد ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن كل الشواغل جانباً

لم يتصل بالعالم الروحاني من عمره على الفضول حاق

(قلت) الحاقى على الشيء هو المنكب عليه والمنكب في محبة بكليته والعالم الروحاني هو ضد العالم الجسماني فالعالم الروحاني هو عالم الملكوت والعالم الجسماني هو الملك أو تقول العالم الروحاني هو علم التلطيف والعالم الجسماني هو عالم التكليف والتلطيف على التعريف والتكليف على التكليف أو تقول العالم الروحاني هو عالم الأرواح والعالم الجسماني هو عالم الأشباح أو تقول العالم الروحاني هو عالم القدرة والعالم الجسماني هو عالم الحكمة أو تقول العالم الروحاني هو عالم الجمع والعالم الجسماني هو عالم الفرق أو تقول العالم الروحاني هو عالم شهود الربوبية والعالم الجسماني هو علم ظهور العبودية وهذه التفاسير معناها واحداً تذكروا للإيضاح واعلم أن علم عالم الأرواح وعالم الأشباح واحد عند أهل التحقيق إذا الأرواح لا تظهر بغير أشباح والأشباح لا تقوم بغير أرواح لكن قوم غلبت بشرتهم على روحانيتهم وظلمتهم على نورهم وملكوهم على ملكوتهم فلم يروا إلا الأشباح فظهر وتعمد وهم أهل الحجاب من أهل السلوك (وقوم) غلبت روحانيتهم على بشرتهم ونورهم على ظلمتهم وملكوهم على ملكهم فظهروا إلا الأرواح فظهر وتبطن (وإن شئت) قلت لم يروا إلا الأنوار تكثفت وتندقت من غير بحار الجبروت إلى رياض الملكوت وهم أهل العرفان من أهل الشهود والمعاني (أو) تقول هم أهل الجذب والقضاء فهم غرق في بحار الأنوار مطموس عليهم الآثار فارتقوا من سكرتهم وسحروا بين الأشباح والأرواح وبين القدرة والحكمة فأعطوا كل ذي حق حقه ووفروا كل ذي قسط قسطه ولم يعجزوا بجمعهم عن فرقه ولا بفرقه عن جمعهم وهم الكمل رضى الله عنهم وإنما سمي عالم المعاني بالعالم الروحاني لأن من عرفه فوكل شفه لا يرى إلا الأرواح تكثفت بالقدرة

فقد زال عنه العار بالعلم جالياً عليه قضاء الله ما كان جالياً
وقيل إن علامة الصادق أن لا يرضى بدون النجاسة أبداً مع أن النجاسة لا تدرك أبداً وقال الفضيل من رأيت موهوداً وكلامه محكمة
وصحته فكرت فظفرت عبرة فلا تنهوا منه فإنه قد قطع عمره في عبادة وسلوكه أبداً في زيادته من رأيت موهوداً يطيل الأمل ويسبى
العمل فاعلموا أن داءه عضال له وأعظم ما يشتغل عنه المريد وينبغي عنه حب الدنيا فإنه سم قاطع ولا يمكن السير إلى الله
بصفاء القلوب مع بقاء شيء منها وقليلها ككثيرها روى أن بعض المريدين قام ليلاً لعبادته فلم يجد قلبه فقال إذ أصبحت
شكوت هذه الوسوسة للشيخ فوقف الشيطان على الشيخ وقال إن فلاناً يريد أن يشكوكي وأنا ما ظلمته أن الله نيا بستانى
وأنا أحرسها فمن أخذ مني شيئاً لا تركه حتى يترك ما أخذ فلما أصبح جاء الشيخ فقال له الشيخ جاء إبليس يشتكي بك ما
الذى أخذت له فقال ياسيدي خلق ثوبي فظلمت إبرة لأرقه فقال له أخرجها هو قل لنفسك الموت أقرب من ذلك فطرحتها
فوجد قلبه وأنشدوا

لا تحقرن ضعيفاً عند رؤيته أن البعوضة تدعى مقلة الأسد
وللشرارة حرقين تنظرها وربما أضرت ناراً على بلد

ثم هذا الذى تشتغل به وتسارع إليه هو أيضاً يطلبك ويسارع إليك وإن تقربت إليه شبرا تقرب إليك ذراعاً كما أبان
ذلك بقوله (ومن أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب إليه) قلت اليقين هو سكن القلب وطمانيته بحيث لم يبق فيه اضطراب
ولارب في جميع الأمور وطلب الله لعبده من وجوه منها أنه يطلبه بالقيام بحقوق العبودية ووظائف الربوبية ومنها أنه
يطلبه بالتوجه إليه والفرار عما سواه ويطلبه بالعكوف في حضرة على بساط الأدب والمحبة فمن أيقن أن الله يطلبه بهذه

وانتهجت بالحكمة كما قال ابن الفارض

وقامت بها الأشياء ثم لحكمة بها احتجبت عن كل من لاله فهم

والضمير على الحفرة الأذلية ثم قال

وهامت بهاروحى بحيث نمازجا اتحادا ولا جرم تغلله جرم

فأهل عالم الأرواح لا يرون الأجرام ولا الأشباح وإنما يرون الأرواح تكثف في تماثيل الأشباح وإذا ردوا إلى رؤيتها
رأوها قائمة بالله ومن أقول إلى الله ولا شيء سواه رأوها أو ألقى حلة المعاني (أو تقول) رأوها منارف يسقي منها شارب
المعارف ولا يسقي من هذه الأواني خمره المعاني إلا من هو عن حظوظه فاني لا يصلح بالعالم الروحاني من هو مع العالم
الجسماني لا يترقى إلى العالم الروحاني من كان في أيام عمره على الفضول حاني وأنهموا

بقدر الكد تكتسب المعالي ينال العزم من سهر الليالي

تريد العزم ثم تال ليلاً يعوض البحر من طلب التال

وكل ما يشغل العبد عن الترقى إلى الحضرة فهو فضول سواء كان علماً حسيّاً أو عملاً رسمياً أو غير ذلك مما لا يهيم
واقه تعالى أعلم (ثم) قرر السبب السابع وهو الميل عن مواهب الهام فقال

ليس يرى من المعاني ذاتي من قلبه في عالم الأبدان

(قلت) الداني هو القريب والمراد بالمعاني أسرار عظمة الربوبية وأنوار الألوهية وهي لطيفة شريفة رفيعة متفردة
المدارك دقيقة المسالك لا يناله إلا قلب سماوي أو روح عرشى أو سر جبروتى، قد ارتفعت همه عن سائر الأكوان
ورحلت روحه عن عالم الأبدان، إلى طلب الشهود والعيان، فنى عن وجوده، فى شهود معبوده، فرغ قلبك من الأغيار

الوجه صدق الطلب إليه وصدق الطلب هو أفراد القلب والقلب لجهة المطلوب بحيث لم يبق له التفات لغيره فلم يبق إلا به ولا يعتمد إلا عليه كما أشار إلى ذلك بقوله (ومن علم أن الأمر كله بيده اتجمع بالتوكل عليه) قلت قال تعالى (وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) وقال (قل إن الأمر كله لله) فمن علم أن الأمور كلها بيد الله أمر الدنيا وأمر الآخرة والنفوس والقلوب لم يبق له نظر إلى سواه واتجمع بكنيته عليه قال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كفيه ومن كان الله كافيه ماذا يفوته (حكى) عن بعض المشايخ أنه دخل بركة الحجاز مع أصحابه بنير زاد فلما طالت عليهم اللذة وأجهدهم الجوع انحرف الشيخ عن الطريق وهز شجرة فأسقطت رطباً جنياً فأكلوا منها إلا شاباً فقال له الشيخ لم لم تأكل قال اتى نويت التوكل على الله ورفضت الأسباب جملة فكيف أجعلك عندى بمنزلة السبب حتى تكون النفس منشوفة لما علت منك ثم لم يصحهم تصحيحاً ليقينه وإتماماً لعقده وما يمين على تحقيق اليقين وصدق التوكل رفض الدنيا وأهلها وإليه أشار بقوله (وإنه لا بد لبناء هذا الوجود أن تهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه) قلت قد حكم الله على هذا الوجود الظاهر أن يصير باطناً فلا بد أن تهدم دعائمه وهى ما يستقل به وجوده فى العادة وهى هنا استمارة عن هدم وجوده وتبديله فى خلق آخر قال تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات) وقال تعالى (كل شئ هالك إلا وجهه) على تأويل أهل الظاهر ولا بد أيضاً أن تسلب كرائمه والمراد زوال بهجته وجماله وهى زينة الدنيا التى ذكرها الله بقوله (زين للناس حب الشهوات) فمن يقين بفساد هذا الوجود وزوال هذا المرض الفانى جعل الدنيا محلاً للعبور يهرب منها إلى دار البقاء فيصبر على شدتها ولا وائها حتى تنقضى عنه أيام الدنيا فهذا هو العاقل الذى ذكره بقوله (فالعاقل من كان بما هو أبغى أفرح منه بما هو يفتى) قلت لأن من علامات العقل التجافى عن دار الغرور والإقامة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والتأهب ليوم النشور كما قال عليه

يلأه بالمعارف والأسرار فليس يقرب من ساحة المعاني من كان قلبه فى العالم الجسمانى ، من اشتغل بمخمة الأشباح لا يترقى أبداً إلى عالم الأرواح ، من اعتنى بمخمة جسمه ، مات فى سجن غمه وهمه . سئل سهل رضى الله عنه عن القوت فقال هو الحى الذى لا يموت فقال انما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألتك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل انما سألتك عن طعم الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أو لا يتولاه آخر إذا دخلت عليه علة رده صانعه أما رأيت الصنعة إذا عيت ردها إلى صانعها حتى يصلحها وأنشدوا :

| | |
|---------------------------|-----------------------------|
| كل حقيقتك التى لم تكمل | والجسم دعه فى الحضيض الأسفل |
| أنتكل الفانى وتترك باقياً | همل وأنت بأمره لم تحفل |
| فالجسم للنفس النفيسة آلة | ما لم تحصله به لم يحصل |
| يقى وتبقى دائماً فى غبطة | أو شقوة وتندامة لا تتجلى |
| أعطيت جسمك غلاماً تخيمته | أتملك المفضول رق الأفضل |
| شرك كشف أنت فى حيلاته | ما دلم يمكنك الخلاص ففعل |
| من يستطيع بلوغ أعلى منزل | ما باله يرضى بأدنى منزل |

(وقال آخر)

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| يا غلام الجسم كم تفتن بمعتمته | وتطلب الريح بما فيه خسران |
| عليك بالنفس فاستكمل فضيلتها | فأنت بالنفس لا بالجسم انسان |

السلام فالما قل هو الذى يميز بين الحق والباطل والنافع والضار والحسن والقبيح وكل ما ينفى وان طال فهو قبيح وكل ما يبيق وان غلب فهو مليح قال بعضهم يا مجييا للطمئن الدنيا والراكن إليها والحريص عليها وهو يرى سرعة زوالها وكثرة تقلبها بأهلها ومفاجأة نوائها وأنشدوا :

أبن للملوك وأبناء الملوك ومن كانوا إذا الناس قاموا هية جسطوا
كانهم قط ما كانوا ولا خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
حطوا الملابس لما ألبسوا حللا من التراب على أجسادهم وكسوا

قال مالك بن دينار مررت بمقبرة فوجدت بهلول المجنون قاعدا بين القبور وهو عريان إلا ما يستر العورة فأنتت نحوه لاستغيد من طرافته فوجدته تارة ينظر إلى السماء فيستهل وتارة ينظر إلى الأرض فيعتبر وتارة ينظر عن يمينه فيضحك وتارة ينظر عن شماله فيبكي فسلت عليه فرد على السلام فسألته عما رأيت من حاله فقال يا مالك أرفع رأسى إلى السماء فأذكر قوله تعالى (وفى السامرة كم وما توعدون) فاستهل وأنظر إلى الأرض فأذكر قوله تعالى (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فأعتبر وأنظر عن يمينى فأذكر قوله تعالى (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) فأضحك وأنظر عن شمالى فأذكر قوله تعالى (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فأبكي فقلت يا بهلول إنك للحكيم أتأذن لى أن أشتري لك قبض قطن قال أفضل فسارعت للسوق وأتيت بقبض قطن فنظر إليه وقلبه يميناً وشمالاً ورى به إلى وقال ليس مثل هذا أريد قلت وكيف تريد قال أريد قبضا من الإخلاص محفوفاً من الدنس والانتقاص غرس قطنه بالحقائق وحر من جميع البوائق سقاء جبريل بماء السليل فأنيح حسناً وأمر قطناً فلقطته أيدي الكرام البررة التالين سورة الحمد والبقرة ثم حلبته أكف

(قلت) وتكيل فضيلة النفس وهو تطهيرها وتهذيبها وتقريبها من حضرة ربها فن يطهرها ولم يذهبها فقد نجسها ونقصها قال تعالى (قد أطلع من زكاهما وقد غلب من دساها) (وفى الحكم) أخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف مناقض لمعبوديتك لكون لنداء الحق مجييا ومن حضرته قريباً فإذا خرج المبد من أوصاف بشرته ترقى إلى مقام الروحانيين فيشاهد حيثن أنوار ربه ويحظى بمؤانسته وقربه ولذلك زاد فى الحكم بعد هذه الحكمة متصلاً به الحق ليس بمحجوب عنك وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه الخ كأنه يقول ما حببك عنه إلا أوصاف البشرية التى أنت محجوب بها فإذا زالت عنك زال حبائك واتصلت بمرتبة الشهود وعرفت المعبود وبقائه التوفيق وهو الهادى إلى سواء الطريق وإلى هذا فى الجملة أشار بقوله :

مهما ترقى مادة الموضوع يأخذ نجم الدرك فى الطلوع

(قلت) الموضوع هنا هو الجسم الموضوع لظهور الروح وقيامها به فهو كالتقالب لها أو كالصدف ومادته ما يقوم به فى العادة كالأكل والشرب واللباس ويدخل فيه ما يقوم به معناه كالزواج والمال وغير ذلك من مكملاته فادامت النفس مشغلة بتحصيل هذه المادة جلياً ودخاً بتحصيلها وتكيفا هى مرتبة به محبوسة معه كيف يرحل القلب إلى الله وهو مكبل بشهواته ولالشترى رضى الله عنه :

فارض الخلق وارنى ترقى عن ظلالك
واسبق الخلق سبقاً ثم غب عن ضالك
وافن فى الحب عشقا فالمراد فى زوالك

فادام العبد مقبلاً على دنياه مشغلاً بتحصيل حظوظه وهواه لا يطلع فى الرحيل إلى حضرة مولاه فإذا غاب عن

الوفاء بزم وصفاء من غير جفاء. ثم نخلت الاوتار المتصلة بالأنوار وغرقت منازل الحمد والثناء بالحجة والاعتناء جعلت اللجنة لنا سحرة ثواباً وكان هو للابسة من النار حجاباً فهل تقدر بامالك على مثل هذا قنلت إنما يقدر عليه من خصك بوصفه والمعلم لمعايته وكشفه ثم قلت يا بهلول صف لي اللابس هذا القميص فقال نعم إنما يلبسه من خصه الله بأنواره وكتبه في ديوان أبراره وأحياء بالسابقة وقواه بالعزيمة الصادقة لجسمه بين الخلق يسعى وقلبه في الملكوت يرعى فلا يتكلم بغير ذكر الله لفظة ولا ينظر لغيره لحظة ثم صاح صيحة عظيمة وقام وهو يقول اليك فر الماربون ونحوك قصد الطالبون ويابك أناخ النابون له اللهم انا وقد قننا بيايك فلا طردنا ونحن اقتسبنا لجنايبك فلا تحرمنا يا أرحم الراحمين ثم من فرح بالباقي وأعرض عن الفاني تشرق عليه الأنوار وتلوح له الاسرار كما أبان ذلك بقوله (قد أشرق نوره وظهرت تابشيره) قلت قد أشرق نوره بجلاوة الزهد في الدنيا والاقبال على المولى لأن حب الدنيا ظلمة فإذا خرج من القلب دخله النور وهو حلالة الزهد وراحة الفتنة وبرد الرضى ونسيم التسليم وظهرت تابشيره أى مبشرات تبشره بالاقبال والورود الوصال وجنة المعارف والمجال وأنشدوا

إذا هبت علينا من حماكم نسيت تذكرنا الوصالا
مبشرة بإقبال وسعد وعز دائم دهرأ طويلا
مبلغة شذا تلك المعاني مذكرة ربابها والطلولا
فذلك خير وقت بالمعنى وأحسن ما تعاطى السلسيلا

لحين أشرق نوره وظهرت تابشيره أعرض عن الدنيا بالكلية كما أبان ذلك بقوله (فصفد عن هذه الدار منضياً وأعرض عنها مولياً) قلت الصدوف هو الأعراض والتولى أى فأعرض هذا السائر الى الله عن الدنيا بمخافتها منضياً

مادة حسه وزهد في نفسه وقلبه وجسده يأخذ نجم إدراكه في الترقى إلى حضرة قدسه فلا يزال يمشى في نور نجم توحيد الافئدة إلى أن يبلغ عليه قر توحيد الصفات ثم تشرق عليه شمس توحيد الذات فيقول بلسان حاله طلعت شمس من أحب بلبيل فاستنضت فما تلاها غروب ان شمس النهار تقرب ليلا وشموس القلوب ليست تغيب وقال آخر: ليلى بوجهك مشرق وظلامه في الناس سارى الناس في سدف الظلا م ونحن في ضوء النهار وقال سيدي عبد الرحمن المجذوب

طلع النهار على الافكار ولا أبقي إلا ربى
الناس زارت محمد وأنا أسكن لى قلبى
وقلت فى عينيتى تبنت لنا شمس النهار وأشرقت
تنحى رداء الصون عن كون ربنا فسرنا الى نور الحبيب نسارع

(تم) تأسف الناظم على قلته من يساعده في وقته في حاله فقال

يا حرقى إذ لا يجدراك بيهجتنا في هذه اللواكب

(قلت) الموكب هو الجماعة ركباناً ومشاة والجمع مواكب وكأنه رضى الله عنه لم يجد في زمانه من يساعده على هذا

بصره أى مغمضاً عني بصيرته عن النظر إلى زهرة هذه الدار وبهجتها مثلاً في ذلك قول المولى لرسوله المصطفى ولا تمدن عينيك إلى ما متنا به أزواجاً أى أصنافاً من الكفار زهرة الحياة الدنيا لتفتهم فيه وأعرض عن هذا قلباً وقالياً مولياً ظهره عنها مقبلاً بوجهه إلى المولى قال الشطبي وأعلم أن الأعراض عن الدنيا إنما هو بالقلب ومتى كان القلب معلقاً بها لم ينفع زوالها من اليد ولا قطع أسبابها بل المطلوب زوالها من القلب سواء كانت في اليد أو لم تكن قال تعالى لمن أعطاه ملك الأرض يجد أغيراً سليمان عليه السلام (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) وقال فيه أيضاً نعم العبد أنه أواب وقال تعالى لمن نزعها منه يجد أغيراً سيدنا أيوب عليه السلام (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) ثم قال أنا وجدناه صابراً نعم العبد أنه أواب لكن من علامة حب الآخرة ترك الدنيا وعلامة تركها أن لا يفرح بالموجود منها ولا يتأسف على ما فات منها ولا يمكن ذلك إلا بترك الاتصاف بالنفس ومخالفتها وأنشدوا

يا نفس في التقرّب كل مذلة فتجري ذل الهوى بهوان

وإذا حلت بدار قوم دارهم ظلم عليك تمرز الأوطان

وسئل الشيخ أبو محمد عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه عن الدنيا فقال أخرجهما من قلبك واجعلها في يدك فإنها لا تنزك وقال الحضري رضي الله عنه ليس الرجل الذي يعرف كيفية تقريق الدنيا فيفرقها إنما الرجل الذي يعرف كيفية إمساكها فيمسكها قال الشيخ زروق رضي الله عنه لأنها كالخيلة وليس الشأن في قتل الخيلة إنما الشأن في إمساكها حية أو وقد يهصد بترك الدنيا ما هو أعظم من الدنيا كحب الجاه والرياسة وغير ذلك من الحظوظ ولذلك قيل من أراد أن يكون منه شيء فلا يأتي منه شيء لأنه عبد لارادته وعامل لحظ نفسه فإذا انقطعت عنه الحظوظ النفسية والشهوات الدنيوية أصبح قصده إلى

العلم لأنه عزيز وأهله أعز من كل عزيز وغالب الناس إما مشغول بدنياً أو مفتون بدعوى أو مبتلى بهوى وإن كان الزمان لا يخلو منهم فهم أقل من القليل وأعز من العزيز وأغرب من عتقا مغرب لكن لا ينسحب ذلك على زمان فإن التور النبوي تارة ينبع ويظهر فيظهر أهله لصلاح ذلك الزمان وتارة يخفى مع وجوده فيخفى أهله لفساد ذلك الزمان فالعدد لا ينقطع لكن تارة يريد الله تعالى إظهار أوليائه كزماننا هذا والحمد لله وتارة يريد الحق تعالى إخفاءهم لحكمة أرادها الله تعالى والله يحكم لا معقب لحكمه والله تعالى أعلم (ثم) تأسف ثانياً على قلّة من يبحث معه في هذا العلم فقال

يا معشر الإخوان هل من سائل أخبره عن هذه المسائل

(قلت) المذاكرة في هذا الفن من الأمور المؤكدة فلا بد من صحبة إخوان يخوض معهم في هذا الفن وقد قالوا فهم سطرين أفضل من حفظ سفيرين ومذاكرة اثنين أفضل من هاتين وكذا أن الذكر اللسان الجماعة فيه أفضل كذلك الذكر القلبي وهي الفكرة الجماعة فيه أفضل من الأفراد والجماعة في الفكرة هي المذاكرة مع أرباب الفن فإن إدراك فكريات متعددة أحسن من إدراك فكرة واحدة وهذا كله مع من دخل بلاد المعاني والأفاستعمال فكرة واحدة أفضل من الاجتماع مع غيره وقال سيدي علي العمري الجلوس مع العارف أفضل من العزلة والعزلة أفضل من الجلوس مع العامة وفضل الصحبة أمر شهير لما فيه من التعاون قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) وأوحى الله إلى داود عليه السلام بأدأود كن يقظاً وأرشد لنفسك إخواناً وكل أخ أو صاحب لا يوافقك على مسرتي فأرضه فإنه لك عدو أو كما قال وقال ابن عباد رضي الله عنه في نظم الحكم

الله وانفرد قلبه بالتوجه لمولاه (قلت) ولأبي الأنوار الطوائى قصيدة في هذا المعنى قال في بعضها :

ومن كان قصده في نيل ما يريد فما قام بالحجة
واصل طريقنا وارفض العلال مع الصبر وارفع الهممة
وحسب المحب مشاهدة يقيناً لم يبدو من حضرة
وفهمك عنه جدير بأن يعوضك المنع بالمنحة

وأبو الأنوار هذا تلميذ أنى الحاسن سيدى يوسف القاسى وغيره بطوان بالمصلى القديمة ل ناحية القصبة نفعا الله بذكره
ثم ان من أعرض عن الدنيا لا وطن له فيها وإنما وطنه عند مولاه كما بين ذلك بقوله (فلم يتخذها وطناً ولا جعلها سكناً)
قلت لأن من توطن الشيء فقد قام فيه والسائر لا مقام له إلا عند مولاه وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقول في شأن الدنيا
أعبروها ولا تعمروها وقال عليه السلام مالى ولا دنيا لى مماثل ومثل الدنيا كراكب سافر في يوم صائف فاستظل تحت شجرة
ثم راح عنها وتركها فمست الدنيا دار إقامة ولا سكناً وإنما هي قطرة من حنا إلى هنا فالعارف لا يكون مع غير الله قراره
لأن همه كلها عند الله كما قال (بل أنهى الهممة فيها إلى الله وصار فيها مستعيناً به في القنوم عليه) قلت النهوض هو القيام
كان السائر إلى الله أنهى همه وأقامها من هذا العالم يريد بها دخول عالم الملكوت وانهاض الهممة يكون بامثال أمره
والاستسلام لقهره والاستعانة به على سفره وهو معنى قوله وسار فيها مستعيناً به في القنوم عليه والقنوم هو الوصول
إلى معرفته وتحقيق العلم به ولا يصح ذلك إلا بالتبرى من الحلول والقوة ومن ظن أن اجتاده يوصله لمربوه فقد جهل
ومن صح اعتياده على الله وصل ثم بين السر فقال (فازالت مطية عزمه لا يقر قرارها) قلت المطية في اللغة هي المركوب واستعيرت

إن التواخى فضله لا ينكر وإن خلا من شرطه لا يشكر
والشرط فيه أن تواخى العارفاً عن الخطوط والحوظ صارفاً
مقاله وحاله سياتى ما دعوا إلا إلى الرحمن
أنواره دائماً السراية فيك وقد خفت بك الرعابة
والقاصد الفائد هذا الشرطاً بصحبة يعقدها قد أخطأ
لأنه يرى بها عكاسه نفسه ذات اغترار آمنه

وهو نظم لقوله لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقالته ربما كنت مسيئاً فأراك الاحسان منك محبتك
إلى من هو أسوأ حالاً منك وهذه الصحة تصدق بصحبة الشيخ والإخوان وإن كان ابن عطاء الله أنما قصد بها الشيخ والله
تعالى أعلم (ثم) تأسف على ذهابهم في زمانه قال :

(قلت) التأسف هو التحسر والفتية جمع فتى والفتى هو من كسر صنم نفسه قال تعالى في شأن الخليل (قالوا نعمنا فتى
يذكرهم يقال له إبراهيم) وفتية الوصول هم العارفون بالله لأنهم أهل الوصول والتمكين والانصرام هو الانقطاع وكان
طريق العارفين كانت فيما سلف موصولة بحياء أربابها مرتبطة بتحصين ثم انصرمتوا فقطعت بموت أربابها وانقطاع موادها
 وأسبابها وهذا كما قال القائل :

أهل التصوف قد مضوا صار التصوف مخزقة

هنا للعلم القوى أى فإزال عزمه قويا وروحه شائقة لا يقر قرارها أى لا يسكن قرارها في موطن دون سيدها لان الشوق أطلقها وخوف فوات اللحوق أزجها فهي في السير على الدوام كما قال (دائما تسيرها) قلت ان ادم سيرها لثقله عواقتها لانها لما أعرضت عن الدنيا مولية عنها قلت عواقتها لان الدنيا شبكة العوائق وأصل العلائق وكل من قطع عروقها من قلبه ذهب عنه العلائق كالشيطان الذى هو أبوها فلما طلق له بنته تركه كالنفس لان قوامها الدنيا فلما ذهبت ماتت وكان الناس لان الدنيا جيفة والناس كلابها فلما تركت لهم جيفتهم سلبت منهم سيرها الى ان وصلت إلى أصل وطنها وهي الحضرة كما بينه بقوله (إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس) قلت الا فاخته هي النزول وحط الحول ولما وصلت الروح الى مشاهدة الاحباب وفتح لها الباب أزال ما كان عليها من الانتقال وجلس على بساط النزاهة والكمال وهي حضرة القدس أى التنزية التى هي دائرة الولاية المقتضية للعبد تحققة بتقديس مولاه عن كل وصف لا يليق بذاته حتى عرف أنه أجل من أن يعرف وأعظم من أن يوصف فيقول لا أحصى ثناء عليك فيغرق في التعظيم ويتكبر في التقديس فيعكس تقديسه عليه بحيث يحفظه مولاه فلا يعصيه بل يكون مقدساً بتقديس الحق إياه اذا قدس مولاه قدسه مولاه كل على ما يليق بوصفه ومن هذا التقديس ينشئ كل شئ بمولاه فيأنس به دون ما سواه في عين اجلاله والهيبة منه تعظيماً لا فرقا أو تذلاً في عين الإذلال فافهم قاله الشيخ زروق رضى الله عنه وبساط الأنس هو محل الفرح بقرب الحبيب ومناجاة القريب لينيب عن كل شئ ويتأنس به في كل شئ ثم بين أسرار الحضرة وهي ست فقال (في عمل المغانحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة) قلت أما المغانحة فهي مفاعلة علم الغيوب فأنت تفاعله بطلب العطاء وهو يفتاح بكشف النطاء أنت تفاعله بطلب الزيادة وهو يفتاحك بتوالي الاقادة أنت تفاعله بالتزقي في المقامات وهو يفتاحك بأسرار

صار التصوف ركوة وسجادة مزوة

صار التصوف سجة وتواجدا ومنطقة

كذبتك قصك ليس ذى سنن الطريق الملحقة

تأسف الشيخ وتحسر على انقطاع هذا الطريق بانقطاع أهلها وناداهم وان كانوا غائبين زيادة في التحسر فكأنه يقول يا أسنى يا أولياء الله على انقطاع طريقكم بعد وصلها واندراسها بعد ظهورها وقد تقدم له هذا المعنى في أول الكتاب (ثم) شوق الى اللحوق بهم ومشاركتهم في مقاماتهم فقال :

لو أبصر الشخص اليب العاقل لم يعتقل عن هذه المعال

(قلت) الاعتقال هو الربط والحبس ومنه عقاب البعير والمعاقل هي المراتع التي يعقل فيها الخيل لترتع ولا يكون الا خصباً كالروض ونحوه (يقول) رضى الله عنه لو أبصر العاقل بنور بصيرته ونظر ما خص الله به أولياءه من كرامته وماتهم به من التزهة في معرفته لم يعتقل ويجلس عن هذه الرياضات والمراتع التي رتع فيها الذاكرون وتزه في رياضها العارفون ولم يبتغ بخيالات الدنيا التي لا حقيقة لها وشهواتها الفانية التي لا بقاء لها قال تعالى (أفرأيت ان تمنعام سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) (قال في التنبية) وحاصل الدنيا أمور وهمية انقادت لطباع الناس اليها وهي لا تفي بجميع مطالبهم لضيقها وقلتها وسرعة تفضيها فتجاذبها بينهم فتكدر عيشتهم ولم يحصلوا على كلية أغراضهم كما قيل :
أرى أشقياء الناس لا يأسونها على أنهم فيها عراة وجوع

العلوم والمكاشفات وأما المواجهة فهي مواجهة أنوار للمكوت وأسرار الجبروت فانت تواجهه بأنوار التوجه وهو يواجهك بأنوار المواجهة وهي كشف الحجاب وقبح الباب أنت تواجهه بالطاعة وهو يواجهك بالمخبة وأنت تواجهه بالأقبال وهو يواجهك بالوصال أنت تواجهه باستكشاف أنوار المالكوت وهو يواجهك بكشف أسرار الجبروت (وأما) المجالسة فهي مجالسة الأدب والهيبة فانت تجالس بالأدب والحياء وهو يجالسك بالتقريب والاحتباء أنت تجالس بمراقبته وهو يجالسك بحفظه ورعايته أنت تجالس بذكره وهو يجالسك بیره أنا جليس من ذكرني في الحديث (وأما) المحادثة فهي المكاملة القلبية وهي الفكرة والجولان في عظمة الجبروت فانت تمادته في شرك بمناجاته وسؤاله وهو يحادثك بمزيد إحسانه ونواله أنت تمادته بدوام حضوره في شرك وليك وهو يحادثك بالقاء العلوم والأسرار والحكم في قلبك أنت تمادته في عالم الشهادة وهو يحادثك في علم الغيب وفي التحقيق مأمم إلا علم الغيب ظهر في عالم الشهادة وفي هذا المعنى قال الجنيدل أربعون سنة وأنا أحدث الحق والناس يرون أني أحدث الخلق وقالت رابعة السدوية رضى الله عنها ولقد جعلتك في الفؤاد محبتي وأبحت جسمي من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسى (وأما) المشاهدة فهي كشف حجاب الحسن عن نور القدس أو تقول كشف رداء الصون عن الكون فانت تشاهد ذاته في عالم ملكوته وهو يشاهدك في عالم ملكه أنت تشاهد ربوبيته وهو يشاهد عبوديتك والحاصل أن المشاهدة من العبد هي شهود العظمة بالعظمة كاقال شيخنا رضى الله عنه ومشاهدة الرب للعبد هي إحاطة عليه بأحواله وأسراره (وأما) المطالعة فهي مطالعة أسرار الملك والمالكوت والجبروت وأسرار القدر فانت مطالعه بالتوجه اليه وهو يطالعك بالترقي اليه أنت تطالع

أراها وإن كانت قليلا كأنها سحابة صيف عن قريب تقشع

وقال سهل رضى الله عنه للعقل ألف اسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول اسم منه ترك الدنيا (قال الحسن) رضى الله عنه كيف يسمى عاقلا وهو يصبح ويمسى في الدنيا ومباهاة أهلها في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون أولئك هم النافلون أولئك هم الجاهلون (قلت) ويؤيد هذا قوله عليه السلام في بعض مواضعه ألا ان من علامات العقل التجافى عن دار الفرو والالابة إلى دار الخلود والزود لسكنى القبور والتأهب ليوم التشور (وقال أبو علي) التقنى رضى الله عنه أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت وأف من حصراتها إذا أدبرت والمائل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة وقد قيل في معناه .

ومن يحمد الدنيا لشيء يسره فسوف لعمرى عن قريب يلومها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة وإن أقبلت كانت كثيرا مومها

(وقيل) لأبي القاسم الجنيد رضى الله عنه متى يكون الرجل موصوفاً بالعقل فقال إذا كان للأمر ميمزاً وللمنافع وأوعا يوجه عليه العقل باحثاً يلمس بذلك طلب الذى هو أولى ليعمل به ويؤثره على سواء فإذا كان كذلك فن صفه العقلاء ركوب الفضل في كل أحواله بعد إحكام العلم بما فرض عليه وليس من صفه العقلاء اغتفال النظر لما هو أحق وأولى لاومن صفتهم الرضى بالنقص والتقصير فن كانت هذه صفته بعد أحكامه لما يجب عليه من عمله ترك التشاغل بما يزول وترك العمل بما يبنى وينتقى وذلك وظيفة كل ماسورت عليه الدنيا وكذلك لا يرضى أن يشغل نفسه بقليل زائل ويسير حائل يصده التشاغل به والعمل به عن أمور الآخرة التي يدوم نعيمها ونفعها ويتأبد سرورها ويتصل بقاءها وذلك أن

مواقع قضائه وقدره فتلقاها بالقبول والرضا وهو يطالع أحوالك وسر أترك فيكشف عنك الحجب ويوسع عليك القضاء أنت تطالع بالتقرب والاقبال وهو يطالعك بالحجة والوصال فيلتقك بالإقبال والوصال وهذه الاسرار لا يدونها إلا أهل الأذواق فكل واحد يذوق منها على قدر شربه ووجده والله تعالى أعلم فان سكنت الروح في هذه المراتب صارت الحضرة مأواها ومثواها كما بين ذلك بقوله (فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكون) قلت عش الطير وكره الذي يأوى اليه فكان أرواح العارفين طيور الحضرة تطير في الملكوت وتسرح في الجبروت ثم تأوى إلى عش العبودية في الظاهر وعش الشهود في الباطن فالحضرة التي هي معشش قلوب العارفين هي حضرة الذات اليها يأوون أي يرجعون بعد الطيران إلى فضاء الملكوت وأسرار الجبروت وفيها يسكنون لا يخرجون منها أبداً كما قال تعالى (لا يمسمه فيها نصب وما هم منها بمخرجين) وعلمها في أعلى عشرين وهو عرش قلوب العارفين (فان نزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالأذن والتمكين والرسوخ في اليقين) قال الشيخ زروق رضى الله عنه التوحيد عرش والشريعة للمظهر كرمي ذلك العرش والحقوق المنضلة فيها سماؤها والحظوظ النفسانية أرضها فكل حقيقة لا تصحبها شريعة لا عبرة بصاحبها وكل شريعة لا تعضدها حقيقة لا إكمال لها (قلت) النزول هنا مجاز كأن الحرية عرش والعبودية سماء أو أرض أو تقول الحقيقة عرش والشريعة أرض فما دامت الروح في بحر الوحدة كأنها في عرش الرحمن فان نزلت إلى العبودية كأنها نزلت إلى السماء أو الأرض وظهر كلام الشيخ ومن تبعه من الشراح أن النزول إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ خروج عن الحضرة وليس كذلك إذ من كان عمله بالله وتصرفاته كلها بالله لا خروج له عن الحضرة وإنما النزول في حقه بالقلب فقط دون القلب فالقلب لا يخرج من عشه أبداً بعد أن تمكن منه فكل من بلغ أن يكون عليه بالله ومن الله والى الله لا يكون

الدين يلوم نفعه ويبقى على العامل حظه وما سوى ذلك زائل محدود مفارق موروث يخاف مع تركه سوء العاقبة فيه ومحاسبة الله عليه وكذلك من صفة العاقل تصفحه للأمر بعقله والأخذ منها بأوفره قال الله تعالى (الذين يستمعون اتقول فينبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) بذلك وصفهم الله تعالى وذو الألباب هم ذوو العقول وإنما وقع التناء عليهم بما وصفهم الله به للأخذ بأحسن الأمور عند استماعها وأحسن الأمور هو أفضلها وأبقاها على أهلها نفعاً في العاجل والآجل وإلى ذلك تدب الله من عقل في كتابه انتهى كلام الجنيد رضى الله عنه وهو في غاية الحسن لتفسير العاقل من الله علينا باستماله آمين وإلى هذا العاقل وجه الناظم الخطاب بقوله

يا صاحب العقل الحصيف الوافر إياك أن تصدك الحوافر

(قلت) الحصيف بالمهمله والقاء المروسة هو الحكم المتقن وثوب حصيف أي محكم النسيج وهو صد الخفيف والصدم هو الزطم بلفتا (يقول) رضى الله عنه يا صاحب العقل الكامل لا ترض لنفسك بالغفلة والتواني والتقاعد عن مراتب الرجال أهل المعاني فتقعد في طريق السير حتى تظم فيك الرجال ويسبقوك إلى رتبة الكمال ونيل كرامة الوصال ودخول حنة الكمال فتندم حيث لا ينفع الندم وقد زلت بك القدم وأنشدوا :

السباق السابق قولاً وفلاً حذر النفس حرة المسبوق

وقال ابن الفارض رضى الله عنه

وجد بسيف العزم سوف فان تجد تجد نفساً فالنفس إن جدت تجد

والتنافس في الطامع ونيل المراتب محمود قال تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) إلا أنه لا ينبغي أن يجعل الإنسان

نزله للشرعة خروجاً عن الحضرة لاسيما الصلاة التي هي معدن المصافة فيها تسع ميادين الأمرار وتشرق فيها شوارق الأنوار اللهم إلا أن يعمل النزول في كلامه على أنه بالقلب دون القلب كما تقدم ويدل على هذا قوله فيها يأتي بل دخلوا في ذلك بالله الخ قال الشعراني في بعض أجوبته سألت شيخنا سيدي علياً الخواص أي الخاتين أفضل للعبد في حال الصلاة هل يكون بعيد الله كأنه يراه أو كأن الله يراه قال فأجابني بأن يكون العبد بعيد الله كأن الله يراه أفضل من كونه كأنه يراه ثم أطلال الكلام في توجيه ذلك (قلت) وقد كنت اعترضت هذا الكلام وكتبت عليه ماضئاً أن العارفين اتفقوا على أن العمل بالله أفضل من العمل لله لأن العمل بالله مشاهدة والعمل لله مراقبة ومقام المشاهدة أعلى من مقام المراقبة فالصلاة مع المشاهدة أفضل من الصلاة مع المراقبة وما ألزمه الخواص غير لازم ثم عرضته على شيخ شيخنا مولاي العربي فخرج به غاية الفرح وأعجبه بنى اعتراضى على كلام الخواص ولا يستغرب هذا من الخواص والشعراني قال في التسهيل وإذا كانت العلوم منحة إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لكثير من المتأخرين ماعسر على كثير من المتقدمين ونزولهم إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ إنما يكون بالإذن والتمكين أما الأذن في نزولهم إلى الحقوق باذن شرعى إذ حقوق الشرعة كلها موقفة والتمكين فيها هو سهرتها والتمكين منها بحيث لا يعارضه عارض يمنع منها شرعاً أو طبعاً وأما الأذن في نزولهم إلى أرض الحظوظ فبالإلهام والاعلام بحيث يتأتى في الأمر حتى يفهم أنه مراد الحق تعالى وقد كان شيخ المشايخ الجيلاني رضى الله عنه في حال سياحته لا يأكل حتى يقال له بحق عليك إلا ما أكلت (قلت) وكل من كان عنده الفهم عن الله لا يتصرف إلا بالآذن من الله وبعض من طبع الله على قلبه من جلامدة الفقهاء ينكر هذا وهو معذور في بلاد الضعف إذ من جهل شيئاً أعاده والمراد بالتمكين هو صحة الفهم عن الله حتى لا يبقى له زلزل أنه مراد الحق بحيث

يجاهده في مقابلة هذا الحرف بل يجاهد نفسه في تحقيق العبودية والقيام بوظائف البرية ولا يلتبس بذلك حظاً ولا حرقاً فذلك يتحقق الاخلاص ويلحق بدرجة الخواص والله تعالى أعلم (ثم) نهك على ارتحال الدنيا عنك أن لم ترحل عنها بقلبك فقال لقد غدا الكون لديك سافر أن لم تكن فيه كما فيه المسافر

قلت غدا بمعنى صار والسافر الخالي من الشيء وقد يراد به المسافر يقال سفر فلان فهو سافر وبجمع على سفر كراكب وركب (ويقول) رضى الله عنه لقد صار الكون مسافراً عنك بموتك أن لم تسافر عنه بهمتك (قال) صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكان عبادة بن عمر رضى الله عنه يقول إذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح يقول لقد صار الكون خالياً عندك من الخير أن لم تزهد فيه وتسافر عنه بهمتك وتشغل فيه بطاعة ربك والحاصل أن الإنسان والكون يتسابقان ويتصارعان فمن سبق الكون وغلبه يرفع همته عنه والغنية عما فيه والزهد فيما اشتمل عليه خدeme الكون بأسره وصاروعنا له على السير إلى رب به بل يصير عبداً له يتصرف فيه بهمة كيف شاء قال الشاعر :

لك الدهر طوعاً والأنام عبيد فعش كل يوم من أيامك عيد

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائفاً ولك الحكم

وقال في الحكم أنت مع الأكون مالم تشهد المسكون فإذا شهدته كانت الأكون معك (وفي الحديث) عنه صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يادنيا اخدنى من خدمتى واتمنى من خدمتك (وقال) أيضاً صلى الله عليه وسلم الدنيا طلبة ومطلوبة فمن طلب الآخرة طلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه ومن سبقه الكون

له ربه معارض شرعى ولا عادى وكذلك الرسوخ فى اليقين هو الثبوت فى المعرفة فى حال إرادة الفعل وقد ضربت لهذا مثلاً وهو أن رجلاً حمل ولده وأنزله فى بستان أو دار ثم تركه فجاء قوم ينازعونه فى إذن أبيه له ويقولون له نزلت هنا بنبر إذن فلا شك أنه ان أقسم بالله أنما نزل إلا ياذن من أبيه كان باراً فى قسمه فاذن أبيه حين أنزله هناك صريح ولولم ينطقه بلسانه ولا يصح هذا إلا غي أو مكابر فاقه تعالى بمن علينا بالهضم عنه فى أمورنا كلها آمين ثم ذكر مفهوم قوله بالاذن والتكئين فقال (فلا ينزلوا إلى الحق بسوء الأدب والفضلة ولا إلى الخطوط بالشهوة والمتعة) قلت أما النزول بسوء الأدب فهو أن يكون نزولهم فى طلب الأجور أو الحروف وهو الجزاء وأما الغفلة فهى رؤية النفس فى حال العمل وهو عندهم ذنب يستغفرون منه فاستغفارهم بعد الصلاة إنما هو من حضور قوسهم فى عملهم ولذلك قيل :

(وجودك ذنب لا يقاس به ذنب)

والحاصل أن أهل الحضرة نزولهم بالله وعلمهم بالله لا يرون لأنفسهم حولا ولا قوة ولا يطلبون من ربهم جزاء ولا أجرة إذ محال أن يطلب الجزاء على عمل غيره هذا فى حال نزولهم إلى سماء الحقوق وأما نزولهم إلى أرض الخطوط فإنما هو لأداء حقوق العبودية فليس نزولهم بشهوة النفس ونيل متعتها لتحقق فنانها وموتها قد انقلب حظوظهم حقوقاً ولاجل المعنى قال سيدنا عمر رضى الله عنه إنى لأزوجه النساء وأجادهن وليس لى فى ذلك شهوة قالوا لم تفعل ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء أن يخرج الله من صلبى من يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم أمته (وقال) سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إذا وافق الحق الهوى كان كالأبد مع الضل بئى إذا وافقت النية الصالحة الهوى كان كالأبد مع العمل وقال صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تباعاً لما جئت به فتصل أن مقام الزوال يقتضى الفناء عن الخطوط كلها ولم يبق

وغلبه بالرغبة فيه والحرص على ما اشتغل عليه بى فى يده أسيراً وفى سجنه رهيناً وعن ربه بعيداً فإذا مات صار فى قبره فريداً وبسبب ذلك عدم العلم والتمهم وانقياده للهدى والوهم كما قال الششتري رضى الله عنه :

تقيد بالآوهام لما تداخلت عليك ونور العقل أورتك السجن

ولا يتخلص الإنسان من سجن الأكوان حتى يخلع نعله عن الكونين ويتخطى بهمة حظوظ الدارين كما قال القائل وعن الكونين كن منقطعاً وأزل ما بيننا من بيننا

وقال بعضهم طالب الدنيا أسير وطالب الآخرة أجير وطالب الحق أمير فإذا تحرر العبد من رق الخطوط فقد تحقق سفره إلى ربه وظفر بوصله وقربه حققنا الله بذلك بمنه وكرمه والآن موقفاً بجبل هواه مكبلاً فى قيد حظوظه ومناه كما أشار إلى ذلك بقوله

يامونقا فى موقئ المهاالك تزهر أراك اليوم زهو المالك

(قلت) الموقئ المحبوس والوثاق ما يحبس به الزهو الترفع والتكبر (يقول) رضى الله عنه بماحبوساً فى وثاق شهواته وحظوظ نفسه لقد كنت حراً وهى مملوكة لك لوغيت عنها فى حجة خالقها لخدمتك فلما شغفت بها وخدمة نفسك فى طلبها صرت مملوكة لها أسيراً فى يدها فأبك على نفسك بكاء الشكى واضرع فى فكاك نفسك إلى المولى فمضى أن يفك أسرك ويصلح أسرك ويردك إلى أصلك قصير مالكا والهوى مملوكا وتصير غنوما والهوى غلامك كما قال الشاعر

كنت عبداً والهوى مالكي فصرت حراً والهوى عادى

(وقال آخر)

العبد حراً ماعى طمعاً والحر ماعى طاعة عبد

إلا الواحد الأحداً بأن ذلك بقوله (بل دخلوا في ذلك باقة وقه ومن الله وإلى الله) قلت بل للإضراب عما تقدم من دخولهم في الحقوق بسوء الأدب والتفلة وأزولهم لأرض الحظوظ بالشهرة والمتمتعوا بما دخلوا في الحقوق أو الحظوظ باقة لتحقق قنائهم عن أنفسهم وقه لتحقيق إخلاصهم ومن الله لشهودهم الفعل من الله وإلى الله لتحقيقهم أن الأمور ترجع كلها إلى الله قال تعالى (وليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) فأمر العباد كله قائم باقة ومصادر منه ومسته إليه ثم استدلل بالآية الكريمة على أن الدخول في الأشياء والخروج منها يكون باقة فقال (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) ليكون نظري إلى حوكم وقوتك إذا أدخلتني واقبدي إليك إذا أخرجتني واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ينصرتي ولا ينصرتي على ينصرتي على شهود نفسي وبينتي عن دائرة حسي) قلت الآية لما تفسير ظاهر وتفسير باطن اه أعني على طريق أهل الإشارة أما تفسير أهل الظاهر فقالوا هذه الآية نزلت في فتح مكة وأن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الدعاء عند دخولها حال فتحها ومعناه رب أدخلني مكة مدخل صدق أى ادخل صدق بأن يكون دخولي بك واعتمادى عليك ناصراً لدينك بحوكم وقوتك وهذا كقولهم عليه السلام في بعض أدعيته حين كان يقدم من سفره صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وأخرجني من مكة مهاجراً إلى جهاد عدوك مخرج صدق أى اخراج صدق بأن تكون منصوراً بك معصوماً بحفظك ورعايتك واجعل لي من لدنك سلطاناً أى برهاناً دائماً لكل باطل نصيراً ينصرتي على من عاداني وأما تفسير أهل الباطن فهو ما أشار إليه الشيخ رضي الله عنه مستدلاً بالآية على أن دخول العارفين في الأشياء كلها يكون باقة وخروجهم منها يكون باقة فقال وقال أيها العارف (رب أدخلني) في الأشياء حقاً كانت أو حظواً (مدخل صدق) أى لإدخال صدق بأن يكون ذلك الإدخال بك معتمداً فيه على حوكم وقوتك متبرئاً

(وفي الحكم) أنت حر ما أنت عنه آيس وعبد لما أنت له طامع (وقال أيضاً) ما أحبيت شيئاً إلا كنت له عبداً وهو لا يجب أن تكون لغيره عبداً (وقال) بعض الملوك لبعض الأولياء اطلب مني شيئاً نعطك فقال له وكيف أطلب منك وأنت عبد له لعبدى فقال له وكيف ذلك فقال أنا زهدت في الأشياء غفرتني وأنت أحبيت الأشياء فلستكك أو كلاهما هاهنا معناه لطول العهد به وإذا كنت أيها الراغب في الدنيا أسيراً في يدها كيف يمكنك أن تزهر وترفع على غيرك زهو المالك وإنما أنت مملوك فتنه لمصينك واعرف قدرك ولا تمد طورك واسأل الله تعالى أن يفك أسرك وباقة التوفيق (ثم) وبخ الخطاب على قلة الاستماع فقال :

يا من أعانته على الدوام حتى أجفان الدوام دوام

(قلت) للمعابة اللوم والتقريع وحتى بمعنى إلى الغائبة وما فانية حذف ألها للوزن وأجفان الدوام مبتدأ ودوام خير منقوص مقدر رفضه ودوام جمع دامية أى سائلة بالدم والجبرود بجى مخذوف والتقدير إلى أى زمان تستمر مريضاً وليس أجفان عينك التي في بكائها شفاؤك سائلة بالدم (يقول) رضي الله عنه يا من نعانته على الدوام وهو يسمع عتابي ويفهم خطاي ومع ذلك لم ينكس عن العناد ولم يرجع عن الاتقاد إلى متى تبقى عليلاً وقد أمكنك الدواء فكيف لا تبكي على نفسك وقد تنشب في باطنك داء الهوى فإذا كان الدواء في سكب دمك فكيف لا تبكي الدم في طلب شفاء نفسك وفي الحكم تمكن حلاوة الهوى من القلب هو الداء المضال لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق اه فلا يخرج الداء من القلب إلا وارد قوى يأتي من حضرة قهار لا يصادم شيئاً إلا دمهتة أما بنفحة إلهية أو بسبب واسطة شيخ كامل عارف عقيق والغالب أن من صدق في الطلب يبلغه الله ما طلب وكن طالباً تجد مرشداً فمن طلب الله وجدوه أنجزه بالوفاء

من حولي وقوتي ومن شهود نفسي (وأخرجني) منها (مخرج صدق) أى اخراج صدق بأن تكون مأذونا فيه بإذن خاص مصحوباً بالخشية وسر الإخلاص وهذا معنى قوله (ليكون نظري إلى حركك وقوتك إذا دخلتني) في الأشياء (وانقيادي إليك إذا أخرجتني) منها (واجعل لي من لدنك) أى من مستبطن أمورك بلا واسطة ولا سبب (سلطاناً) أى برهاناً قوياً وليس ذلك إلا وارد قوياً من حضرة قهار لا يصادمه شيء إلا دمنه فيحق الحق ويذهب الباطن ويكون ذلك السلطان (ينصرني ولا ينصر علي) أى ينصرني على النية عن الحس وعن شهود السوى حتى نعد عنهما برؤية مولاها ولا ينصر على الوم والحس وشهود الغيرة ثم بين ذلك فقال (ينصرني على شهود نفسي) أى يقويني على النية عنها فإذا انتصرت على شهودها انهزم عنى وذهب شهودها وبقي شهود ربها فالنصرة على الشيء هو غلبته حتى يضمحل وينقطع وكان شهود النفس عدو يحاربك ويقطعك عن شهود ربك فإذا نصرك الله عليه غلبته ودفعته عنك فتصل حيث تذهب شهود محبوك وإذا فنى شهود النفس فنى حيثك وجود الحس وهو معنى قوله (ويفنني) عن دائرة حسي (فإذا فنت دائرة الحس بقي متسع المعاني وفضاء الشهود وهذه هي الولادة الثانية فإن الإنسان بعد أن خرج من بطن أمه وهي الولادة الأولى بقي مسجوناً بمحيطاته محصوراً في هيكل ذاته قد التصمى الهوى وصار في بطن الحس والوم وبطن الأكون المحيطة بحسانيته فإذا فنت دائرة حسه وخرج من بطن عوائده وشهوات نفسه نقيت روحه التكون بأسره وخرجت إلى شهود مكنها فقد ولد مرة ثانية وهذه الولادة لا يعقبها فناء ولا موت قال تعالى (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) وهذا معنى قول سيدنا عيسى عليه السلام ليس منا من لم يولد مرتين هكذا ذكره الشعلبي من قول عيسى عليه السلام وقال بعض الحكماء في قوله عليه السلام لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية قال الهجرة هجرة نية هجرة صغرى وهى هجرة الأجساد من أوطانها

وعده فإذا تضرع وبكى على نفسه كما قال الناظم أخذ الله بيده وأطلعه على ولى من أولياته حتى يوصله إلى ربه والله أكرم من أن يلتجئ العبد إليه ولا يضمه إليه وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله (وفي) بعض النسخ ما من أغانبه على الدوام حتى متى جفتك في منام وهو يشير إلى قوله عليه السلام الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا وقال بعض الشعراء :

إلى كم تمادى في غرور وغفلة وكم هكذا نوم إلى غير بقطة
لقد ضاع عمر ساعة منه تشتري بملء السبا والأرض أية ضيعة
أتفق هذا في هوى هذه التي أنى الله أن تسوى جناح بعوضة
وترضى من العيش السعيد بعيش مع الملأ الأعلى بعيش البيمة

ثم ذكر سبب إعراض المعاتب وعدم اتزاجه وهو البلادة والجهل فقال

كم أنت ذو وسائل عراض لاه عن الجهر بالأعراض

قلت كم اسم استفهام يستفهم بها عن العدد وهى هنا الأزمنة والأوقات ووسائل جمع وسادة وصرفا للوزن والمراد به هنا الكناية عن عدم الفهم يقال فلان عريض الوسادة وعريض القفا إذا لم يفهم ولم يفطن وقد قال عليه السلام لعدي بن حاتم حيث لم يفهم قوله تعالى (وكلا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) لحمله على ظاهره فجعل خيطين تمت وسادته وجعل ينظر إليهما ويأكل حتى تبين أحدهما من الآخر فلما قال ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال إنك لمرريض القفا وفي رواية إن وسادك إذن لمرريض على بعض التأويلات والجوهر هنا كناية عما يقى والإعراض

وهجرة كبرى وهى هجرة النفوس عن مألوفاتها وعرائدناها وهو معنى قوله عليه السلام وجئنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جعل الجهاد الأكبر هو جهاد النفس والجهاد الأصغر هو جهاد الجسم وقال أيضاً عليه السلام الهجرة باقية إلى يوم القيامة يعنى الهجرة الحسية والمعنوية فكل بلد لا يجد فيها من يمينه على دينه أو لا يجد فيها قلبه تجب الهجرة عنها وكل شهوة تقطعه عن ربه تجب الهجرة عنها وبالله التوفيق (هذا آخر) الكتاب الذى أرسله إلى بعض اخوانه وحاصله بيان السلوك من أوله إلى آخره فهربكتى ذوى الألباب عن مطالعة كل كتاب ثم ذكر الكتاب الثانى الذى أرسله لبعض اخوانه أيضاً فقال (وقال رضى الله عنه ما كتب به لبعض اخوانه) قلت وكانت الرسالة المتقدمة فى بيان السلوك بدايتها ونهايتها وهذه الرسالة فى بيان الوصول إلى بحر الحقيقة مع مراعاة حرمة الشريعة طرفان وواسطة قوم فرطوا وقوم أفرطوا وقوم توسطوا وجمعوا بين الشيخ الاقسام الثلاثة تنميماً للتقسيم فأشار إلى أصل التقسيم فقال (ان كانت عين القلب تنظر أن الله واحد فى مته فالشريعة تقتضى أن لا بد من شكر خليفته) قلت عين القلب هى البصيرة ومن شأنها أن لا ترى إلا المعاني دون المحسوسات كما أن البصر لا يرى إلا المحسوسات دون المعاني والحكم للعالم منهما فمن غلب بصره على بصيرته لا يرى إلا الحس وهو الغافل ومن غلبت بصيرته على بصره لا يرى إلا المعاني وهى معانى التوحيد وأسرار التفريد فالبصيرة لا ترى إلا نور الحق دون ظلمة الخلق لكن لا بد من اثبات الحكمة وقد تقدم قوله الاكون ثابتة بإثباته محورة بأحدية ذاته فلا بد من اثباتها قياماً بالحكمة ونفيها قياماً بالوحدة فان كانت عين القلب تنظر إلى أن الله واحد فى مته بل واحد فى جميع تصرفاته فالشريعة والحكمة تقتضى أى تطلب أن لا بد من شكر خليفته قال تعالى (أن اشكر لى ولوالديك) فإذا أنعم الله عليك بنعمة كانت دينوية أو دنيوية على يد واسطة فليكن فى ذلك وظيفتان احدهما قلبه وهى اعتقادك

كناية عما يفنى لأن العرض لا يبقى زمانين يقول رضى الله عنه كم تمسك أيها المعاهد من السنين والأوقات وأنت فى سكرة الغفلات غيى جاهل لا تسمع الخطاب ولا ينفع بك التائب مشغولاً بالمرض الفانى عن النعيم المقيم أما تسمع قوله تعالى (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) إلى كم تبقى غليظ الطبع عريض القفا معتمداً بإصلاح جسمك الذى هو معرض للفناء لاها عن اصلاح جوده روحك وقلبك الذى هو سبب النعيم على الدوام والبقاء فبادر أيها الجاهل إلى دواء قلبك قبل أن يهجم عليك الحماز وأنت على حالك من الأمراض والسقام فانقض أيها الغافل إلى خلاص نفسك بالتوبة والتندم قبل أن تندم ولا ينفعك الندم وقد زلت بك القدم وأنشدوا :

اما آن للنفس ان تخشعا اما آن للقلب ان يقلعا
تقضى الزمان ولا مطمع لما قد مضى منه إن يرجعا
تقضى الزمان فياحسرتا لما فات منه وما ضيعا

(وقال آخر)

وما هى إلا ليلة ثم يومها ويوم إلى يوم وشهر إلى شهر
مطايبا يقرين الجديد إلى البلا ويدفين اشلاء الصحيح إلى القبر
ويتركن أزواج النيران لغيره ويقسمن ما يحوى الشجع من الوفر

(وقال) فى الحكم العجب كل العجب بمن يهرب عما لا انفكاك له عنه ويطلب ما لا بقاء له معه فاتها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور والتى لا بقاء له معه هو شوائه وحظوظه الفانية والتى لا انفكاك له عنه هو قدر

أنها من الله بلا واسطة وأن ماسواه مقهور على إيصالها والثانية لسانيقوى أن تدعوه وتثنى عليه عملاً بالشرعة فقد روى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أسماه تعالى الشكور فليخلق العبد بذلك وحكمة اعتبار الواسطة ثلاث أولها أنها أرسال من الحق تحمل الهدايا اليك ومن الكرم أكرم الرسل وثانيها أنها أواني تصل فيها اليك المنافع ومن الحكمة ترفيع آنية المنافع وثالثها ما في ذلك من دفع منه الهم إذ الهم يقتضى بطبعه الميل لمن أحسن اليك فإذا كافأته باللسان فقد اعتقت من ريق احسانه ثم قسم الناس باعتبار الحقيقة إلى طرفين وواسطة كما تقدم فقال (وان الناس في ذلك على أقسام ثلاثة) أما واقف مع الحس ناظر للأسباب أو غائب عن الحس وعن رؤية الأسباب أو جامع بينهما أو يقول اما علة أو خاصة أو خاصة للخاصة ثم أشار إلى الأول فقال (غافل منهمك في غفلته) أي مسترسل في غفلته مستغرق في نومه لا يبالي بما وقع منه ولا يتنبه من نومه ثم بين أصل غفلته فقال (قويت دائرة حسه) أي قوى تكثيف حسه الدائره فتكثف حيثئذ حجاب به وعظم جهله فغفلت غفلته ولو فتيت دائرة حسه لاهلك روحه بآلم الملكوت أو الجبروت فلم تر الا الجمع أو ترى الجمع في عين الفرق والفرق في عين الجمع لكن لما قويت دائرة حسه انطمس نور بصيرته كما قال (وانطلمست حضرة نفسه) أي انطلمست عنه حضرة القدس وهي شهود المعاني الملكوتية لانطمس بصيرته لأن هذه المعاني لا تدركها الا البصيرة فلما انطلمست البصيرة بقوة كثافة الحس انطمس نور حضرة القدس عنه ثم ذكر ما ترتب على انطمس حضرة القدس وهو شهود الخلق دون الحق فقال (فقطر الاحسان من المخلوقين ولم يشهده من رب العالمين) قلت كل من لم يفن عن دائرة حسه ولم يقب عن شهود نفسه بشهود ربه لا يطمع أن يتحرر من ريق احسان الخلق اما اعتقاداً أو استناداً ولو جاهد نفسه في مراعاة التوحيد

الله وقضاؤه والله تعالى أعلم ثم ذكر حجاب الناس عن الله فقال :

فهما تعديت عن الأجسام أبصرت نور الحق ذا ابتسام

(قلت) قد تقدم قريباً عند قوله لم يصل بالعالم الروحاني الخ الفرق بين العالم الروحاني والعالم الجسماني فالعالم الجسماني هو محل ظهور حكته تعالى لأن من أسمائه تعالى الحكيم وهو أيضاً محل ظهور آثار تصرفات الأسماء والصفات من اعزاز واذلال وقبض وبسط واحياء وإماتة وغير ذلك من اختلاف الآثار وهو أيضاً محل ظهور العبودية التي بها كالسر الربوبية ومن مقتضى العبودية الفقر والذل والعجز والضعف والجهل وهو أيضاً محل ارتباط الأسباب بمسبباتها واقتران العلل بمعلولاتها وبهذا وقع الحجاب عن شهود مسبب الأسباب فوقه الناس مع الأسباب والعوائد ومنعوا عن تحصيل المراهب والفوائد وانهمكروا في طلب تحصيل هذه الأسباب لتحصيل مسبباتها وارتبطوا معها حتى ظن أهل الجهل أنه لا بد منها فدخلهم بذلك هم الرزق وخوف الخلق لضعف إيمانهم وحجابهم عن ربهم فن أراد الله عنايته رفع الحجاب عن قلبه فأعرض عن هذا العالم بأسره ورفع همه إلى ربه فلاح له الأسرار وضحت في وجه الأنوار فهما تعديت أي الإنسان هيمنتك عن عالم الاجسام وحصلت لك النبية عنه على انقام أبصرت نور الحق في وجهه سرك ذا ابتسام وهي أنوار الملكوت وأسرار الجبروت وما حجبك عنها الاشغل فليك بأمر نفسك فلو بعثنا لربك يعوضك منها شهود أنوار قدسه وما حجبك أيضاً عن شهود تلك الأنوار الاوقفتك مع خيال الحس ورؤية الأغيار كما أشار إلى ذلك بقوله .

مهما ارتقيت عن قبيل الحس أدركت في نفسك معنى النفس

فلا بد من الطبع أن يسرق بخلاف من تحقق بالزوال وغرق في بحر الوحدة فلا يسهل شيء وعلى تقدير غفلته فيكون سريع الانتباه ثم بين حال الفريقين في نظر الاحسان من المخلوقين فقال (أما اعتقاداً فشرك جلي) أى لا إخفاء في أن من نسب الفعل لغير الله استقلالاً أنه كافر خارج عن الإيمان وإن كان ظاهره متوسماً بوظائف الشريعة لأن من اعتقد خالقاً أو رازقاً مع الله استقلالاً فهو كافر بالاجماع ثم ذكر الثاني بقوله (وأما استناداً فشرك خفي) قلت الاستناد هو الميل الخفي بحيث إذا قلت له من الذى رزقك يقول الله لكن الغالب أن قلبه يسبق الى رؤية الخلق قبل رؤية الخالق وربما يقول بلسان الحال أو المقال لولا الذى جاء من قبله ما كان ولولا الأسباب ما كانت المسببات فووضع ارتباط الأسباب دون النفوذ إلى مسبب الأسباب هو شركه الخفي ولو نبذ الأسباب ونفقت بصيرته إلى شهود مسبب الأسباب لتبرأ من الشرك الجلي والخفي ولتحل بمقام الاخلاص الكامل الوفي واليه أشار بقوله (وصاحب حقيقة غاب عن الخلق بشهود الملك الخفي وفى عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب) قلت الحقيقة هى شهود نور الحق في مظاهر الخلق أو شهود نور الربوبية في قوالب العبودية فصاحب الحقيقة هو الذى يغيب عن الخلق بشهود نور الملك الحق ويغنى عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب فان كان مع مراعاة الحكمة فهو كامل وإن كان من غير مراعاة الحكمة فان كان غائباً مصطباً فهو معذور وهو الذى بينه بقوله (فهذا عبد مواجه بالحقيقة) أى كوشف بنورها (ظاهر عليه سناها) أى نورها فلما دهمته الأنوار سكر وأنكر الحكمة فهو باعتبار ما قبله كامل لاستغراقه في بحر الوحدة وهو معذور في نفيه الحكمة لغلبة وجدوه وظهور سكره وباعتبار ما بعده ناقص لقصور نفعه على نفسه وإن كان قد سلك الطريق وأنى على غايتها حتى وصل الى التحقيق كما بين ذلك بقوله (سالك للطريقة) أى لولا سلوكه مع الطريق ما استنارت له معالم التحقيق وإنما فاته أنوار التشريع وأسرار الحكمة وأما الطريق فقد

(قلت) من اصطلاحات الصوفية أنهم يعبرون بالحس عما يدركه البصر من الاجسام الكشيفة وبالمعنى عما يدرك بالبصيرة من المعاني الطليقة القائمة بالاجسام وهى أسرار الذات ومعاني الصفات فالوجود كله دائر بين حس ومعنى الحس ظاهر والمعنى باطن فالحس كانه ظرف والمعنى مظروف والحس لا ينفك عن المعنى ومثال ذلك الثلجة ظاهرها ثلجة وباطنها ماء فالظاهر الجامد حس والباطن المرئى معنى فالكون كله كالثلجة ظاهره كثيف ويسمى حساً وباطنه لطيف ويسمى معنى وفيه قال الجليل رضى الله عنه

وما الكون في التمثال إلا كثلجة وأنت لها الماء الذى هو نابع
فا الثلج في تحقيقتنا غير مائه وغيران في حكم دهمته الشرائع

ثم إن الحق سبحانه جعل أحكام الحس مضادة لأحكام المعنى مع تلازمهما فاحكام الحس أحكام العبودية وهى النقائص وأحكام المعنى أحكام الربوبية وهى الكالات فن أراد أن يظفر بالمعنى بتأها فليغيب عن الحس وأحكامه وهذا معنى قوله مهما ارتقيت عن قبيل الحس أدركت في نفسك معنى النفس أى أدركت في ذاتك معنى الروح والروح لطيفة نورانية قائمة بالبدن وهى من قبيل المعاني فن عرف نفسه عرف ربه ولا يفرق بين روحانيته وبشريته إلا من رقى من عالم الحس إلى عالم المعاني (والحاصل) أن الحس ما أظهره الله تعالى لا يلتصق منه المعنى وهى معرفة الحق سبحانه وتعالى فلو أظهر الحس ما قبضت المعنى ولولا وجود المعنى ما قام الحس وهو معنى قول الشيخ أبى مدين رضى الله عنه (الحق مستبد بالوجود مستمد والمادة من عين الجو دفاذا انقطعت المادة انهدم الوجود) فالحق تعالى مستبد أى قائم بنفسه والوجود

سلوكها وأنى على غايتها كما ذكره (قد استولى على مداها) يعنى على غايتها فلا وصول للحقيقة إلا بعد سلوك الطريقة وتحقيق ظاهر الشريعة قال تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها) فلا باب لبيت الحقيقة إلا من جهة الشريعة والطريقة فإذا وصل إلى الحقيقة فمن الناس من يكون صدره ضيقاً فلا يحتمل تلك الأنوار ولا يطبق مشاهدة تلك الأسرار فيغيب في شهود الوحدة وينكر الحكمة ومن الناس من يكون واسع الصدر قوى التور فإذا أشرفت عليه أنوار الحقيقة لم تغلبه عن القيام بالحكمة وصار برزخاً بين حقيقة وشريعة هكذا يكون سيره بين فناء وبقاء حتى يتمكن فهما ويعتدل أمره بينهما وهذه حالة الأقوياء والطريقة الشاذلية جلها هكذا يسير أهلها بين حقيقة وشريعة حتى يقع التمكن والاعتدال ثم كل الشيخ هذا القسم الذى غلبت عليه الحقيقة فقال (غير أنه غريق الأنوار) أى غلبت عليه أنوار الحقيقة حتى غاب عن أحكام الشريعة (مطموس الآثار) أى غائب عن شهود الكون من حيث أن الحق أثبت له يعرف به وهذا لما أشرفت عليه أنوار الحقيقة ضم الفروع إلى أصولها وأنوار الملكوت إلى الجبروت وأنكر الواسط لغلبة السكر عليه كايته بقوله (قد غلب سكره على صحوه) السكر وارد قوى يغيب القلب عن شهود الحس والصحو ذهاب ذلك الورد حتى يرجع القلب إلى الاحساس بعد النية (و) غلب عليه أيضاً (جمعه على فرقه) الجمع رؤية الحق بلا خلق والفرق رؤية الخلق بلا حق فان كان بعد الجمع فهو رؤية الخلق والحق (والحاصل) أن أهل الجمع لا يشهدون إلا الحق وأهل الفرق لا يشهدون إلا الخلق ويستدلون به على الحق وأهل الفرق فى الجمع يشهدون الخلق والحق أعنى يشهدون الواسط الموسط من غير فرق بينهما (و) غلب عليه أيضاً (فناؤه على بقاءه) الفناء النية عن الخلق بشهود الحق والبقاء شهود الخلق بالحق ان كان بعد الفناء وان كان قبل الفناء فهو شهود خلق بلا حق وهو عمل أهل الحجاب (و) غلب عليه أيضاً (غيته على حضوره) النية انقطاع القلب عن ملاحظة الخلق

وهو الحس الظاهر مستمد من المعنى الباطنية فلو انقطعت مادة المعانى التى تمد الحس لانهم الوجود أى اضمحل وتلاشى لو ظهرت صفاته اضمحلت مكنياته ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا وهنا معانى تضيق عنها العبارة وعلينا كاه إشارة وفيما ذكرته كفاية والله تعالى أعلم (ثم) غائب من وقف مع الحس ولم ينفذ إلى المعنى فقال :

يا من على القشر غدا يحوم حتى عن القلب متى تصوم

(قلت) القشر هو ظاهر الشيء ويسمى الصوان بكسر الصاد لأنه يصون ما فى داخله واللب هو باطن الشيء وقلبه فالحس قشر والمعنى لب (يقول) رضى الله عنه يا من وقف مع قشره الظاهر فاعتنى بإصلاح ظاهره وتدير أمر بدنه أكلأ وشراباً وملبساً ومنكحاً ومسكناً أو اعتنى برفقته وعزه وطلب رياسته وجاهه أو اعتنى بإصلاح جوارحه الظاهرة ولم ينفذ إلى إصلاح باطنه وغدا أى صار يحوم ويدور حول القشر الظاهر متى تستمر صائماً عن حلاوة المعانى الباطنية وهى حلاوة الشهود ولذة معرفة الملك المعبود ولم تنق منها ما ذقت الرجال ولم ترأهم على مراتب الكمال (قال) إبراهيم بن آدم أو مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا شيئاً قالوا وها نحن هم قال حلاوة المعرفة فكل من وقف مع الرسوم الظاهرة لا يطعم أن يذوق حلاوة المعانى الباطنية وكل من اشتغل بحلاوة الرسوم لا يذوق حلاوة شهود الحلى القيوم وكل من اشتغل بحلاوة العبادة المحسية لا يذوق حلاوة المعانى القدسية وهى در الشئرى حيث يقول :

جمع العوالم رفعت عني وضوء قلبي قد استفاق
تراني غائباً عن كل أين كأس للمعاني حلو المذاق

والحضور مشاهدة حضرة المولا بعد الغيبة عن شهود الحس والسوى فهذه أحوال أهل الجذب من السالكين فان كان لهم شيخ فلا بد أن يخرجهم إلى السلوك وهو مقام البقاء يطلب الجذب حتى يدركه كما يدركه عمره الطالب له فكان بعض أشيائنا يقول أرنا من يفرق لنا نحن ضامنون له الخروج إلى البر وهو البقاء الذي أشار إليه الشيخ بقوله (وأكل منه بعد شرب فازداد صحوا وزغاب فازداد حضورا فلا جمعه يحجبه عن فرقه ولا فرقه يحجبه عن جمعه ولا فائده يصد عن بقاته ولا بقاءه يصد عن فائده يعطى كل ذى قسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه) قلت هذا هو القسم الثالث وهو مقام خاصة الخاصة وهم أهل الرسوخ والتكليف فكلما شربوا من خمر الحقيقة زاد صحوهم ونحوهم عقلهم وكما غابوا عن شهود الخلق بشهد الحق زاد حضورهم فترام مستغرقين في الفكرة والنظرة ومع ذلك يحسون بديب الغلة حتى يظن من لم يبلغ مقامهم أنهم من أهل الغفلة لكثرة ما بهم من الفطنة وهم مستغرقون في الحضرة وقد كان عليه السلام يصلي بالناس فإذا سمع بكاء الصبي خفف شفقة على أمه فأهل هذا المقام الكامل لا يحجبهم جمعهم عن فرقه فهم مجموعون في فرقه مفروقون في جمهم يشهدون الحق حال شهودهم الخلق ولا يصد هم فائزهم عن بقائهم فهم قانون عن أنفسهم باتقون برهم ولا بقاؤهم يصد هم عن فائهم فظاهرهم مشغول بالحس مثلا وباطنهم معمور بالمعنى يعطون كل ذى حق حقه فيعطون الحقيقة حقها بشهود الحق في الباطن والشرعية حقها باستعمال الجوارح في حقوقها في الظاهر ويوفون كل ذى قسط قسطه فيوفون الناس قسطهم من الإحسان والحق حقه في توحيد الجنان أو تقول أفرود الحق بالانعام وشهود الاحسان وأثنا على الوسائط باللسان أو تقول أعطوا الربوبية حقها بشهود الإحسان منه وحده وأعطاوا الخليقة حقها بشكر الراسطة اقامة لرسم الربوبية (والحاصل) أن هذا هو كما قال الشاذلي رضى الله عنه الجمع في باطنك مشهود والفرق على لسانك موجود (تنبيه) قد

وقال ابن الفارض رضى الله عنه :

ولو خطرت يوما على خاطر امرىء أقامت به الافراح وارتحل المم

(والحاصل) أن من اشتغل بالحس علما أو عملا لا ينوق حلاوة لشهود المعنى أبدا ولا يطعم أن يتنقل من شغل الحس إلى شهود المعنى إلا بصحبة أهل المعنى ولا يلقى متعوبا في عبادة الحس على الدوام منكر اعلی أهل المعاني على الدوام إلا من عصم الله واقفه تعالى أعلم وإلى هذا المعنى أى دوام الإنكار بمن لم يصحب أهل المعاني أشار بقوله :

يا من إذا قيل له تعال لمنهج التحقيق قال لا لا

(قلت) تعال فعل أمر بمعنى أقبل ومنهجا التحقيق هو طريق الوصول إلى معرفة الحق معرفة حقيقية عيانة لا برهانية (يقول) رضى الله عنه لهذا المنكر لطريق الخصوص هم إلى طريق التحقيق طريق أهل النائية والتوفيق طريق أهل الجمع بين التشريع والتحقيق (قال) بعضهم في تفسير قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) هو الجمع بين الشريعة والحقيقة المفهومة من قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فلما دعا هذا المنكر إلى منهج التحقيق أجاب بأنه ليس من أهل هذه الطريق لأنها طريق الأبطال لا يسلكها إلا خول الرجال فقال مستمرا على إنكاره لا أجيبك إلى مادعرتي إذ لا طريق أفضل مما أنا عليه قال تعالى (كل حزب بما لديهم فرحون) (وسبب) إنكاره هذه الطريق مع أنها مؤسسة على التحقيق أمران (أحدهما) أنها مبنية على قتل النفوس وخرق العوائد وهذا الأمر ثقيل على النفوس لا يقبله إلا من أراد الله وصوله إليه وأهلها ثقیلون على النفوس لأن الميت لا يأوى إليه إلا مثله (الثاني) أن عمل أهلها خفي جله باطنى بين فكرة ونظر فكل من نظر إلى أعمالهم الظاهرة استخفها في عينه فلا يقنع بطريقهم قال ابن ليون التجيبي رضى الله عنه المنكرون

وأينا كثيرا من الناس يترامون على هذا المقام الكامل من غير صحة ولا جذب ويزعمون أنهم يصلون إليه بإتقان علم الشريعة وعملها وهو غلط إذ لا سبيل إلى هذا المقام إلا بمروره على المقام الذى قبله وهو الجذب والاختطاف من شهود الأكوان إلى شهود المكون ولا بد من سكر ثم صحو وجنب ثم سلوك وجمع ثم فرق وفناء ثم بقاء نعم قد يكون بعض الأفراد أقوياء يجذبون إلى حضرة الحق مع مشاهدة الخلق ويسيروا بين جنب وسلوك كما تقدم فى الطريقة الشاذلية وأمثالها وأما من لم يصحب العارفين الذين سلكوا هذه المقامات فلا يطلع فى نيل هذا المقام أبدا إلا الفرد النادر الذى لا حكم له والله تعالى أعلم ثم استدل على المقام الثانى وهو الجذب والفناء والثالث وهو الصحو والبقاء بقضية السيدة عائشة مع أبيها فى قضية الألفك فقال (وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لعائشة رضى الله عنها لما نزلت برأيتها من الألفك على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكرى رسول الله فقال الله لأشكر الله) قلت قضية الإلفك مشهورة مذكورة فى سورة النور تولى شرحها أهل الظاهر إلا أن ظاهر كلام الشيخ رضى الله عنه أن القائل لها هو أبوها والذى فى الصحيح أن الذى قال لها أشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أمها وفى رواية فقالت لى أى لما نزلت برأى من الساء قوسى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم إليه ولا أشكر إلا الله ويمكن الجواب بأن ذلك وقع بإشارة أبيها أو قاله مما أو سكوته كأنه وفاق والله تعالى أعلم ثم ذكر الجواب عن امتناعها من شكر الواسطة فقال (دلها أبو بكر على المقام الأكمل مقام البقاء المقتضى لإثبات الآثار) قلت المراد بإثبات الآثار بعد الفناء عنه إثباته بالله ونفيه بالله جمعا بين القدرة والحكمة وإنما كان هذا أكل مما قبله لأن هذا حاز المقامين أعطى القدرة حقها فى الباطن وهو الشهود والحكمة حقها فى الظاهر وهى العبودية فهو سالك بنفسه دال لغيره كامل عالم معلم عارف معرف وهى غاية القصود والطلب لأنه مقام الخلافة

على الفقراء ثلاثة أصناف أرباب الدنيا وأتباعهم والجامدون من الفروعية وأتباعهم والمتعمقون فى الأعمال المتسمون وأتباعهم فأما أرباب الدنيا فلأن الفقراء أصداد لهم لثة ثيابهم وقعة جامهم والصند يخضضه والدنيا تورث القسوة وطول الأمل وأتباعهم يمشون فى مرضاتهم (وأما) الجامدون من الفروعية وهم علماء الظاهر فانهم يعتقدون الإحاطة بالشرعة وينكرون على من ترك طريقهم وتبعهم العوام على ذلك والإحاطة بالشرعة متعذرة ثم قال حقيقة الفقه ما أدى إلى ترك الدنيا وطلب الآخرة (وأما المتعمقون) فى الأعمال المتسمون فقتلهم الشيطان برؤية الأعمال وجعلهم يزبدون أعمالا قد نهوا عنها فظلمهم الناس فهم ينقصون الفقراء لأن الفقراء لا يتصنعون والفقير إذا رأى أعماله أشرك وإذا رأى أنه قد أخلص احتاج إلى إخلاص بخله من شرك نفسه ثم قال وقد ذهب الفقهاء والصوفية مذهب أهل القرآن والحديث وعلومهم مكرام الأخلاق التى يمت بها النبي صلى الله عليه وسلم ليكملها ويتمها وعامة الخلق مطلوبون بها انتهى المراد منه ثم ضرب مثلا لمن جهل قدر نفسه وهى بين جنبيه فقال :

يا جاهلا من داره سكنها وهو يؤدى أبدا كراما

(قلت) قد تقدم قوله ولم تزل كل نفوس الاحياء علامة درأكله للأشياء فاصل الروح قطعة نور جبروتى انظر قوله تعالى (وضخت فيه من روحي) فلما ركبت فى هذا الهيكل نسيت أصلها وجهلت أمرها بحكمة الحكيم العليم فجعلت تتعشق إلى أصلها وتتجند فى معرفة خالقتها ومظهرها وتعب نفسها فى الخدمة الحسية طلبا للوصول فيقال لها لى كم تحبين نفسك والشئ أقرب إليك منك اعرفى أصلك تعرفى ربك (قال) يحيى بن معاذ الرازى من عرف نفسه عرف دبه فلما انكشف

التامة والمنافع العامة ولا شك أن الخير العام خير من الخير الخاص والخير العام هو الذي يعطى كل ذي حق حقه ويوفى كل ذي قسط قسطه وسئل بعضهم عن قوله تعالى (اتقوا الله حق تقاته) مع قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فقال له اتق الله حق تقاته بقلبك واتق الله بجسمك ما استطعت فتكون جامعا للشريعة والحقيقة اه ثم استدلى على اثبات الأثر بالكتاب والسنة فقال وقد قال تعالى (أن اشكر لى ولو الدبك) فأمر أولا بشكر من تولى نعمة الإيجاد وأمر ثانياً بشكر من ظهرت على يديه نعمة الامداد فالواسطة ثابتة بإثباته محجرة بأحادية ذاته والآية صريحة في إثبات الوساطة أدباً والغية عنها عقد لأجل التوحيد ثم ذكر دليل السنة فقال (وقال صلوات الله وسلامه عليه لا يشكر الله من لا يشكر الناس) قلت يصح في اسم الجلالة الرفع على الفاعلية والنصب على المفعولية ومعنى الأول الله تعالى لا يشكر فعل من لم يشكر الناس ولا يحجب على الثانى من لم يشكر الناس فلا يشكر الله أى فلا يسمى شاكر الله وتقدم حديث النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ثم بين الجواب عن امتناعها من شكر الوساطة في ذلك الوقت فقال (وكانت في ذلك الوقت مصطلة عن شاهدها) قلت الاصطلام نعت الحجرة وعمل الدهشة والغية أى كانت رضى الله عنها في ذلك الوقت غائبة عن حالها فانية عن حسها كما هو حال الجنب وقوله في ذلك الوقت يقتضى أنه لم يكن ذلك شأنها على الدوام وإنما هو عارض قهرى ووارد إلى اختطفتها عن حسها كما عرض ذلك لحليل الله ابراهيم حين عرض له جبريل فقال له ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما إلى الله فىلې فلم يلتفت إلى الوساطة فقال له سله فقال حسبي من سؤالى عليه بحال وكقوله عليه السلام لى وقت لا يسعنى فيه غيرى فكانت عائشة رضى الله عنها في ذلك الوقت (غائبة عن الآثار فلم تشهد إلا الواحد القهار) قلت وما يقوى عذره في شكر الله وحده قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة اشكرى الله

عنها حجاب الوم وجدت نفسها في الحضرة وهى الدار التى جهلت سكناها فاستراحت من تعبها ووجدت الدار التى كانت تسكن فيها كانت لها وهى لاتشعر ففى كانت مولاة الدار ولكن لم تشعر ففى بمثابة من كان يسكن داراً يظنها لغيره وهو يؤدى كرامها فلما علم بحقيقة الأمر ترك الكراه كذلك الإنسان كان قبل الوصول يظن أن المطلوب بعيد عنه فلما زال حجاب الوم وجد نفسه في الحضرة وهو لا يشعر (وفى) ذلك يقول بعض المشارقة :

قبل اليوم كنت مقيدا بقيود الين محجوب بالوم نجس مفردى اثنين
لما تبدى جمالك زال عني الضيق شاهدت عني بمعنى وصرت عين العين

(وقال) بعض التلامذة لشيخه أبى الله فقال أسحقتك الله وأبعدك هل تطلب مع العين أين اه (وقال المشتري في هذا المعنى لقد أنا شيء عجيب ، لمن رأتى ، أنا المحب والحبيب ، لئى ثم نانى ، يا نصدا عين الخير ، غطاءه أينك ، الخير منك والخير ، والسر عندك ، ارجع لذلك واعتبر ، ما ثم غيرك (وقال) غيره :

كم ذاتموه بالتعسين والعلم والأمر أوضح من نار على غم
أراك تسأل عن نجد وأنت بها وعن تهامة هذا فعل منهم

وقال في الحكيم وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به وإلا فلى ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل بشيء. وقال أيضاً لا مسافة بينك وبينه حتى تطوّرهارحلتك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك فن من قوله من داره ابتدائية وسكنها مفعول بجهل والمراد بالدار ذاته الحسية والسكنى الخرة الازلية التى قامت بها فهو ساكن في الحضرة وهو لا يشعر أى

فإن الله تعالى قد برأك فهي راجعة لأمره في عدم شكره كما قاله ابن أبي حمزة لكن بضميمة ما ذكره المؤلف إذ لا يصح مع الصحو إعمال الوسائط في المقام الأكمل قاله الشيخ زروق رضي الله عنه (فهذا آخر) الرسالة التي كتبها لبعض أخوانه وهي في غاية الاتقان والكمال فلم يكن في هذا الكتاب إلا هذه الرسالة مع التي قبلها فكانت كافية لجزءه الله عن أهل الطريقة خيرا ولما كانت صلاة العارفين ليست كصلاة النافذين تكلم في هذه الرسالة الثالثة على قرّة العين التي تكون في الصلاة هل هي خاصة بالأنبياء أو الأولياء نصيب من ذلك فقال (وقال رضي الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله وسلامه عليه وجعلت قرّة عيني في الصلاة هل ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم أم لغيره منه شرب ونصيب فأجاب أن قرّة العين بالشهود على قدر المعرفة بالشهود) قلت قرّة العين كناية عن شدة الفرح لأن بكاء الفرح دمه بارد والفرح بالضم هو البرد يقال في الداء أقر الله عينك أي أفرحك حتى تبرد عينك بدموع الفرح ومضمّن كلام الشيخ في جوابه أن قرّة العين في الصلاة متفاوتة على قدر التفاوت في المعرفة والشهود والمعرفة على قدر التخلية والتجلي فعرّفته عليه السلام لا يوازيها معرفة وشهوده عليه السلام لا يقرب منه شهود لكن قد تحصل المشاركة في مطلق الشهود من حيث هو وتكون القرّة على قدره فإذا لورثته عليه السلام قسط ونصيب من قرّة العين على قدر صفاء مشربهم وقرغ قلوبهم وأسرارهم فالعلماء ورثة الأنبياء فمن جملة حاورثوه قسط من قرّة العين في الصلاة ولذلك كانوا يغيثون فيها ويجدون من النعيم واللذة فيها ما تعجز عنه العبارة وقد كان منهم من يقطع الليل كله في ركعة ويحتم القرآن في كل ليلة فلو لا ما كانوا يجدون من حلوة المناجاة ما دامت لهم تلك الحالة وبفهم هذا من قول الشيخ في الجواب أن قرّة العين بالشهود على قدر المعرفة بالشهود فأتى بمباراة عامة تصدق بكل من له نصيب من الشهود لكن قرّة عين الرسول صلى الله عليه وسلم لا يوازيها قرّة عين أحد

يا جاهلا بسكنى الحضرة من ذاتها وهو يطلبها ويؤدى كرامها والله تعالى أعلم (ثم) وبخه على جهله بنفسه الذي كان سيافيا
جهله بربه فقال :

أندري من أنت وكيف تدري وأنت قد عزلت والى الفكر

(قلت) والى الفكر هو العقل لأنه هو الذى يلى الفكر ويستعمله عزله عن ذلك هو اشتغاله بمحظوظه وهواه حتى بعد عن حضرة مولاه وهذا منه رحمه الله تنبيه وإيقاظ للعافل وتوبيخ للجاهل يقول له أندري من أنت أيها الإنسان ولماذا خلقت وما المراد منك أنت نجمة الأكوان وأنت في الأصل قطب الزمان أنت المقصود الأعظم من هذا الكون فلو تفكرت في أمر نفسك لعلت عظمة ربك فصارعت اليه بجسمك وقلبك لكن عز عقلك عن التفكير والاعتبار وشغلت نفسك بالفضول والاعتزاز فلا جرم أنك هوت نفسك في دار البوار فلو تفكرت في عجائب نفسك لتحققت بمعرفة ربك قال تعالى (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) تأمل في أول نشأتك وفي تركيب صورتك فانظر رحمك الله إلى أصلك حين كنت نقطة مهينة قلب الحق تعالى عرق دم الحيض مددا لك في رحم أمك ثم صرت علقة ثم مضغة ثم فصل سبحانه تلك المضغة إلى العظم واللحم والعصب والعروق والدم والجسد والظفر والشعر ووضع كل واحد منها بمكانه فلو لاها لاختل الجسد بحسب العادة فالعظام منها هي عود الجسد فضم بعضها إلى بعض بمفاصل وأقفال من العضلات والعصب ربطت بها ولم تكن عظما واحدا لأنه إذ ذاك يكون مثل الحجر أو الخشب لا يتحرك ولا يقوم ولا يجلس ولا يركع ولا يسجد لخالفه إلى القيوم وجعل سبحانه العصب على مقدار مخصوص ولو كان أقوى عما هو عليه لم تصح في العادة حركة الجسم ولا تصرف في منافعه ثم خلق تعالى في العظام لنا في غاية الرطوبة ليرطب بيس العظام وشدها وتقوى العظام برطوبته ولو لا ذلك لضعفت

وكذلك الأنبياء عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى هذا أشار بقوله (والرسول صلوات الله وسلامه عليه ليس معرفة كعرفته فليس قرّة عين كقرّته) قلت لم يؤثّر الفعل مجازي التأنيث في الموضعين وإنما كانت معرفته عليه السلام لا يساويها معرفة لأنه أول قمعه في مقام الاحسان إذ لا مجاهدة له ولا سير له باعتبار الوصول لأنه واصل من أول قدم فنهاية الأولياء بداية الأنبياء ونهاية الأنبياء بداية الرسل وبدأته عليه السلام من نهاية الرسل وإنما قلنا لا سير له باعتبار الوصول لأن السير في مجاهدة الأوصاف المنمومة وهو مطهر منها كما قال القائل :

خلقت مبرا من كل عيب كافك قد خلقت كما تشاء

وأما السير بمعنى الترقى فهو ثابت له على الكمال فقد كان عليه السلام يترقى في الساعة الواحدة مقامات ويستغفر من المقام الذي يترقى منه (حكى) عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضى الله عنه أنه يستشكل قوله عليه السلام أنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة وفي رواية مائة مرة حتى رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا مبارك غين أنوار لاغين أغيار ففهم حينئذ أن ذلك النور هو التغطية وإنما هي أنوار الشهود أو هي تغاوت بالقوة والضعف باعتبار الكشف فكلمنا كشف له عن مقام رأى ذلك المقام نقصاً باعتبار ما بعده ورأه حجاباً ونظمية لما فوقه وهكذا وعظمته تعالى لانهائية لها ولذلك قاله وقر بربذنى علما وقال أبو العباس رضى الله عنه الأنبياء عليهم السلام خلقوا من الرحمة ونبينا عليه السلام هو عين الرحمة قال تعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وقال الشيخ الحضري رضى الله عنه بعد كلام ذكره فهو صلى الله عليه وسلم مظهر الحق الأكبر وهو أكبر مظاهر الحق في الوجود فلذلك كان كل حرف من كلماته يوازي الحلم الغفير وكل قطرة من فيض بحره توازي البحر الزاخر الكبير وأعظم من ذلك بألف ألف فقير وقطير لعمر ك انهم لن يسكرتهم يعمهون اه

فوتها وانخرم نظام الجسد بحسب جرى العادة ثم خلق سبحانه اللحم والعظام وسد به خلل الجسد كله فصار مستويا لحمه واحدة واعتدلت هيئة الجسد واستوت ثم خلق سبحانه العروق في جميع الجسد جداويل تجريان الغذاء فيها إلى أركان الجسد لكل موضع من الجسد عدم معلوم من العروق صفاراً وكباراً ليأخذ الصغير من الغذاء حاجته والكبير حاجته ولو كانت أكثر مما هي عليه أو أنقص أو على غير ما هي عليه من الترتيب ما صحت شئ من الجسد عادة ثم أجرى الدم في العروق سيالا عارياً ولو كان يابساً أو أكثف مما هو عليه لم يجر في العروق ولو كان ألطف مما هو عليه لم تنفذ الأعضاء ثم كسى سبحانه اللحم بالجسد ستره كله كالوعاء ولولا ذلك لكان قشراً أحمر وفي ذلك هلاكه عادة ثم كساه الشعر وقاية للجلد وزينة في بعض المواضع ومالم يكن شعر جعل له اللباس عوضاً منه وجعل أصوله مفروزة في اللحم ليم الاتفاق به ولين أصوله ولم يجعلها يابسة مثل رؤوس الإبراد لو كانت كذلك لم ينأ عيش وجعل الحواجب والاشفار وقاية للعينين ولولا ذلك لأهلكهما الغبار والسقوط وجعلها سبحانه على وجه يتمكن بسهولة من رفعها على الناظر عند قصد الناظر ومن أرغابها على جميع العين عند إرادة إمساك النظر إلى ما تودى رؤيته ديناً أو دنياً وجعل شعرها صفواً واحداً لينظر من خللها ثم خلق سبحانه شفتين ينطقان على الفم يصفونان الحلق والقوم من الرياح والغبار وينفتحان بسهولة عند الحاجة إلى الانفتاح ولما فيها أيضاً من كمال الزينة وغيرها ثم خلق سبحانه بعدهما الأسنان ليتمكن بها من قطع ما كوله وطحنه ولم يخلق له الإنسان من أول الخلقة ثلاثاً بضر بأمه في حال رضاعه ولأنه لا يحتاج لما حيتئذ لضغفه عما كثف من الأغذية فوضعه أقمهها برأته لبن أمه دافعا في الشتاء بارداً في الصيف فلما قوى وصلاح الغذاء التحتن خلق له الأسنان لأن الطعام لو جعل في الفم وهو

المراد منه فتحصل أن مقامه عليه السلام في العرفان لا يوازيه مقام وكذلك قرّة عينه عليه السلام لا يناهها غيره من الأنبياء والأولياء وإنما يكون لهم من ذلك شرب ونصيب على قدر شهودهم ومعرفتهم قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه إنما قال الله تعالى (سبحان الذى أسرى بعبده) ولم يقل بفيه ولا برسوله ليفتح باب السريان لغيره فن له قسط من العبودية له قسط من الاسراء ولما كان له عليه السلام كمال العبودية كان له كمال الاسراء فأسرى بروحه وجسده وليس ذلك لغيره اه فاذا وقع الاسراء بالروح إلى الملكوت حصلت له قرّة العين في العباداة على قدر اسرائها واسرائها على قدر تصفيها من العلائق والعوائق والله تعالى أعلم ولما كان جوابه بأن قرّة العين بالشهود على قدر معرفته بالشهود فيه خفاء عن المقصود بينه بقوله (وإنما قلنا أن قرّة عينه في صلاته بشهوده جلال شهوده لأنه أشار إلى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة) قل: لأن الأصل في الظرفية أن تكون على بابها فقرة عينه صلى الله عليه وسلم إنما هي بشهوده وبمساررته ومكلمته فالصلاة إنما هي على تلك القرّة واما قوله عليه السلام أرحناها يابلل فالباء سببية أى أرحنا بسببها وراحته عليه السلام إنما هي بمناجاة ربه لا بغيرها ثم ذكر علة كونه عليه السلام لا تفر عنه بالصلاة وإنما تفر عنه ربه فقال (إذ هو صلوات الله وسلامه عليه لا تفر عنه بغير ربه) فلا فرح له إلا به ولا سرور له إلا في إقباله قد رفع همه عن الكونين وخلع نعله من الدارين ولأجل ذلك قال فيه القائل :

له هم لا منتهى لكبرها ومهته الصغرى أجل من الدهر
له راحة لو أن معشار جودها على البركان كان البرأندى من البحر

وهو كيف وهو يدل على هذا المقام (مقام الاحسان) إذ به تحصل قرّة العين (وبأمر به من سواه) من الأنام (لقوله

قطعة واحدة لم يتيسر ابتلاعه فيحتاج إلى طاحونة تطحن بها الطعام تخلق اللحين من عظمين وركب منهما الأسنان وطبق الأضراس من العليا إلى السفلى تطحن بهما الطعام طحناً ثم الطعام نارة يحتاج إلى الكسر ونارة يحتاج إلى القطع ثم يحتاج إلى الطحن بعد ذلك فجعل سبحانه الإنسان على ثلاثة أصناف بعضها عريضة طواحن كالأضراس وبعضها حادة قواطع تصلح للقطع كالرباعية وبعضها صلابة تصلح للكسر كالآنياب (ثم جعل سبحانه مفصل اللحين متخللاً بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر حتى يكون الفك الأعلى على دوران الرحى ولولاها لم يتم اضراب أحدهما على الآخر مثل تصفيق اليدين ثم جعل الفك الأسفل يتحرك حركة دورية والرحى الأعلى ثابت لا يتحرك فانظر إلى عجيب صنع الله تعالى فأنزح الحلق الأعلى بدور والأسفل ثابت ورحى الله تعالى معكوسة الأسفل يتحرك والأعلى ثابت ثم هب أنك وضعت الطعام في الفم فكيف يتحرك الطعام إلى ماتحت الأسنان وكيف تستجره الأسنان إلى نفسها وكيف يتصرف باليد في داخل الفم فانظر كيف أنعم الله عليك تخلق اللسان بطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة كالمنجرفة ترد الطعام إلى الرحى هذا مع ما فيه من فائدة النوق وعجائب قوة النطق ثم هب أنك قطعت الطعام وطحته وهو يابس فلا تقدر على ابتلاءه إلا بأن يلقى إلى الحلق بنوع رطوبة أنبع الله تعالى في الفم عينا نابعة على الدوام أحلى من كل حلو وأعذب من كل عذب فيحرك اللسان الغذاء ويمزجه بذلك الماء فيعود زلقاً فينتحدر في الحلق بلا مؤنة ولهذا إذا أعدم الله تلك العين من خلق المريض لم يمرض على الحلق شيء وان مضى فبمشقة عظيمة (ومن) عجب هذه العين أنهما عجم انقطاعها لم يكن ماؤها يملأ الفم في كل وقت حتى يتكافئ الإنسان طرحتها بل جرت على وجه أجمت فيه أن تمدد وجهه منعفا

صلوات الله وسلامه عليه اعبد الله كأنك تراه) قال الشيخ زروق رضى الله عنه لم يقع في الحديث هذا اللفظ وإنما وقع في تفسير الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك اه (قلت) وفيه نظر فإن في حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه قلت يا رسول الله أوصني قال اعبد الله كأنك تراه وإعداد نفسك في الموتى وإذ ذكر الله عند كل حجر وعند كل شجر وإذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تحمها السر بالسر والعلاية بالعلاية اه رواه الطبراني كما في المنذرى ثم من كان يعبد الله كأنه يراه فلا يمكن أن يلتفت إلى رؤية ما سواه كما بينه بقوله (ومحال أن يراه ويشهد معه سواه) قلت لأن ثبوت السوى حجاب فلا يصح الشهود حتى يزول كل موجود ولا يبقى إلا واجب الوجود ويرى ما سواه كأنه ظلال أو خيال عند التحقيق مفقود (فإن قلت) إذا كان السوى مفقود فلم قال عليه السلام في تفسير الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وقال لمعاذ اعبد الله كأنك تراه فأني بكاف التشبيه إذا كانت الرؤيا حاصلة فكيف يشبهه عليه السلام بمن يرى (الجواب) أنه عليه السلام في محل التشريع والتحقيق وهذا الحديث وقع في محفل كبيره من هومن أهل المراقبة وفيه من هومن أهل المشاهدة فأني بكلام بقله الخاص والعام فالكل مخاطب باتقان العبادة كأنه يشاهد فهم من بلغ ذلك ذوقاً ومنهم من يكون منه ذلك مجاهدة وأيضاً شهود أنوار الملكوت سر من أسرار الربوبية لا تقشئ لغير أهلها ولو قال عليه السلام أن تعبد الله لأنك تراه أى ترى أنوار جبروته متدفقة لرياض ملكوته لكان فيه افشاء لسر الربوبية ولا يفهمه الخواص وقد قال عليه السلام خاطبوا الناس بقدر ما يفهمون فأني بكلام موجه بقله أهل الظاهر وأهل الباطن فأهل الظاهر يتركون الكاف على بابها وأهل الباطن يجعلونها بمعنى اللام لأن رؤية البصيرة عندم في معد البصيرة لأن البصر إذا فتحت البصيرة غلبت عليه ولم يبق له حكم أصلاً وأيضاً الرؤية إذا أطلقت إنما تنصرف للبصر فلو لم يأت بالتشبيه لتوهم أن الله تعالى يرى البصر

فتبارك الله أحسن الخالقين (ثم) لما كنت تحتاج إلى تناول الطعام وجعله في الفم خلق الله لك اليمين ولم يجعلها كالهيئة تأكل على فك فأنعم عليك باليمين وهما طويتان فتمدان إلى الأشياء مشتملين على مفاصل كثيرة ليتحرك في الجهات فتمد وتثنى إليك فلم تكن كالخشبة المنصوبة ثم جعل رأس اليمين عريضاً لخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هي الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب يدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجمعة لم يحصل بها تمام غرضك ووضعها وضماً أن بسطتها كانت بجرقة وإن ضممتها وثبتها كانت لك مفرقة وإن جمعتها كانت آلة للضرب وإن نشرتها ثم قبضتها كانت لك آلة القبض ثم خلق الله سبحانه أطفالاً وأسند إليها رؤوس الأصابع لتشتمها أطرافها لكثرة حركاتها والتصرف بها في الأمور حتى لا تنفقت وحتى تلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تأخذها الأصابع ولتحك بها جسدك ولما كان الشعر والظفر مما يحلول لما في طولهما من المصلحة لبعض الناس وفي بعض الاوقات وكان جزهما بما يحتاج اليه في بعض الاوقات لم يجعل كسائر الاعضاء في تألم الانسان يقطعهما فانظر إلى دقائق هذه النعم هل تقوم بشكرها (ثم) إذا نظرت إلى الطعام كيف تجذبه الخنجره وتلبه ثم إلى الملعقة كيف تقبطه بالحرارة التي فيها ثم إذا طبع كيف يأخذ القلب اللباب الذي صعد على وجه الملعقة ثم كيف يجرى في العروق المتصلة به من قرنك إلى قدمك ثم إلى نعمة الرجلين كيف تمتنئ بهما إلى حاجتك (وجئت) نفسك مضموراً بالنعم قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) هذه كلها نعم حسية فكيف بالنعم الباطنة كنعمة الاسلام والإيمان والمعرفة والعلم وغير ذلك مما لا يحصره العقل ولا يعدده النقل فأذكر وآلاء الله لعلكم تفلحون ولذلك كانت عبادة التفكير قدرها عند الله عظيم إذ لا يتوصل إلى هذه العجايب إلا بالتفكير (في الحديث) تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة (وقال) كعب من أراد شرف الدنيا والآخرة فليكثر

الحسنى وهو محال قال الله تعالى (لا تدركه الأبصار) أى الحسية وإنما تراه البصائر المفتوحة فإذا انفتحت البصيرة استولت على البصر فلا يرى البصر إلا ما تراه البصيرة من أنوار الملكوت والله تعالى أعلم : ولما قرر الشيخ أن قرعة عينه صلى الله عليه وسلم إنما هى بالله لا بالصلاة بحث معه باحث فأشار إلى البحث بقوله (قال له سائل قد تكون قرعة العين بالصلاة لأنها فضل من الله وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرعة العين بها وقد قال تعالى (فبذلك فليفرحوا) قلت مضمّن البحث أن قوله عليه السلام وجعلت قرعة عيني في الصلاة يمكن أن تكون في معنى الباء أى بالصلاة ويكون وجه الفرح بها لأنها فضل من الله ورحمة وبارزة من منة الله وقد قال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) فقد أمر الله تعالى عباده بالفرح بفضل الله وبرحمته والصلاة من ذلك فيجب الفرح بها وهى معنى قرعة العين فأجاب (فقال اعلم أن الآية هذه قد أومأت) أى أشارت (إلى الجواب لمن تدير سر الخطاب إذ قال فبذلك فليفرحوا وما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لم يفرحوا بالاحسان والتفضل وليكن فرحك أنت بالفضل كما قال في الآية الأخرى (قل الله ثم ذرهم في خرضهم يلعبون) قلت مضمّن الجواب أن قرعة العين بالصلاة إنما يصح أن تكون في حق غيره صلى الله عليه وسلم على الله عليه وسلم من أولياء أمته لأنهم يفرحون بفضل الله واحسانه لأنها علامة على رضوانه وأما هو صلى الله عليه وسلم فلا تكون قرعة عينه إلا بالله ويدل عليه قوله تعالى (فبذلك فليفرحوا) ولم يقل فبذلك فافرح يا محمد فدل خطاب الآية أن الفرح بالفضل والرحمة إنما هو لأمته صلى الله عليه وسلم إنما يكون فرحه بالله لا بشيء دونه كقوله في آية الانعام (قل الله ثم ذرهم في خرضهم يلعبون) والتحقيق هو أن يقال من تحقق بنعيم شهود الربوبية لم يكن فرحه إلا بشهود محبوبه بدون غيره كالتأمين كان ومن كان مقفيا في محل العبودية ولم يذق شيئا من مطالعة أنوار الربوبية لم يكن فرحه الا بفضل الله ورحمته من ذاق ولم يتحقق يكون

من التفكير

(وقال) الجليل أفضل المجالس مجلس الفكرة في ميدان التوحيد وقال في الحكم الفكرة مرآة القلب فإذا ذهبت فلا فضائل له وفضائل التفكير كثيرة وقد شق الغزالي في الاحياء فيها القليل والله تعالى أعلم .
(ثم) بين شرف الانسان وعظيم قدره ان استقام مع ربه فقال :

يا سابقاً في موكب الابداع ولاحقاً في جيش الاختراع

(قلت) الموكب هو الجمع العظيم والاختراع هو الابداع أشار رحمه الله الى أن الانسان له وجودان أحدهما سابق في الأزل والآخر لاحق فيها لا يزال فيحتمل أن يشير بالسابق الى الوجود الأصلي وباللاحق الى التجلي الفرعى أو الى أصل ظهور القبضة أولاً ثم ظهور الفروقات ثانياً وهذا يناسب قوله موكب الابداع وحديث القبضة مروى عن جابر رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول شيء خلقه الله فقال نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شئ. وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام خلق العرش من قسم والكبرى من قسم وحمل العرش وخزنة الكبرى من قسم (وأقام) القسم الرابع في مقام الحب اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام خلق القلم من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم (وأقام) القسم الرابع في مقام الخوف اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء خلق الملائكة من جزء والشمس من جزء والقمر والكواكب من جزء (وأقام) القسم الرابع في مقام الرجاء اثنتي عشرة ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء خلق العقل من جزء والعلم من جزء والحلم والعصاة والتوبة من جزء (وأقام) الجزء الرابع في مقام الحياء اثنتي عشرة ألف سنة ثم نظر الله تعالى اليه فرشح التوراة فخلق منه مائة ألف وأربع وعشرون ألف

فوجه بهذا أى تارة بهذا وتارة بهذا فلي هذا يكون لأكابر أمته صلى الله عليه وسلم تسقط من الفرح باقته دون ماسواه لكن لا يبلغون مقام الرسول عليه السلام لأن شهوده عليه السلام لا يساويه شهود فتكون قرة عينه كذلك والله تعالى أعلم (خاتمة) في ذكر الحديث الذى أشار اليه الشيخ وما يتعلق به روى أن جابر بن عبد الله صنع طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع هو وقرن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فذاكروا في الطاعة لله ورسوله إلى أن قال أبو بكر إنما حجب لى من الدنيا يارسول الله ثلاث اتفاق مالى عليك والجلوس بين يديك وكثرة الصلاة عليك (وقال) عمر وأنا حجب إلى من الدنيا ثلاث أكرام الضيف والضياف في الصيام في الصيف والضرب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف (وقال) عثمان حجب إلى من الدنيا ثلاث اطعام الطعام وإفشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام (وقال علي) مثل ذلك (فقال) لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا حجب إلى من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة (فزل) جبريل فقال وأنا حجب إلى من الدنيا ثلاث تبليغ الرسالة وأداء الأمانة وعيادة المرضى ثم غاب وظهر وقال يارسول الله ورب العزة يقول (وأنا حجب) إلى من الدنيا ثلاث لسان ذاكر وقلب شاك وجسم في البلاء صابر اه ذكره الشطبي فانه أعلم بصحته غير أنه كلام صحيح في نفسه والحكمة في النساء والتزغيب في كثرة التناكح ليكثر النسل بن يعمر هذا العالم وأما الطيب فانه صلى الله عليه وسلم كان طيبا ففتح الله في الوجود فحطرت به الأكوان فكان عليه السلام ينفع طيبا مس طيبا أو لم يمسكه كان يستعمل الطيب الكسبي يستر به الطيب الوهي خشية أن يتغالى الناس فيه كما تغالوا في عيسى عليه السلام وقيل إن الطيب من صفة أهل الجنة وقد كان عليه السلام في الجنة قطيب بطيبها والله تعالى أعلم ثم ذكر الرسالة الثالثة في الفرح بالمتن بعد أن قدم الفرح باقته فقال (وقال رضى الله عنه ما

قطرة خلق الله من قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعاده والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة في حديث طويل وهذا الحديث وإن كان ضعيفا فله شواهد تعضده منها حديث عمر رضى الله عنه قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عمر أندرى من أنا أنا الذى خلق الله تعالى أول كل شيء نورى فسجد له فبقى في سجوده سبعة أيام فأول شيء سجد له نورى ولا غير يا عمر أندرى من أنا أنا الذى خلق العرش من نورى والكسرى من نورى واللوح والقلم من نورى والشمس والقمر من نورى ونور الأبصار من نورى ونور العقل الذى فى رؤوس الخلق من نورى ونور المعرفة فى قلوب المؤمنين من نورى ولا غير (وذكر الورتجي) في تفسير قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) عن جعفر الصادق قال أول ما خلق الله نور محمد صلى الله عليه وسلم قبل كل شيء وأول من وحده الله فى خلقه عز وجل ذرة محمد صلى الله عليه وسلم وأول ما جرى به القلم (لا إله إلا الله محمد رسول الله) صلى الله عليه وسلم (وقال) فى تفسير الآية فيها إشارة إلى أوليته عليه الصلاة والسلام فى عبودية الله وإشارة إلى بده وجوده فى إتيانه من العدم بنور القدم وانقياده فى أول تجل جلاله (قلت) وعلى هذا المحققون من الصوفية وانظر قول العارف القطب الكبير الشيخ ابن مشيش رضى الله عنه فى تصليته المشهورة اللهم صلى على من منه انشقت الأسرار وانفقلت الأنوار (ثم) قال ولا شيء الا هو به منوط اذ لولا الواسطة لذهب كما قيل المتوسط (وقال) فى بردة المديح وكيف تترك فى الدنيا حقيقة من أولاه لم تخرج الدنيا من العم

(وقال أيضا)

فان من جودك الدنيا وضربها ومن علومك علم اللوح والقلم

كتب به لبعض اخوانه الناس في ورود المن عليهم على ثلاثة أقسام) يعني عوام وخواص وخواص الخواص ثم ذكر مقام العوام فقال (فرح بالمن لا من حيث مبدئها ومنشئها ولكن بوجود متعتها فيها) قلت وهذا كالبيمة ليس شأنه وهمه إلا نفسه وحسه والله در ابن البنا حيث قال

واعلم بأن عصبة الجهال بهائم في صور الرجال

ثم ذكر حكمه فقال (فهذا من النافين) لأنها أى النعم إذا أقبلت عليه اشتغل بها عن ذكر معطيها فلذا وترفها وإذا أدبرت اشتغل فكره بطلبها والحرص عليها وإذا نالها شغلته متعتها عن شكرها فيكون ذلك سبباً في زوالها قال تعالى (ولئن كفرتم إن عذاب لي شديد) وربما يصدق عليه قوله تعالى (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) فالآية وإن نزلت في الكفار حكمتها عام فكل من اشتغل بنعم الدنيا وزخارفها عن ذكر الله وما طلب منه يصدق عليه أنه فرح بما أوتي فينسى هو منهك في غفلته مستغرق في شهوته أخذه الموت بغتة فإذا هو مبلس أى آيس من الرجوع اليه ومن الارتفاع بها وقد تؤخذ منه قبل موته فتشتد حسرته عليها وقد تقدم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها من لم يعرف قدر النعم بوجودها عرف بفقدانها ثم ذكر القسم الثاني وهو مقام الخواص فقال (وفرح بالمن من حيث أنه شهدا منه بمن أرسلها ونعمة عن أوصلها) قلت ويستفيد أيضاً أقبال من أرسلها عليه وذكره بها أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام بأمرى اعلم أني إذا أعطيتك ثمرة مسوسة فاني قد ذكرت بك بها فاشكرني عليها فإنه لا يعطيكها غيري اه فتكون تلك النعمة سبباً يحجره إلى محبة المنعم فيترقى إلى الدرجة الثالثة ثم ذكر شاهد هذا القسم من القرآن فقال (فيصدق عليه قوله تعالى فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قلت يعني فيكون فرحه بفضل الله وهو الايمان ورحمته وهو القرآن وغير ذلك هو أى فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وشهواتها الفرارة وأنشدوا

ولا يمترض مثل هذا إلا جاحد محجوب نعوذ بالله من غم الحجاب وسوء الحساب وشدة العذاب وباقه التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم حض على التفكير والاعتبار ليعرف ما عليه من النعم الفزار فقال

اعقل فأنت نسخة الوجود لله ما أعلاك من موجود

(قلت) ذكر أهل التاريخ أن الوجود كله خلقه الله على صورة الآدمي من عرشه إلى فرشته ولعل تلك القبضة التوراتية النبوية كانت على صورة الإنسان ثم تفرعت منها الأكوان كلها فاختصر الله الوجود بأسره من هذا الآدمي فهذا دليل على شرفه على الكون هذا معنى قوله فأنت نسخة الوجود أى محصور منه ويقال الولد نسخة أبيه (وقال الجليلي رحمه الله وقصك نحوى بالحقيقة كلها) أشرت بمجد القول ما أنا خادع

وقال الششتري رضى الله عنه وأنت امرأة النظر ، طلب الزمان ؛ وفيك يطوى ما انتشر ، من الآواني (وقوله) لله ما أعلاك من موجود تعجب من شرفه كقولك لله دره أى أمر الله لا يفهمه غيرهما أعلا قدرك عنده انه ان عرفت أصلك وفصلك وقت بواجب ذلك والافأنت في أسفل سافلين (قال) الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه عن قرأت مرة والثين والزيتون إلى أن انتهت إلى قوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين) ففكرت في معنى الآية فكشف عن اللوح المحفوظ فإذا فيه مكتوب لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم روحاً وعقلاً ثم رددناه أسفل سافلين نفساً وهوى اه (ثم) بين وجه كونه نسخت الوجود فقال

ليس فيك العرش والكرسى والعالم العلوى والسفلى

طلق الدنيا ثلاثا والنس زوجاً سواها
تب إلى ربك منها واحترس قبل أذاها
انها زوجة سوء لا تبالي من أناها
انه نفسك عن النسي وجانب هراها

قيل ان بعض العباد أراد إبليس فنته فجاءه من باب الرغبة في الدنيا فوجده قد سدده بالزهد والقناعة فجاءه من باب الشهوة فوجده قد سدده بدوام الحزن والكآبة فجاءه من باب الغضب والحدة فوجده قد سدده بالتواضع والاستكانة فصاح وقال هذا عبد قد تحصن مني فليس لي عليه سبيل وفي الخبر أن المنادى ينادى يوم القيامة أين أصحاب المتاجر الرابعة من أهل الأعمال الصالحة فيقوم الأولياء والأصفياء والعباد والزهاد فيؤتون بنجات من التورق تطير بهم نحو العرش وتسبهم الملائكة بين أيديهم إلى أن تنزلهم في منازلهم من الجنة ويقولون لهم هذه أعمالكم وفيها أعمالكم وينادى المنادى أيضاً أين أبناء الدنيا أي المخلفون والمقصرون أين من عصى المولى هلوا إلى دار البلى فيؤتون وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون فيؤمر بهم إلى العذاب اه ثم ذكر القسم الثالث وهم خواص الخواص فقال (وفرح بالله ما شغله من المن ظاهراً ومتعها ولا باطناً متعها) قلت ظاهر متعها هو حظ البشرية وهي اللذة الحسية وهو حال أهل المقام الأول أعنى الغافلين وباطن متعها هي ذكر المنعم وإقباله عليه وهو حال أهل المقام الثاني وأشار إلى حال أهل المقام الثالث فقال (بل شغله النظر إلى الله عما سواه) من المتعة الحسية أو المعنوية (وشغله) (الجمع) على الله بالتوكل (عليه) فكفاه شؤونه وأموره حتى لم يبق له اهتمام بغير مولاه بل أغناه به عما سواه (فلا يشهد إلا إياه) ولا يجب شيئاً سواه وما وجد في بعض الكتب

(قلت) اشتغال الإنسان على العالم العلوي والسفلي يحتمل أن يكون ذلك من جهة معناه أو من جهة حسه أما من جهة المعنى فلا شك أن الروح أصلها ملكوتية لا يحصرها كون كما قال في الحكم وسعك الكون من حيث جئنا نبتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك لكن الإنسان لما جهل نفسه وتركها معجوبة بهواه انحجبت روحه وانحصرت في هذا الكون فاذا عرفها وخرق عوائدها اغترقت له العوائد وخرجت روحه عن الكون بأسره فلم يجبها عن الله أرض ولا سماء ولا عرش ولا كرسي فحينئذ تستوى روحه على الوجود بأسره من عرشه إلى فرشته فينطوى في جوفه العرش والكرسي والأفلاك وغير ذلك وهو الذي قصد الششترى رضى الله عنه بقوله :

اغض طرفك ترى وتلوح أسرارك
وافن عن الورى تبدو لك أخبارك
وبصقل المرا به يزول أغبارك
(ثم قال)

الفلك فيك يدور وبعضه ويلع
والشموس والبدور فيك تغيب وتطلع
فاقرأ معنى السطور التي فيك أجمع لا تادر سطر آمن سطورك وادر
اش هو معنى القمر الذى فيك يسرى

وقوله فاقرأ معنى السطور الخ اعلم أن الصوفية رضى الله عنهم يطلقون على هذه الاجرام الحسية سوماً وأشكالاً وسطورا

المنزلة يقول الله تعالى عدى إن أطمعتي وإني أعتيتي قريبك وإن استحييت مني أكرمتك وإن توكلت على كفيتك وإن عصيتي عاقبتك فعقوبتي لك من أجلك لا من أجلي جل قدرى وعظم فضلى عدى أنى أعلم منك ما لو علمته زوجتك لسألتك الطلاق ولو علمه عبدك لسألك العتاق ولو علمه أبوك لحان عليه الفراق عدى أن جنتي تقول أسأت أقول لك وأنا قد غفرت وإن قلت تبت أقول وأنا قلت اه ثم ذكر مصداق هذا القول الثالث فقال (قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون) قلت المراد بالقول في هذا المقام القول القلبي أى اذكر الله على الأشياء كلها ترضى ولم يبق إلا مولاها ثم اترك الناس في ومهم يلعبون ومن جملة الأشياء النعم التى يتجلى بها فإذا ذكر الله عليها غاب في شهوده عنها واستغنى به عن كل ما سواه قال الشبلى رضى الله عنه الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال أبو محمد الجربرى رضى الله عنه من رأى النعم ولم ير المنعم فقد حجب عن الشكر ومن رأى بنية النعم فقد شكره اه (تبييه) كثيرا ما يستدل الصوفية بهذه الآية على الانقطاع إلى الله والنية عما سواه وهو تفسير إشارة لا تفسير معنى اللفظ لأنها نزلت في الرد على اليهود حيث قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء فقال لم الحق تعالى (قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى) فلما لم يجيبوا قال تعالى لنبيه قل الله أى قل لم أنزله الله ثم لا تجادلهم بل ذرم في خوضهم يلعبون والصوفية رضى الله عنهم يقررون الظاهر على ظاهره ويقتسون إشارات خفية لا يعرف مقصودهم غيرهم ولذلك رد عليهم بعض المفسرين حيث لم يعرف قصدهم قد علم كل أناس مشربهم وأما ذكر هذا الإسم باللسان مجردا فقيه ثلاثة أقول أحدها الجواز مطلقا والثاني الكراهة مطلقا والثالث التفصيل يجوز لأهل النهايات دون أهل البدايات والمشهور الأول وعليه طريق الشاذلية ومن تعلق بهم والله تعالى أعلم ولما استدل بما في كتابنا ذكر ما في كتاب من قبلنا فقال (وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين

وجه الإطلاق للدلالة على المعاني فكما أن الحروف تدل على المعاني كذلك هذه الإجرام الحسية المقصود منها هو قبض المعاني اللطيفة وكما أن القارىء إذا حفظ المعنى عى الرسوم كذلك العارف إذا قبض للمعنى غاب عن الرسوم ولا يحتاج إليها بل تمتحن من نظره قال ابن العريف رضى الله عنه في بعض كلامه وإنما يتبين الحق عند اضمحلال الرسم واندراس الرسم والانسان لوح وتفتيق صورته وتشكيلها ونسويتها وتحسينها سطور مكتوب فيها بقلم القدرة سبحانه البديع الصانع سبحانه ما أعظم شأنى أنا وحدى لمن عرفنى فهذا معنى السطور التى فى الانسان فإذا حفظ هذا المعنى عى رسمه واسمه وبقى معناه والله تعالى أعلم ه وأما من جهة حسه فقد قال بعضهم ان جسد بنى آدم مشتمل على ما اشتمل عليه العالم بأسره جملة الحق تعالى نسخة الوجود يماكب بصورته كل موجود فقيه جسم كثيف ونور لطيف نصفه ساكن ونصفه متحرك نصفه نور ونصفه ظلة وجعل فيه العناصر الأربعة واستودع فيه قوة الجلب والدفع والضرر والنفع وجعل قلبه خزافة لسهرة ولسانه ترجمان ذلك وعينه حارستان وأذناه مخبرتان ورجلاه مطيتان ويدها خادمتان وجعل رأسه عرشه وصدره كرسى وجانباه شرقه وغربه وجعل حركته كحركة الشمس والقمر والنجوم وتركيبه على تركيب العالم العلوى فجعل في ظهره أربعة وعشرين فتارة على عدد الساعات وفي جسده ثمانية وعشرين مفصلا على عدد المنازل وفي جوفه اثني عشر معنى على عدد البروج والشهور وفيه ثلاثمائة وستة وستون عرقا نافضة ومثلها ساكنة على عدد أيام العام وجعل معدته بيت ماله وكبد قسامه وجعل لحمه كالتراب وعظامه كالجبال وشعره كالثياب وعروقه كالأنهار وجواهره معادن وهى تسعة لحم ودم وعظم وعصب ونخ وشحم فهذه ستة خفية وثلاثة ظاهرة وهى الجلد والشعر والظفر وفيه اثنا عشر عنصرا سبعة فى الرأس والعينان والأذان والنخران

في طيفرحوا وبذكرى طيتمتروا) قلت لا يكمل الفرح باق حتى يخلو القلب من حبة ما ضواه قادم العبد متعلقاً بشيء من السوى فلا يكمل فرحه باق ولا يتم تنعمه بذكر الله أو تقول مادامت الروح مسجونة في سجن الهيكل لا يتم فرحها باق ولا تنعم بذكر الله فان تخلصت من سجن البدن وتحررت من رق الأكران كل فرحها بالواحد الملتان وأشدت أنتم سرورى وأنتم مشتكى أمل وأنتم في ظلام الليل أقارى فان نطقتم فلم أطلق بنورك وإن صمت فأنتم عقد إسمارى

وهذا هو الفرح الحقيقي والسرور الأصل وما سواه أعراض لأعراض قال المقدسى السرور أعلى من الفرح لأن الفرح ربما شيب بالحزن الذى هو مقابله والسرور لا حزن معه وقيل مما شئ واحد وقال بعضهم السرور على ثلاثة أقسام بداية ووسط ونهاية فبداية السرور يذهب به خوف القطيعة وظلمة الجهل ووحشة الفراق وأما وسطه فإنه يكشف حجاب العلم ويفك رق التكليف وينبئ التدبير والاختيار وأما غايته فإنه يجر آثار الوحشة ويقرع باب المشاهدة ويضطر وجه الروح لبشارة التجلى فى بداية الفرح والسرور يحصل التصديق وفى وسطه يحصل الانس وفى نهايته يحصل الجمع والوصال اه وقد ضرب بعضهم مثلاً للأقسام الثلاثة أعنى من يفرح بالنعم من حيث أنه ينال فيها شهوة أو يشهد فيها مته وموته أو يفرح بالنعيم وحده فقال مثل ذلك كثرة رجال قهروا على السلطان فأعطى لكل واحد فرساً وسيفاً أما أحدهم فقال هذا فرس تتمتع به وزكب عليه فى حوائجى وقاتل به عدوى قرح به من حيث يقضى به مآربه وشهراته وليس فى قلبه حبة للبلى إنما جاء لت قضاء حاجته وأما الآخر فقال هذا فرس نستعين به على خدمة الملك وعلى القدوم عليه وعلى مجاهدة عدوه ففرح بالفرس من حيث أنه يستعين به على حوائج الملك ومآربه دون حوائج نفسه وأما الثالث فقال إن الملك

والنعم والباقي فى الجسد التديان والخرجان والسرور إلى غير ذلك بما لا يدرك كما ذكره الشطرنجى فى الفصل الأول فانظره (قال) الشيخ عبد الوارث فانت لباب هذه العوالم كلها فاذا أطعت الله أطعته بها كلها وإذا عصيته فكذلك فلاجل ذلك عظمت للمعاصى منا فوعدنا عليها بالعذاب الأليم وعظمت الطاعة فوعدنا الله عليها بالثواب الجسم (قلت) وفى هذا المعنى أنشدوا :

إذا كنت كرسياً وعرشاً وجنة وناراً وأقلاماً ونوراً وأملأ

وكنتم من السر المصون حقيقة وأدركت هذا بالحقيقة إدراكاً

قيم الثانى فى الحضيض ثبطاً مقبياً مع الأمرى أما أن أسراك

(وقال) الشيخ أبو العباس رضى الله عنه الخلق كلهم عيد مسخرة وأنت عبد الحضرة ثم جمع ما تقدم فقال :

ما الكون إلا رجل كبير وأنت كون مثله صغير

(قلت) قد تقدم أن الإنسان نسخة من العالم حساً ومعنى ولا يستغرب هذا فقد قالوا إن الناموسة فيها ما فى الفيل وزادت عليه بالجنات فانظر كيف اجتمع فى البهوضة ما افترق مع الفيل مع صغر حجمها فكذلك الإنسان اجتمع فيه ما افترق فى الكون وزاد عليه يسر الروح وهو العقل الأكبر وكون الإنسان رجلاً صغيراً هو فى حق من غلبت عليه البشرية وأما من غلبت روحانيته فقد صار هو العالم الأكبر والكون العالم الأصغر لأن الروح تستولى عليه ويصير فى جوفها شئ نافع بل يتحى بالكلية وإلى هذا أشار ابن الفارض بقوله

وانى وإن كنت ابن آدم صورة فلى فيه معنى شاهد بأبوى

يحيى ويعظمى حتى أعطاني هذا الفرس فهذا اعتناء من الملك وإقبال على قرح بالفرس من حيث انه يدل على محبة الملك له واعتناؤه بهذا مثل الأقسام الثلاثة وقد أشبه الغزالي الكلام في هذا المعنى في باب الشكر فأنظره إن شئت ثم ختم رسالته بدهاء مناسب فقال (والله يجعل فرحنا وإياك به) أى دون غيره والمخاطب هو المرسل إليه هذه البطاقة أو كل من يطالع كتابه أو يحفظه أو يعمل به أو من يسمعه وقرىء عليه وإذا كان فرحنا به وحده كنا من القسم الثالث الذى هو مقام خواص الخواص ومن كان فرحه بالله كان راضياً بمرضئاعنه كقال (وبالرضى منه) أى ويجعل فرحنا بالرضى من قبله بحيث لا نرضى بشئ دون رضاه عنا فتكون راضين بمرضئاعنا قال تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومن تحسن بهاتحين من الغفلة بحسن منيع ولذلك قال (وإن لا يجعلنا من النافذين) الذين يفرحون بالنعم دون شهود النعم وقد اشتمل دعاؤه على الأقسام الثلاثة من باب التذلل فالفرح بالله هو المقام الثالث وبالرضى منه هو الثانى واحترز من الأول بعدم جعله منه وإذا خرج من حوز الغفلة حمل على اليقظة وهى جماع التقوى الذى أشار إليه بقوله (وإن يسلك بناسك المتقين) الذين اتقوا الشرك والمعاصى أولاً والشهوات والعوائد ثانياً والسوية والتبعية ثالثاً وهو معنى قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) فالتقوى على ثلاثة أقسام بحسب المقامات فتقوى أهل مقام الإسلام حفظ الجوارح من المخالفات اتقاء مسخط الله وإليه توجه الخطاب بقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وتقوى أهل مقام الإيمان حفظ القلب من الهفوات والخطرات وإليه توجه الخطاب بقوله تعالى (فاتقوا يا أُولِي الْأَلْبَابِ) فإذا تطهر القلب من الهفوات والخطرات منح بشهود معاني الصفات وتقوى أهل مقام الاحسان حفظ السر عما سوى الله فإذا تطهر السر من الاغيار منح بشهود الانوار وهى عظمة الذات

والمعنى الذى فيه هى اللطيفة الروحانية السابقة فى موكب الابداع على جيش الاختراع والله تعالى أعلم وبما عظم به أمر الانسان جمعه بين الضدين وإلى ذلك أشار بقوله :

فأنت لست من قبيل الأرض حتى إذا رميت فيها تمضى
(قلت) قد خص هذا الانسان بعجائب لم توجد فى غيره فهو سماوى أرضى روحانى جسمانى نورانى ظلمانى لطيف كئيف واعلم أن الله سبحانه لما أراد أن يتعرف إلى هذا الانسان وضع هذا الروح فى هذه الجنة الجنائية لطيفة لاهوتية مودعة فى كشيئة ناسوتية فن غلب لطافته على كفافته كان روحانياً والتحق بالروحانيين ومن غلبت كفافته على لطافته كان جسمانياً والتحق بالهائم ومن توسط نال شيئاً من طبع الهائم وشيئاً من طبع الروحانيين وكان من أهل البين فأنت أيها الانسان لست من قبيل الأرض كالهائم حتى أنك إذا صرت تراباً وتمضى هباءً لكتك مركب من روح وشيخ فإذا مات الشيخ بقيت الروح إما فى غبطة أو حيرة فالمرت ليس عندما يحسنا وإنما هو انتقال من دار ومن حال إلى حال قال تعالى (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) الآية وبما ينسب للغزالي رضى الله عنه بعد موته وجدت عند رأسه وقيل لغيره :

قل لاخوان رأوني ميتا فيكوني ورتوني حزنا
تظنون بأنى ميتكم ليس ذاك الميت والله أنا
أنا فى الصور وهذا جسدى كان لىمى وقبضى زمنا
أنا كنز وحجاب طلمى من تراب قد تبا للنا

ولكل مقام من مقامات التقوى براعت تبعث على تقوام قالبا على لاهل مقام الإسلام على تقوام رجاء الثواب وخوف العقاب فتقوام على سبيل الخوف والرجاء والباعث لاهل مقام الإيمان على تقوام شهود الجلال والجلال فتقوام على سبيل الهيبة والحياء والباعث لاهل مقام الإحسان على تقوام شهود العظمة والكمال فتقوام على المحبة والتعظيم وأنشدوا :

فكن أيها العبد للمعنى أعا تقي حيث الترقى في المعارج والطف
وتقى بلطف الصنع تحظ بفضل وخلص إليه القصد يفتيك بالعطف
وفرض وسلم وارقد في درج الصفا على الكون تحظ بالمعارف والعرف
وتدرك ما أمسى الورى عنه في غنى وتعرف أشياء تجلى عن الوصف

ومن حصل مقام التقوى وحاز منها النابة القصوى دام عليه السرور والفرح وذهب عنه الحزن والترح روى أن اربعة العبدية رضى الله عنها لقيت عتبة الغلام وهو يتبختر في قيص جديد فقالت له ما هذا اليه والعجب الذي ما رأيته منك قبل اليوم فقال ومن أولي هذا منى وقد أصبح لى مولى وأصبحت له عبداً وقال ذو النون رأيت شيخاً في الركب يمشى ويده مصحف وهو يقرأ ويهتز ويرقص في مشيته فقلت يا شيخ ما هذا الرقص فقال قلت في نفسى عبد من أنا وكلام من أنا أتلو ويئت من أنا قاصد فهزيتى حالة الفرح وأطربنى ذلك من غير قصد منى اه ثم توسل فيما طلب بمنه الله وكرمه فقال (منه وكرمه) أى إنما أطلب ما تقوم من منه الله وكرمه لا بسبب عمل ولا حال وكل هذا اعتماد على مولاه فيما أولاه وتولاه في مبدئه ومنتاه (وها هنا) انتهى الكتاب وما بقى إلا مناجاة الكريم الوهاب قال بعض الشراح هذه المناجاة على قسمين قسم يقضى بالتعريض والتأهب وقسم يشهد بالتحقيق والتأدب وأكثر ما يظهر فضلها للتالى في وقت الاسحار وبعد صلاة الصبح فلها هناك سر عظيم وقبح جسيم فمن لازمها في ذنبك الوقتين وجد بسطاً زائداً على العادة ولها

أنا قد حوائى صدف صرت عنه فتخلى وهنا
أنا صفور وهذا قصصى كان سجنى فأبيت السجنا
أشكر الله الذى خلصنى وبنا لى فى العالى وطنا
كنت قبل اليوم ميتا بينكم فحييت وخلعت الكفتا
فأنا اليوم أناجى ملكاً وأرى الحق جهارا علنا
عاكفا فى اللوح أفرا وأرى كل ما كان وياق أو دنا
وطماى وشرافى واحد وهو دمر قافيهو حسنا
ليس خرا سائناً أو عسلا لا ولا ماء ولكن لنا
هو مشروب رسول الله إذ كان لى من فطرة فطرنا
حتى ذى الدار بنوم مفرق فإذا ما مات طار الوسنا
لا تقفوا الموت موتاً انه لحياة وهو غايات التى
لا ترعكم هجمة الموت فدا هو الا انتقال من هنا
فاخلعوا الاجساد من أنفسكم تصبروا الحق عيانا بينا
وخذوا الزاد جهدا لا تروا ليس بالمقل هنا من ونا

خواص وأسرار يعرفها من جربها من العباد والإهاد والطالين لمعرفة رب العالمين وقد ذكر بعضها الشيخ ابن عباد في نظم الحكم فقال :

لم يبق إلا ما به المناجاة سياقه حيث له المرأة
لكونه يهذب الأسرار ويحبب الأضواء والأنوارا
وأنت يا خلى وبيا صفى إن انتهجت نهج ذا الولي
وسقته مسافة الجيلا منكسرا وغاضبا ذليلا
رأيت في باطنك الزيادة والخير واستبشرت بالسعادة

ووجه مناسبتها لما قبلها أن القلب إذا انبسط بالفرح بالحبيب انطلق اللسان لمناجاة القريب فقال في أولها (إلهي أنا الفقير في غنى فكيف لا أكون فقيرا في قري) قلت إنما ابتدأ مناجاته بالتحقيق بالفقر لما يعقبه من سرعة الغنى وقد قلت في قصيدة تقدمت :

تحقق بوصف الفقير كل لحظة فما أسرع الغنى إذا صح الفقر

قال الشيخ أبو عثمان في قوله تعالى (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) التضرع هو أن تقدم افتقارك وعجزك وعارك وضرورتك وقلة حرك وقوتك وليس التضرع بالأجبار ولا يكون للملأعات اظهار اه يقول رضى الله عنه أنا الفقير في غنى الوهمي إلا دعائي فكيف لا أكون فقيرا في قري الحقيق الاصل فتداني بمواقفة الأسباب الظاهرة ليس وجود منى ولا بقاؤه يبدى فانا فقير في حالة وجوده فكيف لا أكون فقيرا في حالة فقداه أو يقول أنا الفقير في حالة حياتي التي يظهر فيها صورة غنى بشيرتي وأحبابي فكيف لا أكون فقيرا بعد عاتي حين يتخلف عنى أحبابي وجبرتي أو يقول أنا الفقير اليك في حال

أحسنوا الظن برب راحم تشكروا السعي وتأثروا أمنا
ما أرى نفسى إلا أتم واعتقادی أنكم أتم أنا
عنصر الأنفاس منا واحد وكذا الأجسام جسم عمتنا
فتى ما كنت خير قلنا ومتى ما كان شر فنا
فارحموني ترحموا أنفسكم واعلموا أنكم في أثرنا
أسأل الله لنفسى رحمة رحم الله صديقا أمنا
وعليكم منى سلام طيب وسلام الله بر وثنا
(ثم قال)

فاحتل على النفس فرب حيلة أنفع في النصرة من قيلة

(قلت) يقول رضى الله عنه اجعل أيها الانسان على نفسك وسأيسرها جهك حتى تردها إلى مولاهما فإذا رجعت إلى مولاهما أتتك بطرائف العلوم وقصص لك غلزان الفهم ولا حيلة أنفع فيهما من أن تأخذ بزمامها وتدفعها إلى شيخ التزمية يفعل بها ما يشاء وتمت ما يأمرك به وأما غير هذا فعب وعنت لا يجدى ولا يفيد وجرب ففي التجريب علم الحقائق والتوفيق بيد الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (قائمة) قال شيخ شيخونا سيدي على رضى عنه اعلم أن اليديان أى الابواب كلها مغلقة بين الله وعبيده إلا باب نفسه من لم يدخل على الله من باب نفسه لا يدخل أبدا من عادى نفسه فاز بإقبال الخلق عليه ومن صادق بنفسه فاز بإقبال مولاة عليه لكن مصادقة النفس هذه التي ذكرنا لا تكون إلا بصحبة عارف

غنى بك فلا غنى لى عن زيادة مددك وهذا كما قال القائل :

أنا الفقير إليك والفقير بك
وليس لى بعدكم حرص على أحد

فكيف لا أكون فقيراً فى حال قبرى إليك إذا كنت فقيراً فى حال نظرى إلى غنى بك فكيف لا أكون فقيراً
فى حال نظرى إلى قبرى إليك وقد در القائل :

وفى اظهار الفاقات إلى الله وإزال حوائجه بـإحـاة مـولـاه مع رفع المدة عما سواه من الخطوط والمكانة وعزاة القدر
عند الله ما بكل عن وصفه اللسان ويعجز عن حمله واسع الجنان قال سهل بن عبد الله رضى الله عنه ما أظهر عبد قـدره
إلى الله تعالى فى الدعاء إلا قال له الحق ليك لكنه لا يستطيع سجدته ، وقد تقدم كلام الله تعالى فى بعض البكتيد
المنزلة يقول الله تعالى ما رفع عبد حاجته إلى دون خلقى أعلم ذلك من
جماعت له فرجا ومخرجا من أمره أو كما قال وقال أبو القاسم القشيري :
الله إلى الخلق ثم نزع له الرحمة من قلوبهم ومن شهد على إقراره إلى
وأعطاه من حيث لا يرتقب قيل لبعض المحققين أطلب العبد الرزق
ان علم انه نسيه فليذكره قيل أتوكل على الله قال ان كان فى شك
المبد بربه وليشتغل بما أمر به وليكن كما قال بهلول المجنون نبيده كما أمرنا وهو يرضقنا كما وعدنا ولا يتعلق بمخلوق أصلا
قلبا ولا قالبا ولجميع الخواطر التى تخطر بباله من هذا المعنى قيل أن تستحكم فيه فيعاقب بالحرمان ويرى بالخذلان قال

باقه ان وجده وأما قيل وجوده فلا فإذا عادى الإنسان نفسه فلا بأس به لأن هذه النفس خيرها ماله حصر لا يعلم قدره
إلا الله وشرها ماله حصر لا يعلم قدره إلا الله ومن استشرى على خيرها هام فيه وفاته شرها ومن استشرى على شرها
هام فيه وفاته خيرها ويرحم الله القائل :

وسمعت الخطاب ما ذاتى من مكان قريب

يا حياى وأنت فى ذاتى حاضر لا تغيب

هذا والله من دخل على مولاه من باب نفسه وبكفيك فى النفس شرفا قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف
ربه ومن كلام شيخ شيوخنا سيدى عبد الرحمن المجنوب نعمنا الله بالجميع أمن أين جيت يادى الروح الهائما وروحانيا :

الساكنة فى إبط العز أحوالها

ربانيا (وقال أيضا)

راع من النفس جهك مى وصبح عليها

لعلها تدخل يرك تعود تصطاد بها

صار الأمر كما قلنا عداوة النفس كمنك من نواصي الخلق أنت تريد عداوة لنفسك والخلق يريد اقبالا عليك أنت
تريد بعدا من مولاك ومصاحبة نفسك تجمع بينك وبين هواك أنت تريد عداوة من نفسك وأنت تريد قربا من ربك
واقبالا منه عليك أنت تريد قربا من مولاك وأنت تريد بعدا من الخلق وذلك لأنك إذا قربت من مولاك يشم الخلق
فيك رائحة لا يعرفونها فيحصل الانكار منهم عليك لأن من جهل شيئا عاداه جرت عادة الله تعالى أن الداخلى إلى الله
منكور والخارج إلى الخلق معروف قال الشاعر : ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل ثم يرجع إلى توحيش من ينكر عالم المعاني

إبراهيم الخواص رضى الله عنه تبت في البادية حتى ضرت الحبال فسمعت نباح كلب فأصغيت إليه وأخذت نحوه فاذا بلبس قد صفني فقلت في نفسي هذا جزاء من توكل على حظوظ قبيل لي في سرى بإبراهيم مادمت في خفارتا أى جوارنا وعهدنا كنت عزيزاً فلما دخلت في خفارة كلب سلط عليك الخلق فبت إلى الله تعالى وإذا الذى صفني قد سقط عن جرف وطار رأسه وأشدوا

مددت يدي أرجو نوالاً ورحمة ومالى شفيح غير جودك والرجا
لجلى يعفونك وارحم تذلى فأنت الذى أعطيتى الفقر واللبا

ثم إن الفقر والجهل من أوصاف العبودية كما أن التقى والعلم من أوصاف الربوبية فلما أدل بفقره إلى غنى مولاه أدل بجهله إلى سعة علم مولاه فقال في المناجاة الثانية (إلى أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جاهلاً جهولاً في جهلي) قلت يقول رضى الله عنه أنا الجاهل في علمي العارض الذى علمت فكيف لا أكون جاهلاً في جهلي الأصل الذى فيه أركزتى أو يقول أنا الجاهل في حال نسيتي في العلم الذى علمت فكيف لا أكون جهولاً في جهلي الذى هو أصلى ومجلى وما نسبة علم العبودية في جانب علم الربوبية الاكثرة المصفور من البحر كما قال الخضر عليه السلام لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام قال تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلاً) وقال (ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء) وقال تعالى (واهد آخركم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) فالعلم العارض لا يدفع الجهل الاصلى هذا باعتبار الحكمة والنظر إلى أصل البشرية وأما الروحية فأصلها علامة دراكة لانها نموذج ربانى ولطيفة نورانية فاما حجبها كثافة البشرية وظلمة الطبيعة كما قال في المباحث فلم تزل كل نفوس الاحياء علامة دراكة للأشياء

وهو العالم الروحاني فقال :

يا منكر المعقول والمعاني ما الصنع في أمثلة القرآن

(قلت) مضمن كلامه في الرد على من ينكر المعاني ويقر المحسوسات أن يقال له لو كان الأمر محصوراً في المحسوسات ما احتاج الله تعالى أن يضرب لنا الأمثال للأمور المعنوية بالأمور الحسية لتفهم بسرعة كضرب مثلاً العلم النافع بالماء النازل من السماء الذى يظهر الأرض وتمتلى منه الأودية في قوله تعالى (أنزل من السماء ماء فدايت أودية بقدرها) الآية فان العلم يظهر النفوس من ظلمات الجهل والشك والشرك ويظهر القلوب من كدر الأغيار والأرواح من لوث الأنوار وتمتلى منه القلوب كل على قدر وسعها كما أن الماء يظهر الأرض من الأدناس والأنجاس وتمتلى منه الأودية كل على قدر وسعه كقوله تعالى (مثل نوره كشكاة) الآية وكقوله تعالى (ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء) الآية إلى غير ذلك فدل ذلك على أن الأمر على قسمين منه ماهر حتى يدرك بالحواس ومنه ماهر معنوى يدرك بالعقل والروح أو السر وما كان قد يتخفى على بعض الناس ضرب الله له الأمثال بالأمور المحسوسة تقريباً لفهم واقعته تعالى أعرفنا نقول أي المنكر لعالم المعاني في هذه الأمثلة التي ضربها الله في كتابه تقريباً لفهم المعاني (قلت) وهذا الذى قاله الناظم لا ينهض في الرد على المنكر لأن المعاني التي يشتبهها الصوفية إنما هي معاني الصفات وأسرار الذات التي قامت بها الأشياء لاهذه المعاني التي ضرب الله لها الأمثال فإما هي أمور عقلية يدركها العقل وبقرها أهل الظاهر ولا ينكرها أحد نعم عندنا آيات تشبه بظاهرها ما لم المعاني كقوله تعالى (الله نور السموات والأرض إن الذين يابحونك) الآية قل انظر واما ذاق السموات والآية هو الأول والاخر والظاهر والباطن إلى غير ذلك من الآيات الدالة على غوامض التوحيد وأسرار التثريد ومن لم يبلغ فهمه هذا فشاها التسليم وإلا وقع في

وإنما تصحبها الأبدان والأفئدة النزع والشيطان
فكل من أذاهم جهاده أظهر للقاعد خرق العادة

ثم إن من تحقق بفقره الأصلي لا يسكن إلى من غناه العارض ومن تحقق بجهله الأصلي لا يسكن إلى علمه الفرعى فإن الأمور كلها بيد القوى الكريم والقلوب كلها بيد المدير الحكيم كما أبان ذلك في المناجاة الثالثة بقوله (إلمى إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك معنا عبادك العارفين بك من السكون إلى عطاء والياس منك في بلاء) قلت اختلاف التدبير هو إقامة كل عبد في حكمته على حسب ارادته ومشيئته من فقر أو غنى من علم أو جهل من عز أو ذل من قبض أو بسط من سقم أو صحة أو مرض من إيمان أو كفر إلى غير ذلك من اختلاف آثار القدر وتوابع مظاهر الحكمة وسرعة حلول المقادير هو تبديل تلك الأحوال في أسرع حال من فقر إلى غنى ومن غنى إلى فقر ومن علم إلى جهل ومن جهل إلى علم ومن عز إلى ذل ومن ذل إلى عز ومن قبض إلى بسط ومن بسط إلى قبض ومن سقم إلى صحة ومن صحة إلى سقم ومن إيمان إلى كفر واليأذى بالله ومن كفر إلى إيمان فقلوب الخلق بيد الله الواحد القهار يقلبها كيف يشاء ويختار ويفعل بها ما يشاء لا يستل عما يفعل وهم يستلون فإذا تحقق العبد بهذا امتنع من أن يسكن إلى ما أعطاه مولاه لأنه قد يسليه ذلك في ساعة واحدة وامتنع أيضاً أن يئس من مولاه في وقت شدته وبلاءه قال تعالى (فإن مع العسر يسراً) مع العسر يسراً (يؤدوا) حال من قضائهم المحال لكن لم يتحقق هذا خوفاً لا العارفين فذلك لا يسكنون إلى عطاء ولا يئسرون في بلاء بل يسكنون إلى من يده المنع والعطاء فذلك لا يزول اضطرابهم ولا يكون مع غير الله قرارهم ودليل ما قاله الشيخ قوله تعالى (كل يوم هو في شأن) ولا مفهوم لليوم بل في كل لحظة هو في شأن يرفع أقواماً ويخفض آخرين يمزق قوماً ويذل آخرين

الإنكار على أولياء الله فيصبح من الصم البكم الذي لا يملكون (والحاصل) أن عالم المعاني لا يدرك إلا بصحبة أهل المعاني ولا يؤدى بالعبارة وإنما يرمز إليه بالإشارة فمن لم يفهم الإشارة فلا سهم له فيه كما أشار إلى ذلك بقوله بعد أرى فيك عن الإشارة هل تنكرون رواية العبارة

(قلت) يقول رضى الله عنه لهذا المنتقد أرى فيك بعداً عن فهم الإشارة فكيف تفهم المعاني وهي لا تؤدى إلا بالإشارة وإذا بدت عن فهم الإشارة فقد وردت رواية العبارة بأثبت ما تسكر من المعاني هل تنكر رواية العبارة بعد أن بدت عن فهم الإشارة فما تقول في آيات وأحاديث تدل على ثبوت المعاني والعالم الروحاني وكأنه يشير إلى الآيات التي قدمنا أنفاً من قوله (الله نور السموات والأرض) الخ والحديث القديم يقول الله تعالى (عبدى مرضت) فلم تدنى الحديث فيه ثبوت عالم المعاني والله تعالى أعلم ثم وجه على وقوفه مع عقله فقال

باجاهلاً أقصى الكمال وقفاً على عقول وهما لا يخفى

(قلت) عقول بنى آدم ضعيفة محصورة لا تدرك من التوحيد والمعرفة الا افتقار الصنعة إلى صانعتها تدل على صفات هذا الصانع بما تدرك من المصنوعات كوحدايته وقدمه وبقائه وقدرته وحياته إلى سائر صفاته المألومة وهي لا تأمن الخطأ ولا تسلم من الوهم والخواطر لأنها في عمل العبد وما لها إلا الإيمان بالثبوت فن وقف مع عقله وجعل ما أدركه به هو أقصى غاية الكمال فهو مغبون وبالجهل المركب مفتون قال تعالى (وخلق الإنسان ضعيفاً) وهو عام يصدق بضعف العقل وغيره أى ضعيفاً من كل شيء وقال ابن الفارض

ثم وراء النقل علم يدق عن مدارك غايات العقول السليمة

يمت قوماً ويحيي آخرين يعلى قوماً ويميت آخرين من أمور يديها لا يبتدئها وقال بعضهم في تفسير الآية كل يوم يمجز ثلاثة عساكر عسكراً من الأصباب إلى الأرحام وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا وعسكراً من الدنيا إلى القيور ثم يرتحلون إلى الله جميعاً اه وقد تقدم بعض الكلام على علامات العارف وقال الشطبي في هذا المحل قلوب العارفين تشاهد بنوره ولا تشاهد للحق سواء منازل الروبوية خارجة عن رسوم البشرية فلاما العارف أن يكون قلبه مرآة يرى فيه ما غاب من غيره وجلال القلب لا يكون إلا بنور الإيمان والإيقان فلي قدر قوة الإيمان يكون نور القلب وعلى قدر نور القلب تكون مشاهدة الحق وبقدر مشاهدة الحق تكون المعرفة بأسمائه وصفاته وقدرهما يكون التعظيم لذاته وبقدر التعظيم لذاته يكون كمال الغد وبدر كماله يكون استغراقه في أوصاف العبودية وبقدر استغراقه في أوصاف العبودية يكون قيامه بحقوق الروبوية وما قدروا الله حق قدره اه

(قلت) وبقدر قيامه بحقوق الروبوية يكشف له عن أسرار الألوهية وأنشدوا

كانت محادثة الركبان تخبرني عن فضلكم وسناكم أطلب الحخير
حتى التقينا فلا واقه ما سمعت أذنني بأحسن مما قد رأى بصري

ومن أوصاف العبودية بعد الفقر والجهالة والحساسة والآلة كما أن من أوصاف الروبوية بعد الفنى والعلم والاحسان والكرم فأدلى الشيخ بذكر آلة نفسه إلى كرم مولاه وإحسانه فقال في المناجاة الرابعة (إلهى منى لا يليق بلوى ومنك ما يليق بكرمك) ألوم بضم اللام وسكون الهمزة هو الشئ والدائمة في القاموس ألوم بالضم ضد كرم يقول رضى الله عنه إلهى يظهر منى من الدعاة والحساسة والآلة والمساوى ما يليق بك لى ودناى ويظهر منك من الميرقوالاحسان والكرامة والامتنان وتنطية المساوى والنقصان ما يليق بكرمك الزاخر وكال إحسانك الباهر فقال بل إساننا بإحسانك وغط مساوينا

بخلاف ما أدركته الروح أو السر من المعاني الطيفة والأسرار القديمة فان ذلك أذواق وكشوفات ومشاهدات لا يلقى معها وم ولا ظن ولا خاطر وقال المجنوب :

طلع النهار على قلبى حتى نظرت بعينيا
أنت دليل يا ربى أنت أولى من فيا

واعلم أن النفس والعقل والقلب والروح والسر تطورات الروح الطيفة التورانية كما تقدم وكل واحد من هذه التطورات له حد من العلم والادراك لا يتجاوزه (أما) النفس فحد ادراكها زينة ظاهرة الكون اغتراراً بجمعة ظاهرة وغفلة عن عمرة باطنه لأشتغالها بظوظها وهو اها ففى لا تلقت إلى خالقها ومولاهما فإذا نهت أقرت حيث تد ثم رجعت إلى نومها كن طرش نائماً فافاق ثم رجع إلى نومه (وأما) العقل فحد إدراكه وعله افتقار الصنعة إلى صانها على ما تقدم معه ول عن غير ذلك (وأما) القلب فحد إدراكه تشقهق توجهه إلى خالقه بترك الاغيار وطلب الأنوار انطلق من العقل في طلب الكمال ولكنه من وراء الحجاب ولم يفتح له الباب (وأما) الروح فحد عليها وإدراكها مواجهة أنوار الملكوت طالية أسرار الجبروت قد استراحت من تعب السير لكنها لم تتمكن من السر (وأما) السر فنهى إدراكه أسرار الجبروت قد فلتت البصيرة من الوقوف مع أنوار الملكوت وهذا منتهى السير قال تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) ثم يبقى الترقى في المكاشفات والمشاهدات والعلوم والأسرار إذ لا نهاية لها وقل رب زدنى علماً (قال) في السوراف واعلم أن الاتصال بالمواصلات إلى الشيوخ وكل من وصل إلى صفو اليقين بطريق الذوق والوجدان فهو في رتبة الوصول ثم يتفاوتون (فهم) من يجد الله بطريق

بوصف كرمك وامتنانك فانك أهل التقوى وأهل المغفرة يا أكرم الأكرمين (حكى) عن بعض الثامن أنه قال إلهي كم أحسبك وأنت تسترني فسمع قائلا يقول تعلم أي أنا وأنت أنت وقيل ان الله تعالى خلق ملكا نادى يا ابن آدم باسمك كنت في الغم مفقودا فمن ذا الذي صيرك منة الوجود الا الكرم ذو الجود من ذا الذي أبرزك من عالم الغيب لعالم الشهود من ذا الذي استغفرك من ظلة الكفر إلى نور الإيمان من ذا الذي تكفل بشهوئك الا الكرم للثامن فكان مطيما لله تكن عبده حقا ولا تطع نفسك وهواك فتكون لها رقاه ومن كرمه تعالى أن سبقت رحمته غضبه ومن كرمه أيضا إقباله على العاصي والمطيع في الحديث الصحيح لما خلق الله الخلق قال للعالم أجمع قال وما أكتب قال أكتب حتى سبقت غضبي فكتبته وألقي الكتاب فوق العرش زاد بعضهم فاذا كان يوم القيامة رأى الناس ذلك الكتاب فيقرأه كل من سبقت له السعادة ويعجب عن أهل الشقاوة وفي الحديث أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق مائة رحمة أنزل منها واحدة إلى الأرض وأمسك عنده تسعة وتسعين فمن تلك الرحمة الواحدة التي أعطيت إلى الأرض تراحت الخلائق بينهم حتى أن الدابة لترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه فاذا كان يوم القيامة ضم تلك الرحمة إلى التسع والتسعين ونشرها بين عباده فقسع الخلق كافة ويحرم منها من هو كافر وهو معنى قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء) الآية اه بالمعنى (ويرى) ان رجلا امطاد أفرأعا فلما أخذهم جعلت أمهم تطير فوقهم ثم سقطت عليهم فعضها مع أولادها فاق بها النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره خبرها فقال عليه السلام أتعجبون لهذا الطائر والله أرحم بعبده المؤمن من هذا الطائر بأخيه (وروى عنه) صلى الله عليه وسلم أنه قال يخرج من النار رجلان ثم يملآن أي يوقعان بين يدي الله فيؤمر برجوعهما إلى النار فيسرع أحدهما فيأتي نفسه فيها ويتعاصى الآخر عن الرجوع فيقال للذي رمى بنفسه لم ألقى نفسك في النار.

الأفعال فيفني عن فعله وفعل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة الوصول (ومنهم) من يترقى إلى مقام الفناء مشتملا على باطنه أنوار اليةين والمشاهدة مغنيا في شهوده عن وجوده وهذا خرب من تجلي الذات لخواص المقرين وهذه رتبة في الوصول وفوق هذا مقام حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لخواص لمح وهو سريان نور المشاهدة في كلية البدن حتى تغطي به روحه وقلبه ونفسه حتى قاله وهذا من أعلى رتب الوصول وإذا تحققت الحقائق يعلم العبد من هذه الأحوال الشريفة أنه بعد في أول المنزل فأين الوصول هيئات منازل طريق الوصول لا تنقطع أبد الأبد في عمر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوي انتهى وذكر الناظم للانسان تطورا آخر فقال

أول أطوارك منذ أول الحس والتمييز والتخيل
والعقل والذكر معا والفكر هيئات بل وراء ذلك طور

(قلت) الأطوار هي الأحوال التي يتقل إليها الانسان من أول نشأته كطور اجتنائه وطور طفولته ثم شبوبه ثم كبره ثم شيخوخته قال تعالى (وقد خلقكم أطوارا) هذا باعتبار الذات الحسية وأما باعتبار المعنى الباطنية فأول ما يدرك الانسان الحس فيحس بالمجموع وأضراره والبرودة وغير ذلك من الأمور الضرورية ثم التمييز فيميز بين أموه وغيره ها بين القريب والبعيد ثم الخيال وهو أول منشأ الخوف والوهم فيخاف من أمور يتقدها أنها تضر ويجب أمورا يعتقد أنها تنفع (ثم) عقل التمييز بين الضار والنافع الحقيقي والمراد بالعقل هنايته لان هذه الأمور كلها أطوار للعقل لكن لما كان ضعيفا جعل يتطور هكذا وأول خلق العقل عند اجتنان الولد في بطن أمه ثم لا يزال ينمو حتى يكمل وهو نور خصب به هذا الأدنى من دون

فيقول تلاً أكون عاصياً في الدنيا ثم أكون عاصياً في الآخرة ويقال للآخر لم تمتل الأمر كما فعل هذا فيقول رجوت من كرم الله أن لا يعيدني إليها بعد أن أخرجنى فيؤمر بها إلى الجنة وأنشدوا

ولو أن فرعون لما طفى وقال على الله قولاً عظيماً

أتأب إلى الله مستغفراً لما وجد الله إلا رحماً

وكيف لا يرجى حله وكرمه ويشمول لطفه ورحمته وقد سبق وجود العباد لطفه وراحمته كما بان ذلك في المناجاة الخامسة حيث قال (إلهي وصفت نفسك باللطيف والراقة في قبل وجود ضعفي أقمتني منهما بعد وجود ضعفي) قلت اللطيف بالغم الرقيق والمبرة وصلاح العبد في عاقبته وفي القاموس لطف لطفاً بالغم رقيقاً ودناؤ لطف الله بك أو صل إليك مرادك بالطفاه والراقة شدة الرحمة وأرقها قاله في القاموس أيضاً والضيف ضد القوة يقول رضى الله عنه شاكي إلى الله ضعفه وفقره ومستندا من مولاه لطفه وراحمته إلهي وصفت نفسك في كتابك العزيز الذي أنزلته إلينا باللطيف والراقة فقلت فيه الله لطيف بعباده وقلت وإن الله بك لرؤوف رحيم وأصافك باللطيف والراقة قديم فاذا كنت باللطيف أرحمنا قبل وجود ضعفنا فكيف لا تمنحنا من لطفك وراحمك بعد ظهور ضعفنا لطف بنا ونحن اللطيف غير محتاجين أقمتنا منه عند احتياجنا إليه وأنت أرحم الراحمين أجريت علينا رفقك قبل أن تبرزنا إلى دارك أقمتنا منه بعد ظهورنا مع عظيم إبدارك ومن تفكر في عجائب صنع الإنسان وما خصه الله به من كمال الخلق والافتقار وما يلحقه من ضروب المن والاحسان وجد نفسه مضموراً في لطف مولاه مرفوقاً به في أول منشئه ومنتهاه قال بعض الحكماء قد أدركت العقول بما أودع في الإنسان اثنتي عشرة ألف حكمة وأما الذي لم تدركه العقول فلا يعلمه إلا الله هذا في خاصة نفسه وأما في غذائه وشرابه وبأسه وسائر لوازمه فأكثر

الحيوانات شرفه وهو يتفاوت في التدرج بحسب القسمة الأولية (ثم) بعد العقل القلب وهو محل الذكر (ثم) بعد القلب الروح وهي محل التفكير وهو التفكير في عجائب المصنوعات هذا غاية ما أدركه العامة وبقى مرتبة السر وهي محل الشهود والنظر فهو الذي حجب عن العوام وهو الذي أشار إليه بقوله هيئات بل وراء ذلك طور وهو مقام السر وهو غلج عن مدارك العقول لا يناله إلا أفراد الفحول وإلى ذلك أشار بقوله

ما ناله الجمهور والوارد وإنما يناله الأفراد

(قلت) الوارد جمع وارد وهو الذي يقصد الماء للشرب يعني أن هذا السر الذي هو وراء العقول والافكار القصيرة ما ناله جمهور الناس ولا كل من قصده وأراد به وإنما ناله الأفراد من الرجال دلم الحق تعالى أولاً على أوليائهم من أهل هذا السر وأطلعهم على ما أودعهم من خصوصية اصطفاة فأسلموا إليهم أنفسهم وانقادوا إليهم بكنيتهم حتى قالوا لهم ها أتم وربكم فهو لاهم الأفراد الذين أطلعهم على مكنون سره وأسرار غيبه فان باحوا بها أيعتد دماؤهم غيرة عليه من مولاهم كما تقدم وهو الذي أشار إليه الشيخ أبو مدين بقوله

وفي السر أسرار دقائق لطيفة تراق دماناً جبهة لو بها يحنا

ثم قدم العقل على ثلاث مراتب على اصطلاح القدماء فقال

منفعلاً يدعى ومستفاداً وعقل تخصيص لمن أراد

(قلت) هذا اصطلاح القدماء جعلوا العقول ثلاثة عقلاً يسمى منفعلاً وهو العقل الفرزي المجهول فيه من غير اكتساب وعقلاً يسمى مستفاداً وهو المكتسب بالمجاهدات والرياضات والتجربات ولذلك يقول العامة كل عنة تزيد عقلاً وعقلاً يسمى عقل التخصيص وهو الذي خص الله به أنبياءه ورسله وقد انتهى إلى بدايته العقل للمستفاد بالرياضة وهو عقل الأكبر

من ذلك قال تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) وقال (فليظفر الإنسان إلى طعامه) الآية فسبحان من أعجزت العقول بدائع الطائفة وتصرحت الافكار عن عظيم أوصافه وهو اللطيف الخبير ما أكثر لطافته للبستين وأوضحها للسيتقطين وأعظمها في جميع المخلوقين قد سرى لطفه في جميع الاكوان وأبهرت حكمته أفكار الإنس والجان وأنشدوا :

أحاط بتفصيل الدقائق عليه فأقنتنا صنماً وأحكمها فضلاً
فن لطفه حفظ الجنين وصونه بمستودع قد مر فيه وقد حلاً
تكشفه باللفظ في طلباته ولا مال يقنيه هناك ولا أهلاً
ويأتيه رزق سايع منه سائغ روح له طولا ويندوله فضلاً
وما هو يستدعى غذاء بقيمة ولا هو بمن يحسن الشرب والأكلاً
جرى في مجارى عرقه بتلطف بلا طلب جرياً على قدره سهلاً
وأجرى له في الثدي لطف غذائه شرباً هنيئاً ما ألد وما أحلاً
وألمه مصاً بحكمة فاطر تجلى لأرباب العقول بما أولى
وآخر خلق السن عنه لوقتها فأبرزها عوناً وجاء بها طولا
وقسمها للقطع والكسر قسمة وللطحن أعطى كل قسم لها شكلاً
وصرف في لوك الطعام لسانه يصرفه علواً إذا شاء أو سفلاً
ولو رام حصراً في لقمة وألطافه فيما تكنفها كلا

الأولياء فتهاية كمال عقل الأولياء بداية عقل الأنبياء ولذلك كانت نهاية الولي بداية النبي كما أشار إلى ذلك بقوله :

وحيث فيه ينتهى الولي فن هناك يتبدى النبي

(قلت) فتهاية الولي بداية الرسول ونهاية الرسول بداية نبي (محمد) صلى الله عليه وسلم :

وكلمهم من رسول الله ملتس غرقاً من البحر أو رشفاً من الدبح

وواقفون لديه عند حديم من نقلة أو من شكلة الحكم

فأول قدم النبي الجمع بين الحقيقة والشريعة لأنه لا سير له لأن السير في ميادين النفوس وهم مطهرون منها فقد غاصوا بحر التحقيق ثم رجعوا إلى التشريع وأما قول أبي يزيد خضنا بحراً وقت الأنبياء بساحله فراحه أنه دخل البحر ولم يخرج إلى ساحل بر الشريعة فهو إقرار منه بالتصير لأنه قال هذا في حال الجنب والمجنوب ناقص حتى يصح من سكره ويرجع إلى البقاء بخلاف الأنبياء عليهم السلام فقد عرفوا البحر وغاصوه وخرجوا إلى البر ليسلكوا الناس (وقال الشيخ) أبو العباس رضي الله عنه في تأويله فعني وقت بساحله من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون إلى الخوض فيه أى فلو كنت كاملاً لوقت حيث وقفوا (قال) في لطائف اللين وهذا الذي فسر به الشيخ هو اللائق بمقام أبي يزيد وقد قدما عنه أنه قال جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كزك علوه عسلاً ثم رشحت منه رشاحة فاني باطن الرزق للأنبياء وذلك الرشاحة هي للأولياء والمشهور عن أبي يزيد هو التظيم لرأس الشريعة والقيام بكمال الأدب انتهى (وأما) قول من قال ان دائرة الولي أوسع من دائرة النبي فراحه بذلك أن الأنبياء عليهم السلام لشدة قربهم من الحضرة مشد عليهم في الأدب والحضور والهيبة

فكم غلام فيها وكم صانع لها
وكم لطف من حيث تخدأ أكرمت
ومن لطفه تكليفه لعباده
ومن لطفه توفيقهم لإجابة
ومن لطفه بعث النبي (عند)
ومن لطفه حفظ العقائد منهم
ومن لطفه إخراجه عسلا كما
وإخراجه من بين فرث مجاور
وإخراجه من دودة مليسا له
وأعجب من ذا خلقه القلب عارفا
والطافه للبحر المحيط فغذبا
وصل على المختار أفضل مرسل
كذلك مشروب وملبسه كلا
وما كنت تدري الفرج منها ولا الأصلا
يسرا وأعطاهم من النعم الجزلا
توصل للخيرات من جلمهم جلا
ليشفع في قوم وليسوا لها أهلا
ولو خالف العاصي المسمى وإن زلا
تشاهد عما كان أودعه التحلا
دعاً لبناً صرفاً بلا شائب رسلا
رواقا عجيا أحكته لنا غزلا
به شاهدا بلا شبه ولا مثلا
بدالك واشهدا وإياك والجهلا
على خالص العرفان باق قد دلا

فهذه أطراف الواسلة إلى نوع عاسنه الجارية علينا فإن وفقنا سبحانه للقيام بشكرها بمحاسن الأفعال والأقوال فذلك من فضله وكرمه وإن صرفنا عن شكرها بظهور مساوى أضلنا فبقهره وعدله كما أبان ذلك في المناجاة السادسة فقال إلهي إن أظهرت المحسن مني بفضلك ولك المنة على وإن ظهرت المساوى مني فبعدلك ولك الحجة على قلت ظهور المحسن على

والتعظيم والاحلال فأقل شيء يصدر منهم يعاتبون عليه بخلاف الأولياء فدائرهم أوسع من جهة طلب الأدب والחסن فهو موسع عليهم من جهة الأدب وكذلك دائرة الشهداء وهم المجاهدون نفوسهم في طلب الحق دوائرهم أوسع وبعدم دائرة الصالحين وبعدم العوام وهذه صورة الدوائر في الحس فالثقة هي الحضرة مثلاً والدوائر الأولى للبين والثانية للصديقين وهم الأولياء والثالثة للشهداء وهم السائرون والرابعة للصالحين ومن ورائهم عموم المسلمين وكلما كثر القرب وقبح التصديق في الطلب للقيام به من الأدب وبقدر التحقيق في الطلب يقع التوسع في العلوم لأن المدد على قدر القرب واعلم أن ترقى الأنبياء محجوب عن الأولياء كما أن ترقى الأولياء محجوب عن العوام (قال) الغزالي رضي الله عنه أعلم أن منازل السلوك لا غاية لها ولا يعرف السالك منها إلا ما رقى عنه ولا يعرف ما بين يديه إلا بطريق الإيمان بالغيب كما أخبر الله به فكان أن الأجنحة لا تعرف أحوال الطفولية والطفولية لا تعرف أحوال العقلاء والعقلاء لا يعرفون أحوال القضايا الربانية ما يفتح الله للناس من رحمة فلا عسك لها والله تعالى أعلم (ثم) كل الكلام على عقل التخصيص الذي اختص به الخواص فقال :

وفيه تجل جمل المعارف فمن رآها قيل له عارف

(قلت) الضمير لعقل التخصيص أى وفى عقل التخصيص تظهر وتجل جمل المعارف الربانية والعلوم الدنية لأنه ماسى عقل التخصيص حتى تظهر من الأغيار وتهذب من الرعونات والاكدار أما بالأصالة أو بالمجاهدة فإذا ظهرت من الأغيار ملى بالمعارف والأسرار فالمعارف هي العلوم والأسرار هي الآذواق فمن رآها واذتها يقال له عارف ومن لم يصل لهذا المقام وكان



الإنسان في أقواله وأفعاله وأخلاقه. من متانة العظم فهو هذا بام الجسيمة لأنه عزوان المحبوا القبول وذلك هو غاية المطالب والمأمول وظهور المساوى على البعد في أقوله وأفعاله هو من عدله تعالى وقهره وإظهار الحجة عليه قال تعالى (قل لله الحجة البالغة فو شاء لهذا كم أجمعين) فالبدليس لمع الحق اختيار ولا قدرة على نفع ولا إضرار فإن صرفه سيده فيارضى فظهور اسمه الكريم وإن صرفه فيالارضى فلتصرف اسمه الحكيم أو لإظهار اسمه القهار أو المستم أو الجبار فالنواصى بيده والقلوب بين أصبعيه وقه در الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه حيث يقول في بعض أدعيته اللهم إن حسنانى من عطائك وسيتانى من قضائك فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت حتى تمر ذلك بذلك لالمن أطا طك فيما أطا طك فيه الشكر والالمن عصاك فيما عصاك فيه العذر لانك قلت وقولك الحق (لا يستل عما يفعل وهم يستلون) (اللهم) لولا عطائك لكنت من المالكين ولولا لقضاؤك لكنت من الفاترين وأنت أجل وأعظم وأعز وأكرم من أن تطاع إلا برضاك أو أن تصحى إلا بقضائك إلهى ما أعطتك حتى رضيت ولا عصيتك حتى قضيت أعطتك بإرادتك ولك المنة على وعصيتك بقدرتك ولك المحبة على فوجود حبك وانقطاع حقي إلا مارحتنى وبفقرى إليك وغناك عنى إلا ما كفىتنى (اللهم) لنى لم آت الذنب جرأة منى عليك ولا استخفافا بحبك لكن جرى بذلك قلبك ونغذه حبك ولا حول ولا قوة إلا بك والعذر إليك وأنت أرحم الراحمين (اللهم) إن سمى وبصرى ولسانى وقلبى وعقلى بيدك لم تملكنى من ذلك شيئا فإذا قضيت بشئ فكن أنت وليى وأهدنى إلى أقوم سبيل يا خير من سئل وأكرم من أعطى يارحمى الدنيا والآخرة أرحم عبدا لا يملك دنيا ولا آخرة اه وهو الذى اختصره الشيخ في هذه المناجاة بأحسن عبادة وأوجز لفظ فقه دره وهذا شأنه في تهذيب طريق الشاذلية جزاه الله عن المسلمين خيرا ومثل هذه المناجاة وقعت من بعض الصالحين (روى) أن شابا من العباد تعلق بأستار الكعبة

من أهل الدليل يقال له عالم والفرق بين العالم والعارف أن العالم دون ما يقول والعارف فوق ما يقول العالم يصف الطريق بالنعمة والعارف يصفها بالعين لأنفسار معها وعرفهاو العالم إنما نعت له فقط العالم محجوب والعارف محبوب العالم من أهل الغيب والعارف من المقرين العالم من أهل البرهان والعارف من أهل البيان العالم من أهل الفرق والعارف من أهل الجمع العالم من أهل قوله تعالى (إياك نعبد) والعارف من أهل قوله تعالى (وإياك نستعين) العالم يدلك على العمل والعارف يخرجك عن شهود العمل العالم يحملك حمل التكليف والعارف يروحك بشهود التعريف العالم يدلك على محافظة الصلوات والعارف يدلك على ذكر الله مع الانفاس والاحتفات العالم يدلك على الأسباب والعارف يدلك على مسبب الأسباب العالم يدلك على شهود الوسائط والعارف يدلك على محرك الوسائط العالم يحذرك من الوقوف مع الأغيار والعارف يحذرك من الوقوف مع الأنوار ويحذرك في حضرة الجبار العالم يحذرك من الشرك الجلى والعارف يخلصك من الشرك الخفى العالم يعرفك بأحكام الله والعارف يعرفك بذات الله العالم يدلك على العمل لله والعارف يدلك على العمل بالله العالم يدلك على العمل خوفا وطمعا والعارف يدلك على العمل بحبة وشكرا (والحاصل) أن من لم يسعده الله بملااة العارف فلا شك أنه في هوى نفسه تالف وقه در صاحب بداية السلوك حيث يقول :

ان لم تلاق عارفا في مدتك لا عاشر عمر عيشه كعيشتك

وحقيقة العارف هو الذى قى عن نفسه وبقى بربه وكل غناه في قلبه لا يحببه جمعه عن فرق ولا فرقه عن جمعه يضل كل ذى حق حقه ويوفى كل ذى قسط قسطه والله تعالى أعلم بنيه وهذا المقام الكريم لا يناله إلا من له حظ عظيم كما أبان

وقال إلهي إن أظمتك بففضلك ولك الحمد وإن عصيتك فجهلي ولك الحجة على فيائبات حجتك وانقطاع حجتي إلا ماغفرت لي فسمع هاتفاً يقول أنت عتيق من النار اه وقال ذو النون رضي الله عنه رأيت جارية والصينان يرمونها بالحجارة فكففتهم عنها فظنرت إلى وقالت كأنها تعرفني إذا التون ماعلامه الصدق قلت صيام النهار وقيام الليل فقالت إذا التون كيف يلذ النوم لمن علم حبيبه لاينام ثم بكى وقالت إلهي إن فكرت في إحسانك إلى لم أبلغ كنهه بفكرى وإن ذكرت سترك على لم أقم فيه بشكرى فيأعجباً لقلوب العارفين بك كيف لا تنفطر إجلالا لقدرك وإعظاماً لو صفك تباركت يا مولانا ما أحلك على من عصاك وما أفضلك على من لم تدع له شغلا بسواك ثم أنشدت :

يا حبيب القلوب أنت الحبيب أنت أنسى وأنت منى قريب
يا طيباً بذكره يتداوى كل ذى سقم نعم الطيب
طلعت شمس من أحب بليل واستارت فأتلاها غروب
إن شمس النهار تقرب بليل وشموس القلوب ليست تغيب
فاذا ما الظلام أسبل سترها قال ربهما تمن القلوب

وإذا حنت القلوب إلى مولانا وانضمت إليه بشقها وهواها كيف بكلها إلى غيره وهو قد تولاها وكيف لا ينصرها وهو إليه قد آواها كما أبان ذلك في المناجاة السابعة بقوله (إلهي كيف تكلي) أى تجوئني إلى غيرك (وقد تكفلت لي) بأمورى وشئونى كلها حيث قلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقت (وإمام دابة في الأرض إلا على رزقها) (وكيف أصنام) أى أظلم وتمتلك حرمتى (وأنت الناصر لي) فتصرنى وتصر لي وتصربى وقد قلت في كتابك (الحكيم إن الله

ذلك بقوله : فهذه ميادين الأبطال ليست لسكل جبان بطل

(قلت) للميادين جمع ميدان بالفتح والكسر وهو مجال الخيل استعير هنا للخروج من ضيق الأشباح إلى عالم الأرواح وهو فضاء الشهود ، والتزه في حضرة الملك المعبود لأن فيه تتسع دائرة العلوم وتجري نتائج الفهم فيه تجول الأفكار - في عظمة الواحد القهار ، والأبطال جمع بطل وهو الشجاع والجبان هو الخواف (يقول) رضي الله عنه هذه العلوم والمعارف التي تتجلى في قلوب المارفين ، وتجول في سمة رياضها أفكار المقربين ، هي ميادين الأبطال ، وبجاري أسرار الرجال ، لا ينالها البطالون ، ولا يدخل في هيئاتها الخوافون ، بل مانالها إلا أهل الحزم ، وماطلب جهادها إلا أولوا العزم ، وفي ذلك يقول الجليل رضي الله عنه

ولياك جزوا لا يهولك أمرها فما فالما الا الشجاع المقارع
(وقال آخر)

أها العاشق معنى حسنا مهرا غال لمن يحطبا
جسد معنى وروح في العنا وجفون لا تدوق الرسا
وقواد ليس فيه غيرنا فاذا ماشئت أد العنا

وفي التحقيق ما هم إلا ساقية التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثم) قرر ما تقدم وهو أن دخول الميدان لا يصلح للجبان فقال هل يصلح الميدان للجبان أو بكل الزرع بلا إبان

(قلت) الابان هو الوقت يعنى أن ميادين القتال لا يدخلها إلا أبطال الرجال فالجبان لا يتركه الفرع أن يدخل الميدان (قال) شيخ شيخنا رضي الله عنه ثلاثة أصناف من الناس لا يبالون من هذه الطريق شيئاً الخواف والمستسنى والتكبر وإذا

يدافع عن الذين آمنوا) وقت وتزال الحق (إن تصروا الله بغيركم وبیت أقدامكم) يزلت وذكك حق (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) فانصرنا ياخير الناصرين كما نصرت أنبياءك ورسلك وخاصة أوليائك من المقرين ياأرحم الراحمين (أم كيف أخيب) أى أكرم وأمنع من الخير (وأت الحقنى) أى المعتنى بأمورى أو الرفيق بى فى جميع أحوالى قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا) وقال هو يتولى الصالحين فتولانا بأمولنا وحضائر عاتيك وحضائنا بترك واجلنا بك متمصرين وعليك متوكلين يا رب العالمين (ها أنا أنوسل بفقرى اليك) حتى من فقرى واقفارى إذ لا نسبة لى منك سوى فقرى اليك فانا فقير اليك من كل شىء حتى من فقرى فان كلن الأغنياء قد قدموا بين أيديهم الأموال فانا أقدم اليك فقرى فى جميع الأحوال وإن كان الأقوياء قد قدموا اليك صالح الأعمال فانا أقدم اليك التضرع والابتهال :

مالى سوى فقرى اليك وسيلة فبالافتقار اليك ربى أضرع
مالى سوى قرعى لبابك حيلة فلن رددت فأى باب أقرع

وأى نسبة لفقر العبد من غنى مولاه كما قال (وكيف أنوسل اليك بما هو محال أن يصل اليك) لأنك غنى عن الانتفاع بالمنافع فأغنتا بك عن الاحتياج إلى غيرك حتى ألقاك بك لا بغيرك إنك على كل شىء مقدير (روى) أن شيخاً أشتا القطب الجامع مولى عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه قال الشيخ أبى الحسن رضى الله عنه ياأبا الحسن بىم تلقى الله قال بفقرى قال له والله لنن لقرى الله بفقرى لكنا بالصرم الأعظم هلا لقيته به وكأنه رضى الله عنه دله الزوال عن نفسه وعن كل ما ينسب إليها من فقر وغيره وقال الشيخ زروق رضى الله عنه ويحجب عن أبى الحسن بأنه أراد بفقره حتى من فقره المنسوب إليه وهو الزوال فاذا صح افتقاره من كل شىء فقد صح غناه بالله عن كل شىء وإذا صح غناه بالله فالبقى الله الا بالله

شجع نفسه ودخل فى طريق الخصوص فلا يستعمل الفتح قبل إياه. لئلا يعاقب بحرمانه . فن غرس شجرة أو زرع زرعاً فلا يطلع أن يشر قبل وقته كذلك شجرة المعرفة تثبت فى قلب المرید حين ملاقاته بالشيخ فلا تزال تنمو شيئاً فشيئاً حتى تثمر وفى وقتها المعلوم لكن إن كان يحرسها ويحرمها عليها ويسقيها طالت تنهاية فى الخضرة والهجرت وأطعمت مربوا وإن فرط فيها أبطأت وربما ماتت وحرسها هو العزلة وعدم خلطة العوام وختمتها هو الذكر والفكر وسقيها هو الجلوس بين يدى الأشياء واستعمال الأحوال والواردات ونهاية إطعامها هو الطمانينة بالله والتفكير فى المعرفة بالله والغنى بالله عن كل شىء . لئلا يكون من الأبطال ويصلح لدخول الميدان فزينة الشيوخ إنما هى لهذه الشجرة التى هى شجرة المعرفة فادام صاحبها يفكر إلى من يسقيها له فلا بد من مدد الشيخ فإذا أثمرت واشتدت عروقها استغنت عن ماء غيرها وباقه التوفيق ثم تعجب من انكار الناس ما لم يحيطوا به علماً فقال :

ما أنكر الناس ما لم يعرفوا ما أهدى الولاى ما لم بالفرا

(قلت) ما تعجبة مبتداً بمعنى شىء . واجلته بعدها خبر والولاى جمع والى من ألف الشىء إذا أولع به أى شىء عظيم صير الناس منكربين ما لم يعرفوا وهاجرين ما لم بالفرا تعجب رضى الله عنه من إصرار انكار الناس على أهل هذه الطريق مع أنهم لا معرفة لهم بها ومن إصرارهم فى هجر أن أهلها لم تطعمهم أموراً لم بالفرا ولا غربة فى ذلك إذا انكار على الخصوص سنة ماضية فان تلك القرآن كله فى الاخبار عن تكذيب الصادقين وكذلك انكار ما لم يؤلف فانه هو السبب فى تكذيب الرسل قالوا ما سمعنا بهذا فى آياتنا الأولى إننا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثرهم مقتنون قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا فمكل من أتى بحرق العوائد التى اعتادها أهل زمانه فلا بد من الانكار عليه سنة ماضية (ولن نجد لسنة الله تبدلاً)

قال المروى رضى الله عنه قرر العامة ترك الدنيا وقرر الخاصة ترك الدنيا والآخرة وقرر خاصة الخاصة ترك الدنيا والآخرة والنفس اه وإظهار هذه الأمور بين يدي العليم الخبير عبودية فقط ولذلك قال (أم كيف أشكو اليك حالى وهو لا يخفى عليك) إذ حال أن يخفى عليك شيء فى الأرض ولا فى السماء وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى وأسروا قولكم أو أجهروا به أنه علم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير غشى من سؤل عليه بحالى (أم كيف أترجم اليك بمقالى) عما فى ضميرى (وهو) أى مقال (منك برز) إذ لا موجد سواك غير أن مقام الربوبية يقتضى وظائف العبودية وهى إظهار الفاقة والاحتياج والتضرع واللسان والابتهاال دون طلب دفع ماقدّر أو جلب ما لم يقدر كما قال الشيخ أبو الحسن ولا نسالك دفع ما تريد ولكن نسالك التأيد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك إلك على كل شيء قدير (أم كيف تخب آمالى) أى مطامعى وحوائجى (وهى وفدت عليك) أى نزلت بساحة كرمك وعلى ساحل بحر جودك وحطت الأحمال على باب فضلك والتجأت إلى حصن عزك وكيف تخييون آمالى الطامعين وباب كرمك مفتوح أم كيف يحرم قاصدكم وبحر فضلكم وإحسانكم منوح أم كيف يضام جاركم وجاه عزكم منيع أم كيف يخفى جواركم ونفوذاً مركب فى الأشياء سريع وأنشدوا :

أيضام عبد فى حماكم قد نزل يا من لهم كل الأمانى والأمل

(أم كيف لا تحسن أحوالى) بل لا تكون إلا فى غاية الحسن والكمال (و) الحال أنها (بك قامت) إذ لا قيام للعبد إلا بالله ولا وجود له من ذاته بذاته وكل من كان بالله ومن الله وإلى الله فكيف يلدّه النقص والخلل ولذلك قال (واليك) أى قامت بقدرتك وانتهت إلى أمرك ومرادك فالأمر كلها أنت مبدؤها ومصدرها واليك منتهاها ومرجها قال تعالى واليه

(قال فى لصائق المتن) واعلم أن الله تعالى ابتلى هذه الطائفة بالخلق ليرفع بالصبر على من أذاهم مقدارهم وليكمل بذلك أنوارهم ولتحقيق الميراث فيهم ليؤذوا كما أودى من قبلهم فيصبروا كما صبر من قبلهم ولو كان من أتى بهدى أطبق الخلق على تصديقهم هو الكمال فى حقهم لكان الأولى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صدقه قوم هدام الله بفضلهم وحرم من ذلك آخرون حججهم الحق عن ذلك بعلة فأنقسم العباد فى هذه الطائفة إلى معتقد ومنعقد ومصدق ومكذب وإنما يصدق بعلومهم وأسرارهم من أراد الحق سبحانه أن يلحقه بهم والمعتز بتخصيص الله وعنايته فيهم قليل لغلبة الجهل واستيلاء الغفلة على العباد وكرهه الخلق أن يكون لأحد منهم شغرف فى منزلة وإخصاص بمنة أو التمسع قوله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ومن أن لعموم العباد أن يعلموا أسرار الحق فى أولياته وشروقه ونوره فى قلوب أصفائه انتهى المراد منه (قلت) واحتجاب الأولياء عن العامة لطف كبير من الله بأوليائه واعتناء عظيم منه بأسرار أحبائه فان إقبال الناس على الولي قبل التمكن فتنه كبيرة وانظر ما قال الشيخ ابن مشيش أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون لى ملجأ إلا اليك والله در القائل

استار الرجال فى كل أرض تحت سوء الظنون قدر جليل

ما يضر الحلال فى خدس الليل سواد السحاب وهو جميل

وفيه أيضاً لطف كبير بعمامة عباده إذ لو ظهر مرم لماعة الناس لكان لكل من أذاهم حارب الله ورسوله لقوله عليه السلام فى الحديث القدسي يقول الله عز وجل من أذى لى ولأى فقد أذاني بالحرب فقد قيد الحديث بعد معرفتهم فأخفاهم الله لطفًا عظيمة (وقد) ضرب بعضهم لهذا مثلاً فقال مثل إذابة العامة لاختفاء أولياء الله كمثل الأعلى إذا رى بمكانته

يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) وأنشدوا

أقبل علينا لا تخف فلنا الهدى ولنا الجلال مع الجلال خذ الصفا
واقصد حمانا ما أتنا مذب إلا نجا لو كان من الذنوب على شفا

اللهم إنا قصدنا حماك خاضعين ولجنا بك متسبين وبجمل جوارك متمسكين وبمز جاهك مستعزين وبنصرك السريع
متصمرين فانصرنا ولا تنصر علينا يا خير الناسرين حاشا عهدك الوافي ونصرك الكافي أن نخذل من دخل تحت جوارك
أو نطرد من وقف ببابك يا خير من سئل وبا أكرم من أعطى ارحم عبداً لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا يرحمك يا أرحم
الراحمين (إلهي ما أطفئك بي مع عظيم جيلي وما أرحمك بي مع قبيح فئلي) قلت هذه المناجاة الثامنة وهي تسمى لما قبلها
لأن الحق إذا كان وكلاك وناصرالك وحياً بك فقد لطف بك وأنت لاتشعر فاللطف هو سوق المسار من حيث
المضار أو سوق المنافع في قالب الفجائع (والحاصل) أن اللطف هو جلب الخير جلباً لطيفاً لا يعرفه إلا أهل البصائر
فألطف الجليل هو الذي يكون باطنه نعمة وظاهره نعمة باطنه جمال وظاهره جلال فالعارف باقه يرى نفسه مغموراً في
اللطف في كل حال ولذلك قال الشيخ رضى الله عنه فيما تقدم من ظن انفسك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره وأما
الجاهل باقه فلا يشعر باللطف إلا إذا كان حسياً ظاهراً جلياً ولذلك قال الشيخ في هذه المناجاة تواضعا وتزلاً لإلهي ما أطفئك
بي مع عظيم جيلي حيث جهلت لطفك الخفي وطلبت لطفك الجلي ولوعاملنا الحق تعالى بمقتضى جهلنا لنزع لطفه الخفي عنا
وتركنا مع مرادنا ولكنه سبحانه حلیم فلم يعاملنا بمقتضى جهلنا فلفظ بنا مع عظيم جهلنا ولذلك تعجب الشيخ من شدة
لطف الله به مع عظيم جهله وهذا كما قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه إذا سألت الله العافية فاطلبها من حيث

على رجل صاحب البصر فأوجبه فانه يقوم اليه حتى إذا وجده أحمى كف عنه وعذره ولم يبق في قلبه حرج عليه وربما أخذ
بيده ودله على الطريق (وقد سأل) رجل إبراهيم بن آدم عن عمران فله على المغفرة فضر به حتى شجعه فلما قيل له هذا إبراهيم
ابن آدم فجعل الرجل يقبل يده ورجله ويقول له اعذرنى فاقى لا أعزئك فقال له إبراهيم والله ما رفعت يديك من ضربي
إلا وأنا أسأل لك المغفرة ثم دعاهم إلى كتاب الله ليحكم بينهم فقال

أليس قد جملت القول على الذى جاء به التزيل

(قلت) جبل على الشيء طبع عليه وألفه ولا شك أن القول مجبولة على تصديق ما جاء به القرآن وهو قد جاء بالحقيقة
والشرعة إلا أن التشريع فيه كثير وذكر الحقيقة قليل لأن أهلها قليلون وإذا تأملت في القرآن وجدته يشرع ثم يحقق
يقول سبحانه افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا حتى يظن الجاهل أن الأمر بيد الخلق ثم يقول ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء الله
ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ولو شاء ربك لجلل الناس أمة واحقولا ليزالون مختلفين وما تشارون إلا أن يشاء الله فقوم
وقفوا مع ظاهر الشريعة فحبوا عن الحقيقة وهم أهل الحجاب وقوم نفذوا إلى شهود الحقيقة وأنكروا الحكمه وهم أهل
الجذب وقوم جمعوا بينهما وهم أهل الكمال فعل الحقيقة هو علم الباطن وهو علم العالم الروحاني وعلم عالم المعاني الذى ينكره
المنكر وليس ثم شيء غير هذا ثبت أن القرآن ورد بما أنكروا فقامت الحجة وتيتت المحجة وباقه التوفيق ثم ضرب مثلاً
للحقيقة والشرعة في الحس فقال :

هل ظاهر الشرع مع الحقيقة إلا كاهل الفرع في الحدية

(قلت) الشرعة عمل الجوارح والحقيقة معرفة البواطن فالشرعة ان تعبدوا الحقيقة ان تشبهوا فالشرعة من وظائف

العلم أنها لك عافية وقال أيضاً في مرضه حين قال له إنسان أسأل الله لك العافية قال له ما أنا فيه هو العافية وقد سأل العافية أبو بكر رضي الله عنه فمات مسموماً وسألهما عمر رضي الله عنه فمات مطعونا وسألهما عثمان رضي الله عنه فمات مذبوحاً وسألهما علي رضي الله عنه فمات مقتولاً له قال العافية والطف هو الرضى والتسليم وسكون القلب عند مجارى الأقدار والرحمة هي اللطف والمحبة والتقريب فالخلق تعالى يريد أن يقرب عبده إليه ويطوى مسافة البعد بينه وبينه بما يسلط عليه من إذابة الخلق والفقر والأمراض وغير ذلك مما يؤلم النفس ثم إن العبد يفر منها ويسأل الله أن يعيده منها لأجل جهله وقبح فعله ولذلك ورد في بعض الأخبار يقول الله تعالى يا عبدي كيف أرحمك بدفع ما به أرحمك أو كما قال وهذا معنى قوله إلهي ما أرحمك في مع قبيح فعلى وهو هروى عما به رحمتى ويحتمل أن يريد بقبيح الفعل الذنوب والمعاصى فانها توجب الموت والبعد فلو علمنا بمقتضى فعلنا للندم لأذاقنا من بأسه الأليم لكن رحمة الرحمن الرحيم غلبت عذابه الأليم (أوحى الله) تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام يا موسى غطب المذنبين بالطفف واللين وادعهم إلى بالقول الجميل ورضهم في النعم المقيم ولا تلتظ عليهم فلو شئت أن أعجل عقوبتهم لما أمهلهم طريقة عين وأعلمهم أنه من تاب إلى قبلته ومن تمادى أهلته ومن عصانى عذبتة يا موسى من ذا الذى قصدنى صادقاً غيبتة أو لجأ إلى فأسلتة أو سألنى فتمتة أو رجعت إلى فطرده أو تاب إلى وما قبلته أو تضرعت الى وما رحمتة أو لما أنزل الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال سيدنا على كرم الله وجهه ما معناه يا رسول الله قال يا على من أخذه الله بذنبة في الدنيا فهو أكرم من أن يعذبه عليه في الآخرة ومن عفا عنه في الدنيا فهو أعز من أن يعاقبه في الآخرة ومن ستره في الدنيا فهو أجل من أن يفضحه في الآخرة قال على فكانت عندى خيراً من الدنيا وما فيها وأنشدوا :

البشرية والحقيقة من وظائف الروحانية الشريعة قوت البشرية والحقيقة قوت الروحانية وما نقص من أحدهما يزداد الآخر فافهم ومما مثل الشريعة الظاهرة مع الحقيقة الباطنة إلا كالأصل شجرة في بستان وهو الحقيقة فأصل الشجرة المغرور في الأرض مثل الحقيقة والفرع الظاهر على وجه الأرض مثل الشريعة فلا قيام للشريعة إلا بالحقيقة ولا ظهور للحقيقة إلا بالشريعة فمن نظر إلى الباطن ووجد الله وجد كل شيء قائماً بالله ولا فاعل سواه ومن نظر إلى العبد وجد له اختياراً في الخلق يقوم إذا شاء ويجلس إذا شاء ويفعل ويرك باختياره في الظاهر وعلى هذا وقع التكليف وهو الشريعة ويسمى الكسب عند المتكلمين فالتحقيق أن العبد مجبور لكن في قالب الاختيار فمن نظر للجبر الباطنى سماه حقيقة ومن نظر لقالب الاختيار سماه شريعة (أو نقول) من نظر لعالم القدرة وجد الحقيقة محضة ومن نظر لعالم الحكمة وجد الشريعة محضة فالواجب على الإنسان أن تكون له عياناً أحدهما تنظر لعالم القدرة فيوجد الله والآخرة تنظر لعالم الحكمة فيتأدب مع الله وليس اسمه القادر بأولى من اسمه الحكيم فمن أهمل أحدهما سقط من عين الله فمن تحقق ولم يتشرع فقد تزدق لا بطلاله الحكمة ومن تشرع ولم يتحقق فقد فسق لقصور نظره عن شهود القدرة فلا يحل من شرك خفى ولا غلام بكفر لأنه يقر بوجود القدرة لكنه لم يعمل بما علم فهو كعالم غير عامل والله تعالى أعلم (تنبيه) قد يبلغ الولي إلى مقام في الوصول يقال له افضل ما شئت فقد غفرت لك ومعنى ذلك أن الله تعالى يتولاه ويأخذه عن نفسه وينظى وصفه بوصفه وفته بنتمه يكون عفوفاً من شهود نفسه فيكون فعله كله بالله (وفي القوت) في كتاب الحجة إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب (وفي البخارى) وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال افضوا ما شئتم فقد غفرت لكم (وفي) كتاب القصد للشاذلى يبلغ الولي مبلغاً يقال

سبحان من أبدع الأشياء وقدرها . ومن يجدد على العاصي ويستره
بمخفى القبيح ويبدى كل صالحة . ويغفر العبد إحساناً وبشكره

ولما كان اللطف يقتضى التهذيب والرحمة تقتضى التقريب تعجب الشيخ من شدة قرب الحق العبد مع شدة بعد العبد عنه فقال فى المناجاة التاسعة (إلهى ما أقربك منى وما أبعدنى عنك وما أراؤك فى فما الذى يحجبنى عنك) قلت قرب الحق من العبد قرب رحمة واجتباء وتقريب واصطفاء هذا فى حق الخواص وفى حق العوام هو قرب إحاطة وقدرة وعلم ومشية وتصريف وقهرية والمراد هنا هو الأول فإن بعد العبد من ربه انما هو بسوء أدبه وإلا فالخلق تعالى قريب من كل شىء محيط بكل شىء ليس شىء أقرب إليه من شىء ولا شىء أبعد إليه من شىء. وما بعد العبد من ربه إلا وهمه وسوء فعله ولذلك قال الشيخ تواضعاً وأدباً إلهى ما أقربك منى بلطفك ورأفك وعلبك وإحاطتك وما أبعدنى عنك بومى وسوء أدبى أو ما أقربك منى بأوصاف الربوبية وما أبعدنى عنك بأوصاف العبودية فأوصاف الربوبية رفعة القدر عظيمة الشأن وأوصاف العبودية خساسة القدر دينية المقدار فلا مناسبة بينهما فى القدر مع تلازمها فى المحل بتحقيق الوحدة فهما متلازمان فى القيام متضادان فى الأحكام والرأفة شدة الرحمة والعطف وذلك يقتضى شدة التقرب والوصال وينتج وجود السوية والانفصال وهو الحجاب ولذلك تعجب الشيخ من وجود الحجاب بينه وبين مولاه مع شدة رحمته له وحباؤه إذ من تعطف عليك وآواك لا يمكن أن تلتفت عنه إلى سواه وفى الحكمة مكتوب يا عبدى قد أسجدت لك الكون بما فيه من الملك وأملأك والمملوك وأملأك فأنت أنا بما أيدتك وأنا أنت بما قلدتك فش للأيد فقامك لا يراحمك فيه أحد يا عبدى خرت لك الحجاب وفتحت لك الباب وأظهرت لك الأمر العجيب فأبلغ قورك الباب وقلو اسأحر أو كذاب فأنادى وهبك الأخلق

له أحبك السلامه وأسقطنا عنك الملامة افضل ما شئت اه وليس هذا قولاً بإسقاط التكليف فادامت البشرية موجودة فلا بد من التكليف فاذا انهدمت البشرية وتخطت الروحانية إلى مولاهما سقط حينئذ التكليف فافهم (قال) فى نواذر الأصول من حظه من أهل التقريب الجلال والجمال وقد أقيم فى الهيبة والآنس قد غلب عن العقوبة ولكنه يخاف التحويل والهموى والسقوط لما ركب فى نفوس بنى آدم من الشهوات فهى أبداً تهوى بصاحبها إلى الإخلاد والبطم وانما يسكن خوف التحويل إذا خلص إلى الفردانية وتحقق بالروحانية لتلاشى الهموى منه والشهوة بكشف النطاء ولا يذهب خرف ذلك وان سكن لبقاء خيال ذلك فى حق غير الأنبياء أما الأنبياء فلم يبق لهم ظل الهموى ففسروا بالنجاة فلم تضربهم البشرية لانهم لم يبق لهم نفوس ففسرت وتحرر إذا أمت السقوط ومن بعدهم بقى لهم فى نفوسهم شىء فنعموا البشرية وأبهم عليهم الامر صنعاً لم لتكون نفوسهم متقدمة بخوف الزوال هذا هو الأصل فافهمه هذا بعد أن قرر أن الشوق وخوف الفلق من حبه لا يذهب على المجنوب المحدث وإن كان بينه وبين مولاه من الاسرار ما يسكن عنه خوف التحويل وانما يتوهم ذلك من وقف فى الجلال والجمال فسكن شوقه بلذة ما نال من القرية فانظره اه ثم ضرب مثلاً آخر فقال

والشرع جار وصحيح العقل كحذوك النعل معاً بالنعل

(قلت) حاصل كلامه أن ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة كطريق النعل على النعل بحيث لا يفوت أحدهما على الآخر كذلك الحقيقة الباطنة مع الشريعة الظاهرة متلازمان لا تفوت إحداها الأخرى فإظهر على العبد من عمل الشريعة قائما هو مدد الحقيقة قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) وقال تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله

فدعهم يقولون ان هذا إلا اختلاق ياعبدى قد جعلتك تقول للشيء كن فيكون وما عليك ان قالوا ساحر أو مجنون أنت تشرب من رحيق الكوثر وهم يقولون ان هذا إلا سحر يؤثر عرجت بسرك إلى السماء وعلمتك خصائص الاسماء فأنت أمين خزان التحقيق الدال لمجمع الخلق على الطريق ياعبدى من طعن في الوزير وسفه أمره قد رد أمر الأمير وجعل قدره من أطاع الرسول فقد أطاع الله اه فاته تعالى بجوده وفضله إذا اصطفي عبدا من عباده قرب به فضله واجتباة لحضرة قدسه وصفاه من كثافت طبعه وحى شخصه من دعوات نفسه فيصير من أهل قربه قد ارتفع الحجاب عن عين قلبه فزجت روحه في بحار الاحدية وغلب سره في سيجات الالهية فان كان عن أريد الاقتداء به رد إلى شهود سر وجوده وقد كحلت عين قلبه بسر الحقيقة وكسبت ذات وجودا معارفا عليها وهو وجود الحق المفاض على جميع الممكنات فبرى ذاته للتوهم كسراب بقية يحسب الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده هناك بصير العبد بالله والله أمره بأمر الله حيث لم يبق فيه شائبة لسواه ولا شيء يحجب عن الله فهذا الذي أحبه مولا واصطفاه لحضرة قدسه واجتباة لمناجاته وأنه فكان معه بصير موناصره وحافظه في منقلبه ومثواه هناك بصير عارفا به في كل حال وخصوصا عند اختلاف الأحوال كما أشار إلى ذلك في المناجاة العاشرة فقال (إلهي قد علمت باختلاف الآثار وتقلات الأطوار أن مرادك مني أن تعرف إلى كل شيء حتى لا أجهلك في شيء) قلت إنما اختلفت آثار القدرة لتعرف عظمة القادر واختلافها يكون في الأجسام كالعويات والسفليات والمجادات والملمات والنورانيات والظلمات والناريات وكاختلافها في الحيوانات كاجناس بني آدم والانعام والبهائم والطيور والسياح والوحوش والحشرات وباختلافها في الأراض كالنبات والسواحل والحر والبر والصفرة والزرقة والشهوية وغير ذلك من الألوان لتعرف من ذلك سعة قدر تموعله وعظمة ذاته المقدسة وإنما تقلات أطوارها

(أو تقول) ما ظهر على العبد من عمل الحكمة فإنما هو من فعل القدرة فالقدرة باطنة والحكمة ظاهرة (وسأذكر) لك شيئا من بحر القدرة وشيئا من بحر الحكمة ليظهر لك الفرق بينهما مع اتحادهما معلا (فقول) وبالله التوفيق بحر القدرة بحر زاخر وأمره قاهر ليس له أول ولا آخر، يظهر ويطن، ويحرك ويسكن، ويقبض ويدفع، ويعطي ويمنع، ويخفض ويرفع بيده مقادير الأمور، وعلى قطبه دائرة الأفلاك تدور، وتطير إليه قلوب المشتاقين، وتوم في طرف لجته أرواح السائرين وتخوض في وسط لججه أسرار الواصلين، ولا تعرف كنه عظمته قلوب العارفين، غاية متهاها الدهش والخيرة ثم العكوف في الحضرة.

(وأما) بحر الحكمة فهو أيضاً بحر زاخر وأمره ظاهر، يظهر الأسباب، ويسدل الحجاب، يربط الأحكام بالعلل ويقرر الشرائع والمثل، يعطى ما يبرز من عصر القدرة بردائه، ويستمر ما يبدو من أسرار الربوبية بمن كبرياته، ينور الطريقة، ويصون الحقيقة، يظهر البودية، ويطن الحرية، من وقف معه كان محجوباً، ومن نقضه إلى بحر القدرة كان واصلاً مجنوباً، ومن نظر إليها معاً كان محجوباً، وبالمنابة مصحوباً (واعلم) أن القدرة والحكمة كل واحدة تنادي على صاحبها بلسان حالها أما القدرة فتقول للحكمة أنت تحت قهرى ومشيقتى لا تقبل إلا ما نشاء ولا يصدر منك إلا ما أريد فان أردت خلافى رد ذلك وإن سبقتني أدر كنتك (وتقول) الحكمة للقدرة أنت تحت حكمتى وعند امرى ونهى فان عصيتي أدبتك ورمقائك ثم إن اتفق فعلهما كان ذلك الفعل طاعة وحقيقة نورانية وإن اختلف فعلهما بأن أظهرت القدرة خلاف ما زيد الحكمة كان معصية وهى حقيقة ظلمانية تبين ان الحقيقة لا تافق الشريعة إذ لا قيام لها إلا بها والشريعة لا تخرج عن الحقيقة لأنها سترها ورداء صورها (فان قلت) ظهور المعاصي والذنوب حقيقة بلا شريعة فإن التلازم الذي ذكرت

من شباب وكهولة وشيخوخة ومن مرض وصحة وقمر وغنى وعز وذل وسلب ورد ومنع وعطاء وقبض وبسط وجلال وجمال وحياة وموت إلى غير ذلك لتعرفه تعالى في كل حالة من هذه الأطوار وعند اختلاف أجناس هذه الآثار حتى لا يجهله في شيء منها فإن الحق تعالى قد تعرف لعباده في أجناس مصنوعاته وفي اختلاف أحوال قدرته جهله من جهله وعرفه من عرفه فلا يسمى الإنسان عارفاً حتى يعرف الله في الأشياء كلها مع اختلاف آثارها وتنقلات أطوارها فيعرفه في الدل كما يعرفه في العز ويعرفه في السلب كما يعرفه في العطاء ويعرفه في المرض كما يعرفه في الصحة ويعرفه في الجلال كما يعرفه في الجمال إلى غير ذلك مما تقدم وتلون مع كل لون ويتطور مع كل طور فالعارف هو الذي يتطور بجميع الأطوار ليقتضى جميع الأطوار والتلون مع الأشياء هو الأدب معها والخضوع مع الحق فيها وأما من كان يعرف في الجمال دون الجلال وفي العطاء دون المنع وفي العز دون الدل وفي الصحة دون المرض أو في العافية دون المحنة أو في الفنى دون الفاقة أو في الرخاء دون الشدة فإنه كذاب وانظر إلى قول القائل : حبيبي ومحبري على كل حالة . وما أنجح الإنسان يدعى الخصوصية والمعرفة ونفى السرى فإذا تعرف له الحق تعالى باسمه الجليل أنكروه وهرب منه وهذه عادة الله تعالى في عباده كل من ادعى خصوصية أو قوة اختبره في الحين ليستل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً فيفتضح المدعون ويثبت الصادقون وقد ذاق الشيخ رضى الله عنه هذا المعنى بعد أن كان يعرف في البعض وينكر في البعض فلما تحقق علم أن اختلاف الآثار وتنقلات الأطوار إنما سرها ليعرف الحق بها فقال إلهي قد علمت أى تيقنت باختلاف الآثار أى آثار القدرة وتنقلات الأطوار أى الاعراض والأحوال أن مرادك مني أن تعرف إلى في كل شيء من اختلافات أجناس القدرة وتنقلات أطوارها حتى لا أجهلك في شيء منها في التنوير كل حالة زائلة لا محالة لأن مراد الحق أن ينقل

(قلت) النهى عن فعلها وتسميتها معاصي هو من جهة الشريعة فلو لا الشريعة ما سميت معاصي وانظر ما قاله صاحب العينية فإن كنت في حكم الشريعة عاصياً فإني في حكم الحقيقة طامع
فلو لا الشريعة لم تميز الطاعة من المعصية فالشريعة صادقة بالواجبات والمباحات والمحرمات فبها صدر شيء من هذه الثلاثة فهو شريعة ثبتت التلازم وهو معنى قول الناظم والشرع جارٍ وصحيح العقل الخ وهو على حذف مضاف أى ومذكر صحيح العقل والمراد بالعقل عقل التخصيص المتقدم الذى اختص به الأنبياء وينتهى إليه عقل الأولياء لأنه هو الذى يدرك علم التحقيق لا مطلق العقل كما تقدم ويحتمل أن يريد الناظم إن ما أتى به الشرع كله موافق لإدراك العقول كما قال البوصيرى رضى الله عنه :

لم يمتحن بما تعيا العقول به حرصاً علينا فلم ترتب ولم نهم

فسائل الشريعة كلها موافقة لما يقتضيه العقل فاحرم الله تعالى شيئاً إلا لحكمة وهى ما فيها من البعد عن الله وما أوجب شيئاً إلا لحكمة وهى كونه يقرب إلى الله ومسائل الفقه كلها لحكمة فيها ما أدركه الناس ومنها ما لم يدركوه ويقولون فيه أنه تعبد لكن هذا الاحتمال وإن كان ظاهر الناظم ليس فيه رد على المنكر لإثبات علم الحقيقة لأن هذا الأمر يثبت أهل الظاهر ويقررونه وسياق الكلام إنما هو في الرد على أهل الحقائق فأنمله والله تعالى أعلم (ثم ضرب) أيضاً مثلاً للشريعة الظاهرة مع الحقيقة الباطنة باليوافق التى تكون في البحر فقال :

ما مثل المعقول والمنقول الا كد زاهر مجهول
حتى إذا أخرجه النواص لم يكن للدر إذن خلاص

عنده في الأطوار ويتخالف عليه الآثار حتى يتعرف إليه في كل حالة خاصة بتعرف خاص ومن أراد حالة واحدة لم يرد الكمال له فآله تعالى إنما أراد من عباده معرفته قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) قال ابن عباس أي ليعرفون ومعرفته إنما تكون بتخالف الآثار وتنقلات الأطوار وذكر غيره في تفسير قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) أن إحدى الجنتين معرفة الله وهي جنة المعارف والأخرى جنة الخلف ومن دخل المعارف لم يشق إلى شيء سواها وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم ينزقوا أطيب شيء فيها قيل وما ذاك قال معرفة الله تعالى وقيل أنه وجد خسر مكتوب بقلم القدرة من أحسن كل شيء ولم يعرف الله لم يحسن شيئاً حتى يعرف الله فإذا عرف الله فقد أحسن كل شيء ولم يغب عنه شيء أه ويكنى من عرف الله الراحة من كد الرزق وتعب الحرص وتشوش البال منه وتعلق الهم به فانه لم يؤت أكثر الخلق إلا من الاهتمام به ولو وقع العبد لاستغنى الفنى الذى لا مقر بعده والتوكل على الذى لا يموت هو الفنى الأكبر الذى لا يلحقه فقر أبداً قال الفضيل رضى الله عنه لا ينبغي للعبد أن يثق بعافية ولا بقى ولا بحالة تسره غير الله بينا العبد معافى تراه مبتلى وبيننا العبد غنياً تراه فقيراً وبيننا العبد ضاحكاً تراه باكياً وبيننا العبد مسروراً تراه حزيناً وبيننا العبد حياً وإذا به ميت تمنى من وثق بغير الله أو ركن لشيء سوى الله انتهى .

هـ (حكى) أن رجلاً ضاق حاله من أجل المعيشة وطال به الكد والتعب فخرج دائماً على وجهه ودخل الصحراء فوجد قصرأ دارساً خرباً قد كشف عنه الريح الرمل وإذا بكوخ من الرخلم في حائط ذلك القصر وفيه مكتوب هذه الحكمة

لما رأيتك جالساً مستقبلاً أبقتك أنك للهموم قرين
مالاً يقدر لا يكون بحيلة أبداً وما هو كائن سيكون

وإنما خلاصه في الكشف عن النطاء حيث لا يستخفى
فالمصنف الظاهر ثم الدر معقوله والجهل ذلك البحر

(قلت) المراد بالمعقول هنا هو علوم الحقائق العرفانية والأسرار الربانية وتسميتها معقولا مجاز لكنه قدم أن عقل التخصيص الذى هو للنواص يدرك علم الحقيقة فيسمى حينئذ ما أدر كهمعقولا بهذه النسبة وحاصل هذا المثال أن الروحانية التى هى علم الحقائق مثلها كاللذة وهى اليقونة الكبيرة والبشرية التى هى علم العلوم الثقيلة كالصدف لتلك اليقونة والجهل الذى عم الناس وأحاط بهم كالبحر فن دوخه بحر الجهالة لم يلفت إلى در ولا صدف بل غرق في بحر الجهالة وأغلف ومن أيقظ الله من دوخته ونهه من غفلته غاص بفكره يميناً وشمالاً فاستخرج باقوة تسريده مستورة في صدفها لا يظهر منها إلا الصدف وهى نفسه فإذا قنع بالاعتناء بظاهرها ولم يذهب إلى من يخلصها ويكشف له عن باطنها بقى فقيراً على الدوام وإن أراد أن يخلصها بنفسه بقى متعوباً معها على الدوام وربما أفسدها وكذلك ان ذهب بها إلى غير عارف ماهر بتصقيل اليواقيت أفسدها له أيضاً وإن ذهب بها إلى عارف ماهر غواص في البحر عارف بتصقيل اليواقيت كشف له عنها في أقرب ساعة فصار غنياً موسماً عليه بنفق منها كيف يشاء قال تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) قال في الحكم في تفسيره هالينفق ذو سعة من سعته الواصلون إليه ومن قدر عليه رزقه الساترون هذا حاصل كلام الناظم مع ما في حمله عليه من التعسف لكن بهذا الحمل يجرى على نسق ما قبله ويمكن حمله على ظاهره فتكون الالتقاط كالصدف والمعاني كالدر والجهل بذلك كالبحر لكن هذا الأمر لا نزاع فيه بين أهل الظاهر وأهل الباطن والكلام إنما هو في المعاني التى هى ضد المحسوسات وهو الذى

سيكون ما هو كأن في وقته وأخو الجهالة متعب محزون
يجري الحريص ولا ينال بحرصه شيئاً ويعطى عاجز ومبين
فدح المحموم وتر من أثوابها إن كان عندك بالقضاء يقين
هون عليك ولكن بربك وإيقاً فأخو الحقيقة شأنه التهور
طرح الأذى عن نفسه في رزقه لما يقين أنه مضمون

ومن نظر إلى سعة كرم الله وبره ثم نظر إلى عجز نفسه وقره طرح أحوال المحموم عن ظهره واكتفى بعلم مولاه ونظر
كما أشار إلى ذلك في المناجاة الحادية عشرة بقوله (إلهي كلما أخرجني لؤي أنطقني كرمك وكلما أياستني أوصافى أطمعتني منك)
قلت المبدأ إذا نظر أوصاف نفسه اللثيمة وأضالها الذميمة استحي من الله أن يرفع إليه حاجة يطلبها وخرس لسانه عن الطلق
بها لأنه يرى من خساسة نفسه لآمتها ما لا تستحق بذلك إلا العقوبة والطرده فإذا نظر إلى سعة كرم الله وجوده وإحسانه
وبره انطلق لسانه بالسؤال وطمع فيها له من سعة العطاء والنوال وقد تقدم قوله إن أردت أن يفتح لك باب الرجاء فانظر
مأمنه إليك وإن أردت أن يفتح لك باب الحزن فانظر ما منك إليه ولا شك أن من نظر نفسه بين الانصاف لم يجد لها
أهلاً لغير العقوبة أما من جهة النغلة والتقصير وأما من قلة الوفا بالشكر والحمد لله لئلا وردت في بعض الأدعية اللهم أفضل بنا ما
أنت له أهل ولا تقبل بنا ما نحن أهله وقال بعض أهل التشديد من العباد لا ينبغي للعبد أن يرى نفسه إلا شبه نجس إن
جلس مع الداعين لم يرم الامنوا الاجابة من سيئه ولو سجد على الحجر لم يرم عمله أهلاً للقبول ولو كانت نفسه في غاية
التزكية لم يرها أهلاً للمدح ولا لثناء ومتى ما تمسح الناس بئسابها تتركها فأنما يرى نفسه كالبركة الزفوفة لبعلمها وهي مقتضاة بفجور

شرحنا به (فقوله) مأمثل المعقول والمنقول هو على حذف مضاف أي عمل المعقول ومحل المنقول (وقوله) الأكندر
زاهر يقرأ بالإضافة لآخر على حذف مضاف أي كندر بحر زاهر (وقوله) مجهول نعت لندرا لآخر (وقوله) لم يكن
للدن الخ معناه أن الدارين يخرجه النواص لم يكن مستخلصاً من صفته وإنما خلاصه بالكشف عنه من عارف به كما تقدم
بحيث يصير ظاهراً لا يستخفى وباقى الكلام ظاهر ثم قال رحمه الله

وإنما المعقول في شكل الحروف كما يكون الدر في جوف الصدوف

(قلت) هذا البيت من تمة ما قبله والمراد بالحروف رسوم البشرية الظاهرة وقد تقدم أن اصطلاح الصوفية يطلقون
الحروف والرسوم والأشكال على صور الأكوان الحسية والمعنى وإنما المعقول الذي هو المعاني اللطيفة في شكل الرسوم
كالدر في الصدوف (أو قول) وإنما المعاني في رسوم الآواني كالقويق في أسدافها فالأولى أصداف والمعاني يواقيت
من وقف مع الحروف والأشكال وقنع بتحسين خطوطها وتزين أشكالها فانه الإطلاع على جواهر العلوم ويواقيت الفهوم
ويبقى جاهلاً مضيقاً عليه في رزاق العلوم ومقتراً عليه في نتائج الفهوم ومن تفذ إلى مافي باطنها من الدرر والجواهر الحسان
كان من الأغنياء أهل الشكر والإحسان ويمتثل أن يريد بالحروف معناها الأصلية وهي الألفاظ الدالة على المعاني والمراد
بالمعقول علم الباطن فانه موجود في القرآن لكنه باطني خارج عن ظاهر ما تؤدبه الحروف (قال) سيدنا على كرم الله وجهه
إن للقرآن ظاهراً وباطناً واحداً ومطلقاً قالوا فالظاهر للتحاقق والباطن للمفسرين وأصحاب المعاني والحد الفقهاء والعلماء
والمطلع لأرباب الكشف والتحقق اه والمطلع بفتح اللام هو محل الإطلاع كان القرآن مشكاة يطلع منها على أسرار غيبه

كلما طافوا بها وعظموا شأنها زاد حزنها من خوف القضيحة (قلت) كل من تحقق زواله عن نفسه وبقاءه بربه فلا حرج عليه في ثنائه ومدحه اذ ليس هو المدوح وانما المدوح من فضله عليك ممنوح وكل من مد يده للتقبل ولم ير ما يد الجليل كان القطع في حقها من القليل ان الذين يابعونك انما يابعون الله ولا تكون يده يد الجليل حتى تتحقق خلاصته في الارض ولا تتحقق الخلافة حتى يستولى على الوجود بأسره من عرشه الى فرشته ويصير في قلبه كحلقة في الارض فاذا صار هكذا كان خليفة الله في أرضه ويده يد الملك فكل من يابسه انما يابح لقيده الله فوق أيديهم والله ذو الفضل العظيم وأنشدوا في مثله :

قد استقام على المنهاج يسلكه ولم يزعج حائدا منه ولا عدلا
من حاله يعبر الدنيا بظاهره وقلبه في أعالي الخلد قد نزا
وأبصر الأمر يجرى في مسالكه من أول النشء حتى شبوا كتهلا
وناطقته البرايا وهي صامته وميز الضد والأرواح والعللا
وأظهر الصورة العليا بصورتها الحسنى ومن قبل كانت ألبست ظلالا

قال بعضهم اشتريت جارية سوداء فلما جن الليل وأردت أن أنام قالت يا مولاي أما تستحي مولايك لا ينام وأنت تام ثم قامت تعلى فانتبهت وهي ساجدة فسمعتها تقول في سجودها بحق حيك لي لا تعذبي فقلت لما غطت قولي بحبي إياك لا تعذبي فلما سلت قالت يا مولاي ما غطت بل أصبت ولولا محبتك لي ما أنامك وأقامني فقلت اذهبي فأنت حرة لوجه الله قالت هذا العتق الأصفر وبقي العتق الأكبر اه وكان بعض الوالدين يقول في بعض مناجاته إلى الله لو أردت إلهاتي ما وقتني لطاعتك ولو أردت فضيحتي ما سترتني عند مخالفتك إلى لولا ذنوبي ما خفت العذاب ولولا كرامتك ما

تمالى وباقه التوفيق (ثم) ضرب مثلا آخر للم الظاهر والباطن فقال :

هل ظاهر الشرع وعلم الباطن الا كجسم فيه روح ساكن

(قلت) ظاهر الشرع هو العلم الظاهر وهو العلم المنقول والعلم الباطن هو العلم الموهب (أو) تقول العلم الظاهر هو علم الحكمة والعلم الباطن هو علم القدرة أو تقول العلم الظاهر هو علم البشرية والعلم الباطن هو علم الروحية (أو) تقول العلم الظاهر هو علم العبودية والعلم الباطن هو علم الربوبية فالاول علم الاوراق والثاني علم الاذواق وعلم الربوبية هو علم الغناء والبقاء والسكر والصحو والجمع وجمع وغير ذلك وهذا العلم لا يؤدي بالمبارقة انما يرمي اليه بالاشارة لانه نوقى لا على (فان قلت) علم الطريقة متعلق بالقلوب وهي باطنية فيكون لا يكون من الباطن (قلنا) لما كان يؤدي بالمبارة والمبارة تظهره وتوضحه صار من قبيل علم الظاهر وهو تصوف أهل الظاهر وأما تصوف أهل الباطن فلا يدرك بالمبارة وقد تقدم قول الشيخ اياك أن قطع أن تحوزه من دفتر او شعر أو ارجوزة وهذا هو علم الباطن عند المحققين (وقال) الشيخ عبد الوارث العلوم ثلاثة ظاهر وباطن وباطن الباطن كما أن الانسان له ظاهر وباطن وباطن الباطن اه لجعل علم الشريعة ظاهرا وعلم الطريقة باطنا وعلم الحقيقة باطن الباطن وهو حسن الا أن الجمهور حصروا العلم في القسمين والأمر قريب (فقال) العلم الظاهر مع العلم الباطن كجسم فيعروح كامن فالجسد لا يقوم بغير روح والروح لا تظهر من غير جسد واذا خلى الجسد من الروح كان ميتا ولا عبرة به ولذلك كان من تشرع ولم يتصوف فقد تفسق لان أعماله أشباح بلا أرواح واذا دخلت الروح من الجسد بعثت ولم يظهر لها وجود ولذلك كان من تحقق ولم يتشرع فقد تزندق لانه تعبير حقيقته برأية بلا كسوة

رجوت الثواب اه ثم فر الشيخ الأوصاف التي أيسه ان نظر اليها من مئة الله ورحمته فقال في المناجاة الثانية عشرة (إلهي من كانت محاسنه مساوي فكيف لاتكون مساويه مساوي ومن كانت حقائمه دتلوى فكيف لاتكون دعلويه دعاوى) قلت محاسن الإنسان لا تغلو من خلل ونقصان ولو لم يكن الا نسبها لنفسه وفله ورؤيتها من قوته وحوله لكان كافياً خلتها ونقصها فتقلب مساوي بعد أن كانت في الصورة محاسن وإذا كانت محاسنه مساوي فكيف لاتكون مساويه مساوي وكذلك حقائق العبد وهي ما تحقق به من المقامات والمنازلات وأذواق العارفين ومواجيد النجيين لا تغلو من شوائب الدعوى ومسارة الهوى لولا مساعة المولى فاذا كانت حقائمه التي تحققها ذاقها لا تغلو من شوائب الدعوى فاذا نسبها لنفسه كانت كلها دعاوى فكيف لاتكون دعلويه الفارعة دعاوى فاذا علم العبد هذا استحي من مولاه أن ينسب لنفسه شيئاً من المحاسن أو يثبت لها نوعاً من الحقائق فربما يفضح على رؤس الخلائق ويكنى المراب وجدان السلامة قال ذو النون رضى الله عنه الحياء من الله يقطع العبارة ويدقق الإشارة وقال السرى السقطى رضى الله عنه الحياء من الله يطرّق القلب فاذا وجد فيه شيئاً من حب الدنيا رحل وقال أبو سليمان الداراذى رضى الله عنه يقول الله تعالى عبدى انك ما استحييت منى أنسى الناس عيوبك وأنسى بقاع الأرض ذنوبك وأخو من أم الكتاب زلناك ولا أناقشك بالحساب يوم القيامة اه وقد فر النبي صلى الله عليه وسلم الحياء فقال الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وتذكر القبر والبلى وتترك أفضل زينة الدنيا فن فعل ذلك فقد استحي من الله حق الحياء اه ووجد رجل قائم في موضع غوف كثير السباع والآفات ودابته حوله ترعى فقيل له انك في موضع غوف فقال انا نستحي أن نخاف غير الله ثم رجع لنومه (وفي الحكمة) مكتوب من استحي من الله وهو مطيع استحي الله منه وهو مذب وسئل الجند عن الحياء ما هو فقال

فيقتل عليها فان كان محقاً وغلبه السكر كان شهيداً وان كان مدعياً كان بعيداً ومن الحضرة طريداً والله بعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل بجاه الحبيب مولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعظم ويجل ثم ذكر أصل النزاع الذى بين أهل الظاهر والباطن فقال لو عمل الناس على الانصاف لم ترين الناس من خلاف (قلت) الانصاف هو الرجوع لقول الغير بعد وضوح دليله أو الاقرار بالحق بلامكابرة فوافق الناس على الانصاف وأقروا بالحق أبناً ظهر من غير مراء ولا جدال لم يبق خلاف بين الناس إذ الطريق واضح والحق لا يخفى والداعي قد أسمع ما التحير بعد هذا إلا من العمى كما قال البلخي لكن طباع النفوس لا ترضى بحط الرؤس ومن كان رئيساً لا يرضى أن يصير مرساً وهذا سبب الخلاف والاختلاف بين الأمم فريق في الجنة وفريق في السعير واتفاق الناس كلهم على الحق خلاف الحكمة قال تعالى (ولو شاورك لجلل الناس أمة واحدة) ولا يزالون محتلفين الا من رحمهم بك ولذلك خلقهم قيل للاختلاف وقيل للرحمة فافقه يرحمنا وأجابه نابر حتمه الخاصصة العامة آمين ثم ان الحق غريب وأهله غريباء في كل زمان قال عليه السلام طوبى للغرباء وإلى هذا أشار بقوله

واعلم رعاك الله من صدق أن الورى حادوا عن التحقيق
إذ جهلوا النفوس والقلوباً وطلبوا ما لم يكن مطلوباً
واشتغلوا بعالم الأبدان فالكل ناء منهم ودان
وأنكروا ما جهلوا وزعموا أن ليس بعد الجسم شيء يفهم

قلت ذكر رحمه الله أن الحق حادوا أى أعرضوا عن طريق التحقيق التي هي علم الحقيقة في عين الشريعة أو علم

شيء يتولد بين رؤية النعماء ورؤية التقصير (وقال) التفضيل علامة الشقاوة خمسة قلة الحياء وقسوة القلب وجود العين والرجبة في الدنيا وطول الأمل اهتم على تقدير سلامة محاسنه من المساوى وتصفية حقائقه من الدعاوى فأمر المشيئة بهم والسابقة والخاتمة غير معلوم أمر مما فلا يدري ما يفعل الله به كما أبان ذلك في المناجاة الثالثة عشرة بقوله (إلهمي حكمتك النافذة ومشيئتك القاهرة لم يتركها الذي حال حالا ولا الذي مقال مقالا) قلت لاشك أن حكم الحق نافذ في خلقه لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يستل عما يفعل وهم يسئلون وهذا هو الذي حرك قلوب العارفين فلم يطمئنا بحال ولم يتمدوا على عمل ولا مقال بل صاروا مضطرين إلى الله في كل حال لأنهم قد غلبوا أن حكم الله نافذ كالحب البصر أو هو أقرب ومشيئته قاهرة لا يصرفها عن انفاذ مرادها صارف ولا ترددها ممة ولي ولا عارف فني لحظة واحدة يقرب البعيد ويبعد القريب ويرفع الوضع ويضع الرفيع ويمزج الدليل ويذل العزيز وينقي الفقير ويفقر الغني ويبسط المقبوض ويقبض المبسوط ويمرض الصحيح ويصح المريض فكيف يصح لعاقل أن يركن إلى حاله ومقامه أو يعتمد على علمه وأعماله أو ينتز ببسط لسانه ومقاله والله تعالى يقول (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تمحرون) قال بعضهم من أين للعبد ثبوت حال أو مقال وهو عين المقال في الحال ذرة جلة جالت على معناها فلا تبلغ متنها فوالله ما بلغ العبد شفعية معناها فآتي له بورتية معناها جوهر قوامت فلاحته وأومضت فتمضت وسكنت فتمكنت فبرزت من قمر بحر النيب فغار منها القدر فأجناها في سواد عينها خيفة أن تال أو تسم أو تعرف فلا كيف لها ولا أين ولا رحيم ولا عين ولا وصل ولا بين ومعنى قوله عين المقال في الحال يعني أن أمر العبد بين الكاف والنون فهو عين قول كن في أسرع حال فالمراد بالمقال هو قول كن فيكون تصرف ذلك الأمر الحال وقوله ذرة جلة الخ الذرة النملة الصغيرة وجلة عظيمة أى الربوبية في عين العبودية وذكر أن سبب أعراضهم عن ذلك أربعة أمور .

(الاول) جهلهم بحال نفوسهم وقلوبهم فلم يدروا هل هي مريضة أو صحيحة وهل هي باقية على أصلها أو تغيرت ومن شر بئى أنكر وجود الطيب ومن يرددها إلى أصلها فيق مريضاً على الدوام والتحق بمرتبة العوام .

(الثاني) انطماس بصيرتهم حتى اشتغلوا بطلب مالم يطلب منهم وفرطوا فيما طلب منهم فاشتغلوا بطلب الرزق المقسوم والحرص على الدنيا وجهها واحتكارها وتركوا ما طلب منهم من حقوق مولايم والتفكر فيما أولام غادوا عن الطريق وأنكروا معالم التحقيق (وفى الخبر) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ما بال أقوام يشرفون للمتقين ويستخفون بالعابدين ويعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعد ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض يسمعون فيما يندرك بغير سعى من القدر المقدور والاجل المكتوب والرزق المقسوم ولا يسمعون فيما لا يدرك إلا بالسمى من الجواهر الموفور والسمى المشكور والتجارة التي لا تبور وقال إبراهيم الخواص العلم كله في كلتين لا تكلف ما كفييت ولا تضع ما استكفييت

(الثالث) اشتغالهم بعالم الاشباح دون التفرج إلى عالم الأرواح فاشتغلوا بخدمة الحس وعلم الحس وعمل الحس وغفلوا عن علم القلوب وعمله وأنكروا ما يدل عليه نصارت خدمتهم حسية وعولمهم حسية رسمية وأعمالهم أبدنية حرفية والحق من وراء ذلك كله وهذا كله بعد عن الوصول إلى التحقيق إلا بسابقة التوفيق فكل من اشتغل بخدمة الحس فهو بعيد في حال قرب منقطع في حال وصوله وهذا معنى قوله فالكل ناه منهم ودان أى فالكل منهم ناه أى بعيد وهو دان أى قريب (وفى) مناجاة الحكم إلهمي ما أقربك منى وما أبعدنى عنك الخ (الرابع) انكارهم لهذا المقام الذى جهلوا وهو علم التحقيق الذى هو الزوال ويسمى العالم الروحاني وزعموا أنه ليس شيء زائد على الأجسام الحسية وهم معذورون في

ذرة صغيرة في الحس عظيمة في المعنى جالت بفكرها في ادراك معناها فلم تبلغ متنها كناية عن عجائب صنعة الباري في أصغر شيء فكيف بالإنسان ولذلك قال فوائده ما بلغ العبد شفعية معناه وشفعية معنى العبد هي بشرية الظاهرة لأنها محل العبودية التي هي شفع باعتبار الربوبية ووترية معناه هي روحانيته لأنها واحدة وقوله جوهرة رامت المراد بالجوهرة هي الروح رامت أي قصدت الظهور فلاحته أي ظهرت في هذا القلب البشري وأومضت أي أشرقت أنوارها على ذلك القلب فعمضت أي استمرت وانحجبت فلم يعلمها الا من وجدها ونفخها وسكنت في قفصها فتمكنت فيه وقوله فبرزت من قعر بحر الغيب يشير الى أصل بروزها من بحر الجبروت فلما برزت الى عالم التكوين عالمة بأسرار الغيب وهي أسرار الملك غار منها القدر وغاف عليها أن تفشي أسرار الملك فأجنتها أي أجنى عليها في سواد عينها لحجبها عن تلك الأسرار خيفة أن تاتل تلك الأسرار أو تظهر أو تعرف فلا كيف للروح ولا مكان ولا رحم لها بل هي ذرة نبتة ولا عين لها تعرف ولا وصل لها بشيء ولا قطع لها عن شيء جل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء واقه أعلم وأنشدوا :

فالكل يطلب نعيم حيث ضل وما يحظى بنعيم سوى فرد بأفراد

مهلا طلك وعد من حيث جئت وسل في الدارين غدا عن ساكن الوادي

عساك تلقى خيراً عالماً بهم ينيك عنهم ولم يلهم بيمعاً

قال بعض الحكماء تالله ما ظفر بسمعي إلا من تاه في أرض التقديس وتزه عن الحسب والتفيس فأصبح جسمه وروحه المعنى ونفسه فرعون فكلامه صمت وصمته كلام ولسان حاله يخاطب جميع الأنام فلو عرضت عليه الشهادة في باب الحجر والموت داخلها على حسن الحتام ترك الشهادة واختار الموت على أكل الحتام عمل على اليقين دون الشك والله

الإنكار اذ لا يعرف البلد الا من وصلها

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصباة إلا من يمانها

وبالله التوفيق وهو الهادي الى سواء الطريق ثم هؤلاء الجهال لم يقنعوا بالإنكار حتى كفروا من قال بشيء من ذلك كما قال :

وكفروا وزندقوا وبدعوا اذا دعاهم الليب الأورع

(قلت) هذا من الحرمان ، وعلامة الخذلان ، اذا دعاهم أحد الى التحقيق قالوا انه زنديق ، واذا خرق عوائد نفسه في دواء قلبه قالوا انه صاحب بدعة وهذا كله حجاب وستر لأوليائه فاذا سمع المريد شيئاً من ذلك فليطب نفساً فذلك عناية به نعم ينبغي أن يحزم نفسه في ستر السر الذي عنده فان أفشى شيئاً من ذلك فسيبف الحلاج فوق رأسه ثم المنكر على الصوفية في أحوالهم وأن كان ذلك من عدم فهمه فقد يندر بجهله لضعف مدركه وضيق عطنه كما قال الحضري رضي الله عنه في كتابه صدور المراتب ونيل المرآب ونفسه بعد كلام (والجاحد) لمن يوحى اليه شيء من هذا الكلام وما يفهمه فهو معذور مسلم له حاله من باب الضعف والتقصير وهو مؤمن بإيمان الخائفين ومن يفهم شيئاً من ذلك فهو لقوة إيمان واتساع دائرة ومشهده مشهد واسع سواء كان مورد نور أو ظلمة بحسب مافي القوايل من الودائع الموضوع على أية صفة كانت انتهى وان كان تعصبا وتركية لنفسه وإرادة الرفع على غيره فهو هالك مشهور وعلامة الأولى الوقوف على حتما يقع به التعبير من غير زيادة ولا تشنيع وعلامة الثاني التشنيع واتساع الدعوى والهرب من مواطن التحقيق ومن رزقه الله التسليم فهو أولى (وقد) سئل الثوري رحمه الله عن ابن العربي الحاتمي فقال الكلام كلام صوفي وتلك أمة قد خلت لها ما كسبت الآية وكذلك قال ابن أبي زرعة في شأنه أيضاً وفي ابن القارض وذكر فيه كلام الناس من المنكرين وغيرهم وقال أن

خير وأبقى يا هذا ما أطيب عيش من دعى فأجاب ما أعر قدر من لازم الباب ما أحسن قدر من أبعد عن الجنان ما أنجس قيمة من له على الغفلات انكباب إذا غلب الطبع فلا تنفع الحيلة ومن سبق له القضاء لم تنفعه الوسيلة فسيحان من يعطى ويمنع ويضر وينفع جذبت الناية سلمان الفارسي من أرض فارس ونودي بلال من بلاد الحبشة وأبو طالب على باب التحقيق وقد حرم التوفيق وقع الحكم ونفذ الأمر وسبقت المشيئة وجف القلم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم اه وكما أن حكمه النافذ يهدم الاعتماد على الأحوال كذلك عدله القاهر يهدم الاعتماد على الأعمال كما أبان ذلك في المناجاة الرابعة عشرة حيث قال (إلهي كم من طاعة بنيتها وحالة شيدتها هدم اعتمادى عليها عدلك بل أقالني منها فضلك) قلت لا ينبغي للعبد أن ينظر إلى شيء من طاعته وإن عظمت ولا أن يستحسن شيئاً من أحواله وإن حسنت فالتأقّد بصير والرقب على الضمائر خير فكم من طاعة تعظم في عين صاحبها كأمثال الجبال لا تساوى عند الله جناح بعوضة وكم من أحوال تصغروا عند صاحبها وهي عند الله مدخولة وقد تقدم قوله لا كبيرة إذا قابلت فضله ولا صغيرة إذا واجهت عدله فن قابله بفضله عادت كباثراً صفائاً ومن واجهه بمعدله رجعت صفائاً كباثراً وذلك قال هنا كم من طاعة بنيتها أي نيتها وكثرتها هدم اعتمادى عليها عدلك أي نظري إلى عدلك فلما نظرت إلى عدلك تلاشت أعمالي واضمحلت أحوالي وكم من حالة شيدتها ورفعتنا فلما نظرت إلى عدلك وشدة مناقشتك انهدمت وتلاشت بل أقالني منها بأن زالت نسبتها عن فضلك وهديتك وتوفيقك فلم تبق لي طاعة ولا حال ورجع ذلك إلى الفاعل المختار الكبير المتعالي قالوا يجب على العبد أن يفسخ من عمله وعمله وحاله ونفسه وروحه وحوله وقوته ويبقى فقيراً بين يدي سيده عبداً علوكا لا يقدر على شيء قال بعضهم والله ما غص في بحر الفناء إلا من باع نفسه من الله إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم

يعترض على الكلام ويتركه التاثل لاحتمال نوبته اه (قلت) وانكار أهل الظاهر على أهل الباطن لعدم فهم مقصودهم ولعدم الوصول إلى مقامهم ولذلك كان التسليم أولى بل هو نصف الولاية والله تعالى أعلم ثم ذكر سبب اعتراضهم عن دعاءهم إلى الله فقال :

كل يرى أن ليس فوق فهمه فهم ولا علم وراءه علمه
محتجاً عن رؤية المراتب عل يسمى عالماً وطالب

(قلت) هذه سنة الله في خلقه قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كل من كان في مقام يرى أنه لا مقام فوق مقامه فان شوق إلى ما وراء ذلك أنكره وحكمة ذلك تمام الحكمة والكلمة التي سبقت له في الأزل فان كان عن سبق له شيء من هذه الخصوصية إذا شوقته تشوق وطلب فيوصله الله إلى ما سبق له بخلاف ما إذا لم يسبق له شيء من ذلك إذا ذكرت له مراتب الرجال أتف وقال كان ذلك فيما مضى خوفاً أن يسقط له جاهه ومرتبته عن عين الناس فباء بالحيلة والافلاس واحتجب عن مراتب الكمال وتخلف عن مقامات الرجال والعباد بالله من مثل ذلك ودعواه أن لا فهم فوق فهمه ولا علم فوق علمه جهل عظيم فان فوق كل ذي علم عليم ومنتهى العلم إلى الله العظيم كما أخبر تعالى في كتابه الحكيم وقال تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا واتساع دائرة العلوم وفتح مخازن الفهم إنما هي منح إلهية ومواهب اختصاصية لا تتال بكسب ولا احتيال وإنما تتال بفضل الكبير المتعال مع حكمة محبة الرجال والله يتخص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وقوله) عل الخ لفة في لعل أي إنما أنكر لعله يسمى عالماً وطالبا للعلم وهذه علامة الرياء أعاذنا الله منها بمنه وكرمه ثم استبعد الناظم أن يصدر مثل هذا عن له عقل كامل فقال

وأمرهم بأن لهم الجنة) كيف يخبر في بحر الحقائق من لم يخلص عليه وعمله من الزيف وصياغة الحق بالحق المحمدى على الساحل يردون من لا يخلص هذا لمن وصل إلى ساحل ذلك البحر فكيف بمن ينكره ولا يصدق به أو يسير إليه منحرفاً دون استقامة كما قيل :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| ليس من بات قريراً عينه | مثل من أصبح قهراً دارساً |
| ليس من أكرم بالوصل كمن | ظل يهذى بلعل وعسى |
| ليس من ألبس أثواب التقي | مثل الذى ألبس ثوباً دنساً |
| ليس من سير به مثل الذى | بات يرعى الحمى ميتشاً |
| ليس من شاهد صحيحاً واضحاً | مثل الذى شاهد ليلاً غملاً |
| ليس من بوى روضات الحمى | مثل الذى أسكن قهراً يابساً |
| ليس من أشبه غصناً يانعاً | مثل من أشبه عوداً يابساً |

ثم إن عدم الاعتماد على العمل لا يقتضى ترك العمل بل يجب على العبد أن يداوم على العمل ولا يتكل عليه فإن لم يقدر على مداومته بالفعل فيالحجة والعزم كما بين ذلك في المناجاة الخامسة عشرة بقوله (إلهي إنك تعلم وإن لم تدم الطاعة مني فعلا جزما فقد دامت محبة وعزما) قلت طاعة العبد لربه يجب أن تكون فعلا ومحبة وعزما في كل لحظة ووقت فإن لم يقدر على ذلك فليعزم على البر والتقوى وينو فعل الخيرات فنية المؤمن خير من عمله أن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤنكم خيراً بما أخذ منكم أى يعطيكم أفضل مما أخذ منكم من مال أو عمل وقال بعضهم الفعل الجزم هو وجود العمل والمحبة

فهات هذا كله قصير بأفنه الحاذق والتحرير

(قلت) التحرير هو الذى يحقق الأمور ويحررها ببنى أن القناعة يعز الناس ومدحهم مع فوات الحظ من الله بمعرفة الحقيقة لا يرضاهم من كان صادقا تحريرا بل لا يرضاهم الجاهل فضلا عن العالم (قال) في الحكم استشرافك أن يعلم الناس بنحوصيتك دليل على عدم صدقك في عبديتك اهـ ثم حرص على النهوض إلى الله تعالى فقال :

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| فمن يرد موارد المواهب | فكيف يرضى هذه النياهب |
| فالعلم ما يلقى إليه حد | بل ظاهر يخفى وخفى يبدو |
| والعلم لو كانت له نهاية | يوقف عندها أو غاية |
| ما كان أذكرى مرسل وأسمى | قيل له قل رب زدنى علماً |
| فمن بما لديك ما حيت | وجنب التعنيف والتعينا |
| والكل قد يعجبه الكلام | فالزم هدى نفسك والسلام |

(قلت) حاصل كلامه أن من أراد أن ينهل من موارد المواهب والأسرار وتشرق عليه شمس الأنوار فلا يرضى لنفسه الانكار على أولياء الله فيحارب بذلك مولاه ولا يصير العلم فيما عنده وينكر أن يكون فوق علمه أو فوق حاله حال أو فوق مقامه مقام فلا يرضى بهذه المذاهب السخيفة إلا ذنواهم الضعيفة فالعلم لا يوجد إليه حديثي إليه بل هو كالشمس والأقار والتجوم لا يزال غاربا وطلعا ومتوسطا مادام النهر فلول المارفين كالشمس وعلوم السائر كالأقار وعلوم عامة

والعزم هو التوجه للعمل وكمن متوجه لم يلحق وكمن مجد لم يسبق لكن في العزم ظهرت الحقائق وبه جاءت الشرائع وليس على العبد إلا التقصد والجهد والعزم وأما نفوذه فقد يقدر وقد لا يقدر والله غالب على أمره والمراد بالعزم التقصد والثنية هي توجه القلب للأمر المطلوب اهـ

واعلم أن متابعة العلم اختيارية ومتابعة الحال اضطرارية فما دام العبد معه بقية اختيار وجب عليه اتباع العلم وهو مقام السلوك فإن غلب الحال وجب اتباعه وهو مقام الجذب ومثل ذلك قضية الصديق حين أتى بماله كله فقال له الرسول عليه السلام ما تركت لأهلك فقال تركت لم ألقه ورسوله ولم يلتفت لقوله صلى الله عليه وسلم في حال التشريع لأن تذر ورثك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ولما غلب الحال على العلم صار الحكم للحال فباله من مقام ما أعز شأنه وأرفع قدره عند المحققين فأنشدوا :

وحاشاكم من قاذح في طريقهم ومطلوهم أسنى المطالب كلها

حجام بتأييد وعز وعصمة فأكرم بأوصاف لم ما أجلها

واعلم أن العازم على الخير فاعل والعازم على الوصول واصل وليس على العبد إلا الاجتهاد فإذا بذل مجهوده وأخلص مقصود فهو والواصل سواء وكان شيخنا يقول من مات وهو في الطريق أدركته الولاية بعد الموت على التحقيق اهـ وقال تعالى (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) وفي الحديث من مات في طريق الحج فهو حجاج ومن مات في طريق الجهاد فهو مجاهد قال تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله ومن مات في طريق الله فهو شهيد) وفي الحديث من مات وهو يطلب العلم أى النافع ليس بينه وبين النبوة إلا درجة واحدة ومن توجه لأمر ولم يدركه فكأنما أدركه ولا بد في مبادئ الأمور من الصبر والتحمل للشاق وقع النفس

أهل الإيمان كالنجوم وهي في الجميع نارة تظهر وتشرق بقوة الواردات ونارة تخفى بضعف الواردات ولا حد للعلوم والمعارف والأسرار فلو كان لها حد انتهى إيمانها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى له (وقل رب زدني علما) وهو سيد المعارف فدل على أن العلم لا نهاية له قال تعالى (وفوق كل ذي علم عليم) واعلم أن جميع العلوم الرسمية كلها يبقى معها الافتقار إلى غيرها أو إلى الزيادة منها إلا علم الشهود إذا تحقق وإطمأن العبد بالله فانه يحصل له الفنى الأكبر ولا يلتفت إلى علم آخر أبدا كمن عنده الفلوس أو الدرهم أو الذهب ثم وجد الأكبر فلا شك أنه يزهده فيها كان عنده ولا يلتفت إليه كذلك المعارف لم تبق له حاجة إلى شيء إلا إلى مولاه قال سيدى عبد الرحمن الفاسى رضى الله عنه كنت أعرف أربعة عشر علما فلما أدركت الحقيقة سرطت ذلك كله ولم يبق لي إلا التفسير والحديث والمنطق اهـ فاذا حصل لك أيها المريد علم المعرفة فمشى بالديك منها ما حيت فبهذه الحياة الطيبة التى لا يعقبها موت أبداً وجنب التنيف والتعنيت فالتعنيف التلطيف في الكلام والتعنيت المنازعة والمغالبة لأن هذه الحال من شأن الجهال فلا تبدى ما يفتح به عليك ولا تسكر ما لا ينتهى إليه عليك ولا تنازع من نازعك فالحقيقة رب يحممها والطريقة نفس تصطفها والزراع لا يجلب إلا الشر في الدنيا والنقص في الدين وكلام القوم يعجب كل سامع له فلا يفرق من الناس استحسانهم له حتى تطالبهم بمقائمه وتطعمهم في سلوكهم عليه فان ذلك يتمبك ويفتح لك باب الدعوى والرعونة والشهوة فازم إصلاح نفسك وهذا هو ما تلقت إلى ماسواها قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) الآية (وقال) الفضيل رضى الله عنه هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وخذ ما تعرف ودع ما تسكر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت شحاطا علوا هو متبعا وإعجاب كل ذي رأى برأيه

عن الهوى والراحة ولذلك سمي الجهاد جهاداً والقاصد يطلب الباب بعد أن كان يطلب سواء السبيل فإذا وصل الباب أتع
له طلب الدخول فإذا دخل أتع له الوصول فإذا وصل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين) وأنشدوا :

من فاته طلب الوصول ونيله منه قتل له ماله
حسب المحب فناءه عما سوى محبوبه وإن حاضره وغيب

ثم إن عزم العبد على الطاعة ليس هو بيده حقيقة لكنه مأمور به شرعاً وهو الذى نبه عليه فى المناجاة السادسة عشرة
يقوله (إلى كيف أعزم وأنت القاهر أم كيف لأعزم وأنت الأمر) قلت بحجة الطاعة والعزم عليها والعمل بها ليس هو
من قدرة العبد وفعله فى الحقيقة وهو مأمور به من جهة الشريعة لتقوم الحجة وتظهر المحبة (قل لله الحجة البالغة فلو شاء
لهذا كم أجيبين) إن الله لا يظلم مثقال ذرة فمن نظر إلى الباطن وجد العبد مجبوراً ومن نظر إلى الظاهر وجده غير معذور
فالواجب على الإنسان وخصوصاً العارف أن ينظر بين الحقيقة لبواطن الأمور فيعذر الخلق لأنهم مجبورون فى قوالب
الختار وينظر بين الشريعة لظواهر الأمور فيفند الحقوق ويقيم الحدود مستراً لسر الربوبية (وإظهاراً لوظائف العبودية
لكن ذلك بلطف ولين قلبه يحسن عليه وظاهره بظلمة عليه كالعبد يؤدب ابن سيده وهذا مضمّن هذه المناجاة أى كيف
أعزم على الطاعة وأعد عليها وأنت القاهر إلى فلا طاقة لى على فعلها وأنت تقهرنى عنها وهذه هى الحقيقة وكيف لأعزم
عليها وأنت الأمر لى بها فإن لم أعزم عليها عذبتى وهذه هى الشريعة فالواجب أن أعزم وتظهر ما تفضل فان وقتنى للعمل
فأنت أهل القوى وأهل المغفرة وإن لم توقى فأت أهل السوء والمعذرة وأنت الفاعل المختار فالأمر أمرك والعبد
عبيدك ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً ولو شاء ربك لهدى الناس قال الشطبي رحمه الله أراد المؤلف أن يدل

فعلبك بخير نصيحة نفسك أم رزق الله العمل به إلى المات فى عافية دائماً وستر جليل آمين (هذا آخر الفصل الرابع) بحول الله
وقوته يتلو الفصل الخامس وبه الحتام ختم الله لنا بالحسن والمعرفة على التمام وحاصل هذا الفصل الإنكار على بعض
الفقراء تشبهاً بالفقر ولبسوا على الناس فأشار إلى الرد عليهم فى هذا الفصل فقال (الفصل الخامس فى قراء العصر
ومتشبهى الوقت) قال الشيخ زروق رضى الله عنه هذا الفصل فى مقابلة الذى قبله إذ ذاك فى الرد على أهل النقص من
للمفقهة وهذا فى ذم المخطئين من المتفجرة وهو من أهم ما يعرفه الصادق فى هذا الزمان ليحكم به على نفسه لا غير ذلك
وذلك لما فى الوقت من الفساد والتخبط لاسياً وقد ورد أن فى صحف إبراهيم عليه السلام على العاقل أن يكون عارفاً
بزمانه ومعرفة الزمان وأهل أمرهم فلا بد من العلم به جملة وتفصيلاً لأن من تعلم العلم نفسه تور ومن تعلم العلم للناس
تخير ومن لاقى الناس بالنية أطلع ومن لا قام بالاعتراض خسر ولكل قوم خثالة وهؤلاء الذين يذكر أوصافهم بعدم
خثالة المتشبهين فارحمهم وعظمهم ونبيهم وذكرهم وحذر الصادقين من فعلهم ثم إن تبادوا فلا تشتغل بهم ولا تغتر إلا حيث
يجب عليك التغيير بحكم الشروع فهو فى كل أمر بين متخف عليه فقد على تغييره من غير أن يؤدى لمنكر آخر أعظم منه أو
مثله وبالله التوفيق انتهى ثم اقتبس بتغيير الطريق الذى كان عليها السلف الصالح فقال

إذا علمت كيف كان الحال والشيخ والتلميذ ثم حاولوا
فاعلم بأن أهل هذا العصر قد شغلوا بمحدثات الأمر
إذا أحدثوا بينهم اصطلاحاً لم أر للدين به صلاحاً

المريدين على مقام الجمع بين الحقيقة والشرعية لأن عزم العبد مطلوب منه شرعية وتنتجته مسلوقة منه في الحقيقة ولا يثبت بينهما إلا من ثبته الله فهذا تعجب الشيخ رحمه الله من تضاد الطالبين لأنه خارج عن مقدور البشر لكن لما كان الإنسان نسخة الوجود وأشرف كل موجود أودع فيه من أسرار حكيمته ما يؤلف بين الضدين ويجمع بين الكفوتين قال تعالى (مرج البحرين يلتقيان بينهما زخ لا يبغیان) فمن أظهر أثر البرزخية على جوارحه عمل أعمال الدنيا والآخرة ومن أظهر أثر البرزخية على قلبه جمع بين أعمال الآخرة ومشاهدة الحضرة أو شروق نورها عليه ومن أظهر أثر البرزخية على روحه جمع بين المشاهدة والمحبة ثم قال واعلم أن الأجسام تموت وتبعث وتنفذ وكذلك النفوس والأرواح فأموات الأجسام فهو عند الخروج من الدنيا وتبدل القصور بالقبور وأما موت النفوس فهي عند الخروج من الحظوظ وتبدلها بالحقوق وأموات الأرواح فهو رجوعها لمعالمها النوراني وصفحة الملك الأعلى على الهاجس النفساني فإذا لم يبق للنفس نظر لإلاهة ولا لروح تعلق إلا بالله وفيه من لم يكن وبقى من لم يزل انجم الغايب بالباطن والباطن بالظاهر وتعينت للمشاهدة من كل وجهة وخوطف من سوى الحق بقوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه ويحتذ حذف التجريد من مقام التفريد لمن الملك اليوم فم يمجبه من عوالم البشرية والصور الأثرية مجيب فيجب نفسه بنفسه لله الواحد القهار اه والمراد منه مختصراً وإعنا أمر الله تعالى بالطاعة والزم عليها لأنها سبب الوصول إليه حسبما جعلها الحق تعالى حكمة وشرعة كما بين ذلك في المناجاة السابعة عشرة بقوله (إلهي تردد في الآثار بوجوب بعد المزارع فاجئني عليك بجمعة توصلي إليك) قلت التردد في الآثار هو التردد بين إثباته وفيه وهي حالة المستشرقين فإذا أثبت مستقلاً كان في حالة البعد وإذا نفاه كان في حالة الجمع فطلب الجمع على الدوام بحيث لا يبقى له تردد في نفيه وإثباته بالله وهو مقام البقاء فاثبات الأثر بالنفس على الدوام هو بعد على الدوام

وصنفوا بينهم أحكاماً أكثرها كانت لهم حراماً
واتهجموا منها على منكوسة ولرنكبوا طريقة منكوسة

(قلت) لما أخبر في كتابه ما كان حال الصوفية المحققين وما كان حال شيوخ الترية أخبرك هنا أن ذلك قد حال أي تغير ولم يبق على حاله فلا تقتر بمن يدعى حالة مع الله حتى تحبته في حب الدنيا والميل إليها إن أردت أن تصحبه والأفلا عليك حسن الظن بعباد الله ليس فوقه شيء من الخير وسواء الظن بعباد الله ليس فوقه شيء من الشر وماذا علينا إذا اعتقدنا أن الناس كلهم صالحون وأولياء لا واقه لا يزيدنا ذلك الاقرباً من الحق مع المحافظة على رسوم الشريعة.

(وقد) قال الصحابي الجليل سيدي عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خادعنا في الله اتخذنا له (وفا) الحديث المؤمن غر كريم والمنافق خب ثيم والغر بكسر النون هو الذي يعتزل حسن ظنه ويتبعوا الحب بفتح الحاء وكسرهما هو الخداع قاله المنذرى والمؤمن يلتمس المآذير يلتمس سبعين عذراً لآخيه المؤمن سبياً أهل النسبة فالواجب تعظيم الجانب الحرمه لمن انتسب إليه فان كان كاذباً فليبه كذبه وادخل ألف رجل في الرواية أفضل عند الله من اخراج ولى واحدا منها والخلق عيال الله فمن مدح عياله أحبه ومن نقص عياله أبغضه (قال) في النصيحة الكافية وأما الفقراء فيسلم لهم في كل شيء لا يقتضي العلم انكاره قال الشارح مالا يقتضي العلم انكاره على ضربين أحدهما ما يعرفه الناس ويعتقدونه كذلك فهذا لا ينكره أحد على أحد (الثاني) ما يعتقدون قبحه ونقص المتصف به لعارض غلب عليه وهو الذي يحتاج إلى التنبه به والتوصية بترك انكاره كترك الخرف وعجاجة الأسباب فان الناس يتقصون صاحب ذلك ويحملونه على العجز والكسل

وهو مقام أهل الحجاب من العوام ونفيه على العوام هو مقام أهل الجمع من أهل الفناء والجذب ونفيه ثم إثباته بالله هو مقام أهل البقاء قياماً بوظائف الحكمة والقدرة وجمعاً بين الحقيقة والشرعية وهذه المناجاة إنما تليق بأهل الاستشراف ولو أراد الشيخ رضي الله عنه أن ينيه على مناجاة الساترين والواصلين والتمسكين لقال بعد هذه المناجاة التي هي للساترين إلهي تزه في الأنوار يوجب قرب المسار فأجبتك بكرة توصلي إليك وهذه مناجاة الواصلين قبل الرسوخ والتمسكين ثم يقول إلهي تزه في الأسرار يوجب وصل المسار فأجبتك بنظرة تقيمني بين يديك وهذا غاية الجمع وهو تمكن النظرة ودوام شهود الحضرة ولا يذوق هذا إلا من سبقته الخدمة وتداركته عناية الجذبة فأصبح من الفائزين ولحوبه من الواصلين (وقد قيل) إذا أبغض الله عبداً واليأبى بالله طرده عن بابه وشمله عنه بمكابدة رفع حجاب له وليس له طاقة على ذلك ما لم يكن الله في عونه وهو معنى لاحول ولا قوة إلا بالله لكن النعني لا يدرك لفظة الجمع والأعني لا يدرك حب الساحات والبقاع قيل إن بعض المجموعين على الله أراد التستر عن مقامه فكان لا يستل عن شيء الا قال هو قليل له لعلك تعني الله فقط ميتاً ويسمى عندهم جمع الجمع وهو خاص بخواص الخواص وقيل بالأنبياء عليهم السلام وقيل بالرسول وقيل بنينا (محمد) صلى الله عليه وسلم ولا يمكن الوصول إلى هذا إلا برفع الهمة عن الكونين وخلق النعمان من الدارين قال بعضهم عرضت على الدنيا بزخرفها وزينتها فأعرضت عنها فعرضت على الجنان بقصورها وحورها وحلها فأعرضت عنها فقيل لي لو وقفت مع الدنيا لحببتك عن الآخرة ولو الفت إلى الآخرة لحببتك عنا فأرض بنا عما سوانا وقسطك يأتيك من الدنيا والآخرة وقال آخر رأيت رجلاً وضع بحجارة على الماء ومضت بعقلت في نفسي فاز الرجل وأنا لم أصلح للدنيا ولا للآخرة فسمعت هاتفاً يقول لم يصلح للدنيا والآخرة يصلح لنا قال الشطليبي ثم إن التردد في الآثار والنظر

ويتمونه بالطمع والتشوف إلى ما في أيدي الناس وكلبس المرقعات فاتهم يرون أن صاحبه اتخذ شبكة يصطاد به وجعله بالأسوال ومسلماً للاغترار مع أنه قد يكون كذلك وقد لا ، فالسلامة في التسليم فن انتهى لطريق القوم وانتسب إليهم يسلمه حاله في مثل ذلك ثم قال في النصيحة وما وجب انكاهه أنكرك عليهم مع اعتقادك أنهم قال الشارح لأن انتسابهم للجناب الحق مقتض لذلك يعظم المنتسب له ولو كان في نفس الأمر كاذباً قال في العدة لأن وجود انتسابه شاهد بتعظيمه للجناب الذي انتسب إليه في نظره ولذلك ما تعرض أحد قط لمنتسب بأذى إلا أصابه منه ضرر لأن الحق سبحانه يبارك لك جنابه إلا بأمر منه فإذا وقع المنتسب في أمر فيه حق من حقن الله أفيم عليه الحق وحفظت حرمة في نسبه لحديث لا تلذه فإنه يجب الله ورسوله الحديث اه ثم قال وبالجملة فالنسبة لها حق عظيم

رأى الجنون في البيداء كلباً فجر له من الاحسان ذبلاً

فلاموه على ما كان منه وقالوا لم ألت الكلب نبلاً

فقال دعوا للامة إن عيني رأته مسرة في حي لبلاً

ثم قال في النصيحة اذ لا يبعد أن تكون الولي الهفوة والهفوات والزلة والزلات قال الشارح وبفهم من تعبيره بالمفرد المحترم بناء الوحدة وجمع القلة أن وقع ذلك منهم نادراً وذلك لأن الشيطان لا تسليطه على قلوبهم وإنما يطوف بها كالسارق (وقال) في كتاب الانتباه لاسبيل للشيطان إلى دخول قلوب الأولياء التي هي معدن الأسرار ومظهر الأنوار فلا تخوم حولها الأسار والسارق إنما يقضى غرضه من الغافل والنائم وفي مقام الانتباه واليقظة فإذا استشعروا شيئاً من مزاته

إله إنما لأهل الدليل المفتقرين للنظر إليه ليستدلوا به على صانعه وأما أهل الشهود فهم أغنياء عن الأثر لأن ظهور الحق عندهم أظهر من غيره بل لا وجود لغيره أصلاً وإلى هذا أشار في المناجاة الثامنة عشرة بقوله (إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك أليكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك) قلت قد تعجب الشيخ رضي الله عنه ممن يستدل على الله بنوره بعد كمال ظهوره فكيف يفتقر النور بعد ظهوره إلى دليل يدل على وجوده وكيف يحتاج إلى دليل من هو أظهر من كل دليل أم كيف يفتقر إلى دليل من نصب الدليل وقه در القائل :

عجبت لمن يبغي عليك شهادة وأنت الذي أشهدته كل شاهد

وقال الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف أم كيف يعرف بشيء من سبق وجوده كل شيء اهـ

(قلت) فيأجبا كيف تكون الفروع أظهر من الأصول ولولا الأصول لم يكن للفروع حصول أم كيف تكون السواقي والأنهار الجارية من البحار أظهر من تلك البحار ومافاضت أنوار الملكوت إلى أمن محار الجبروت لكن البصيرة العمياء لا ترى الشمس في أفق السماء ومن أين ترى الشمس مقلة عياء قال مريد لشيخه بأستاذ أين الله فقال له أسحقتك الله أتطلب مع العين أين وقال رجل للجنيد رضي الله عنه يا أبا القاسم هل رأيته ربكم حين عبدتموه أم اعتقدتم الوصول إليه بقلوبكم فقال الجنيد رضي الله عنه أيها السائل ما كنا لنجد رباً لآثره وما كنا بالذي تراه أعيننا ففشه وما كنا بالذي نجهله فلا ننزهه فقال له الرجل فكيف رأيته فقال له الكيفية معلومة في حق البشر مجهولة في حق الرب لن تراه إلا بصار في هذه الدار بمشاهدة العيان ولكن تعرفه القلوب بحقائق الإيمان ثم ترقى من المعرفة إلى الرؤية بمشاهدة نور الامتنان

رموه بشبه أدلة التوحيد فانقلب غائباً لما منع حماية الرحمن كما قال الله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) والتعير بالسلطان يدل على الغلبة والله أعلم أي الأغلبة لك عليهم فبان بهذا أنه وإن رام القرب منهم فلا يزال غرضه وإن توصل إلى بعض الوسوسة فحلبها ظاهر القلب لا باطنه الذي هو محل المعرفة بالله ولا يستقر لها أي الوسوسة قرار لبثوت يقظتهم وقوة نور بصائرهم فإذا استشعرها القلب كان كما أخبر الله عنهم بقوله إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فانظر لم ينف عنهم حكم الوسوسة ولكن أثبت لهم اليقظة المضمنة في الأغواء الذي هو الإصرار كما هو وصفه من ذكر من أهل الغفلة في الآية الثالثة اهـ ثم قال في النصيحة أذ الأولياء محفوظون والحفظ يجرى معه الوقوع في العصية أي بخلاف العصمة إلا أنه لا يجرى معه الإصرار ولا يقتدي به في مثلها وقد سئل الجنيد رضي الله عنه أئزني المعارف فقال وكان أمر الله قدراً مقدوراً وقال ابن عطاء الله رحمه الله ليت شعري لو قيل له أتعلق همه المعارف بغير الله لقال لا ولا ينكر على الفقراء لا يحرم مجمع على تحريمه ولا يسلم لهم إلا في له صورة ليأحب لاهن الأفعال انتهى كلام النصيحة وإنما نقلته مع غيره لينزل عليه ما يذكره الناظم من التشجيع على متفكرة وقته فقله إذا علمت الخ أي إذا علمت أحوال الصوفية والشيوخ والعلامدة كيف كانت أحوالهم على ما وصفت لك في كتابي علمت أن أهل مصر خرجوا عن طريقهم واشتغلوا بديع محدثات في أمور الدين فلا تقتديهم ونبهم بالتي هي أحسن أنت قدرت والأفئالك بنفسك ولا فتقد فان البواطن لا يعلم ما فيها إلا الله وليست كل بدعة محرمة فان فيها ما هو واجب وما هو محرم وما هو مكروه وما هو مباح فالبدعة المحرمة هي التي تنقض قاعدة من قواعد الشرع كتحليل حرام أو تحريم حلال وجل أحوال الصوفية كما هي بدع مستحسنة أو مباحة كتعليق السجدة

فهو سبحانه مرءى بالحقائق القدسية منزّه عن الصفات الحديثة مقدس بجماله منوع بكماله متفضل على القلوب بمروءته معروف بعبده منوع بفضله اه فلما سمع الرجل مقالة الجنيد قام وقبل يده وتاب ولازمه حتى ظهر عليه الخير ولزم محبته حتى مات رحمه الله عليهما واعلم أن أهل الدليل يستدلون بالصنعة على الصانع وبالشاهد على الغائب وأهل العيان صار الغيب عندهم شهادة والدليل عين المدلول فالقسم الأول أهل علم اليقين والثاني أهل عين اليقين أو حتى اتقن القسم الأول عوام والثاني خواص أو خواص الخواص قال الشيخ أبو الحسن أهل الدليل والبرهان عموم عند أهل الشهود والعيان قدسوا الحق في ظهوره أن يحتاج إلى دليل يدل عليه فهو معنى قول الشيخ هنا إلهى كيف يستدل عليك بما أى بالكون الذى هو في وجوده مفترق إليك أليكون لغيرك على تقدير وجوده من الظهور ما ليس لك منى غبت عن البصائر والعيان حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك وذلك الدليل لا قيام له إلا بك محال أن يظهر في الوجود غير نورك ومتى بعدت عن الأشياء التى قامت بك أى بقدرتك حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك لا مسافة بينك وبين خلقك ولا قطعة تقطعهم عنك إلا وجود الوم وقاهرة الحجاب أعادنا الله منه بكنهه وكيفية تجوز عليه الغيبة وهو الرقيب القريب كما أبان ذلك في المناجاة التاسعة عشر بقوله (إلهى غميت عين لآرك عليها رقبيا وخسرت صفقة عبد لم تجعل من حبك نصيبا) قلت الظاهر أن هذا اخبار بأن كل عين خلت من مراقبة الحق تعالى فهى عياء وكل صفقة خلت من محبة الله فهى غامرة ويكون العمى في حقها معنويا فكأنها حيث لم ترأب الله تعالى ولم تستح منه عياء لأن الله سبحانه وتعالى يقول (إن الله كان عليكم رقبيا) وقال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا) فمن لم يعتقد هذا فهو كافر ومن اعتقده ولم يستح من الله فهو جاهل أعى البصيرة وحقا قالوا إن الحياة جله من البصر ألا ترى أن الأعمى قليل الحياة فدل أن البصر الذى لم يراقب الله تعالى ولم يستح منه ليس يبصر وإنما هو عمى ويحتمل والقيام لا ذكر جماعة وغير ذلك (وقوله) إذا حدثوا بينهم اصطلاحا الخ ينظر في هذه الاصطلاحات فإن كانت لا تثير شيئا من قواعد الدين فلا اعتراض وإلا فلا يشردهم برقى وقوله وصنفوا الخ أى صنّفوا تصانيف فيما أحدثوا من البدع وأكثروا كانت حراما عند الصوفية وينظر فيها اليرم بميزان الشريعة كما تقدم (وقوله) واتهجروا أى سلكو أماناهج وطرقا منكوسة أى غير مستقيمة وارتكبوا طريقة منكوسة مع طريق الصوفية فطريق الصوفية ترك الدنيا وأهلها وإثارة الزهد والخول فكل من مال للدنيا وأهلها أو مال لحب الشهوة فقد عكس طريقهم وسلك طريقة منكوسة (وفى) بعض الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يجاء يوم القيامة بأقوام معهم من الحسنات أمثال جبال تهامة حتى إذا جرى بهم جعل الله أعمالهم هباء ثم ذفهم في النار قيل يا رسول الله بين لنا هؤلاء حتى نعرفهم قال انهم كانوا يصومون ويصلون وبأخون وهنامن الليل ولكنهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام وفى روايتن الدنيا وثبوا عليه وثبة الأسد على فريسته اه أعادنا الله من التفات ثم قال :

تالله قد كان طريقا قلصدا والآن ما ظنى اليه واردا

(قلت) يريد أن طريق التصوف كان طريقا قاصدا أى متصودا مسلوكا والآن لا تجدد عليه واردا أى سالكا أو كان قاصدا أى متوسطا معتدلا ليس فيه إفراط ولا تفريط ثم جاء قوم أفرطوا وقوم فرطوا وخبر الأمور أوسطها ثم قال فهذه طريقة قد درست وشجر أخصانها قد يبست

(قلت) معنى درست ذهب واضمحلت ودروسها باندراس أهلها وشبهها بالشجر لأنها أصل وفرع ومادة وبس أخصانها يؤدى إلى عدم ثمرتها ولا يكون إلا لما دخل على أصلها من الاختلاف أمان من جهة المريد لعدم صدقه أو من جهة الشيخ لعدم

أن يريد بالعين عين البصيرة قال بعضهم إذا عصيت الله فأعصه بموضع لا يراك فن لم يستحي من نظر الحق وبارز مولاه بأنواع المعاصي فقد عصيت عين بصيرته وسئل بعضهم بم يستعين العبد على حفظه بصره فقال بعلمه بأن رؤية الحق تسبق بصره اه وفي حديث عباد بن العاصم رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان والصفة هي ما يشتري جملة وكفى بها عن حظ العبد وقسمته الأزلية فن كان حظه من الله المقت واليعد صفته غسرة نسئل الله العافية كان بعض السادات يبكي قليل له لم هذا البكاء فقال له ليس بكأى من ذنوبى وعصيانى لأن ذلك من صفة نفسى وإنما بكأى على أن كانت أنسا ما قسمت وحظوظا أجزيت وكان حظى منها البعداء وفى بعض الكتب المنزلة على بعض الأنبياء عليهم السلام يا عبدى أنا لك نجب فنجى عليك كن لى بحافجة الله لعبده تقريه واجتباؤه لحضرة وعية العبد لله طاعته بامتثال أمره واجتباب نهيهِ والاستسلام لقهره فهذه أوائل المحبة وهى كسبية ونهايتها كشف الحجاب وفتح الباب والدخول مع الأحباب وهذه نتيجة الكسبية وإلى هذا المعنى أشارت رابعة العدوية فى شعرها حيث قالت

أحبك حين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عن سواك
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

كأله ثم قال :

كانت ادن موارد شريفة فاستبدلت مذاهبا سخيفة
(قلت) كانت طريق التصوف مشارب ومناهل شريفة من شرب منها شربة النجاسة لا يظلم بعدها أبدا كانت إذا شرب المرید من خمرة شيخه سكر ومحا وفى عن أوصاف المزمومة ونبي بأوصاف محمودة فاستبدلت تلك الطريقة بمذاهب سخيفة أى قبيحة خبيثة يسلكها كل سخيخ خسيس والخبر لا ينقطع إلى أن يأتى أمر الله وقال الله تعالى (مانسوخ من آية أو ناسخا نأت بغير منها أو مثلا) فقال :

قد أسست على صحيح العقل وأسسا الآن بمحض الجهل

(قلت) كانت طريق التصوف مؤسسة على الكتاب والسنة والإلهامات العارفين الذين تنورت عقولهم وانصقلت مرآة قلوبهم فتجلى فيها ما كان حقا وزهق منها ما كان باطلا فكانت طريقة مبنية على التحقيق ثم صارت مؤسسة على الخدس والتخمين وبجرد التقليد بلا ذوق ولا وجدان فأدعاه كل جاهل ولهان بحب الدنيا سكران نسئل الله العصمة مواطن الخلدان فقال :

يدعى الذى يمشى عليها سالك وسالكوها اليوم حزب هالك

(قلت) السالك هو الذى يرى الخلق وتستدل بهم على الحق والمجنوب هو الذى يرى الحق ويستدل به على الخلق والسالك المجنوب هو الذى يرى الخلق بين الجمع لا يمجبه خلق عن حق ولا حق عن خلق وقد تقدم فى محله فكانت طريق القوم يسمى الذى دخل فيها سالكا أى سائرا إلى الله قال الناطق فى زمانه وسالكوها اليوم حزب هالك لما رأى فيهم من الخل ثم قال :

(قلت) كانت طريق التصوف من دخل فيها حيث روحه بمعرفة الله وطابت حياته بذكر الله فاش عيشة طيبة قال

فأشارت رضى الله عنها إلى أن حجة العبد لله على قسمين قسم ناشئ عن شهود الإحسان وقسم ناشئ عن شهود الجمال فأما الأول الذى هو ناشئ عن شهود الإحسان فلا شك أن العبد إذا نظر إلى إحسان الله تعالى وإنعامه عليه بضروب النعم الحسية والمعنوية أحبه لا محالة لأن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها وهذا هو المسمى بحب الهوى أى الميل وهو مكتسب لأن الانسان مغموور بإحسانات الله إليه وهو متمكن من النظر فيها فلا يزال يطالع نعمة بعد نعمة ومنة بعد منة وكل نعمة أعظم من التى قبلها فتعظم محبته لمولاه وبذلك يبلغ قصده ومناه وأما الثانى وهو الناشئ عن نعمة الجمال فإن العبد إذا كشف الحجاب عن قلبه زالت عنه الموانع والتواطع رأى جمال الحق وكأله وأشرق أنوار الحضرة وسناها على قلبه والجمال محبوب بالطبع فاعتقدت المحبة بينه وبين مولاه وإنما خصصت رابعة رضى الله عنها الحب الناشئ عن شهود الجمال بالأهلية دون الأول وإن كان أهلا للجميع لأن هذامنة الله لكسب للعبد فيه والآخر فيه سبب وعمل العبد معلول وقولها فتشغى بكرك عن سواك من باب التعبير بالسبب عن السبب والاصل قمر تشغى بكرك الخ وقولها أيضا فكشفت لك الحجب حتى أدرك من باب التعبير بالسبب عن السبب عكس ما قلبه والاصل فيه ومنتشوه الحجاب حتى رأيتك بعين قلبي وقولها فلا الحمد الخ أخبار منها بأن الحيين معانته وإليه فى الحقيقة لكسب لها فى ذلك وإدراك التفاوت بين ما توتره شربة المحبة الناشئة عن شهود الإحسان وما توتره شربة المحبة الناشئة عن شهود الجمال ونفوت الكمال وأن أثر الثانية أقوى من أثر الأولى بل لا نسبة بينهما ضرورى عند كل ذائق أه قاله الفاسى فى شرح الرائية فقول الشيخ رضى الله عنه لم تجعل له من حبه نصيبا يحتمل أن يكون من إضافة المصدر إلى الفاعل والمفعول والأول بلغ لأن حجة الله لعبده أعظم لأنها أصل حجة العبد لمولاه قال تعالى (يعجبهم) ويعجبه (نه) فن أعطاه الله تعالى من حبه المذكور

تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) فالحياة الطيبة هى التى بالله وقال السرى السقطى من عرف عاش ومن مال إلى الدنيا عاش والاحق يندو ويروح بلاش اه ثم صار عند قوم حرفة ومعيشة يتمتعون بها ويتخذونها شبكة يهادون بها الدنيا والجاه والياد بالله ثم قال :

وكانت تضاهى الكوكب المنيرا والآن أضحت حائطا قصيرا

(قلت) كانت طريق القوم رفعة التدر عالية الشأن تضاهى أى تشابه وتحاكى الكوكب المنير فى الرفعة والاشراق لما يظهر على أهلها من شروق الأنوار وابتهاج الاسرار فكان لا يدخلها ولا يتسبب إليها إلا الاخير من الزهاد والعباد الذين علت منهم وصلح قصدهم ونيهم والآن صار ينسب إليها الاشراق والنجار فتجد فيها هذا قائد وهذا باشا وهذا حرمى وغير ذلك فمنهم من يتخذها حصنا يتحصن بها من عواقب ظلمة يظن ذلك ينفعه بزعمه ومنهم من يتخذها حرفة فصارت كالحائط القصير يتخطاه القوى والضعيف وسبب ذلك عدم سقوطهم على شيخ التزينة إذ لو وجدوه لامرهم بحرق عوائده أنفسهم فيفرون منه لكنهم اتسبوا للاموات ووجدوا راحة نفوسهم فقروا مع عوائدهم فازداد حجابهم والياد بالله ثم قال :

إذ صار لا يعلم منها إلا أكلا ورقصا وغنى وسؤلا

(قلت) الحصر فى قوله لا يعلم منها الخ يقتضى أن الطريق الموجودة فى زمانه ليس فيها علم ولا حال ولا ذوق ولا معرفة ولا شهيد وإنما يعرف منها الاكل والرقص والغناء والسؤال (وقال) الشيخ عبد الوارث لم يبق منها إلا الأكل بلاصيام والرقص دون أحوال والتواجد بلا وجد والخلق لانفسهم هو اعم وسلاطينهم اعم انما كانت طريق القوم مقصودة لتهديب

نصياً فقد حاز ربح الدارين وقاز بقره العين ومن حرمه ذلك فقد خسرت صفته وبان غيبه وخيبته فسل الله متورحمته قال زيد بن أسلم رضى الله عنه أن الله عز وجل يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اصنع ما شئت فقد غفرت لك له من ابن عبادولما كانت نهاية المحبة الغناء في المحبوب ونهاية الغناء البقاء وهو الرجوع إلى الأثر أشار إلى ذلك الشيخ فقال في المناجاة الموفية عشرين (المى أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت عليك منها مصون السر عن النظر إليها مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها انك على كل شيء قدير) قلت الرجوع إلى الآثار هو النزول من عش الحضرة التي هي الإغراق في بحر الوحدة والغيبة عن السوى بالكلية إلى سماء الحقوق وأرض الحظوظ فينزلون إلى سماء الحقوق أدباً مع الربويين قواماً بحقوق العبودية وإلى أرض الحظوظ أدباً مع الحكمة وإظهاراً لوظائف العبودية ومثال الأول وهو النزول إلى سماء الحقوق ما يلزم العبد من العبادات البدنية أو المالية مؤقته أو غير مؤقته ومثال الثاني وهو النزول إلى أرض الحظوظ ما تقتدر إليه البشرية من مأكول ومشرب وملبس ومنكح وغير ذلك من الأمور الحاجية وقد أمر الله تعالى بهما ليميز سر الربوية من سر العبودية أو ليعلم استغناء الربوية باقتدار العبودية فطلب الشيخ رضى الله عنه أن يرده إليها بعد أن كان رحل عنها بهمة بكسوة الأنوار وهي أنوار الشهود فيكون رجوعه إلى الأثر باقياً غائباً عن حظه وهواه وقد كان قبل أن يرحل عنها يتعاطاها بنفسه بعد تمتعه وحظه فلما عرف الحق غلب عن نفسه فاذا رجع إلى الرسم بشريته رجع إليه بالله قد كساه أنوار الشهود عن الالتفات إلى سواد طلب أيضاً أن يكون رجوعه إلى الآثار متلبساً بهداية الاستبصار وهي تحقيق المعرفة في الأشياء التي يتعاطاها كانت عبادات أو عادات فلا يسرق فيها طبع ولا حسن بل يدخل فيها بالله وهن الله وإلى الله ويخرج منها كذلك وهو معنى قوله حتى أرجع إليك منها أي حتى تكون تلك الأشياء هي التي ترد إليك حين تعرفك فيها ونشاهد

القلوب ورياضة النفوس والتخلص من أوصاف البشرية والتخلق بأخلاق الروحانية ومعرفة الشهود والأدب مع المملوك المعبود وقد يوجد فيها ما ذكره الناظم لكنه لم يكن مقصوداً وإنما كان دواء ولعل الناظم تحقق ذلك من فقرامنه بأمارة والا فالتسليم لأهل النسبة أولى كما تقدم ثم قال

وكانت على الانصاف والنصيحة فهي على الاسراف والنصيحة

(قلت) كانت طريق القوم مبنية على الانصاف فكان أربابها ينصفون من أنفسهم ويرجعون إلى الحق ويقولونه من قائله كائناً من كان وكانوا يتناصحون بنصح بعضهم بعضاً وينصح جميع المسلمين كل من يلقيه أرشده وعلى الله دلوه ثم صارت مبنية على الاسراف في الكلام وفي كل شيء ترى أحدهم يتكلف ألف كلمة يقضي فائدة واحدة وصارت فضيحة وإذا نصح أحدهم غف وغضب وجهه وأغلظ في القول حتى يفضح من نصحه وقد قالوا من نصحك وحدك فقد نصحك ومن نصحك مع الناس فقد فضحك والله تعالى أعلم ثم قال

تعرف بالخلق والإينار والآن بالحمد وبالإقرار

(قلت) كانت طريق القوم يعرف أهلها بالأخلاق الحسنة كالحلم والسخا والإينار وهو الإعطاء من الأقرار كما قال الشاعر ليس العطاء من الفضول سماحة حتى تجود وما لديك قليل وكان من أخلاقهم أيضاً التواضع وسلامة الصدور وحسن الخلق مع كل مخلوق ثم تبدلت هذه الأخلاق بالحقن والحد والكبر والبغض والغضب والتلق والشح والبخل والترفع وهو الإيثار فصار المتسبون يغيض بعضهم بعضاً ويحسد بعضهم

عظمتك ونور جبروتك فيها إذ الوجود كله مستمد من بحر جبروتك فالعارف يشرب من كل شيء ويتقوت من كل شيء بأخذ النصيب من كل شيء ولا ينقص من نوره شيء فتحصل أن كسوة الأنوار هي دخوله في العبادات وفي العادات بالله لا بنفسه وهداية الاستبصار هي معرفته في تلك الآثار التي نزل إليها ورجع لها وقوله كما دخلت إليك معنا أنه كان مع الأكوان وهي حاجة له عن شهود المكون فلما عرف فيها كان دخوله على الله منها وهذا كما قال شيخ شيوختنا المجذوب رضي الله عنه :

الخلق نور وأنا رعت فيهم هم الحجب الأكبر والمدخل فيهم
وإذا دخل في الأشياء بالله وشهد فيها أنوار الإله تملأ كان مصون السر عن النظر إليها على أنها كونه مرفوع الهمة عن الاعتماد عليها كانت عبادات أو أسبابا أو عادات لأن العارف غني بالله لا يفتقر إلى شيء سواه ولا يعتمد إلا على مولاه فإنه غني حميد سميع بصير على كل شيء قدير ثم إذا رجع العبد إلى الآثار فلا بد أن يظهر على ظاهره أثر الذل والافتقار تحقيقاً لوظائف العبودية وقياما بأداب الربوبية كما أبان ذلك في المناجاة الواحدة والعشرين بقوله (إلهي هذا ذلي ظاهر بين يدك وهذا حالي لا يخفى عليك منك أطالب الوصول إليك وبك أستدل عليك لا بنورك فاهدي بنورك إليك وأقني بصدق العبودية بين يدك) قالت هذا اعتراف منه رضي الله عنه بنبأه الذل والانكسار وإظهار لشدة الفاقة والاضطرار وانطراح على باب مولاه في إظهار ذله وبث شكواه فلا شك أن الله سبحانه قد كساه حلة العز والافتخار وبهائه بين خلقه بالظهور والاشتهار حتى صار كلامه تتجلى به القلوب والاسماع ويعظم به التأثير والاتفاع وذلك ثمرة من تذلل بين يدي العزيز الحكيم النبي الكريم كما قيل :

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة فكم عزة قد نالها المرء بالذل

بعضاً تمكن حب الجاه والدنيا من قلوبهم نسأل الله السلامة من الجميع ثم قال :

وكانت أجل غطة وخطه والآن فبى بدعة وخطه

(قالت) كانت طريق القوم أجل ما يفتبط أي يفرح بها وينافس فيها لأنها كانت طريق الوصول إلى الفناء الأكبر قال تعافى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) وكانت أجل خطة أي حرفة وأرفع رتبة إذ لا طريق أرفع منها فصارت بعد ذلك بدعة وتخليطاً لقله أهل الصفاء والله التوفيق ثم قال :

كانت على مجرد الصيام والآن في مجرد الطعام

(قلت) كانت طريق التصرف مبنية على تصفية القلوب ورياضة النفوس بحرق عوائدها وتعكيس مألوفاتها فن كان طبعه نعمة الطعام أمره بالصيام ومن كان مولاهم بالكلام أمره بالصمت ومن كان مولاهم بجمع الدنيا أمره بالزهد ومن كان مبتلى بالجاه أمره بالتحول وهكذا وليست طريقهم محصورة في الصيام ولا في غيره بل الشيخ كالطبيب يعامل كل واحد بما فيه دواء نفسه والسلام ثم قال :

وفي السماع كان غلق الباب والآن عند جفن جواب

الجفنة هي القصة الكبيرة والجوابي جمع جوبة وهي حفرة كالصبرج شبت بها القصة الكبيرة (قلت) قد تقدم أن السماع إنما هو رخصة ويشترط فيه الإخوان والزمان والمكان فإذا كان وقت السماع أغلقوا الباب لتلا يدخل معهم من ليس بأهله وتقدم أيضاً أن الأكل ينبغي فيه فتح الباب ليدخل من يحتاج إلى الأكل وفي ذلك الدلالة على الكرم وسماحة النفس وغنى القلب وعدم الشح والحرص وقال الناظم في قراءته أنهم عكسوا الأمر فتحوا الباب عند السماع ليجمعوا عليهم

(وقال آخر)

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل إذا رضى لك المحبوب ضحك لك الوصل
تذلل له تحظى برؤيا جماله ففي وجهه من تهوى الفرائض والنفل

قال ذو التون المصري رضى الله عنه ما أعز الله عبداً بهز هو أعز له من أن يده على ذل نفسه وما أذل الله عبداً بذل هو أذل له من أن يحبه عن ذل نفسه اهـ والخال الذي لا يخفى على مولا هو حال الضعف والافتقار والذل والانكسار وإنما يكون ظهور ذلك الحال بتحقيق المعرفة والوصال وله لك وصله بقولهم أنك أطلب الوصول إليك فلا من غيرك ولا على يد غيرك ولا إلى غيرك بل أنت تولى قبض أرواحنا إلى غيرك يديك ونحول بيننا وبين غيرك وهو معنى قوله وبك أستدل عليك لا بفكرك إذ لا وجود لفكرك منك على التحقيق وقد تقدم قول من قبل له بهم عرفت ربك قال عرفت ربى برى ولولا ربى ما عرفت وقال أحمد بن أبي الحواري رضى الله عنه لا دليل على الله سبحانه وإنما يطلب العلم لأدب الخدمة اهـ وكما لا دليل عليه غيره كذلك لا مادي إليه سواء كما قل فاهدق بنورك إليك أى اهدق بنور التوجه في حالة سيرى إليك وبنور المواجهة بد وصول إليك وأقضى بصديق العبودية بين يديك حتى تحقق بالوصول إليك فترجع إلى رسم العبودية في دين شهود أنوار الربوبية والله ذو الفضل العظيم هناك تفيض العلوم الدنية والأسرار الربانية كما أبان ذلك بقوله في المناجاة الثانية والعشرين (إلمى دلتى من ذلكم الخزون وصنى بر اسمك المصون) قلت العلم الخزون هو العلم الموهوب الذى يفيض على القلوب من حمرة دلائل الغيوب لا ينال بحيلة ولا اكتساب ولا يؤخذ من دفتر ولا كتاب وإنما يعطى من حمرة الكمال مع حكمة صحة الرجال أو بعض الفضل والذوال وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إن من العلم كهيئة البككون لا يملئه إلا الله ما بالله تعالى فإذا غطوا به لا ينسكروه إلا أهل الغرة بالله أهوى أسرار

الناس وأغلقوها عند الطعام حرصاً وشحناً نفوذ بالله من ذلك ثم قال :

وقولنا الشيوخ والأكران هم الذين سلفوا وبانوا
مانوا ولم يتركوا من وارث إذ هؤلاء القوم كالبراغيث

(قلت) قد تقدم أن الأرض لا تخلو من يقوم لله بحجته وراجع ما تقدم لنا عند قوله إن الذى سألت عنه مات (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه وشبه هؤلاء بالبراغيث من وجوه أحدها ما هم عليه من الرقص والتطاير كالبراغيث الثانى ما هم فيه من الإذابة والتفريط لمن جاوره تارة بالغبية وتارة بنبرها الثالث خساسة منهم باعتبار سكنى المواضع المذمومة ولا اشتغال بالأكل دون غيره مع ظهورهم بالضعف والمسكنة انتهى .

(قلت) وقد تقدم ما فى الرقص فى باب السباع محرراً وتعظيم أهل النسبة مطلوب وحسن الظن واجب أو مندوب والتسليم وقاية والاقتياد جنايتاً وأمل ما وقع لابن هارون من القراء حيث نقصه فى باطنه فسلبه من ساعته وقد ما كان عنده من العلوم والأنوار حتى تاب إلى الله وذهب إليه وحصل منه القصص المذكورة فى طبقات الشعرانى وكذلك تصفة الفقيه البلقينى مع بائع الحشيش حيث اعترض عليه بقلبه قد علمه وحاله حتى تاب وأمره أن يجلس معه ويأتى بخبز ولحم حتى كل من اشترى الحشيش أطعمه الفقيه اللحم والخبز وهذا كله وبال الإنكار على أهل النسبة والله تعالى أعلم ثم قال :

فكلما اليوم عليه الناس من مدعين الفقر فيه بأس

(قلت) هذا الكلية لا تسلم لها الصحة فمعضلها هوى الجزئية السالبة وهو بعض ما عليه الناس من الفقر لأسباب به قال

الربوبية التي أخفاها الله عن خلقه ولم يطلع عليها إلا خواص أوليائه فإذا تطقوا إجماع غير أهلها ردوا عليهم ورجعوا بأبصارهم
دماؤهم ومنها الاطلاع على أسرار القدر وعجائب الغيبات ومنها الاطلاع على مفاتيح العلوم وتخزين القهوم فيستخرجون
بنتائج أفكارهم من درر الحكم ويواقيت العلم ما نكل عنه الأسن وتبهر عن حمله العقول قال أبو بكر الراسطي في قوله
تعالى (والراسخون في العلم يقولون) هم الذين رسخت أرواحهم في غيب الغيب وفي سر السر فصرقهم ما عرفهم وخلصوا في
بحار العلوم بالفهم اطلب الزيادة فانكشف لهم من ذعائر خزائن الغيب تحت كل حرف من كتاب الله وآية من كلام الله
عجائب الإدراك ألوهية قطعوا بالحكمة البالغة والالفاظ السابعة أولئك حزب الله أولئك حزب الله أولئك حزب الله
وقال بعض التابعين أسرار الله لا يديها إلا لأمته أوليائه من غير سماع ولا دراسة وكان الشيخ أبو العباس المرسدي
الله عنه يقول شاركنا الفقهاء فيجام فيه ولم يشاركنا فينا نحن فيه وكان أكثر كلامه في العقل الأكبر والاسم الأعظم
وشعبه الأربع ودوائر الأولياء ومقامات الموقنين والاملاك الملقين وعلوم الأسرار وأمداد الأذكار ويوم المقادير
وشأن التدبير وعلم البدء وعلم المشيئة وشأن التبعة ورجال الغيب وعلوم الأفراد وأخبار القيامة وهذا كله من العلم المخزون
وأما المصون الذي طلب فهو صيانة من رؤية الأعيار أو الوقوف مع الأنوار دون معرفة الواحد القهار واسمه المصون
هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وسره هو ظهور تصرفه فيما طالب به والله تعالى أعلم
إذا تحقق المصون من الأعيار دخل القباب في حضرة الأسرار وهي حضرة المقرنين من السالكين والمجنونين كما أبان
ذلك في المناجاة الثالثة والعشرين بقوله (إلهي حقيقي بمقتضى أدل القرب واسالك في مسالك أهل الجذب) قلت
الحقائق جمع حقيقة وهي إدراك معرفة الأشياء على ما هي عليه بالاصالة وحقائق أهل القرب هي علومهم ومعارفهم وأدواقهم

صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله (قال) المحققون من العلماء إن هذه الطائفة
مؤلفة من ثلاث فرق أولياء وعلماء ومجاهدين فزولا الفرق لا تنقطع حتى يأتي أمر الله وكان الناظم لما رأى كثرة
التحليل عظم الأمر (وقال) الشيخ عبد الوارث كل ما هم عليه من محدثات الأمور فيه بأس أي عيب فالباس من غير همزة
هو العيب وبالهمز هو الحديدي انتهى لكن ما قاله في تفسير الباس غير صحيح إذ الباس هو الحزم والشدة بهمز وبغير همز
ذكر العلة فقال :

إذ نقضوا الأصول والأركان وصيره في الوردى مهانا

وهدموا بنيانه المشيدا وصيره محملا ومخدنا

(قلت) نقض الأصول والأركان هو إهمالها والعمل بإحداثها وأصول التصوف خمسة تقوى الله في السر والعلانية
واتباع السنة في الأقوال والأفعال والأعراض عن الخلق في الأقبال والادبار والرضى من الله في القليل والكثير والرجوع
إلى الله في السراء والضراء وهكذا قال الشيخ زروق في بعض تأليفه وقال في شرحه لهذا المحل وأما نقض الأصول
فيأبائ ما ليس منها في عملها كاستبدالهم الزهد بالحرص والورع بالطمع والتقوى بوقعة الرباية أي ما فيدربوا بالأركان
كالأصول مثل الجوع والسهر والصمت وكثرة الأعمال فنقضوا ذلك بوجود البطالة والكسل وجعلهم لكل ما انتبه تأويلا
ووجها يرونه عين الهدى والصراف المستقيم نسل الله العافية وإنما صيره مهانا أي الطريق بما أظهر وأفهم من خلاف الحق
الذي لا يعرف به أحد إلا استخف بطريقه وهذا أمر واضح في هذه الأزمنة حتى لا يكاد أحد من المعترضين في هذه
الأزمنة يعتقد أحدا بل ولا طريقة صحيحة ويحتج لذلك بأن فلانا المستظهر بكذا ظهر منه كذا وفلانا وقع منه كذا وهذا
(٥٦ - إيقاظ ثاني)

وكشفاتهم وأهل القرب المتيقنون سواء كانوا من أهل المراقبة الكاملة أو المشاهدة أو المكاملة فالقرب يتفاوت بتفاوت السيرة والتصفية فيكون أولامراقبة ثم شهود أو وصولاً ثم محو أو إضحا لا ثم بقاؤهم ولا هذا يكون بالمجاهدة والمكابدة وهو مقام أهل الملوك من المحبين ويكون جذباً وعناية وهو مقام أهل الجذب من المحبوبين وقد يكون أولاً بمجاهدة وآخرأ جذباً وعناية وهو أعظم قدراً وأعم ثمناً وأقنع تربية وهو الذي أراد الشيخ رضى الله عنه لأنه طلب أولاً التحقيق بمقتضى أهل القرب وهم أهل القرب حتى أحبههم الله ثم طلب ثانياً سلوك أهل الجذب وهم المحبوبون الذين اجتنبهم الله واختطف أرواحهم من شهود الأغيار إلى شهود الأنوار وقال تعالى (الله يجتبي اليه من يشاء) وهم المحبوبون ويهدي اليه من ينيب وهم المحبون فأراد الشيخ أن يكون جامعاً بين سلوك وجذب وهو أعظم من غيره وقال بعضهم أهل القرب هم أهل الحضرة المستغرقون في الشهود لأن الله تعالى ليس في حقه قرب ولا بعد وإنما ذلك في حق العبد فن رفع الحجاب عن عين قلبه وفاضت عليه أنوار قربه ربه المراقبة للشاهدة والمشاهدة للكاشفة والمكاشفة للعانية والمعانية للسامرة والمحادثة والمكاملة وصار الحق أبداً جليسه وأنيسه فهذا هو التقريب للعبد بعد البعد وخرق جميع الحجب وهذا المقام هو الذى طلب الشيخ أبو الهاء من بقوله وأقرب منى بقدرك قرباً تتحقق به غنى كل حجاب محققته عن إبراهيم خليلك الخ وقال الشيخ أبو العباس المرسي رضى الله عنه أهل المحبة والشوق على قسمين قوم اشتاقت نفوسهم على الغيبة فلا سكن لهم إلا باللقاء وقوم اشتاقت أرواحهم على المحضور والمعانية والشهود فلا سكن لهم إلا بالنفوس في بحر الأسرار وتزول المعاني على قلوبهم وقال أبو يزيد رضى الله عنه قد رجال لو حجهم في الجنة عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار لكنهم على الآرائك ينظرون وقال سمنون ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة لأنهم معه أبداً والنبي صلى الله عليه وسلم

من أولئك فافقه حسب المغيرين والفاحين الباب بأعمالهم وإلا فلننكر كما يستحق الانكار معذور بل ما جور فاعرف ذلك انتهى كلامه (وقوله) وصيرور مخملاً ومخمدأ أى لما هدموا أصوله وضجوا حقوقة صار عند الناس مخملاً لا يعرف ومخمدأ لا يظهر لما أدخلوا فيه من التخليط والله تعالى أعلم ثم تم أوصافه فقال

وتروا القروع والأصولا وجعلوا معلوماً مجهولاً

(قلت) النثر هو الطرح يعنى أنهم لم يأخذوا بأصل ولا فرع ولم يتسكوا من الطريقة بشئ إلا مجرد النسبة فصيروا ما كان معلوماً منها عند أهلها مجهولاً عديم حيث لم يعرفوه (وقال) الشيخ زروق معناه أنهم لم يتأوا في الطريقة بأصل ولا فرع بل عملوا منها بعض وتركوا بعضاً فاشتبهت أمورهم على من ينظر اليهم لأنه يجد من الطريقة شيئاً يدعو له للاعتاد ويجد من مخالفتها أشياء تدعوه للاعتقاد وهو من أعظم المصائب ثم قال

واحتسبوا فيها بشير حسيه وصيروها ضحكة ولعبه

(قلت) الاحتساب الأول من الحساب يعنى أنهم حسبوا من الصوفية من غير حسيه أى نية صادقة (وقال) الشيخ زروق معناه أنهم عدوا منها ليس بقربة واعتقدوا أنه قربة كالرقص ونحوه من توابع السماع والاجتماع وهو عين الضلال انتهى وفيه مثال عند أهل الذوق (وقال) الشيخ عبد الوارث أى نسبوا اليها من غير أن يظهر عليهم شئ من آثارها الدالة على صدق نسبتهم فصيروها بذلك ضحكة ولعبة وأما الطريقة فقلو شرفها وعلو مرتبتها باق ثم قال

وجعلوها للفتى مغرماً وللفقير نية ومغنياً

وسلم قال المرء مع من أحب وسأل جماعة من المشايخ الجندري رضي الله عنه عن المحبة فيبكي وقال كيف أصف عيدا ذاهبا عن نفسه متصلا بذكر ربه قائما بأداء حقوقة ناظرا اليه بين قلبه قد أحرق قلبه نار هيبته وصفا شر به من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فان تكلم فيباهه وإن نطق فن الله وإن تحرك فإمر الله وإن سكن فمع الله وهو باقه وقه ومع الله له فقالوا ما على هذا مزيد باتاج العارفين وهذا الوصف صادق بأهل السلوك والجناب والله تعالى أعلم ولا شك أن من بلغ هذا المقام ورسخت المحبة والمعرفة في قلبه على التمام لم يبق له مع محبوه تديرو ولا اختيار ولا تشوق ولا انظار كما أبان ذلك في المناجاة الرابعة والعشرين بقوله (إلهم اغثنى بتديرك عن تديري وباختيارك عن اختياري وأوقني على مراكر اضطاري) قلت الاستغناء بتدبير الله عن تديير النفس وباختيار الحق عن اختيار العبد إنما يكون بعد الغيبة عن النفس بشهود مدير الأمور والمتصرف فيها وهو الفاعل المختار الواحد القهار لأنه هو المنفرد بالتدبير والاختيار والمشيئة والاقدار وأما قبل الغيبة عنها بمعرفة سيرها فلا يتخلص العبد من كد التدبير وظلمة التكدير ولذلك طلب الشيخ أن يغيبه الله بمعرفته حتى تجتمع همومه وقصوده وإرادته واختياراته في هم واحد وهو شهود محبوه كما قال القائل :

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت مذرائك العين أهواني
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذصرت عولاني
تركك للناس دينام ودينهم شغلا بذرك ياديني ودنيائي

ف قوله اغثنى بتديرك أى بشهود تديرك وشهود تدييره لا يكون إلا بعد معرفته كما تقدم وطلب أيضاً الوقوف على مراكر الاضطار وهو التميز في مقام العبودية في الظاهر على الدوام لأن العارف لا يزول اضطراؤه ويكون مع غير

(قلت) لما لم تكن لهم نية صادقة في طلب مولا لم يصيروا طريقهم مغرا للثني منهم بغرمته وينصفونه أحب أم كره يتسبون له بأذى شيء وياخذون منه كرها ولا يعطيه طوعا وسخاء وصيروها للفقير منهم نية ومعنى أى ينتهب الفقير من الثني ويقتسم ما يأخذ منه وليس قصده شيئا آخر وهذه في غاية خسة الهمة ثم قال :

واقضحوا واصطلحوا لديها فصار ما كان لها عليها

(قلت) لما لم يتحقق لهم من الطريقة الا مجرد النسبة من غير عمل ولا صفة لم تظهر عليهم نتيجة الطريقة فاقتضحوا من ادعى بما ليس فيه فضحته شراهد الامتحان

(وقوله) واقضحوا واصطلحوا أى على سكوت بعضهم عن بعضهم فلا يغير أحد على أحد وهذا سبب الهلاك قال تعالى (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقال بعضهم ما زالت الصوفية بخير ما اختلفوا فاذا اتفقوا فلا خير فيهم وقد قدم تأويله والكلام عليه عند قوله مذاهب الناس على اختلاف ومذهب القوم على ائتلاف (وقال) الشيخ عبد الوارث في تفسيره قوله اصطلحوا أى أسكت عنى أسكت عنك لما روى عن بعض أمتائهم أنه أتى إلى قرم جاهلين فقال لهم أنا جبريل فأناه ذوو العاهات والمرضى فيمسح عليهم ويجدون لذلك راحة فأقبلوا عليه بأنفسهم وأموالهم فسمع به بعض أهل العقول فأتى اليه فقال إني أريد أن أخو بك غلا به فقال له يا هذا ما وجدت عنى من تكذب الا على جبريل فقال ما ضرك بكذبي اذهب أنت إلى قوم آخرين وقل أنا ميكائيل وارتكنى والقوم الجاهلين هذا جزاء الجهلة ولو أنكرك بعضهم على بعض لفر الناس عنهم وتغصت عليهم دينام انتهى ثم قال :

الله قراره باطناً وقد تقدم هذا ومركز الشيء على استقراره الذي يركز فيه وهي هنا استمارة عن تحقق العبودية وهي أن يعرف قدره ولا يتعدى طوره فنخصص من غلبة التدبير والاختيار ووقت على مراكز الاضطراب فقد نمر من ذل نفسه وتظهر من شرك تخمينه وحده كما أبان ذلك في المناجاة الخامسة والعشرين بقوله إلهي (أخرجني من ذل نفسي) وهو ذلنا لغير الله بالجمع والحرص للذين هما بذرة شجرة الذل (وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسي) قلت لعل المراد بالشك هنا خطور خصيم الفرق وهو الخصيم الظلاني أو يريد بالشك خواطر الرزق التي لا تثبت وقال الشيخ ابن عباد رضي الله عنه الشك حقيق الصدر عند إحساس النفس بأمر مكروه يصيبها فإذا ضاق صدره بسبب ذلك أظلم قلبه وأصابه من أجله الهم والحزن وطهارته منه إنما تكون بوجود ضده وهو اليقين فيه يتسع الصدر وينشرح ويحول عن الحرج والضيق ويترد احتفاظ القلب من نور اليقين يكون انشراح الصدر واتساعه وعند ذلك يجد القلب الروح والفرح بالله تعالى وبأضله وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقسطه وعده جعل الروح والفرح بالرضى واليقين وجعل الهم والحزن في السخط والشك اه والشك تعلق القلب بالأسباب عند غفلته عن مسبب الأسباب تعلق الصيد بالشرك ويكون مبدأ ذلك هيجان الشهوة عند استيلاء غلبة الشك على القلب فيحلو له الهوى فيفرغ إذ ذاك إلى الأسباب التي يتوصل بها إلى بغيته لا يرى غيرها فيشتبك من أجل ذلك في حياثل الشرك وطهارته منه بضده وهو نور التوحيد الذي يقضه الحق تعالى في قلبه فتعلم بذلك نفسه وتسكن من الشره والطيش الذي أصابها وكلما قرى التوحيد في قلبه كان خلاصه من الشرك أكثر فحسمي من قلبه الأسباب ويثبت فيه خالص التوحيد فإذا تطهر البعد من الشرك والشك تولاها الله بالمهذبة والتسديد والمعونة والتأييد وفي أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى أوحى إليه يا داود هل تدري

لو علوا ما جهلوا ما صاروا حيث انتهوا زمقمهم أبصار

بني أنهم لو علوا من طريق الصوفية ما جهلوا منها ما رقمهم الأبصار حيث ما انتهوا وأبنا ظهرها (قلت) وفيما قاله فطر لأن من خرق عوائد نفسه وخرج عن أبناء جنسه قطعاً ترشقه الأبصار ويكثر عليه الصباح والأضرار سنة ماضية في حق الصادقين نعم من بقي من الفقراء أو المتسدين معهم في زهيم لم ينظر إليه أحد ولم يغير عليه أحد وهو دليل برودته فقد قالوا الداخل على الله منكور والخارج إلى الناس مبرور وقالوا أيضاً مدح العوام للنخاوص مجنة أى نقص فيهم وتوسط الناس على الأولياء في بدايتهم سنة جارية وما ذلك إلا لخروجهم عن عوائدهم وارتحالهم عن عالم حسمهم والله تعالى أعلم ثم قال

لوم يكن بعض لبعض عاكس ما لقبوا بعصبة الكساكس

(قلت) مذهب الصوفية الألفة والمواقفة قلباً وقلوبهم قلب واحد يجب بعضهم بعضاً وينغم بعضهم بعضاً وقد تقدم شروط عقد الأخوة عن الغزالي فيما تقدم فالصوفية على قدم الصحابة قال تعالى في حقهم أذلة على المؤمنين أى متطافين أذلاء على المؤمنين أعزة على الكافرين أى غالبين عليهم شدة وغلظة وقال في الآية الأخرى أشداء على الكفار رحماء بينهم فكل من لم يكن على هذا المذهب فلا نصيب له في طريق القوم وقال الناطق في قراء عصره أنهم متعاسكون بعضهم بعضاً أى متفانون كل واحد يمكن رأى صاحبه لشدة نفرة قلوبهم وذلك لبقاء حب الدنيا في القلوب فلو خرج منها حب الدنيا لتظهرت وصفت وتماطف بعضها على بعضها فلو لم يكونوا متعاسكين لا يجتمعون إلا على حظ بطونهم ما ساءم الناس بعصبة الكساكس وصاروا يقال لهم الكساكسية (قلت) ولأجل هذه الحالة كان بعض الشيوخ يمنع أصحابه من حضور

مضى أتولام إذا طموا قلوبهم من الشرك ونزعوا من قلوبهم الشك اه ويحتمل أن الشيخ إنما طلب طهارته من الشك والشرك عند نزول الدوام الطوام لأنها مظنة الشرك والالهام فلا يشك في لطف الله عند نزول قدره ولا يتعلق بسبب ولا غيره فيكون إبراهيم حنيفاً إذا أتى في نار الجلال وقال له الكون لك حاجة فيقول له بلسان حاله أومقاله أما إليك فلا وأما إلى الله فلي فاذا قال له سله يقول له عليه بحال يعني عن سؤال فلا جرم أن الله تعالى يقول لنار الجلال كوني على وليي بردا وسلاما فتعلقت جمالا محضاً فاذا غطص العبد من الشك والشرك في ذلك الوقت كان موحداً حقيقاً وإبراهيم حنيفاً فلا يعتمد إلا على الله ولا يستعصر إلا به كما قال الشيخ (بك استعصر) لا بغيرك (فانصرفي وعليك أنوكل) أي أفوض أموري كلها إليك (فلا تكني) أي تخرجني إلى غيرك (ولياك أسئل) حوائجي كلها لا من غيرك (فلا تخيبي) ما رجوت لأنك كريم تستحي أن ترد من رفع يديه إليك صفرين أي خائبتين (وفي فضلك أرغب فلا تحرمي) من فضلك العظيم (ولجنا بك) أي حماك وحرمك (أنتسب فلا تبعدي) من حماك وجوارك بسوء أدنى معك وأنت عفو حلیم (ويابك أتع) وأتضرع وأزعم تلك الباب وأقرع (فلا تطردني) إذ ليس من شأن الكريم أن يطرد عن بابه العظيم أو يرد من أم بحر جوده العميم :

ونحن كلاب الدار طبعاً ولم نزل نحب موالها ونحرس بابها

إذ طردت يوماً كلاب قبيلة فقوى كرام لاثنتين كلابها

قال علي بن هند القاسمي رضي الله عنه اجتهد في أن لا تفارق باب سيديك بحال فانه ملجأ الكل فمن فارق تلك السنة لا يرى بعدها لقدميه قرار ولا مقاما اه (وإذا) لزمت الباب أعطاك قبل الطلب ومنحك بلا سبب وإلى ذلك

الولائم وكان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه إذا عرض أحد على أصحابه في حضور وليلة يشبههم هو من طعامه قبل أن يحضروا الليلة فلا يظهر عليهم الشره والحرص فتتقص النسبة فهذا منه غيرة على النسبة أن تمنح جزءاً الله عن طريق القوم خيراً إلا إذا كانت حال غالبية فلا كلام على صاحبها والله تعالى أعلم ثم قال :

حق لمن كان عليهم منكراً إذ كل ما يصبر منهم منكراً

قوله حق يحتمل أن يكون خبراً عن مبتدأ مضمر أي الانكار حق وأن يكون مبتدأ حذف خبره أي حق لمن أنكر على الفقراء ثابت والاحسن أنه خبر عن مصدر من أن والفعل أي حق لمن كان منكراً على الفقراء أن يفعل ذلك كقولك حق لك أن تفعل كذا وكذا أي فمالك كذا وكذا حق (قلت) قد تقدم أنه لا ينكر على الفقير إلا ما كان محرماً بمجماع على تحريمه ولا تأويل فيه وعلى تقدير التغيير يكون برفق وابن وإذا كان فيه حـ أو أدب يكون المؤدب له كالعبد يؤدب ابن سيده ولا تسقط حرمة النسبة عنه بسبب ما صدر منه وهذا التغيير إنما هو لمن هو مكلف به كقضاة العدل وأهل الحسبة الذين يتقون الله والاسلام في التسليم (وقد) قال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه المعترض على الفقراء كن يدخل يده في الزيران النار الأول لا يجد فيه شيئاً والثاني كذلك وقد يصادف لفظة تدع فيهك من ساعته اه بالمعنى وهذا من الناظم تحامل وفيه تسلط على الجانب فالصواب حذفه ولا سيما المعارف لا يرى إلا الكمال والمعارف وجوه من التأويلات والمحامل بل لا يقع بصره إلا على الكمال :

يكل نقصان التيسير كاله فائتم نقصان وما ثم باشع

وكلي قبيح ان نسبت لحسنه أتمك معاني الحسن فيه تسارع

أشار في المناجاة السادسة والعشرين بقوله (إلهي قدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني) تلك رضا الله تعالى لا ينال بسبب ولا عمل ولا طلب وإنما هو منحة إلهية وموهاب اختصاصية تخص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم فقد تزه وتقدس رضائه تعالى أن تكون له علة منه لأنه قديم فكيف تكون له علة من غيره وهو الغني الكريم ولذلك قال (أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك فكيف لا تكون غنياً عني) فكما تزه رضاه وسخطه أن تكون لها علة أو سبب كذلك تزهت ذاته المقدسة عن إيصال المنافع منه أو من غيره فكما أن ذاته المقدسة قديمة كذلك أو صافه المطهرة قديمة أزلية قال أبو بكر الواسطي رضي الله عنه الرضى والسخط نعمتان من نعوت الحق يجريان على الأبد بما جريا به في الأزل يظهران للوسمين على المقربين والطرودين فقد بان شواهد المقبولين بضياها عليهم كما بان شواهد المطرودين بظلماتها عليهم فأتى تنفع من ذلك الألوان للصفرة والأكام المقصرة والإقدام المتفخخة ولكن جرت عادة الله تعالى وسنته أن من ظهرت عليه الطاعات والاحسان كان ذلك علامة الرضى والرضوان ومن ظهرت عليه المخالفات والعصيان كان ذلك علامة السخط والخسران وبهذا جاءت الشرائع والمرء يمرت على ما عاش عليه والنادر لاحكم له والله تعالى أعلم وقد قال بعض العلماء في قوله عليه السلام إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يبينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل النار إن الأول كثير بفضل الله والثاني نادر لاحكم له كسبعية رحمة الله غنضه والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ومع هذا لم تزل الأكابر تخاف من السابقة أو الخاتمة إذ لا يدري ما سبق به القضاء والقدر كما أشار إليه الشيخ في المناجاة السابعة والعشرين بقوله (إلهي إن القضاء والقدر قد غلبني) فذكر أعزم على الطاعة والقضاء يغلبني

ورزقنا الله من حسن الظن به وبأوليائه وبسائر عباد الله الحظ الأوفر بمنه وكرمه آمين ثم هذه الكلية التي ذكرها لا تسلم له والله تعالى أعلم ثم قال رحمه الله :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| عار لمن لم يرض العلوم | ويعلم الوجود والمعدوما |
| ولم يكن في بدته فقها | وسائر الأحكام ما يدريها |
| والحد والاصول واللسانا | والذكر والحديث والبرهانا |
| ولم يكن أحكم علم الحال | ولا درى مقاصد الرجال |
| ولم يزه صفة المعبود | ولا درى مرتب الوجود |
| والنفس والعقل مأ والروحا | ويدرى منه صدره المشروحا |
| وعلم سر الناسخ والنسخ | أن يتعاطى رتبة الشيوخ |

(قلت) قوله عار خبر مقدم وأن يتعاطى مبتدأ مؤخر أي تعاطى رتبة الشيوخ والتقدم للشيوخ خة عار أي عيب من لم يرض العلوم بضم الراء أي يشهر فيها حتى تصير طوع يده ليكون في أموره على يده من ربه ويعلم الموجود الحقيقي وهو الحق الواجب الوجود والمعدوم حقيقة وهو ما سوى الله ولم يكن في ابتداء أمره فقها إذ لا يحل لأمره أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وهو أيضاً لا يدري سائر الأحكام فلا يفرق بين ما يحل له ويعمر عليه فقد بأمر بالمشكر وينهى عن المعروف وهو أيضاً لم يدرك حدود الأشياء ورسومها وكأنه يشير إلى غف الملتقى ولم يدرك أيضاً الأصول والمراد أصول الفقه كمرقة الراجب والمندوب والمكروم والحرام والخاص والعام والمطلق والمقيد والقياس والإجماع وغير ذلك مما هو مقرر

وكم أفر من المعاصي والقدر يقتضي فلا حيلة لي إلا رجاء حولك وقوتك (وإن المزي بونائق) أى بمجامل (الشهيرة أسرق) أى ربطنى وحسنى عن التهور إلى حضرتك والقوز بدخول جنتك (فكن أنت الناصر لى) دون واسطة من غيرك (حتى تصرفنى) على من يصدق عنك (وتصرفنى) من تعلق بجنابى أو لاذ بسبى وهذا كما قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه واغتنا بلا سبب واجعلنا سبب التلى لأوليائك وبرزخاً بينهم وبين أعدائك ثم سأل التلى الأكبر فقال (اغتنى بفضلك حتى أستغنى بك عن طلى) فإن العبد إذا تعمّر قلبه بالله استغنى به حتى عن طلبه وربما دلهم الأدب على ترك الطلب وهذه هى السعادة العظمى والولاية الكبرى كما قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه فالسعيد حقاً من أغنيته عن السؤال منك وهذه نتيجة أنوار الولاية التى أشرقت فى قلوب العارفين وهذا معنى قوله (أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك) حتى ظهر الحق وزهق عنهم الباطل فمرفوك ووحودك (وأنت الذى أزلت الأغيار من قلوب أحيائك) فلانها بأنوار شهودك فأحيوك ولم يحبروا سواك لأنهم لم يشهدوه (وأنت المؤمن لهم) بحلاوة ذكرك وشهود نورك (حيث أوحشتم العوالم) فلم يستأنسوا بشئ منها بل استوحشوا منها من حيث كونيها واستأنسوا بصانعها والمنجلى فيها فأبدلهم الله الأنس به فى الخلوات والمجالسة معه فى القلوات بحلاوة المشاهدة والمكاملة والمسارة والمناجاة وهذا هو النعيم المقيم والقوز العظيم قال ذو النون المصرى رضى الله عنه بينما أنا أمشى فى البادية إذ لقيت امرأة فقالت من أنت قلت رجل غريب فقالت وهل توجد مع الله غربة وكتب مطرف بن الشخير إلى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فيها وليكن أنسك الله وانقطاعك إليه فإن الله عاداً استأنسوا بالله فكانوا فى وحدتهم أشد استئناساً منهم مع الناس فى كثرتهم وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون وأوحش ما يكونون اه (أنت الذى هديتهم حتى استبان لهم المعالم) أى أنت الذى هديتهم طريق الوصول إلى حضرتك حتى استبان أى ظهرت لهم معالم أى علامات

فى فن علم الأصول ولم يدر أيضاً علم اللسان وهو العربية والتصرف واللغة وفن البيان ولم يدر أيضاً معانى الذكر أى القرآن العظيم ليتمكن من التدبير فيه ولم يدر أيضاً حديث النبى صلى الله عليه وسلم إذ التصوف مبنى على الكتاب والسنة والهامات العارفين (وقال) الجنيد رضى الله عنه علنا هذا مؤيد بالكتاب والسنة فن لم يكتب الحديث وبجالس العلماء لا يقتدى به فى هذا الشأن اه ولم يعرف أيضاً البرهان أى علم البرهان وهو علم العقائد التوحيدية وهو علم الكلام فتكون عنده العقائد برهانية ثم تصير بعد ذلك عيانية ولم يكن أيضاً أحكم أى اتقن علم الحال والمقام بحيث يكون سلك طريق الأحوال ثم سكن فى المقامات وهذا هو المسمى بالسير فقامات اليقين ينزل فيها الفقير أولاً بالحال ثم تصير مقاماً .

(قال) فى الحكم حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق فى مقامات الأنزال فلا بد أن يكون سلك مقام الزهد حالاً ثم مقاماً وكذلك الورع والرضى والتسليم والمرافعة والشهادة وغير ذلك وهذا هو النوق الصريح وأما من كان يأخذها من الكتب ويتلقا فيها فلا تصح مشيخته وضرره أكبر من نفعه ولم يكن أيضاً درى مقاصد الرجال فى عبارتها وإشارتها ورموزها وألغازها ومقاصدهم من إصلاح الظواهر أو البواطن أو هما معا ولم ينزه أيضاً صفة المعبود عن الخلو أو الخلول أو الاتحاد أو غير ذلك من التفاضل ولا درى أيضاً مراتب الوجود من الملك والملكوت والجبروت إذ الترقى إنما يكون فى هذه العوالم فيترقى من شهود الملك إلى الملكوت إلى الجبروت وقد تقدم تفسير هذه العوالم عند قوله وعلموا مراتب الوجود اه ولم يدر أيضاً معنى النفس والتمثل والقلب والروح والسر وقد تقدم لنا أن المحل واحد وهو الروح وهى التى تتطور إلى العقل وما بعده باعتبار المجاهدة والرياضة وقد تقدم بيان ذلك مراراً (ولم) يدر أيضاً معنى الصدر المشروح وما علامة شرحه وعلامته شرحه ما قاله عليه السلام التجافى عن دار

التحقيق وهذا من الشيخ رضي الله عنه تعرض بالسؤال وهو أعظم من التصريح وكأنه يقول إلهي كأشرفت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك وكأزلت الأغيار من قلوب أجهلك حتى أحبك وكأنتهم حيث أوحشتهم العوالم وهديتهم حتى استبانتم لهم المعالم فأشرق أنوار المعارف في قلبي حتى أعرفك وأزل الأغيار من قلبي حتى أحبك وأنسى بك حيث أوحشتني العوالم واهدني إلى طريق التحقيق حتى تيقن لي المعالم فأستغني بك عن كل شيء وأجلك عند كل شيء كما قال (ماذا وجد من فقدك) ولو ملك الدنيا بمذاخيرها فهو أقر الفقراء كما قال الشاعر :

لكل شيء إذا فارقه عوض وليس لله إن فارقت من عوض

قيل للشيل أي الخسران أعظم قال من فاته الجنة ودخل النار فلما مات روى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني بالبراهين والدعاوى إلا على شيء واحد قلت ذات يوم لاختساره أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لي وأي خسارة أعظم من خسران لقاء أي شهيد ومرفق (وما الذي فقد من وجدك) لقد ملك الوجود بأسره واستغني غني لا فقر بعده آخر دهره (لقد غاب من رضى دونك بدلا) أي لقد غاب وخسر من أحب شيئا دونك ورضيه بدلا بك وأنشدوا :

سهر العيون لغير وجهك باطل وبكاؤهن لغير فقدك ضائع
أيقن أني فيك مشترك الهوى هيات قد جمع الهوى بك جامع
بصري وسمي طامعان وإنما أنا مبصر بك في الحياة وسامع

(ولقد خسر من بنى عنك متحولا) أي ولقد خسر من أوقفه يبابك ثم طلب باب غيرك وتحول اليه والتجأ إلى غير جنبابك فلا أخسر منه ولا أبخس صفة صفة من تجارته ترك باب الكريم والتجأ إلى باب العبد اللئيم فقله متحولا مغفولا

الفرور والإبانة إلى دار الخلود والتزود لسكنى القبور والنأب ليوم النشر اه ويرجع إلى البقعة من النقلة ورفع الهمة عن الدنيا وما فيها وإنما اشترط معرفة الصدر المشروح لأن الشيخ يشترط فيه أن تكون له فراسة يطلع بها على أحوال البواطن فيعرف المشروح من المقبوض وفي بعض النسخ ولم يدرك منه أي من نفسه وفي بعضها معني وهي أحسن ولم يدرك أيضا سر الناسخ من المنسوخ في الكتاب والسنة وهذا من شأن أهل التفسير وهو مقرر في محله .

(ثم) هذا الذي ذكره الناظم لا تشترط منه شيء إلا علم الأحوال أو ما يلزمه من نفسه من العلم الضروري وقد تقدم هذا المعنى مستوفيا عند قوله وعند ما قال بهذا الخطب قالوا جميعا أنت شيخ الربكر فاجعدهم إن شئت وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق ثم قال :

يا عجايب من جاهل مبداه في رتبة الكون ومتناه

(قلت) مبدأ الإنسان في رتبة الكون ومتناه التقدم له والتأخر عنه لجيش الأرواح سابق على الكون بعد طيه فهو أول الكون ومتناه فلا إنسان شبه بالصدائية إلا زلية لأن فيه الأولية والآخرية والظاهر بقوا الباطنية فوجه أول الكون وتيق بعد فاته وهي ظاهرة بالإنسان إذ لا ظهور لها إلا به باطنة فيه وفيه سبع من صفات المعاني القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والسلام ولها قال عليه السلام كافي البخاري إن الله خلق آدم على صورته وفي رواية غيره إن الله خلق آدم على صورة الرحمن أي على صفته في الجنة وإن كانت أوصاف الباري عظيمة لا تشبه أوصاف العبد لكن لها شبه ونموذج في الجنة (وقال) صاحب الرموز في فتح الكون على قوله صلى الله عليه وسلم من عرف نفسه عرف ربه قد ظهر لي من سر هذا الحديث ما يجب كشفه ويستحسن وصفه وهو أن الله سبحانه وضع هذه الروح في هذه الجنة الجثمانية

لبنى بمعنى طلب وهو اسم مفعول بمعنى المصدر وعك متعلق بالمصدر أى ولقد خسر من طلب تحولاً عن جنبالك العظيم وبالك الكريم (كيف يرجى سواك وأنت ما قطعت الإحسان) ولا تقطعه أبداً عن الإنسان (أم كيف يطلب من غيرك وأنت ما بدلت عادة الامتنان) بل امتناك فاض على الآنام وهو واصل اليهم على الدوام عرفه العارفون وجهه النافلون (يا من أذاق أحبابه حلوة مؤانسته) وذلك حين استوحشوا من مؤانسة غيره (فقاموا بين يديه متلقين) قلت الخلق هو التلطف في بث الشكوى والتودد بمساردة النجوى وفي الحديث إذا أحب الله عبداً قال للملائكة إذا دعا أخروا حاجة عبدي فإني أحب أن أسمع صوته فالتلق بين يدي الحبيب ومساردة القريب هي من أعظم الرغائب أفضل المطالب لا يعرفها إلا أهل الشوق والاشتياق كما قال الشاعر :

سفينة الحب في بحر الهوى وقفت قائم على برج منك يجربها
لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانها
لا أوحش الله منكم من يحكم وأنس الله داراً أتم فيها

لطيفة لاهوتية مودعة في كثيفة ناسوتية دالة على وحدانيته تعالى وربوبيته ووجه الاستدلال من عشرة أوجه (الأول) أن هذا الهيكل الإنسانى لما كان مفتقراً إلى محرك ومدير وهذا الروح يديره ويحرك علينا أن هذا العالم لا بد له من محرك ومدير (الثاني) لما كان مدير الجسد واحداً علينا أن هذا العالم واحد لأشريك له في تديره وتقديره قال تعالى (لو كان فيما آفة الاة لفسدتا) (الثالث) لما كان لا تحرك هذا الجسد الا يتحرك الروح وإرادته علينا أنه لا يتحرك كائن بخير أو شر إلا يتحرك اقتوارادته وقدرته (الرابع) لما كان لا يتحرك في الجسد شيء الا يعلم الروح وشعوره لا يخفى على الروح من حركات الجسد شيء علينا أنه تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء (الخامس) لما كان هذا الجسد لم يكن فيه شيء أقرب إلى الروح من شيء علينا أنه تعالى قريب إلى كل شيء ليس شيء أقرب إليه من شيء ولا شيء أبعد إليه من شيء لا بمعنى قرب المسافة لأنهمزته عن ذلك (السادس) أنه لما كان الروح موجوداً قبل الجسد ويكون موجوداً بعد عدمه علينا أنه تعالى موجود قبل خلقه ويكون موجوداً بعد عدمهم مازال ولا يزال وتقدس عن الزوال (السابع) لما كان الروح في الجسد لا تنصرف له كيفية علينا أنه تعالى مقدس عن الكيفية (الثامن) لما كان الروح في الجسد لا تنصرف له كيفية ولا أينية بل الروح موجود في سائر الجسد ما خلا منه شيء في الجسد كذلك الحق سبحانه موجود في كل مكان وتزعم المكان والزمان (التاسع) لما كان الروح في الجسد لا يحس ولا يمس علينا أنه تعالى منزّه عن الحس واللمس (العاشر) لما كان الروح في الجسد لا يدرك بالبصر ولا يمثل بالصور علينا أنه لا تدركه الأبصار ولا يمثل بالصور والآثار ولا يشبه بالشموس والآثار ليس كمثل شيء وهو السميع البصير (تتبعه) قد اشتهر على السنة كثير من الصوفية أن من عرف نفسه عرف ربه حديث وليس كذلك وإنما هو من كلام معاذ الرازى حسياً نص عليه الحافظ البدر الزركشى والحافظ السيوطى في الدر المنثورة في الأحاديث المشتهرة ونصه حديث من عرف نفسه عرف ربه قال النووي غير ثابت وقال السمعاني هو من كلام يحيى بن معاذ الرازى اه وكل فن يرجع فيه لاربابه والصوفية رضى الله عنهم لحسن ظنهم كثيراً ما يتساهلون في الأحاديث هكذا كما قال الشيخ سيدى مسلم في كتابه وإنما تعجب الشيخ من الجهل بهذين الأمرين لأن هذين الموقفين هما أصل التوجه والمعاملة ومظهر التحقيق والمواصلة وبالله التوفيق ثم قال متبهاً لما تعجب منه

(يامن ألبس أوليائه) العارفين (ملابس هيبته) حتى هلبهم كل شيء وخلف منهم كل شيء ولم يخافوا من شيء وفي الحديث من خاف الله خاف منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه كل شيء. وحيث ألبسهم لباس هيبته (فقاموا بزمته مستعزين) لما رضوا مهمتهم عن الخلق أعزم الله ولما رضوا مهمتهم عن الدنيا أعزم الخلق فإن الولي إذا أراد الله أن يرده إلى خلقه لينفع به عياده ألبسه حلتين حلة البهاء والجمال ليقبل الناس عليه بالحجة والوصال فيفتنهم الله به وحلة الهيبة والجلال ليتل أمرة ويحتجب نبيه إذا نهى وهاتان الحلتان يكساها عند الرسوخ والتمكين وإلى ذلك أشار بعض الشعراء والله أعلم بقوله :

إن عرفان ذى الجلال لمن وضياء و بهجة وسرور
وعلى العارفين أيضاً بهاء وعظيم من المحبة نور
فهيئاً لمن عرفك إلهي هو والله دهره سرور

فلما كانوا لله وبالله ومع الله أعزم الله وأعزم من أعزم قيل في تفسير قوله تعالى (تمن من تشاء) قال بأن يكون لك بك مملك بين يديك أه وسبب المز من الله هو ذكر الله كما قال (أنت الذاكر من قبل الذاكرين) أى أنت

وكيف يهدي وهو لم يهدي لقد عدنى ظلياً وقد تعدى

(قلت) من لم يأخذ أدبه من المتأدين أفسد من اتبعه من لم يرب لم يربى من لم يهد يغيره لا يهدي غيره من لم يسلك الطريق لا يسلكها بغيره بل يتلف نفسه ومن تبعه لقد عدا أى جاوز أخذ ظلياً أى من جهة الظلم لقد تعدى طوره ولم يعرف قدره ثم قال :

من لم ينل مراتب الإرادة كيف يوطى للهدى سجاده

(قلت) من لم يحصل مراتب الارادة ويسلكها جذبا وسلوكا كيف يوطى أى يبسط سجادة ويقعد عليها لهداية الناس فمن فعل ذلك فقد غر الناس من لم يصحب العارفين من أهل الكمال لا يفر بأولاد الرجال ثم قال :

(قلت) الجحر بتقديم الجيم هو النار وقد تقدم أن الشيخ بمنزلة شيخ الركب فلا بد أن يكون عارفاً بالمنازل والمناهل فـ سلك الطريق وعرفها وعلم وعرفها وسهلها وأما من كان لازماً بيته قاعداً في جحره كالغفار فلا يمكن أن يدل على الطريق لأنه يتاف من تبعه قطعاً (قال) في بداية السلوك

أنتكتني بالوصف في المسير فالوصف لا يغني عن الخبر

(قال) الشارح بعد كلام العلماء إنما نهى عن ما تصحب به الوجهة الى الله لآعن السر الذي تمتد منه الوجهة الذي لا يتصورا الكشف عنه إلا لمن انفقا الحجاب عن عين قلبه وكان له نصيب ميراث من فراسة نبيه صلى الله عليه وسلم في أحوال محبته فهذا العلم هو الذي لا يمكن التمييز عنه بالمقال ولا تصح الامر حتى يأمر وينهى ويعطى ويمنع ثم قال أرايت لو أن رجلاً أو رجلاً وصفا لك الطريق من دارك الى مكة وكتبوا لك كتاباً فيه جميع المنازل والمناهل والمواضع المخوفة والمأمونة ثم تهت أنتفعك ذلك الكتاب وقد أحاط بك بحر السراب وانقطعت عن حى الاعراب بل تتيقن بالهلاك وكتابتك في يدك هذا في الطريق الحسى فإياك في الطريق الباطنى المنوى التى هى قليل خطارها كثير قطاعها اه بالمعنى ومن هذا المعنى قولوا إن الميت لا يربى لأن من مات لا يدل على الطريق بالفعل وقالوا أيضاً التدى الميت لا يرضع الولد والله تعالى أعلم ثم قال :

أليس هذا كله محال لم يستقم الشخص منه حال

الذاكر لهم من قبل أن يذكروك فلو لا ذكرك أيام ما ذكروك قال أبو يزيد رضى الله عنه غلطت في بداية أمرى في أربعة أشياء توهمت للذي ذكره وأعرضوا أحمر أطلبه ظا انقبت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفة شقت معرفتى وعجبت أقدم من محبتي وطلبه لى أولا حتى طلبته (وأت الياى بالاحسان من قبل توجه العابدين) فلما بدأهم بالاحسان توجهوا اليك بالطاعة والاذعان (وأت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين) حل حكم الأزل أن يضاف إلى الأسباب والملل (وأت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا للمستقرضين) فقد وهبت لنا النعم وأمرتنا بالسخاء والكرم ووقتتنا لمطامها ووعدتنا بالنعم الجزيل عليها فقه ما أعطى وله ما أخذ فاذا عرف العبد هذا لم يبق له وسيلة يتوسل بها الأفضل الله وكرمه وفى مناجاة الجنيد رضى الله عنه باذا كرذاكرين بما به ذكره باباى العارفين بما فيه عرفوه ياموفقى العابدين لصالح ما عملوه من ذا الذى يشفع عندك إلا باذنك من ذا الذى يذكرك إلا بفصلك واستقرض الرب من عبده ما وهبه له غايه فى ترفيعه لقدرة وإباته لشرفه ووعدته مع ذلك جزيل الثواب نهاية فى إكرامه له وتفضله عليه وقال بعضهم ملكك ثم اشتري منك ما ملكك ليثبت لك معه نسبة ثم استقرض منك ما اشتراه ثم وعدك عليه من العرض أضعافا بين فيه

(قلت) الإشارة تعود الى التقدم الى الشيخوخة من غير استحقاق وذلك عند أهل الحق محال لم يستقم لمن تبعه حال بل ضرره أقرب من نفعه لبس المولى ولبس العشير ثم قال

يا قاصدا علم الطريق السالف لا تقتدى بهذه الطوائف
مامنهم من علم المقصودا منه ولا الوارد والمورودا
لم يعرفوا حقيقة الطريقة فالقوم جهال على الحقيقة
فاحذرهم حشوة يفتوكا واترك سيلالم يزلم متروكا

(قلت) هذا تحذير من متفكرة وقته يقول يا قاصدا علم طريق الصوفية المتقدمين المحققين لا تقتدى بهذه الطوائف الجهلة المبتدعين فليس منهم من علم المتصود من الدخول فى الطريق القوم ولا كيفية الورد أى المرور عليها ومرودها أى مشروها هو اذا لاذوق عندهم ولا حال وانما الناس من عوام الجهال لم يعرفوا طريقة ولا حقيقة والجاهل لا يقتدى به ولا يكون اماما أبدا قال تعالى (قل هذه سبيل ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) والجاهل لا بصيرة له (فان قلت) قد وجد كثير من الأولياء أميين وكانوا أئمة يقتدى بهم فى الباطن (قلت) مثل هؤلاء كانوا متعشقين إلى الله جادين فى طلب الحق فلما علم الله صدقهم دلهم على ولى من أولياته فلما كشف الحجاب عنهم عليهم الله ما جهلوا فكانوا أعلم الناس بالله وقد قال بعضهم ما اتخذ الله وليا جاهلا إلا عله وغيرهم من فقراء الوقت لم يكن لهم ذلك فيقروا جاهلين ثم هذا الذى قاله الناظم ليس على التعميم اذلا تملو الأرض من قائم لله بحجته وشيخ الترية لا يخطو الزمن منه أبدا اذلا يمكن أن يكون القطب الا بعد الترية وهو لا تملو الأرض منه كما هو مقرر عند أهل الفن والله تعالى أعلم ثم قال :

فان غدا الأمر عليك مشكلا وشئت ان تعلمه مفصلا
فصوف التى لك قول الحاذق بفضل بين المدعى والصادق

يعنى إذا صار الأمر مشكلا عندك ولم تعلم الصادق من الكاذب والجاهل من العالم والمحقق من المدعى والسنى من المتبع واغتررت لظهور الكرامات وكثرة الاتباع وكثرة العلم ولم تعد بمن تقتدى بها أنا اخبرك وائى اليك قول اليب

أن نعمه وعطاياه بعبادته أن تكونا مشوبتين بالعلل اه قال ابن عباد رضى الله عنه ولما بين أن طلب الحق سابق على طلب العبد طلب منه أن يطلبه ليتحقق منه الطلب فقال في المناجاة الثامنة والعشرين (إلهي اطلبي برحمتك حتى أصل إليك) أى اطلبي برحمتك الأزلية حتى أطلبك وأصل إليك فان الطلب سابق الوصول وهذه طريقة السلوك ثم أشار إلى طريق الجذب والعناية فقال (واجذبني بمتك حتى أقبل عليك) قلت ولو عكس لكان أحسن فيقول اطلبي برحمتك حتى أقبل عليك واجذبي بمتك حتى أصل إليك فان الجذب هو الاختلاف من شهود الأكران إلى شهود المكور والغالب أن يكون بعد التوجه والطلب والمجاهدة والتعب وقد يجذب أولاً ثم يرد إلى السلوك والأول أكمل ثم إذا حصل طلب الرب لعبد حتى وصل إليه لا ينقطع عنه خوفه ورجاؤه كما أبان ذلك في المناجاة التاسعة والعشرين بقوله (إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك إن خوفي لا يزألي وإن أظمتك) قلت لما كانت السابقة مبهمة والخاتمة مجبولة كان العبد بين خوف ورجاء ولو بلغ ما بلغ فان القلوب يد الله يقلبها كيف يشاء والنواصي يد قدرته تقودها حيث شاءت قال الشاعر :
حسبي الله توكلت عليه من نواصي الخلق طرأ في يديه

الحاذق يحكم بين المدعى والصادق ثم ذكر ذلك القاصد فقال :

قول الفقير انني فقير فللظهور أبدا يشير

(قلت) قول الفقير أنا فقير للظهور ليس على إطلاقه بل فيه تفصيل (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه أما قول الفقير أنا فقير فهو إشارة للظهور كما قال وذلك محمود ومذموم بحسب قصده وهو على ثلاثة أوجه (أحدها) أن يقصد به التبري عما كان عليه من الجاهل القوالي ليكون له عونا على عدم العود لما كان عليه وهذا أمر لا بأس به أن يوقف على حده (الثاني) أن يقوله يستجد به من عسى أن يرجو فيه خيراً أو عاصياً متمرداً أو متذكراً يقظان أو مريداً متوجهاً ليكون له عونا على البر والتقوى فهذا أيضاً لا بأس به أن لم يتعد به عمله وعلامة صاحب هذين الوجهين أن يقول ذلك مع انكسار وتبرؤ واستغفار وحمد واستبشار (الثالث) أن يقول ذلك بقصد التبعج والاستبعاظ وإظهار المزيد والتعزز بالنسبة والانتساب وطلب الرياسة وإشاعة الأمر في العموم والتعرض لكل أحد والتعريض به وشاهد الحال لا يخفى الخ (قلت) وذم من هذا وصفه لا يخفى وهو الذي يفسر به الناظم والله تعالى أعلم ثم قال :

وبسطه وليس غير عارف سخافة ليست من المعارف

وقبضه وليس ذا إرادة فهو على غير طريق السادة

(قلت) الغالب على العارفين البسط فرحاً بالله وبالوصول إليه والغالب على المريدن القبض لأنهم في محل المجاهدة والمكابدة فإذا رأيت الفقير أنبسط وانشرح من غير وأرد قبل تحصيل المعرفة بالله قبضه وانشراحه سخافة وحق ليست من المعارف إذ لا يليق بالله إلا القبض إذ لاحظ للنفس فيه وإذا رأيته مقبوضاً ولم تظهر عليه أحوال الارادة فاحذره فهو على غير طريق السادة المتقدمين ولا يلزم من الحذر الاستحقار قطعاً بالنسبة المطلوب ثم قال :

وأخذه مما بأيدي الناس دون اضطرار فهو ذو افلاس

(قلت) أخذ المريد من أيدي الناس وسؤاله لم من غير ضرورة تدل على إفلاسه وأنه فقير بطلته يريد جمع الدنيا اللهم إلا إن كان قصده إعانة شيخه أو فقير مثله فلا بأس به والحاصل أن الفقير لا يقبض لنفسه إلا ما كان مضطراً إليه وإن

ليس الهارب في مهربه أبدا ملجأ إلا إليه

فكيف لا يصح للعبد أن ينقطع خوفه أن أطاع أو يقل رجاءه أن عصى وقد تقدم في أول الكتاب أن خوف العارفين ورجاءهم ناشئ عن شهود صفة الجلال والجمال وهما لا يتغيران فكذلك ما ينشأ عنهما ولذلك وصف الشيخ نفسه بهذه الحالة الشريفة وهي الاعتدال على البوام ظهرت منه طاعة أو معصية وراجع ما تقدم وانظر عند قوله لا كبيرة إذا قال بك فضله الخ فاذا تحقق أن العبد لا مهرب له في حال عصيانه إلا وقوفه ببابه ولا سكون له في حال طاعته إلا إلى كرمه وإحسانه علم أنه مدفوع إليه على كل حال وهذا معنى قوله (قد دفعتني العوالم إليك) فهما ملت إلى شيء دفعتني عنه أو ركنت إليه حركته على حتى تدفعني إليك فأرسلني بي مع عظيم جهلي وهذه علامة العناية من الله لعبده فهما رآه وقف مع شيء أو ركن إلى شيء ولو كان طاعة شوشه عليه ورحله منه وقد تقدم أن من جملة العقوبة التي يعاقب بها المرید تركه وما يريد وقال شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه إذا رأيتم الفقير يقول الغواث والغواث تشوش عليه من كل جهة فاعلموا أن الله تعالى يريد أن يسكنه عنده أو كلاما هذا معناه والحاصل أن الحق تعالى غيور لا يحب قلب عبده أن يركن إلى

قبض شيئا بلا ضرورة أخرجه عنه سرياً والله تعالى أعلم ثم قال :

ولبسة ما كان ذا اشتبار فسره عار عن الأسرار

(قلت) ليس الفقير ما فيه الشهرة عند الناس أن كان باذن من شيخه فلا عليه فإن الشيخ طيب وان كان بغير إذن فلا يخلو من حظ فإن النفس تحب أن تعرف وقد قالوا خالفوا تعرفوا فلعلمها تريد ميل القلوب فن فعل ذلك فاحذره فان سره حال من الأسرار والعباد باقه لأن الصادق لا يجب أن يذكر ولا يظهر والشر لا يكون إلا مدفوناً والله تعالى أعلم ثم قال

(قلت) الناس على ثلاثة أقسام قسم عوام لا توجه لهم فهم يأكلون كل ما تبيحه الشريعة وقسم عارفون واصلون تحقق فناؤهم وبقاؤهم فهم يأخذون من يد القنطرة هؤلاء أيضا لا كلام عليهم وقسم يريدون متوجهون هؤلاء ينبغي لهم أن لا يتعاطوا كل ما تشتهي نفوسهم بل ينبغي لهم مخالفتها في ذلك إذ لو لم يبادن النفوس ما تحقق سير السائرین فاذا رأيت الفقير يأكل من سائر المأكول شهوات وشبهات ولا يتحاشى من شيء وهو دون انتهاء في المعرفة فهو غير واصل لا يأتي منه شيء ولا يحصل على طائل إلا أن يتوب والله تعالى أعلم ثم قال

وسمعه مواقع الألحان بغير موت النفس فهو عان

(قلت) قد تقدم الكلام على السماع وحاصله أن الفقير إذا حصل له الفناء في الذات وعرف كيف يسمع فالسماع في حقه مطلوب لما فيه من زيادة الخيرة فان النفس لما ماتت لا تميل إلا إلى الخسرة ولا تسمع إلا منها (قال) بعض من صح سماعه أنا لا أسمع من النغم إلا أنا أنا أو أنت أنت (وقال) المشتري أنا بالله أنطق ومن الله أسمع فقل هذا يزيد بالسماع ما لا يزيد بغيره ومن لم يبلغ هذا المقام فالسماع عليه مكروه أو حرام فمن رأيته يسمع الألحان ولم تمت نفسه فهو عان أي في عناه وتعب لا يزيده ذلك إلا عبداً والله تعالى أعلم ثم قال

وجه السماع للأحالة بقية فيه من البطالة

(قلت) السماع إنما هو دواء ورخصة للضعفاء قوية للحالمين فإذا حصل الشفاء استغنى عن الدواء فاذا رأيت الفقير

غيره وهذا من كرمه تعالى وإحسانه إلى عباده ولذلك قال (وقد أوقنى على بكرمك عليك) قلت لما دفعته العوالم إليه لم يجد كرمًا سواء فأوقفه كرمه على بابه ولا ذبحنا به والكريم لا تنطاه الأمال قيل معنى كرم الله إحسانه لعباده وقيل الذى لا يدع حاجتهم لغيره وقيل الذى يعطى قبل السؤال قال الجنيد الكريم الذى لا يجوز إلى السؤال وقال المحاسبي الذى لا يبالي من أعطى ولا لم أعطى وقيل أن من فهم كرم الله تعالى لم يجزع من سوء قضاء لأنه يرى المصيبة نعمة مستوزة عن ادراك الخلق كما قال سيدنا عمر رضى الله عنه ما أصابني الله بمصيبة إلا رأيت الله فيها ثلاث نعم الأولى حيث لم تكن في ديني الثانية حيث لم تكن أعظم مما وقعت الثالثة أن الخطايا تكفر بها فانا أشكر الله عليها له ولهذا قالوا ليس العجب من يلتذ بالنعيم إنما العجب من يلتذ بالعذاب الآليم وذلك لا يكون إلا بخرق عادة النفس حتى تلتذ بما يتألم به الناس كما قال القائل
أريدك لا أريدك للثواب ولكني أريدك للعقاب
وكل مآرق قد نلت منها سوى ملنوذ وجدي بالعذاب
إذا كانت الأقدار من مالك الملك فسيان عندي ما يسر وما يكره

يجب السماع ويميل إليه على الدوام فاعلم أن فيه بقية من البطالة والبطالة ضد المجاهدة ومن لا يجاهدة له لا مشاهدة له ومن لا مشاهدة له لا سير له ومن لا سير له لا وصول له والله تعالى أعلم ثم قال

ورقصه فيه بغير وارد يسلبه عند فقير وارد

(قلت) قد تقدم الكلام على الرقص والتحرير فيه عند قوله في السماع والرقص فيه دون فهم الحال الخ ما يقتضى عن إعادته فرقص الفقير بغير وارد يسلبه عن الشعور بنفسه فهو غير وارد أى شارب من شراب القوم إلا أن يكون تواجداً أو مساعفة لتواجد فلا بأس به ولا يعتز على صاحبه (أو تقول) رقص الفقير أوزعقه أو صراخه من غير وارد فهو بدعة غير وارد في الشرع والله تعالى أعلم ثم قال

وأخذ الخلع بغير الخلع بعد عن الحق بعين الجمع

(قلت) قد تقدم الكلام على الخلع فإذا رأيت الفقير يأخذ ما خلع عنه من الثياب عند ورود الأحوال بعد أن طرحتها عنه فهو عائد إلى صدقه كالكلب يعود في قيته فهو بعيد عن الحق بعين الجمع أى حيث يظن الجمع يعنى أنه بعيد من حيث يظن القرب فيه جهل مركب والله تعالى أعلم ثم قال

وحط الرأس بغير جرم على أخيه غير فضل القوم

(قلت) قد تقدم أن حط الرأس عند فعل ما لا ينبغي ليس من شأن الصوفية ولا عمل عليه فإذا فعله الفقير فقد أخطأ إذ ليس نص من الشارع فهو قريب من البدعة ثم قال

وقد ذكرنا حكم الاستغفار أعنى القيام ليس عرفاً جارياً

(قلت) قد تقدم أيضاً حكم الاستغفار وأنه لم يجز به عرف (قال) الشيخ زروق رضى الله عنه هذه الثلاثة ينبغي أخذ الخلع وحط الرأس والقيام للاستغفار ليس من مطلب الطريقة ولا من موجبات الحقيقة ولا من أحكام الشريعة وإن كان لها وجه من التأويل فتركها أولى والتسليم للعامل بها لازم لحمل الاشتباه والله أعلم ثم قال

وميله للعرب والأعاجم علة نفس وهو فيه آثم

(قلت) من شأن الفقير في بداية الفرار من الناس والاستيحاء منهم حتى يتمكن الحضور فيه على التمام وحيث لا بأس أن يخالطهم بجسمه ويقارهم بقلبه وأما ميله للناس وحب مخالطتهم فهو دليل على إفلاسه إذا استئناس بالناس من علامة الإفلاس

والحاصل أن المحبة إذا قويت غابت المحب عن الآلام وإلا فهي ناقصة ومنشؤ المحبة شهود الكرم كما تقدم ومن وقف بباب كرم مولاه لا ينبغي أملة ومنه كما أبان ذلك في المناجاة الموفية ثلاثين بقوله (إلهي كيف أخيب وأنت أملئ) أي محل طمعي ورجائي والكريم لا ينبغي آمال الطامعين وهو أكرم الأكرمين (أم كيف أهان وعليك متكلي) وقد قلت في كتابك العزيز (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافيه ومن كنت كافيه وناصره لا يهان أبداً (حكى) أن بعض الأولياء ولدت له بنية في آخر عمره وماتت أمها وحضرته الوفاة فقال له رجل أوصني عليها أكفلها قال لا ولكن إذا أنامت فأحملها إلى حرم الله ودعها في الحبر وأمض ودعها في كفالة الله فلما مات فعل الرجل ذلك وصار يرقبها على بعد فرأى أم الخليفة وهي تطوف فأمرت بحملها لها فقبضتها وربتها حتى بلغت وزوجها لابن الوزير وأصبغها عشرين ألف دينار فانظر حال من توكل على كفالة مولاه وآوى إلى حصن رعايته وحماه وأنشدوا

أحسن بي في داركم ونزولكم أوجه يوما للعبد رجائيا
يحيى لئلي أن يعود لئلكم وأن أترك جمع العبادورائيا

(وقال) بعضهم من غالط الناس دارهم را آم ومن را آم وقع فيها وقوا فهلك كما هلكوا وقد در الشيخ الحضري حيث قال عش غامل الذكريين الناس وارض به فهو أسلم للدين والدنيا من عاشر الناس لم تسلم ديارته ولم يزل بين تحريك وتسكين (وقال) بعضهم من غالط الناس وظن السلامة من الاثم فقد رام المحال كن غالط النار بالحطب وظن سلامته من الاحتراق ثم قال

سفره ان لم يكن اليه منه فلا حقيقة لديه

(قلت) سفر المرید أن كان باقية فانيا عن نفسه خاليا من حظوظه فهو في غاية السكال وإن كان بالنفس للنفس فهو في غاية النقصان وجلوس هذا أفضل من سفره وإن كان بنفسه فهو متوسط وسفره أفضل من جلوسه ليتحقق كماله فنحصل ان السفر على ثلاثة أقسام سفر باقة الى الله وسفر بالنفس بالنفس وسفر بالنفس لله فالاول محمور وقطعا والثالث ملحق به والثاني مذموم قطعاً ومنطوق الناظم هو الثاني والثالث ومفهومه هو القسم الأول لكن الثالث ملحق بالأول كما تقدم خلافاً لظاهر الناظم وافة تعالى أعلم ثم قال

وان اشار للرام الأول وجهل العقل فتنه فاعدل

(قلت) لعله أراد بالمراد الأول عالم القدرة وأراد بالعقل عالم الحكمة فإنها من مدركات العقل فإذا أشار المرید الى الحقيقة الأولية وجهل ما أدركه العقل من الاكوان التي وقع بها التجلي فاعدل عنه لأنه ان كان مجذوباً فهو ناقص وان كان مدعياً فهو ساقط فالاكوان ثابتة بآبائهم محمورة بأحدية ذاته فلا بد من اثبات الوساطة والموسوط ونفي عالم الحكمة يؤدي للزندقة لإبطال الاحكام وافة تعالى أعلم (وقال) الشيخ زروق رضى الله عنه اشارته للرام الأول تنبيه على من قال يقول الفلاسفة من اعتبار العقل الأول ويسمونه الفعالي وهو مذهب فاسد عالج عن حدود المعقولات لما تضمنه من قدم العالم والقول بمحوادث لا أول لها واليه أشار بقوله جهل العقل اعني جهل حقيقته حتى سباه بغير اسمه وحكم له حكمه اه ثم قال أو قال بالظهور والحلول فبدعة يقدح في الاصول

(قلت) مراده بالظهور ظهور الذات العالية لبصر الحس حتى تترك بالبصر الحسى وقد قال تعالى (لا تدرک الابصار واما تدرک البصيرة) فاذا اختصص وقوى نورها استدل على البصر فصار الحكم لها فالبصر لا ير الا الحس والبصيرة

(وحكى) أن رجلاً كانت له امرأة حامله وأراد سراً فلما خرج لسفره قال اللهم انى استودعك ما فى بطن هذه المرأة ثم غلب فلما قدم من سفره سأل عنها فقيل له انها ماتت وهى حامل فلما كان الليل خرج إلى المقابر فرأى نوراً فأتبعه فاذا هو فى قبرها فقبس عليها فاذا بالصبي يرضع فى ثديها فهتف به هاتف يا هذا انك قد استودعتنا الولد فوجدته أما انك لو استودعتنا أمه لو جدتها جميعاً اه من التنوير فما لطفه سبحانه بمن استراحه وما أحفظه لمن دخل حماه اللهم اجعلنا عن تحصن بك فكفيتهم وعن استرعاك فى تركته فرعيتهم يا أرحم الراحمين ولا شك أن من دخل تحت خفارة العزير كان عزيراً بالله ذليلاً له واليه أشار فى المناجاة الحادية والثلاثين بقوله (إلهى كيف أستعز وفى الذلة أركزتنى) أى كيف أستعز عليك وأنت فى ذل العبودية أركزتنى أى أقررتنى وأقتنى (أم كيف لا أستعز واليك نسبتنى) أى كيف لا أستعز فى قلبى وروحى وسرى واليك نسبتنى لما أودعت فى قلبى من سر الخصوصية ونور المعرفة وقوة الحرية فقلت يا عبدى ويا ولي ولا شك أن هذه النسبة توجب الاختيار على الوجود والى الله على كل موجود فذل العارف يرجع الى ظاهره عبودية وعزه يرجع الى باطنه حرية بما شهد من أنوار الربوبية والى الله أشار بقوله :

لا ترى الا المعنى وقد بتلطف الحس فيصير كأنه معنى فيكون ما تراه البصيرة فى معد البیان وهو محل الشهود اذ الحس لا يفارق المعنى وأما الحلول فعتاه اثبات السوى وحلول الالهية فيه وهو كفر صراح فن ادعى شيئاً من الظهور أو الحلول فارضه فقد أتى بیدعة قدح فى أصول إيمانه والبيضاء باقية من الزلل ثم قال
وقوله أنا الذى أمواه قبل الفنى عنه فما أقصاه

(قلت) اذا قال الفقير أنا من أهوى ومن أهوى أنا قبل تحقق فثاته فما أبعد عن الصواب واذا تحقق فثاؤه فلا يقول ذلك الا مع من يصدق فى حاله والا تعرض لفته ثم قال
أودعى فى عليه اللذنى بلا تقي فذلك غير سنى
(قلت) متى ادعى الفقير أن له علماً لدنياً ولم تظهر عليه تقوى ولا مجاهدة ولا رياضة وانما ذاك خرافات لا طائل تحتها ومن ادعى ذلك فهو غير سنى قال تعالى (واقوا الله ويملكن الله) فن لا تقوى له يعلمه الله شيئاً وقد در القائل

شكوت الى وكيع سوء حفظى فأرشدنى الى ترك المعاصى
وقال اعلم بأن العلم فضل وفضل الله لا يؤتا عاصى
والمراد بوكيع المحدث الضابط من أشياخ الامام البخارى وفى الحكم أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الاسرار وهو لم يتب من هفواته اه ثم قال

وحكمه ان كان فوق الحال فذاك مقطوع عن الرجال
(قلت) ينبغي للفقير أن يكون حاله فوق مقاله وقدمه أكبر من صيته فاذا كان يدعى مراتب الرجال ويحكم على نفسه بها قبل وصوله اليها بشهادة أهل الفن فهو مقطوع عنهم والبيضاء باقية من الدعوى ثم قال
أو قال أنا الشيخ فاتبونى بغير علم فهو ذو جنون
(قلت) الفقير لا يدعى الشيخوخة حتى يأذن له شيخه فاذا اذن له فلا بأس أن يعرف بنفسه لتقصد الاتباع له وأما اذا لم يؤذن له أو لم يكن له شيخ وقال فاتبونى فهو أحمق مجنون سواء كان له علم أم لا اذن من لا شيخ له لا علم له بطريق السير أصلاً ومن لا علم له فهو جاهل والجاهل يقود الجاهل كالأعمى يقود الأعمى إلى أين المصير وان لم يأذن

نحن ان كنا به تنها دلالات على سائر الحقائق والعبد
وان نحن جئنا اليها عطل ذلكا ذل اليهود

قال بعضهم رأيت ذل كل ذى ذل فزاد ذلى على ذلهم ونظرت في عز كل ذى عز فزاد عزى على عزهم اه وقال
السبيل رضى الله عنه لقد ذلت حتى عز في ذلى كل ذى ذل وعززت حتى ما تعزز أحد الايومن به تعززت ثم ان الفقر
أخو الذل ولذلك قرنه به في المناجاة الثانية والثلاثين فقال (إلهي كيف لا أفقر اليك وأنت الذى فى الفقر أقتى) لأن
أنفاسي بيدك فأنا فقير اليك فى كل لحظة فى إيجادى وامدادى قال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) وهذا هو
الفقر إلى نعمة الایجاد ثم قال تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) وهذا هو الفقر إلى نعمة الامداد (أم كيف أفقر
إلى غيرك وأنت الذى بجودك أغنيى) حيث كفيى ما أمئى وتكفلت لى برزق وما تقوم به بنيتى وأغنيى بمعرفتك حتى
لا أحتاج إلى غيرك وفى الحديث ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس أى الروح وغناها انما يكون برها (أنت
الذى لا إله غيرك تعرفت لكل شىء) بما أظهرت له من نور جلالك وجمالك ضار مسيحاً بجمدك وساجداً لك (فأ
جهلك شىء) فالكل عارف بك ومقر لك بالربوبية اما طوعاً ظاهراً وباطناً واما باطنا فقط لتظهر حكتك (وأنت الذى
تعرف إلى فى كل شىء) من اختلاف الآثار وتقلات الاطوار (فرأيتك ظاهراً فى كل شىء) (بنورك الازل الذى
أتى وجود كل شىء) فأنت الظاهر لكل شىء) وأنت الباطن لكل شىء وفى الحديث اللهم أنت الاول فليس قبلك
شىء وأنت الآخر فليس بعدك شىء وأنت الظاهر فليس فوقك شىء وأنت الباطن فليس دونك شىء وقد تقسمت أقسام

له شيخه فهو ذو دعوى ومبتلى بهوى والهوى شعبة من الجنون والله تعالى أعلم ثم قال :

أو قال صوفى أنا ولما يدر حدود النفس فهو أعمى

(قلت) اذا قال الفقير أنا صوفى ولم يفرق بين حدود النفس وحدود العقل والقلب والروح والسرف هو أعمى (أو تقول)
لم يفرق بين الروحانية والبشرية فهو أعمى عن طريق الخصوصية (أو تقول) لم يعرف ما فيه ضرر نفسه فينكشف عنه وما
فيه نفعها فيبادر اليه ولا شك أن من كان هكذا فهو أعمى عن طريق السير اذ السر إما هو فضل ما يقتل النفوس وترك
ما تحيا به ومن لم يعرف ما ينفعه وما يضره فلا بصيرة له فهو أعمى وهذا أقرب لشرح النظم والله تعالى أعلم ثم قال :

وحبه القوم بلا اتباع ليس له فيه من انتفاع

(قلت) محبة القوم فيها خير كثير من أحب قوماً حشر معهم لكن لا يتبع بها فى طريق التصفية والتهذيب الا باتباع
ما أشاروا اليه به وأما الحرمة والبركة فتحصل بحول الله عمل بعملهم أو لم يعمل للحديث والله تعالى أعلم ثم قال :

وفضله ما فى عموم الشرع يمنعه النص ففعل بدعى

(قلت) فعل ما يمنعه النص فى عموم الشريعة حرام الا لضرورة فان الضرورات تبيح المحظورات فان فعل الفقير
شيئاً من ذلك فهو بدعى واما ما لم يرد نص فى تحريمه ولا تحليله فإن فعله بنية القربة فهو بدعى أيضاً التغييره أحكام الشريعة
وإن فعله استراحة للنفس أو جلباً للحال أو لئلا مرض أصابه فهو مطلوب فقد سئل الجنيذ عن السماع فقال كل ما يجمع
العبد بالله فهو مباح اه وبيت الناظم فيه تقديم وتأخير أى وفعل الفقير ما يمنه النص فى عموم الشرع بدعى والله
تعالى أعلم ثم قال :

وإن تشيخ بغير إذن من شيخه باء بكل غيب

الظهور مستوفاة في أول الكتاب وعبر هنا بعبارة لم تتقدم فقال (يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيباً في رحمانيته كم صارت العوالم غيباً في عرشه) قلت أشار إلى تفسير قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (ثم استوى على العرش الرحمن) فذكر أن استواء الحق تعالى على العرش إنما هو برحمانيته فهو مغفور في رحمانيته الحق حتى صار غيباً في رحمانيته إذ لا نسبة له معها ورحمانيته الحق تعالى وصف قائم بذاته الصفة لازمة للوصف فإذا غاب العرش وانطوى وجوده في رحمانيته غابت العوالم كلها لأنها في جوف العرش كحقيقة في الأرض وهو محيط بها كما أحاطت الرحمانية بالعرش فلا نسبة له معها ثم فسر ذلك فقال (عقبت الآثار بالآثار) فالآثار الأولى هي العوالم والآثار الثانية هو العرش فقد امتحنت الأكران كلها في عظمة العرش حتى صارت كالعدم (وعجوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار) قلت المراد بالأغيار هو العرش وما احتوى عليه من الآثار أو تقول هو كل ما دخل عالم التكوين من العرف إلى الفرض أو ما فرض وجوده خارجاً عن العرش وأفلاك الأنوار هي أنوار الذات والصفات فإذا امتحنت الأغيار وهي الآثار بأنوار عظمة الذات بقيت الأنوار وانفرد بالوجود الواحد القهار فأنوار الصفات هي أنوار الذات وأنوار الذات هي أنوار الصفات والله تعالى أعلم (يا من احتجب في سرادقات عزه عن أن تدركه الأبصار) قلت السرادقات في اللغة هي الأسوار المحيطة بالدار وهي هنا كناية عن الحجب القهري وهي حجب العزة التي احتجب الحق تعالى بها عن عباده مع شدة ظهوره ومرجعها إلى دوائر الحس والرم والغفلة والاكثة التي على القلوب وتتحصر في خمسة أمور

(قلت) الفقير إذا تشيخ أى صير نفسه شيخاً وتقدم لمرتبة الشيوخية من غير إذن من شيخه فقد باء أى رجع بكل غبن وخسارة إذ لو رآه شيخه أهلاً لها لقدمها وأما انتقاله عنه إلى غيره فهو أقيح وهو إفساد لبندة الإرادة وهذا في حق شيخ الترية وأما غيره فلا يضره الانتقال عنه إذ المريض إذا لم يشف على يد طبيب انتقل إلى غيره وهذا أى انتقال المريض لم يذكره الناظم وتقدم في محله والله تعالى أعلم ثم قال :

فهذه وشبهها موانع وهى على الطريق كالقواطع
هل هى إلا علل في الفقر جالدها كل جليل صقر

(قلت) الإشارة تعود إلى كل ما قدمه من الفصل إلى هنا من مساوى متفكرة الوقت يعنى أن هذه الأمور التي قدمنا وشبهها هي في طريق القوم موانع تمنع المريد من الوصول إلى مقصوده وهي على طريق التصوف كالصوص والقطاع وما هي أيضاً إلا علل في طريق الفقر فنجاهدها وجالدها فهو كالصقر أى البازي في الشجاعة والإعامة والمجاهدة هي المضاربة بالسيف والرجل الجليل هو الصبار أى جالده هذه العلل وصرفاً عن نفسه صبار شجاع زعيم يفوز بالخير الجسم والله تعالى أعلم ثم قال :

حتى إذ جدلها صريعة لم يتوقع بعدها وقعة

(قلت) التجديد هو الصراع والاسقاط يعنى أن الفقير إذا غلب نفسه وجاهدها حتى غلبها وصرعها وقتلها أمن حيثئذ من غوائلها ولم يتوقع منها بعد ذلك وقعة ولا قتلة التتة وبالله التوفيق ثم قال :

يا صاح لا يفتكك الزمان فهنا لديك الشرح والبيان

(قلت) لما نصحتك وحذرتك قال لك يا صاحبي لا يفتكك الزمان وأهله فقد شرحت لك أحوال الناس ويئتها حتى تركتك على بينة تعرف منها الصادق والكاذب فلا تعتر حتى يأكلك من والاك ولا تسى الظن حتى تسد باب الرحمة

(الاول) حب الدنيا الذى زرعه الحق تعالى بقره فى قلوب الناس حتى انصرف اليها الهم وتاهت فيها العقول وتعلمت الصور خيالها القلوب واشتكت فيها الفكر فلا تصرف الى غيرها وبهذا احتجب جل العباد الا من عصم الله (الثاني) ارتباط الاسباب مع مسياتها والعوائد مع ماتعوت بها كتوقف أمر الرزق على حركة السبب النبات على وجود الأمطار وغير ذلك من ارتباط الاسباب فظن الجهال أنها لا تفك عن مسياتها فحبوا بها عن مسبب الاسباب والحكيم العلم يرزق من غير أسباب ويعطى بلا حساب وبهذا احتجب كثير من الناس فوقوا مع الاسباب وحجوا عن شهود رب الارباب الا من تفقت بصيرته من ذوى الالباب

(الثالث) الوقوف مع ظاهر الشريعة ترغياً وترهياً علماً وعملاً يقوم وقفوا مع الترغيب فانكبوا على العمل طلباً للجزاء وم العباد وقوم وقفوا مع الترهيب فظلم عليهم الخوف وم الزهاد وقوم وقفوا مع ترغيب العلم فاشتغلوا بعلوم الرسوم والحروف وتركوا علم اليقين والخشية والمعرفة وم علماء الظاهر فحبوا بالعلم عن المعلوم وهى معرفة الحق القيوم (الرابع) الوقوف مع حلالة الطاعات ولذيق المناجاة وهى سبوح قاعة لمن وقف معها وهى لأهل المراقبة وبها احتجب كثير من العباد والزهاد وقد تظهر لهم خوارق وكرامات حسية فزيدم حجاباً عن الله

(الخامس) ظهور أثر القدرة على هذه التجليات واتصافها بأوصاف العبودية كالغفر والذل والجهل والمرض والموت وغير ذلك من أوصاف البشرية التى سترت مر الخصوصية وبهذا احتجب بعض المستشرقين على الفناء فى الذات فرجعوا من حيث جاؤا واهل قاهر فوق عبادته وهو الحكيم الخبير فهذه مرادقات العز التى احتجب الحق تعالى بها فان العزير هو الذى لا يترقى إليه وم طمعاً تقديره ولا يسمو إلى صمدانيته فهم قصدا إلى تصويره وقيل الزيز من ضلت العقول فى بحار عظمت وحار الالباب فى إدراك نعمته وكلت الأسن عن استيفاء مدح جلاله ووصف جماله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مولاك وابتغ بين ذلك سبيلا واهل الله تعالى أعلم ثم قال : فالحق لا يعرف بالرجال والعين لا تصلح بالمحال (قلت) هذا مثل مشهور وهو أن الحق لا يعرف بالرجال بل الرجال يعرفون بالحق أى باتباعه فن عرف الحق بالرجال أصبح فى غاية الضلال اعرف الحق تعرف أهله (وقد) قال على كرم الله وجهه لو عرف الله بمحمد صلى الله عليه وسلم لما عبده ولكن الله عرفني بنفسه فرفقه ثم عرف محمد بالله فانظر هذا المقام الذى لم يحجبه عن الله ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم (وقوله) والعين لا تصلح بالمحال أى ماشاهدته العين وتحققته لم يتطرق إليه محال ولا ريب فليس الخير كالعيان فلا تغير بالسماح حتى ترى بعينك وتتحقق وحينئذ تقدم أو تأخر وفى بعض النسخ والعين لا تصلح بالكامل بالكاف ولعل معناه أن العين الكملة غنية عن الكمل فهى جيلة لا تحتاج إلى أن جلسها الكمل فكذلك الحق معروف لا يتوقف على معرفة الرجال بل معرفة الرجال متروكة على معرفة الحق واهل الله تعالى أعلم ثم قال :

والحق فى كل الأمور أولى لو رآه الباطل لاضمحلا (قلت) لأشك أن متابعة الحق والأخذ به فى كل الأمور أولى ومتى جاء الحق زهق الباطل واضمحلا قال تعالى (بل نغذي بالحق على الباطل فيدمنه فإذا هو زاهق) إذ الباطل لا يقوم للحق أصلاً قيل لسهل رضى الله عنه من أن تأكل قال من عند الله قال أيزل عليك من السماء قال لو لم تكن الأرض له لأنزله من السماء قال أنتم لا تقوم أحدكم بمجة فقال الحق لا يقوم له شيء أه وقيل المسؤول حاتم واهل الله تعالى أعلم ثم قال

وإذا علمت سنن الأقوال اذن فهلك القوس والمرأى (قلت) السان بالفتح الطريق وبالضم جمع سنة يقول لما أخبرتك بسنن الصوفية فقد أعطيتك أقواسهم وكشفت لك عن مبلغ مرامهم حيث تقبى سهامهم فلا تنقر بجمال سكرة فرعون وأعصيتهم الباطلة وتدع للميل إلى عصى موسى التى

لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك اه (يا من تجلى بكال بهائه) أى حسنه وجماله (فحققت عظمته الأسرار)
أى أسرار العارفين فدام سرورهم وجورهم إلى يوم الدين ثم تصل نضرتهم بنظرهم إلى رب العالمين وأنشدوا :

سرورى بكم أضحى يجلى عن الوصف وقرى منكم بالمودة والعطف
وأتم معى حيث استقل فى الهوى فلى بكم شغل عن الدانى والإلف
سوداء قلبى أصبحت حرماً لكم تطوف بها الأسرار من عالم اللطف
رسائل ما بين المحيين أصبحت تجل عن التعريف والرسم والعرف
رسائل جاءت بريا جنابكم عوارف عرف فاق عن كل شذا عرف

(كيف تخفى) عن بصائر العارفين (وأنت الظاهر) وحك لا ظاهر منك قال تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) فالخلق هو الظاهر لكن لا تدركه أبصار المخلوقين ولا يرى الحادث القديم ولا يرى الحق إلا الحق فاذا فى الخلق الحادث وبقي القديم رأى القديم وعرف الحق فادمت لم ينط الحق تعالى وصفك بوصفه ونعتك بنعته لا تطلع فى شهوده ومعرفته مع شدة ظهور نور (ام كيف تيب وأنت الرقيب الحاضر) الذى لا يخفى عليه ولا يغيب عنه شيء وهو المحيط بكل شيء (والله الموفق) إلى سواء الطريق والموصل إلى عين التحقيق (وبه أستعين) فانه القوى المدبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا (محمد) المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً دائماً إلى يوم الدين (نجز ما قصدنا جمعه) بحول الله وقوته فان وافق الحق والصواب فآلهة العلى الكريم والإفاعة لعل

هى تلقف ما يافكون فوق الحق وبطل ما كانوا يعملون فقلوا هنالك وانقلبوا صاغرين وكذلك المتشبهه مع سادات الصوفية قاله الشيخ عبد الوارث ثم قال :

هذا هو الطريق فأقصد جله فقد جمعنا لك منه جملة

يعنى أن ما ذكرته فى كتابى هذا هو أساس الطريق فابن عليه يستقيم بنيانك وإرض ماسواه فقلع فأقصد العمل بما فيه أو جله فقد جمعت لك من سنن القوم جملة صالحة وبقية التوفيق ثم قال :

وقد ذكرنا كلها اشترطنا وما على آخره أتبنا

(قلت) أخبر رحمه الله أنه أتى على ما شرطه فى أول كتابه من بيان سنن الفقير وقد أتى على آخره وذكر جميع فصوله الخمسة جزاه الله عن المسلمين خيراً وفى أمثاله قال القائل :

جزى الله الرجال جزاء خير فى كل ما أظهروا لنا وأبدوا

لقد عظمت فضائلهم علينا لما للؤمنين هدوا وأهدوا

ثم ختم كتابه بالدعاء فقال : وفقنا الله إلى التوفيق وقادنا لقادة التحقيق

(قلت) التوفيق هو خلق القوة على الطاعة وقادة التحقيق هم العارفون بالله نسأل من الله التوفيق وأن يسوه إلى شيوخ التحقيق إذ بذلك بكل التوفيق وبقية التوفيق ثم ختم بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبل دعاؤه ويقبل على كتابه فقال :

وبعد هذا فصلاة الله ترى على الهادى العظيم الجاه

ما غردت ورقاه فى الأنصان وحن مشتاق إلى الأوطان

(قلت) ترى أى يتبع بعضها بعضاً والتفريد الصباح بصوت حين والورقاء بالدهامة ذات النقط فى ريشها (وقوله) لعظيم الجاه أشار به إلى حديث عن صلى الله عليه وسلم توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم (و) فى حديث آخر مكتوب

الخطأ والتقصير ولا سيما مع الباع القاصر والعلم القصير (وأقول) كما قال الشيخ خليل واعتذر لنوى الألباب من التقصير الواقع في هذا الكتاب وأسئل بلسان التضرع والخشوع وخطاب التذلل والخضوع أن ينظر بين الرضا والصواب فما كان من نقص كلوه وما كان من خطأ صلحوه قلباً يخلص مصنف من الهفوات أو ينجو مؤلف من العثرات وكما قال ابن مالك في التيسيل أعاذنا الله من حاسد يسد باب الأنصاف ويصد عن جميل الأوصاف وألهمنا شكراً يقتضى توالى الآلاء ويقضى بالقضاء اللائز أى الشدة وكما قال في حرز الأمانى فيعاطر الأنفاس أحسن تأولاه وأنا أسأل الله تعالى أن ينفع به من كتبه أو طالعاه أو حصل شيئاً منه أو سمعه أو عمل بما فيه وأن يكسوه جلياب القبول ويبلغ محصله كل مطلوب ومأمول بحاجه خير الأنام مولانا (محمد) الشفيق المقبول صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وعترته وأزواجه أهل المحبة والوصول وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وافق الفراغ من تبييضه عشية يوم الأربعاء ثامن جمادى الأولى سنة إحدى عشرة ومائتين وألف وابتداء جمعه في شهر المحرم الحرام من ذلك العام وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا (محمد) خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم صل على سيدنا (محمد) النبي الأسمى وعلى آله وصحبه وسلم
(انتهى كتاب إيقاظ المحمم في شرح الحكم والفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية ويليه من الحكم)

تحت ساق العرش من اشتاق إلى رحمتي رحمته ومن سألني أعطيته ومن توسل إلى محمد صلى الله عليه وسلم لم أخيبه اللهم توسلنا إليك بحاجه حبيلك مولانا (محمد) صلى الله عليه وسلم أن تمتع أسرارنا بمرثك وتزده أفكارنا في رياض قدسك وأن تحفظ قلوبنا من الميل إلى غيرك نحن وأحبائنا ومن تعلق بنا آمين ثم أبدعه الصلاة بشيئين أحدهما فان والآخر باق فالأول تفريد الحمام في الأغصان والثاني حنين المشتاق إلى الأوطان فان الأرواح نحن إلى أوطانها على الدوام ولو بعد الحمام ولو اتصلت بالنعم الروحاني المقيم فلا بد أن يبقى معها الاشتياق إلى الترقى والنظر أبداً والفرق بين الشوق والاشتياق ان الشوق يزول بالملاقاة بخلاف الاشتياق فلا يزول بالوصول وإلى ذلك أشار ابن الفارض بقوله

وما بين شوق واشتياق فئت في تول بحظوة أو تجل بمحضرة

ثم ختم بالحمد كما بدأ ليكون الكتاب مكتفياً بالحمد فيعظم خطره ويرفع قدره فقال :

والحمد لله الذي ختمنا بحمده كما به بدأنا

(قلت) حمداً لله على توفيقه لخدمته في البداية والنهاية وذلك من علامة بلوغ الأمل والمرام وقد تقدم الكلام عليه في أول الكتاب فلا نعيد (والحمد لله) الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وصلى الله على سيدنا (محمد) وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين (هذا آخر) التعليق المبارك نسأل الله سبحانه أن يتقبله بأحسن قبول وأن يبلغ به من طالعاه أو سمعه كل مقصد ومأمول بحاجه الحبيب الأعظم والرسول الأغم سيدنا ومولانا (محمد) سيد العرب والعجم صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أولى الزاوة والفضل والكرم (ووافق) من الفراغ من تبييضه عشية يوم الخميس أوسط شهر رمضان سنة إحدى عشر ومائتين وألف وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا (محمد) خاتم النبيين وإمام المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً

من الحكم العطائية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال الشيخ) الامام المحقق أبو الفضل تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري هـ من علامة الاعتماد على العمل . نقصان الرجاء عند وجود الزلل هـ إرادتك التجريد مع إقامة الله إياك في الأسباب من الشهوة الخفية . وإرادتك الأسباب مع إقامة الله إياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية هـ سوابق الحزم لا تغرق أسوار الانذار هـ أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك هـ اجتهدك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك . دليل على انطباع البصيرة منك . لا يكن تأخر أمد الاعطاء مع الإلحاح في الدعاء موجبا لياسك . فهو ضمن لك الإجابة فيما يختاره لك لا فيما يختاره لنفسك . وفي الوقت الذي يريد لاني الوقت الذي تريده هـ لا يشككك في الوعد عدم وقوع الموعود وإن تعين زمنه . ثلثا يكون ذلك قد حاق بصيرتك وإخماداً لنور سريرتك هـ إذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها إن قل عملك . فانه ما فتحها لك الا وهو يريد أن تعرف اليك ألم تعلم أن التعرف هو موروده عليك والأعمال أنت مبدئها اليه وأين ما تهدي اليه بما هو موروده عليك هـ تنوع أجناس الأعمال هـ تنوع واردات الأحوال هـ الأعمال صور قائمة هـ وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها ادفن وجودك في أرض الخمول . فانت بما لم يدفن لا يتم تاجه هـ مانع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة هـ كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته . أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهوته . أم كيف يطعم أن يدخل حضرة الله ولم تطهر من جنابة غفلته . أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم ينب من هفواته الكون كله ظلمة وإنما أناره ظهور الحق فيه . فن رأى الكون ولم يشهده فيه أو عنده أو قبله أو بعده قد أعوزه وجود الأنوار . وحجبت عنه شمس المعارف بسحب الآفان . مما يدلك على وجود قهره سبحانه أن حبك عنه بما ليس بموجود معه هـ كيف يتصور أن يحبه شيء وهو الذي أظهر كل شيء هـ كيف يتصور أن يحبه شيء . وهو الذي ظهر لكل شيء هـ كيف يتصور أن يحبه شيء . وهو الظاهر قبل وجود كل شيء . كيف يتصور أن يحبه شيء . وهو أظهر من كل شيء هـ كيف يتصور أن يحبه شيء . وهو الواحد الذي ليس معه شيء هـ كيف يتصور أن يحبه شيء . وهو أقرب إليك من كل شيء هـ كيف يتصور أن يحبه شيء . ولو لا ما كان وجود كل شيء هـ يا عجباً كيف يظهر الوجود في الدم . أم كيف ثبت الحادث مع من له وصف القدم هـ ما ترك من الجبل شيئاً من أراد أن يحدث في الوقت غير ما أظهره الله فيه . إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من دعوات النفس . لا طلب منه أن يخرجك من حالة ليستملك فيما سواها . فلو أرادك لاستملكك من غير إخراج . ما أرادهم سالك أن تقف عند ما كشف لها إلا ونادته هـ واقف الحقيقة الذي طلب أمامك . ولا تخرجت ظواهر المكونات (لا وادتك حقائقها) إنما نحن قتها فلا تكفر طلبك منه اتهام له . وطلبك له غيبة منك عنه وطلبك لنيره لقله حياتك منه وطلبك من غيره لو وجود منك عنه ما من نفس

تبدله الاوله قدر فيك بمعني لا تترقب فروغ الاغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيا هو مقيدك فيه لا تستغرب وقوع الاكدار مادمت في هذا الدار فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعمتها ما توقف مطلب أنت طالبه بربك ولا تيسر مطلب أنت طالبه بنفسك من علامات التجاخي التهايات الرجسوع إلى الله في البدايات من أشرفت بدايته أشرفت نهايته ما استودع في غيب السرائر ظهر في شهادة الظواهر شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه للمستدل به عرف الحق لأله فأثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه وإلا فتي غلب حتى يستدل عليه ومتى بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل اليه • لينفق ذو سعة من سمته الواصلون اليه ومن قدر عليه رزقه السائررون اليه • اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه والواصلون لهم أنوار المواجهة فالأولون للأنوار وهؤلاء الأنوار لهم لأنهم لله لالشيء دونه قل الله ثم ذرم في خوضهم يطعمون • تشوذك إلى ما بينك من العيوب خير من تشوذك إلى ما حجب عنك عن العيوب • الحق ليس بمحجوب وإنما المحجوب أنت عن النظر اليه إذ لو حجب شيء لستره ما حجب ولو كان له سائر لكان لوجوده حاصراً وكل حاصر شيء فهو له قاهر وهو القاهر فوق عباده • أخرج من أوصاف بشرتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك لتكون لنداء الحق جيباً ومن حضرته قريباً • أصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا منك عنها ولأن تصحب جاهلاً لا يرضى عن نفسه خيراً لك من أن تصحب عالماً يرضى عن نفسه فأى علم لعالم يرضى عن نفسه وأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه • شعاع البصيرة يشهدك قربك منك وعين البصيرة يشهدك عدوك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدوك ولا جودك • كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان لا تمتدنية همتك إلى غيره فالكريم لا تخطئه الآمال • لا ترفعن إلى غيره حاجة هو موردك عليك فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعاً من لا يستطيع أن يرجع حاجة عن نفسه فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعاً • ان لم تحسن ظنك به لأجل حسن وصفه لحسن ظنك به لوجود معاملته معك فهل عودك الا حسناً وهل أسدى اليك الا منناً • العجب كل العجب بمن يهرب من لا انكسارك له عنه ويطلب مالا بقاء له معه فانها لا تعنى الا بصار الآيه • لا ترحل من كون الى كون فتكون كحمار الرحا يسير والمكان الذي ارتحل اليه هو الذي ارتحل منه ولكن ارحل من الاكون الى المكون وأن الى ربك المنتهى وانظر الى قوله صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فحجته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فحجته الى ما هاجر اليه فافهم قوله عليه الصلاة والسلام وتأمل هذا الأمر ان كنت ذاهب • لا تصحب من لا ينهض حاله ولا يدلك على الله مقاله • ربما كنت مسيئاً فأراك الإحسان منك محبتك الى من هو أسوأ حالاً منك • ما قل عمل برز من قلب زاهد ولاكثر عمل برز من قلب راغب • حسن الأعمال تأنج حسن الأحوال وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الانزال • لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك في وجود ذكره فسي أن يرفضك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غفلة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز • من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من المواقفات وترك التدم على ما فاضته من وجود الزلات • لا يعظم الذنب عندك عظمتك عن حسن الظن بالله تعالى فان من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه • لا صغيرة اذا قابلك عدله ولا كبيرة اذا واجبك فضله • لا عمل أرحم للقلوب من عمل ينيب عنك شهوده ويحقر عندك وجوده • إنما أورد عليك الوارد لتكون به عليه وارداً

أورد عليك الوارد ليتسلك من يد الأغيار ، وليرحلك من رق الآثار . أوردك عليك الوارد ليخرجك من سجن وجودك إلى قضاء شهودك ، الأنوار مطايا القلوب والأسرار . النور جند القلب كما أن الظلمة جند النفس فإذا أراد الله أن ينصر عبده أمدّه بجنود الأنوار وقطع عنه مدد الظلم والأغيار ، النور له الكشف ، والبصيرة لها الحكم ، والقلب له الأفعال والادبارة . لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك وافرح بها لأنها برزت من الله اليك ، قل بفضل وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . قطع السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم ، أما السائرون فلأنهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها . وأما الواصلون فلأنه غيهم بشهوده عنها ، ما بسقت أعصاب ذل إلا على بذرطع . ما قادرك شيء مثل الوهم ، أنت حرما أنت عنه آيس ، وعبد لما أنت له طامع . من لم يقل على الله بملاطفات الاحسان قيد اليه بسلاسل الامتحان ، من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بقاها ، خف من وجود إحسانه اليك ودوام إساءته معك أن يكون ذلك استدراجا لك فسندرجهم من حيث لا يعلمون من جهل المريد أن يسى . الأدب فتوخ العقوبة عنه فيقول لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد وأوجب الابداء ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ولو لم يكن إلا المنع المزيد ، وقد يقام مقام البعد وهو لا يدري ولو لم يكن إلا أن يغفلك وماتريد ، إذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد وأدامه عليها مع طول الامداد ، فلا تستحقن مامنته مولاه لأنك لم تر عليه سببا العارفين ولا بهجة المحبين ، فلو لا وارد ما كل ورد ، قوم أقامهم الحق لحسنه وقوم اختصهم بحبته كالأند هؤلاء هؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ، قلنا تكون الواردات الالهية الابنة لتلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد من رأيته مجييا عن كل ماسئل ومعبرا عن كل ماشهد وذاكر أكل ماعز ، فاستدل بذلك على وجود جهله ؛ إنما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباد المؤمنين لأن هذه الدار لاتسع ما يريد أن يطعمهم ؛ ولأنه أجل أقدارهم عن أن يجازيهم في دار لابقاء لاهم ووجد ثمرة عمله عاجلا فهو دليل على وجود القبول أجلا ؛ إذا أردت أن تعرف قدرك عنده فانظر فيما ذا يقيمك ؛ متى رزقك الطاعة والغنى به عنها ؛ فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمة ظاهرة وباطنة ، خير ما تطلب منه ما هو طالبه منك ، الحزن على فقدان الطاعة مع عدم التهوؤ اليها من علامات الاعتزاز ؛ ما العارف من اذا أشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته بل العارف من لا اشارته لفناته في وجوده وانطوائه في شهود ، الرجاء ما قرنه عمل ؛ والا فهو أمنية ، مطلب العارفين من الله تعالى الصدق في العبودية ، والقيام بحقوق الربوبية ، بسطك كي لا يقيقك مع التقيض ، وقبضك كي لا يتركك مع البسط ، وأخرجك عنهما كي لا تكون لثنى دونه ، العارفون اذا بسطوا أخرف منهم إذا قبضوا ؛ ولا يقف على حدود الأدب في البسط الاقليل . البسط تأخذ النفس منها حظها بوجود الفرح ، والتقيض لاحظ للنفس فيه ، ربما أعطاك فتمك وربما منك فأعطاك ، متى فتح لك باب الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء ، الاكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ؛ فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها ، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها ؛ ان أردت أن يكون لك عز لا يفتى فلا تستعز بمن يغنى العلى الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك ، العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله احسان ؛ جل ربنا أن يعامله البعد نقدا فيجازيه بسطة ، كنى من جزائه اياك على الطاعة أن رضيك لها أهلا ، كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم في طاعته ؛ وما هو مورد عليهم من وجود مؤانسته ، من عبده لشيء يرجوه منه أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه ؛ فما قام بحق أو صافه متى أعطاك أشهدك به ومتى منك أشهدك قهره ، فهو في كل ذلك متعرف اليك ومقبل بوجود لطفه عليك ، إنما يؤلك المنع لعدم فهمك عن الله فيه ، ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول

وربما قضى عليك بالذنب فكان سبياً في الوصول لمعصية أوردت ذلاً وإفقاراً خيراً من طاعة أوردت عزاً واستكباراً نعمتان ما خرج موجود عنهما ولا بد لكل مكون منهما ، نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد أنعم عليك أولاً بالإيجاد ثانياً بتوالي الإمداد ، فافتك لك ذاتية وورود الأسباب المذكورات لك ثم خفي عليك منها والفاقة الذاتية لا ترفضها العوارض ، خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود قافتك ، وترد فيه إلى وجود ذلك ، متى أوحشت من خلقه ، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الانسابه ، متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك ؛ العارف لا يزل اضطرابه ولا يكون مع غيره الله قراره ، أنار الظواهر بأنوار آثاره ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه لأجل ذلك أكلت أنوار الظواهر ولم تأكل أنوار القلوب والسرائر ولذلك قيل :

ان شمس النهار تقرب باليل إلى شمس القلوب ليست تقيب

ليخفف ألم البلاد عليك عليك بأنه سبحانه هو الميلي لك ، فالذي واجهتك منه الأقدار هو الذي عودك حسن الاختيار من ظن انفكك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره ، لا يخاف عليك أن تتلبس الطريق عليك وإنما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك ، سبحانه من ستر سر الخصوصية بظهور البشيرة وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية ، لا تتطالب ربك بتأخر مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخر أدبك ، متى جعلك في الظاهر ممثلاً لأمره ووزك في الباطن الاستسلام لغيره ، فقد أعظم المنة عليك ، أليس كل من ثبت تخليصه كل تخليصه ، لا يستحق الورد إلا جهول ، الوارد يوجد في الدار الآخرة والورد ينطوي بانطواء هذه الدار ؛ وأولى ما يعتنى به ما لا يخفى وجوده ، الورد هو طالبه منك والوارد أنت تطلبه منه وأين ما هو طالبه منك ما هو مطلبك منه ، ورود الإمداد بحسب الاستعداد ، وشروق الأنوار على حسب صفاء الأسرار ، الفافل إذا أصبح ينظر ماذا يفعل والمافل ينظر ماذا يفعل الله به ، إنما يستوحش العباد والزهاد عن كل شيء لغيرتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء ، أمرك في هذه الدار بالنظر في مكتوباته وسيكشف لك في تلك الدار عن كمال ذاته ، علم منك أنك لا تصبر عنه فأشبهك ما برز منه لما علم الحق منك وجود الملل لون لك الطاعات وعلم ما فيك من وجود الشره فحجها عليك في بعض الأوقات ليكون همك إقامة الصلاة لا وجود الصلاة فاكل مصل مقيم الصلاة طهورة للقلوب من أدناس الذنوب واستفتاح لباب النيوب ، الصلاة تعمل المناجاة ومعدن المصافاة تسع فيها مبادئ الأسرار وتشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود الضعف منك فقلل إعدادها وعلم احتياجك إلى فضله فكثرت أعدادها متى طلبت عروضا على عمل طوبيت بوجود الصدق فيه ويكنى المريب وجدان السلامة ، لا تطلب عروضا على عمل لست له فاعلا ، يكنى من الجزاء لك على العمل إن كان له قابلا ، إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق ونسب إليك ، لانهاية لئلا منك أن أرجعك إليك ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك ، كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً وبأوصاف عبوديتك متحققاً منك أن تدعى ما ليس لك بما للمخلوقين ، أفبيح لك أن تدعى وصفه وهو رب العالمين كيف تخرق لك العوائد وأنت لم تخرق من نفسك العوائد ، ما الشأن وجرد الطلب إنما الشأن أن ترزق حسن الأدب ، ما طلب لك شيء مثل الاضطراب ولا أسرع بالمواهب إليك مثل الذلة والافتقار ، لو أنك لا تصل إليه إلا بعد فناء مساوبك ومحور دعاويك لم تصل إليه أبداً ، ولكن إذا أراد أن يوصلك إليه غطى وصفك بوصفه ونفكك بنعمته فوصلك إليه بما منه إليه . لو لا جميل ستره لم يكن عمل أهلاً للقبول أنت إلى حله إذا أطعت أخرج منك إلى حله إذا عصيته ، الستر على قسمين ستر عن المعصية وستر فيها فالعامة يطلبون من الله الستر فيها خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق من أكرمك إنما أكرم فيك جميل ستره فالحمد لمن سترك ليس الحمد لمن أكرمك وشكرك ، ما يحبك إلا من يحبك وهو يبيحك عليم وليس ذلك إلى مولاك الكريم ، خير من تصحب من يطلبك لا شيء يعود منك إليه لو أشرق لك نور اليقين لرأيت الآخرة أقرب إليك من أن ترحل إليها ولرأيت ناسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها ما يحبك عن الله وجود موجود معه إلا شيء معه ولكن حببك عنه توهم موجود معه ، لو لا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود الصفات ولو ظهرت صفاته اختمت مكوناته ، أظهر كل شيء . لأنه الباطن (٥٩ - ابقاظ ثاني)

وطوى وجود كل شيء لأنه الظاهر أباح لك أن تنظر مافي المكونات وما أذن لك أن تقف مع فوات المكونات قل انظروا مافي السموات والأرض ، ولم يقل انظروا السموات والأرض ، قل انظروا ماذا فيها فتح لك باب الافهام ولم يقل انظروا السموات لتلا يدلك على وجود الاجرام ، الاكون ثابتة بإثباته وبحوة بأحدية ذاته ، الناس يمدحونك لما يظنونه فيك فكأن أنت ذاما لنفسك لما تعلمه منها ، المؤمن إذا مدح استحيا من الله تعالى أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفسه ، أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس ، إذا أطلق الثناء عليه ولست بأهمل فأن عليه بما هو له أهل ، الزماد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق ، متى كنت إذا أعطيت بسطك العطاء وإذا منعت قبضك المنع فاستدل بذلك على ثبوت طفوليتك وعدم صدقك في عبوديتك ، وإذا وقع منك ذنب فلا يكن سبباً ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك ، إذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء فاشهدا منه اليك وإذا أردت أن يفتح لك باب الخوف فاشهد ما منك اليه ، ربما أفادك في ليل القبض ما لم تستفده في إشراق نهار البسط لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً ، مطالع الأنوار القلوب والأسرار نور مستودع في القلوب ممددة من الثور الوارد من خزائن الأنوار نور يكشف لك به عن آثاره ونور يكشف لك به عن أوصافه ، ربما وقت القلوب مع الأنوار كما حجب النفوس بكثافت الأغيار ستر أنوار السرائر بكثافت الظواهر احلالا لها أن تبذل بوجود الاظهار وأن ينادى عليها بلسان الاشهار ، سبحان من لم يجعل الدليل على أولياته إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصلهم اليهم إلا من أراد أن يوصله اليه ربما أطلعك على غيب ملكوته وحجب عنك الاستشراق على أسرار العباد ، من اطلع على أسرار العباد ولم يتخلق بالرحمة الإلهية كان اطلاعه فتنة عليه وسبباً لجر الوبال اليه ، حظ النفس في المعصية ظاهر جلي وحظها في الطاعات باطن خفي وهداواة ما يخفى صعب علاجه ، ربما دخل الرياء عليك من حيث لا ينظر الخلق اليك ، استشراك أن يعلم الخلق بخصوصيتك ، دليل على عدم صدقك في عبوديتك ، غيب نظر الخلق اليك بنظر الله اليك وعب عن اقبالهم عليك بشهود إقباله اليك ، من عرف الحق شهده في كل شيء ومن فني به غاب عن كل شيء ، ومن أحبه من يؤثر عليه شيئاً ، إنما حجب الحق عنك شدة قربه منك ، وإنما احتجب لشدة ظهوره وخفي عن الابهار لعظم نوره ، لا يكن طلبك تسبياً للعطاء منه فيقل فهمك عنه ، ولكن طلبك لاظهار العبودية وقياماً بحقوق الربوبية ، كيف يكون طلبك اللاحق سبباً لعطائه السابق جل حكم الأزل أن يضاف إلى العلل عنايته فيك لا لشيء منك وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته ، لم يكن في أزاله اخلاص أعمال ولا وجود أحوال ، بل لم يكن هناك إلا بعض الفضائل وعظيم النوال ، علم أن العباد يتشوفون إلى ظهور سر العناية ، فقال يتحصر رحمتهم يشاء ، وعلم أنه لو خلاهم وذلك لتركوا العمل اعتياداً على الأذل ، فقال إن رحمة الله قريب من المحسنين ، الا المشيئة يستدكل شيء لأن وقوع ما لم يشأ الحق محال ولا تستدعي إلى شيء ، ربما دلم الأدب على ترك الطلب اعتياداً على قسمته واشغالا بذكره عن مسئلته ، وإنما يذكر من يجوز عليه الاغفال ، وإنما ينبه من يمكن منه الاحمال أو ردد الفاقات عباد المريرين ؛ العيد الوقت الذي يعود على الناس بالمسرة والسرور ، ربما وجدت من المرير في الفاقات ما لم تجده في الصوم والصلاة ، الفاقات بسط المواهب ، ان أردت ورود المواهب عليك صح الفقر والفاقة لديك إنما الصدقات للفقراء ، تحقق أوصافك بمدك بأوصافه ، وتحقق بذلك بمدك بعزوه وتحقق بمدك بمدك بقدرته ، تحقق بضعفك بمدك بجلوه وقوته ربما رزق الكرامة من تكلم له الاستقامة ، من علامات إقامة الحق لك في الشيء إدامته إياك فيه مع حصول النتائج ، من عبر من بساط إحسانه أصحته الاساءة ، ومن عبر من بساط إحسان الله لم يصمت إذا أساءه ، تسيف أنوار الحكماء أقوالهم حيث صار التورير وصل التعبير . كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه يبرز ، من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الحق عبارته وجليت اليهم إشارته ، ربما برزت الحقائق مكسوة الأتوار إذا لم يؤذن لك فيها بالاظهار ، عباراتهم إما ليعينان وجد أو لقصد هداية مرير ، فالأول حال المساكين ، والثاني حال أرباب المسكنة والمحققين ، العبارة

قوة لعائلة المستمعين وليس لك إلا ما أنت له آكل ، ربما عبر عن المقام من استشراف عليه ، وربما عبر عنه من وصل إليه وذلك يلتبس إلا على صاحب البصيرة لا ينبغي للسالك أن يعبر عن ورداته فإن ذلك يقل عملها في قلبه ويمتعه وجود الصديق مع ربه ، لا تمدن يدك إلى الأخذ من الخلائق إلا أن ترى أن المعطي فيهم مولاك فإن كنت كذلك غفد ما وافق العلم ، ربما استعيا العارف أن يرفع حاجته إلى مولاة اكتفاء بمشيئته ، فكيف لا يستحي أن يرفضها إلى خليقته إذا التبس عليك أمران ، أنظر أيهما أثقل على النفس فاتبعه فإنه لا يثقل عليها إلا ما كان حقاً من علامات اتباع الهوى المسارعة إلى نوافل الخيرات والتكاسل عن القيام بالواجبات ، قيد الطاعات بأعيان الأوقات كي لا يمتنع عنها وجود التسويف ووسع عليك الآفات كي لا تبقى لك حصة الاختيار . علم قلّة نهوض العباد إلى معاملتك فأوجب عليهم وجود طاعته فساقهم إليها بسلاسل الإيجاب ؛ عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل ؛ أوجب عليك وجود خدمته وما أوجب عليك لا دخول جنته من استغرب أن ينقذه الله من شهوته وأن يخرج من وجود غفلته . فقد استعجز القدرة الإلهية وكان الله على كل شيء مقتدراً ، ربما وردت الظلمة عليك ليعرفك قدر ما من به عليك ، من لم يعرف قدر النعم بوجدانها عرف بوجود فقدانها ، لا تدهشك واردات النعم بمحقوق شكرك فإن ذلك مما يحيط من وجود قدرك تمكن حلالة الهوى من القلب هو الداء العضال ، لا يخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج أو شوق مقلق ، كما لا يجب العمل المشترك لا يجب القلب المشترك ، العمل المشترك هو لا يقبله والقلب المشترك لا يقبل عليه ، أنوار أذن لها في الوصول وأنوار أذن لها في الدخول ربما وردت عليك الأنوار فوجدت القلب محسراً بصور الآثار فارتحلت من حيث نزلت ، فرغ قلبك من الأغيار تملأه بالمعارف والأسرار ؛ لا تستطيع من التوال ولكن استطيع من نفسك وجود الأقبال ، حقوق في الأوقات يمكن قضاؤها وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها إذا ما من وقت يرد الله عليك فيه حق جديد وأمر أكيد فكيف تقضى فيه حق غيره وأنت لم تقض حق الله فيه ، ما فاك من عرك لا عوض له وما حصل لك منه لا قيمة له ، ما أحبت شيئاً الاكنت له عبداً وهو لا يجب أن تكون عبداً لغيره ، لا تنفخ طاعتك ولا تضربه مصيبتك فإنما أمرك به ونهيك عن هذه لما يعود عليك لا يزيد في عزه إقبال من أقبل ولا ينقص من عزه ادبار من أدبر ووصلك إلى الله ووصلك إلى العلم به والآنجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء ، قربك منه أن تكون مشاهداً لقربه والا فمن أين أنت ووجود قربه ، الحقائق ترد في حال التجلي بمحبة وبعد الوعي يكون اليان ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنهم أن علينا بيانته متى وردت الواردات الالهية اليك همدت العوائد عليك ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها الوارد بأن من حضرة قهار لأجل ذلك لا يصادمه شيء . الا دمنه ، بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق كيف يحتجب الحق بشيء . والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر لا تأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور فربما قبل من العمل ما لم تدرك ثمرته عاجلاً لا تزكّين وأردا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السجادة الأمطار وإنما المراد منها وجود الأعمار لا تظن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها فلك في الله غنى عن كل شيء . وليس ينبغيك عنه شيء تطالعك إلى غيره دليل على عدم وجدانك له واسئحاشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به النعم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه والعذاب وإن تنوعت مظاهره إنما هو لوجود حجاب به فسيب العذاب وجود الحجاب واتمام التميم بالنظر إلى وجه الله الكريم ما تجده القلوب من الهوم والاحزاو فلاجل ما منعت من وجود العيان من تمام التعمية عليك أن يرزقك ما يكفيك ويمتلك ما يطفيك ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن عليه ان أردت أن لا تقول فلا تتولى ولا تعدم لك ان رغبتك البدايات زهدتك النهايات ان دعاك إليها ظاهراً هناك عنها باطناً إنما جعلها عللاً للاغيار ومعد نالوجود الاكدار تزيها لك فيها علم أنك لا تقبل النصح المجرد فتوكل من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها العلم النافع الذي ينسبط في الصدر شعاعه ويكشف عن القلب قناعه ، خير علم ما كانت الخشية معه العلم ان قارته الخشية فلك والا فلتك متى آلمك عدم اقبال الناس عليك أو تروجههم بالنم اليك فارجع الى علم الله فيك فإن كان لا يقنك علم قصيتك بعدم قناعتك بعله أشد من مصيبتك بوجود الأذى إنما

أجرى الاذى على أيديهم كي تكون ساكنة اليهم ان أراد أن يزعجك عن كل شيء حتى لا يشعلك عنه شيء اذا علمت أن الشيطان لا يفعل عنك فلا تقفل أنت عن ناصيتك يده ، جعله لك عدوا ليحوشك به اليك وحرك عليك النفس لتدبم اقبالك عليه ، من أثبت لنفسه تواضعا فهو المتكبر حقا اذا ليس التواضع الا عن رغبة ، فتي أثبت لنفسك تواضعا فانت المتكبر ليس المتواضع الذي اذا تواضع رأى أنه فوق ماصنع ، ولكن المتواضع الذي اذا تواضع رأى أنه دون ماصنع التواضع الحقيقي هو ما كانا ناشتا عن شهود عظمتة وتجلى صفته لا يحركك عن الوصف إلا شهود الوصف المؤمن يشغل الشاغل لله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذا كرا ليس المحب الذي يرجو من محبوه عوضا أو يطلب منه غرضا فان المحب من يذل لك ليس المحب من يذل له لولا ميادين النفوس ماتحقق سير السائر ، لا مسافة بينك وبينه حتى تطورها رحلك ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته وانك جوهره تطوى عليك أصداف مكنوناته وسدك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسلك من حيث ثبوت روحانيتك الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مجهون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته ؛ أنت مع الاكوان ما لم تشهد المكون فاذا شهدته كانت الاكوان معك لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم وعف البشرية انما مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق وليست منه ، نارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك ونارة يقبض ذلك عنك فإردك إلى حدودك فانهار ليس ملك اليك ، ولكنه وارد عليك دل بوجود آثاره على وجود أنبائه ويوجد أسماؤه على ثبوت أوصافه ويوجد أوصافه على وجود ذاته اذحاج أن يقوم الوصف بنفسه فأرباب الجذب يكشف لم عن كمال ذاته ثم يردم إلى شهود صفاته ثم يرجعهم الى التعلق بأسماؤه ثم يردم الى شهود آثاره والسالكون على عكس هذا فحياة السالكين بداية المجذوبين وبداية السالكين نهاية المجذوبين (فان (١) مراد السالكين شهود الاشياء وهم مراد المجذوبين شهود الاشياء باقية والسالكون عاملون على تحقيق الفناء والمحور والمجذوبون مسلوب بهم طريق البقاء والصحة) لكن لا معنى واحد فرما التقيا في الطريق هذا في رقية وهذا في تدلية لا يعلم قدر أنوار القلوب والأسرار الا في غيب المالكات كالأنوار السالمة الا في شهادة الملك وجدان ثمرات الطاعات عاجلا بشار العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك قزم تسبق أنوارهم أذكارتهم وقم تسبق أذكارتهم وقوم تساوى أذكارتهم وأنوارهم وقوم لا أذكارت ولا أنوار فعوذ باقية من ذلك أنوارهم ذاكر ذكر ليستير قلبه فكان ذاكر أو ذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا والذي استنرت أذكاره وأنواره فيذكره يهتدي وبوره يقتدى ما كان ظاهر ذكر إلا عن باطن شهود وفكر أشهدك من قبل أن استشهدك فقطعت بالهية الظواهر وتحققت بأحدثه القلوب والسرائر أكرمك ثلاث كرامات جعلك ذاكر آله ولولا فضله لم تكن أهلا لجران ذكره عليك وجلالك مذكورا به إذ حق نسبته لديك وجلالك مذكورا عنده ليتم نعمته عليك رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده وبب عمر قليلة آماده كثيرة امداده من يورك له في عمره أدرك في يسير من الزمن من من الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر البارية ولا تحلقه الاشارة ؛ الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ثم لا ترجع وتقل عواقلك ثم لا ترجع اليه الفكرة سير القلب في ميادين الأغيار - الفكرة سراج القلب فاذا ذهب فلا إضافة له الفكرة فكرتان فكرة تصديق وإيمان وفكرة شهود وعيان فالأولى لأرباب الاعتبار والثانية لأرباب الشهود والاستبصار (وما كتب به إلى بعض اخوانه) أما بعد فان البدايات علامة النهايات ، وإن كانت باقية بدايته كانت اليه نهايته والمشتغل به هو الذي أحبته وسارعت اليه والمشتغل عنه هو المؤثر عليه فان من أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب اليه ومن علم أن الأمور بيد الله انجمع بالتوكل عليه وانه لا بد لبناء هذا الوجود أن تهتم بدعائه وأن تسلب كرامته فالعامل من كان بما هو أبقي أفرح منه بما هو بغي قد أشرق نوره وظهرت تابشيره فصرف عن هذه

الدار متضيا وأعرض عنها مولى؛ فلم يتخذها وطناً ولا جعلها سكناً بل أنهض الهمة فيها إلى الله وصار فيها مستهيناً به في القدوم عليه. فما زالت مطية عزمه لا يقر قرارها دائماً تسيرها إلى أن أناخت بمضرة القدس وبباط الأنس محل للفتحة والمواجهة والمحاسنة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم، اليها يأتون وفيها يسكنون، فانزلوا إلى سماء الحقوق أو أرض الحظوظ فبالأذن والعلم والرسوخ واليقين؛ فلم ينزلوا إلى الحق بوسوء الأدب والتغلف ولا إلى الحظوظ بالشهوة والمتعة؛ بل دخلوا في ذلك بأهله من الله وإلى الله؛ وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق ليكون نظري إلى حولك وقوتك إذا أدخلتني واستسليتني واقفياً يدى اليك إذا أخرجتني واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً ينصرني وينصرني ولا ينصر على نصرتي على شهود نفسي ويفني عن دائرة حسى (وعما كتب إلى بعضهم) أن كانت عين القلب تنظر إلى أن الله واحد في مته فالشرية تقتضى أنه لا بد من شكر خليقته؛ وأرب الناس في ذلك على ثلاثة أقسام غافل منهمك في غفلة قويت دائرة حسه وانطسحت حضرة قلبه فنظر الاحسان من المخلوين ولم يشهده من رب العالمين أما اعتقادنا فنشركه بجلى وأما استنادنا لشركه خفى وصاحب حقيقة غلب عن الخلق بشهود الملك الحق وقى عن الأسباب بشهود مسبب فهذا عبد مواجه بالحقيقة ظاهر عليه سناها سالك للطريقة قد استولى على مدها غير أنه غريق الأنوار ومطموس الآثار قد غلب سكره على صحوه وجمه على فرقه وقائه على بقاءه وغيبته على حضوره وأكل منه عبد شرب فازداد سحوراً وغاب فازداد حضوراً فلا جمعه يجبه عن فرقه ولا فرقه يجبه عن جمعه ولا فناءه عن بقاءه بعده ولا بقاءه بعده عن فناءه يعطى كل ذى بسط قسطه ويوفى كل ذى حق حقه وقد قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لما نشأ رضى الله عنها لما نزلت برأيتها من الأظ على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعاشة اشكرى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالت: والله لا أشكر إلا الله دله أبو بكر على المقام الأكل مقام البقاء المقتضى لاثبات الآثار وقد قال الله تعالى أن اشكر لى ولوالديك وقال صلوات الله وسلامه عليه لا يشكر الله من لا يشكر الناس وكانت هى في ذلك الوقت مصطبلة عن شاهدها غائبة عن الآثار فلم يشهد إلا الواحد القهار (وقال رضى الله عنه لما سئل عن قوله صلوات الله وسلامه عليه وجلت قرّة عيني في الصلاة هل ذلك خاص به أم أمر لغيره منه مشرب ونصيب فأجاب أن) قرّة العين بالشهود على قدر المعرفة بالشهود قال رسول صلى الله عليه وسلم ليس من عرف غيره كعرفه وليس قرّة عين كقرّة عينه وإنما قلنا أن قرّة عينه في صلاته بشهوده جلال مشهوده لأنه قد أشار إلى ذلك بقوله في الصلاة ولم يقل بالصلاة إذ هو صلوات الله وسلامه عليه لا قرّة عينه بغير ربه وكيف وهو يدل على هذا المقام وبأمره من سواء بقوله أعبد الله كأنك تراه ومحال أن يراه ويشهد معه سواء فإن قال قائل قد تكون قرّة العين بالصلاة لأن أفضل من عين وبارزة من عين منة الله فكيف لا يفرح بها وكيف لا تكون قرّة العين بها وقد قال سبحانه قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الآية فاعلم أن الآية قد أومأت إلى الجواب لمن تدبر سر الخطاب إذ قال فبذلك فليفرحوا ما قال فبذلك فافرح يا محمد قل لهم فليفرحوا بالإحسان والتفضل وليسكن فرحك أنت بالمفضل كما قال في الآية الأخرى قل الله ثم خذم في خوضهم يلعبون الناس في ورود المني على ثلاثة أقسام فرح بالمن لان حيث مهدى ومنشأه ولكن بوجود متعته فيها فهذا من الغاظين يصدق عليه قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة وفرح بالمن من حيث أنه شهدا متعته من أرسلها ونعمة عن أوصلها يصدق عليه قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون وفرح بالله ما شغله من المن ظاهر متعته ولا باطن متعته بل شغله النظر إلى الله عما سواه والجمع عليه فلا يشهد إلا إياه يصدق عليه قوله تعالى قل الله ثم خذم في خوضهم يلعبون وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود قل للصديقين في ظنير حو لو بد كرى فليتعنوا والله تعالى يجعل فرحنا وإياكم به والرضى منه وإن يجعلنا من أهل الفهم نعو أن لا يجعلنا من الغاظين وأن يسلك بنا مسلك المتقين بمنه وكرمه (وقال رضى الله عنه في مناجاته) إلهي أنا الفقير في غنى فكيف لا أكون فقيراً في فقري إلهي أنا الجاهل في علمي فكيف لا أكون جهورياً في جهلي إلهي أنا اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك منعا عبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء والياس منك في بلاء إلهي منى ما يليق بلؤى ومنك ما يليق بكرمك إلهي وصف نفسك بالطيف والرفقة في قبل وجود ضعفى أقتضى منى بعد وجود ضعفى إلهي أن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على وإن ظهرت المساوى منى فبفعلك ولك الحجة على إلهي كيف

تكلني إلى نفسي وقد توكلت لي وكيف أضام وأنت الناصر لي أم كيف أخيب وأنت الحني في ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك أم كيف أشكو إليك حالي وهو لا يخفى عليك أم كيف أترحم لك بمقال وهو منك برز إليك أم كيف تتيب آمالي وهي قد وفدت إليك أم كيف لأحسن أحوالي وبك قامت إليك إلهي ما أطفك في مع عظيم حيلي وما أرحمك في مع قبيح فعلي إلهي ما أقربك مني وما أبعدني عنك إلهي ما أرفأك في فناء الذي يجيني عنك إلهي قد علت باختلاف الآثار وتقلات الأظوار أنت مرادك مني أن إلى في كل شيء حتى لا أجعلك في شيء إلهي كلما أخرست لؤي أنطقني كرمك وكلما آسيت أوصافي أطمعني متك إلهي من كانت عأسه مساوي فكيف لا تكون مساوية مساوي ومن كانت حاتمته دعاوى فكيف لا تكون دعاويه دعاوى إلهي حكمتك النافذ ومشييتك القاهرة لم يترك لذي مقال مقالا ولا لذي حال حالا إلهي كم من طاعة بينها وحالة شديتها هدم اعتيادي عليها عدلك بل أقاتني منها فضلك إلهي أنت تعلم وإن لم تدم الطاعة مني فلا جزما فقد دامت محبة وعزما إلهي كيف أعزم وأنت القاهر وكيف لأعزم وأنت الأمر إلهي ترددي في الآثار يوجب بعد المزار فاجعني عليك بخدمة توصلي إليك إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفقتر إليك أليكون لتفرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بدلت تتكون الآثار هي التي توصل إليك عييت عن لا تراك عليها رقبيا وخسرت صفقه عبد لم يجعل له من حيك نصيباً إلهي أمرت بالرجوع إلى الآثار فارجعني إليها بكسوة الأنوار وهداية الاستبصار حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون السر عن النظر إليها ومرفوع الهمة عن الاعتدال عليها أنك على كل شيء قدير إلهي هذا ذل ظاهر بين يديك وهذا حالي لا يخفى عليك منك أطلب الوصول إليك وبك أستدل عليك فاهدني بنورك إليك وأقن بصدق البوذية من يديك إلهي علني من عليك المخزون وصني بسر اسمك المصون إلهي حققي بمحافاتي أهل القرب واسلك في مسالك أهل الجذب إلهي اغني بتدبيرك عن تدبيرى وباختيارك عن اختياري وأوقفني على مراكرها اضطراري إلهي أخرجني من ذل نفسي وطهرني من شكي وشركي قبل حلول رمسى بك اتصر فانصرني وعليك أتوكل فلا تكلني وإياك أشال فلا تخينني وفي فضلك أرغب فلا تحرمني ولجناك أنتسب فلا تبعدني ويياك أقف فلا تطردني إلهي تقدس رضاك أن تكون له علة منك فكيف تكون له علة مني أنت التي بذاتك عن أن يصل إليك النفع فكيف لا تكون غياي، إلهي إن القضاء والقدر غلبي وإن الهوى بوائقي الشهوة أسرني فكن أنت النصير التصير لي حتى تصرفني وتصبرني، واغني بفضلك حتى أستغني بك عن طلبى، أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحودك وأنت الذي أزلت الاغيار من قلوب أحبابك حتى لم ينجوا سواك ولم يلجوا إلى غيرك أنت المؤنس لهم حيث أوحشهم العوالم وأنت الذي هديتهم حتى استبان لهم المعالم ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجلك لقد خاب من رضى ذنوبك بدلا ولقد خسرت من بنى عنك متحولا إلهي كيف يرعى سواك وأنت ما فطمت الاحسان وكيف يطلب من غير وأنت ما بدلت عادة الامتان يامن اذناك احبائه حلالة مؤانسته ققاموا بين يديه متعلقين ويامن ليس أولياؤه ملابس هيبته ققاموا بعزته مستعزين أنت الناصر من قبل الناصرين وأنت البادى بالاحسان من قبل توجه العابدين وأنت الجواد بالعطاء من قبل طلب الطالبين وأنت الوهاب ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين إلهي اطلبني برحمتك حتى أصل إليك واجذبني بمتك حتى أقبل عليك إلهي إن رجائي لا ينقطع عنك وإن عصيتك كأن خوفي لا يزالني وإن أظمتك إلهي قد دفعتي العوالم إليك وقد أوقفني على بكرمك عليك إلهي كيف أخيب وأنت امل، ام كيف اهان عليك متكلى إلهي كيف استعز وأنت في الذلة اركوتني ام كيف استعز وإليك نسبتي ام كيف لا افتقر وأنت الذي في الفقر اقمتي ام كيف افتقر وأنت الذي بمجودك اغنييتني أنت الذي لا اله غيرك تعرفت لكل شيء فسا جهلك شيء وأنت الذي تعرفت إلى كل شيء فأريك ظاهرا في كل شيء فأنت الظاهر لكل شيء يامن استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيا في رحمانيته كما صارت العوالم غيا في عرشه محقت الآثار بالآثار ومحوت الاغيار بمحيطات افلاك الأنوار يامن احتجب في سرادقات عزه عن ان تدركه الابصار يامن تجلى بكال جهاته فتمحقت عظمته الأسرار كيف تخفي وأنت

خطأ وصواب الجزء الأول

| المصحفة | السطر | الخطأ | الصواب | المصحفة | السطر | الخطأ | الصواب | المصحفة | السطر | الخطأ | الصواب |
|---------|-------|-----------|-----------|---------|-------|------------|------------|---------|-------|-----------|-----------|
| ٦٥ | ٧ | مود | موجود | ٧٧ | ٨ | بأسرة | بأسره | ٨٩ | ٢٥ | فناصف | فناصف |
| ٦٥ | ٢٣ | كساب | كسحاب | ٧٧ | ١٤ | التي | التي | ٩٠ | ١١ | مصرفون | مصرفون |
| ٦٥ | ٢٩ | وغير | وغير | ٧٧ | ١٩ | عائل | عائل | ٩١ | ٥ | الواصلين | الواصلين |
| ٦٦ | ٤ | والاكفاء | والاكفاء | ٧٧ | ١٩ | ذكر | ذاكر | ٩١ | ٨ | القصري | القصري |
| ٦٦ | ١٩ | الشاعر | الشاعر | ٧٨ | ٦ | تعبد | تعبد | ٩١ | ٣١ | كالنحر | كالنحر |
| ٦٦ | ٢١ | يتم | يتم | ٧٨ | ١٠ | الثلاثة | الثلاثة | ٩٢ | ٢١ | التجبي | التجبي |
| ٦٦ | ٣٠ | شجر | شجرة | ٧٩ | ٧ | والاعتمد | والاعتماد | ٩٣ | ١٢ | الاغناء | الاغناء |
| ٦٧ | ٧ | فيصحب | فيصحب | ٧٩ | ٩ | قال الحسن | قال الحسن | ٩٣ | ١٦ | أفتك | أفتك |
| ٦٧ | ١٤ | أجبه | أجبه | ٧٩ | ٩ | في اليوم | في اليوم | ٩٣ | ٢٤ | وبأخذ | وبأخذ |
| ٦٧ | ٢٢ | بالريد | بالزيد | ٧٩ | ٩ | يدلها | يدلها | ٩٣ | ٣١ | والتابين | والتابين |
| ٦٨ | ٤ | لم يطق | لم يطق | ٨٠ | ١٦ | عفلتك | عفلتك | ٩٤ | ٢٣ | بثيت | بثيت |
| ٦٨ | ١٤ | البقين | البقين | ٨٠ | ١٦ | بوجهما | بوجهما | ٩٥ | ١ | أله يلوم | أله يلوم |
| ٦٨ | ١٩ | نور في حق | نور في حق | ٨٠ | ٢٣ | والانهار | والانهار | ٩٥ | ٤ | الخبر | الخبر |
| ٦٩ | ١٩ | قصور | قصور | ٨٠ | | رفقة | رفقة | ٩٦ | ٩ | أريد | أريد |
| ٧٢ | ١٤ | ولا تعجب | ولا تعجب | ٨١ | ٢١ | طريقة | طريقة | ٩٦ | ١١ | عني | عني |
| ٧٣ | ١٤ | الرجعي | الرجعي | ٨١ | ٢٤ | التجريد | التجريد | ٩٦ | ١١ | عنها | عنها |
| ٧٤ | ٢ | علم | علم | ٨١ | ٢٥ | فأفرم | فأفرم | ٩٦ | ١٣ | المعري | المعري |
| ٧٥ | ٣ | تقع | تقع | ٨١ | ٢٥ | التجريد | التجريد | ٩٦ | ٢٥ | الفضل | الفضل |
| ٧٥ | ٧ | العالية | العالية | ٨٢ | ٨ | الساس | الساس | ٩٦ | ٣٠ | النصف | النصف |
| ٧٥ | ١٥ | محبولة | محبولة | ٨٣ | ١٦ | ولي | ولي | ٩٧ | ١٢ | هو | هو |
| ٧٥ | ٢٠ | لثم | لثم | ٨٣ | ٢٩ | وتكبر | وتكبر | ٩٧ | ٢٢ | لوتعلم | لوتعلم |
| ٧٥ | ٢٥ | جعلت | جعلت | ٨٤ | ٢ | ليجسمهم | ليجسمهم | ٩٧ | ٢٥ | فيه النجم | فيه النجم |
| ٧٦ | ١٠ | الشيخوخة | الشيخوخة | ٨٤ | ٦ | لهما أن لا | لهما أن لا | ٩٨ | ٧ | العين | العين |
| ٧٦ | ٦ | كوجده | كوجده | ٨٤ | ٨ | ذكر | ذكر | ٩٨ | ٣٠ | الاقتداء | الاقتداء |
| ٧٦ | ١٦ | المريد | المريد | ٨٤ | ٩ | رؤية | رؤية | ٩٩ | ١٤ | فلما رأيت | فلما رأيت |
| ٧٦ | ١٩ | وتزين | وتزين | ٨٤ | ١٨ | فبت | فبت | ١٠٢ | ٢ | الوجب | الوجب |
| ٧٦ | ٢٢ | الوجدان | الوجدان | ٨٤ | ٢٢ | والتجريد | والتجريد | ١٠٣ | ١٣ | وبدل | وبدل |
| ٧٦ | ٢٦ | في ذلك | في ذلك | ٨٤ | ٤ | لا يقف | لا يقف | ١٠٤ | ٢٠ | مشاركا | مشاركا |
| ٧٦ | ٢٩ | وظنت | وظنت | ٨٥ | ٢٧ | اختار | اختار | ١٠٤ | ٢٩ | أيدهم | أيدهم |
| ٧٧ | ٢ | ولاكثر | ولاكثر | ٨٨ | ٣ | ولا يحدوه | ولا يحدوه | ١٠٧ | ١٤ | ظه | ظه |
| ٧٧ | ٦ | وتكون | وتكون | ٨٩ | | | | | | | |

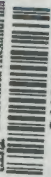
| رقم الصفحة | السطر الخطأ | الصواب | رقم الصفحة | السطر الخطأ | الصواب | رقم الصفحة | السطر الخطأ | الصواب |
|------------|------------------------------|----------------------------------|------------|---------------------|--------|------------------------|-------------|--------|
| ١٠٧ | ٢٨ وإلى عاتبة وإلى آفة عاقبة | ١٢١ ٣ إليه إشارته إليه من إشارته | ١٣١ | ١٦ ظاهرها وباطنها | ١٣١ | ٩ الخدمة الخدمة | ١٠٩ | |
| ١٠٩ | ٩ | ١٢١ ٤ فثاته فثاؤه | ١٣٤ | ٦ لاقوة لاقوه | ١٣٤ | ١٠ متفاوتين متفاوتين | ١٠٩ | |
| ١١١ | ٤ آخره آخر | ١٢١ ٥ قال قتال | ١٣٥ | ٣ وتغلية وتغليه | ١٣٥ | ٤ آخره آخر | ١١١ | |
| ١١١ | ١٥ فنجيب فنجيب | ١٢١ ٨ أمالم أمالم | ١٣٥ | ٧ الحق الخلق | ١٣٥ | ١٠٥ فنجيب فنجيب | ١١١ | |
| ١١١ | ١٩ ميمراً ميمراً | ١٢١ ٢٢ الطب الطب | ١٣٥ | ٨ الحق الخلق | ١٣٥ | ١٩ ميمراً ميمراً | ١١١ | |
| ١١١ | ٢٤ الله وأنعمهم الله | ١٢١ ٢٢ كله صدق كله في صدق | ١٣٥ | ٢٨ وليوتها وليوتها | ١٣٥ | ٢٤ الله وأنعمهم الله | ١١١ | |
| ١١١ | ٢٨ الملون للملوك | ١٢١ ٣١ فرقين فرقين | ١٣٦ | ٢٧ ويحرق ويحرق | ١٣٦ | ٢٨ الملون للملوك | ١١١ | |
| ١١٢ | ١٦ العابدين سيدنا | ١٢٢ ١ يقبض يقبض | ١٣٦ | ٣ كلنة كلنة | ١٣٦ | ١٦ العابدين سيدنا | ١١٢ | |
| ١١٢ | ٢ لطيفة لطيفة | ١٢٢ ٣ الطب الطب | ١٣٨ | ٤ لغيم لغيم | ١٣٨ | ٢ لطيفة لطيفة | ١١٢ | |
| ١١٣ | ٦ مزته مزته | ١٢٢ ٨ الخير الخير | ١٣٨ | ١٧ والتتم والتتم | ١٣٨ | ٦ مزته مزته | ١١٣ | |
| ١١٣ | ٩ يحاربهم يحاربهم | ١٢٢ ٢٨ وهم إلا وهم إلا | ١٣٨ | ١٥ عبده عبده | ١٣٨ | ٩ يحاربهم يحاربهم | ١١٣ | |
| ١١٣ | ١٦ أحن أحن | ١٢٢ ٩ ويتحقق ويتحقق | ١٣٨ | ٢١ مر من | ١٣٨ | ١٦ أحن أحن | ١١٣ | |
| ١١٣ | ١٨ الأخبار الأخبار | ١٢٣ ٢٤ وأفرت وأفرت | ١٣٨ | ٢٤ جناة جناة | ١٣٨ | ١٨ الأخبار الأخبار | ١١٣ | |
| ١١٣ | ٢٠ والزين والزاي | ١٢٣ ٨ لتكون لتكون | ١٣٨ | ٢٨ أعماله أعمال | ١٣٨ | ٢٠ والزين والزاي | ١١٣ | |
| ١١٣ | ٢٢ بانفاه بانفاه | ١٢٣ ١٥ الليل بالليل | ١٣٨ | ١ أولاد وأولاد | ١٣٨ | ٢٢ بانفاه بانفاه | ١١٣ | |
| ١١٣ | ٢٤ العارض الفارض | ١٢٣ ١ أجنى أجنى | ١٣٨ | ٢٤ مافكين مافكين | ١٣٨ | ٢٤ العارض الفارض | ١١٣ | |
| ١١٣ | ٢٨ يستطيع يستطيع | ١٢٣ ١٩ والراحة الراحة | ١٣٨ | ٢٤ يريقة يريقة | ١٣٨ | ٢٨ يستطيع يستطيع | ١١٣ | |
| ١١٥ | ٢ الشقارة الشقاوة | ١٢٣ ٣٠ قالوا قال | ١٣٨ | ٢٢ وري وري | ١٣٨ | ٢ الشقارة الشقاوة | ١١٥ | |
| ١١٧ | ٣ قبض قبض | ١٢٣ ٢ منك منك | ١٣٨ | ٢٦ الحواظر الحواطر | ١٣٨ | ٣ قبض قبض | ١١٧ | |
| ١١٧ | ١٠ على فان على شيء فان | ١٢٣ ٧ فنك فنك | ١٣٨ | ٢٦ أناحت أناحت | ١٣٨ | ١٠ على فان على شيء فان | ١١٧ | |
| ١١٨ | ٣ غرض غرض | ١٢٣ ٢٣ والبدى والتبدى | ١٣٨ | ٨ أو بنعمة أو بنعمة | ١٣٨ | ٣ غرض غرض | ١١٨ | |
| ١١٨ | ٤ ماذا وماذا | ١٢٣ ٢٦ فبهم فبهم | ١٣٨ | ٢٦ وأقطع وأقطع | ١٣٨ | ٤ ماذا وماذا | ١١٨ | |
| ١١٨ | ١٦ سرة سرة | ١٢٣ ٢ العلماء العلماء | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ١٦ سرة سرة | ١١٨ | |
| ١١٨ | ٢١ سألتني سألتني | ١٢٣ ١٣ فاحتاجوا فاحتاجوا | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ٢١ سألتني سألتني | ١١٨ | |
| ١١٩ | ٥ الدات الدات | ١٢٣ ٢٤ والصفا والصفات | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ٥ الدات الدات | ١١٩ | |
| ١١٩ | ١١ فتحت فتحت | ١٢٣ ٢٦ أن كذاب إن كذاب | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ١١ فتحت فتحت | ١١٩ | |
| ١١٩ | ١٤ وسط وسط | ١٢٣ ٢٧ أم أم | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ١٤ وسط وسط | ١١٩ | |
| ١٢٠ | ١٥ تحرق تحرق | ١٢٣ ٢٧ وشقاء وشقاء | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ١٥ تحرق تحرق | ١٢٠ | |
| ١٢٠ | ١٥ قوين قوين | ١٢٣ ١ وباطنها وباطنها | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ١٥ قوين قوين | ١٢٠ | |
| ١٢٠ | ٢٦ هاجر هاجر | ١٢٣ ١٠ وحظوظها وحظوظها | ١٣٨ | ٢٦ ولوبلغ ولوبلغ | ١٣٨ | ٢٦ هاجر هاجر | ١٢٠ | |

| الصحيفة السطر الخطأ الصواب | رقم الصحيفة | السطر الخطأ الصواب | رقم الصحيفة | السطر الخطأ الصواب | رقم الصحيفة |
|----------------------------|-------------|------------------------|-------------|----------------------|-------------|
| ١٨ ويتغير ويتغير | ١٥٢ | ١٥ فتح ثم | ١٦٢ | ٢٣ والانعجاس | ١٦٩ |
| ١٩ السلام الإسلام | ١٥٢ | ١٧ تطلى تطلى | ١٦٢ | ٢٨ أصدقاء بأضادها | ١٦٩ |
| ٢٤ مرتد مرتد | ١٥١ | ١٨ تحسبها تحسبها | ١٦٢ | ٢٩ بشرتك بشرتك | ١٦٩ |
| ١٨ الا إلى | ١٥٤ | ٢١ كمال قال كمال قال | ١٦٢ | ٢٩ خضرته خضرته | ١٦٩ |
| ٢ الخصوصة | ١٥٢ | ٣٠ بوقتك بوقتك | ١٦٢ | ٢ ظهر ظهر | ١٧٢ |
| الخصوصية | | ٢٣ خلفه كان خلفه ومن | ١٦٥ | ١٨ وبينهما وبينهما | ١٧٢ |
| ١٢ والخلفاء والخلفاء | ١٥٧ | ٢٤ المتقدمون المتقدمين | ١٦٥ | ١٩ طلى على | ١٧٢ |
| ٢ الأعيار الأعيار | ١٥٨ | ٢٥ أو أعمل أو عمل | ١٦٥ | ١٢ المتكوت المتكوت | ١٧٤ |
| ١٣ واعتماد واعتمادك | ١٥٨ | ٢٩ المريرد المريرد | ١٦٥ | ١٣ فيسير فيسير | ١٧٦ |
| ١١ ظهورها ظهورها | ١٥٩ | ١١ العباد العباد | ١٦٦ | ٢٥ عن العمل من العمل | ١٧٦ |
| ٢٦ اشرار الأشرار | ١٥٩ | ١٩ قشتم قشتم | ١٦٦ | ١ بعطاء بعطاء | ١٧٧ |
| ١٧ لا يفتدى لا يفتدى | ١٥٩ | ٢٠ قابل قال بل | ١٦٦ | ١١ فقلت فقلت | ١٧٧ |
| ٢ مر من | ١٦٠ | ٢ الحجاب الحجاب | ١٦٩ | ٢٠ الن من | ١٧٧ |
| ٥ فع فهو | ١٦٠ | ٦ ربوبكم ربوبكم | ١٩٦ | ٢٤ يقوى يقوى | ١٧٧ |
| ٢٧ ما بينه ما بينه | ١٦٠ | ١٥ ثلث ثلث | ١٦٩ | ١٥ ولا يتار ولا يتاى | ١٧٨ |
| ١٣ وتنشق وتنشق | ١٦١ | ٢٢ من ذلك من ذلك | ١٦٩ | ١٨ وسنين وسنين | ١٧٨ |
| ٢١ سفت سفت | ١٦٢ | ٢٢ ومن ذلك ومن ذلك | ١٦٩ | ١٨ نصفها ونصفها | ١٧٨ |
| ١٣ النخيلة النخيلة | ١٦٣ | | | ٢٤ الفشاء الفشاء | ١٧٨ |

خطأ وصواب الجزء الثاني

| الصحيفة السطر الخطأ الصواب | رقم الصحيفة | السطر الخطأ الصواب | رقم الصحيفة | السطر الخطأ الصواب | رقم الصحيفة |
|----------------------------|-------------|--------------------|-------------|--------------------|-------------|
| ٢٦ بأودية بأودية | ٤ | ١٩ نسبت نسبت | ٦ | ١٩ وفيه وفيه | ١٠ |
| ١٢ خضر الخضر | ٥ | ٢٢ بفراط بفراط | ٦ | ٢٢ التوية التوية | ١٠ |
| ٢٣ نوزها نوزها | ٥ | ٣٠ الرجال الرجال | ٦ | ٢٢ اقده اقده | ١١ |
| ١ الجريمة الجريمة إذا | ٦ | ٢ تقظم تقظم | ٧ | ٢٤ ذكرى ذكرى | ١١ |
| ٤ مر من | ٦ | ٢٦ لفصل لفصل | ٩ | ١٨ غابة غابة | ١٢ |

Biblioteca Alexandrina



0412625